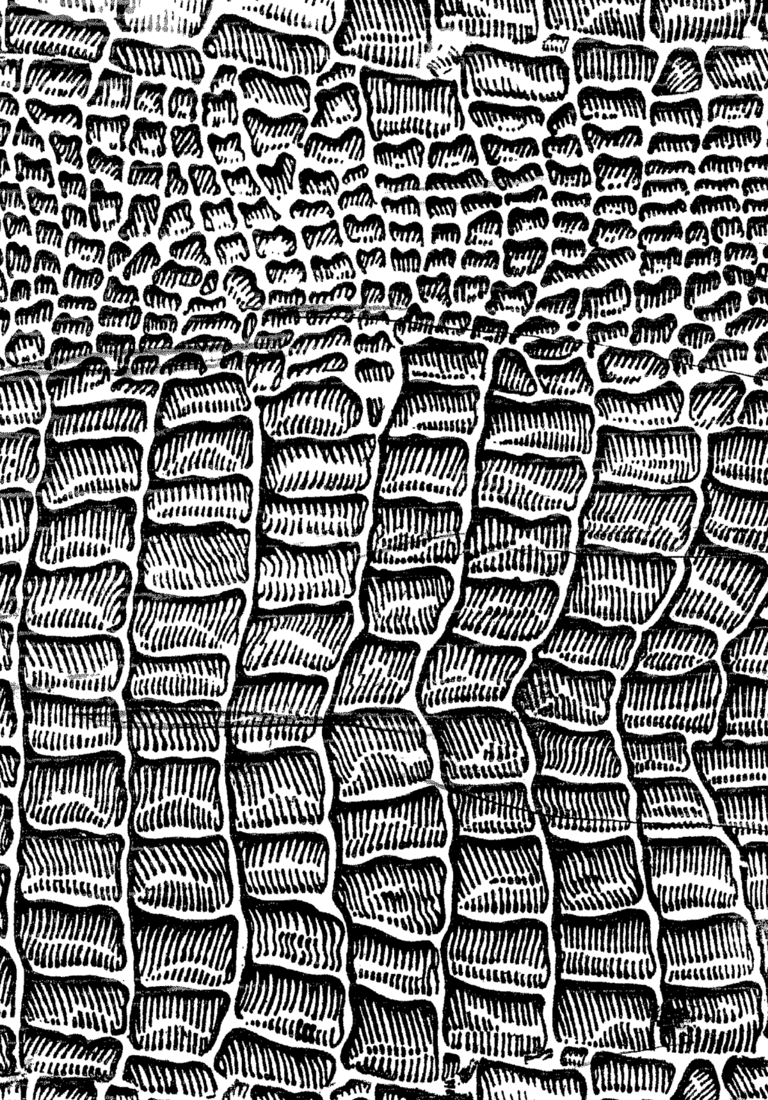
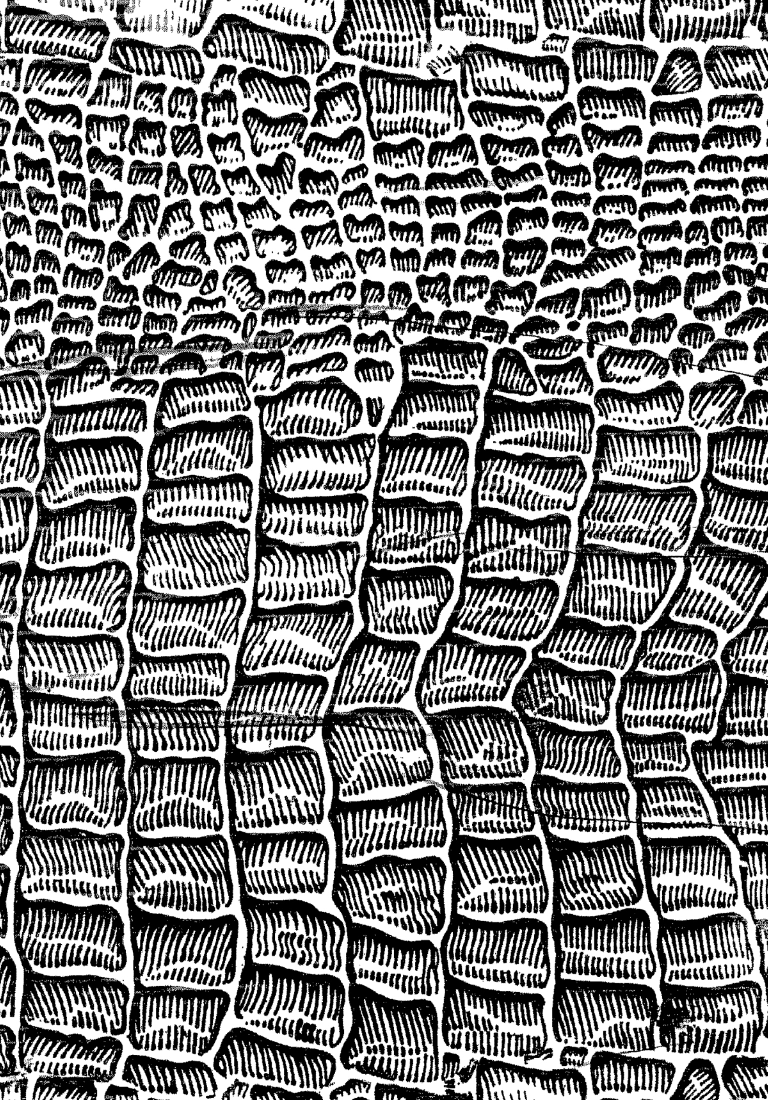






تراثنا



صبح الأعشى

في صناعة الإنشا

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي

٨٢١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الثالث

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيلة
بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر ج ع م
تليفون ٩٠٠١١٨ س . ت ٦٣٤١١

فهرس

الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

المقـالة الثانيـــة

صفحة

صفحة

صفحة

تنبيـــــه

بعض التعليقات الخاصة بتعيين الأماكن ، مع تحديد مواضعها في هـذا الجزء هي من وضع حضرة الأسـتاذ محمد رمزي بك المفتش بوزارة المـالية سابقا ، فنسدى إليه جزيل الشكر ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الأولى

فى الكلام على نفس الخط ، وفيه ثمانية[1] أطراف

٥

الطرف الأول

فى فضيلة الخط

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فأضاف تعليم الخط إلى نفسه ، وآمتنّ به على عباده ؛ وناهيك بذلك شرفا !

وقال جل وعز : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم بما يَسْطُرونه ١٠

وعن آبن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أنه الخط كما تقدّم الكلام عليه .

ويروى أنّ سليمان عليه السلام سأل عِفْرِيتا عن الكلام فقال : ريحٌ لا يبقى ! قال : فما قَيْدُه ؟ قال : الكتابة .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لِسانُ اليد . ١٥

(١) فى الأصل : «سبعة أطراف» والأطراف التى سيذكرها المؤلف ثمانية .

وقال جعفر بن يحيي: الخط سِمْط الحكمة، وبه تُفَصَّل شُذُورها، وينتظم منثورها.

وقال النَّظَّام: الخط أصل الروح[(١)] له جسدانية فى سائر الأعمال. إلى ما يجرى هذا المَجْرى.

وقال إبراهيم بن محمد الشيبانى: الخط لسان اليَد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووصِىُّ الفِكْر، وسلاح المَعْرِفة، وأُنْس الإخوان عند الفُرْقة، ومحادثتُهم على بُعْد المسافة ومستودَع السِّر، ودِيوان الأمور.

وقال مسلم بن الوليد: من عجائب الله تعالى فى خلقه، وإنعامه عليهم من فضله، تعليمُه إيّاهم الكتابَ المُفيدَ للباقين، حِكَمَ الماضين، والمخاطِبَ للعيون بسرائر القلوب، على لغات متفرقة، فى معانٍ معقولة، بحروف مؤلَّفة من ألف، وباء، وجيم، ودال، متبايناتِ الصُّوَر، مختلفاتِ الجهات، لِقَاحُها التفكير، ونتاجُها التأليف، تَخْرَس مُنْفردة، وتَنْطِق مُزْدوجة، بلا أصواتٍ مسموعة، ولا أَلْسُن مزوَّرة، ولا حركاتٍ ظاهرة، ما خلا قلمًا جوف باريه بطنه ليعلَق المِدادُ به، وأرهف جانبيه ليردّ ما آنتشر منه إليه، وشقّ رأسه ليحتبس الآستمداد عليه، وأربع من شَفَتيه، ليجمعا حواشىَ تصويره إليه، فهنالك آشتدّ القلم برشفه، وقذف المادّة إلى صدره، ثم مجّها من شقّه بمقدار ما آحتملت شَفَتاه بتخطيط أجزاء النقط التى أراد بها الخطوط، فالأبصار لها ساميَة، فإذا حكَتْها الألسُن فالآذان لها واعية. وأَوْلى أسمائها بها حينئذ الكلامُ الذى سَدّاه العقلُ، وأَلْحَمه اللسان، وقطَعتْه الأسنان، ولفَظَتْه الشَّفَتان، وصَدّاه الجوّ، وجُرِّعته الأسماع على أنحاءٍ شتّى، وسُمِّيت[(٢)] بها الأشياء لتعريف متناكِرها، وتمييز متشابِهها، وتبيين معلومها من مجهولها. فمن ذلك فَضَل الكتّابُ الصِّناعات.

---

(١) عبارة الضوء: "قال بعض العلماء: الخط كالروح فى الجسد".

(٢) فى الأصل: «وسميت لها» والسياق يقتضى ما أثبتناه.

وبالجملة فليس يذكر ذاكر شيئا مما يجرى به الخاطر، أو يميل إليه العقل، أو يلقبه الفهم، أو يقع عليه الوهم، أو تدركه الحواسّ، إلا والكتابُ والكلام موكّلان به، مدبِّران له، معبِّران عنه .

فلما أن تضمّنت الحروفُ الدلالة، وقامت الألفاظُ بالعبارة، نطقت الأفواه بكل لغة، وتصرّف المَنطِق بكل جهة، فلم تكتنف منه أُمّةً بأمة، ولم تستغنِ عنه مِلّةٌ دونَ مِلّة، فعُرِّب ذلك بلغة العرب التى هى القاهرةُ لجميع اللُّغات، المنظِّمة لجميع المعانى فى وجيز الصِّفات .

ولو لم يكن من شَرَف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم أو هُود عليهما السلام كما تقدّم ذكره، وأنزل الصُّحُف على الأنبياء مسطورةً، وأنزل الألواح على موسى عليه السلام مكتوبةً، لكان فيه كفاية .

وأيضا فإنّ فيه من حِفْظ الحُقوق، ومنع تمرُّد ذَوى العقوق، بما يُسطَّر عليهم من الشهادات، التى تقع فى السجلات، والمكاتَبات بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التى لا ينضبط مثلُ ذلك لحامل رسالة، ولا يناله الحاضرُ بمشافَهة وإن كثر حفظه وزادت بلاغته . ولذلك قيل : الخطُّ أفضلُ من اللفظ، لأن اللفظ يُفهِّم الحاضر فقط، والخط يفهِّم الحاضر والغائب . ولله القائل فى ذلك يصف القلم :

وأخرَسَ يَنطِق بالمُحكَمات * وجُثمانُه صامتٌ أجوَفُ
بمكّةَ يَنطِقُ فى خُفْيةٍ * وبالشأم مَنطِقُه يُعرَفُ

الطرف الثانى
فى بيان حقيقة الخطّ

قال الشيخ شمس الدين بن الأكفانى فى كتابه "إرشاد القاصد" فى حصر العلوم : وهو علم تتعرف منه صُوَرُ الحروف المفردة، وأوضاعُها، وكيفيةُ تركيبها خطًّا،

أو ما يكتب منها فى السطور، وكيف سبيله أن يكتب، ومالا يكتب، و إبدال ما يبدل منها فى الهجاء و بماذا يبدل "

قال : " وبه ظهرت[1] خاصة النوع الإنسانى من القوة إلى الفعل، وآمتاز عن سائر أنواع الحيوان ، وضبطت الأموال ، وترتبت الأحوال وحفظت العلوم فى الأدوار، وآستمرت على الأطوار، وآنتقلت الأخبار من زمان إلى زمان، وحملت سرا من مكان إلى مكان .

و بهذه الفضائل حافظت الغريزة الإنسانية على قبوله يطلب تعلمه محافظة لم يحتج بها إلى تذكار بعد الغيبة . ولهذه العلة آستغنى عن كتاب يصنف فيه " .

ثم قال : "وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها : بالإشارة، أواللفظ ، أو الخط ؛ فالإشارة تتوقف على المشاهدة؛ واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه ؛ أما الخط فإنه لا يتوقف على شيء فهو أعمها نفعا وأشرفها " .

وآعلم أنه قد تقدم فى الكلام على اللغة فى "النوع الأول مما يحتاج إليه الكاتب" أنه ينبغى للكاتب أن يتعلم لغة من يحتاج إلى مخاطبته ، أو مكاتبته من اللغات غير العربية ؛ فكذلك ينبغى أن يتعلم من الخطوط غير العربية ما يحتاج إليه من ذلك ، فقد قال محمد بن عمر المدائنى فى كتاب "القلم والدواة" : إنه يجب عليه أن يتعلم الهندية وغيرها من الخطوط العجمية . و يؤيد ذلك ما تقدم فى الكلام على اللغة أن النبى صلى الله عليه وسلم "أمر زيد بن ثابت رضى الله عنه أن يتعلم كتاب يهود من السريانية أو العبرانية فتعلمها" وكان يقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم كتبهم ويجيبهم عنه .

(١) هـذه العبارة وردت فى الأصل هكذا : «و به ظهرت خاصة النوع الانسانى من القوة الى الفعل ، وآمتاز به عن سائر الحيوان ، وضبط الأموال ، وترتيب الأحوال ، وحفظ العلوم فى الأدوار ، واستمرارها على الأطوار ، وانتقال الأخبار من زمان الى زمان وحمل السر من مكان الى مكان ... الخ » وما أثبتناه عن كتاب إرشاد القاصد للؤلف المذكور (ص ٣٠ طبع مصر)

الطـــرف الثـالث
فى وضـــع الخـــط، وفيـــه جملتان

الجمـــلة الأُولى
فى بيان المقصود من وضعه، والمُوازنة بينه وبين اللفظ

أما بيان المقصود من وضعه، فآعلم أن وضع اللفظ لأداء المعنى، الحاصل فى الذهن المشعور به للسمع؛ إذ لا وقوفَ على ما فى الذهن؛ ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه للناظر فيه. فإذا أردت إيقافك أحدا على ما فى ذهنك من المعانى تكلمتَ بالفاظ وُضعتْ لها، وإذا أردت تأدية ألفاظ لذلك الإيقاف إلى أحد بغير شِفَاه، نقشْتَ النُّقوش الموضوعة لتلك الألفاظ، فيطالع تلك النقوش، ويفهم منها تلك الألفاظ، ومن الألفاظ تلك المعانى؛ ولا علاقةَ معقولةٌ بين المعانى والألفاظ على الأمر العام، ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعة؛ ومن ثَمَّ جاء آختلافُ اللُّغات والخُطُوط كالعربيَّة والرُّومية وغيرهما.

وأما المُوازنةُ بينه وبين اللفظ، فالأصلُ فى ذلك أن الخطَّ واللَّفظَ يتقاسمان فضيلةَ البيان ويشتركان فيها: من حيث إن الخطّ دالٌّ على الألفاظ والألفاظَ دالَّةٌ على الأوهام؛ ولآشتراك الخط واللفظ فى هذه الفضيلة وقع التناسبُ بينهما فى كثير من أحوالهما؛ وذلك أنهما يعبِّران عن المعانى إلا أن اللفظ معنًى متحرِّك والخطُّ معنًى ساكنٌ، وهو وإن كان ساكنا فإنه يفعَلُ فعلَ المتحرك بإيصاله كلَّ ما تضمنه إلى الأفهام وهو مستقرّ فى حيزه، قائم فى مكانه [1]؛ كما أن اللفظ فيه العذبُ الرشيقُ السائغ فى الأسماع كذلك الخط فيه الرائق المستحسَنُ الأشكالِ والصُّور

(١) فى الأصل: «حيزه ومكانه قائم» والسياق يقتضى ما أثبتناه

وكما أن اللفظ فيه الجزْل الفصيح الذى يستعملُه مَصَاقِع الخُطَباء، ومَفَالِق الشُّعراء، والمبتَذَلُ السخيف الذى يستعمله العوامّ فى المكاتبة والمخاطبة؛ كذلك الخَطُّ فيه المحرَّر المحقَّق الذى تكتب به الكُتُب السلطانية والأمور المهمة، وفيه المُطْلَق المرسَل الذى يتكاتَب به الناس ويستعملونه فيما بينهم . وكما أن اللفظ يقَع فيه لحنُ الإعراب الذى يهجِّنه كذلك الخط يقع فيه لَحْنُ الهِجاء . وكما أن اللفظ إذا كان مقبولا حُلْوا رفع المعنى الخسيسَ وقرَّبه من النُّفُوس، وإن كان غَثًّا مستكْرَها وضع المعنى الرفيع وبعَّده من القلوب، كذلك الخط إذا كان جَيِّدا حسَنًا بعث الإنسان على قراءة ما أُودِع فيه وإن كان قليل الفائدة، وإن كان ركيكا قبيحا صَرَفه عن تأمُّل ما تضمَّنه وإن كان جليلَ الفائدة .

ولما ٱشترك اللفظ والخط فى الفوائد العامَّة التى جُعِلت فيهما وقع الاشتراك أيضا بين آلتيهما إذ آلة اللفظ اللسانُ، وآلة الخط القلَمُ؛ وكل منهما يفعل فعل الآخر فى الإبانة عن المعانى إلا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيًّا جُعِلت آلتُه آلة طبيعيةً، والخط لما كان دليلا صِنَاعيًّا جعلت آلته آلةً صناعيّة؛ ولما تقاسمت الآلتان الدلالةَ نابت إحداهما مناب الأخرى فأوقعوا ٱسمَ اللسان على القلم فقالوا : الأقلام ألْسِنَةُ الأفهام، وشَرَّكوا بينهما فى الاسم فقالوا : القلمُ أحدُ اللِّسانين .

الجملة الثانية
فى أصل وضعه؛ وفيه مَسْلَكان

المسلك الأوّل
فى وضع مطلق الحروف

قيل : إن أول مَنْ وضع الخُطوط والكُتُبَ كلَّها آدمُ عليه السلام : كتبها فى طين وطبخه؛ وذلك قبل موته بثلثمائة سنة؛ فلما أظلَّ الأرضَ الغرقُ أصاب كلُّ قوم

كتابهم . وقيل أَخْنُوخ (وهو إدريس عليه السلام) . وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام فى إحدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علمها الله تعالى بالوحى؛ والمقالتان الأوليان محتملتان لأن تكون توقيفية وأن تكون آصطلاحية وضعها آدم وإدريس عليهما السلام . على أنه يحتمل أن يكون بعض ذلك توقيفيا علمه الله تعالى بالوحى، و بعضه آصطلاحيا وضعه البشر : واحدٌ أو جماعةٌ، فيصير الخلاف فيه كالخلاف فى اللغة هل هى توقيفية أوآصطلاحية على ما هو مقرّر فى علم الأصول . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المسلك الثانى

فى وضع حروف العربية

قال الشيخ أبو العباس البُونىّ رحمه الله فى كتابه "لطائف الإشارات فى أسرار الحروف المعلومات" :

يروى عن أبى ذرّ الغفَارىّ رضى الله عنه أنه قال : "سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسولَ الله، كلُّ نَبِيٍّ مُرْسَل بم يُرْسَل؟ . قال : بكتاب منَزَّل . قلت : يارسولَ الله، أىُّ كتاب أُنْزِل على آدمَ؟ . قال : ا ب ت ث ج إلى آخره . قلت : يا رسول الله، كم حَرْف؟ . قال : تسعٌ وعشرونَ . قلت : يا رسول الله، عدَدْتَ ثمانيةً وعشرين، فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتّى آحمرّت عيناه، ثم قال : يا أبا ذرّ، والّذِى بَعثنِي بالحقّ نبيًّا! ما أنزلَ اللهُ تعالى على آدم إلا تِسْعةً وعشرين حرفًا . قلت : يارسول الله، فيها ألف ولام . فقال عليه السلام : لام ألف حرفٌ واحد، أنزله على آدم فى صحيفةٍ واحدةٍ، ومعه سبعونَ ألفَ مَلَكٍ، من خالف لام ألف فقد كفر بمـا أُنزِل على آدم ! ومَنْ لم يعدّ لام ألف فهو برىء منّى وأنا برىء منه ! ومَنْ لا يُؤْمِن بالحروف وهي تسعةٌ وعشرون حرفًا لا يخرج من النار أبدا "

وهذا الخبر ظاهر فى أن المراد منه حروف العربية فقط، إذ قد أجاب صلى الله عليه وسلم أبا ذرّ رضى الله عنه بحروف: ا ب ت ث وأثبت منها لام ألف، وليس ذلك فى غير حروف العربية؛ وقضية ذلك أن حروف العربية أنزلت على آدم عليه السـلام وهو الموافق لمـا فى أوّل الفصل قبله، لكن فى كتاب "التنبيه على نقـط المصاحف وشكلها" للشـيخ أبى عمرو الدانىّ رحمه الله أنها أنزلت على هُود عليـه السلام؛ ولا تباين بينهما، لجواز أن تنزل على آدمَ مرّة وعلى هُودٍ أخرى، فربما نزلت الآية على نبىّ ثم نزلَتْ على نبىّ آخر كما قيل فى قوله تعالى: ﴿حمٓعسٓق كَذٰلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إنه ما بعث اللهُ تعالى نبيا إلّا وأنزل عليه ﴿حمٓعسٓق﴾. وقد أنزلت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ على سليمان عليه السـلام ثم أنزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ وربما أنزلت الآية الواحدة على النبىّ صلى الله عليه وسلم مرتين كما فى الفاتحة فإنها نزلت مرةً بمكة ومرةً بالمدينة على أحد الأقوال.

وعلى الجملة فقضيته أنها توقيفيّة وهو الموافق لأحد الأقوال فى مطلق الحروف.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن أوّل مَنْ وضع الحروف العربيةَ ثلاثةُ رجال من بَوْلانَ (وبَوْلانُ قبيلةٌ من طيّئ) نزلوا مدينة الأنبار، وهم مُرَامِر بنُ مُرّة، وأسلمُ ابنَ سِدْرة، وعامرُ بنُ جَدَرَة، اجتمعوا فوضعُوا حروفا مقطّعة وموصولة، ثم قاسُوها على هِجَاء السُّريانية؛ فأما مُرامِر[1] فوضع الصُّوَر، وأما أسْلَمُ ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام؛ ثم نُقِل هـذا العلم إلى مكة وتعلّمـه مَنْ تعلمـه وكثُر فى الناس وتداولُوه.

ونقل الجوهرىّ عن شَرْقىّ بن القَطَامىّ: أن أوّل من وضعه رجال من طيّئ منهم مُرَامِر[1] بن مُرّة وأنشد عليه:

(١) فى الأصل مرار، والذى فى جميع معاجم اللغة مرامر، وكذلك فى البيت أيضا.

تَعَلَّمْتُ باجَادٍ وآلَ مُرَامِرٍ * وسَوَّدْتُ أثوابي ولَسْت بِكَاتِبِ

قال الجوهريّ : وإنما قال آل مُرَامِر لأنه كان قد سمّى كل واحد من أولاده بكلمة من أبي جاد وهم ثمانية . وذكر غيره نحوه فقال : أوّل مَن اخترعه وألّف حروفه ستة أشخاص من طَسْم كانوا نُزُولًا عند عَدْنان بن أُدَد ، وكانت أسماؤهم : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت ، فوضعُوا الكتابة والخطَّ على أسمائهم ، فلما وجدوا فى الألفاظ حروفا ليست فى أسمائهم ألحقوها بها ، وسمَّوْها الرَّوادِف ؛ وهى الثاء المثلثة ، والخاء ، والذال ، والظاء ، والغين ، والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجُمَّل ؛ ثم انتقل عنهم إلى الأنبار ، واتصل بأهل الحِيرَة ، وفشَا فى العرب ولم ينتشر كلَّ الانتشار إلى أن كان المَبْعَثُ .

وقيل : إن نفيسًا ونَصْرا وتيما ودومة بنى إسماعيل وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا موصول الحروف كلِّها غير متفرّق ، ثم فرقه نَبْت وهَمَيْسَعُ وقَيْذار ، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه والنظائر . وعن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرنى قومٌ من علماء مصر أن أوّل من كتب الكتاب العربىَّ رجل من بنى النَّضر بن كنانة ، فكتبته العرب حينئذ .

وقضيةُ هذه المقالات أنها اصطلاحية .

وفى السيرة لابن هشام : أن أوّل من كتب الخط العربىَّ حِمْيَرُ بنُ سبإ عُلِّمه فى المنام قال : وكانوا قبل ذلك يكتبون بالمُسْنَد سمّى بذلك لأنهم كانوا يُسْندونه إلى هود عليه السلام . وهو مخالف لما تقدّم من كلام أبى عمرو الدانىّ : أن العربىّ أنزل على هود عليه السلام .

قال السهيلىّ رحمه الله فى "التعريف والإعلام" : والأصح ما رويناه من طريق

أبي عُمَر بن عبد البر رحمه الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال . "أوّلُ مَنْ كَتَب بالعربيّة إسماعيل عليه السلام" قال ابن عبد البر : وهذا أصح من رواية "أوّلُ مَنْ تكلّم بالعربيّة إسماعيلُ" وهــذا محتمل للتوقيف أيضا بأن يكون إسماعيل عُلِّمها بالوحي، والاصطلاح بأن يكون وضعه من نفسه .

ثم أوّل ما ظهرت الكتابة العربيّة بمكة من قِبَل حَرْب بن أُمية . قال المدائني : حدثني حسانُ بن عبد الملك الأنصاريّ قال : حدثني سليمان بن سعيد المزنيّ قال : سمعت الفرّاء يقول : حدّثني العمريّ أنه قيل لابن عباس : من أَيْنَ تعلّمتم الهجاء والكتابة والشَّكْل ؟ قال عُلِّمناه من حَرْب بن أُمَيَّة ، قيــل : ومن أين عُلِّمه حرب ابن أُمَيَّة؟ قال : من طارئٍ طرأ علينا من اليمن، قيل : ومن أين عُلِّمه ذلك الطارئ؟ قال : من كاتب[1] الوحي لهود عليه السلام .

وذكر أبو عمرو الدانيّ في كتاب "التنبيه على النقط والشكل" نحوه . وقيل : أوّل ما ظهرت باليمن من قِبَل أبي سُفْيان بن أمية، عمّ أبي سفيان بن حرب، وأنه من قِبَل رجل من أهل الحيرة، قال أهل الحيرة : أخذناها من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبي داود عن عليّ بن حرب عن هشام بن محمــد بن السائب قال : تعلم بشر بن عبد الملك الكتابةَ من أهل الأنبــار ، وخرج إلى مكة، وتزوّج الصَّهْباء بنت حرب . وقيل : إنه لمــا تعلم أبو سفيان بنُ حرب الخطَّ من أبيه تعلمه عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه وجماعة من قريش ، وتعلمه معاويةُ بنُ أبي سفيان من عمه سُفْيانَ .

(١) كذا في الضوء . وفي الأصل : « كانت بالوحي »

أما الأوس والخزرج فقد روى الواقدىّ بسنده إلى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابةُ العربية قليلًا فى الأَوْس والخَزْرَج ، وكان يهودىٌّ من يهودِ ماسكةَ قد عُلِّمها فكان يعلِّمها الصِّبيان فجاء الإسلام وفيهم بِضْعةَ عشرَ يكتُبون ؛ منهم سعيد بن زُرارة ، والمنذر بنُ عمرو ، وأُبَىُّ بن كعب ، وزيدُ بن ثابت ، يكتُب الكتابين جميعا العربية والعبْرانية ، ورافعُ بن مالك ، وأُسيد بن حُضَيْر ، ومَعْنُ بن عدىّ ، وأبو عَبْس بن كثير ، وأَوْس بن خَوْلِىّ ، وبشير بن سعد .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة فى شرح العقيلة" : والخط العربىّ هو المعروف الآن بالكُوفىّ ، ومنه آستُنْبطت الأقلامُ التى هى الآن ، وقد ذكر آبن الحسين فى كتابه فى قلم الثُّلُث : أن الخطَّ الكوفىّ فيه عدّة أقلام مَرْجِعُها إلى أصلين : وهما التقوير والبسط .

فالمقوّر — هو المعبَّر عنه الآن باللَّيِّن ، وهو الذى تكون عرقاته وما فى معناها منخسفة منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما .

والمبسوط — هو المعَبَّر عنه الآن باليابس ، وهو ما لا آنخسافَ وآنحطاط فيه كالمحقَّق وعلى ترتيب هذين الأصلين الأقلامُ الموجودةُ الآن . ثم قد ذكر صاحب "إعانة المنشئ" أن أول ما نُقِل الخط العربىّ من الكوفىِّ إلى آبتداء هذه الأقلام المستعملة الآن فى أواخر خلافة بنى أُمَيَّة وأوائل خلافة بنى العباس .

قلت : على أن الكثير من كُتَّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علىّ بن مقلة (رحمه الله تعالى) هو أوّلُ من آبتدع ذلك ، وهو غلط فإنا نجد من الكُتُب بخط الأوّلين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفىّ بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفىّ أميل لقُرْبه من نقله عنه .

قال أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكتّاب" : ويقال إن جَوْدة الخط انتهت إلى رجلين من أهل الشأم يقال لهما : الضحّاك ، وإسحاق بن حمّاد، وكانا يخطان الجليلَ؛ وكأنه يريد الطُّومار أو قريبًا منه .

قال صاحب "إعانة المنشئ" : وكان الضحاك فى خلافة السَّفّاح، أوّل خلفاء بنى العباس، وإسحاق بن حمّاد فى خلافة المنصور والمهدىّ .

قال النحاس : ثم أخذ إبراهيم (يعنى السِّجْزِىّ)[1] عن إسحاق بن حماد الجليلَ واخترع منه قلما أخفّ منه سماه قلم الثلثين، وكان أخطَّ أهلِ دهره به، ثم اخترع من قلم الثلثين قلما سماه قلم الثلث .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة" : وأخذ يوسف أخو إبراهيم السِّجزىّ القلم الجليل عن إسحاق أيضا، واخترع منه قلما أدق منه وكتبه كتابة حسنة فأُعْجِب به ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون، وأمر أن تُحرَّر الكتب السلطانية به، ولا تكتب بغيره وسماه القلم الرِّياسىّ . قال بعض المتأخرين: وأظنه قلم التوقيعات .

قال النحاس : ثم أخذ عن إبراهيم السِّجزىّ الأحولُ الثلثين والثلثَ، واخترع منهما قلما سماه قلم النصف، وقلما أخفّ من الثلث سماه خفيف الثلث، وقلما متصل الحروف ليس فى حروفه شىء ينفصل عن غيره سماه المسلسَل، وقلما سماه غُبار الحِلْيَة، وقلما سماه خط المؤامرات ، وقلما سماه خطَّ القِصَص ، وقلما مقصوعا سماه الحَوَائجىّ . قال : وكان خطه يوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتقان، وكان عجيب البرى للقلم . وكان وجه النعجة مقدّما فى الجليل . قال : وكان محمد بن معدان يعنى المعروف بأبى درجان مقدّما فى خط النِّصف، وكان قلمه مستوى

(١) كذا فى تحفة أولى الألباب للشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المكتب المحفوظ منها نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية تحت رقمى ١٢ ، ١٤ صناعات . والسجزى نسبة إلى سجستان على غير قياس . وفى الأصل : «الشجرى» وهو خطأ .

السّـين ، وكان يَشُقُّ الطـاء والظاء والصـاد والضاد بعرض النصف؛ ويعطف مثل يا، ويصل كلَّ ياء من يساره إلى يمينه بعَرْض النصف لا يرى فيه آضطراب. وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجلَّ الكُتّاب خطًّا فى الثلث. وكان ابنُ الزيّات — فى أيام آبن طولون — وزيرُ المعتصم يعجبه خطُّه ولا يكتب بين يديه غيرُه . وآنتهت رياسةُ الخط بمصر إلى طَبْطَب المحرّر جودةً وإحكاما .

قال النحاس : وكان أهل مدينة السلام يحسُدونَ أهل مصر على طَبْطَب وآبن عبد كان، يعنى كاتبَ الإنشاء لابن طولون، ويقولون : بمصر كاتبٌ ومحرِّرٌ ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلُهما .

قلت : ثم آنتهت جودة الخط وتحريرُه على رأس الثلثمائة إلى الوزير أبى علىّ محمد بن مقلة وأخيه أبى عبد الله .

قال صاحب " إعانة المنشئ " : ووَلَّدا طريقة آخترعاها، وكتب فى زمانهما جماعة فلم يقاربوهما . وتفرّد أبو عبد الله بالنَّسْخ ، والوزير أبو علىّ بالدَّرْج ؛ وكان الكمال فى ذلك للوزير؛ وهو الذى هَنْدَس الحروفَ وأجاد تحريرها ، وعنـه آنتشر الخطُّ فى مَشَارق الأرض ومَغَاربها . ولله قول القائل :

سَبَقَ الدَّمْعُ فى المَسِـيرِ المَطَايا * إذ روى من أحب عنـه بقُلَّه
وأجادَ السُّطُورَ فى صَفْحةِ الخـدّ ولِمْ لا يُجيد وهْو آبنُ مُقْله

وقول الآخر :

تَسَلْسَلَ دَمْعِى فَوْقَ خَدَّىَ أَسْطُرا * ولا عَجَبٌ مِنْ ذاكَ وهو آبنُ مُقْلةِ

ثم أخذ عن آبن مقلة محمـدُ بن السمسمانى ومحمد بن أسـد ؛ وعنهما أخذ الأستاذ أبو الحسن علىّ بن هلال المعروف بآبن البوّاب ، وهو الذى أكمل قواعد الخط وتممها وآخترع غالب الأقلام التى أسسها آبن مقلة ؛ ولما مات رثاه بعضهم بقوله :

وَٱستَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدك سالِفًا * فَجَرَتْ بِصِــحَّةِ ذلك الأَيَّامُ

فلِذاكَ سَوِّدتِ الدُّوِىُّ وُجُوهَها * أســفًا عليـكَ وشُقَّتِ الأقْلامُ

ومن أخذ عنه محمدُ بنُ عبد الملك، وعن محمدِ بنِ عبد الملك أخذتِ الشــيخةُ المحدِّثة الكاتبة زينبُ الملقَّبةُ بشُهْدة ٱبنةُ الإبْرِىّ (١)؛ وعنها أخذ أمينُ الدين ياقوتُ؛ وعنه أخذ الولىُّ العجمىّ (٢)؛ وعليه كتب العفيفُ (٣)؛ وعن العفيف أخذ ولدُه الشيخُ عماد الدين، ويقال: إنه كان كآبن البوّاب فى زمانه؛ وعن الشيخ عماد الدين بن العفيف أخذ الشيخ شمسُ الدين بنُ أبى رُقَيبة محتسبُ الفُسْطاط، وهو ممن عاصَرْناه؛ وأخذ عنه شــيخنا الشيخ شمسُ الدين محمدُ بن علىّ الزِّفْتاوىّ المكَتِّب بالفُسْطاط، وصنف مختصرا فى قلم الثلث مع قواعدَ ضمَّها إليه فى صــنعة الكتابة، أحســن فيه الصنيعَ؛ وبه تخرّج صاحبُنا الشــيخ زين الدِّين شَعْبان بن محمد بن داود الآثارىّ محتسبُ مِصْر، ونظم فى صنعة الخط ألفية وسَمّها بـ «العناية الرَّبانيـه فى الطريقة الشَّعبانيه» لم يُسبَق إلى مثلها؛ ثم توجه بعد ذلك إلى مكة، ثم إلى اليمن والهنــد؛ ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ .

قلت : وقد علم ممـا تقدّم ذكره أن ألقـاب الأقلام : من الثلثين والنصف والثُّلُث وخفيف الثلث والمُسَلْسَل والغُبَار قديمةٌ، وإن وقع فى أذهان كثير من الناس أنهـا من مخترعات ابن مقلة وٱبن البوّاب فمن بعدهما .

---

(١) هذه النسبة الى الإبر التى يخاط بها، وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها .

(٢) هو ولىّ الدين على بن زنكى المشهور بالولىّ العجمى .

(٣) هو عفيف الدين محمد الحلبىّ .

الطـــرف الرابـــع

في عَدَد الحروف، وجهة ٱبتدائها، وكيفية ترتيبها؛ وفيه خمسُ[1] جمل

الجمـــلة الأولى

في مطلق الحـــروف في جميـــع اللغـــات

وآعلم أن الحروف تختلف بآختلاف اللّغـات بحسب تَعدُّد مخارجها، فحروف السُّرْيانيين، والرُّوم، والفُرْس، والصَّقْلَب، والتُّرك من أربعة وعشرين حرفا إلى ستة وعشرين حرفا؛ وحروف العِبْرانيين، واليُونانيين، والقِبْط الأُوَل، والهُنود وغيرهم من آثنين وثلاثين إلى ســتة وثلاثين؛ فيوجد في غير العربيـــة من الحروف ما لا يوجد في العربية، كما يوجد في العربية ما لا يوجد في غيرها من اللُّغات، و يكثر في الآستعمال فيها ما لا يكثر في غيرها. فالحـاء المهملة، والظاء المعجمة ممـا أُفْرِدت بها العربُ في لغاتها، وآختصت بها دون غيرها من أرباب اللُّغات؛ والعين المهملة قليلة في كلام بعض الأمم ومفقودة في كلام كثير منهم؛ وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست في الفارسية، والثاء المثلثة ليست في الروميَّة ولا في الفارسية، والفاء ليست في التركية.

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله: ولذلك يقولون في فقيه: بقيه بالباء الموحدة المشربة الفَيَوِيَّة.

الجمـــلة الثـــانيـــة

في حـــــروف العربيـــــة

وآعلم أنا لمـا كنا بحمد الله أُمَّةً وسطًا خيرَ أُمَّة أُخرِجتْ للناس، وكان خيرُ الأمور أوسَاطَها، وكانت حروف اللُّغات ما بين أربعةٍ وعشرين حرفا إلى ســتة وثلاثين كما

(١) في الأصل: «أربع» وما أثبتناه يتفق مع المعدود.

تقدّم، كانت حروف الكلام العربىّ التى بها رُقِم القرءان الكريمُ ثمانيةً وعشرين حرفًا فى اللفظ، متوســطةً بين حروف اللُّغــات ، وهى ا ب ت ث إلى آخره ؛ وتسمى حروفَ الهجاء وحروف التَّهجّى ؛ ويسميها سيبويه والخليلُ حروفَ العربية أى حروف اللغة العربية، وهى التى يتركّب منها الكلامُ العربىّ؛ وتسمى أيضا حروف المُعْجَم، إما لأنها مقطّعة لا تُفْهَم إلا بإضافة بعضها إلى بعض، وإما لأنّ منها ما يُنقَط النقطَ المعروفَ ، أو تنقط كلُّها أى تُشْكَل، إذ النقط قد يكون بمعنى الشَّكْل .

وقال بعض أهل اللغة : [العَجْم](١) النَّقْط بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان، يقال منه أعجمتُ الحروف، ومعناه حروف الخط المُعْجَم . وبعضهم(٢) يجعل المُعْجَم مصدرا بمعنى الإعجـام من أعجمتُ الشىء إذا بيَّنته فكأنهـا مبيِّنة للكلام ؛ وتكون الهمزةُ فى أعجمت للإزالة، أى أزلت عُجْمتَه إما بنقطه أو شكله .

قال الشيخ عبد الخالق بن أبى القاسم المصرىّ : وإذا آعتبرت سائر اللغات بالتحقيق فلن يزيد ذلك على ثمانية وعشرين حرفًا (يريد غير اللام ألف) فى الحروف العربية، والقائل بذلك يجعل اللام ألف مركبا من حرفين فلا يعدّه حرفا مستقلًّا .

قال علماء الحرف : وجعلت ثمانية وعشرين حرفا على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين .

قالوا : ولمـا كانت المنازلُ القمريةُ يظهَر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلةً ويغيبُ تحت الأرض أربعَ عشرةَ كانت هـذه الحروف ما يظهر منهـا مع لام التعريف أربعةَ عشرَ بعَدَد المنازل الظاهرة، وهى الألف، والباء، والحاء المهملة،

(١) الزيادة عن اللسان .

(٢) هو المبرد كما نقله عنه فى اللسان .

٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩
والخاء المعجمة ، والعين المهملة ، والغين المعجمة ، والفاء، والقاف ، والكاف، واللام ، والميم ، والهاء ، والواو ، والياء المثناة تحت . تقول الألف والباء والحاء فتظهر اللام فى لفظك وكذلك فى البواقى . وما يندغم منها أربعة عشر حرفا أيضا بعدد المنازل الغائبة ، وهى التاء المثناة من فوق، والثاء المثلثة ، والدال المهملة ، والذال المعجمة ، والراء ، والزاى ، والسين المهملة ، والشين المعجمة ، والصاد المهملة ، والضاد المعجمة ، والطاء المهملة ، والظاء المعجمة ، والنون . تقول التاء ، والثاء ، والدال فتخفى فى لفظك ، وكذلك فى البواقى . ٥

وقد تقدّم فى خبر أبى ذر رضى الله عنه أنها نزلت على آدم عليه السلام تسعةً وعشرين حرفا عدّ منها اللام ألف وهو الموجود فى التصوير فلا يعوّل إلا عليه إن صح الحديث .

ثم للحروف العربية فروعٌ توجَدُ فى اللفظ دون الكتابة مستحسَنةٌ ومستقْبَحة ، تبلغ بها الحروف العربية سبعة وأربعين حرفا ، ولا يوجد ذلك فى لغة أمة من الأمم ، أضربنا عن ذكرها لعدم تعلّقها بالخط الذى نحن بصدده ، وبالله المستعان .

الجملة الثالثة

فى بيان جهة إبتداءات الحروف

وآعلم أن أصحاب الأقلام اختلفوا باعتبار مقاصدهم فى البُداءة بالحروف .

فمنهم من يبدأ من اليمين الى اليسار كالعرب والعبرانيين والهُنُود وأهل الطبيعة والسُّريانيين ، آخذا فيه على سير الفلك من المشرق الى المغرب ، والمشرق عندهم يمين الفلك ويقال له : مأخذ كُورِىّ ، وقيل : لأن فيه الاستمداد من الكبد الى القلب .

ومنهم من يبـدأ من اليسار الى اليمين كالرومية واليونانيَّة والقبْطيـة ، ونوٌ من الفارسية آخذا فيه على سـير الكواكب السبعة السيارة من المغـرب الى المشرق . ويقال له : مأخذ دَوْرىّ ؛ وقيل : لأنه ناشئ عن حركة القلب إلى الكبد . .

الجمـــلة الرابعـــة

فى كيفية ترتيب الحـــروف

٥

وآعلم أن ترتيب الحـروف على ضربين : مفرد ومزدوج ؛ وبين أهل الشرق وأهل الغرب فى كل من النوعين خلاف فى الترتيب .

أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ

١٠ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ى

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض

ع غ ف ق س ش ه و لا ى

وأما المزدَوِجُ فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ .

وأهل الغرب يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ظغش[1] .

على أنه قـد آختلف فى كلمات أبجد هل لهـا معنًى أم لا، وهل يكره تعلّمُها أم لا، وأكثر الناس فى الشرق والغرب على تعلُّمِها .

٢٠ (١) كذا فى الأصل والضوء، ولعل الصواب ظغض .

وقد جاء أنها كانت تُعَلَّم فى زمن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه؛ ويشهد لذلك قول الأعرابىّ فى أبياته :

أَتَيْتُ مهاجِرِينَ فعلَّمُونِى * ثلاثةَ أسْطُرٍ مُتتابِعاتِ
وخَطُّوا لِى أبا جاد وقالوا * تَعلَّمْ سَعْفَصًا وقُرَيْشَاتِ

وقيل : إن أبجد، وهوز، وحطى، وكلمن، كانت أسماء ملوك مَدْيَن، وإن كلمن كان فى زمن شُعَيْب عليه السلام . وقد تقدّم أن الأربعة المذكورة كانت أسماء واضِعى الخط العربىّ على قول؛ والله أعلم .

الجملة الخامسة
فى كيفية صور الحروف العربية وتداخل أشكالها

قد تقدّم أن الحروف العربيةَ على تسع عشرة صورة، وهى صورة الألف، وصورة الباء والتاء والثاء، وصورة الجيم والحاء والخاء، وصورة الدال والذال، وصورة الراء والزاى، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وصورة الطاء والظاء، وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف[(1)]، وصورة الكاف، وصورة اللام، وصورة الميم، وصورة النون، وصورة الهاء، وصورة الواو، وصورة اللام ألف، وصورة الياء، وفرّقوا بينها بالنقط كما سيأتى، وقصدوا بذلك تقليل الصُّوَر للاختصار لأن ذلك أخفّ من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثر الصُّوَر . ثم ترجع الصور التسعَ عشرةَ بعد ذلك إلى خمس صور : وهى الألف والجيم والراء والنون والميم ؛ ففى صورة الألف إحدى عشرة صورة، ألف قائمة، وهى ا

(١) لعله وصورة القاف ليتم العدد ولاختلاف الصورتين فى الرسم .

وسبعُ ألفاتٍ[1] مسطوحة ، وهى ب ت ث ، ك ل ى ، فكل هـذه على صورة الألف غير أن فيها ما تكرَّر فيه عنورةُ الألف ، وهى الكاف واللام ، وألفان مبطوحنان ، وهما ط ظ ، وألف معطوفة ، وهى لا ؛ وفى الجيم سبع صـور جيم مُرَقَّلة ، وهى ج ح خ ، وجيمان محذوفتان ، وهمـا د ذ ، وجيمان شاخصتان ، وهما ع غ ؛ وفى الراء ثلاث صور ، وهى ر ز و ، وفى النون ست صور ، وهى ن س ش ص ض ق ؛ وفى الميم صورتان ، وهما م ه .

الطـــرف الخـامس

فى تحسين الخــطّ ، وفيـه جملتان

الجمــلة الأُولى

فى الحث على تحسين الخـط

لا خفاءَ أن حُسْن الخط من أحسن الأوصاف التى يتصفُ بها الكاتبُ ؛ وأنه يرفع قَدْرَه عنـد الناس ، ويكون وسيلةً إلى نُجْح مقاصـده ، وبلوغ مآربه ؛ مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد التى لا تكاد تُحصى كثرةً .

وقد قال أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه : "الخط الحَسَن يزيد الحق وضُـوحا" .

وقال بعض العلماء : الخط كالروح فى الجسد ، فإذا كان الإنسان جسيما وسيما حسن الهيئة ، كان فى العيون أعظم ، وفى النفوس أفخم ، وإذا كان على ضدّ ذلك سَئِمَتْه النفوسُ ، ومجَّتْه القلوب ؛ فكذلك الخط إذا كان حسنَ الوصف ، مليحَ الرَّصْف ،

(١) لم يذكر إلا ستة ، ولعل الساقط الفاء فإنها لم تذكر فى الصور الآتية .

مفتّح العُيون ، أملس المُتُون ، كثير الآئتلاف ، قليل الآختلاف ، هشّتْ إليه النفوس ، وآشتهته الأرواح ؛ حتّى إن الإنسان ليقرؤه و إن كان فيه كلامٌ دَنِىء ، ومعنًى ردىء ، مستزيدا منه ولو كثُر ، من غير سآمة تلحقُه ؛ و إذا كان الخط قبيحاً مجّته الأفهام ، ولفظتْه العيون والأفكار ، وسئم قارئه ، و إن كان فيه من الحكمة عجائبُها ، ومن الألفاظ غرائبُها . ٥

و يقال : إن الخط مُوازٍ للقراءة ، فأجود الخط أبينُه ، كما أن أجود القراءة أبيَنُها ؛ ولا يخفى أن الخط الحَسَن هو البيّن الرائقُ البَهِج . ثم قد تقدّم فى الكلام على أصل وضع الخط أن الخَطّ واللفظ يتقاسمان فضيلةَ البيان ، و يشتركان فيها .

قال فى "موادّ البيان" : ولما كان الخط قسما للَّفظ فى البيان الذى آمتنّ الله تعالى بتعليمه على الإنسان ، وجب على الكاتب أن يُعْنى بأمر الخط ، ويُراعِىَ من ١٠ تجويده وتصحيحه ، ما يراعيه من تهذيب اللفظ وتنقيحه ، ليدُلّ على سُرْعةٍ وسهولةٍ كما يدُلّ اللفظ البليغ البيِّن . لأن الخط و إن كان على الإطلاق فى المنزلة التى لا تُساوَى من الشرف فإنما تحصل فضائلُه للجيِّد منه ، كما أن المَنطق و إن كان من الشرف فى هذا الحدّ فإنما تحصل فضائله التامّةُ لَمنْطِق البليغ اللَّسِن ، دون مَنْطِق العَيِىّ الألكن ؛ وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الإطلاق إنما يحصل فضلها للماهر فيها دون المبتدئ . ١٥

قال : فينبغى للكاتب ألاّ يقدّم على تهذيب خطه وتحريره شيئا من آدابه فإن جَوْدة الخط أوّلُ الأدوات التى ينتظم بحصولها له آسم الكتابة ، ويُحكَم عليه إذا حازها بأنه من أهلها . وقد دخل بحُسْن الخط فى الصناعة مَنْ إذا فُحِص عن مقدار معرفته وجب أن تُنزَّه الكتابةُ عن نسبته إليها . ٢٠

ويجب مع ذلك أن يراعىَ تأسيس الخط على الوضع الذى آصطلح عليه المجيدون من الكُتَّاب . فقد قسّم أهلُ الصناعة الخط إلى قسمين : محقَّق ومُطْلَق .

فأما المحقَّق فما صَحَّتْ أشكاله وحروفُه على آعتبارها مفردة .

قال فى "موادّ البيان" : وهذا القسم هو الذى يُستعمل فى الأمور الجسيمة : ككُتُب العهود، والإسجالات، والتمليكات التى تبقى على الأعقاب، والمكاتبات الصادرةِ عن الملوك إلى الملوك، الدالّة على قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه .

وأما المُطْلَق فهو الذى تداخلت حروفه وآتصل بعضُها ببعض .

قال فى "موادّ البيان" : وهو خط مولَّد من المحقَّق، يستعمل فى تنفيذ ما لا يمكن تأخيره من المكاتبات المهمَّة والأمور العامّة . قال : ويجب أن يَلْزم الطريقة فى كل واحد من الخطين، ولا يخلِط حروف أحدهما بحروف الآخر .

الجمـــلة الثـــانيـــة

فى الطريق إلى تحسين الخط ، ويتوصَّل إلى ذلك بأمور

الأوّل(١) — معرفة تشكيل الحروف

قال فى "موادّ البيان": وهو الأصل فى أدَبِ الخط ، لأن الخط إنما يسمَّى جيِّدا إذا حَسُنَتْ أشكال حروفه ، وإنما يسمَّى رديئا إذا قَبُحَتْ أشكال حروفه . وحُسْن صور حروف الخط فى العين شبيهٌ بحُسْن مخارج اللفظ العَذْب فى السَّمْع .

قال : والوجه فى تصحيح الحروف أن يبدأ أوّلا بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصح صورة كل حرف منها على حيالها، ثم يؤخذ فى تقويمها مجموعة مركبة، وأن يُبْدأ

(١) لم يذكر غيره، ولعله اكتفى بما تقدّم فى الأدوات من حسن البراية والحبر والليقة وغير ذلك فليتنبه .

من المركّب بالثنائيّ والثلاثيّ، ثم بالرباعيّ، ثم بالخماسيّ؛ فإن هذه هي أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد في التمثيل على توقيف المَهَرة في الخطوط، العارفين بأوضاعها ورسومها وآستعمال آلاتها، فإن لكل خط من الخطوط قلما من الأقلام يصلُح لذلك الخط؛ وهذه الأقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جزءا من صِناعته لا يصنع به غيره؛ ولا يعوّل على كتابة خط من الخطوط بنقل مثاله بنفسه فإن ذلك لا يكفيه، إذ لو كان ذلك كافيا لآستُغْنِي في جميع الصنائع عمن يُوَقِّف عليها . على أن كثيرا من أصحاب الخطوط قد كتبوا طبعا دون التوقيف من أحد على طريقة من طرق المحرّرين، إلا أن الأفضل أن يبنى الخطُّ على أصل يكون له أساسا، فإذا فُصِّلت أحواله آنكشف فسادُ كثير من حروفه .

الطـــرف السادس
في قـــواعدَ تتعـــلق بالكـتابة
لا يَستغني الكاتب المُجيد عن معرفتها؛ وفيه جملتان

الجمـــلة الأولى
في هندسة الحروف، ومعرفة آعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف

الألف

قال الوزير أبو عليّ بن مُقْلَة : وهي شكل مركب من خط منتصب، يجب أن يكون مستقيما غير مائل إلى آستلقاء ولا آنكباب . قال : وليست مناسبةٌ لحرف في طول ولا قصر .

قال الشيخ شرف الدين محمد آبن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وهى قاعدة الحروف المفردة، وباقى الحروف متفرّعة عنها ومنسوبة إليها .

ثم الذى ذكره صاحب "رسائل إخوان الصفا" فى رسالة الموسيقى، عند ذكر حروف المعجم آستطرادا أن مساحتها فى الطول تكون ثمانَ نُقَط من نُقَط القلم الذى تكتب به ليكون العرض ثُمُن الطُّول .

والذى ذكره الشيخ شرف الدين محمد آبن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنها مقدّرة بست نقط

والذى ذكره الشيخ زين الدين شعبان الآثارى فى ألفيته أنها مقدّرة بسبع نقط، فما زاد على ذلك كان زائدا عن مقدارها وما نقص كان ناقصا عنه .

قال آبن عبد السلام : وتكون النقطة مربعة . قال : ويكون آبتداؤها بنقطة وآخرها بشَظِيّة .

قال آبن مقلة : وآعتبارها أن تخط إلى جانبها ثلاث ألِفات أو أربع ألِفات تجد فضاء ما بينها متساويا .

قال آبن عبد السلام : وتكون تلك الألفاتُ المخطوطةُ إلى جانبها مناسباتٍ لها فى الطول متساوياتِ الرُّءوس والأذناب . ١٥

البـــــاء

قال آبن مقلة : هى شكلٌ مركَّب من خطين : منتصِب ومنسطِح . قال : ونسبته إلى الألف بالمساواة .

قال آبن عبد السلام : ويكون المنتصِب طولُه بمقدار ثُلث ألِف خطِّه . قال : ويُبْدأ أوّلُه بنقطة، وكذلك آخره إن كان مُرْسَلا، فإن كان معطوفا فليكُنْ ببِسِّ القلم ٢٠

اليسرى ، والمستدير فيه مثل المنتصب ، ولكن يكون المنتصبُ أرجَح من المستدير بنَزْرٍ يسير ، وتكون السِّنّة المبتدأُ بها مترجِّحةً فى الطُّول على آخرها المعطوف .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارُ صحّتها أن تزيد فى أحدِ سِنيْها ألفاً فتصير لاما . وزاد ابن عبد السلام فى إيضاحه فقال : أن تزيد المنتصب تكملة ألف بحيث يكون طول جملته كطول المنسطح لا أطولَ ولا أقصر . ثم قال : وهذا الحرف وما يجْرِى مَجْراه من يَمْنة إلى يَسْرة ، وكلُّ ما كان كذلك فينبغى أن يمال القلم فيه نحو اليَسرة قليلا . ولا يخفى أن التاء و الثاء فى معنى الباء فى ذلك جميعه .

الجيم

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركّب من خطَّين : مُنْكَبّ ونصف دائرة ، وقُطْرها مساوٍ للألف . وأبدل ٱبن عبد السلام المُنْكَبَّ بالمُنْسطِح . ثم قال : والمنسطح كثُلثَىْ أَلِف من خطه ، وربما يكون أنقَصَ بنُقْطة . قال : ومساحة نصف الدائرة كألِف ونصفِ ألِف من قلم الكتابة ، ورأسُها يكونُ من يَسْرة إلى يَمْنة على ٱستقامة تقريبا ، وكلُّ ما كان كذلك ينبغى أن يمال برأس القلم فيه إلى اليَمْنة قليلا ، يُبْدأ أوّله بشَظِيّة بالسِّنّ اليمنى من القلم ، وآخر تَعْرِيجها بالسِّنّ اليُسرى منه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارُ صحتها أن تخُطَّ عن يمينها وشمالها خطَّيْن فلا تنقص عنهما شيئا يسيرا ولا تخرج .

وقال ٱبن عبد السلام : واعتبار صحة رأسها أن تكتُبه من يَسْرة إلى يَمْنة على ٱستقامة تقريبا . قال : وحسْنُها أن تَخْفضها من الجهة اليمنى قليلا ، وميزانُها أن تَسطر سطرا وتأخذ عليه من يَسْرة إلى يَمْنة مقدار ثُلثَىْ ألف من قلم الكتابة ، بحيث لا يرتفع

أوّلهـا عن آخرها إلا يسيرا، ولا آخرُها عن أوّلها بل تكونَ منسبكةً فيه ، وآعتبار نصف الدائرة أن تقابله بنصف آخر فيصير دائرة . ثم قال : وليقْصِد أن يجعل رأس الجيم سواءً آخذا آبتداء الدائرة فى جسد ثلث الرأس، منسبكا فيه، بحيث يكون الثلث ضِلَعا واحدا .

٥ ولا يخفى أن الحاء والخاء فى معنى الجيم فى جميع ما تقدّم .

الـــــدال

قال آبن مقلة : هى شَكْل مركَّب من خطين : منكبٌّ ومنسطح، مجموعهما مساوٍ للألف . وجعل آبن عبد السلام منها شكلا آخَرَ مركَّبًا من ثلاثة خطوط : منكَبٌّ، ومُنْسطح، ومستدير . وكأنه يريد الدال المجموعة . ثم قال : فالمنكبُّ
١٠ طوله بمقدار نصف ألِف خطِّه لاغيرُ، وكذلك المنسطح . وآبتداء أوّلها بنقطة ، وآخرها إن كان مرسلا بقَطَّة، و إن كان معطوفا بِسنّ القلم اليُسرى .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن تصل طَرَفيها بخطٍّ فتجده مثلَّثا متساوى الأضلاع .
ولا يخفى أن الذال فى معنى ما تقدّم .

الـــــراء

قال آبن مقلة : وهى شكْلٌ مركَّب من خطٍّ مقوّس هو ربع الدائرة التى قُطْرها الألف وفى رأسه سِنَّة مقدّرة فى الفكر .

قال آبن عبد السلام : وتبدأ أوّلها بنقطة، وآخرها إن كان مُرْسَلا فبسنّ القلم اليمنى، و إن كان معطوفا فبسنّه اليسرى .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تَصلها بمثلها فتصير نصف دائرة .

ولا يخفى أن الزاى فى معناها .

السـين

قال ٱبن مقلة : وهو شكلٌ مركَّب من خمسة خُطوط : منتصب، ومقوّس، ومنتصب، ومقوّس، ومنتصب[1] .

قال ٱبن عبد السلام : ومساحة رأس السين من أول سِنّ منها إلى ثالث سنّ ثُلُثَى ألف خطِّه . قال : ومساحةُ قَوْسها إن كان معطوفا مساحةُ ألف من خطه، وإن كان مُرْسَلا مساحةُ ألفين من خطه . وطول كل سِنَّة مثلُ سُدُس ألف خطه، يُبْدأ أولها بنقطة ، أما آخرها فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنى، وإن كان معطوفا فبسنّه اليسرى . قال : وإذا ٱبتدأت بالسِّنَّة وطلعت إلى الثانية نَفُذ إلى الثالثة من أعلاها ليصير بياض من أسفلها، فإنك متى أخذت رأس سِنَّة من أسفلها صار أسفلها مصطحبا، ويكون البياض الذى بين السنّات على السوية فى البياض .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها يعنى صحة رأسها أن تُمرّ بأعلاها وأسفلها خطين فلا تخرج عنهما شيئا ولا تنقص .

ولا يخفى أن حكم الشين أيضا كذلك .

الصـاد

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط[2] : مقوّس، ومسطح، ومقوس .

(١) كذا فى رسالة الوزير ٱبن مقلة فى علم الخط والقلم الموجود منها نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤ صناعات . وفى الأصل : « ثم مقوّس » .

(٢) فى رسالة ٱبن مقلة : شكل مركب من أربعة خطوط : مستلق ومنتصب ومقوّسين .

قال آبن عبد السلام: وآبتداؤه بشَظيّة، أما آنتهاؤه فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنى، وإن كان معطوفا فبسنه اليُسْرى. قال: ومساحة رأس الصاد فى الطول كُلُثَىْ ألف خطه، ومساحةُ قوسها إن كان معطوفًا مساحةُ ألِف الكتابة؛ وإن كان مرسلا فمساحة ألفين من قلم خطه.

٥ قال آبن مقـلة : وآعتبار صحتها أن تجعلها مُرَبَّعـة فتصير متساوية الزّوايا فى المِقـــدار.

وقال آبن عبد السلام : آعتبار صحتها أن يكون أعلاها كراء معلّقة، والمنسطح كباء، والمقوّس كنون؛ ويكون رأس النون مشرفا على آخرها.

ولا يخفى أن الضاد كذلك.

١٠ الطـــــاء

قال آبن عبـد السلام : هو شـكلٌ مركّب من ثلاثة خطوط : منتصب، ومقوّس، ومنسطح، يبدأ أوّلُه بنقطة وآخره بنقطة. قال: ومساحة ضَوْء الطاء فى الطول كُلثى ألِف خطه.

قال آبن مقلة : وآعتبارها كآعتبار [الصاد[1]].

١٥ وقال آبن عبد السلام : آعتبار صحتها أن يكون المنتصب كألف من خطه فى الآنتصاب والطول، والمقوّس كراء معلقة، والمنسطح كباء مرسلة.

ولا يخفى أن حكم الظاء فى ذلك كالطاء.

(١) الزيادة عن رسالة الوزير آبن مقلة ومعالم الكتابة لابن شيث القرشىّ (ص ٣٠ طبع مصر).

العين

قال آبن مقلة : وهى شكلٌ مركّب من خطين : مقوّس ومنسطح ، أحدهما نصف الدائر .

وقال آبن عبد السلام : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوّس ، ومنكّب ، [ومنسطح] [1] يبدأ أوّلها بشظيّة ، وآخر تعريجها بسنّ القلم اليسرى ، والتعريجة نصف دائرة ؛ ومساحة القـوس كألِف وثلث من قلم الكتابة ، ومساحة الرأس فى الطول كثلثَىْ ألِف خطه ، ويصوّر من رأسها رأس صاد .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها كآعتبار الجيم .

وقال آبن عبد السلام : آعتبارها أن تخط عن يمينها خطا من أعلاها إلى منتهى تعريجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسـارها يسيرا بنقطة تكون سدس ألف خطها لا غير .

ولا يخفى أن الغين فى الحكم كذلك .

الفـــــاء

قال آبن مقلة : هى شكلٌ مركّب من أربعة خطوط : منكّبٌ ، ومستلْقٍ ومنتصب ، ومنسطح

قال آبن عبد السلام : تبدأ أوّله بنقطة وتأخذه على سطر إلى جهة اليسار ، ثم تأخذ المستلق إلى ان تنتهىَ إلى قُبالة المنسطح بحيث يصير كالدال المقلوبة .

---

(١) الزيادة عن تحفة أولى الألباب للشيخ عبد الرحمن بن الصائغ .

ثم تأخذ من حيث آنتهيت إلى أن تلصق بالمنسطح فيبقى مثلثا متساوىَ الأضلاع ، مساحةُ ضوئه نقطةٌ بمقدارِ سدسِ ألِف خطّه ؛ ثم إن كان معطوفا ختمته بسِنّ القلم ، و إن كان مرسلا فبقطته .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحته أن تصل بالخط الثانى منها خطا فيصير مثلثا
٥ قائم الزاوية .

القـــاف

قال آبن مقلة : هو شكل مركّب من ثلاثة خطوط : منكَبٌ ، ومستلقٍ ، ومقـوّس .

قال آبن عبد السلام : هو مركب من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفاء سواء
١٠ بجميع ما تقدّم ، و إرسالُها كالنون على ما سيأتى ذكره ؛ فإن كان آخرها معطوفا فبسنّ القلم اليسرى ، و إن كان مرسلا فبسنّه اليمنى . قال : ومساحة ضوء القوس من أوّله إلى آخره إن كان معطوفا كألِف قلم الكتابة ، و إن كان مرسلا فكألفين .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها كآعتبار النون ، وسيأتى ذكره .

الكاف

١٥ قال آبن مقلة : شكلٌ مركّب من أربعة خطوط : منكبٌ ، ومنسطِحٌ ، ومنتصِب ، ومنسطِح .

وقال آبن عبد السلام : وهو مركّب من أربعة خطوط : مستلقٍ ، ومنسطِح طوله مقدارُ ألِفٍ وثلُث ألف من قلم الكتابة ، ومنكبٌ طوله مقدار ثلث ألف

من خطه، ومنسطح طوله مقدار ألفين من خطه، يفصل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين .

قال : ولك أن تزيد الأسفل عن رأس الكاف بمقدار ثلث ألف الكتابة بسبب ما يتصل به، فيصير فضاءُ ما بين ما آتصل بآخرها إلى رأس الكاف مثلَ الفضاء الذى بين المنسطحين .

قال : ولا يجوز أن تُكتب مختَلسةً إذا لم يتصل آخرُها بحرف ، بل إذا كانت آخر كلمـة تكتب منتصـبةً قائمةً لا غيرُ؛ وتكتب إذا كانت منتصـبة كاللام على ما سيأتى بيانه .

قال : وتبدأ أولها بشظيّة فإذا آنتهيتَ إلى آتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحديدها .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن ينفصل منها باءان . قال آبن عبد السلام : يعنى مستقيمةً ومقلوبةً .

اللام

قال آبن مقلة : هى شكل مركَّبٌ من خطين : منتصِب، ومنسَطِح .

قال آبن عبد السلام : فالمنسطح ألف والمنتصب ياء؛ فإن كان معطوفا فبسنِّ القلم اليسرى، وإن كان مرسلا فبقطِّه .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن تُخرج من أولها إلى آخرها خطا يُماسّ الطرفين فيصير مثلثا قائمَ الزاوية .

قال : وتكتب على الأنواع الثلاثة التى تكتب عليها الباء .

المـــــيم

قال آبن مقلة : هى شكل مركّب من أربعـة خطوط : مُنْكَبٌّ ، ومستَلْقٍ ، ومنسطِح ، ومُقوّس .

وقال آبن عبد السلام : مركّب من أربعة خطوط : منكبٌّ ، ومقوّس ، ومستلق بتقويس ، ومقوّس كالراء يكون ربع دائرة ؛ فإن كان آخرها منتصبا فهو فى الوضع ٥
والطُّول مثل ألِف من خطه غير مائل إلى آستلقاء ولا آنكباب ، تبدأ أول الميم بشَظِيَّة وآخرها بشَظِيَّة .

قال : ومساحةُ ضوئها مثل سدُس ألِف خطّها ؛ وهو مستطيلٌ مستدير كالبيضة متصبب إلى جهة اليمين .

١٠ قال آبن مقلة : وآعتبارها كآعتبار الهاء ، وسيأتى .

النـــون

قال آبن مقلة : هو شكل مركّب من خطّ مقوّس ، هو نصف الدائرة ؛ وفيه سِنة مقدّرة فى الفكر .

قال آبن عبد السلام : يبدَأ أوّله بنقطه ، وآخره إن كان معطوفا فبِسنّ القـلم
١٥ اليسرى ، ومساحة ضوئه ألف من قلم خطه ؛ و إن كان مُرْسَلا فبسنّ القلم اليمنى ، ومساحة ضَوْئه ألفان من قلم خَطّه .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن يُوصَل بها مثلها فتكون دائرة .

الهـــــاء

قال آبن مقلة : هى شكل مركّب من ثلاثة خطوط : منكّبٌ ، ومنتصب ، ومقـــوّس .

وقال آبن عبد السـلام : من ثلاثة خطوط : منكبٌ ، ومنسـطح بترطيب ، ومستلقٍ ؛ تبدأ أوّلها بنقطة وآخرها إرسالة بسن القلم اليمنى ؛ طول المنكبّ كطول ٥ نصف ألف من خطه ، وطول المنســطح كثلث ألف من خطه ، وطول المستلق كنصف ألف قلم خطه .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن تجعلها مربّعة فتتساوى الزاويتان العُلْياوان كتَساوى الزاويتين السُّفْلاوَيْنِ .

وقال آبن عبد السلام : آعتبار صحتها أن تجعل ردّتها فى ثلثيها ، فإذا كمل وضعها ١٠ فآجعلها مربعة فتتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان السافلتان .

الـــــواو

قال آبن مقلة : هى شكل مركّبٌ من ثلاثة خطوط : مستلقٍ ، ومنكّبٌ ، ومقـــوّس .

وقال آبن عبد السلام : هى مركّبة من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفـاء ، ١٥ وتقويسها كالراء ، وهو ربع دائرة ؛ تبـدأ أوّلهـا بنقطة ، وآخرُها إن كان معطوفا فبسنّ القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فبسنّه اليمنى .

اللام ألف

قال ٱبن عبد السـلام : هى شكل مركّب من ثلاثة خطوط : منكبٌ، ومنسطح مستقيم، ومستلق؛ طول المنكبّ كطول ألف من قـلم الكتابة وطول المنسطح كثانى ألف الكتابة، وطول المسـتلق كطول ألف الكتابة ؛ تبـدأ أوّل المنكبّ بنقطة، وكذلك المستلق .

قال : وٱعتبار صحتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها، وأن تخط من رأس اللام إلى رأس الألف خطا مستقيما، وأن تخط من أعلاها إلى أسـفلها خطا فلا يقصر عنها ولا يخرج .

قال : ومنها نوع آخر مركب من ثلاث خطوط : منكبٌ، ومستدير يقارب ألفا، ومستلق يقابل طرفه طرف المُنْكَبّ .

اليـــــاء

قال ٱبن مقلة : شكل مركّب من ثلاثة خطوط[1] : مستلق، ومنكبٌ، ومقوس.

قال ٱبن عبد السلام : وهى كالنون، وتبدأ أوّلها بشَظِيَّة رأسها كدال مقلوبة، طول المستلق منها كنصف ألف من خطه، وكذلك المنكبّ على ماتقدّم فى الدال .

قال : والمقوس إن كان معطوفا فمساحته كألف من خطّه وآخره بسنّ القـلم اليسرى، وإن كان مرسّلا فمساحته كألفين من خطه وآخره بسنّ القلم اليمنى

قال : ومنها نوع كرأس الكاف المستلق والمنسطح سواء .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها كٱعتبار الواو .

---

(١) فى رسالة الوزير ابن مقـلة : « شكل مركب من أربعـة خطوط : مستلق، ومنتصب، ومنكب، ومقوّس » .

الجملة الثانية

في معرفة مايقع به ٱبتداء الحروف وٱنتهاؤها : من نُقْطة أو شظيَّة أو غير ذلك

أمّا الآبتداء فعلى ثلاثة أضرب :

الضرب الأوّل

ما يبتدأ بنقطة ، وهو تسع[1] صور

صورة الباء وأختيها ، وصورة الدال وأختها ، وصورة السين وأختها ، وصورة اللام ، وصورة النون ، وصورة العين وأختها . وقد جمعها الشُّرَّمَرِّيُّ في أُرْجوزته في أوائل كلمات بيتٍ واحد ؛ وهو قوله :

إذا بَدَتْ دَعْدٌ رَقَا سَنَاها * لعاشقٍ ناحَ على هَوَاها

على أن الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وَهِم فعدّ منها الفاء ، وليس كذلك بل هي ممّا يبتدأ بجَلْفَة[2] على ما سيأتي ذكره .

الضرب الثاني

ما يبتدأ بشظيّة ، وهو صُوَر خمسة أحرف

الحاء ، والطاء ، والياء ، والصاد ، والكاف

وقد جمعها الشُّرَّمَرِّيُّ في قوله : "خطى يصاك" .

وجعل ٱبن عبد السلام الخمسة :

الغين ، والطاء ، والحاء ، والكاف ، والصاد

وجمعها في قوله : "غَطّ خصّك" وألحق بها أشباهها .

---

(١) لم يصل العدد الى التسع ولعله سبع وسقطت صورة الراء وأختها كما يظهر بالتأمل في بقية الأضرب .

(٢) لكل قصبة جلفة بحسب صلابتها ، فالصلبة تطوّل ، وحدّها ألا تأخذ في الخط ولا تعطى فتختلف مخانة الكتابة (راجع شرح قصيدة ابن البوّاب في آلات الخط للشيخ شرف الدين بن الزحيلي) .

الضـــــرب الثـالث

ما يبتدأ بجلفة . وهو صور أربعة أحرف :

القـاف ، والمـــيم ، والـــواو ، والفـاء

وقد جمعها السرمرىُّ فى قوله : "قُمْ وَقِّ" .

٥ وأمّا الاختتام فعلى ثلاثة أضرب أيضا :

الضـــــرب الأوّل

ما يختتم بقطّة القلم . وهو صور ستة أحرف :

الطـاء، والفـاء، والبـاء، واللام ، والدال، والكاف

وجمعها ابن عبدالسلام فى قوله : "دَبَّ طفلك" ولا يخفى أن أخواتها فى معناها .

١٠

الضـــــرب الثـانى

ما يختتم بشـــظيّة ، وهو صـــورة واحدة

وهى الألف

الضـــــرب الثـالث

ما يرسل فى ختمه إرسالا ، وهو صورة أحدَ عشرَ حرفا ، وهى :

١٥ السين ، والراء ، والحـاء ، والمـــيم ، والنون ، واليـاء

والعين ، والقـاف ، والصاد ، والواو ، والهـاء

يجمعها قولك : " سرح منيع وقصه " .

الطـــرف السـابع

فى مقدّمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة ؛ وفيه ثلاث جمل

الجمـــلة الأولى

فى كيفية إمساك القَلَم عند الكتابة، ووضعه على الورَق

قال الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله : يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاث : الوُسْطى والسَّبابة والإبهـام على القـلم ؛ وإلى ذلك يشير أبو تمَّام الطائىّ بقوله :

... ... وسدّت * ثلاثَ نَوَاحِيهُ الثَّلاثُ الأناملُ

أما قول القائل فى وصف القلم أيضا :

وَذِى عَفَافٍ راكِع ساجد * أخُو صَلاحٍ دَمْعُه جارى
مُلازِمُ الخمسِ لِأوقاتِهـا * مُجْتَهِدًا فى طاعة البـارِى

يريد بالخمس الأصابعَ الخمسَ، فإنه على سبيل المجاز، من باب مجاز المجاورة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وتكون الأصابع مبسوطةً غير مقبوضة ؛ لأن بسط الأصابع يتمكن الكاتب معه من إدارة القلم ؛ ولا يتكئ على القلم الاتكاء الشديد المُضْعِف له ؛ ولا يمسكه الإمساكَ الضعيف فيضعف اقتدارُه فى الخط ، لكن يجعل اعتماده فى ذلك معتدلا .

وقال حنون : إذا أراد الكاتب أن يكتُب فإنه يأخذ القلم فيتكئ على الخِنْصِر، ويعتمد بسائر أصابعه على القلم ، ويعتمد بالوُسْطى على البِنْصِر، ويرفع السبَّابة على القلم، ويُعْمِل الإبهام فى دَوَرانه وتحريكه .

قال ٱبن مقلة : ويكون إمساك القـلم فُوَيْق الفتحة بمقدار عَرْض شعيرتين أو ثلاث، وتكون أطراف الأصابع متساويةً حولَ القلم لا تفضُـل إحداهنّ على الأخرى .

قال صاحب " الحليـة " : وتكون الأصابع على القـلم منبسطة غير منقبضة ليتمكّن من إدارة القلم، ولا يدار حالة الاستمداد .

قال ٱبن العفيف : وعلى حسب تمكُّن الكاتب من إدارة قلمه وسرعة يده في الدَّوَران يكون صفاء جوهر حروفه .

الجمـــلة الثانيـــة

في كيفية الاستمداد، ووضع القلم على الدَّرْج

أما الاستمداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة ؛ وقد قال المقرّ العلائي ٱبن فضل الله : من لم يُحسِن الاستمدادَ وبَرْيَ القلم فليس من الكتابة في شيء .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وإذا مدّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة إمساكه له حين الكتابة ، ولا يديره للاستمداد ، لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه في الكتاب، ويحرك رأس القلم من باطن يده إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الأصابع، ومتى عدل عن هذا لحقته المَشَقّة في نقل نَصْبة الأصابع في كل مَدّة .

قال : وهذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأن هـذا هو الذي عليه مَدَار جَوْدة الخط .

ثم قال : وقلّما يُدرِك علم هـذا الفصل إلا العـالِمُ الحاذق بهَنْدسَـة الخط ، مع ما يكون معه من الأناة وحسن التأدية .

ومن كلام المقرّ العلائى آبن فضل الله : ينبغى للكاتب ألّا يُكْثر الاستمداد بل يمدّ مَدًّا معتدلا ، ولا يحـرّك اللِّيقة من مكانها ، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكُتّاب ، ولا يردّ القلم إلى اللِّيقة حتّى يستوعبَ ما فيه من المداد ، ولا يُدْخل منه الدواة كثيرا ، بل إلى حدّ شقّه ، ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة ، ليأمن تسويد أنامله ، وليس ذلك من خصال الكُتّاب .

وأما وضع القلم على الدَّرْج فقال أبو علىّ بن مُقلة : ويجب أن يكون أوّلُ ما يُوضَع على الدَّرْج موضعَ القطة منكّبًا .

الجملة الثالثة

فى وضع القلم على الأُذُن حالَ الكتابة عند التفكر

قال محمد بن عمر المدائنى : يُستحبُّ للكاتب فى كتابته إذا فكّر فى حاجة أن يَضَع القلم على أُذُنه ، وساق بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه : أن معاويةَ بنَ أبى سُفيان كان يكتب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا رأى من النبىّ صلى الله عليه وسلم إعراضا وضَعَ القلَمَ فى فيه ، فنظر إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : "يا مُعاوية إذا كُنْتَ كاتبًا فَضَعِ القلَم على أُذُنِكَ فإنّهُ أذكَرُ لَكَ وللمُمْلِى" .

وساق بسنده أيضا إلى زيد بن ثابت رضى الله عنه : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَظَر إليه وهو يَكْتُب فى حَوَائجه فقال له : "ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ فإنّهُ أذكَرُ لكَ" .

وأخرج أيضا من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لكاتبه : "ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ يَكُنْ أذكَرَ لَكَ" .

وفى رواية عن أنس : "كان معاويةُ كاتبًا للنبىّ فرآه يومًا قد وَضَعَ القَلَمَ على الأرض فقال : يا معاويةُ إذا كتَبْتَ كتابًا فضَعِ القَلَمَ على أُذُنِك" .

وأخرج أيضا "أن كَعْبا كان يتحدث عند عائشةَ، فذكر إسرافيل فقال : له جَنَاح بالمَشْرِق وجَنَاح بالمغرب وجَنَاحٌ مُتَسَرْبَل به والقَلَمُ على أُذُنِه فإذا نزل الوَحْىُ جرى القلمُ ودرَسَتِ الملائكةُ . فقالت عائشةُ : هكذا سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم" .

الطـــرف الثـامن

٥ فى ذكر قوانين يعتمدها الكاتبُ فى الخط ؛ وفيه ستُّ جمل

الجمـــلة الأولى

فى كيفية حركة اليد بالقلم فى الكتابة، وما يجب أن يُراعى فى كلِّ حرف

قال الشِّرْمَرِّىُّ وآبْنُ عبد السلام وغيرهما : كُلُّ خط منتصب ينبغى أن يكون الآعتماد فيه من القلم على سِنَّيْه معًا، وكل خط من يَمْنة إلى يَسْرةٍ ينبغى أن يمال القلم ١٠ فيه نحو اليَسْرة قليلا، وكل خط من يَسْرةٍ إلى يَمْنة ينبغى أن يُمالَ رأسُ القلم فيه إلى اليَمْنة قليلا، وكل شظيَّـة ينبغى أن تكون بالسِّنّ اليمنى من القلم، وكل نُقْطة ينبغى أن تكون بسنِّ القلم، وكل تقعير كما فى النون وتعريقة الصاد يجب أن تكون بالسنّ الأيمن وكل إرسالة يجب أن تكون بسنّ القلم اليمنى، وكل تعريج كما فى عراقة الجيم والعين يجب أن يكون بسنِّ القلم اليُسْرى، وكل ماأُخذ فيه من يَمْنة إلى يَسْرة كاللام ١٥ ونحوها ينبغى أن يُمال فيه رأسُ القلم إلى اليَسْرة قليلا، وكل ما أُخذ فيه من يَسْرةٍ إلى يَمْنة كرأس الجيم ينبغى أن يُمال رأسُ القلم فيه إلى اليَمْنة قليلا ، وكلُّ خط منتصب فيجب أن يكون آنتهاؤه إرسالة، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سُدُس ألف خطها، وقيل مثل سبعه؛ وكلُّ شظية فى أوّل أو آخر مثلُ سُبع ألف خطِّها .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وللسِّنِّ الأيمن من القلم الألفُ واللام ورَفعة ٢٠ الطاء والنون والباءُ والكافُ إذا كانت قائمة مبتدأة، وأواخر التعريقات والمدّات

وطبقة الصاد والضاد، ومَدّة السين والشين ؛ وللأيسر الجيمُ وأخواتها والردّات وتدوير رُءُوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة .

قال : وكل رَدّة من اليسار الى اليمين تكون بصَدْر القلم .

قال : ويجب أن تكون المَطّات الطويلة بسِنّ القلم اليمنى مُشَظّاةً ممالة، فتكون المَطّة من رأس شَظِيّتها، وأن تُكتب المَدّات القصيرةُ بحرف القَلَم ؛ وإذا ٱبتدأ بالمَدة وجب أن يُدارَ القلمُ على سِنّه مثل مَطّة الطاء؛ وإذا وُصِلت المَطّة بحرف مثلها كُتبت بوجه القلم مثل مَطّة الفاء المفردة. ثم قال : وهذا من أعظم أسرار الكتابة .

الجملة الثانية
فى تناسُب الحروف ومقاديرها فى كل قلم

قال صاحب "رسائل إخوان الصفا" فى رسالة المُوسيقى منه :

ينبغى لمن يَرْغب أن يكون خطُّه جيِّدا وما يكتُبه صحيحَ التناسُب ، أن يَجْعَل لذلك أصلاً يَبْنى عليه حروفَه، ليكون ذلك قانوناً له يرجع إليه فى حروفه، لا يتجاوزه ولا يُقَصِّر دُونَه .

قال : ومثال ذلك فى الخطّ العربيّ أن تخط ألِفا بأىّ قلم شِئْتَ، وتجعل غِلَظَه الذى هو عَرْضه مناسبًا لطُوله وهو الثمن، ليكون الطُّولُ مثلَ العَرْض ثمانَ مَرّات، ثم تجعَلُ البِرْكار[1] على وَسَط الألف وتُدير دائرةً تحيط بالألف لا يخرُج دَوْرُها عن طرَفَيه، فإنّ هذا الطريق والمَسْلَكُ يوصِّلان إلى معرفة مقادير الحروف على النسبة، ولا تحتاج فى مقاييسك ماتقصده إلى شىء يخرج عن الألف وعن الدائرة التى تحيط به .

فالباء وأخواتها — كل واحدة منها يجب أن يكون تسطيحُها إذا أضيفَتْ إليه سنُّها مساويا لطول الألف ، فإن زاد سَمُج وإن قَصُر قَبُح ؛ ومقدار ٱرتفاع سنّها

(١) البركار : آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر .

وجميع السنان التي في السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن الألف .

والجيمُ وأخواتُها — مقدارُ مدِّتها في الابتداء لا يقصُر عن نصف طُول الألف .

وكذلك يجرى الأمر في العين ، والغين ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد والراء ، والزاى ، كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة .

٥ والدال ، والذال — كل واحدة منهما يجب أن يكون مقدارها إذا أزيل الانثناء الذى فيها وأعيدت إلى التسطيح لا يتجاوز طول الألف ولا يقصر دونه .

والسين ، والشين — كلُّ واحدة منهما يجب أن تكون سنّتُها إلى فوقُ مثلَ مقدار ثمن الألف ، وفى العرض بمقدار نصفها ، وفى التعريق مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والصاد ، والضاد — مقـدار عَرْض كلٍّ منهما فى مَدّاها مثلُ مقدار نصف ١٠ الألف وفتحة البياض فيها مقدار ثمن الألف أو سدسها ، وتعريقها إلى أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والطاء ، والظاء — كلُّ واحدة منهما فى ناحية يجب أن يكون مقـدارهُ مثلَ مقدار جميع طول الألف وعرضُه مثلَ نصف الألف .

والعين ، والغين — كلُّ واحد منهما مقـدارُ تقويسه فى العَرض مثلُ نصف ١٥ الألف أو مثلُ الألف إذا أعيـدت إلى التسطيح وأزيل تثَنِّيه ، وتقويسُـه من أسفل مثلُ نصف محيط الدائرة .

والفاء — يجب أن يكون تسطيحُه إلى قُدّام بعد الطالع منه من فوق مثلَ طول الألف .

وحلَقته وحلقـة الواو والميم كلُّها إلى فوقُ مثلُ سدس الألف ، وإلى أسفل فى الميم والواوْ مثلُ الراء .

٢٠ والقاف — تقويسُها من فوقُ ينبغى أن يكون مثلَ سُـدُس طول الألف ، وتعريقها مثل مقدار نصف الدائرة .

والكاف — ينبغي أن يكون الأعلى منها طولَ الألف، وفتحة البياض التي داخلَه مثلَ سدس طول الألف؛ وتسطيحه من أسفل مثلَ أعلاه وكسرته إلى فوق مثلَ نصف طول الألف .

واللام — يجب أن يكون مقدارُ طُول قائمتها مثلَ الألِف، ومدّتها إلى قدّام مثل مقدار نصف الألف .

والنون — يجب أن يكون مقدارُه مثلَ نصف محيط الدائرة .

والياء — ينبغى أن يكون مبدؤه دالا مقلوبة لا تجاوز مقدار طُول الألف، وتعريقها إلى أسفلَ مثلَ نصف محيط الدائرة .

ثم قال: وهذه المقادير وكميةُ نسبة بعضها إلى بعض هو ما توجبه قوانينُ الهندسة والنسبة الفاضلة، إلا أن ما يتعارفه الناس ويستعمله الكُتّاب على غير ذلك .

وقد أشار الشيخ عماد الدين بن العفيف إلى ضوابط فى ذلك على ما تقتضيه أوضاع الكُتّاب يجب الوقوف عندها فقال :

وٱعلم أنّ مقادير الحروف متناسبةٌ فى كل خط من الخطوط .

وٱعلم أن صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثارى فى ألفيته قد جعل طول الألف سبعَ نقط من كل قلم، ومقتضاه أن يكون العرض سُبُع الطول .

ثم قال : إن ما زاد عن ذلك فهو زائد فى الطول، وما كان ناقصا عن ذلك فهو ناقص ، وعلى ذلك تختلف المقادير المقدرة بالألف من الحروف بنقص قدر الثمن من الطول .

فالألف واللام قَدْرٌ سواء فى كل خط؛ وكذلك الباء وأختاها، والجيم وأختاها، والعين والغين قدرٌ سواء، والنون، والصاد، والضاد، والسين، والشين، والقاف، والياء المعرّقة قدرٌ سواء؛ والراء، والزاى، والميم، والواو قدرٌ سواء .

قال : وكل عرافة بدأتَ بها فى كل خط مّا فعلى مثلها يكون آنتهاؤها .

ثم قال : فتفهَّمْ هذا القدرَ فإنه كثيرا ما يختلط على الكُتّاب الحُذَّاق .

وقد ذكر الشيخ شرف الدين بن عبد السلام من ذلك أضربا :

أحدها — ما هو متناسب الطُّول، وهو خمس صور : صورةُ الألف، وصورةُ اللام، وصورةُ القاف، وصورةُ التاء، وصورة الكاف ويجمعها قولك : "القتـك" ٥ وفرّع عليها أربع صور يجمعها قولك : "بث مى" .

الثـانى — ما يجوز مدُّه من أوّل السطر إلى آخره وقصره ما شاء، ما لم يَقْصُر عن طول الألف، وهى الباء، والكاف، واللام، ويجمعها قولك : "بكل" ويتفرّع عليها أخواتها .

١٠ الثـالث — ما هـــو متناسِبٌ فى المِقْـدار، وهو ثلاث صُـــوَر ، يجمعهـا قولك : " ديل " .

والمنكَبُّ من الدال والمستلقى منها والمنسطح والمستلقى منهـا والمنكَبُّ من الياء بمقدار نصف ألف خطِّه .

الرابع — ما هو متناسب المساحة فى حال العطف والإرسال : وهى القاف، ١٥ والسين، والبـاء ، والياء، والضاد، ويجمعها قولك : " قبس يض " وكل أخت تُلْحَق بأختهـا .

الخـامس — ما هو متناسب فى الإرسال وهو المـيم ، والواو ، والزاى ، ويجمعها قولك : " موز " .

السادس — ما هو متناسِبٌ فى الضُّوء والإرسال، وهو ستّ صُوَر، هى الفاء، ٢٠ والقاف، والهاء، والميم، والواو، واللام ألف، ويجمعها قولك : "ففه مولا" .

السابع — ما هو متناسبُ ضوء الباطن، وهو ثلاث صور : الصاد، والطاء، والعين وأخواتها .

الثامن — ما هو متناسب الرءوس، وهو ثلاث : الصاد، والعين، والطاء؛ ويجمعها قولك : "صعط" ويُلْحَق بها أخواتُها .

٥ التاسع — ما هو متناسبٌ فى التعريج ، وهو العين ، والجيم ؛ ويجمعهما قولك : "عج" .

الجملة الثالثة

فيما يجب اعتماده لكل ناحية من نواحى القلم

قد تقدّم فى الكلام على برَاية القلم أن للقلم سِنًّا أيمَن وسنًّا أيْسَر، وعَرْضا، ووَجْها، وصَدْرا، وأنه يتعيَّن على الكاتب معرفةُ كلِّ واحد منها، ليُعطى كل واحد ١٠ منهـا حقَّه فى الموضع الذى يقتضيه الحال . وقد ذكر السُّمَّرِىُّ فى أرجوزته جُمَلا كلية إذا عرفها الكاتب سَهُل عليه ما يرومُه من ذلك فقال :

"إن كلَّ خط منتصبِ الشَّكْل كالألف ونحوه يجب فى كتابته الاعتماد على سِنَّى القلم جميعا، وكلَّ خطٍّ آخذٍ من اليمينَ إلى اليسار يجب إمالةُ القلم فيه إلى اليسار شيئا ١٥ يسيرا، وكلَّ خطٍّ آخذٍ من اليسار إلى اليمين يجب إمالةُ القلم فيه إلى اليمين شيئا يسيرا، وكل نقطة يعتمد فيها بسنيه جميعا ، وكل شظيَّة فإنها تُخْتَلَسُ بسنه اليمنى اختلاسا، وكل إرسالة تعقيب كما فى الجيم والعين يُعتمدُ فيها على السن الأيسر، وكلَّ تَقْعير كما فى النون يكتب بالسنِّ اليمنى" .

وأفصح عن ذلك الشيخ عماد الدين بن العفيف فقال :

٢٠ إن للسِّن الأيمنِ الألفَ واللامَ، و رفعة الطاء، والنونَ، والباء، والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة، وأواخرَ التعريقات والمدّات، وطَبْقة خطة الصاد والضاد المستفلةَ،

وبدء السين والشـين . وللسن الأيسر الجيمَ وأختيهـا ، والرّدات ، وتدوير رءُوس الفاءات والهاءات والواوات والكافات المشكولة(١) . ثم قال : وكل ردّة من اليسار إلى اليمين تكون بصدر القلم .

٥

الجمـــلة الرابعـــة

فى الترويس

والذى يدخله الترويس فى الجملة الألف ، والبـاء ، والجيم ، والدال ، والراء ، والطاء ، والكاف ، واللام المجموعة ، ويختلف الحالُ فى ترويسها وعدمه باختلاف الأقـلام .

فمنها ما يروس حتما ، ومنها ما يمتنع فيه الترويس ، ومنها ما الكاتبُ فيه بالخيار

١٠ بين الترويس وعدمه ، وربما رُؤس بعض الحروف فى بعض الأقلام ولم يُرَوّس فى بعضها . ثم قد ذكر أهل الصناعة أن ترويس الألف كسُبعه . وذهب ياقوتٌ إلى الزيادة على ذلك ؛ وترويس البـاء وأُختيها بقدر نقْطتين ؛ وترويس الجيم بقدر نصف نصبها ؛ وترويس الصاد والطاء كالسين ؛ وترويس الفـاء والقاف كالبـاء . وسيأتى الكلام على ترويس كل حرف منها فى قلمه إن شاء الله تعالى .

١٥

الجمـــلة الخامســـة

فيما يُطمس من الحـــرف ويفتح

وهى المعبر عنها بالعُقد ، وهى صوره الصاد ، والطاء ، والعين ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المخففة ، ويختلف الحـال فيها :

(١) فى الأصل : « المشفوقة » وما أثبتناه من التعريف عن أشكال الحروف الآتى فى هذا الجزء

٢٠ (ص ٨٤) .

فمنها ما لا يُطْمَس بحال ، وهى : الصاد وأختها ، والطاء وأختها ، والعين المفردة والمبتدأة وأختها .

ومنها ما يطمس فى بعض الأقلام دون بعض وهى : العين المتوسطة ، والعين الأخيرة ، وكذلك الغين ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف . وسيأتى الكلام على ما يُطْمَس ويفتَح من ذلك فى كل قلم عند ذكره . ٥

ثم الطَّمْس فيما يُطْمَس منها على سبيل الجواز لا على سبيل اللزوم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والرجوع فى ذلك إلى قانون مضبوط ، وهو أنه كُلَّما غَلُظت الأقلام كان الطمس فيها على خلاف الأصل ، وكُلَّما رَقَّتْ كان الفتح فيها على خلاف الأصل ، وذلك أنَّنا عدَلْنا عن الفتح إلى الطَّمْس لأجل التلطيف .

الجملة السادسة ١٠

فى ذكر الأقلام المستعْمَلة فى ديوان الإنشاء فى زماننا

وسيأتى فى المقالة الثالثة فى الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام ، أن المقر الشهابىَّ بنَ فضل الله ذكر فى ذلك خمسة أقلام ، وهى : مختصَر الطُّومار ، والثُّلُث ، وخَفيف الثُّلُث ، والتوقيع ، والرِّقاع .

فمختصر الطُّومار لقطع البغدادى الكامل ، والثُّلُث لقَطْع الثلثَيْن ، وخفيف ١٥ الثلث لقطع النصف ، والتوقيع لقطع الثلث ، والرقاع لقطع العادة .

ويلتحق بالخمسة التى ذكرها ثلاثةُ أقلام أُخَر ، وهى : الطُّومار الكامل ، والمحقَّق ، والغُبَار .

فالطُّومار — يكْتُب به السلطان علاماته على المكاتَبات والوِلَايات ومَنَاشير الإقطاع . ٢٠

والمحقَّق ـــ ٱستُحْدِثت كتابتُه فى طُغْراوات كُتُب القانات[1] على ما سيأتى بيانه فى موضـــعه .

والغُبَار ـــ يُكْتَب به بطائقُ الحمام والملطَّفات وما فى معناها .

وحينئذ فيكون المستعملُ بديوان الإنشاء فى الجملة ثمـانيةَ أقلام : الطُّومار، ومختَصر الطُّومار، والثُّلث، وخفيف الثلث، والتَّوقيع، والرِّقاع، والمحقَّق، والغُبار.

٥

وقد ٱختلف الكُتّاب فى تسمية قلم الثُّلُث وما فى معناه من الأقلام المنســوبة إلى الكُسُور كالثلثين والنصف على مَذْهبين :

المذهب الأوّل ـــ ما نقله صاحب "منهاج الإصابة" عن الوزير أبى علىّ بن مقلة : أن الأصل فى ذلك أن للخط الكُوفىّ أصلين من أربعَ عشرة طريقة ، هُمَا لها كالحاشيتين، وهما : قلم الطومار، وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شىءٌ مستدير .

١٠

قال : وكثيرا ما كُتِب به مصاحفُ المدينــة القديمةُ . وقلم غُبَار الحِلْية ، وهو قلم مستدير كلُّه ليس فيه شىءٌ مستقيمٌ؛ فالأقلام كلُّها تأخذ من المستقيمة والمستديرة نسبا مختلفة، فإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلثُ سمى قَلَم الثلث، وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلثان سمى قلم الثلثين، وعلى ذلك ٱقتصر صاحب "منهاج الإصابة".

المذهب الثانى ـــ ما ذهب إليه بعض الكُتّاب أن هذه الأقلام منسوبة من نسبة قلم الطُّومار فى المساحة؛ وذلك أن قلم الطُّومار الذى هو أجلُّ الأقلام مِساحةُ عَرْضه أربعٌ وعشرون شَعْرة من شعر البِرْذون كما سيأتى؛ وقلمُ الثلث منه بمقدار ثُلُثه، وهو ثمان شعرات ، وقلمُ النصف بمقدار نصفه، وهو ٱثنتا عَشْرة شعرةً؛ وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه، وهو ثمانَ عشرةَ شعرة . و إلى ذلك كان يذهب بعض مشايخ الكُتّاب الذين أدركناهم، وعليه ٱقتصر المولى زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته .

١٥

٢٠

(١) القانات : جمع قان : اسم علم لملك الترك؛ قيل : هو مختصر خاقان (راجع شرح القاموس مادة قين) .

وهذه صور حروف الأقلام السبعة التى تستعمل فى ديوان الإنشاء ولوازمه وهى : الطُّومار، ومختصَره، والثلث، وخفيفُ الثلث، والرِّقاع، والمحقَّق، والغُبار فى حالتى الإفراد والتركيب .

القسم الأوّل

قلم الطُّومار

بإضافة قلم إلى الطُّومار، والمراد بالطُّومار الكاملُ من مقادير قطع الورق أصل عمله، وهو المعبَّر عنه فى زماننا بالفَرْخة، فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه. وقد تقدّم أنه قلمٌ جليلٌ قدّرَ الكُتّاب مساحةَ عَرْضِه بأربع وعشرين شعرةً من شَعْر البِرْذَوْن، وبه كانت الخلفاءُ تكتُب علاماتِهم فى الزمن المتقدّم فى أيام بَنى أُمَيّة فمَنْ بعدهم .

فقد حكى أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِىُّ فى مناقب عُمَرَ بنِ عبد العزيز، أن عُمَرَ بنَ عبد العزيز أُتِىَ بطُومار ليكتُب فيه فامتنَع وقال : فيه ضَياعُ الوَرَق وهو من بيت مالِ المسلمين، وبالضرورة فلا يُكتَب فى الطُّومار إلا بقَلَم الطُّومار، وهذا دليل على أنه كان موجودا فيما قَبْله، وأظُنّه من الأمور التى رتّبها معاويةُ بنُ أبى سُفيان، إذ هو أوّلُ من قرّر أُمورَ الخلافة، ورتّب أحوالَ المُلْك، وبه آستقرّتْ كتابةُ ملوك الديار المصرية من لَدُن السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" وهَلُمَّ جرًّا إلى زماننا .

قال صاحبُ "منهاج الإصابة" : ويكونُ من لُبِّ الجريد الأخضر، ويُؤخَذ منه من أعلى الفتحة ما يَسَعُ رءُوس الأنامل . قال : ويمكن أن يكون من القَصَب الفارسىّ .

قلت : والذى آستقرّ عليه الحالُ فى كتابة العُهود بالديار المِصْريّة بقَصَب البُوص الأبيض الغليظ الأنابيب، يُنتقَى قَصَبُه من جزائر الصعيد بالوجه القِبْلىّ، وفى كل سنة

يجهز بَرِيدىٌّ[1] بطلب هذه الأقلام من وُلَاة الوجه القِبْلى، ويُؤتى بها فتحفظ عند كاتب السرّ ويُبْرى منها ما يحتاج اليه فى كتابة السلطان ويوضع فى دواته بقَدْر الحاجة.

قال فى "منهاج الإصابة" : ولا بدّ فيه من ثلاثة شقوق أو أكثر بقدر ما يحتاج إليه فى مَجّ القلم الحِبْرَ فى القرطاس . وأعلم أن للكُتّاب فيه طريقتين :

٥ إحداهما — طريقةُ الثلُث، فتجرى الحال فيه على الميل إلى التقوير.

والثانية — طريقة المُحقَّق، فتجرى الحال فيه على الميل الى البسط دون التقوير؛ وسيأتى إيضاح الطريقتين وكيفية تشكيل حروفهما فيما بعدُ إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر السُّرَّمَرِّىّ فى أرجوزته آختصاص قلم الطومار بأمور :

أحدها : أن مستداراته كلها تكون بوجه القلم، والمَدّات بسنه؛ والتعاريق

١٠ بوجهه منفتلا فيها على اليمين .

الثانى : أن الميم منه تكون مفتوحة مدوّرة . والفاء والقاف فيه أوساطها محدّدة وجنباتها مدوّرة .

الثالث : أن يكون البياض بين الأحرف كمثله بين السطور .

الرابع : أن يكون الفضل من جانبى القرطاس متساويا فى المقدار .

١٥ الخامس : ألا يكون فيه صاد مدوّرة ولا كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثارى فى ألفيته : أنه يدخل فيه الترويس فى الألف، والباء، والجيم، والدال، والراء، والطاء، والكاف المجموعة، واللام، والنون فى الإفراد والتركيب عند الأبتداء وأنه لا يجوز فيه الطمس فى شىء من عقده كالصاد، والطاء، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة

٢٠ بحال، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

---

(١) أصلحنا فى هذه الصفحة بعض كلمات مطموسة استدركت فى نهاية الجزء السادس من هذا الكتاب عن نسخة محفوظة فى بعض المكتبات الأهلية .

وهذه صورة كتابة اسم السلطان فى المكاتبات والولايات وغيرها منسوبا للسلطان

السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

صورة ما يكتب فى جليل المكاتبات



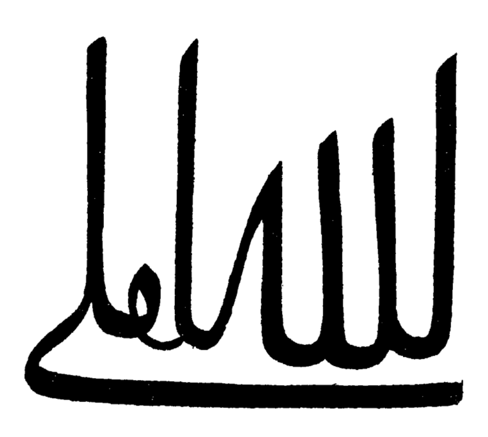
صورة ما يكتب فى متوسطات المكاتبات



صورة ما يكتب فى صغار المكاتبات



وهذه صورة كتابة العلامة على المناشير للإقطاع لمن علامته
"الله أملي" بيـاء راجعة



القلم الثانى

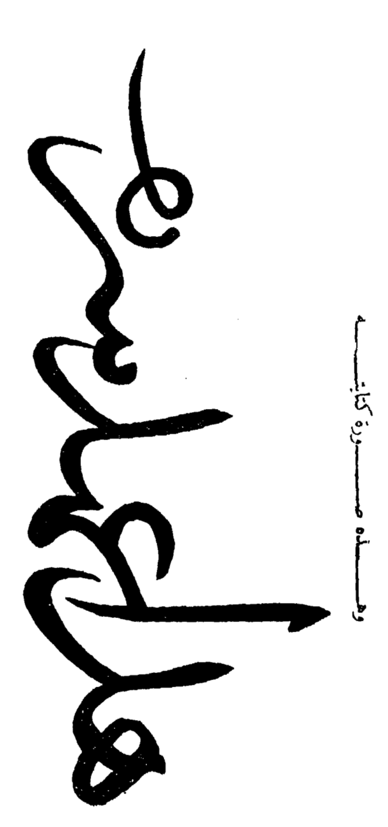
قلم مختصر الطومار

بإضافة قلم إلى مختصر، وربما قيل فيه مختصر الطُّومار بحذف المضاف؛ وهو الذى يكتب به فى قَطْع البغدادىّ الكامل .

وقد ذكر المولى زين الدّين شعبان الآثارىّ فى أَلْفِيَّته : أن مقدار مساحته ما بين كامل الطُّومار وبين قلم الثلثين، وحينئذ فيكون مقداره ما بين عرض ست عشرة شعرةً من شعر البِرْذَوْن وبين أربع وعشرين شعرةً؛ والحامل له على ذلك ان أعلى ما وضعوه من الأقلام المنسوبة لكسير من الكسور قلمُ الثلثين، وهو عرض ستّ عشرةَ شعرة؛ فلو كان مرادهم بمختصر الطومار هذا المقدار، لعبّروا عنه بقلم الثلثين دون مختصر الطومار، فتعين أن يكون فوق ذلك ودون الطومار الكامل، فيكون ما بين عرض ثمانَ عشرةَ شعرة وعرض أربع وعشرين شعرة .

ثم هذا القلم يجوز أن يُكْتَب به على طريقة الثلث فى الميل فى حروفه إلى التقوير وعلى ذلك يكتُب كُتَّاب ديوان الإنشاء فى عهود الملوك عن الخلفاء، والمكاتبة إلى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق . ويجوز أن يكتب به على طريقة المحقّق فى الميل فى حروفه إلى البسط كما فى الطريقة الثانية من قلم الطُّومار، وسيأتى ذكر تشكيل الثلث فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ولا يخفى أن هذا القلم بالنسبة إلى الترويس وعدم الطمس على ما تقدّم فى الطومار للحوقه به فى الجلالة وسَعة مساحة العرض .



وهـــذه صـــورة كتابتـــه



القـــــلم الثـالث

قــلم الثلث

بإضافة قلم إلى الثلث، و يقال فيه الثلث بحذف المضاف وهو الذى يُكْتَب به فى قَطْع الثلثين .

وقد تقدّم آختلاف الكُتّاب فى نسبته هل هو بآعتبار التقوير والبسط، أو بآعتبار أنه ثلثُ مساحة الطومار، من حيث إن عَرْض الطومار أربع وعشرون شعرةً من شعر البِرْذَوْن ، وعرض الثلث ثمانُ شعرات وهى الثلث من ذلك ؛ وقَطّة هذا القلم محرّفة ،لأنه يحتاج فيه إلى تشعيرات لا تتأتى إلا بحرف القلم ،وهو إلى التقوير أميل منه إلى البَسْط ، بخلاف المحقَّق على ما سيأتى ذكره ، والترويس فيه لازم .

وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الآثارى فى أَلْفِيَّته : أنه يروّس فيه من الحروف الألف المفردة ، والجيم وأختاها ، والطاء ، والكاف المجموعة ، واللام المفردة ، والسِّنّة المبتدأة ؛ وعُقَدُه من الصاد وأختها ، والطاء وأختها ، والعين وأختها ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المحققة كلُّها مفتحة لا يجوز فيها الطمس بحال .

وهو على نوعين :

النـــــوع الأول

الثلث الثقيــل

وربمـا قيل فيه ثقيل الثلث ، وهو المقدّرة مساحته بثمان شعرات على ما تقدّم ذكره ، وهذه صُوَره مفردة ومركبة :

الألف على ضربين : مفردة ومركبة ، فالمفردة على ثلاثة أنواع :

الأوّل — الألف المطلق



وطريقه : أن تبتدئ فيه بصدر القلم من قفا الألف، ثم تصعد إلى هامتها فإذا بلغتها نزلت بعرض القلم إلى وجهه، ثم تنزل بوجه القلم معتمدا فى نزولك على السِّنّ اليمنى حتّى إذا بلغت شاكلة الألف أدرت القلم برفق حتّى تختمه بحرفه . ٥

الثانى — المشعر



وطريقه : كالذى قبله إلا أنه إذا جئت آخر الألف عطفت ذنبها ويكون موصولا بغيره، فإن لم يوصل بغيره فالغالب أن يكون مطلقا .

الثالث — المحرّف ١٠



وطريقه : أن يبدأ فيه من هامة الألف بوجه القلم فتضعه على تحريفه وتنزل به مستويا ، حتى إذا بلغت شاكلته أدرت حرف القلم على ما مضى من الشرط فى المطلق والمُشْعَر .

الضرب الثانى

المركب مع غيره من الحروف

ولا يكون إلا طرفا أخيرا، إذ لا يوصل بما بعده، لأن الألف مطيّة يُركَبُ عليها ولا تَرْكَبُ، وطريقه أنك تصعد به بعد تمام الحرف الذى قبله بصدر القلم عكسا لنزولك بالألف المحرف، فإذا بلغتَ هامة الألف وقفت بالقلم حتّى يكون بمنزلة رأس الألف المحرف.

وكذلك يفعل فى اللام الطالع، وهذه صورته :

الطالع

ـا

الصورة الثانيه

صورة الباء

وهى على ضربين

الضرب الأوّل

المفردة

وهى ثلاثة أنواع : مجموعة، وموقوفة، ومبسوطة. ولك فى ابتدائها فى الثلاث الصور وجهان : إن شئت بدأت من قفاها بتشعيرة على ما مضى من صفة الألف المطلق، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن، وإن شئت بصدر القلم. ثم لكل صورة منها طريقة تخصها.

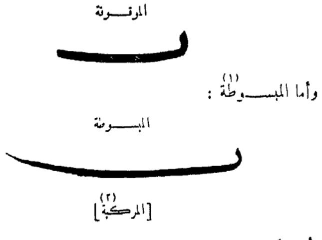
فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم حتّى إذا بلغت فتلة الباء وهى الإدارة الخفية التى تجمع بين الخط القائم والمبسوط ، فتلت القلم ومططت الباء بصدره ، حتّى إذا صرت إلى آخرها ختمت بحرف القلم الأيمن ، وتثرت يَدَك برفق حتّى ترفع ذنب الباء ، حتّى يجىء رأسها فى نهاية الدقة .

المجمـــوعة

ب

وأما الموقوفة : فطريقها كطريق المجموعة فى جميع ما تقدّم ، إلا أنك إذا بلغت المكانَ الذى ترفع فيه من ذنب المجموعة ، وقفتَ فيه بعرض القلم فتأتى مطة محرّفة كتحريف القلم .

الموقـــوفة



وأما المبســـوطة[1] :

المبســـوطة

[المركبة][2]

وأما المركبة : فعلى نوعين : متوسطة ، ومتطرّفة .

فأما المتوسطة : فلها حالان .

أحدهما — أن يكون قبلها و بعدها مثلها ، فتكون الوسطى مرتفعة على أخواتها ، و إذا رفعتها أكثر من أخواتها ، رجعت فى خط يلاصقها . وهذا فى كل حرف صغير كالنون ، والباء ، والتاء .

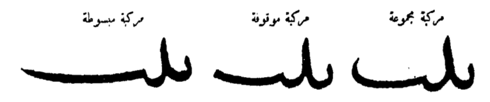
الثـانى — ألا يكون قبلها و بعدها مثلها ، فهى كإحدى السنات .

(١) لم يتكلم عليها (٢) زيادة يقتضيها السياق .

وأما المتطرفة، فلها حالان أيضا :

أحدهما — أن تكون مبتدأة، وهى التى تكون فى أول الكلمة، فطريقها أن تبدأ فيها بعرض القلم تحدّرا من يمينك إلى يسارك، وهى تصحب الجيم وأختيها .

الثـانى — أن تكون فى آخر الكلمة، وتكون محذوفة الرأس للتركيب كرأس السـين المبسوطة، وتكون صورة مدّتها كصورة المفردة سواء فى جميع أحوالهـا : فى الجمع والبسط والوقف؛ وهذه صورها :



الصـــورة الثـالثـــة

صـــورة الجـــيم وما شاكلهـا

وهى على أربعــة أضرب : مرسَــلة، ومسـبَلة، ومجموعة، وملوّزة؛

وابتداء جميع الصور على وجهين، من رأسها ومن جبهتها .

فأما المبتدأة من رأسها فيخيّر الكاتب فيها بين أمرين : إن شاء جعلها جرّا، وإن شاء جعلها مشعّرة، فإنها يُبدأ فيها بصدر القلم، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن، والمشـعّرة يخطّفها بحرف القلم أو بصـدره على ما مضى؛ فإذا بلغتَ جبهتها أدرت بجررت بوجه القلم، وأنت فى الجرّة بالخيار، إن شئت جئت بها على خط مستقيم، وإن شئتَ رطّبتها شيئا يسـيرا؛ فإذا بلغت قفاها، كنت أيضا مخيرا : إن شئت رجعت فى الخط الذى جئت فيه، وإن شئت رجعت فى خط تحته يلاصقه بصدر القلم؛ فإذا وصلت تحت هامة الجيم أدرت القلم على تحريفه فنزلت بعرضه حتّى إذا

بلغت آخر عجز الجيم ختمتها بحرف القلم ، ولا يخرج صدر الجيم عن الخط الموازى لجبهتها، كما لا يجوز أن يخرج طَرَف ذَنَبها عن الخط الموازى لقَفَاها، حتّى لو نصب عليها خطوطا لناسبت أعاليها أسافلها، وهذه صورتها :

مفردة مرسلة

وأما المسبلة : فإنها كالمرسلة فى الصورة والصفة، والفرق بينهما أنك فى المرسلة إذا بلغت الصدر ونزلت فيه، أسبلت ذنبها ؛ وهذه صورتها :

مفردة مسبلة

وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا فى جميع أوصافها و يزيد عليها أنك إذا وفيت بها على ما مضى من صفة المرسلة رددت ذنبها على عجزها فصارت هنالك دائرة؛ وهذه صورتها :

مفردة مجموعة



وأما الملوّزة : فإنها لا تكون إلا قبل الألف . وطريقها أن تبدأ بعرض القلم من تحت الألف فيما تقدّر ، فإذا بلغت جبهة الجيم ، جررت بوجه القلم جرّة مبطنة حتّى يصير البياض الأوسط لَوْزَةً محققـة وترفع الألف مع جبهـة الجيم وتبق تحت ذنب الألف بقية رأس الجيم ؛ وهذه صورتها :

مبدأة مركبة ملوزة



وزاد المتأخرون صورة أخرى تسمى الرتقاء ، وصورتها أنك تبتدئ برأس واو من واوات الثلث مفردة ، وتكون مرتفعة الرأس بقدر نقطة من نقط الخط ، ثم تكمل عليها ببقية العمل المتقدّم ذكره على الثلاث الحالات المتقدّمة فى الباب ، وهى : المرسلة والمسبلة ، والمجموعة ؛ وهذه صورها :

رتقاء مرسلة — رتقاء مسبلة — رتقاء مجموعة

وزاد المتأخرون صُوَرا أخرى فى التركيب ، وهى ثلاث : أُولى ، ووُسْطى ، وأخـــيرة .

أما الأولى : فآبتداء العمل فيها كآبتداء العمل فى الثلاث الحالات الأُوَل ، ثم تكمل بالحرف الذى تريد ، وهذه صورتها :

مركبة مبتدأة محققة



وتارة تكون ملوَّزة وهى التى تصحب الألف وما شابهها كالدال ، واللام ، واللام ألف ، وقد صوّروها مع الألف فتقاس على ماعداها .

وهذه صورتها مع اللام : وهذه صورتها مع اللام ألف : وهذه صورتها مع الدال :

مركبة مبتدأة ملوزة مع شبه الألف — مركبة مبتدأة ملوزة مع شبه الألف — مركبة مبتدأة ملوزة مع شبه الألف

وأما المتوسطة : فالعمل فيها كالعمل فى المبتدأة المحقّقة المركبة كما تقدّم ولكن بغير ترويس ، وهذه صورتها :

مركبة متوسطة محققة



وأما الأخيرة : فالعمـل فيها كالعمل فى الثلاث الحالات الأوّل : المرسـلة ، والمسبلة، والمجموعة، ولكن بغير ترويس؛ وهذه صورها ·

مركبة مختتمة مرسلة — مركبة مختتمة مسبلة — مركبة مختتمة مجموعة





الصـــــورة الرابعـــــة

صـــورة الذال وأختها

وهى على ضربين : مفردة، ومركـبة

الضـــرب الأوّل

المفــردة

ولها صورة واحدة ، وهى شكل مُثَلَّث على زاوية واحدة، ويجمع طرفها جمعا يسيرا؛ وهذه صورتها :

مفــــردة



الضـــــرب الثـانى

المركبـــة

ولها أربعة أشكال : مجموعة، ومبسوطة، ومخطوفة، ومقطوفة .

أما المجموعة : فإنك ترفعُها بعد فراغك من الحرف الذى قبلها ، ولك فى ذلك مذهبان :

أحدهما — مذهب الوزير أبى علىّ بن مُقْلَة[1] .

والثانى — مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب، وطريقه أن ترفعها مائلا إلى اليسار ميلا خفيفا .

ثم على كلا المذهبين ترجع بخط يلاصق الخط الذى صَعِدت به و بظهر القطة فى الانتهاء، وتأتى بالعراقة على شكل عراقة الدال المفردة فى الجمع، وهذه صورتها :

مجموعة مركبـــة

وأما المبســوطة : فحكمها فى جميع صفاتها حكم المجموعة ، إلا أنك إذا نزلت فى المبسوطة إلى العراقة وفتلتها، أرسلت العراقة بعرض القلم، وهذه صورتها :

مركبة مبســـوطة

(١) لم يبين طريقه ، ولعله سقط من قلم الناسخ حرر .

وأما المخطوفة : فهى كالمجموعة أيضا ، إلا أنك تَخْطَفها بحرف القــلم وتختمها بأدَقّ ما تقدر عليه من النحافة ؛ وهذه صورتها :

مركبـــة مخطـــوفة

وأما المقطوفة : فهى كالمخطوفة ، إلا أنك بعد الفتلة تُبْقِى لها ذَنَبًا صغيرا بحرف القلم ؛ وهذه صورتها :

مركبـــة مقطـــوفة

الصـــــورة الخـــامســـــة

صـــورة الراء وأختهـا

وهى على ضربين : مفـــردة ، ومركبة

الضـــــرب الأول

المفـــردة

ولهـا ثلاثة أشكال : مجمـوعة ، ومبسوطة ، ومقوّرة ؛ وآبتـداؤها فى جميع الصور على وجهين :

أحدهما — أن تبدأ من قفاها صاعدا إلى هامتها ثم تنزل إلى وجهها

والثـانى — أن تبدأ بها حدّا من رأسها ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البـــوّاب .

ثم لكل واحدة منها بعد ذلك عمل يخصها . فأما المجموعة فطريقها أن تبدأ فيها بوجه القلم وتنزل على خط الاستواء بقدر ربعها ، ثم تدير القلم وتبدأ فى العراقة بصدر القلم ، ويكون تنزيلك إيّاها أكثرَ صبا من الياء المفردة قليلا ، فإذ عرفت مثلّ ما نزلت به أوّلا على خط الاستواء ثرت يَدَك بالقلم إلى فوق وأنت تريد ذات اليمين بإشارة لطيفة ، ويكون ختمها بسنّ القلم اليمنى ؛ وهذه صورتها :

مفردة مجموعة



وأما المبسوطة : فطريقها أن تنزل بها على ما ذكرناه ، وترسل ما عرفت منها على ما تقدّم فى الدّال المجموعة وتنقص منها النترة الأخيرة ، وتحدّد طرفها ؛ وهذه صورتها :

مفردة مبسوطة



وأما المقوّرة : فطريقها أن تنزل بأقلّ مما ذكرناه شيئا يسيرا ؛ وهذه صورتها :

مفردة مقوّرة

الضـــرب الثـانى

المركبــة

ولهـا أربعة أشكال : مخطوفة ، ومقطوفة ، وبتراء ، ومدغمة

فأما المخطوفة : فهى كالمقوّرة فى الصورة ، غير أنّ عراقتها بحرف القلم ؛ وهذه صورتها :

مركبــة مخطوفــة

وأما المقطوفة : فإنك تُبْقِى لها ذَنَبًا صغيرا ؛ وهذه صورتها :

مركبة مقــوّرة

وأما البتراء : فإنك تقطفها من الثلثين فتحذف ثلثها وتأتى بها مستدقة الطرف ؛ وهذه صورتها :

مركبــة مقطوفــة



وأما المدغمة : فإنها تصلح بعد كل حرف وتقبح بعد المدّ ، وسميت مدغمة مجازا وإلا فالحرف الذى قبلها هو الذى يدغم فيها ، لكنهم لما حذفوا منها شيئا لقبوها بذلك ، ولا بدّ أن تحذف من الحرف الذى قبلها شيئا من آخره وتحذف منها شيئا من أوّلها .

وتُبقى من كل واحد منهما ما يدل عليه، وهذه صورتها :

مركبة مدغمة



الصـــــــورة السادســـــة

صـــورة السين

وحكمها فى حالتى الإفراد والتركيب سواءٌ، غير أنها فى حالة الإفراد تزيد العراقة، وعراقتها كعراقة النون فى الجمع والبسط والتقوير؛ وسيأتى الكلام على ذلك فى حرف النون إن شاء الله تعالى .

ثم هى على نوعين : محقَّقة، ومعلقة .

فأما المحققة : فلها شكلان : مُظْهَرة، ومدغمة . ١٠

فطريق المظهرة أن تبدأ بوجه القلم ثم تدير القلم منها إلى أختها إدارة لطيفة فى نهاية الاعتدال ، وتحدّد رأس الثانية بسن القلم اليمنى، ويكون الذى بين الأولى والثانية أقلّ مما بين الثانية والثالثة ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب . وإذا كان قبلها شئ يكون سواء، ويجوز أن تكون مصدّرة مقلوبة؛ وهذه صفتها :

١٥

محققـــة مظهـــرة

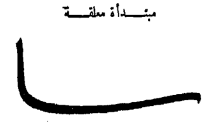


وأما المعلقة : فصفتها أنك تحـذف السين حذفا وتقيم جرّةً مقامها، وتبدؤها بوجه القلم عاملا إلى آخرها .

هذا إذا كانت مبتدأة، فإن كانت متوسطة، فالأولى أن تكون محققة، ولا بدّ من جرّ فوقَ المعلقة نقطت أو لم تنقط، وهذه صورتها :

٥

مبتـــدأة معلقـــة



وتحسن قبل الكاف المشكولة وقبل الألف، ولا تكون قبل الصاد والعين والكاف المعرّاة، وقيل إنها لم تُر في خط ابن البوّاب إلا منفردة .

الصـــورة السابعـــة

١٠ صـــورة الصـاد

والكلام في عراقتها كالكلام في عراقة السين : من الجمع، والبسط، والتقوير، وسيأتي الكلام على ذلك في حرف النون .

نعم لا تكون عراقتها إلا حديدة الطرَف في جميع صورها، ولا يجوز فيها الوقف بحال . أما نفس الصاد فلها شكل واحد، وهي تقارب التلويزة . وللناس فيها مذهبان :

١٥ الأوّل إظهار مبـدإ الصاد تحت رأس العراقة ، والآخر إخفاؤه؛ وفي كلا المذهبين لا بدّ من ظهور رأسها شيئا يسيرا ، فإن كانت متوسطة ، فيكون رأسها بحرف القلم

محدّد الطَّرَف . و إن كانت مفردة أو متطرّفة فإنها تكون عريضة الرأس بوجه القلم.
و إذا ركبت على خط قبلها ، لايكون خطا على خط ولا يظهر أكثر من خط واحد؛
وهذه صورتها .

مجموعة



٥

الصـــــورة الثـامنـــــة

صورة الطـاء وأختهـا

وهى ثلاثة أنواع : موقوفة، ومرسلة، ومحققة

فأما الموقوفة : فطريقها أن تبدأ بها على صورة الألف المطلق ، فإذا وفيت به ،
رجعت طالعـا من تلقاء ذَنَب الألف حتّى تقارب شاكلته ، فترجع إلى يمينك ، ١٠
فتركب عليه شكلا على صورة اللوزة، وتخرج ذَنَب اللوزة من تحت الألف وتقف
عليه بعرض القلم فتظهر القطة؛ وهذه صفتها :

مفردة موقوفة



وأما المرسلة : فهى على نحو ما تقدّم فى الموقوفة غير أن الجزة السفلى هاهنا ١٥
مبطنة، وفى الموقوفة على خط مستقيم؛ وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة



وقد آختـلف الكُتّاب فى رأس الطاء، فكان بعضهـم يذهب أن يكون على طَرَف اللَّوْزة من غير ركوب عليها، وهو أحد المذاهب فيها .

قال الشيخ أبو القاسم : سألت بعض مشايخى عن "طى" كيف يكون وضع الياء فيها؟ بحضرة جماعة من الكُتّاب، فقال : تُكتَب طاء جيدة بعدها ياء حسنة، فقلت : الحمـد لله الذى أبقى على جديد الأرض مَنْ يُحْسِنُ صفة الخط بمثل هـذا الضبط . فلما أردت الآنصراف أشار إلىّ أن آجلِسْ فجلست حتّى آنصرف القوم، فقال : قد كنتُ سألتُ عنها شيخنا أبا الحسن بن هلال فقال لى : إذا فرغت من الطاء فآحذف رأس الياء وألصق قفا الياء بذَنَب الطاء، ثم تممها على مذهبك فى الياء أنّى شئتَ، ولا تخرج صـدر الياء من تحت رأس الطاء . وعلامة صحتها أنك إذا حذفت لوزة الطاء بقيت فى نهاية الصحة إن كان بعدها ياء . وإن كان بعدها واو بقيت أيضا فى نهاية الكمال .

قال الشـيخ أبو القاسم : فينبغى أن يكون رأسهـا فى آخر اللوزة، ولا يكون مركبا على ظهرها لأنه إذا تركب بطل هذا القياس .

وأما المحققة : فإنك تبدأ فيها على صـورة اللام المبتدأة المعلقة، ويأتى الكلام على ذلك فى حرف اللام إن شاء الله تعالى .

وأكثر ما تسـتعمل هذه الطاء إذا كانت مشـعّرة بألف قبلها وألف بعدهـا فتستحسن؛ وهذه صفتها :

متوسـطة بين قائمين



واعلم أنه لا بدّ للطاء من مدّة قبلها تركب عليها، ويكون طرفها ينتهى إلى تحت رأس الطاء من غير زيادة ولا نُقصان ، ويجوز فى طَرَف هذه المدّة الجمعُ وعدمه ، وكلا المذهبين حسن .

الصـــــورة التاســـعة

صـــورة العين وأختها، ولهـا حالان

٥

الحال الأول : ألا تكون متصلة بما قبلها ، وهى على نوعين : ملوَّزة، ومركَّبة .

فأما الملوّزة : فإنك تبدأ فيها من رأس العين بحرف القلم فى غاية الدّقة، حتّى إذا وصلت إلى هامتها ، مكّنت إدارة قلمك فصرت عاملا بوجهه إلى قَمَحْدُوة[1] العين فتصير على صورة اللوزة، وتكون هذه العين قبل الهـاء المدغمة، وهذه صفتها :

١٠

ملـــوزة



وتكون أيضا قبل هاء الردف، وهذه صورتها :

ملوزة مع هاء الردف



وأما المركبـة : فهى مركبة من راءين محققة ومعلقة ، وآبتداؤها على ما تقـدّم فى الملوزة، غير أنك إذا صرت إلى هامتها وأردت القَمَحْدُوَة ، نزلت على خطّ مستقيم أو قريب من الآستقامة . والذى وجد بخط الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب على

١٥

(١) القمحدوة لغـة : ما أشرف على القفا من عظم الرأس والهامة فوقها والقـذال دونها . والمراد هنا ظاهر .

الأســتقامة ، وهذه العين لا يكون بعدها إلا حرف طالع كالألف واللام وما جرى مجراهما ، وهذه صفتها :

مركبـــة وتعليــــة

وكثيرٌ من الكُتّاب يخلطونها مع ما قبلها كالجماعة والبضاعة ، فإنهم يرذون من الألف إلى العين جزة مبطنة يجعلونها عالية العين ، وهى مستحسنة ، ولا بدّ لها من ألف قبلها وحرف طالع بعدها ، وهذه صفتها :

مردودة ومشـــكولة



الحـال الثـانى : أن يكون قبلها شىء متصل بها ، وتسمى المربعة ، وهى على نوعين : منورة ، ومطموسة .

فأما المنورة : وتسمّى المحققة ، فإنك إذا خرجت من الحرف الذى قبلها أتبعت خطا محدودبا مبطنا إلى يسارك بصدر القلم ، ثم حررت طالبة العين بوجه القلم ثم على الجزة الأولى جرة تناقضها مثلها فى القدر والمساحة بقطع الخط الأول ، ثم إن كانت معرقة عرقت . وإن كانت غير ذلك أتبعتها ما بعدها

وعلامة صحتهـا أن تلتمس البياض الذى فى وسطها فإن تنـاسبت زواياه فهو فى غاية الصحة وقد تم تركيبها ، وإلا فتحرّر حتّى يصح ما رسم ؛ وهذه صفتها :

مربعـــة مفتـــوحة

وأما المطموسة ، وتسمّى المعلقـة ولا تكون إلا فى قـلم التوقيعات والرقاع ، فصفتها أن تكون وقصاء غير مفتوحة ، ولا يجوز فيهـا من العراقات غير المجموعة ؛ وهذه صورتها :

معلقـــة مطموســة

ثم إن كانت معرّقة مفردة أو مركبة ، فالعراقة على ثلاثة أنواع : مسبلة ، ومرسلة ، ومجموعة ، كعراقات الجيم .

فأما المسبلة : فإنك إذا نزلت من ظهرها أسبلت العراقة فتكون أكثر من نصف الدائرة ، ولا يخرج الصدر عن الرأس ولا الظهر عن القَمَحْدُوَة ، بل يكون كل واحد منهما مساويا لما فوقه ، غير زائد عليه ولا ناقص عنه . وكان الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله يقول : "المرء على ترك شىء مما يعمله أقدرُ منه على تكلف شىء لم يعتده" ويأمر الطلبة بإخراج ذَنَب العين من تحت صدرها ؛ وهذه صورتها :

مفـــردة مســـبلة



وأما المرسلة : فإنك تأتى بالعراقة نصف دائرة محققة ، ولتأمل فيها من المسامتة ما وصف فى المسبلة والمسبلة تكون حديدة الطرف ، والمرسلة يجوز فيهـا التحديد والوقف ، والتحديد مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البواب ؛ وهذه صورة التحديد ؛ وهذه صورة الوقف .

مفـــردة مرســـلة

وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا فى جميع أوصافها ، وتزيد عليها أنك إذا وفّيت بها على ما مضى من صـفة المرسلة ، رددت ذَنَبها على عجزها فصارت هنالك دائرةٌ ؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مجمـــوعة



الصـــــورة العـــاشـــرة

صـــورة الفـــاء

وهى على ضربيــن : مفـــردة، ومركـــبة

فأما المفردة : فعلى ثلاثة أقسام : مجموعة ، ومبسوطة ، وموقوفة ، وقد تقدّم الكلام على هذه العراقات فى حرف الباء ، فأغنى عن إعادته هنا ، وهذه صفة العراقات الثلاث : ٥

مبســـوطة موقـــوفة مجمـــوعة

وأما المركبة : فإنها تكون مقلوبة ، وذلك أن بياضها يكون الحادّ منه فى ملتق الخطين اللذين يتقاطعان فى ذهابها ومجيئها ، ويكون عرضه عند هامتها ؛ وهذه صفة المتوسطة : ١٠

متوســـطة

الصـــــورة الحادية عشرة

صـــورة القـــاف

وهى على ضربين أيضا : مفـــردة، ومركـــبة ١٥

فأما المفردة : فحكم رأسها حكم الفاء ، وحكم عراقتها حكم النون ، ومتألى ، غير أنها تكون مفردة مبسوطة وهى مستحسنة بخلاف النون ؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مبســـوطة

وأما المركبة : فإنها كالفاء فى جميع ما تقدّم ، فلا حاجة إلى تمثيلها . ٢٠

الصـــورة الثانيـــة عشرة

صـــورة الكاف

وهى على ثلاثة أنواع : مبسوطة، ومشكولة، ومعرّاة ؛
ولكل واحدة منها موضع يخصها

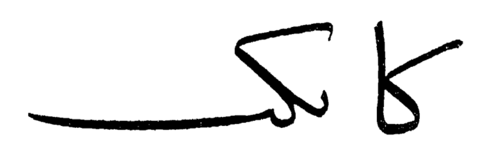
٥ فأما المبسوطة : فتكون مفردة ومركبة ، وإفرادها قليل ؛ والمركبة منها موضعها الآبتداءات والوسط ، ولا تكون طرفا أخيرا بحال ؛ وطريقها أن تبدأ فيها بصدر القلم من رأسها حتّى ترد جبهتها فتخط عاليتها بوجه القلم وتفتل على هذا المنهاج إلى المَطّة السُّفلى ، وتمطها بصدر القلم ونقط ذنبها ؛ وتتوخّى فى عاليتها أن يكون على خط مستقيم لتجعلها قالبا للمطة السفلى ؛ واعتبار صحتها بآعتبار البياض الذى فى وسطها إذا آستقام
١٠ آستقامت ؛ وهذه صورتها فى الإفراد والتركيب والآبتداء :

مفردة مبسوطة — مبتدأة مبسوطة — متوسطة مبسوطة

وأما المشكولة : فلا تكون إلا مركبة ؛ وموضعها الآبتداءات والوسط ، ولا تنفرد البتة ؛ وتكون على هيئة شق لوزة فإن وصلت بألف أو لام تبينت ولا يخرج الحرف
١٥ الذى يكون بعدها من تحت رأسها أصلا ، لأن الكاف المبسوطة والمشكولة لا يجوز

أن يأتى بعـــدهما مدّة ، وإنما سميت مشكولة للجسرة التى عليها ؛ وهـــذه صورتها فى الابتداء وفى الوسط :

مبتدئة مشكولة   متوسطة مشكولة



وأما المعرّاة : فلا تكون إلا طرفا أخيرا وهى فى الصورة والشبه كاللام المطلقة ، ٥
والفرق بين اللام والكاف المعرّاة أن القائم من الكاف ثلثا المبسوط ، والمبسوط من اللام كالقائم فيها ؛ وهـذه الكاف لا تجمع أبدا ، فإن مواضعها أواخر السطور ، وهذه صفتها :

مفـــردة معـــراة



١٠

الصــورة الثـالثــة عشرة

صــورة اللام

وهى على ضربين : مفــردة ، ومركبة

الضــــرب الأول

المفــردة

٥

وهى على نوعين : مجمــوعة، ومطلقــة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبــدا من قفاها على نحــو ما وصف فى الألف المطلق، لأن الألف واللام يجريان على نظام واحد فى كل خـط لأنهما صاحبان؛ كالباء والتاء، وكالحاء والخاء ؛ وكالعين والغين . فإذا وصلت إلى شاكلته عرقت اللام عراقــة أكثر حُدُورا من البــاء، وجمعت ذنبها كما تقــدّم فى حرف الراء؛ وهذه صفتها :

١٠

مطلقــة مجمــوعة



الضـــرب الثـانى

المـــركبة

وهى على قسمين : محققة، ومبتداة معلقة .

فأما المبتـدأة المحقّقـة : فهى كالمرسلة غير أنها محذوفة المَطّة لأجل التركيب؛ وهذه صفتها :

مبتدأة محققة

وأما المبتدأة المعلقة : فتنزل فيها بعرض القـلم مائلا من يمينـك إلى يسارك، وهى تختص بثلاثة أحرف من سائر الحروف، وهى الجيم، والحاء، والخاء، ويكون مبتدؤها يوازى قفا الجيم من غير زيادة ولا إشارة إلى العراقة؛ وهذه صفتها :

مبتـدأة معلقـة



الصورة الرابعة عشرة

صورة الميم

وهى على خمسة أضرب : محققة، ومعلقة، ومسبلة، ومبسوطة، ومقتولة .

الضرب الأول

المحققة

وهى على نوعين : مبتدأة، وغير مبتدأة

فأما المحققة المبتدأة : فإنها كثيرا ما تصحب اللام؛ وصفتها إذا أردت وضعها أنك إذا صرت الى آخر الحرف الذى تريد منه الميم المحققة، تميل فيه يسيرا ثم ترجع بخط آخر بجواره طالعا فيه، ثم تعرّق كتعريق الميم المعلقة؛ وهذه صفتها :

مبتدأة محققة



وكان الشيخ عماد الدين بن العفيف إذا انتهى من الحرف الذى قبل هذه الميم يقف فيه ثم يبدأ من يمينه براء مدغمة؛ وهذه صفتها :

محققة مختتمة



وأما المحققة غير المبتدأة[1] : ... ...

(١) أغفل الكلام عليها فى الأصل .

الضـــرب الثـانى

المعلّقـــة

وهى على نوعين : مبتدأة ، وغير مبتدأة

فأما المعلقة المبتدأة : فإنها لاتحسن إلا مشعرة مع ما قبلها ، ولا تكون إلا قبل الألف ؛ وهذه صفتها :

معلقـــة مبتـــدأة

وأما المعلّقة غير المبتدأة : فإنها تختص بالبسملة على مذهب الحُذّاق .

وطريقها : أنك إذا مططت إلى آخر المطـة ، رجعت بالميم فى الخـط الذى جئت فيه ، حتى إذا بلغت هامتها فارقت ذلك الخط لئلا تجىء منافرة ؛ فإذا وصلت إلى جبهة الميم ، عرّقتها على ما رسم فى الراء المجموعة والمقوّرة والمبسوطة والمخطوفة ، وكان الأستاذ أبو الحسن بن البوّاب لا يفردها ؛ وهذه صفتها :

معلقـــة مختتمـــة



وأما المعلَّقة المبتدأة : فإنك تبدأ فيها كآبتداء المحققة، فإذا بلغت فتلتها ألصقت مَدَّتها بقفاها، والأَوْلى أن تكون مطموسة، فإذا بلغت جبهتها عَرَّقت كتعريق الراء المُدْغَمة، لا يستعمل فيها غير ذلك؛ وهذه صفتها :

معلقة مبتـــدأة



الضـــرب الثـالث

المُسْـــبَلة

ولا بأس بتركيبها وآنفرادها، غير أنك إذا وصلت إلى جبهتها أسـبلت عراقة كهيئة الألف مَلْأَى من فوقُ، وتكون حديدة الطرف؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مســـبلة　　　　مركبـــة

الضـــرب الرابـــع

المبســـوطة

وهى كالمحققة، وهى مفـــردة؛ وهـــذه صـــفتهـــا :

مبســـوطة



الضـــرب الخامس

المفتـــولة

وأكثر مواضعها بعد الهاء المدغمة على مذهب الحُذّاق . وبعض الكتّاب يجيزها مع غير الهاء، والأول أجود .

وطريقها أنك إذا جئت بها بعد الهـاء المدغمة تقوّس بصـدر القلم ثم تنزل بقدر ما قوّست، ثم تدير الميم عن يمينك وتردّ إلى يسارك شكلا مدوّرا، وتعرّقها على ما تقدّم فى المعلقة والمحققة؛ وهذه صفتها :

مفتــولة



الصــورة الخـامســة عشرة

صــورة النون

وهى على ضربين : مفـــردة، ومركبة

الضــــرب الأوّل

المفـــردة

وهى على أربعة أنواع : مجموعة، ومقوّرة، ومبسوطة، ومدغمة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بوجه القلم على خطٍّ مستقيم . فإذا نزلت منها بمقدار ما ينزل من الباء وبلغت الفتلة، أدرت القلم برفق من الفتلة بصـدر القلم،

ثم تصـير العراقة جمعا بصدر القـلم، حتّى إذا بلغت ذنبهـا ختمت بحرف القلم ؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مجمـــوعة



وأما المقورة : فإنها تكون كنصف دائرة، و يكون ذَنَبها موازيا لرأسها من غير زيادة عليه؛ و يجوز أن يكون ناقصا عنه شيئا يسيرا، وذلك قليل؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مقـــورة

وأما المبســـوطة : فأكثر ما تكون متطرّفة ولا تكون مفردة بحال . وطريقها أنك إذا نزلت على ما وصف فى المجموعة و بلغت بها الفتلة وأدرت صدر القلم الى العِراقة، جعلتها قِطْعَةَ قَوْسٍ من دائرة عظمى، حتّى يكون فيها تبطين يسير، وتختمها بحوف القلم، ولا يجوز فى شىء من مبسوطات العراقة أن يكون مرفوعا؛ ولا يجوز أن يكون إلا حديد الطَّرَف؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مبســـوطة

وأما المدغمة : فإنها لا تنفرد البَتّة؛ ولا تحسُـن الا مع ثلاثة أحرف: مع الميم وهى كثيرة المؤاخاة لهـا، ومع الـكاف، ومع العين .

وكان بعض الكُتّاب يأبى إدغام النـون ويكرهه، إلا الأسـتاذ أبا الحسن بن البـوّاب .

ولا يتقدّم هذه النونَ من سائر الحروف إلا ثلاثةُ أحرف : الميم المعلقة من سائر الميمات ، والعين الملوزة ، وهى الصاديّة من أشكال العين خاصّة ، والكاف المشكولة من أشكال الكاف خاصّة .

وطريقها أنك إذا بلغت قفا الميم أو صدر العين أو قاعدة الكاف ، صببتَ النون صبًّا فى عَرْض اللام المبتدأة المعلقة ، فإذا صببتَ ثلثيها ، ختمت العراقة على مارسم فى الراء المدغمة وعراقة الميم المدغمة ؛ وهذه صورها : ٥

مدغمة مع الميم مدغمة مع الكاف مدغمة مع العين

الصورة السادسة عشرة

صورة الهاء ١٠

وهى على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأوّل

المفردة

وهى على نوعين : معرّاة ، ومركبة

فأما المعرّاة : فطريقها أن تبدأ منَ رأسها بوجه القلم ثم تنزل إلى عجزها ميلا ١٥ إلى ذات اليمين شيئا يسيرا ، ثم تفتل إلى قاعدتها بصدر القلم إلى صدرها ، ثم تصعد بمثل ما كنت انحدرت به من وجهها إلى قفاها ؛ وهذه صفتها :

معرّاة



وأما المركبة : فهى فى الصورة قريبة من المُعَرّاة إلى صدرها ؛ فإذا بلغتَ صدرها وأنت طالع إلى وجهها ، رفعته بعرض القلم وأخرجت وجه الهاء إلى قفاها ؛ والكاتب مخير بين التقليل والتكثير فى ذلك . ويكون الطرف الخارج إلى قفاها محدّدا ؛ وهذه صفتها :

مركبــة



وإنما سميت مُرَكَّبة وإن كانت مفردة مجازا لتركيب طرفها وإلا فالمراد بالمركّب كيفما وقع فى المصطلح المختلطُ بغيره .

الضـــرب الثـانى

المركبــة

وهى على قسمين

القســم الأول

المشــقوقة

وهى على ستة أنواع : ملوّزة ، ووجه الهرّ ، ومشقوقة طولا ، ومشقوقة عرضا ، ومختَلَسة ، ومدغَمَة

فأما الملوّزة : فتكون مبتدأة ، ومتوسطة ؛ ولا تتأخر بحال . فإن كانت مبتدأة فطريقها أن تبدأ بصدر القلم مقدار نصف الهاء المفردة ، ثم تدير القلم من يسارك إلى يمينك حتى إذا وصلت إلى المكان الذى ابتدأت منه أدرت إلى يمينك أيضا حتى يصير مركز نصف دائرة محققة لطيفة بصدر القلم ، وتقف عليها وقفة خفيفة ، ثم تنزل بوجه القلم من غير إدارة حتى تصير إلى المكان الذى ابتدأتَ منه أوّلا ، فيصير رأس الهاء حادّا فى الغاية .

ومذهب الأستاذ أبى الحسن أن يكون النصف الأعلى أصغر من النصف الأسفل بجزء يسير، وهذه صفتها :

مقـــورة

هـ

وإن كانت متوســطة، فهى غير مستحســنة إلا قبل الألف، وطريقها على ٥ ما تقدّم ولها حكم، وهو أنك تجىء بالخط الذى قبلها حتى يشقها متصلا بالألف، حتى لو طرحتّ الهاء لا تصل الألف بما قبله مستغنيا عن الهاء كأنما ركبت من فوقه تركيبا، ويكون هذا العمل فى كل حرف يقع معها، وهذه صفتها :

مقوّرة مســــتديرة

ها

١٠

وأما وجه الهرّ : فتكون أيضا مبتدأة، ومتوسطة، ولا يجوز تأخيرها . وطريقها فى الابتداء والتوسط أنك تبدأ من رأسها بوجه القلم معتدل النزول شيئا قليلا، ثم تردّها عن يمينك إلى يسارك صاعدة معتدلة، ثم يصير جميعها دائرة على مركزين، فإذا بلغت المكان الذى ابتدأت منه تكففتها طولا حذارا من أن يقع فيها حَوَلٌ، ١٥ وهو أن يكون أحد شقيها أوسعَ من الآخر . وكثيرا ما يكون شقها بحرف القلم إذا كانت متوسطة .

فإن كانت مبتدأة فشقها بوجه القلم

وهذه صورتها فى الابتداء : وهذه صورتها فى التوسط

وجه الهـــر وجه الهر متوسطة





وأما المشقوقة طولا : فإنها لا تكون إلا متوسـطة ؛ ولا يجوز تقديمها ولا تأخيرها ؛ ولا تصحب من حروف المعجم غير اللام وحدها ؛ وطريقها كطريق وجه الهر ، ويفترقان فى القاعدة فتكون قاعدتها مستديرة ، وتكون اللام نازلة عليها من فوقها ؛ وعلامة صحتها أنك إذا حذفت الهاء صارت اللام متصلة بما بعدها كأنما زيدت الهاء عليها ؛ وهذه صفتها :

مشـــقوقة طـــولا



وأما المشـــقوقة عرضا : فلا تكون إلا صحبـة اللام أيضا ؛ وطريقها أنك إذا نزلت باللام معتدلة ، أدرت الهاء فلصّقتها بوجه اللام وشققت الهاء عرضا ، ولا بدّ من مدّة لطيفة تكون بعدها ؛ وهذه صفتها :

مشـــقوقة عرضا



وأما المختَلسة : فإنها لا تكون إلا مبتدأة، و يكون بعدها من الحروف حروف المدّ واللين، وهى الألف، والواو، والياء؛ وهى مطموسة؛ وهذه صفتها :

مختلســـة

وأما المدغمة : فلا تكون إلا متوسطة؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها أدرت منه إدارة لطيفة، ونزلت بها نزلة إلى ذات اليمين، ثم صَعِــدت فى خط يلاصق الخط الذى هبطت فيه من غير وخز يكون بينهما؛ وتكون مطموسة أيضا ولا يكون أسفلها أوسع من أعلاها بل يكون أعلاها أوســع شيئا يسيرا؛ و يتــوخّى فيها الترطيب ، وهو شدّة الاســتدارات، فمتى كان العمل فيها يابسا كان رديئا؛ وهذه صورتها :

مدغمـــة



القسـم الثـانى

ما يقع فى آخر الكلمة، وهى على نوعين

هاء الرِّدْف ، والمُخْفَاة

فأما هاء الردف : فطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها طلَعْت فيه بصدر القلم، ثم نزلتَ فى الخط الذى صعدتَ فيه .

هذا مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب .

ومذهب الوزير أبى علىّ بن مقلة أن تنزل فى خط يلاصق الخط الذى صَعِدت فيه، وكلاهما مستحسن؛ فإذا بلغت ثلثى ما صعدت به جئت بصدر القلم إلى وجه الهاء ولا تخرج رأسها إلى قفاها البتة؛ وهذه صفتها :

مردوفـــة

وأما المُخْفاة : فأكثر ما تصحب الحروفُ القِصار، وهى يمين أليق؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدرت منه إلى الهـاء إدارة لطيفة مهلَّة ، ثم تأتى بنصف راء مدعمة حديدة الطَّرَف مخطوفة؛ وهذه صفتها :

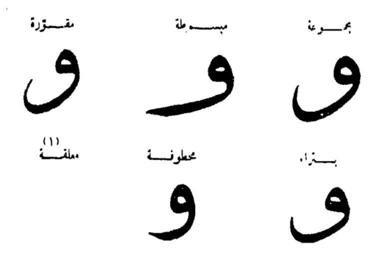
مخطوفـــة

الصورة السابعـــة عشرة

صـــورة الـــواو

ونظيرها فى التركيب الفاء، وفى الإفراد القاف، ولكن القاف أكبر مساحة من الواو، وتكون على خمسة أنواع : مجموعة، ومبسوطة، ومقوّرة، و بتراء، ومخطوفة؛ و يكون ذلك فى الإفراد والتركيب . ٥

وكان بعض الكُتّاب يجعلها معلقة كالراء المدغمة لأنها قدرها . وقد تقـدّم أن الراء والزاى، والميم، والواو قدر سواء فى كل خط .



١٠

الصـــورة الثـامنة عشرة

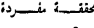
صورة اللام ألف

ولها ثلاث صور : محققة، ومخففة، و وراقية

فأما المحققة : فلا تكون إلا مفردة ولا يجوز تركيبها بحال؛ وطريقها أن تبـدأ بوجه القلم ثم تنزل به على تلك الصـــورة، ثم تمتل إلى قاعدتها بوجه القلم؛ ثم ترفع ١٥

(١) لم يضع لهـا رسما فى الأصل

القلم وقد بَطَّنْتَ قلمك فصيرت بطنه مما يلى يمينك وظهره عن يسارك؛ و يكون قدر الألف واللام قدرا سـواء فى الطول والألتواء والغِلَظ والنَّحافة؛ و يكون ما بينهمـا كواحد منهما ؛ وتكون القاعدة على هيئـة رأس الفـاء المبسوطة لكنها مقلوبة ؛ وهذه صورتها :





وأما المخففة : فيجوز فيها التركيب والإفراد وكلاهما مستحسَن جيِّد ، وصورتها فى التركيب كصورتها فى الإفراد؛ وطريقها أن تأتى بلام معلَّقة على ما تقدّم فى اللام المعلقة فى حرف اللام، ثم ترمى عليها ألفا مُعْوَجَّةً إلى ذات اليمين و يكون ذنب الألف موزونا على الخط الذى لامست به الحرف الذى قبـل اللام إن كانت مركبة؛ وهذه صفتها :

مخففـــة مركبـــة



و إن لم تكن مركبة فتشعرهما معا؛ وهذه صورتها فى الإفراد :



وأما الوراقية : فإنها كالمحققة، فإذا كتبت اللام ركبت عليها الألف وأخرجتها عنها، ثم صيرت لها منها قاعدة مثلثة حادّة الزوايا، والأولى أن تكون مفردة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا يكون هذا الشكل إلا فى قلم النسخ وما شاكله، وفى قلم المحقق وما شابهه؛ وهذه صفتها :

وراقيــــة

لا

الصـــورة التـاســعة عشرة

صـــورة البـاء

وهى على ضربين : مفـــردة، ومركبة

الضـــرب الأوّل

المفـــردة

وهى على ثلاثه أنواع : مجموعة، ومقوّرة، ومبسوطة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بصدر القـلم فتعمل رأسها دالا مقلوبة وصدرها أيضا دالا مسـتوية، فإذا تركبت الدالان جررت العراقة؛ وعلامة صحتها أن تكون الدالان صحيحتين كما تقدّم . وإذا ركبت خطا من ذنبها إلى صـدرها، صار صادا جيدة؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مجـــوعة



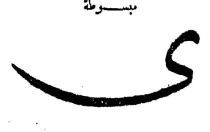
وأما المقوّرة : فبدؤها كبدء المجموعة ، غير أنك إذا وصلت إلى صدرها عرقت نصـف دائرة ، ويكون ذنبها يحاذى صدرها ، وتكون حديدة الطرف ، ولا يجوز فيها الوقف ولا الجمـع ، ويكون رأسها موزونا على صـدرها ، لا يجاوزها ، سواء آنفردت أو تركبت ، وهذه صورتها :

مقـــوّرة

ى

وأما المبسوطة : فعلى ما تقدّم فى المقوّرة ، وتفارقها من الصدر فتكون العراقة قطعة قوس مهلّلة ، وتكون حديدة الطرف ولا يجوز فيها الوقف ، وهذه صورتها :

مبســـوطة



الضـــــرب الثـانى

المركبة

وهى على ثلاثة أنواع : مبتدأة ، ومتوسطة ، ومتأخرة

فأما المبتدأة والمتوسطة : فحكمهما حكم الباء والتاء والنون وما شابهها .

وأما المتأخرة : فعلى ثلاث صور : محققة ، وراجعة ، و معلقة .

فأما المحققة : فعلى ما تقــدّم أوّلا ، غير أنك تحذف رأسها للتركيب ؛ وهــذه صـــورتها :

محققـــة

وأما الراجعة : فتختصّ ببعض الكلم دون بعض كالفاء واللام وهى مع الفاء أكثر آستعمالا .

وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها بطنتة شيئا يسيرا وجئت برأس كرأس الياء ، ويكون فيها شىء من تبطين ، ثم تجرّ القلم إلى ذات اليمين جرّة معتدلة فى التكييف ، فإذا بلغت ثلاثة أرباعها أدرت القلم برفق ، ولا تظهر الإدارة ، ثم تمرّ وأنت مديرٌ لقلمك حتى تختمها بحرف القلم فى نهاية الدقة والتحديد ؛ وهذه صورتها :

راجعـــة

وأما المعلقة : فتكون على صورة اللام المجموعة واللام المرسلة ؛ وهذه صفتها :

معلقـــة



النـــــوع الثـانى

قلم الثلث الخفيف

ويقال فيه خفيف الثلث، وهو الذى يكتب به فى قَطْع النصف، وصُوَرُه كصُوَر الثلث الثقيل المتقدمة الذكر لا تختلف، إلا أنه أدقّ منه قليلا وألطف مقادير منه بنزر يسير.

قال الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ: والفرق بينه وبين الثلث الثقيل أن الثقيل تكون منتصباته ومبسوطاته قدر سَبْع نُقَط على ما فى قلمه، على ما تقدّم، والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منه خمس نقط. فإن نقص عن ذلك قليلا، سمى القلم اللؤلؤىّ.

القـــــلم الرابـــع

قـــلم التوقيـــع

بإضافة قلم إلى التوقيع، سمى بذلك لأن الخلفاء والوزراء كانت توقع به على ظهور القِصَص، ويقال فيه قلم التوقيعات على الجمع أيضا، وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات بحذف المضاف إليه. ثم هو على نوعين:

النـــــوع الأوّل

قلم التوقيع المطلق

وهو الذى يكتب به فى قَطْع الثلث، وقد تقدّم أن أوّل من اخترعه يوسُف أخو إبراهيم السِّجْزِىّ، وأن ذا الرياستين الفضل بن هارون أُعجب به، وأمر أن تحرّر الكتابة السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياسىّ، ولعله إنما سمىّ الرياسىّ لما تقدّم من اختصاص الكتب السلطانية به أخذا من الرياسة؛ وقواعد حروفه وأوضاعُه فى الأصل قواعد قلم الثلث إلا أنه يخالفه فى أمور.

أحدها — أن قطّته إلى التدوير أميل، بخلاف الثلث فإن قطّته إلى التحريف أميل وذلك أن التوقيع آمتلاء حروفه على السواء بخلاف الثلث، فإن فيه تشعيرات تحتاج إلى التحريف .

الثاني — أن حروفه إلى التقوير أميل من الثلث، وإن كان فى الثلث ميل إلى التقوير فإنه لا يبلغ فى ذلك مبلغ التوقيع . ٥

قال لى الشيخ عبد الرحمن المكتِّب[1] الشهير بابن الصائغ : ويكون فى سطره تقويرٌ مّا على نسبة تقوير حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان فى ألفيته : وتكون منتصباته مرؤسة كما فى الثلث .

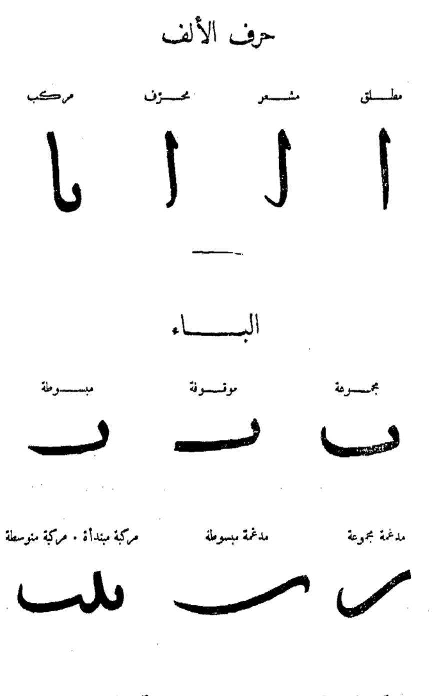
قال لى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ المكتِّبُ : ويجوز ترك الترويس فى بعض حروفه . ١٠

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثارى : ويخيَّر فيه بين الطمس والفتح فى العين المتوسطة والفاء والقاف والميم والواو وعقدة اللام ألف المحققة . وخص الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ طمس العين بالآخرة .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثارى: ويختص من الحروف الزائدة على الثلث بالراء المقوّرة والراء البتراء والراء المخطوفة والواو المقوّرة والواو البتراء والواو المخطوفة، والعين البتراء، وسيأتى ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعدُ إن شاء الله تعالى . ١٥

---

(١) قال فى الصحاح للجوهرىّ : والمكتب (كمحسن) الذى يعلم الكتابة، قال الحسن : كان الحجاج مكتبا بالطائف يعنى معلما . وفى المصباح : كتبت الغلام تكتيبا : علمته الكتابة . ا ه (تنبيه لفنان)


حرف الألف
مطـــلق
مشـــعر
محـــرّف
مركـب
البـــــاء
مجمـــوعة
موقــــوفة
مبســــوطة
مدغمة مجموعة
مدغمة مبسوطة
مركبة مبتدأة . مركبة متوسطة
مركـــة موقوفة
مركبـــة مبسوطة

الجيم

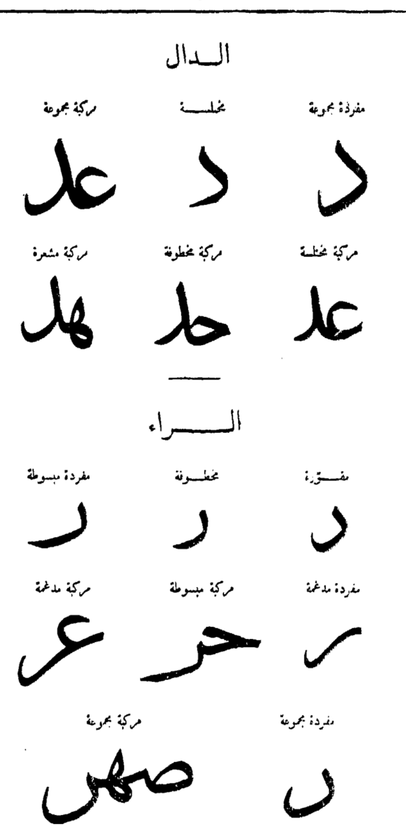
مرسلة | مسبلة | مجموعة

رتقاء مفردة مرسلة | رتقاء مقوّرة مسبلة | رتقاء مفردة مجموعة

٥

مركبة مبتدأة ملوّزة | رتقاء مبتدأة | مركبة متوسطة

مركبة مختتمة مرسلة | مركبة مسبلة | مجموعة


الـــدال
مفردة مجموعة
مخلســـة
مركبة مجموعة
مركبة مختلسة
مركبة مخطوفة
مركبة مشعرة
الـــــراء
مقـــورة
مخطـــوفة
مفردة مبسوطة
مفردة مدغمة
مركبة مبسوطة
مركبة مدغمة
مفردة مجموعة
مركبة مجموعة

٥

١٠

السين

مخسوفة مجموعة مبسوطة

مبتدأة مركبة متوسطة مخسوفة

مطرفة مبسوطة مطرفة مجموعة مفردة معلقة

مركبة مطرفة معلقة مركبة متوسطة معلقة



الصـــــاد

محـــــوفة مجمـــوعة مبســـوطة

ص ص ص

مبتـــدأة متوســـطة مطرفة محـوفة

صـ ـصـ ـص

مطرفة مجمـــوعة مطرفة مبســـوطة

ـص ـص

الطـــــاء

مفـــردة مرسلة مفـــردة موقوفة مركبـــة ملفوفة

ط ط طا

مبتدأة مبسوطة — منوسطة لقائمين — منوسطة لمبسوطين

طسم لطا سطـ

مطرفة موقوفة — مطرفة مرسلة

وط وط

العـــين

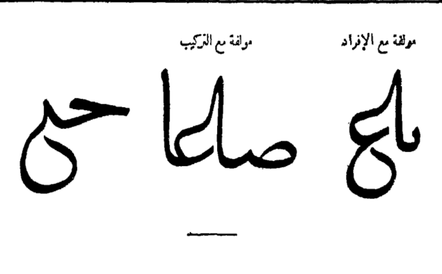
مرســـــله — مســـبلة — مجـــوعة — نعلية بينها منتصب

ع ع ع عا

نعلية بينها ما هو فى حكم المتصب — صادية بينها مبسوط — صادية بينها ما هو فى حكم المبسوط

عد عســـ عـم

موافقة مع الإفراد موافقة مع التركيب



الفـــــاء

مجموعة موقـــوفة مبســـوطة

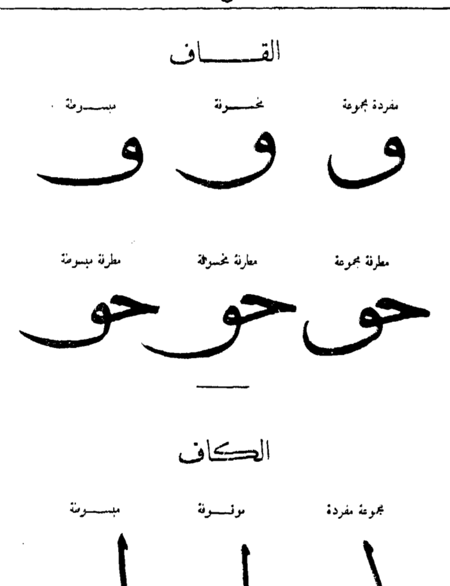
ڡ ڡ ڡ

مبـــدأة متوســـطة متطرفة مجموعة

ڡ ڡ ڡ

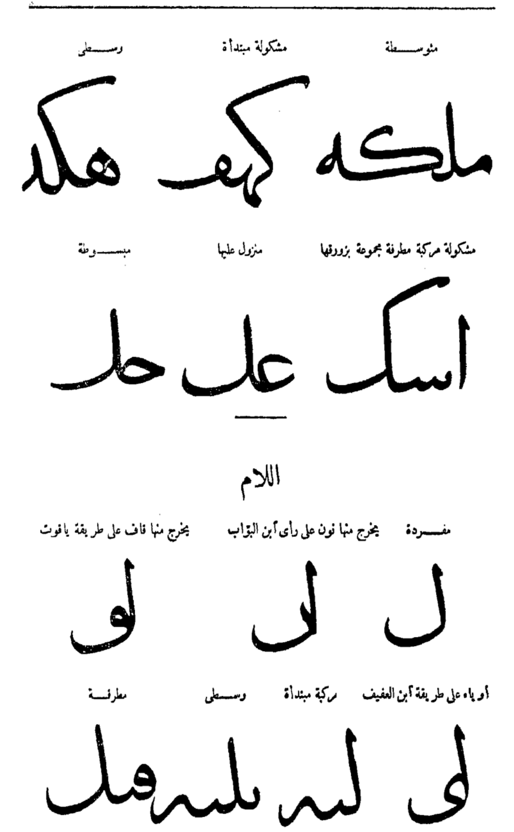
معرقة موقوفة معرقة مبسوطة

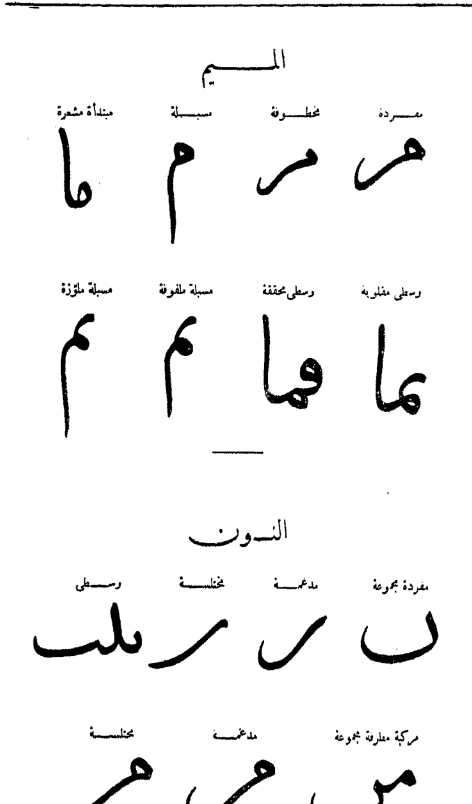
ڡ ڡ



مشكولة مبتدأة
متوسطة
مبسوطة مبتدأة

١٠


متوســـطة
مشكولة مبتدأة
وســـطى
مشكولة مركبة مطرفة مجموعة بزورقها
منزول عليها
مبســـوطة
اللام
مفـــردة
يخرج منها نون على رأى ابن البوّاب
يخرج منها قاف على طريقة ياقوت
أو ياء على طريقة ابن العفيف
مركبة مبتدأة
وســـطى
مطرفـــة


الميم
مفردة
مخطوفة
مسبلة
مبتدأة مشعرة
وسطى مقلوبة
وسطى محققة
مسبلة ملفوفة
مسبلة ملوزة
النون
مفردة مجموعة
مدغمة
مختلسة
وسطى
مركبة مطلقة مجموعة
مدغمة
مختلسة

الهـــــــاء

مفردة مربعة — مفردة مثلثة — مركبة مبتدأة ملوزة

وجه الهر — مدغمـــــة — طالعـــــة

مخطوفة — محدودبة — محققة — مردوفة

الـــــواو

مجموعة مشدودة — مبسوطة مشدودة — مجموعة مفتوحة — مبسوطة مفتوحة

و و و و

مقـــورة — محلوقة مقورة — بتــراء

و و و

٥

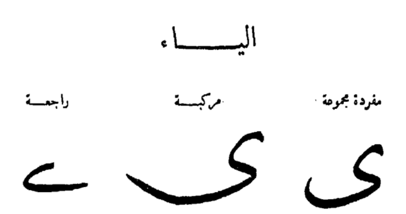
اللام ألف

محققة مفردة — مرشوقة مفردة — مركبة محققة

لا لا حلا علا

اليـــــاء

مفردة مجموعة — مركبـــة — راجعـــة



مبتدأة ثم وسطى — مركبة مجموعة — مركبة مبسوطة

مركبة راجعة — مركبة مخسوفة — مركبة مبسوطة

القـلم الخـامس

من الأقلام المستعملة بديوان الإنشاء

قـلم الرِّقَاع

بإضافة قلم إلى الرقاع ، والمعنى أنه يُكْتَبُ به فى الرِّقاع جمع رُقْعَة ، والمراد الورقة الصـغيرة التى تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقِصَص وما فى معناها ، وهو الذى يكتب به فى قَطْع العادة من المنصورى والقطع الصغير ، وصُوَره فى الأصل كصُوَر حروف الثلث والتوقيع[1] فى الإفراد والتركيب إلا أنه يخالفه فى أمور :

أحدها — أن قلمـه أميل إلى التدوير من قلم التوقيع الذى هو أميـل إلى التدوير من قلم الثلث .

قال لى الشـيخ عبد الرحمن بن الصائغ المُكَتِّب : وتكون حِلْفَةُ قلمه فى البِرَاية أقصر من الثلث والتوقيع .

الثـانى — أن حروفه تكون أدقّ وألطف من حروف التوقيع .

الثالث — أن الترويس لا يقع فى منتصـباته من الألف المفردة وأخواتهـا إلا فى القليل ، بخلاف الثلث والتوقيع فإن الترويس فيهما لازم .

الرابع — أنه يغلب فيه الطمس فى العين المتوسطة والأخيرة ، وكذلك الفاء ، والقاف ، والميم ، والواو ، وعقدة اللام ألف المحققة . أما الصاد والطاء والعين المفردة والمبتدأة فإنها لا تكون إلا مفتوحة .

الخامس — أنه يوجد فيـه من الحروف ما لا يوجد فى غيره كالألف الممـالة إلى جهة اليمين على ما سيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى الأصل : «والرقاع» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وهذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا

الألف

مطـــلق   مشـــعر   محـــرف   طالـــع

البـــــاء

مجمـــوعة   مدغمة مفردة   مدغمة مبسوطة   مفردة موقوفة

مبتدأة ، وسطى ، مطرفة   مطرفة موقوفة   مطرفة مبسوطة

الجيم

مفردة مرسلة — مفردة مسبلة — مفردة مجموعة

رنقاء مرسلة — رنقاء مجموعة — رنقاء مسبلة

مبتدأة — وسطى — وسطى مفتوحة

مطرفة مرسلة — مطرفة مسبلة — مطرفة مجموعة

الدال

مفردة مجموعة	مختلسة	مخطوفة	مشعرة
د	د	د	هد

مركبة مجموعة	مختلسة	مخطوفة
مد	عد	مد

٥

الـــــراء

مجموعة	مقورة	مخطوفة	مبتراء
ر	ر	ر	ر

مخففة	مدغمة	منعطوفة
ر	ر	ر

١٠

السين

مجموعة — معلقة — مخسوفة

س ـس س

مبسوطة — مبتدأة — متوسطة

س سلعه عسعه

مطرفة مجموعة — مبسوطة — مخسوفة — معلقة

وس وس وس وس

الصـــــاد

مجمـــوعة مبســـوطة محســـوفة

ص ص ص

أولى مركبة وسطى مركبة مطرفة مجموعة

صل وصم نص

مطرفة مبسوطة مطرفة محسوفة

الطـــــاء

مرسلة	موقوفة	مبتدأة
ط	ط	طا
متوسطة	مطرفة مرسلة	مطرفة موقوفة
حطـ	حط	عط

العين

مرسلة	مسبلة	مجموعة
ع	ع	ع
مبتدأة نعلية	مبتدأة صادية	متوسطة
عا	عـ	ـعـ
مطرفة مرسلة	مطرفة مسبلة	مطرفة مجموعة
ـع	ـع	ـع

الفـــــاء

مجـــوعة — موقـــوفة — مبســـوطة

أولى مركبة — وســـطى — مطرفة مجموعة

مطرفة موقوفة — مطرفة مبسوطة

القاف

مفردة مجموعة — مخسوفة — مبسوطة — مبتدأة

متوسطة — مطرفة مجموعة — مطرفة مخسوفة — مبسوطة

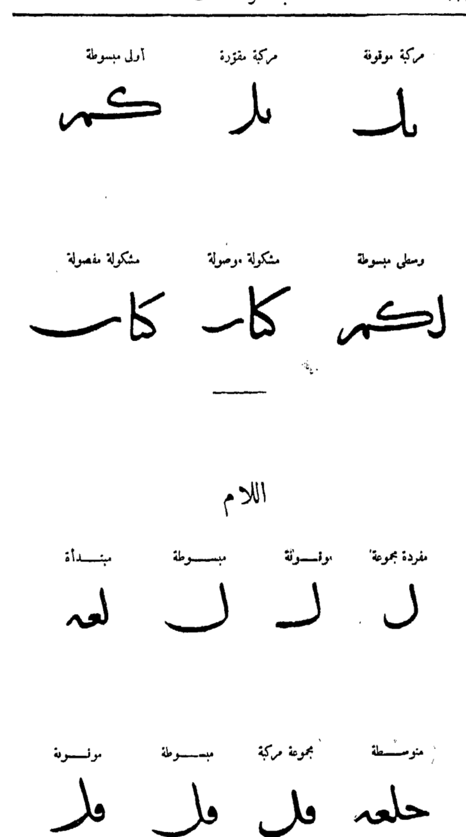
٥

الكاف

مجموعة — موقوفة — مبسوطة — أولى مشكولة

وسطى مشكولة — مركبة مجموعة

١٠


مركبة موقوفة
مركبة مقوّرة
أولى مبسوطة
وسطى مبسوطة
مشكولة موصولة
مشكولة مفصولة
اللام
مفردة مجموعة
موقوفة
مبسوطة
مبتدأة
متوسطة
مجموعة مركبة
مبسوطة
موقوفة

الميم

مفردة معلقة — مخطـــوفة — مســـبلة — مبتدأة مركبة

وسطى مركبة — مطرقة معلقة — مركبة مسبلة — مختتمة محققة

النون

مجمـــوعة — مدغمة مجموعة — مدغمة مبسوطة

مبســـوطة — مخســـوفة — أولى . وسطى

مجموعة مركبة — مبسوطة مركبة — مخسوفة مركبة

الهاء

مربعة	مدوّرة	وجه الهر	مدغمة
ه	ه	همر	وهدا

مشقوقة عرضا	ملوّزة	مشقوقة طولا	محدودبة
جها	بهلع	لها	مه

محققة	مختطفة	مختلسة
وه	وه	وه

الواو

مجموعة مفردة	مبسوطة مفردة	مجموعة مركبة	مبسوطة مركبة
و	و	فو	عو

اللام ألف

مرسلة	محققة مركبة	مفتودة	محققة مفردة
ولا	حلا	لا	لا

اليـــــاء

مبتدأة . وسطى	راجعة	مخسوفة	مجموعة مفردة
ـبـ	ے	ى	ى

راجعة مركبة مختتمة　　مخسوفة مركبة　　مجموعة مركبة

القـــلم السـادس[1]

قــلم الغُبـار

سُمِّىَ بذلك لدقته ، كأن النظر يضعُف عن رؤيته لدقته كما يضعُف عن رؤية الشيء عنـد ثَوَرَانِ الغُبار وتغطيته له ، وهو الذى يكتب به فى القطع الصـغير من ورق الطير وغيره .

و به تكتب بطائق الحمام التى تحمل على أجنحتها فى ورق الطير . و بعضهم يسميه قلم الجَنَاح لذلك ، وهو قلم ضئيل مولَّد من الرقاع والنسخ ، مفتَّح العُقَدِ من غير ترويس فيه ، وينبغى أن تكون قَطّته مائلة إلى التدوير لتفترعه عن الرقاع والنسخ .

وهذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا

ا ب ر سـ د د ر ر س س ص ص ط ع ف ف ق و ك ل ل

ن ه و و لا لا لا ى ى ك

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الامام على رضى الله عنه الى بعض عماله

لا تؤخر عمل اليوم لغد فتداك عليك الأعمال

وان للناس نبوة عن سلطانهم ونفرة اعوذ

بالله ان تدركنى واياك ضغاين محمولة فى صدر طويل

---

(١) هو فى الحقيقة سابع لتكلمه على خفيف الثلث فيما سبق فى الكلام على قلم الثلث حيث قسمه الى نوعين : ثقيل وخفيف . فلم يترك من الأقلام شيئا كما قد يتوهم .

وهذه الصورة المصطلح عليها الآن : (وقد أجازوا فيها الفتح والطمس جموما)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
قال الامام امير المؤمنين علي كرم الله وجهه
المعروف قروض والايام دول ومن توانى
عن نفسه ضاع ومن قاهر الحق قهر والسلام

٥

الجملة السابعة

فى كتابة البسملة

و بيان صورتها فى كل قلم من الأقلام المستعملة فى ديوان الإنشاء ؛ وفيها مَهْيَعان

المَهْيَع الأوّل

١٠

فى ذكر قواعدَ جامعةٍ للبسملة فى جميع الأقلام ؛ وتشتمل على ثمانِ قواعدَ :

الأولى — قد آتفق الكُتّاب على تطويل باء البسملة أكثرَ مما يطول به غيرها من الباءات التى فى أوّل الكلمة . وسيأتى فى الكلام على البسملة فى المقالة الثالثة أنها طوّلت بدلا من الألف المحذوفة بينها و بين السين لكثرة تكرّارها . وقد ذكر بعضُ المصنّفين فى الخط أنها تكون بمقدار ثُلُثَىْ ألف ذلك الخطّ .

١٥

وقد سبق القول على مقدار ألِف كلّ قلم فيما تقدّم ؛ وهذا أصل يترتب عليه غيره .

الثانية — فى البسملة خمسُ أخوات متساويات فى الطول والآنتصاب ، وهى : ألف الجلالة ، والألف واللام من الرحمن ، والألف واللام من الرحيم ؛ فكلُّها على مقدار واحد ، وقد سبق .

٢٠

الثالثـة — فيها أربع أخوات متساويات فى الإرسال : وهى إرسالةُ الميم من بسم، وإرسالة الراء من الرحمن، وإرسالة الراء من الرحيم، وإرسالة الميم من الرحيم.

الرابعـة — فيها أربع أخَوات متساويات فى الضَّوْء : وهى المـيم من بسم، والهاء من الجلالة، والميم من الرحمن، والميم من الرحيم .

٥ الخامسة — فيها أختان متناسبتان فى المقدار : وهما الحاء من الرحمن، والحاء من الرحيم .

السادسة — أنّ لامات الجلالة تكون موازيةً من أعلاها للباء فى أوّل البسملة إلا أن اللام الثانية من لامات الجلالة تكون أخفضَ من اللام الأولى بيسير .

قال آبن عبد السـلام فى الميزان : بحيث لا يُدْرَك ذلك إلا بتأمـل . والذى ١٠ ذكره الشيخ زينُ الدين الآثارىّ أنها تكون ناقصة عنها بقدر نُقْطة (يعنى من نُقَط قلم كتابتها) وتكون الهاء أخفض من اللام الثانيةِ مثل ذلك .

السابعـة — أن يكون بين الباء والسين قدرُ رُبُع ألِف من ألفات ذلك الخط، وتكون أسنان السين منها محدّدةَ الأطراف، ويكون الأخذ من كل سِنٍّ من أسنان السين من أعلاها آخذا فيها إلى أسفل مع التساوى من الأعلى وكذا من الأسفل، ١٥ بحيث إنه إذا خُـطَّ خطٌّ من أسفل الباء إلى آخر السـين لاصق بهما ووقع على الآستقامة، ثم يأخذ فى مدّ السين من أعلى السِّنَّة الأخيرة منها، وتكون أصابعه مقدّمة وكُلْوة يده مؤخَّرةً .

الثامنـة — أن يكون البسط بين اللام الأولى والثانية منخسفا لا مستويا، وكذلك ما بين اللام الثانية والهـاء .

المهيـــع الثـــانى
فى بيان صورة البسملة فى كل قلم من الأقلام التى تستعمل فى ديوانـــ الإنشـــاء

قد تقدّم أن الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء مما يكتب به كُتّابَ ستةَ أقلام وهى : مُخْتَصَرُ الطُّومار، وقلم الثلث الثقيل والخفيف، وقلم التوقيعات، وقلم الرِّقاع، وقلم الغُبار، إلا أن المحقّق لا بسملةَ له فى ديوان الإنشاء، لأنه إنما يستعمل فى كتابة طُغْراة كتّاب على ما تقدّم ذكره، ولا بَسملة للطغراة .

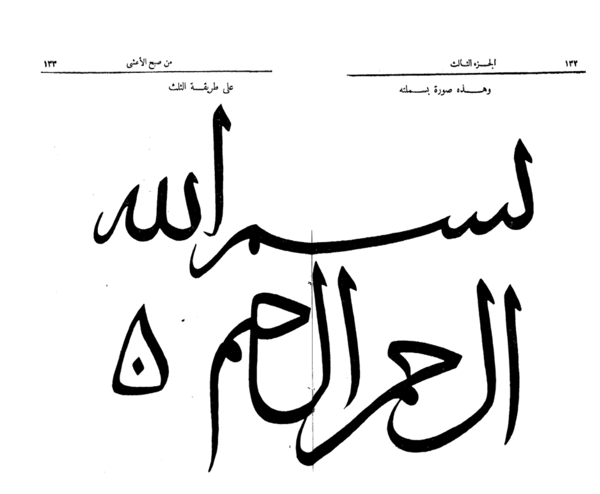
اللهم إلا أن يكتب مختصر الطُّومار على طريقة المحقّق فتكتب البسملة فيه على طريقة المحقق، بخلاف قلم الغُبار فإنه يُكتَبُ به فى الملَطِّفات فيُحتاج إلى البسملة وإن لم يحتج إليها فى البطائق .

ولتعلم أن صورة البسملة فى هـــذه الأقلام تختلف ما بين صورة واحدة لكلّ قلم فأكثر . وقـــد ذكر صاحب العناية الربانيـــة صُوَرا من ذلك، وأنا أوردها على الترتيب إن شاء الله تعالى .

فأما بسملة قلم مختصر الطومار، فقد تقدّم أن طريقته طريقة الطّومار، وأن الطومار تارةً يُكْتَب على طريقـــة المحقّق وهو الأكثر، وتارةً يُكْتَب على طريقـــة الثلث، وعليه عمل كُتّاب الإنشاء، وربما عملوا على طريقة المحقّق، وحينئذ فإن كان المكتوب على طريقـــة المحقّق فبسملته على طريقة المحقّق مع آمتلاء قلمه على حدّ قلم مختصر الطومار على ما تقدّم بيانه .

وهـــذه صورة بســـملته

على طريقــة الثلث



وأما قلم الثلث الثقيل وقلم الثلث الخفيف فطريقهما واحدة لاخُلْفَ بينهما إلا فى رِقّة القَلَمَ وغِلَظِه على ما تقدّم بيانه فى الكلام على أصل الأقلام . وللبسملة فيهما ثلاثُ صُوَر :

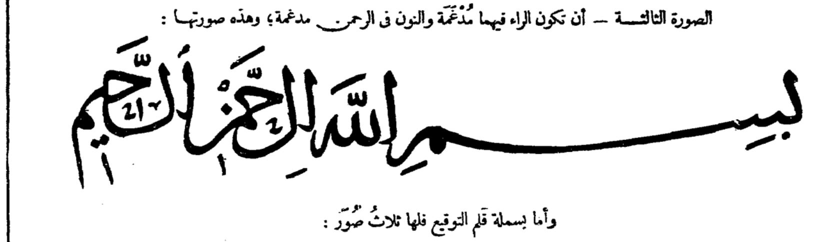
الصورة الأولى — أن تكون الراء فى الرحمن وفى الرحيم مخسوفةً ، وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الصورة الثانيـة — أن تكون الراء فيها مجموعة والنون في الرحمن مجموعة؛ وهذه صورتها :



الصورة الثالثـــة — أن تكون الراء فيهما مُدْغَمَة والنون فى الرحمن مدغمة؛ وهذه صورتهـا :



وأما بسملة قلم التوقيع فلها ثلاثُ صُوَر :

الصورة الأولى — مختصرة من قلم الثُّلُث فتكون كهى، إلا أنها أدقّ قلماً منها؛ وهذه صورتهـا :

الصورة الثانية — أن تكون الحاء فيها فى الرحمن مقلوبة وفى الرحيم مُلَوَّزة؛ وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الصورة الثالثة — أن تكون الحاء فيها فى الرحمن والرحيم مقلوبة؛ وهذه صورتها :

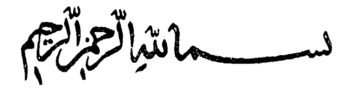
بسم الله الرحمن الرحيم

وأما بسملة قلم الرقاع ، فإن السين تكون فيها بالتدريج ، كل سنٍّ دون التى قبلها بيسير ؛ والكاتب فيها مخيّر بين وصل أسنانها وفصلها فصلا يسيرا . وقد آصطلحوا على أن تكتب الألفُ التى قبل الجلالة فيها متصلةً بميم بسم ، وتكون مثل الألف والصاعد فى قلَم الرِّقاع ، ثم يجعل لها ذَيْلٌ وتُوصَل بالجلالة ؛ ولهـا ثلاث صُوَر :

الصورة الأولى — أن تكون الراء فيهـا مدغَمَة ، والحـاء فى الرحمن والرحيم مقلوبة ؛ وهذه صورتها :



الصورة الثانية — أن تكون الراء فيها مدغمة والحاء رتقاء ؛ وهذه صورتها :



الصورة الثالثة — أن توصل الألف بالجلالة من أعلاها ؛ وهذه صورتها :



وأما بسملة الغبار [فلها صورة واحدة وهى هذه][1]

(١) زيادة يقتضيها السياق .

الجملة الثامنة

فى وجوه تجويد الكتابة وتحسينها؛ وهو على ضربين

الضرب الأوّل

حسن التشكيل

قال الوزير أبو علىّ بن مُقْلة : وتحتاج الحروف فى تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء : ٥

الأوّل — التوفية؛ وهى أن يُوَفَّى كلُّ حرف من الحروف حَظَّه من الخُطُوط التى يركب منها : من مقوّس ومُنْحنٍ ومُنْسَطِح .

الثانى — الإتمام؛ وهو أن يعطى كلُّ حرف قِسمتَه من الأقدار التى يجب أن يكون عليها : من طُول أو قِصَر أو دِقَّة أو غِلَظ . ١٠

الثالث — الإكمال؛ وهو أن يؤتى كُلُّ خط حظَّه من الهيئات التى ينبغى أن يكون عليها : من آنتصاب، وتسطيح، وآنكباب، وآستلقاء، وتقويس .

الرابع — الإشباع؛ وهو أن يؤتى كلُّ خط حظه من صَدْر القلم حتّى يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدقَّ من بعض ولا أغلظَ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية مثل الألف والراء ونحوهما . ١٥

الخامس — الإرسال؛ وهو أن يُرْسِلَ يدَه بالقلم فى كل شكل يجرى بسرعة من غير آحتباس يُضَرِّسه ولا تَوَقُّف يرعشه .

الضـــرب الثـانى

حسن الوضـــع

قال الوزير : ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء :

الأوّل — الترصيف؛ وهو وصل كلّ حرف متصل إلى حرف .

٥ الثـانى — التأليف؛ وهو جمـع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضـل ما ينبغى ويحسن .

الثـالث — التسطير؛ وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتّى تصير سطرا منتظم الوضع كالمِسْطَرة .

الرابع — التنصيل؛ وهو مواقع المَدّات المستحسنة من الحروف المتصلة .

١٠ وآعلم أن المَدَّ فى الخط قديم، فقد حكى أبو جعفـر النحاس فى "صناعة الكتّاب" : أن أهل الأنبار كانوا يكتبُون المَشْق . وكأنه يريد أنهم كانوا على ذلك فى القـديم، فقد تقدم أن أوّل ما تعلَّم أهلُ الحجاز الخَطَّ من أهـل الأنبار . على أن صاحب "موادّ البيان" قـد حكى أن جماعة من المحررين كانوا يكرهون المَشْـق لإفساده خطَّ المبتدئ ودلالته على تَهاوُن المنتهى .

١٥ قال : ولذلك كرهوا كتابة البسملة بغير سـين مبيَّنة ثم صارت كراهة ذلك سُنَّة وعُرْفا . والذى عليه حُذَّاق المحررين آستعمال المدّ .

قال فى "موادّ البيان" : وهذه المدّات تستعمل لأمرين : أحدهما أنها تحسِّن الخط وتفخِّمه فى مكان كما يُحَسِّن مدُّ الصوت اللفظَ ويفخِّمه فى مكان . الثانى أنها ربمـا أوقعت ليتم السَّطْر إذا فضل منه مالا يتَّسـع لحرف آخر؛ لأن السطر ربمـا

٢٠ ضاق عن كلمتـين وفَضَل عن كلمة فتمدّ التى وقعت فى آخر السـطر لتقع الأخرى فى أوّل السطر الذى يليه .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : مواضع المدّ أواخر السطور، وتُكْره إذا كانت سينا مدغمة .

قال فى "موادّ البيان" : فيجب على الكاتب أن يعرف أحكامها لئلّا يوقعها فى غير المواضع اللائقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسُد المعنى، مثل أن يوقع المدّ فى متعلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستعلم، أو يوقع المدّ فى متسلم بين الميم والتاء فتشتبه ٥
بمستسلم . ثم قال : وبالجملة فالكلمة الأصلية آسما كانت أو حرفا أو فعلا لا تخرج عن أربعة أصناف :

الصنف الأوّل

الثنائية

وهى إما أسماء مضاعفة أو أفعال أو حروف . ١٠

فالأسماء : نحو ندّ، وضر، وسِرّ، وشَرّ، وظِلّ، وطَلّ، وما أشبه ذلك .

والأفعال : نحو قُلْ، وكُلْ، وقُمْ، وعُدْ، ونَمْ، وسِرْ، ونحو ذلك .

والحروف : نحو هل، وبل، وقط، وقد، ومذ، وعن، ولو، ولم، ومِنْ، وما، وما يجرى مجرى ذلك .

فأما الأسماء والأفعال الثنائية فقد ذكر فى "موادّ البيان" : أنه لا يحسن المدّ ١٥
فى شىء منها إلا فى سِرّ، وشَرّ، من الأسماء وسِرْ من الأفعال لأن السين أو الشين وإن كان كل منهما حرفا على حياله فى صورة ثلاثة أحرف . .

قال : وقد يحسن فى نحو ظل، وطلّ، فى بعض المواضع .

وأما الحروف الثنائية فقد ذكر فى "موادّ البيان" : أنه لا يَحسُن المدّ فيها .

وحـكي صاحب "منهاج الإصابة" : أن بعض الكتّاب كان يمـدّ فى أواخر السـطور مثل ما، وهل، وعن . ثم حـكى عن أبى القاسم بن خلوف : أن ذلك لا يجوز فى عن فى أوّل السطر ولا فى آخره .

الصـــنف الثـانى

الثـــلاثيـــة

٥

قال فى "موادّ البيان" : والمدّ فيها على الأكثر قبيح لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين .

قال : ومنها ما يُسمَح فى مدّه للضرورة كما إذا وقع فى آخر سطر يحتاج إلى التتميم فيمَدّ كبيع وقطع ونحوهما . وعلى نحو من ذلك جرى صاحب "منهاج الإصابة" ثم قال : ويجوز أن تمدّ إذا كان ثالثها ألفا أو لاما .

١٠ وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : كان والدى يمدّ فى الكلمة الثلاثيّة إذا كان أوّلها الجيمُ وأخواتها، والطاء، والسين، والعين .

قال فى "موادّ البيان" : وينبغى إذا مُدّ أن يُقدَّم الحرفان الأوّلان وتُوضَع المدة بينهما وبين الثالث . أما عسى، ومتى، وفتًى، ونحوها فإنها لا تحتمل المدّ بحال .

الصـــنف الثالث

الرباعيـــة نحـــو محمـــد وجعفر

١٥

قال أبو القاسم بن خلوف : والمدّ فيه جائز بل المدّ فيه أحسن من القصر .

قال فى "موادّ البيان" : ولا يجوز أن يقدّم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدّة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل يوقع المدّ بين الحرفين الأوّلين والحرفين الآخرين فقط . قال : على أن منها ما لا يحسُن المدّ فيه نحو : تغلب، وخبير، ومير .

الصـــنف الرابع
الخُمَاســية

نحو : مشتمِل، ومستقِلّ، ومسيطِر، ومهيمِن .

وقد آختلف علماء الخـط فيه على مذهبين : فذهب صاحب "موادّ البيان" إلى أن المدّ فيها لا يحسُن، فإنها لا تنقسم بقسمين متساويين كما فى الثُّلاثيّة، وذهب أبو القاسم بن خلوف إلى أن المدّ فيها لازم، لا يجوز تركه . ثم إذا مدّ فالذى ذكره فى "موادّ البيـان" أن الأحسن أن يُقدِّم حرفين ويُوقِـعَ المدَّ بينهما وبين الثلاثة الأحرف الأخر .

أما ما كان زائدا على خمسة فقد ذكر صاحب "العناية الربّانية" أنه يُرجَع فيه إلى الأصول . ويعتبر من السُّداسيّ[1] فإنه مدّ فيما بعد السين من مسلمون وبعد التاء من معتبر .

قال فى "موادّ البيان" : ويصـح المدُّ فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولا بضمير كناية مثل : كتبته، وعلمته، وفيه، ومنه، وعليه، وإليه، إذا وقعت المَدّةُ بين تمام الكلمة والضمير .

قال : ومَشْق السين يُحَسِّن الخطَّ فى بعض المواضع، ويقبُح إذا وقعت طَرَفًا نحو مَشْق السين من العباس والجواس؛ وأقبحُ من ذلك مشقُها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدّمها نحو يأنس، وعانس، وجالس، وناعس . وإذا توالتْ سينان أو سين وشين، فالأحسن أن يفصل بينهما فى الخط المحرّر بمَدّة لطيفة نحو مَسَسْت وغَشَشْت ورَشَشْت .

(١) لعل الصواب من الثلاثى بالثامين المثلثين .

قال أبو القاسم بن خلوف : ومن الحروف مالا يحسُن المدّ بعده إذا كان مبتدأ وهو الباء وأختاها ، والياء ، والفاء ، والقاف ، واللام ؛ وأما الكاف المشكولة فإنه لا يجوز مدّ ما بعدها فى ابتداء ولا توسّط .

وقد ذكر الشيخ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته حروفا يجوز مدّها فى مواضع :

٥ أحدها — الباء وأختاها ، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل : بَدْر ، أو راء مثل : برّ ، أو ميم مثل : تم ، أو هاء مثل : بهز ؛ وأنه ربما مُدّت إذا كان بعدها لام مثل : بل ، أو لام ألف مثل : بلا .

الثانى — الجيم وأختاها ، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل : حداد ، أو راء مثل : حرير ، أو ميم مثل : حم ، أو هاء مثل : جهر .

١٠ الثالث — السين وأختها ، وتمدّ إذا كان بعدها راء مثل : سرّ ، أو ميم مثل : سم ، أو هاء مثل : سهم .

الرابع ، والخامس — الصاد وأختها ، والطاء وأختها ، فلا يجوز مدّ واحد منها بحال .(1)

السادس — العين وأختها ، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل : عد ، أو راء مثل : عر ، أو ميم مثل : عم ، أو هاء مثل : عهن .

١٥ السابع ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر ، والحادى عشر — الفاء ، والقاف ، واللام ، والميم ، والهاء ؛ فحكمها حُكم العين وأختها فى جواز المدّ فيما تقدّم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ولا يجوز الجمع بين مدّتين فى كلمة واحدة و "على" تمدّ إذا كانت الياء ممتزقة ، فإن كانت راجعة لم يجز المدّ أصلا ، لأنه يجتمع فى كلمة ثلاثيّة مدّتان .

٢٠ قال فى "موادّ البيان" : ويقبُح أن تَمُدّ حرفين تُوالى بينهما فى سطر واحد ، وأن تُوقِعَ حرفين ممدودين فى سطرين : أعلى وأسفل على تقابلٍ وتحاذٍ .

(1) الكلام فيما يجوز مده فإثبات هذا القسم سهو من المقسم .

قال السَّرَّمَرِّىّ : وإن كان فى آخر الكلمة ياء لم يجز المدّ قبل الياء . قال : ولذلك لا يجوز المدّ بعد السين فى آسم موسى : ولا قبلَ[1] السين فى آسم عيسى .

قال الآثارىّ : وأجاز بعضُهم مدَّ العين منه بخلاف السين .

قال آبن العفيف : ولا تُدْغم الواو والنون بعد مدّ أصلا فى خفيف ولا ثقيل .

قال : ولا يحسُن إدغامُ السين بعد الكاف المشكولة ، ويجوز بعد اللام والميم . ٥

قال فى "مواد البيان" : ويقبُح أن تكتب ياءان معطوفتان متقاربتان فى سطر واحد .

قال الشيخ عماد الدين بن الشيرازى : وإذا توالت العراقات وكان فيها الياء وجب أن تكون راجعة إلى ذات اليمين .

قال آبن أبى رقيبة : سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف : هل يكون ذلك فى كل قلم؟ قال نعم ! إذا تمكّن الكاتبُ من وضعها إلا فى المحقّق فإنه غير جائز . ١٠

قال السَّرَّمَرِّىّ : وإن أتتْ ياءان متقاربتان مثل قول القائل "لى صلى" رُدَّ ياء الأخرى من الكلمتين دون الأُولى ، وإن شئت عرَّقتهما جميعا ، وهو آختيار الوزير آبن مقلة . قال : وتردّ الياء بعد الألف واللام مثل : إلى فى خفيف الأقلام دون ثقيلها على الأحسن .

قال الآثارى : وإذا توالت حروفٌ متشابهةٌ كتبت القصير منه مقدَّما على الطويل ١٥

الصنف الخامس[2]

مراعاة فواصل الكلام

قال فى "موادّ البيان" : وذلك بأن تميز الفصول المشتمل كلُّ فصلٍ منها على نوع من الكلام عمّا تقدّمه : لتُعرف مَبادئُ الكلام ومَقاطعُه ؛ فإن الكلام ينقسم فُصُولا طِوالا

(١) كذا فى الضوء أيضا والمراد سواء آتصل المد بالياء أو كان قبله فى كلمته . ٢٠

(٢) لم يترجم فى الضوء بخامس ، ولا بسادس ، وآقتصر فى الترجمة على ما بعدهما وهو المناسب .

وقصارا، فالطّوال كتقسيم منثور المترسل إلى رسائله، ومنظوم الشاعر إلى قصائده . ومثل هذا لا يحتاج إلى تفصيل، لأنه لا يشكل الحال فيه فى الرسالة أو القصيدة بغيرها آتصالا وآنفصالا .

والفصول القطار كآنقسام الرسالة إلى الفصول، والقصيدة إلى الأبيات . ومثل هـذا قد يشكل، فينبغى أن تُميَّز تمييزا يؤمَنُ معهُ من الآختلاط، فإن ترتيب الخط يفيد ما يفيده ترتيبُ اللفظ . وذلك أن اللفظ إذا كان مرتَّبا تخلَّص بعضُ المعانى من بعض، وإذا كان مُختلِّطا أشكلت معانيه، وتعذر على سامعه إدراك محصوله .

وكذلك الخط إذا كان متميز الفُصُول، وصل معنى كلِّ فصل منه إلى النفْس على صورته، وإذا كان متصلا دعا إلى إعمال الفكْر فى تخليص أغراضه .

وقد آختلفت طُرُق الكُتَّاب فى فصول الكلام الذى لم يُمَيَّزْ بذكر باب أو فصل ونحوه . فالنُّسَّاخ يجعلون لذلك دائرة تفصل بين الكلامين، وكُتَّابُ الرسائل يجعلون للفواصل بياضًا يكون بين الكلامين من سجع أو فصل كلام، إلا أن بياض فَصْل الكلامين يكون فى قدر رأس إبهام، وفصل السجعتين يكون فى قدر رأس خِنْصر .

قال فى "موادّ البيان" : وينبغى ألّا تكون الجملة فى آخر السطر والفاصلة فى أول السطر الذى يليه، فإنه مُلْبِس لآتصال الكلام؛ بل لا يجعل فى أول السطر بياضا أصلا لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور؛ ولا أن يُفْسِح بين السطر والذى يليه إفْسَاحًا زائدا عما بين كل سطرين، ولكن يُراعى ذلك من أول شروعه فى كتابة السطر فيقدّر الخط بالجمع والمشق حتَّى يخلُص من هذا العيب .

الصنف السادس

حسن التدبير في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها

لأن السطور في المنظر كالفصول، فإذا قطع السطر على شيء يتعلّق بما بعده كان قبيحا، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول السطر الذي يليه .

ثم للفصل المستقبَح في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان :

الصنف الأول

فصلُ بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض، وتفريقها في السطر والذي يليه

مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" في آخر السطر، فيكتب الكافَ والتاءَ والألف في آخر السطر، والباء في أول السطر الذي يليه؛ أو يقع في آخر السطر لفظُ "مسرور" فيكتب الميمَ والسينَ والراء فيه، والواوَ والراء الثانيةَ في أول السطر الذي يليه ونحو ذلك .

قال في "موادّ البيان" : وهو قبيح جدًّا لأنه لا يجوز فصل الاسم عن بعضه . قال : وأكثر ما يوجد ذلك في مصاحف العامّة وخطوط الورّاقين؛ والحامل لهم على ذلك في الغالب هو ضيق آخر السطر عن الكلمة بكمالها؛ ومن هنا احتاج الكاتب إلى النظر في ذلك بالجمع والمشق من حين شروعه في كتابة أول السطر على ما تقدّم .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : وإنما وقع مثل ذلك في المصاحف التي كتبت في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط، فربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر ويجعل باقيها في السطر الثاني .

وعلى ذلك حمل ما رُوى أن عثمان رضى عنه ، قال : " إنّ فى المُصْحَف لَحْنًا ستُقيمُه العربُ بألسِنَتها " إذ لا جائز أن يكون ذلك لَحْنا فى اللفظ فقد أجمع الصحابةُ رضوانُ الله عليهم على أن ما بين دَفّتَى المصحَف قُرْءانٌ ، ومحالٌ أن يجتمعوا على لحن . على أن هــذه الرواية غيرُ مشهورة عن عثمان رضى الله عنه كما أشار إلى ذلك الشاطبى بقوله فى الرائية :

ومَنْ رَوى سَتُقِيمُ العُرْبُ ألسُنُها * لَحْنًا بِهِ قولَ عثمانـ فما شُهِرا

الصــنف الثـانى

فصـــل الكلمـــة التـامة وصلتهـا

مثل أن يكتب " وصلّ كتابُك وأيّدك الله " مُفَصَّلات ، فيكتب " وصل " فى آخر السطر و " كتابك " فى أوّل الذى يليه ، أو يكتب " أيّدك " فى آخر سطر وآسم " الله " تعالى فى أوّل الذى يليه ، وما جرى مجرى ذلك .

قال فى " موادّ البيان " : والأحسن تجنُّبه إذا أمكن ، فإن لم يمكن فيتجنَّبُ القبيحُ منه ، وهو الفصــل بين المضاف والمضاف إليــه ، كعبد الله وغلام زيد وما أشـبه ذلك ، لأنّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة الآسم الواحد ؛ والفصلُ بين الآسم وما يتلوه فى النسب ، كقولك زيدُ بنُ محمد ، فلا يجوز أن يُفْصَل بين الآسم والمنسوب إليه كما لا يجوز أن يفصَل بين المضاف والمضاف إليه . قال : فإن كان المراد بلفظة آبن تثبيت البنوّة كقولك لزيد آبنٌ جاز قطع الآبن عما تقدّمه . وكأنه إنما آمتنع ذلك لأن لزيد لا يستقل بنفسه فلا يدخله لبس بخلاف غلام زيد ونحوه . ثم قال : ومما يقْبُح فصلُه الفصْلُ بين كل آسمين جُعلا آسما واحدا نحو : حضرموت ، وتأبط شرًّا ، وذى يَزَن ، وأحدَ عشَر .

قلت : وباب الخط وأقلامه وحسن تدبيره متسع لا يسع آستيفاؤه .

الفصل الثالث

من الباب الثانى من المقالة الأولى

في لواحق الخط، وفيه مقصدان

المقصد الأول

في النقط؛ وفيه أربع جمل ٥

الجملة الأولى

في مسيس الحاجة إليه

قال محمد بن عمر المدائنيّ : ينبغى للكاتب أن يُعْجِم كتابَهُ ، ويبيِّن إعرابه ؛ فإنه ، متى أعراه عن الضبط، وأخلاه عن الشكل والنقط كثر فيه التصحيف، وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده إلى آبن عباس رضى الله عنه أنه قال : ١٠ "لكُلِّ شيء نُورٌ، ونُورُ الكتاب العَجْم" . وعن الأوزاعيّ نحوه .

قال أبو مالك الحَضْرميّ : أىُّ قلم لم تُعجَم فُصُوله ، آستعْجمَ مَحْصولُه . ومن كلام بعضهم : "الخُطُوط المُعْجَمة، كالبُرُود المُعْلَمة" .

ثم قد تقدم فى الكلام على عدد الحروف أن حروف المعجم تسعةٌ وعشرون حرفا ، وقد وُضعتْ أشكالُها على تسعةَ عشرَ شكلا . فمنها ما يشترك فى الصُّورة ١٥ الواحدة منه الحرفان : كالدال والذال والراء والزاى ، والسين والشين . ومنها ما يشترك فى الصورة الواحدة منه الثلاثةُ : كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء . ومنها ماينفرد بصورة واحدة كالألف ، ومنها ما لايلتبس حالةَ الإفراد ، فإذا رُكِّب ووُصِل بغيره آلتبس : كالنون والقاف ، فإن النون فى حالة الإفراد منفردةٌ بصورة ،

فإذا رُكِّبت مع غيرها فى أوّل كلمة أو وَسَطها ، اشتبهت بالباء وما فى معناها ؛ والقاف إذا كانت منفردة لا تلتبس ، فإذا وصلت بغـيرها أوّلا أو وسطا التبست بالفـاء ، فاحتيج إلى مميز يُمَيِّز بعض الحُروف من بعض : من نقط أو إهمال ليزول اللَّبْس ، ويذهبَ الاشتراكُ .

٥ قال الشـيخ أثير الدين أبو حيان : ولذلك ينبغى أن القاف والنـون إذا كتبا فى حالة الإفراد على صُورتهما الخاصَّة بهما لا يُنْقطان ، لأنه لا شبه بينهُما ولا يُشْبهان غيرهما ، فيكونان إذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعضُ مشايخنا الاشـتراك فى صورة الحروف . وقال : الصورةُ والنقطُ مجموعُهما دالٌّ على كلّ الحرف .

إذا تقرّر ذلك فالنقط مطلوب عنـد خوف اللَّبْس ، لأنه إنمـا وُضع لذلك ؛

١٠ أما مع أمن اللَّبْس فالأَوْلى تركُه لئلا يُظْلِم الخطُّ من غير فائدة .

فقـد حكى أنه عُرِض على عبـد الله بن طاهر خطُّ بعض الكُتّاب فقـال : ما أحسَنَه ! لولا أنه أكثرَ شُونيزَه

وقد حكى محمد بن عمر المدائنى أن جعفرا المتوكل كتب إلى بعض عُمّـاله أن أحْصِ مَنْ قِبَلَك من المدنيِّين وعَرِّفنـا بمبلغ عددهم ، فوقع على الحـاء نقطة فجمع

١٥ العاملُ مَنْ كان فى عمله منهم وخَصَاهم فماتُوا غير رجلين أو واحد .

وقد حكى المـدائنى عن بعض الأدباء أنه قال : كثرةُ النَّقْط فى الكِتَاب سُوءِ ظنٍّ بالمكتوب إليه .

أما كُتَّاب الأموال فإنهم لا يَرَوْنَ النقط بحال ؛ بل تعاطيـه عندهم عيبٌ فى الكتابة .

الجملة الثانية
فى ذكر أول من وضع النقط

قد تقدم فى الكلام على وضع الحروف العربية أن أول مَنْ وضع الحروف العربيةَ ثلاثةُ رجال من قبيلة بَوْلان على أحد الأقوال . وهم : مُرار بن مُرَّة[١]، وأسلَمُ بْنُ سِدْرة، وعامر بْنُ جَدَرةَ[١]، وأن مرارا وضع الصُّوَر، وأسلَمَ فصلَ ووصل، وعامرا وضع الإعجام . وقضية هذا أن الإعجام موضوع مع وضع الحروف .

وقد روى أن أوّل من نَقَط للمصاحف ووضع العربيةَ أبو الأسود الدُّؤلىّ من تلقين أمير المؤمنين : "علىّ كرم الله وجهه" . فإن أريد بالنقط فى ذلك الإعجام، فيحتمل أن يكون ذلك ٱبتداء لوضع الإعجام ، والظاهر ما تقدّم ؛ إذ يبعدُ أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عَرِيَّةً عن النقط إلى حين نَقْط المصحف .

وقد روى أن الصحابة رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شىء حتى من النقط والشكل . على أنه يحتمل أن يكون المرادُ بالنقط الذى وضعه أبو الأسودِ الشكل على ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة
فى بيان صورة النقط ، وكيفية وضعه

قال الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله : ولِلنَّقط صورتان : إحداهما شكلٌ مربع والأُخرى شكل مستدير

قال : وإذا كانت نقطتان على حرف، فإن شئت جعلت واحدة فوق أُخرى، وإن شئت جعلتهما فى سطرٍ معًا، وإذا كان بجوار ذلك الحرف حرفٌ يُنْقَط لم يجز أن يكون النَّقْط إذا ٱتسعت إلا واحدةً فوق أُخرى، والعلة فى ذلك أن النَّقط إذا كُنّ

---

(٢) تقدّم التنبيه عليه .

فى سطر خرجْنَ عن حروفهن فوقع اللَّبْس فى الأشكال، فإذا جعل بعضُها على بعض كان على كل حرف قِسْطه من النَّقط فزال الإشكال .

قلت : وإذا كان على الحرف ثلاث نُقَط ، فإن كانت ثاء جعلت واحدة فوق اثنتين، وإن كانت شينا فبعضُ الكُتّاب ينقطه كذلك، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطرا، وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثه .

٥

أما السين إذا نقطت من أسفلها فإنهم ينقُطُونها ثلاثةً سطرا واحدًا .

الجمـــــلة الرابعـــة

فيما يختصّ بكل حرف من النقط وما لا نَقْطَ له

قد تقدم أنّ حروفَ المُعْجَم ثمانية وعشرون حرفًا سوى اللام ألف، وأن ذلك على عَدَد منازل القَمَر الثمانيـة والعشرين، وأن المنازل أبَدًا منها أربعـةَ عشرَ فوق الأرض، وأربعةَ عشرَ تحتَ الأرض، ثم إنه لا بُدَّ أن يَبْقى مما فوقَ الأرض منزِلةٌ مختفيَةٌ تحتَ الشَّـفَق ، فكانت الحروف المنقوطةُ خمسـةَ عَشَر حرفا بعدَد المنـازل المختفيَة : وهى الأربعـةَ عشَرَ التى تحت الأرض ، والواحدةُ التى تحت الشَّـعاع ، إشارة إلى أنها تحتاج إلى الإظهار لاختفائها : وهى البـاء، والتاء، والثاء، والجيم، والخاء، والذال، والزاى، والشـين، والضاد، والظاء، والغين، والفاء، والقاف، والنون، والياء، آخر الحروف .

١٠

١٥

وكانت الحروف العاطلةُ ثلاثةَ عَشَر بعـدد المنازل الظاهرة : وهى الألفُ ، والحاء، والدال، والراء، والسـين، والصاد، والطاء، والعين، والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو .

فأمّا الألف فإنها لا تُنقَط لأنفرادها بصورةٍ واحدة ، إذ ليس فى الحروف ما يُشبهها فى حالتى الإفراد والتركيب .

وأما الباء فإنها تُنقَط من أسفلَ لتخالِفَ التاءَ المثناة من فوقُ ، والثاءَ المثلثة فى حالتى الإفراد والتركيب ، والياء المثناة من تحتُ ، والنون فى حالة التركيب آبتداءً أو وَسَطا ونُقِطت من أسفلَ لِئلّا تلتبس بالنون حالة التركيب .

وأما التاء فإنها تُنقَط بآثنتين من فوقُ لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين فى حالة الإفراد ، وتُخالفهما مع الياء والنون حالة التركيب آبتداءً أو وسَطا .

وأما الثاء فإنها تُنْقَط بثلاثٍ من فوقُ لتخالفَ ما قبلها من الصورتين فى الإفراد وتخالفَهُما مع النون والياء أيضا فى التركيب آبتداء أو وَسَطا .

وأما الجيم فإنها تنقط بواحدة من تحت لتخالفَ الصورتين بعدها .

وأما الحاء فإنها لا تُنقَط ، و يكون الإهمال لها علامةً ؛ وحُذّاق الكُتّاب يجعلون لها علامة غير النقط ، وهى حاء صغيرةٌ مكان النُّقطة من الجيم .

وأما الخاء فإنها تُنْقَط بواحدةٍ من أعلاها لتخالِفَ ما قبلها من الجيم والحاء .

وأما الدال فإنها لا تُنقَطُ ولا تعلَّم ، و يكون تركُ العلامة لها علامةً .

وأما الذال فتُنقَطَ بواحدة من فوقُ فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما الراء فإنها لا تنقَط ولا تعَلَّم ، و يكون الإهمال لها علامةً .

وأما الزاى فإنها تنقَط بواحدةٍ من فوقُ فَرْقا بينها و بين الراء .

وأما السين فإنها لا تُنقَط ، وتكون علامتُها الإهمالَ كغيرها ؛ و بعض الكُتّاب ينقطها بثلاث نقط من أسفلها .

وأما الشين فإنها تنقَط بثلاث من فوقُ فَرْقا بينها و بين أختها ، فإن كانت مدغمة فلا بدّ من جَرَّة فوقها ؛ ثم إن كانت محقَّقة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعل نقط ثالث من أعلاهما ؛ و إن كانت مدغمة فالأولى جعل الثلاث نقط سطرا واحدا .

وأما الصاد فإنها لا تنقط ؛ نعم حُذَّاق الكُتَّاب يجعلون لها علامة كالحاء ، وهى صاد صغيرة تحتها .

وأما الضاد فإنها تنقَطُ بواحدة من أعلاها فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما الطاء فإنها لا تُنْقَط لكن لها علامةٌ كالصاد والحاء ، وهى طاء صغيرة تحتها .

وأما الظاء فإنها تنقَط بواحدة من فوقها فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما العين فإنها لا تُنْقط ، ولها علامة كالحاء ، والصاد ، والطاء ، وهى عين صغيرة فى بطنها .

وأما الغين فإنها تنقَطُ بواحدة فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما الفاء فمذهب أهل الشرق أنها تنقط بواحدة من أعلاها ، ومذهب أهل الغرب أنها تنقط بواحدة من أسفلها .

وأما القاف فلا خلافَ بين أهل الخط أنها تنقَطُ من أعلاها إلا أنَّ مَنْ نقَطَ الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف بٱثنتين من أعلاها ليحصل الفرق بينهما ، ومَنْ نقط الفاء من أسفلها نقط القاف بواحدة من أعلاها .

وقد تقدّم من كلام الشيخ أثير الدين أبى حيّان رحمه الله عن بعض مشايخه : أنّ القاف إذا كتبت على صورتها الخاصة بها ينبغى ألّا تُنْقط إذ لا شبه بينهما[1] وذلك فى حالتى الإفراد والتطرّف أخيرا .

---

(١) أى بين القاف والفاء .

وأما الكاف فإنها لا تنقط ، إلا أنها إذا كانت مشكولة عُلِّمت بشكلة ، وإن كانت معرّاة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما ٱلتبست باللام .

وأما اللام فإنها لا تُنْقَط ولا تعلَّم ، وتركُ العلامة لها علامةٌ .

وأما الميم فإنها لا تنقط ولا تعلَّم أيضا لٱنفرادها بصورة .

وأما النون فإنها تنقط بواحدة من أعلاها ، وكان ينبغي ٱختصاصُ النقط بحالة التركيب ٱبتداءً أو وَسَطا لٱلتباسها حينئذ بالباء ، والتاء ، والثاء أوائل الحروف ، والياء آخر الحروف ، بخلاف حالة الإفراد والتطرُّف فى التركيب أخيرا فإنها تختص بصورة فلا تلتبس كما أشار إليه الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله ، إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .

وأما الهاءُ فإنها لا تنقط بجميع أشكالها ، وإن كثرت ، لأنه ليس فى أشكالها ما يلتبس بغيره من الحروف .

وأما الواو فإنها لاتنقط وإن كانت فى حالة التركيب تقاربُ الفاء ، وفى حالة الإفراد تقارب القاف ، لأن الفاء لا تشابهها كلَّ المشابهة ، ولأن القاف أكبرُ مساحةً منها .

وأما اللام ألف فإنها لا تنقط لٱنفرادها بصورة لا يشابهها غيرها .

وأما الياء فإنها تنقط بنقطتين من أسفلها ، وإن كانت فى حالة الإفراد والتطرُّف فى التركيب لها صورة تخصُّها ، لأنها فى حالة التركيب فى الٱبتداء والتوسط تشابه الباء ، والتاء ، والثاء ، والنون ، فيحتاج إلى بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب على حالة الإفراد كما فى النون ، وربما نقطها بعض الكُتّاب فى حالة الإفراد بنقطتين فى بطنها ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

المقصـــد الثـانى
فى الشـــكل ؛ وفيـــه خمس جمـــل
الجمـــلة الأولى
فى آشـــتقاقه ومعنـاه

٥ قال بعض أهل اللغة : هو مأخوذ من شَكْل الدابة ، لأن الحروف تُضبَط بقيد فلا يلتبِس إعرابها كما تُضبط الدابّة بالشِّكال فيمنعها من الهُروب . قال أبو تمام :

تَرى الأمرَ مَعْجُومًا إذا كان مُعْجَمًا * لَدَيْه ومَشْكُولا إذا كانَ مَشْكُولَا

الجمـــلة الثانيـــة
فى أول من وضـــع الشَّـــكل

١٠ وقد آختلفت الرواية فى ذلك على ثلاث مقـالات ، فذهب بعضُهم إلى أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلىُّ ، وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا فى العربيّـة يقوِّم الناسُ به ما فسد من كلامهم ، إذ كان ذلك قد فَشَا فى الناس .

فقال : أرى أن أبتدئ بإعراب القرءان أوّلا ، فأحضر من يُمْسك المصحفُ ، وأحضر صِبْغا يخالف لون المِدَاد . وقال للذى يمسك المصحف عليه : إذا فتحتُ ١٥ فاىَ فآجعل نقطةً فـوق الحرف ، وإذا كسرتُ فاىَ فآجعـل نقطة تحتَ الحرف ، وإذا ضممتُ فاىَ فآجعل نقطةً أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غُنَّة (يعنى تنوينا) فآجعل نقطتين . ففعل ذلك حتّى أتى على آخر المصحف .

وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك نصر بن عاصم الليثىّ ، وأنه الذى خمَّسها وعَشَّرها .

٢٠ وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك يحيى بن يَعْمُر .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وهؤلاء الثلاثة من جلّة تابعى البصريين .

وأكثر العلماء على أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لا غير . وأن الخليل آبن أحمد هو الذى جعل الهمز[1] والتشديد[2] و الرَّوم[3] والإشمام[4] .

الجملة الثالثة

فى الترغيب فى الشكل والترهيب عنه

وقد آختلفت مقاصد الكُتَّاب فى ذلك ، فذهب بعضهم إلى الرغبة فيه ، والحث عليه ، لما فيه من البيان والضَّبْط والتقييد .

قال هشام بن عبد الملك : أَشْكُلوا قرائن الآداب ، لئلا تَنِدَّ عن الصواب .

وقال علىّ بن منصور : حَلُّوا غرائب الكَلِم بالتقييد ، وحَصِّنوها عن شُبَه التصحيف والتحريف .

و يقال : إعجام الكُتُب يمنع من آستعجامها ، وشَكْلُها يصونُها عن إشكالها ، ولله القائل :

وكأنَّ أَحْرُفَ خَطِّه شَجَرٌ * والشَّكْلُ فى أغصانِه ثَمَرُ

وذهب بعضهم إلى كراهته ، والرغبة عنه .

قال سعيد بن حميد الكاتب : لَأن يُشْكِل الحرفُ على القارئ أحبُّ إلىّ من أن يُعَابَ الكاتبُ بالشكل . ونظر محمد بن عَبَّاد إلى أبى عُبَيْد وهو يقيِّد البسملةَ فقال : لو عَرَّفْتَه ما شكلتَه . وقد جَرَّد الصحابةُ رضوان الله عليهم المصحفَ حين جمعوا القرءان من النقط والشكل وهو أجدر بهما ، فلوكان مطلوبا لما جردوه منه .

(١) فى الأصل : «الهمزة» والتصويب عن كتاب المقنع فى رسم المصحف لأبى عمرو الدانىّ .

(٢) فى الأصل : «عن» والتصويب عن كتاب المقنع أيضا .

(٣) الروم : حركة مختلسة مختفاة لضرب من التخفيف وهى أكثر من الإشمام لأنها تسمع .

(٤) الإشمام : ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة من غير أن يظهر لذلك أثر فى النطق .

قال الشيخ أبو عمرو الدانى : وقد وردت الكراهةُ بنقط المصاحف عن عبد الله ابن عمر، وقال بذلك جماعة من التابعين .

واعلم أن كُتّاب الدِّيونة لا يعرِّجون على النقط والشكل بحال ، وكُتّاب الإنشاء منهـم مَنْ منع ذلك محاشاة للكتوب إليه عن نسبته للجهل بأنه لا يقرأ إلا ما نُقط أو شُكل ، ومنهم مَنْ ندب إليه ، للضبط والتقييد كما تقدّم .

٥

والحق التفريق فى ذلك بين ما يقع فيه اللَّبس و يتطرّق إليه التحريف لعلاقته أو غرابته ، و بين ما تسهُل قراءتُه لوضوحه وسهولته .

وقد رخّص فى نَقْط المصاحف بالإعراب جماعة : منهم ربيعة بن عبد الرحمن ، وابن وهب . وصرح أصحابنا الشافعيـةُ رضى الله عنهم بأنه يُندب نقطُ المصحف وشكلُه ؛ أما تجريد الصحابة رضوان الله عليهم له من ذلك فذلك حين ابتداءِ جمعه حتّى لا يُدْخلوا بين دفتى المصحف شيئا سوى القرءان ، ولذلك كرهه مَنْ كرهه .

١٠

وأما أهل التوقيع فى زمانـنـا فإنهم يَرْغبون عنه خشية الإظلام بالنَّقط والشَّكل إلا ما فيه إلباس على ما مرّ ، وأهل الدِّيونة لا يرون بشىء من ذلك أصلا و يَعُدّون ذلك من عيوب الكتابة و إن دعت الحاجة إليه ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

الجمـــلة الرابعـــة

١٥

فيما ينشأ عنـه الشكل و يترتَّبُ عليـه

واعلم أن الشكل جارٍ مع الإعراب كيفما جرى ، فينقسم إلى السُّكون (وهو الجزم) ، و إلى الفتح (وهو النصب) ، و إلى الضم (وهو الرفع) ، و إلى الجر (وهو الخفض) .

أما السـكون فلأنه الأصل . وأما الحركات الثلاث فقـد قيل إنها مشاكلة للحركات الطبيعية : فالرفع مشاكل لحركة الفَلَك لارتفاعها . والجر مشاكل لحركة

٢٠

الأرض والماء لانخفاضها، والنصب مشاكل لحركة النار والهواء لتوسطها؛ ومن ثمّ لم يكن فى اللغة العربية أكثرُ من ثلاثة أحرف بعدها ساكن إلا ما كان معدولا . فسبحان من أتقن ما صنع ! .

ثم الذى عليه أكثر النُّحاة أن الحركات الثلاثَ مأخوذة من حروف المدّ واللين وهى الألف، والواو، والياء، اعتمادا على أن الحروف قبل الحركات والثانىَ مأخوذ ٥ من الأول. فالفتحة مأخوذة من الألف إذ الفتحة علامة النصب فى قولك : رأيت زيدا، ولقيتُ عمرا، وضربت بكرا؛ والألف علامة النصب فى الأسماء المعتلّة[1] المضافة كقولك : رأيت أباك، وأكرمت أخاك؛ ويكون إطلاقا للرَّوىّ المنصوب كقولك : المذهبا ، وأنت تريد المذهب ، فلما أشبعت الفتحة نشأت عنها الألف ؛ والكسرة مأخوذة من الياء لأنها أختها ومن مخرجها، والكسرة علامة الخفض فى قولك : مررت ١٠ بزيد، وأخذت عن زيد حديثا؛ والياء علامة الخفض أيضا فى الأسماء المعتلّة[1] المضافة كقولك : مررت بأبيك وأخيك وذى مال؛ والضمة من الواو لأنها من مخرجها : من الشَّفَتَيْنِ، وهى علامة الرفع فى قولك : جاءنى زيد، وقام عمرو، وخرج بكر، والواو علامة الرفع فى الأسماء المعتلّة[1] المضافة كقولك : جاءنى أخوك وأبوك وذو مال .

١٥ وذهب بعض النُّحاة إلى أن هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، الألف من الفتحة، والواو من الضمة، والياء من الكسرة اعتمادا على أن الحركات قبل الحروف ، بدليل أن هذه الحروف تحدُث عند هذه الحركات إذا أُشبعت ، وأن العرب قد استغنت فى بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف اكتفاء بالأصل عن الفرع : لدلالة الأصل على فرعه .

٢٠ (١) أى الأسماء الخمسة أو الستة على الخلاف .

وذهب آخرون إلى أن الحروف ليست مأخوذةً من الحركات، ولا الحركات مأخوذة من الحروف، آعتمادا على أن أحدهما لم يسبق الآخر، وصححه بعض النُّحاة .

الجمـــلة الخامســـة

فى صور الشكل ومَحَالِّ وضعه على طريقة المتقدّمين والمتأخرين

٥ وآعلم أن المتقدّمين [يميلون][١] فى [شـكل][١] غالب الصور إلى النقط بلون يخالف لون الكتابة .

وقال الشـيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وأرى أن يسـتعمل[٢] للنقط لونان : الحمرة والصُّفْرَة ، فتكون الحمـرة للحركات ، والتنوين ، والتشـديد ، والتخفيف ، والسكون، والوصل، والمدّ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة .

١٠ قال : وعلى ذلك مُصَاحف أهل المدينة . ثم قال : وإن آستعملت الخضرة للآبتداء بألفات الوصـل على ما أحدثه أهلُ بلدنا ، فلا أرى بذلك بأسا . قال : ولا أستجيز النَّقْطَ بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم . وقد وردت الكراهة لذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وأما المتأخرون فقـد أحدثوا لذلك صُوَرًا مختلفة الأشكال لمناسبة تخص كل ١٥ شكل منها، ومن أجل آختلاف صُوَرِها وتباينِ أشكالها رَخَّصوا فى رسمها بالسواد . ويتعلق بالمقصود من ذلك سبع صور :

الأولى

علامـــة السكون

والمتقدّمون يجعلون علامة ذلك جرّةً بالحُمْرَة فوق الحرف، سـواء كان الحرف ٢٠ المسكّن همزة كما فى قولك : لم يَشَأْ ، أو غيرها من الحروف كالذال من قولك : آذْهَبْ

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى الأصل : « استعمل النقط لونين » والتصويب عن كتاب المقنع فى رسم المصحف لأبى عمرو الدانىّ .

أما المتأخرون : فإنهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلى الجزم إذ الميم آخر حرف من الجزم، وحذفوا عراقة الميم استخفافا ، وسمّوا تلك الدائرة جزمة ، أخذا من الجزم الذى هو لقب السكون ، و يحتمل أن يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة الصِّفر فى حساب الهنود ونحوهم إشارة إلى خلو تلك المرتبة من الأعداد لأن الصفر هو الخالى ، ومنه قولهم : " صِفْر اليَدَيْن " بمعنى أنه فقير ليس فى يديه شىء من المال . وحُذّاق الكُتّاب يجعلونها جيما لطيفة بغير عراقة إشارة إلى الجزم .

الثانيـــة

علامـــة الفتـــح

أما المتقدمون فإنهم يجعلون علامة الفتح نُقْطَةً بالحمرة فوق الحرف ، فإن أتبعت حركة الفتح تنوينا ، جعلت نقطتين ، إحداهما للحركة ، والأخرى للتنوين .

والمتأخرون يجعلون علامتها ألفا مضطجعة . لما تقدّم من أن الألف علامة الفتح فى الأسماء المعتلة ورسموها بأعلى الحرف موافقة للتقدمين فى ذلك ، وسمّوا تلك الألف المضطجعة نَصْبة أخذا من النصب ، ويجعلون حالة التنوين خطتين مضطجعتين من فوقه كما جعل المتقدمون لذلك نقطتين ، وعبّروا عن الخطتين بنصبتين . قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : و يكون بينهما بقدر واحدة منهما .

الثالثـــة

علامـــة الضـــم

أما المتقدمون فإنهم يجعلون علامة الضمة نقطة بالحُمْرَة وسط الحرف أو أمامه ، فإن لحق حركةَ الضم تنوينٌ ، رسموا لذلك نقطتين : إحداهما للحركة ، والأخرى للتنوين على ما تقدّم فى الفتح .

وأما المتأخرون فإنهم يجعلون علامة الضمة واوا صغيرة ، لما تقدّم أن الواو من علامة الرفع فى الأسماء المعتلة ، وسَمَّوْها رفعة لذلك ، و رسموها بأعلى الحرف ولم يجعلوها فى وسطه كيلا تَشين الحرف ، بخلاف المتقدّمين لمخالفة اللون ولطافة النقطة . فإن لحق حركة الضم تنوينٌ رسموا لذلك واوا صغيرة بخطّة بعدها : الواوُ إشارة للضم ، والخَطَّة إشارة للتنوين ، وعبروا عنهما برفعتَين . و بعضهم يجعل عوض الخطة واوا أخرى مردودة الآخر على رأس الأولى .

الرابعـــــة

علامــــة الكسر

والمتقدّمون يجعلون علامة الجـرة نقطة بالحُمْرة تحت الحرف . فإن لحق حركةَ الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين .

والمتأخرون جعلوا علامة الكسر شَظيّةً من أسفل الحرف إشارة إلى اليـاء التى هى علامة الجر فى الأسماء المعتلة على ما مرّ ، وسَمَّوْا تلك الشَّظيّة خَفْضَةً ، أخذًا من الخفض الذى هو لقب الكسر ، ولم يخالفوا بينهـا و بين علامة النصب لاختلاف محلهما . فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا له خطتينٌ من أسـفله : إحداهمـا للحركة ، والأخرى للتنوين .

الخامســــــة

علامـــة التشـــديد

والمتقدّمون اختلفوا : فمذهب أهل المدينـة أنهم يرسُمون علامة التشديد على هذه الصورة [٧ $\frac{٧}{٨}$][1] ولا يجعلون معها علامات الإعراب بل يجعلون علامة الشدّ مع الفتح فوق الحرف ، ومع الكسر تحت الحرف ، ومع الضم أمام الحرف .

(١) الزيادة عن كتاب المقنع فى رسم المصحف . ومحلها بياض فى الأصل والضوء .

قال الشيخ أبو عمرو الدانى رحمه الله : وعليه عامّة أهل بلدنا . قال : ومنهم من يجعل مع ذلك نقطةً علامة للإعراب ، وهو عندى حَسَن .

وعامّة أهل الشرق على أنهم يرسُمون علامة التشديد صورة شين من غير عراقة على هـذه الصورة (س) كأنهم يريدون أول شـديد ، ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبدا ويُعْربونه بالحركات . فإن كان مفتوحا جعلوا مع الشـدّة نقطة فوق الحرف علامة الفتح ، وإن كان مضموما جعلوا مع الشدّة نقطة أمام الحرف علامة الضم ، وإن كان مكسورا جعلوا مع الشـدّة نقطةً تحت الحـرف علامة الكسر . وعلى هذا المذهب آستقرّ رَأىُ المتأخرين أيضا ، غير أنهم يجعلون بدل النقط الدالة على الإعراب علامات الإعراب التى آصطلحوا عليهـا من النصبة ، والرفعـة ، والخفضة . فيجعلون النصبة والرفعة بأعلى الشدّة ، ويجعلون الخفضة بأسفل الحرف الذى عليه الشدّة . وبعضهم يجعلها أسفل الشدّة من فوق الحرف . ولا فرق فى ذلك بين أن يكون المشدّد من كلمة واحدة أو من كلمتين كالإدغام من كلمتين .

السادسة

علامة الهمزة

والمتقدّمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقط الإعراب كما تقدّم فى كلام الشيخ أبى عمرو الدانى رحمـه الله : ويرسُمونها فوق الحرف أبدا ، إلا أنهم يأتون معها بنقط الإعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالحُمْرة على ما تقـدّم . وسواء فى ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفا ، إذ حق الهمزة أن تلزم مكانا واحدا من السطر ، لأنهـا حرف من حروف المعجم . والمتأخرون يجعلونهـا عينا بلا عراقة ، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين ، ولأنها تمتحن بها كما سيأتى .

ثم إن كانت الهمزة مصوّرة بصـورة حرف من الحـروف، فإن كانت الهمزة ساكنة، جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جزمة بأعلاها . وإن كانت مفتوحة، جعلت بأعلى الحرف أيضا مع نصبة بأعلاها . وإن كانت مضمومة، جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها . وإن كانت مكسورة، جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها . وربمـا جعلت بأعلى الحرف والخفضة بأسفله .

وقد اختلف القدماء من النحويين فى أىّ الطّرَفين من اللام ألف هى الهمزة . فحكى عن الخليل بن أحمد رحمه الله أنه قال : الطّرَف الأوّل هو الهمزة، والطّرَف الثانى هو اللام .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وإلى هـذا ذهب عامّة أهل النقط؛ واستدلوا على صحة ذلك بأن رسم هـذه الكلمة كانت أوّلا لاما مبسوطة فى طرفها ألف على هذه الصورة "لـــا" كنحو رسم ما أشبه ذلك ممـا هو على حرفين من سائر حروف المعجم مثل "يا، وها" وما أشبههما إلا أنه استثقل رسم ذلك كذلك فى اللام ألف خاصةً لاعتدال طرفيه لمشابهة كتابة الأعاجم فحسن رسمه بالتضفير فضم أحد الطرفين إلى الآخر فأيهما ضم إلى صاحبه كانت الهمزة أُولى ضرورةً . وتعتـبر حقيقة ذلك بأن يُؤخَذ شىء من خيط ونحوه فيُضَفَّر ويخرج كل واحد من الطرفين إلى جهـة، ثم يقام الطرفان فيتبين من الوجهين أن الأوّل هو الثانى فى الأصل، وأن الثانى هو الأوّل لا محالة فى التضفير .

وأيضا فقد اتفق أهل صنـاعة الخط من الكُتّاب القدماء وغيرهم على أنه يُرسَم الطّرَف الأيسر قبـل الطّرَف الأيمن، ولا يخالف ذلك إلا من جهل صناعة الرسم إذ هو بمنزلة من ابتدأ برسم الألف قبل الميم فى "ما" وشبهه ممـا هو على حرفين ،

فثبت بذلك أن الطرف الأوّل هو الهمزة، وأن الطرف الثانى هو اللام ، إذ الأوّل فى أصل القاعدة هو الثانى ، والثانى هو الأوّل على مامرّ؛ وإنما آختلف طرفاها من أجل التضفير .

وخالف الأخفش، فزعم أن الطرف الأوّل هو اللام، والطرف الثانى هو الهمزة، وآستشهد لذلك بأن ماتُلفظ به أوّلا هو المرسوم أوّلا وما تُلفظ به آخرا هو المرسوم آخرا، ونحن إذا قرأنا لأنت ولأنه ونحوهما لفظنا باللام أوّلا ثم بالهمزة بعدها . ونازعه فى ذلك الشيخ أبو عمرو الدانىّ . والحق أن ذلك يختلف بآختلاف اللام ألف على مارتبه متأخرو الكُتّاب الآن . ففى المضفورة على ماتقدّم، وفى المصوّرة بهذه الصورة " لا " بالعكس .

وإن كانت الهمزة غير مصوّرة بحرف من الحروف كالهمزة فى جزء وخَبْء؛ جعلت العلامة فى محل الهمزة من الكلمة مع علامة الإعراب : من سكون، وفتح، وضم، وكسر . فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوينٌ، جعل مع الهمزة علامة التنوين : من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين على مامرّ فى غير الهمزة.

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وتمتحن الهمزة فى موضعها من الكلام بالعين، فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها، وسواء كانت متحركة أو ساكنة لحقها التنوين أو لم يلحقها، فتقول فى آمنوا عامنوا، وفى وءاتى المال وعاتى المال، وفى مستهزئين مستهزعين، وفى خاسئين خاسعين، وفى مبرّءون مبرعون، وفى متكئون متكعون، وفى ماء ماع، وفى سوء سوع، وفى أولياء أولياع، وفى تَنُوء تنوع، وفى لَتَنُوء لتنوع، وفى أن تبوءا أن تبوعا، وفى تَبُوء تبوع، وفى مِنْ شاطِئِ من شاطع، وكذلك ما أشبهه حيث وقع فالقياس فيه مطّرد .

السابعـــة

علامة الصلة فى الفات الوصل

أما المتقدمون فإنهم رسموا لها جرّة بالحمرة فى سائر أحوالها، وجعلوا محلها تابعا للحركة التى قبل ألف الوصـل . فإن وليها فتحة كما فى قوله تعالى : "تَتَّقُونَ الَّذِى" جعلت الصلة جرّة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (آ) وإن وليها كسرة كما فى قـوله تعالى : "رَبِّ الْعَالَمِينَ" جعلت الصلة جرّة حمراء تحت الألف على هـذه الصورة (ا) وإن وليها ضمة كما فى قوله تعالى : "نَسْتَعِينُ اهْدِنَا" جعلت الصـلة جرّة حمراء فى وسطها على هذه الصورة (+) . فإن لحق شيئا من الحركات التنوينُ جعلت الصـلة أبدا تحت الألف ، لأن التنوين مكسـور للساكنين ما لم يأت بعد الساكن الواقع بعد ألف الوصل ضمةٌ لازمة نحو قوله تعالى : "فَتِيلاً انْظُرْ" و"عُيُونٍ ادْخُلُوهَا" . قال بعضهم : يضم التنوين فتجعل الجرّة على ذلك فى وسط الألف .

وأما المتأخرون [فإنهم رسموا لذلك صادا لطيفـة إشارةً إلى الوصل[1]] وجعلوها بأعلى الحرف دائمـا ولم يُراعُوا فى ذلك الحركات، اكتفاءً باللفظ .

تنبيـــــه

قد تقدّم فى ... ...[2] الأوّل من الهجاء أن اللفظ قد يتعين فى الهجاء إلى الزيادة والنقصان، ولا شكّ أن الشكل يتغير بتغير ذلك ، ونحن نذكر من ذلك ما يختص بالهجاء العرفىّ دون الرسمىّ باعتبار الزيادة والنقص .

---

(١) الزيادة عن "ضوء الصبح" ومحلها بياض بالأصل .

(٢) بياض فى الأصل .

أما الزيادة، فمثل أولئك، وأولو، وأولات ونحوها .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ : وسبيلك أن تجعل علامة الهمزة نقطة بالصُّفْرَة فى وسط ألف أولئك وأولو وأولات، وتجعل نقطة بالحُمْرَة أمامها فى السطر لتدل على الضمة . قال : و إن شئت جعلتها فى الواو الزائدة، لأنهـا صورتها، وهو قول عامّة أهل النقط . هذه طريقة المتقدّمين . ٥

أما المتأخرون ، فإنهم يجعلون علامة الهمزة على الواو وهو مخالف لما تقدّم من ٱعتبار الهمزة بالعين فإنها لو ٱمتحنت بالعين، لكان لفظها عولئك وكذلك البواقى .

وأما النقص فمثل النبـيِّين إذا كتبت بياء واحدة، وهؤلاء، و ياءادم إذا كتبتا بحذف الألف بعد الهاء فى هؤلاء والألف الثانية فى ياءادم فترسم علامة الهمزة من النقطة الصفراء وحركتها على رأى المتقدّمين، وصورة العين على رأى المتأخرين قبل ١٠ الياء الثانية فى النبيين . وتجعل ذلك على الألف الثانية فى ياآدم لأنها صورتها وعلى الواو فى هؤلاء لأنها صورتها .

ووراء ما تقدّم من الشكل أمور تتعلق بالإدغام ، والإظهار ، والإخفاء، والإقلاب، والمدّ وغيرها : من متعلقات القراءة ليس هذا موضع ذكرها؛ والله أعلم.

فائـــدة ١٥

قال الشـيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا بدّ من تناسب الشـكل والنقط وتناسب البياضات فى ذلك للحروف .

الفصـــل الرابــع
مـن البـاب الثـانى من المقـالة الأولى
فى الهجاء ؛ وفيـــه مقصـدان

المقصـــد الأوّل
فى مصطلحه الخاص ؛ وهو على ضربيـــن

الضـــرب الأوّل
المصــــطلح الــرسمىّ

وهو ما آصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم فى كتابة المصحف عنـد جمع القرءان الكريم ، على ما كتبه زيد بن ثابت رضى الله عنـه ، ويسمّى الآصـطلاح السَّلَفِىّ أيضا ، ونحن نورد منه ما جرّ إليه الكلام ، أو وافق المصطلح العرفىّ .

الضـــرب الثـانى
المصـــطلح العَـرُوضىّ

وهو ما آصطلح عليـه أهل العَرُوض فى تقطيع الشعر ؛ وآعتمادهم فى ذلك على ما يقع فى السمع دون المعنى ، إذ المعتـدّ به فى صـنعة العَرُوض إنمـا هو اللفظ ، لأنهم يريدون به عدد الحروف التى يقوم بها الوزن متحركا وساكنا فيكتبون التنوين نونا ، ولا يُراعون حذفها فى الوقف ، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ، ويحذفُون اللام وغيره ممـا يدغم فى الحـرف الذى بعـده : كالرحمن والذاهب والضارب ، ويعتمدون فى الحروف على أجزاء التفعيل ، فقـد تُقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء كما فى قول الشاعر :

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فيكتبونه على هذه الصورة :

سَتُبْدِي ، لَكَالأَيْيَا ، مُمَاكُنْ ، تَجَاهِلَنْ * وَيَأْتِي ، كَبِالأَخْبَارِ ، مَلَمْ ، تُزَوِّدِي

المقصد الثانى

٥ فى المصطلح العام

وهو ما آصطلح عليه الكُتَّاب فى غير هذين الآصطلاحين .

وهو المقصود من الباب ، وفيه جملتان

الجملة الأولى

فى الإفراد ، والحذف ، والإثبات ، والإبدال ، وفيه مُدْرَكان

١٠ المُدْرَك الأوّل

فى بيان الأصل المعتمد فى ذلك ، وما يكتب على الأصل

وآعلم أن الأصل فى الكتابة مطابقة المنطوق المفهومَ ، وقد يزيدون فى وزن الكلمة [ما ليس فى وزنها ليفصلوا بالزيادة بينه و بين المشبه له ، وينقصون من الكلمة](١) عمّا هو فى وزنها آستخفافا وآستغناء بما أبقى عما آنتقص إذا كان فيه دليل على ما يحذفون ، كما أن العرب تتصرف فى الكلمة بالزيادة والنقصان ، ويحذفون ما لا يتم الكلام فى الحقيقة إلا به آستخفافا و إيجازا إذا عرّف المخاطَب ما يقصدون . ١٥

قال آبن قتيبة : ورُبَّما تركوا الآشتباه على حاله ، ولم يفصلوا بين المتشابهين وآكتفوا بما يدل عليه من متقدم أو متأخر : كقولك للرجل الواحد : يغزوا ،

(١) الزيادة "عن أدب الكاتب" و" ضوء الصبح"

وللاثنين لن يغـزوا ، وللجميع لن يغزوا بالواو والألف فى الجميع من غير تفريق بين الواحد والاثنين والجمع ، وبقوه على أصله .

إذا علمت ذلك ، فالمكتوب على المصطلح المعروف هو على قسمين :

القســـم الأوّل

ما له صورة تخصّه من الحروف؛ وهو على ضربين

الضـــرب الأوّل

ما هو على أصله المعتبر فيه ذوات الحروف وعددها بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها ، سواء بقِيَ لفظه على حاله أم انقلب النطق به إلى حرف آخر

فيكتب لفظ "امّحى" بغير نون بعد الألف ، وإن كان أصله انمحى على وزن انفعل من المحو ، لأن الإدغام من كلمة واحدة ، بخلاف ما إذا كان الإدغام من كلمتين ، فيكتب لفظ "مِنْ مالٍ" بنون فى مِنْ منفصلةً من ميم مالٍ وإن كانت النون الساكنة تدغم فى الميم .

ويكتب لفظ خَنْق مصدر خَنَق[1] ولفظ أنْتَ وما أشبهها بنون ، وإن كانت النون مُخفاة فى القاف من خَنْق وفى التاء من أنت . وكذلك حالة التركيب نحو مِن كَافِرٍ .

ويكتب عَنْبَرٌ وما أشبهها بنون أيضا وإن كانت النون الساكنة تنقلب عند الباء ميما ، وكذلك فى حالة التركيب نحو مِنْ بَعْد . ويكتب مثل اضربوا القوم ويغزو الرجل بواو ، وكذلك كلّ ما فيه حرف مدّ حذف لساكن يليه لأنه لولا التقاء الساكنين لثبتت هذه الواو لفظا . ويكتب أنا بألف بعد النون وإن كانت فى وصل الكلام لا إشباع فى الفتحة لأن الوقف عليه بألف . ومن أجل ذلك

(١) فى المصباح أن فعل خنق من باب قتل ومصدره ككتف ويسكن للتخفيف .

كتبت ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللهُ ﴾ بألف بعد النون فى لكنا إذ أصله لكِنْ أنا . ويكتب المنوّن المنصوب مثل زيدا وعمرا من قولك : رأيت زيدا وضربت عمرا بالألف لأنه يوقف عليه بالألف بخلاف المنوّن المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيد، إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين وإسكان الآخر على الصحيح . وتكتب إذًا المنوّنة بالألف على رأى المازنى رحمه الله ومَنْ تابعه، لأن الوقف عليها بالألف ٥ لضَعْفها، والمبرِّد والأكثرون على أنها تكتب بالنون . قال الأستاذ ابن عُصْفُور : وهو الصحيح، لأن كل نون يوقف عليها بالألف كتبت بالألف وما يوقف عليها نفسها كما توصل كتبت بالنون وهذه يوقف عليها عنده بالنون؛ وأيضا فإنها إذا كتبت بالنون كانت فرقا بينها وبين إذًا الطرفية لئلا يقع الإلباس . وفصّل الفرّاء فقال : إن أُلغيت كتبت بالألف، وإن أُعْمِلت كتبت بالنون لقوّتها . ويحكى عن ١٠ أبى العبّاس محمد بن يزيد أنه كان يقول : أشتهى أن أكوِىَ يدَ من يكتب إذَنْ بالألف لأنها مثل أَنْ ولَنْ، ولا يدخل التنوين فى الحروف .

ويكتب نحو لَنَسْفَعًا بالألف لأن الوقف عليها بالألف، وكذلك يكتب اضْرِبًا زيدا ولا تَضْرِبًا عمرا بالألف على رأى من ادّعى أنه الأكثر، ووجَّهَهُ بأن النون الخفيفة تنقلب ألفًا إذا كان ما قبلها مفتوحا فى الوقف . ١٥

وذهب بعضهم إلى أنها تكتب بالنون تشبيها لنونه[1] بنون الجمع نحو اضْرِبُنَّ للجمع المذكر وبه جزم الشيخ أثير الدين أبو حَيَّانَ . ووجَّهَهُ بأنه لو كتب بالألف لالتبس بأمر الاثنين ونهيهما فى الخط، وإن كنتَ إذا وقفتَ عليه وقفتَ بالألف، فلم تُراعَ حالة الوقف فى ذلك، لأن الوقف منع من اعتباره ما عرض فيه من كثرة

(١) أى تشبيها لنون التوكيد التى فى الفعل المسند إلى المفرد بنون التوكيد التى فى الفعل المسند إلى الجمع . ٢٠

الإلباس، لأنهم لو أرادوا (على الوقف بالألف) كتابته بالألف، كَثُرَ اللَّبْسُ بالوقف والخط. فتجنبوا ما كثر به الإلباس . و يكتب كل اسم فى آخره ياء نحو قاضى وغازى وداعى وحادى وسارى ومُشْتَرِى ومُهْتَدِى ومُسْتَدْعِى ومُفْتَرِى فى حالتى الرفع والجر بغير ياء، كما فى قولك : جاء قاضٍ ومررت بقاضٍ، وكذا فى الباقيات؛ وفى حالة ٥ النصب بالياء مع زيادة ألف بعدها كما فى قولك : رأيتُ قاضياً وغازيا وداعيا وما أشبهه .

و إن كان جمعاً ، فإن كان غير منصرف كُتِبَ فى حالتى الرفع والخفض بغير ياء على ما تقدّم .

فيُكْتَبُ فى الرفع هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسَوَارٍ ودَواعٍ، وفى الخفض مررت ١٠ بجَوَارٍ وسَوَارٍ وغواشٍ ودواعٍ بغير ياء فى الحالتين .

و يكتب فى النصب بالياء إلا أنه لا تزاد الألف بعدها، فتكتب رأيت جوارى وسوارىَ ودواعىَ .

فإذا دخلت الألف واللام فى جميع هذه الأسماء، أثبتت فيها الياء سواء المنصرف وغير المنصرف، فيكتب هذا الداعى والغازى والقاضى والمستدعى وهؤلاء الجوارى ١٥ والسوارى والدواعى بالياء فى الجميع .

قال ابن قتيبة : وقد يجوز حذفها، وليس بمستعمل إلا فى كتابة المصحف .

و يكتب نحو : رَهْ أمرا بالرؤية، ولم يَرَهْ نفيا للرؤية، وقِهْ أمرا بالوقاية ، ولم يقِهْ نفيا لذلك وما أشبهه بالهاء و إن كانت الهاء تسقط منه حالة الدَّرْج، لأن الوقف عليها بالهاء . وكذلك قولهم : مِمَّهْ[1] أتيت، ومجىءَ مَهْ جئت، لأن الوقف على ما الاستفهامية ٢٠ بعد حذف ألفه بالهاء فيكتب بالهاء، بخلاف ما إذا وقعت ما المحذوف ألفها بعد

(١) فى الأصل والضوء : « مه أتت » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

الجار نحو : حتّامَ و الامَ وعلامَ ، فإنه لا تلحقها الهاء لشدّة الاتصال فلا تكتب بالهاء .
وتكتب تاء التأنيث فى نحو : رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقمحة بالهاء ،
لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح ؛ و بعضهم يقف عليها بالتاء ، وهى لغة قليلة
فتكتب بالتاء موافقةً للوقف . وقد وقع فى رسم المُصْحَف الكريم مواضعُ من ذلك
نحو قوله تعالى : ﴿ أَفَبِنِعْمَتِ اللهِ يَكْفُرُونَ ﴾ كتبوا أَفَبِنِعْمَتْ بالتاء ، والأكثر ما تقدّم . ٥

قال ابن قتيبة : وأجمع الكُتّابُ على كتابة السَّلامُ عليكَ ورحمت الله و بركاته
فى أول الكتاب وآخره بالتاء . قال : فإن أضفت تاء التأنيث إلى مضمر ، صارت تاء
فتكتب شجرتك وناقتك ورحمتك وما أشبهه بالتاء .

أما أخت و بنت ، وجمعُ المؤنث السالمُ مثل : قائمات وصائمات وتائبات ، وتاءُ
التأنيث الساكنةُ فى آخر الفعل نحو : قامتْ وقعدتْ ، وما أشبه ذلك ، فإنه يكتب ١٠
جميع ذلك بالتاء لأن الوقف عليها بالتاء .

قال ابن قتيبة : وهَيْهَاتَ يوقف عليها بالهاء والتاء ، والإجماع على كتابتها بالتاء
ثم اللفظ الذى يكتب على نوعين :

النــــوع الأول

أن يكون اسما لحرف من حروف الهجاء ؛ وهو على وجهين : ١٥

الوجــه الأول

أن يكون اسما قاصرا على الحرف لم يُسَمَّ به غيره ؛ وله حالان :

أحدهما — أن يقصد اسم ذلك الحرف لا مُسَمّاه فيكتب الملفوظ به نحو : جيم
إذا سئل كتابته فيكتب بجيم و ياء وميم .

الثـانى — أن يقصد مسماه لا آسمه فيجب الاقتصار فى الكتابة على أول حرف فى الكلمة، و يكتب بصورة ذلك الحرف مثل : قٓ نٓ صٓ، ولذلك كتبت الحروف المفتتح بها السور على نحو ما كتبوا حروف المعجم . وذلك لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالا لهذه الحروف تتميز بها، فهى أسماءٌ مدلولاتها أشكال خَطِّية، ولو لم يضَعُوا لها هذه الأشكال الخطية، لم يكن للخط دلالة على المنطوق . ولو آقتصروا على كتبها على حسب النطق ولم يضعوا لهـا أشكالا مفـردة تتميز بها لم يمكن ذلك، لأن الكتابة بحسب النطق متوقفـةٌ على معـرفة كل حرف حرف وشكلُ كل حرف حرف غير موضوع، فآستحال كتبها على حسب النطق . ألا ترى أنك إذا قيل لك : آكتب جيم، عين، فاء، راء، فإنما تكتب هذه الصورة "جعفر" والملفوظ بلسان الآمر بالكتابة جيم والمكتوب ج . ولو كان تصوير اللفظ بصور هجائه، لكان المكتوب "جيم" كالملفوظ على قياس غيره من الألفاظ .

و يشهد لذلك ما حكِىَ أن الخليل رحمـه الله قال يوما لطلبته : كيف تنطقون بالجيم من جعفر؟ فقالوا جيم فقال : إنمـا نطقتم بالآسم ولم تلفظوا بالمسئول عنه، ثم قال ؛ الجواب جَه لأنه المسمَّى من الكتّاب (يريد جيما مفتوحة، و إنما أتى فيها بالهاء ليمكن الوقف عليها) .

الوجـــه الثـانى

ألّا يكون الآسم قاصرا على الحرف بأن يسمَّى به غيره أيضا كما إذا سُمِّىَ رجل بقاف أو بياسين، فللكُتّاب فيه مذهبان :

أحدهما — أن تكتب صورة الحرف هكذا قٓ و يس

والثانى — أن يكتب الملفوظ به هكذا "قاف" و"ياسيـــن" وهو آختيار أبى عمرو بن الحاجب رحمه الله .

النـــوع الثـانى :

ألّا يكون آسما لحرف من حروف المعجم ، وهو على وجهين أيضا

الوجـــه الأوّل

أن يكون له معنًى واحدٌ فقط

فيكتب هكذا (زيد) إذا طلب كتابة زاى ، ياء[1] ، دال .

الوجـــه الثـانى

أن يكون له أكثر من معنى واحد

فيكتب بحسب القرينة كما إذا قيل لك : آكتب شعرا فإن دلت القرينة على أن المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرا) وإلا فيكتب ماينطبق عليه الشعر إذ هو معنى الشعر .

الضـــرب الثـانى

ما تغير عن أصله ، وهو على ثلاثة أنواع

النـــوع الأوّل

ما تغير بالزيادة . والزيادة تقع فى الكتابة بثلاثة أحرف

الحـــرف الأوّل

الألف ، وتزاد فى مواضـــع

(منها) تزاد بعد الميم فى مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقا بينها و بين مِنْهُ وإنمـا كانت الزيادة من حروف العـلة دون غيرها لأنها تكثر زيادتها ، وكان حرف العلة ألفا لأنها تشبه الهمزة ، ولأن الفتحة من جنس الألف . ولم تكن الزيادة ياء ، لأنه يستثقل فى الخط أن يُجْمَعَ بين حرفين مثلين فى موضع مأمون فيه اللبس .

(١) عبارة الضوء : فان كان له معنى (أى واحد) كتب على هذه الصورة "زيد" وهى أوضح .

ألا ترى إلى كتابتهم خَطِيئة على وزن فَعيلة بياء واحدة ولو كتبت على صيغة لفظها ، لوجب أن تكتب بياءين ياء لبناء فعيلة ، وياء هى صورة الهمزة . ولم تكن الزيادة واوا لاستثقال الجمع بين الياء والواو، وجُعِلَ الفرق فى مائة ولم يجعل فى منه لأن مائة اسم ومنه حرف والاسم أحمل للزيادة من الحرف، ولأن المـائة محذوفة اللام بدليل قولهم : أمْأَيت الدراهم، فجعل الفرق فى مائة بدلا من المحذوف مع كثرة الاستعمال؛ ثم اختلف فى المثنّى منه فقيل لا يزاد فى مائتين لأن موجب الزيادة اللبس ولا لَبْس فى التثنية، والراجح الزيادة كما فى الإفراد، لأن التثنية لا تغير الواحد عما كان عليه .

أما فى حالة الجمع ، فقـد اتفقوا على منع الزيادة فكتبوا "مئين ومئات" بغير ألف بعد الميم، لأن جمع التكسير يتغير فيه الواحد، وجمع السلامة ربما تغير فيه أيضا فغلبت .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وقد رأيت بخط بعض النحاة "مأة" على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء . قال : وكثيرا ما أَكْتُبُ أنا "مئة" بغير ألف كما تكتب "فئة" لأن كَتْبَ مائة بالألف خارج عن القياس . فالذى أختاره أن تكتب بالألف دون اليـاء على وجه تحقيق الهمزة، أو بالياء دون الألف على وجه تسهيلها .

(ومنها) تزاد بعد واو الجمع المتطرفة فى آخر الكلمة إذا اتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثل ضَرَبُوا واضربوا وما أشبههما، فتكتب بألف بعد الواو . وسمّى ابن قتيبة هذه الألفَ ألفَ الفصل لأنها تفصل بين الفعل[1] كى لا تلتبس الواو فى آخر الفعل بواو العطف . فإنك لو كتبتَ أَوْرَدُوا وصَدَرُوا مثلا بغير ألف ثم اتصلت بكلام

(١) لعل الأظهر لأنها تفصل بين الفعل وما بعده من الكلام .

بعدها، ظن القارئ أنها واو العطف . ولمّا فعلوا ذلك فى الأفعال التى تنقطع واوُها عن الحرف كالفعلين المتقدّمين، فعلوا ذلك فى الأفعال التى تتصل واوُها بالحرف قبلها نحو كانوا و بانوا ليكون حكم هذه الواو فى جميع المواضع واحدا . أما إذا لم تقع طَرَفا فى آخر الكلام نحو : ضربوهم وكَالُوهُمْ ووَزَنُوهُمْ، لم تلحق به الألف . فلو اتصلت واو الجمع المذكورة بفعل مضارع نحو : لن يضربوا ولن يذهبوا . فمذهب بعض البَصْريِّينَ أنه لا تلحقها الألف. ومذهب الأخفش لحوقُها كالماضى والأمر.

ولو اتصلت بآسم نحو: ضاربوهم وضاربو زيد. فمذهب البَصْريِّينَ أنها لا تُلْحَق بل يجعل الاسم تلو الواو . ومذهب الكوفيين أنها تلحق فيكتبون ضارِبُوا زيد وقاتِلُوا عمرو وهُمُوا بألف بعد الواو فى الجميع، والراجح الأوّل .

(ومنها) زادها الفراء فى يدعو و يغزو فى المفرد حالة الرفع خاصّةً تشبيها بواو الجمع وأطلق ابن قتيبة النقل عن بعض كُتّاب زمانه بأنها لا تُلْحَق فى مثل ذلك ، لأن العلة التى أُدخلتْ هذه الألف لأجلها فى الجمع لا تلزم هنا، لأنك إذا كتبتَ الفعل الذى تتصل واوه به من هذا الباب مثل : أنا أرجو وأنا أدعو، لم تشتبه واوُه واوَ العطف أيضا إلا بأن تزيل الكلمة عن معناها، لأن الواو من نفس الفعل لا تفارقه إلا فى حال جزمه، والواو فى صَدَرُوا ، وورَدُوا واوُ جمع مكتف بنفسه يمكن أن يجعل للواحد ولتوهم الواو عاطفةً لشىء عليه . قال : وقد ذهبوا مذهبا . غير أن متقدّمى الكُتّاب لم يزالوا على إلحاق ألف الفصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم فى كل موضع واحدا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وفصّل الكسائى فى حالة النصب فقال : إن لم يتصل به ضمير نحو [لن يدعو كتب بالألف؛ و إن اتصل به ضمير نحو][1] لن يدعوك، كتب بغير ألف فرقا بين الحالين .

(١) زيادة يقتضيها السياق

(ومنها) تزاد شذوذا بعد الواو المبدلة من الألف فى الرّبَو فتكتب بألف بعد الواو على هذه الصورة (الربوا) تنبيها على أن الأصل يكتب بالألف . ووجه الشذوذ أنه من ذوات الواو فكان قياسه أن يكتب بالألف .

وقد زيدت فى مواضع من المصحف، كما فى قوله تعالى : ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ﴾ تنبيها على أنه كان ينبغى أن تكون صورة الهمزة ألفا على كل حال ولا يعتدّ بالضم والكسرة إذ اللغة الأصلية فيها إنما هى فتح الراء دائما ، والقياس كتابته بصورة الحركة التى قبل الهمزة ، وكذلك كتبوا "لَا أَوْضَعُوا" بزيادة ألف بعد اللام ألف ، وذلك مختص برسم المصحف الكريم دون غيره فلا يقاس عليه ؛ والله أعلم .

الحرف الثانى

الواو ، وتزاد فى مواضع أيضا

(منها) تزاد فى عمرو بعد الراء إذا كان عَلَمًا فى حالتى الرفع والجرّ فرقا بينه و بين عُمَر . وكانت الزيادة واوا ولم تكن ياء لئلا يلتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم ، ولا ألفا لئلا يلتبس المرفوع بالمنصوب . وجعلت الزيادة فى عمرو دون عُمَر، لأن عَمْرا أخفّ من عُمَر من حيث بناؤه على فَعْل ومن حيث انصرافُه . أما فى حالة النصب فلا تزاد فيه الواو ويكتب عمرو بألف وعُمَرُ لا يكتب بألف لأنه لا ينصرف ، وكذلك المحلّى باللام كالعَمْر والمضاف كعَمْره والواقع قافية شعر كقول الشاعر :

إنّما أنتَ فى سُلَيْم كواوٍ * أُلحِقتْ فى الهجاء ظُلْمًا بعَمْرِ

وكذلك عَمْرٌ واحد عُمُور الأسنان : وهو اللحم الذى بينها ، وما هو بمعنى المصدر مثل قولهم : لعَمْرُ الله لا تزاد فيه الواو إذ لا لَبْس . ولم يفرقوا فى الكتابة بين عُمَر العَلَم وعُمَر جمع عُمْرة لأنهما ليسا من جنس واحد فلا يلتبسان .

(ومنها) تزاد فى أولئك بين الألف واللام فرقا بينها و بين إليك إذ حذفوا ألف أولئك الذى بعد اللام لكثرة الاستعمال فالتبست بإليك، وكانت الواو أولى بالزيادة من الياء، لمناسبة ضمة الهمزة، ومن الألف، لاجتماع صورتى الألف، وهم يحذفون الواحدة، إذا اجتمعت صورتاها، وجعلت الزيادة فى أولئك دون إليك، لأن الاسم أحمل للزيادة من الحرف ولأن أولئك قد حذف منه الألف فكان أولى بالزيادة لتكون كالعوض من المحذوف . ٥

قال ابن الحاجب : وحملوا أولى عليه مع عدم اللبس كما حملوا مائتين على مائة .

(ومنها) تزاد فى أُولِى وفى أُولُو بين الألف واللام، أما فى أُولِى فللفرق بينها و بين إلى، وأما فى أولو فبالحمل على أُولِى بالياء، صرح به الشيخ أبو عمرو بن الحاجب، وقاله الشيخ أثير الدين أبو حيان بحثا وادّعى أنه لم يَظْفَرْ فى تعليله بنصّ . قال : وحمل التأنيثُ فى أُولَات على التذكير فى أولى . ١٠

(ومنها) تزاد فى أُوَيْخ تصغير أَخِى بين الألف والخاء، والتغيير يأنس بالتغيير . وجعلت الزيادة واوا لمناسبة ضمة الهمزة كما فى أولئك ونحوه . وأكثر أهل الخط لا يزيدونها لأن التصغير فرع عن التكبير وليس ببناء أصلىّ .

الحرف الثالث ١٥

الياء المثناة تحت

وتزاد فى مواضع من رسم المصحف الكريم فيكتبون قوله تعالى : ﴿ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ ﴾ بياءين بين الألف والدال من قوله : "بِأَيْيدٍ" . وقوله تعالى : ﴿من نَبَإِى المُرْسَلِينَ﴾ بياء بعد الألف من نبإ، وقوله تعالى : ﴿من مَلَإِيهِ﴾ و﴿من مَلَإِيهِمْ﴾ بياء قبل الهاء فيهما . وهذا مما يجب الانقياد إليه فى المصحف اقتداءً بالصحابة

رضوان الله عليهم . أما فى غير المصحف فيكتب بأيد بياء واحدة لأن الهمزة فيه أول كلمــة فتصوّر ألفا كغيرها من الهَمَزات الواقعة أولا على ما ســيأتى بيانه إن شاء الله تعالى. و يكتب من نبإ ومن ملئه ومن ملَئهم بغير ياء لأن الهمزة فى نبإ وملإ أخيرة بعد فتحة فتصوَّرُ ألِفا كما فى نحو: كلا وخطإ، وكذلك إذا أضيف إليه الضمير.

٥ وذهب بعضهم إلى أنها تكتب فى هذا ياء على ما يناسب حركتها سواء أضيفت نحو : من كلئه أو لم تضف نحو من الكَلِئ .

قال بعضهم : والأقيسُ أن يكتب ياء مع الضمير المتصل نحو : من خطئه لأنها صارت معه كالمتوسطة و يكتب ألفا إذا تطرفت نحو : من خطإ آعتبارا بمـا يؤول إليه فى التخفيف؛ والله أعلم .

---

١٠ النـــوع الثـانى

ما يغيَّر بالنقص

والنقص يقع فى الكتابة على وجهيـــن :

الوجـــه الأوّل

ما لا يختص بحرف من الحروف، وهو المدغَم

١٥ فيكتب كلُّ مشدّد من كلمــة واحدة حرفا واحدا نحو : شدّ ومدّ وآدّكر ومفترّ وآقشعرّ فيكتب بدال واحدة فى شدّ ومدّ وآدّكر، و راء واحدة فى مفترّ وآقشعرّ و إن كان فى اللفظ حرفان، فإن الحرف المدغم فيا بعــده هو متلفــظ به ما كنا مدغما ، فكان قياسه أن تكتب له صورة بحسب النطق، لكنه لـما أدغم ضَعُفَ بالإدغام، إذ صار النطق به و بالمدغم فيه نطقا واحدا فآقتصر فى الكتابة على حرف واحد ولم يجعل

٢٠ للأوّل صورة آختصارا . وسواء كان المدغم إدغام مِثْلٍ نحو : رَدَّ، أو مقارب نحو:

ٱطجع أصله ٱضطجع . وأجروا نحو : قَنَتُّ مُجرى ما هو من كلمة واحدة وإن كان من كلمتين لشدّة ٱتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثلين .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وكذلك نحو : مِمَّ وعَمَّ[(١)] .

الوجــه الثـانى

ما يختص بحرف من الحروف

ويحصـــر ذلك فى خمســـة أحــرف :

الحـــرف الأوّل

الألف ، وتحـــذف فى مواضع

(منهـا) تحذف مع لام التعريف إذا دخلت عليها لام الجر ، فيكتب لِلْقوم ولِلْغلام وللناس بلامين متواليتين من غير ألف ؛ بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجرّ فإنها لا تُحذَف ، فيكتب بالقوم وبالغلام وبالناس بألف بين الباء واللام . وإن كان فى أوّل الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ليستا اللتين للتعريف نحو الألف واللام فى ٱلتقاء وٱلتفات وٱلتبـاس . ثم دخلت لام الجرّ أو باؤه ثبتت الألف ، فيكتب بٱلتقائنا ولِٱلتفاتنا ولِٱلتبـاس الأمر علىّ وبٱلتباســه ، فإن أدخلتَ ألف التعريف ولامه على الألف واللام اللتين من نفس الكلمة للتعريف ولم تَصل الكلمة بلام الجرّ وبائه لم تحـذف شيئا ، فيكتب الٱلتقاء والٱلتفات والٱلتبـاس بألفين ولامين[(٢)] ، وكذلك إذا وصلتهما بلام الجرّ أو بائه ، فيكتب بالٱلتقـاء وبالٱلتفات وبالٱلتباس وللٱلتقاء وللٱلتفات وللٱلتباس .

(ومنهـا) تُحذَف بعد اللام الثانية من لفظ الله تعالى ، وبعد الميم من الرحمن إذا دخلت عليها الألف واللام ، فيكتب الله بلامين بعدهما هاء على هذه الصورة "الله"

(١) فى الأصل : «وعم وإلام » والسياق يقتضى حذف كلمة «وإلام» لأنها ليست من الباب .

(٢) فى الأصل : «بلامين» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وإن كانت المدّة بعد اللام الثانية توجب ألفًا بعدها، ويكتب الرحمن بنون بعد الميم على هذه الصورة "الرحمن" وإن كانت المدّة على الميم توجب ألفا بعدها، لأنه لا ٱلتباس فى هذين الاسمين، ولكثرة الاستعمال . فلو تجرّدا عن الألف واللام كتبا بالألف كما قالوا : لاهِ أبوك، يريدون لله أبوك، فحذفوا حرف الجرّ والألف ٥ واللام وكتبوه بالألف . وكقولك : رَحمانُ الدنيا والآخرة فيكتبونه بالألف .

(ومنها) تحذف بعد اللام من السلام فى عبد السلام وفى السلام عليكم، فيكتبان على هذه الصورة : " عبد السّلٰم " و " السّلٰم عليكم " .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ملائكة فتكتب على هذه الصورة : "ملئكة".

قال أحمد بن يحيى : لأنه لا يشبه لفظ مثله، ولكثرة الاستعمال .

١٠ (ومنها) تحذف بعد الميم من سموات، فتكتب على هذه الصورة: "سمٰوات".

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وعلة الحذف فيه علة الحذف فى الملائكة من كثرة الاستعمال وعدم الشبه . وأما الألف الثانية منه وهى التى بعد الواو، فإنها لا تحذف، لأنها دليل الجمع، ولأنها لو حذفت لاجتمع فى الكلمة حذفان، وقد كُتِبَتْ فى المصحف بحذف الألفين جميعا فيجب الانقياد إليه فى المصحف خاصّةً .

١٥ (ومنها) تحذف بعد اللام فى أولئك، وبعد الذال من ذلك فيكتبان على هذه الصورة: "أولئك" و "ذلك". فلو تجرّد أولاء وذا عن حرف الخطاب وهو الكافُ، كتبا بالألف فيكتبان على هذه الصورة : " أولاء " و " ذا " .

(ومنها) تحذف بعد ها التنبيه إذا ٱتصلت بذا[1] التى للإشارة وكانت خالية من كاف الخطاب فى آخر الكلمة، فتحذف من هذا وهذه وهؤلاء، فيكتب الجميع بغير ٢٠ ألف، فإن ٱتصلت بٱسم الإشارة الكاف نحو ذاك ٱمتنع الحذف ، فيكتب بألف

(١) أى وأولاء كما يؤخذ من التمثيل .

بعد الهاء على هذه الصورة "ها ذاك" ولا يضر آختلاف حرف الخطاب بالنسبة للإفراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأما تا و تى فى الإشارة بنتاً(١) للذكر وبتى للؤنث ، فإن الألف لا تحذف معهما إذا آتصلت بهما ها التنبيه، فيكتب هاتا وهاتى وهاتان.

وذكر أحمد بن يحيى : أنها حذفت من هأنتم وهأنا وهأنت أيضا، فتكتب بألف واحدة بعد الهاء فى جميع ذلك . قال : وهو القياس؛ وكان الأصل أن تكتب بألفين على هذه الصورة : ها أنتم وها أنا وها أنت؛ ثم تلى الهمزة . ودليل أن ألف ها قد حذفت من ها التنبيه فى غير آتصالها بذا وما والاها من رسم المصحف فى ثلاثة مواضع من القرءان الكريم فى النور ﴿ أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وفى الزخرف ﴿ يٰأَيُّهَ السَّاحِرُ ﴾ وفى الرحمن ﴿ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ .

قال آبن قتيبة : ويكتب أيها الرجل وأيها الأمير بالألف وإن كان قد كتب فى القرءان الكريم بالألف وغير الألف لآختلافهم فى الوقف عليها .

(ومنها) تحذف من ثمانية عشر وثمانى نساء ، بخلاف ما إذا حذفت الياء منها نحو ثمان عشرة وعندى من النساء ثمانٍ فإنه لا تحذف الألف، بل تكتب على هذه الصورة : "ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان" لأنه قد حذف منه الياء فلو حذف الألف، لتوالى الحذف فيكثر؛ فمثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثَمٰنِيًا وَثَمٰنِيًا * وَثَمَانَ عَشْرَةَ وَٱثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا

يكتب الأولان بغير ألف والثالثة بالألف . وفى ثمانين وجهان : أحدهما إثبات الألف بعد الميم فيها ، لأنه قد حذف منه الياء إذ الياء فى ثمانين ليست ياء ثمانية ، لأنها حرف الإعراب المنقلبُ عن الواو فى حالة الرفع ، فلو حذفت الألف أيضا لتوالى فيه الحذف . والوجه الثانى الحذف ، لأن الياء منه كأنها لم تحذف بدليل أنه

(١) كذا فى الضوء أيضا ولعله سهو أو سبق قلم فإن تا وتى للؤنث كما هو واضح .

قد عاقبتها ياء أخرى فهما لا يجتمعان ، فكأن اليـاء موجودة إجراء للعاقب مجرى المُعاقَب . وإذا قلت ثمانون بالواو، فحكمُه حكم ثمانين بالياء فى جواز الوجهين .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ثلاث فيكتب على هذه الصورة : "ثَلٰث" سواء كانت مفردة، نحو عنـدى ثَلٰث من البَطّ، أو مضافة نحو ثَلٰث نساء، أو مركبة نحو ثلث عشرة آمرأة ، أو معطوفة نحو ثلث وثلاثون جارية ، وحكم ثلثة بالتاء كذلك فى جميع الصور .

وكذلك تحـذف أيضا من ثلاثين وثلاثون بالياء والواو ، فيكتبان على هـذه الصورة : "ثلثين" و "ثلثون" .

فأما ثُلاثَ المعدولُ كما فى قوله تعالى : ﴿مَثْنَى وثُلَاثَ﴾ . فقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : لم أقف فيه على نَقْل . قال : والذى أختاره أن يكتب بالألف لوجهين : أحدهما أنه لم يكثر كثرة ثلٰث ، وثلثة ، وثلثين ، وثلثون . والثانى أنها لو حذفت لالتبست بثُلُث الذى ليس بمعدول .

قال آبن قاسم رحمه الله : وقد ذكر فى "المُقْنِع"(١) أنه محذوف فى الرسم .

(ومنها) تحذف من ــ يا ــ التى للنـداء إذا آتصلت بهمزة نحو يا أحمد ، يا إبراهيم يا أبا بكر، يا أبانا، فتكتب على هذه الصورة : يٰأحمد، يٰإبراهيم، يٰأبا بكر، يٰأبانا . ثم الأظهر أن المحذوف هو ألف يا لا صورة الهمزة .

وقال أحمد بن يحيى : المحـذوف صورة الهمزة لا الألف من يا نعم إذا كانت الهمزة المتصلة بيا كهمزة آدم آمتنع الحـذف ، وكتبت بألفين على هذه الصورة : يا آدم، لأنهم قد حذفوا ألفا من آدم لتوالى أَلِفَيْن ، وحرف النداء مع المنادى كالكلمة الواحدة بدليل أنه لا يجوز الفصل بينهما فلو حذفت الألف من يا لآجتمع فيما هو كالكلمة الواحدة حذف أَلِفَيْن .

(١) هو كتاب « المقنع فى رسم المصحف » للامام أبى عمـرو الدانى ، ويوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٣ قراءات .

أما إذا لم يلِ يا همزةٌ البتةَ نحو: يا زيد، ويا جعفر، فالذى يستعمله الكُتَّابُ فيه إثبات الألف فى يا . وفى كلام أحمد بن يحيى تجويز كتابته بغير ألف أيضا، توجيها بأنهم جعلوا يا مع ما بعدها شيئا واحدا، إذ أقاموا يا مُقَام الألف واللام بدليل أنهم لا ينادون ما فيه ألف ولام، فلا يقولون يا الرجل .

٥ (ومنها) تحذف من الحارث إذا كان عَلَمًا ودخلت عليه الألف واللام، فيكتب على هـذه الصورة : الحٰرث . أما إذا عَرِىَ عن الألف واللام، فإنه يثبت فيه الالف لئلا يلتبس بحرب بالباء المُوَحَّدَة إذ قد سمى به، وإنما آمتنع اللبس مع الألف واللام لأنهما إنما يدخلان من الأعلام على ما كان صفةً إذا أريد به معنى التفاؤل وحَرْبٌ ليس بصفة فلم يدخلا عليه وإن كانا قد دخلا على بعض المصادر

١٠ كالعَلَاء . وكذلك إذا كان حارث آسم فاعل من الحرث فإنه يكتب بالألف أيضا كما إذا عرى عن الألف واللام .

(ومنها) تحذف مما كثر آستعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف إذا لم يحذف منها شيء، سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية نحو : مالك، وصالح، وخالد، أو من اللغة العجمية نحو: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وسليمان، فتكتب

١٥ على هذه الصورة: مٰلك، وصٰلح، وخٰلد، وإبرٰهيم، وإسمٰعيل، وهٰرون، وسليمٰن. بخلاف ما إذا لم يكثر آستعماله كحاتم، وجابر، وحامد، وسالم، وطالوت، وجالوت، وهاروت وماروت، وهامان وقارون، فإنها لا تحذف ألفها .

وقد حذفت فى بعض المصاحف من هاروت، وماروت، وهامان، وقارون، فكتبت على هذه الصورة : هرٰوت، ومرٰوت، وهمٰن، وقرٰون .

٢٠ قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وذكر بعض شيوخنا أن إثباتها فى نحو : صالح، وخالد، ومالك جيدٌ .

وقال أحمد بن يحيى : يجوز فيه الوجهان، وهو قضية كلام ابن قتيبة .

أما إذا كان العَلَمُ الذى كَثُر استعماله على ثلاثة أحرف فما دونها نحو : هَالَة[1] ولام، فإنه لا تحذف ألفه، وكذلك إذا حذف منه شيء غير الألف نحو : إسراءيل وداود، لأنهم قد حذفوا من إسراءيل صورة الهمزة، ومن داود الواو فامتنع حذف الألف لئلا يتوالى الحذف .

ويلتحق بذلك فى الإثبات ما لو خيف بالحذف التباسه : كعامر، وعبّاس، فلا تحـذف منه الألف أيضـا ، لأنه لو كتب بغير ألف ، لالتبس عامر بعُمَر، وعباس بعَبَس .

(ومنها) تحذف استحسانا ممـا كثر استعماله، ممـا فى آخره الألف والنون نحو شعبان، وعثمان وما أشبههما، فيكتبان على هذه الصورة "شعبٰن" و"عثمٰن"

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمـه الله : إلا أنهـم لم يحذفوا ألف عِمْرَان والإثبات فى نحو : شعبان حسنٌ أيضا .

قال ابن قتيبة : فأما شَيْطَان، ودِهْقَان، فإثبات الألف فيهما حسن . وكان القياس إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبا بغير ألف ، إلا أن الكُتَّابَ مُجْمِعُون على تَرْك القياس فى ذلك .

(ومنها) تحذف من كل جمع على وزن مفاعل أو وزن مفاعيل، إذا لم يحصل بالحذف التباس الجمع فيه بالواحد لموافقته له فى الصورة، بحيث لا يقع اللَّبْسُ مثل خواتم ودوانق فى وزن مفاعل، ومحاريب وتمـاثيل وشياطين فى وزن مفاعيل

(١) فى الأصل والضوء : «هالة رأوس ولام» وهو لا يتفق والسياق .

تحذف الألف فيكتب على هذه الصورة : خواتم، ودوانق، ومحاريب، وتماثيل، وشياطين، ودهاقين . إذ المفرد منها خاتَمٌ، ودانِقٌ، ومِحْرابٌ، وتِمْثالٌ، وشيطان، ودِهْقان، وهى لا تشابه صور الجمع فيها . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد، مثل : مساكين فى وزن مفاعيل جمع مِسْكين فإنه يكتب بالألف لئلا يلتبس بالواحد. فلو كان الحذف يؤدّى إلى موافقته للواحد فى الصورة لكنه فى غير موضع المفرد نحو : ثلاثة دراهم، ودراهم جياد، ودراهم معدودة، حذفتْ منه الألفُ وكتب على هذه الصورة : ثلاثة دراهم، ودراهم جياد، ودراهم معدودة، لأنه لا يلتبس حينئذ. بخلاف عندى دراهم ونحوه فإنه لو حذفت الألف منه لألتبس بدرهم المفرد .

ثم الحذف فى مفاعلَ ومفاعيلَ على ما تقدّم إنما هو على سبيل الجواز، و إلا فالإثبات أَجْوَدُ .

وشَرَط بعض المغاربة فى جواز الحذف شرطا، وهو ألّا تكون الألف فاصلا بين حرفين متماثلين؛ فلا تحذَف الألف من نحو : سكاكين، ودكاكين، ودنانير، لئلا يجتمع مثلان فى الخط وهو مكروه فى الخط ككراهته فى اللفظ .

وقد كُتِبَ فى المصحف مساكين، ومساكنهم بغير ألف على هذه الصورة: مَسٰكِينُ ومَسٰكِنُهُمْ، و إن كان اللبس موجودا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : و إنما كتبتا كذلك لأنهما قد قرئا بالإفراد فكتبتا على ما يصلح فيهما من القراءة . كما كتبوا ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ ﴾ بغير ألف على هذه الصورة ﴿ وَمَا يُخٰدِعُونَ ﴾ لأنه يصلح لقراءة يَخْدَعُونَ من الثلاثى .

(ومنها) تحذف الألف الأولى مما كان فيه ألفان، مما جمع بالألف والتاء المزيدتين نحو : صالحات، وعابدات، وقانتات، وذاكرات، فتكتب على هذه الصورة : "صالحات، وعابدات، وقانتات، وذاكرات" .

وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو : الصالحين، والقانتين ، فيكتب على هذه الصورة : "الصّٰلحين" و"القٰنتين" وإن لم يكن فيه ألف أخرى حملا على المؤنث .

وقال بعض المغاربة : إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالسماوات ، والصالحات ، فيختار حذف ألف الجمع وإبقاء الأخرى . وثبت فى المصحف بحذف الألفين جميعا على هذه الصورة : "سموت، وصلحت" وكذلك سياحات ، وغَيَابات . وإن كان ليس فيه ألف أخرى فالمختار إثبات الألف كالمسلمات ، وثبت أيضا فى المصحف محذوف الألف على هذه الصورة : مسلمت .

قال : وتحذف أيضا فى جمع المذكر السالم من الصفات المستعملة كثيرا : كالشاكرين، والصادقين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين، وما أشبهها فى كثرة الاستعمال فتكتب على هذه الصورة : "الشكرين، والصدقين ، والخسرين، والكفرين، والظلمين" .

نعم إن خِيفَ اللبس فيما جمع بالألف والتاء مثل طالحات، امتنع الحذف لأنه لو حذفت الألف منه، لالتبس بطَلَحَات بجمع طَلْحَة . وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون، نحو حاذرين، وفارهين، وفارحين . فلو حذفت الألف منه، لالتبس بحَذِرين، وفَرِهين، وفَرِحين؛ وهما مختلفان فى الدلالة، لأن فاعلا من هذا النوع مذهوب به مَذْهَب الزمان، وفَعِل يدل على المبالغة لا على الزمان .

وكذلك لو كان مضعّفا مثل شابّات، والعادّين، فلا يجوز فيه حذف الألف لأنه بالإدغام نقص فى الخط إذ جعلوا الصورة للمُدْغَم والمُدْغَم فيه شكلا واحدا . ولذلك كتبوا فى المُصْحَف : الضّالّين والعادّين بالألف . وقد أجرى مُجْرى المُضَعَّف فى الإثبات ما بعد ألفه همزةٌ نحو: الخائنين . وقد حذفت ألفه فى بعض المصاحف

فكتب على هذه الصورة: "الخشين" . ويتعين الإثبات أيضا فيما هو معتلّ اللام مثل : دانيات حملا على دانين ، كما حذف من الصالحين حملا على الصالحات ، ومثل : الرامين لأنه قد حذف منه لام الفعل . وحمل ما جمع بالألف والتاء عليه كما حمل الصالحين على الصالحات فى حذف الألف ، وإن كانت العلة فيهما مفقودة .

٥ قال ابن قتيبة : وكذلك ما كان من ذوات الياء والواو لا يجوز فيه حذف الألف نحو: هم القاضُون ، والرامُون ، والساعُون ، لأنهم حذفوا الياء لالتقاء الساكنين لمّا استثقلوا ضمّة فى الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء ، فكرهوا أن يحذفوا الألف أيضا لئلا يخلّوا بالكلمة .

(ومنها) تحذف إحدى الألفين مما اجتمع فيه ألفان مثل: أادم، واازر، واامن، ١٠ واامين، وااتين، واانفا، ووراائك ، وقراأة ، وبراأة ، وشناان ، وشبهه ، فتكتب على هذه الصورة: "آدم، وآزر، وآمن وآمين، وآتين، وآنفا ، ووراءك، وقراءة، وبراءة، وشنآن" فلو انفتح الأوّل منهما كما فى قرأا لفعل الاثنين من القراءة، كتب بألفين على هذه الصورة : (قرأا) لئلا يلتبس بفعل الواحد، إذ المفرد تقول فيه قرأ فتكتبه بألف واحدة . وذهب قوم إلى أنه فى التثنية يكتب أيضا بألف واحدة ١٥ مسندا إلى ألف الاثنين ، وبه قال أحمد بن يحيى . والذى عليه المتأخرون وهو الأجود عند ابن قتيبة ما تقدّم .

(ومنها) تحذف إحدى الألفات مما اجتمع فيه ثلاث ألفات، مثل براأات جمع براءة، ومساأات جمع مساءة، فتكتب بألفين فقط على هذه الصورة : "براآت" و "مساآت" لأنها فى الجمع ثلاث ألفات . فلو حذفوا اثنين، أخلّوا بالكلمة .

٢٠ (ومنها) تحذف من أوّل الكلمة فى الاستفهام فى اسم، أو فعل، نحو: آللهُ أَذِنَ لَكُمْ ؟ أالسِّحْرُ إنّ الله سَيُبْطِلُهُ؟ أالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأنثيين ؟ أاصطفى البَنَاتِ عَلَى

آلْبَنِينَ ؟ أالرجل فى الدار؟ أاسمك زيد أم عمرو؟ فتكتب بألف واحدة على هـذه الصورة : آللهُ ؟ آلسِّحْرُ ؟ آلذَّكَرَيْنِ ؟ آلرجل ؟ آسمك ؟ آلآن ؟ .

ثم مذهب أحمد بن يحيى ، وعليه جرى ٱبن مالكٍ رحمه الله : أنه لا فرق بين المكسورة، والمضمومة . والذى ذهب إليه المغاربة أنها تكتب بألفين ، إحداهما ٥ ألف الوصل، والأخرى همزة الاستفهام .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وجاز فى نحو: أالرجل ، الأمران، ورسمت فى المصحف بألف واحدة نحو : آلذكرين، آلآن .

(ومنها) تحذف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف من حروف الجرّ، نحو: عَمَّ تسأل؟ وفِيمَ تُفَكِّر؟ ومِمَّ فَرِقْتَ؟ ولِمَ تكلَّمتَ ؟ وبِمَ عَلِمْتَ ؟ وحَتَّامَ تغضبُ ؟ ١٠ وعَلامَ تَدْأَبُ؟ فتكتب كلها بغير ألف فى آخرها فرقا بينها وبين ما الموصولة، ويصير حرف الجرّ كأنه عوض من الألف المحـذوفة . وكان الحذف من الاستفهامية دون الموصولة لأن آخرها منتهى الاسم، والأطراف محلُّ التغيير. بخلاف الموصولة، لأنها متوسطة من حيث إنها تحتاج إلى صلة .

وحكى الكوفيون ثبوتها فى الاستفهامية أيضا؛ والله أعلم .

١٥ تذنيب

تحذف الهمزة المصوّرة بصورة الألف فى أربعة مواضع .

الأوّل — تحذف بعد الباء من بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، فتكتب بغير ألف على هذه الصورة "بسم". والقياس إثباتها كما تكتب بأبها بالألف لكنها حذفت لكثرة الاستعمال، أما فى غير بسم الله الرحمن الرحيم، فظاهر كلام ٱبن مالك أنها لا تحذف، ٢٠ فتثبت فى بٱسم ربك، وفى بٱسم الله، مفردا .

وقال بعضهم : إن كان مضافا إلى لفظ الله تعالى وليس متعلّق الباء ملفوظا به ، حذفت وإلا فلا ، فتثبت فى بآسم ربك لأنه غير مضاف إلى لفظ الله تعالى ، وفى نحو قولك : تبركت بآسم الله ، لأن متعلقه ملفوظ به .

وقال الفرّاء فى قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ إن شئتَ أثبتَّ وإن شئت حذفتَ ، فمَنْ أثبت قال : ليست مبتدأ بها ، وليس معها الرحمن الرحيم ؛ ومَنْ حذف ، قال : كان معها الرحمن الرحيم فى الأصل ، فحذفت فى الآستعمال . فإن أضفتَ الأسم إلى الرحمن أو القاهر ونحوه ، فقال الكسائىّ : تحذف ، وقال الفرّاء : لا يجوز أن تحذف إلا مع الله لأنها كثرت معه ، فإذا عَدَوْتَ ذلك أثبت الألف .

الثانى — تحذف بين الفاء والواو ، وبين همزة هى فاء الفعل من وزن الكلمة ، مثل قولك : فَأْت وأْت ، لأنهم لو أثبتوا لها صورة الألف ، لكان ذلك جمعا بين ألفين : إحداهما صورة همزة الوصل ، والأخرى صورة الهمزة التى هى فاء الفعل ، مع أن الواو والفاء شديدتا الآتصال بما بعدهما لا يوقف عليهما دونه ، وهم لم يجمعوا بين ألفين فى سائر هجائهم إلا على خلاف فى المتطرفة كما مرّ ، لأن الأطراف محلّ التغييرات والزيادة ، فلذلك حذفوها فى نحو : فأذن ، وأْتمن فلان ، وعليه كتبوا ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ ﴾ فلو كانت الهمزة بين غير الفاء والواو وبين الهمزة التى هى فاء الفعل ثبتت ، نحو آئتو و ﴿ الَّذِى اؤْتُمِنَ ﴾ . ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّى ﴾ وكذلك لو كانت آبتداء والهمزة فاء الفعل ، نحو آئذن لى ، آؤتمن فلان ، ثبتت أيضا ؛ أوليست فاء ، نحو : ثم آضرب ، وآضرب ، فاضرب . وكذلك فى ﴿ وأْتُوا البيوت ﴾ .

الثالث — تحذف فى آبن وآبنة ممـا وقع فيه آبن مفردا صفة بين علَمَين ، غير مفصول ، فيكتب نحو جاء فلان بن فلان ، أو فلانة بنة فلان بغير ألف فى آبن وآبنة . ولا فرق فى ذلك بين أن يكون العَلَمَان آسمين ، نحو هذا أحمد بن عُمَرَ ، أو كُنيتين ،

نحو: هذا أبو بكر بن أبى عبدالله، أو لقبين، نحو: هذا بَبَّةُ بن بطة، أو آسما وكنية، نحو: هذا زيد بن أبى قُحَافَةَ، أو لقبا وآسما، نحو: هذا أنف الناقة بن زيد، أو كنية ولقبا، نحو: هذا أبو الحارث بن بَبَّت، أو لقبا وكنية، نحو: هذا بدرالدين بن أبى بكر.

فهذه سبع صور: تسقط فيها الألف من آبن ولا تسقط فيما عداها، فلو قلت هذا زيد آبنك، وآبن أخيك، وآبن عمك، ونحو ذلك مما ليس صفة بين علمين،[1] أثبتَّ فيه الألفَ. وكذلك إذا كان خبرا كقولك: أظنّ زيدًا آبن عمرو، وكأن بكرا آبنُ خالد، و إن زيدا آبن عمرو، فتثبُت الألف فى الجميع. ومنه فى القرآن الكريم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارى الْمَسِيحُ ٱبْنُ اللهِ﴾ كتبتا فى المصحف بالألف. فلو ثنيت الآبن، ألحقتَ فيه الألف صفة كان أو خبرا، فتكتب: قال عبد الله، وزيدٌ آبنا محمد كذا وكذا، وأظنّ عبد الله وزيدا آبنى محمد فعَلَا كذا بالألف. وكذلك إذا ذكرتَ آبنًا بغير آسم، فتكتُب: جاء آبن عبد الله بالألف أيضا. وحكم آبنة مؤنثا فى جميع ما ذكر حكم الآبن، تقول: جاءت هندٌ بِنْةُ قيس، فتحذف الألف. وشرط الأستاذ أبو الحسن بن عُصْفُور أن يكون مذكرا فلا تسقط من آبنة.

ونقل أحمد بن يحيى عن أصحاب الكسائىّ: أنه متى كان منسوبا إلى آسم أبيه أو أمه أو كنية أبيه أو أمّه وكان نعتا، حذفوا الألف فلم يُجزه فى غير الآسم والكنية فى الأب والأم. قال: وأما الكسائىّ فقال: إذا أضفت إلى آسم أبيه أو كنية أبيه، وكانت الكنية معروفا بها كما يعرف بآسمه، جاز الحذف، لأن القياس عنده الإثبات والحذف آستعمال؛ فإذا عدى الآستعمال، رُجِعَ إلى الأصل.

وحكى آبن جِنِّى عن متأخرى الكُتَّاب: أنهم لا يحذفون الألف مع الكنية، تقدّمت أو تأخرت. قال: وهو مردود عند العلماء على قياس مذاهبهم.

(١) فى الأصل: «مما ليس له صيغة» وفى الضوء: «مما ليس بين علمين» والسياق يقتضى ما أثبتناه.

والألف تحذف من الخط فى كل موضع يحذف منه التنوين وهو حذف مع الكنى .

الرابع — تحذف من كل معرّف بالألف واللام إذا دخلت عليه لامُ الابتداء، نحو: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أو لامُ الجر، نحو للدّار ألفٌ ساكن غيرك؛ وقياسها الإثبات كما أثبتوها فى لأبنك قائم، ولأبيك مال؛ وسبب حذفها ٱلتباسها بلا النافية . ٥

وذهب بعضهم : إلى أنها لا تحذف مع لام الابتداء فرقا بينها و بين الجارّة . ولم يحذفوها من نحو : مررت بالرجل؛ والله أعلم .

الحرف الثانى

اللام، وتحذف فى مواضع ١٠

(منها) تحذف من الذى للزومها، فكأنها ليست منفصلة ، وكذلك تحذف من جمعه وهو الذين لأنه يشبه مفرده فى لزوم البناء ، ولفظ الواحد كأنه باق فيه ؛ ولم يحذفوه من المثنّى كما فى قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ فكتبوه بلامين فرقا بينه و بين الجمع . وإنما ٱختصت التثنية بالإثبات ، لأنها أسبق من الجمع، واللبس إنما حصل بالجمع . ١٥

(ومنها) تحذف من الّتى للزومها كما تقدّم، ومن تثنيتها وهى الّتان، و جمعها : وهى الّاتى لأنهما لا يلتبسان، بخلاف تثنيه الذى وحروفه .

وقال أحمد بن يحيى : كتبوا اللاتى (الّتِى) واللائى (الّئى) وأسقطوا لاما من أوّلها وألفا من آخرها . قال : وهذا للٱستعمال لأنه يقل فى الكلام مثله ، و يدل عليه ما قبله وما بعده، ولو كتب على لفظه كان أولى . ٢٠

قال الشـيخ أثير الدين أبو حَيّان رحمه الله : والذى عهـدناه من الكُتّاب أنه لا تحذف الألف لئلا يلتبس بالمفرد .

(ومنها) تحذف من الليل والليـلة على أجود الوجهين، فيكتبان بلام واحدة على هـذه الصورة : "الَّيل والَّيلة" : لأن فيه اتباع المصحف ؛ وأجاز بعضهم كتابته بلامين . قال أبو حَيّان : وهو القياس .

(ومنها) تحذف من [اللَّعِب][1] ونحوه، ممـا دخل عليه لام الجرّ فيكتب بلامين وإن كان فى اللفظ ثلاث لامات .

(ومنها) قال أحمـد بن يحيى : يكتب الَّطيف بلام واحدة ، لأنه قـد عُرِف ثِـذف ، وهذا بخلاف اللَّهو ، واللَّعِب ، واللُّعْبَـة ، واللاعبين، واللَّغْو، واللُّؤلُؤ، واللّاتِ، واللهم، واللَّهَب واللوّامة، فإنها لا تحذف منها اللام .

قال ابن قتيبة : وكل اسم كان أوّلُه لامًا ثم أدخلت عليه لام التعريف، كتبته بلامين، نحو : اللهم، واللبن، واللحم، واللجام، وما أشبه ذلك . وإن كانوا قد اختلفوا فى الليل والليلة لموافقة المصحف كما تقدم .

الحـــرف الثـالث

النون ، وتحـــذف فى مواضـــع

(منهـا) تحذف مِنْ عَنْ إذا وصلت بِمَنْ أو بِمَـا ، فتكتب عَمَّن وعَمَّا وعَمّ .

(ومنها) تحذف مِنْ مِنْ الجارّة إذا وُصِلَتْ بِمَنْ أو ما ، فتكتب مِمَّن ومِمَّـا .

(ومنها) تحذف مِنْ إنْ إذا وُصِلَتْ بلَمْ، فتكتب إلَمْ .

(ومنها) تحذف من أنْ المفتوحة إذا وُصِلَتْ بلا ، فتكتب أَلَّا .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

الحـــرف الرابع

الواو ، وتحـــذف فى مواضـــع

(منها) تحذف لأمن اللبس ، مثل ما كتبوا من قوله تعالى : ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ . ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ بغير واو فى يدعو ويمحو ، لأن ذكر الداع فى الأوّل ، وذكر الله تعالى فى الثانى يمنع أن يكون الفاعلُ جماعةً فلا يحصل اللبس ، بخلاف قولك لا تضربوا الرجل ، فإنه لو حذف لآلتبس الجمع فيه بالواحد .

(ومنها) تحذف مما توالى فيه واوان فى كلمة واحدة ، مثل : داوود ، وطاووس ، ورؤوس ، ويَسْتَوُون ، ويَلْوُون ، وأْوُوا إلى الكَهْف ، ويُسَوُّوا ، وتَبَوَّؤُوا ، وجَاؤُوا ، وبَاؤُوا ، وأسَاؤُوا ، ويَؤُودُهُ ، ويَؤُوسٌ ، وفادرؤوا ، ومُبَرَّؤُون ، فيكتب بواو واحدة . وكتب بعضهم طاوُوس ونحوه بواوين على الأصل ، والقياس الآقتصار على واو واحدة كراهة آجتماع المثلين .

وآستثنى آبن عُصْفُور من ذلك موضعًا ، وهو ألا يؤدّى إلى اللبس ، نحو : قؤول وصؤول على وزن فَعُول فإنه يلتبس بقَوْل وَصَوْل ، وآختاره أحمد بن يحيى .

(ومنها) تحذف مما توالى فيه ثلاث واوات فى كلمتين ككلمة ، مثل : ليسوءوا ، وينوءون ، فتكتب ليسوءوا ، وينوءون ، بواوين فقط ، ويكتب لَوَّوْا ، وآجْتَوَوْا ، وآلْتَوَوْا ، بواوين ، لأنه لو حذفت إحدى الواوين لآلتبس الجمع بالمفرد

ووقع فى المصحف كتابة يَسْتَوُونَ ، ويَلْوُونَ ، بواو واحدة ، وذلك لأن فى يستوون ونحوه آجتمع واوان وضمة ، فناسب الحذف ، وفى لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ، ونحوه آنفتح ما قبل الواو فناسب الإثبات .

(ومنها) تحذف للجزم كما فى قولك : لم يَغْدُ ، فتحذف الواو علامةً للجزم ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

الحـــرف الخـــامس

اليـــاء ، وتحـــذف فى مواضـــع

(منها) للجزم كما فى قولك : لم يَقْضِ، فتحذف الياء من آخره علامةً للجزم .

(ومنها) تحذف لمراعاة الفواصل، نحو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ بغير ياء فى آخرها لمراعاة ما قبله من قوله : ﴿ والفَجْرِ ﴾ .

(ومنهـا) تحـذف فيما توالى فيه ياءان أو ثلاثة ، فتكْتُبُ النَّبِيِّنَ، وخَاسِئِينَ، وخَاطِئِين، وإسْرَائيل، وما أشبه ذلك بياءين فقط[1]، وإن كان فى اللفظ ثلاث ياءات .

(ومنها) تحذف لأمن اللبس، فتَكْتُبُ قارءين جمع قارئٍ بياء واحدة، فرقا بينها وبين قَارِئَيْنِ تثنية قارئ فإنها تكتب بياءين .

(ومنها) تحذف مدّة ضَمير[2] الغائب مثل قولك : ضربه، فتكتبه بغير واو ، وإن كنت تلفظ به لأنك إذا وقفت حذفتها ووقفت على الهـاء ساكنة ، وكذلك مدّة ضمير الغائبين ، مثل قولك : ضربهُـمُ فى لغة من وصل الميم ، وكذلك حذفوها إذا وليت الكاف ، نحو : ضربكُمُ زيد ولكُمُ فى لغة من وصـل الميم بواو وبياء، لأنه إذا وقف حذف الصلة ؛ والله أعلم

النـــوع الثـــالث

ما يُغـــيَّر بالبـــدل

والحروف التى يدخلها البدل ثلاثة أحرف : الألف ، والواو، والياء، والألف والياء أكثرهما تعاقبا .

فتنوب الياء عن الألف فى ثلاثة محال :

---

(١) لعل فى العبارة سقطا والأصل فيكتب بياء فقط وإن كان فى اللفظ ياءين وبياءين فقط وإن كان الخ .

(٢) تعلق هذا بالحرف الرابع أكثر منه بالخامس .

المحـــل الأوّل

الاسم، وهو ثلاثة أحوال

الحال الأوّل — أن تكون الألف فيه رابعة فصاعدا، نحو : المِعْـزى، والمُسْتَدْعى، والحُبْلى، والمَرْضى، والمَلْهى، والمَدْعى، والمُشْتَرى، ومِقْلى، ومَثْنى، وكذلك أعْمَى، وأعشى، وأظمى، وأقنى، وأدْنى، وأعْلى، ومُعَافى، ومُنَادى، وما أشبه ذلك، فتكتب الألف فى جميع ذلك ياءً سواء كان منقلبا عن واو أو منقلبا عن ياء، لأنك إذا ثنيته ثنيته بالياء؛ ومن ثم كتبت ياويلتى، وياحسرتى، ويا أسفى، بالياء إشعارا بأنها مما تمال أو تقلبها عند التثنية ياء، إلا فيما قبلها ياء نحو : الدُّنيا، والعُلْيا، والقُصْيا، وهُدْيا، ومَعْيا، ومَحْيَا، ومُحْيَا، وعام حَيّا ورُؤْيا، وسُقْيا، فإنك لا تكتب الألف فيها ياءً كراهة أن تجتمع ياءان فى الخط . نعم يغتفر ذلك فى نحو: يحيى وريّى علَمين، للفرق بين يحيى علما و بينه فعلا وبين ريّى علما و بينه وصفا، وكان البدل فى العَلَم دون الوصف والفعل لأن الفعل والصفه أثقل .

قال ابن قتيبة : وأحسبهم اتبعوا فى يحيى رسم المصحف[1]

فلو كان مهموزا، نحو: مستقرأ ومستنبئا، أو قبل آخره ياء نحو: خَطَايَا، وزَوَايَا، ورَكَايَا، والحَوَايَا، والحيا، وما أشبهه كتب بالألف .

الحال الثانى — أن تكون الألف فيه ثالثةً، فإن كانت مبدلة عن ياء، نحو: فتى، ورحى، وسوى، والهُدى، والمَدى للغاية، والهوى لهوى النفس، ونَدى الأرض، ونَدى الجُود، وحَفى الدابة، والكرى: النوم، والقَذى، والأذى، والخَنى : فحش القول، والضّنى: المرض، والرَّدى : الهلاك، والطَّوى: الجوع، والأسى: الحزن، والعَمى : فى القلب والعين، والجَنى : جَنى الثمرة، والصَّدى : العطش، والشَّرى :

(١) كذا فى الضوء أيضا وليس مما نحن فيه .

فى الجسد ، والضَّوى : الهُزَال ، والثَّرى : التراب النَّدىّ ، والجَوى : داء فى الجوف ، والسُّرى : [سَـيْرُ] (١) الليل ، والسَّلَى : سلى الناقة ، ومِنًى : المكان المعروف ، والمَدَى الغاية ، والصَّدى : آسم طائر يقال إنه ذكر البوم ، والنَّسَى : عرق فى الفَخِذ ، وطُوًى : وَادٍ ، والوَغى : الحربُ ، والوَحى : العَجَلُ ، والوَرى : الخَلْق ، والذَّرى : الناحية وأنا فى ذَرى فلان ، والمعى واحد الأمعاء ، والحِجى والنُّهى : العَقْلُ ، والحَشى واحد الأحشاء ، وما أشبه ذلك كتب بالياء .

وإن كانت منقلبة عن واو ، نحو عصا ، ومَنًا للقَدْر ، ورَجًا لجانب البئر ، والقَنَا فى الأنف ، والرِّما والقَرَا للظهر ، والعَشا فى العين ، والقَفَا : قَفَا الإنسان ، والصَّغَا : ميلكُ للرجل ، ووَطًا جمع وطاة ، و[لَهًا جمع] (٢) لهاة ، والفَلَا جمع فلاة ، كتب بالألف .

١٠ وتفترق الواو من الياء فيه بطرق أقربها التثنية تقول فى الأوّل : فتيان ، ورحيان ، وسويان .

قال آبن قتيبة : فلوورد عليك آسم قد ثُنِّى بالواو والياء عَمِلْتَ على الأكثر الأعمّ . وذلك نحو رَحًى ، فإن من العرب من يقول : رحوت الرَّحاء ، ومنهم من يقول : رحَيت ، قال : وكَتْبها بالياء أحبُّ إلىّ لأنها اللغة العالية .

١٥ وكذلك الرِّضا ، من العرب من يقول فى تثنيته : رضيان ، ومنهم من يقول : رضوان ، قال : وكتابته بالألف أحبّ إلىّ ، لأن الواو فيه أكثر ، وهو من الرضوان . وكذلك الحكم فى متى ، لأنها لو سُمِّى بها وثُنِّى ، لقلت متيان ، فيعلم أنه من ذوات الياء . وتقول فى الثانى : عصَوَان ومَنَوَان ورَجَوَان ، فيعلم أنه من ذوات الواو . فإذا أشكل عليك شىء فلم تعـلَمْ أهو من ذوات الواو [أو من ذوات الياء] (٢) ؟ نحو

٢٠ خَسًا بالخاء المعجمة والسين المهملة ، كتبته بالألف لأنه هو الأصل

(١) تقدّم فهو مكرر (٢) الزيادة عن ضوء الصبح .

ومنهم من يكتب الباب كلّه بالألف على الأصل وهو أسهل للكُتّاب . وعلى تقدير كَتْبِها بالياء فلو كان منونا فالمختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا ، وهو قياس المبرّد ، وقياس المازنى أن يكتب بألف إذ هى ألف التنوين عنده فى جميع الأحوال .

وقاس سيبويه المنصوبَ[1] بالألف لأنه للتنوين فقط .

٥ قال ابن قتيبة : وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث ، فما كان فى المؤنث بالياء كَتَبْتَه بالياء ، نحو : العَمى ، والظَّمى ، لأنك تقول : عَمْيَاء وظَمْيَاء ، وما كان المؤنث فيه بالواو كتبته بالألف ، نحو : العَشَا فى العين ، والعَثَا وهو كثرة شعر الوجه ، والقَنا فى الأنف ، لأنك تقول : عَشْواء ، وقَنْواء ، وعَثْواء .

قال : وكل جمع ليس بين جمعه وبين واحده فى الهجاء إلا الهاء من المقصور ، ١٠ نحو الحصى ، والقَطا ، والنَّوى ، فما كان جمعه بالواو كتبته بالألف ، وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء .

وكتبت لدَى بالياء لانقلابها ياء فى لَدَيْكَ .

وأما كِلَا ، فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب بالألف ، لأن ألفه عن واو ، ومن زعم أنها عن ياء كالمِعى ، كَتَبَها بالياء . وأجاز الكوفيون كتبها بالياء وهو خطأ ١٥ على مذهبهم ، لأن الألف عندهم للتثنية ، وألف التثنية لا يجوز أن تكتب ياء لئلا يلتبس المرفوع بغيره . وقياس كلتا عند البَصْريين أن تكتب ياء ، وشذ كتابتها بالألف .

قال ابن قتيبة : والذى أَسْتَحِبُّه أن تُكْتَبَ كِلَا وكِلْتَا فى حال الرفع بالألف ، وفى حالتى الجر والنصب بالياء . فإذا قلت : أتانى كِلَا الرجلين أو كِلْتَا المرأتين ، كتبته بالألف . وإذا قلت : رأيت كلى الرجلين أو كلتى المرأتين كتبته بالياء ، لأن العرب ٢٠ قد فرقت بينهما فى اللفظ[2] فقالوا : رأيت الرجلين كليهما ، ومررت بالرجلين كليهما ، ومررت بالمرأتين كلتيهما . وقالوا : جاءنى الرجلان كلاهما ، والمرأتان كلتاهما .

(١) لعله المنصوب فقط فقال يكتب بالألف الخ . (٢) أى مع المكنى كما هى عبارة ابن قتيبة .

وتَتْرى إن لم تنوّن ، فألفهـا للتأنيث ، وإن نوّنت فهى للإلحاق ؛ وقياسهـا أن تكتب بالياء . ومن زعم أنه فَعْلى ، فألفه بدل التنوين كألف صبرا ، فهو قياسه .
ووقع فى كلام ابن البادس أن تترى فى الخط بياء ، وهو خلاف المعروف .

تنبيـــــه

٥ لو اتصل الاسم الذى يكتب بالياء بضمير متصل ، نحو : رحاك ، وقفاك ، وملهاك ، ومَرْعاك ، فقيل يكتب بالياء كحال عدم اتصالها ، فيكتب على هذه الصورة : رحيك ، وقفيك ، وملهيك ، ومرعيك .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيّان رحمه الله : واختيار أصحابنا فيه بالألف إذا اتصل به ضمير خفض أو ضمير نصب ، سواء كان ثلاثيا أم أزيد ، إلا إحدى خاصة فإنها
١٠ تكتب بالياء حال اتصالها بضمير الخفض ، نحو من إحديهما كحالها دون الاتصال .

واختلفوا إذا اتصلت بتاء تأنيث تنقلب هاء فى الوقف ؛ فذهب البصريون إلى كتابتها ألفا ، نحو الحصاة ، واختار الكوفيون كتابتها بالياء نحو الحصية .

الحال الثالث — أن تكون الألف فيه ثانية ، نحو ما وذا إذا كانا اسمين ، فيكتب بالألف على صورة النطق به

المحل الثانى

١٥

الفعل ، وله حالان

الحال الأوّل — أن تكون الألف فيه رابعة فصاعدا ، نحو : أعطى ، واستعلى ، وتداعى ، وتعادى ، واستدنى ، وما أشبهه ، فتكتبه كلّه بالياء إلا أن يكون مهموزا ، نحو : أخطأ ، وأنبأ ، وتخاطأ ، واستنبأ ، فإنه يكتب بالألف ، وكذلك إذا كان قبل آخره ياء ،
٢٠ نحو : استحيا ، وتحايا ، وأعيا ، وتعايا ، واستعيا ، وما أشبهه ، فإنك تكتبه بالألف .

ووقع فى بعض المصاحف : ﴿ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ بالألف فى آخر نخشى ، وفى بعض المصاحف بالياء .

الحال الثانى — أن تكون الألف ثالثةً ، فتردّه إلى نفسك ، فإن ظهرتْ فيه الواوَ فآكتبه بالألف ، نحو قولك : عدا ، ودعا ، ومحا ، وغزا ، وسلا ، وعلا من العلو ، لأنك تقول : عدوت ، ودَعَوْتُ ، ومحوت ، وغزوت ، وسلوت ، وعلوت . وشذّ زكى ، فكتب بالياء و إن كان من ذوات الواو ، لأنه من زكى يزكو ، إلا أن العرب يُميلون الأفعالَ ذوات الواو . وإن ظهرت فيه الياء فآكتبه بالياء ، نحو قولك : قضى ، ومشى ، وسعى ، وعصى ، لأنك تقول : قضيت ، ومشيت ، وسعيت ، وعسيت ، و يجوز كتابته بالألف أيضا .

تنبيـــــه

لو آتصل بالفعل ضمير متصل ، نحو : رماه ، وجزاه ، ورعاه ، فقيل يكتب على حاله بالياء ، فيكتب على هذه الصورة : رميه ، وجزيه ، ورعية ، والصحيح كتابته بالألف .

قال آبن قتيبة : وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر إلى أصله ، وكتبته كله بالياء ، فتكتب أَغْزَى فلان فلانا ، وأدنى فلان فلانا ، وألهى فلان فلانا بالياء . وهو من غزوت ، ودنوت ، ولهوت ، لأنك تقول فيه : أغزيت ، وأدنيت ، وألهيت . وكذلك تكتب يُغْزَى ، ويُدْنَى ، و يُلْهَى ، على البناء لما لم يسم فاعله بالياء ، لأنك تقول فى تثنيته : يُغْزَيان ، ويُدْنَيَان ، و يُدْعَيَان .

المحـــل الثـــالث

بعض الحـــروف

وآعلم أن الحرف الذى فى آخره ألف فى اللفظ إنما يكتب أَلِفًا على صورة لفظه ، نحو : ما ، ولا ، وألا ، وما أشبهها ، وآستثنوا من ذلك أربع صور فكتبوها بالياء .

إحداها ــ بَلَى، قال بعض النحاة : لإمالتها ، وقال سيبويه : لأنه إذا سمي بها وثنيت قيل بَلَيَان كما يقال فى متى مَتَيَان .

الثـانية ــ إلى، وكُتبت بالياء ، لأنها تُرَدّ إلى الياء فى قولهم : إليك .

الثـالثة ــ على، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء أيضا فى قولهم : عليك ،

٥ قال ٱبن قتيبة : وكان القياس فيهـا وفى إلى أن تكتبا بالألف لعدم جواز الإمالة فيهما .

الرابعــة ــ حتَّى، وكتبت بالياء حملا على إلى، لكونهما بمعنى الأنتهاء والغاية، ولأنه قد روى فيها الإمالة عن بعض العرب فروعى حكمها .

تنبيـــــــه

١٠ لو وليتْ ما الأستفهامية حتَّى، أو إلى، أو على، كُتِبْنَ بالألف على هذه الصورة : حَتَّامَ، و إلام، وعَلَامَ، لأنها شديدة الأتصال بمـا الأستفهامية بدليل أن ما بعدها لا يوقف عليه إلا بذكرها معه، فكأنّ الألف وقعت وَسَطًا فصارت كحال ما كتب بالياء إذا ٱتصل بضمير خفض أو ضمير نصب، فإنه يكتب بالألف .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : فإنْ وُصل فى حَتَّامَ و إلى الهـاء

١٥ الجائزة، فلك أن تجريها على الأتصال ولا تَعْتَدَّ بها، ولك أن تعتدّ بها وترجعَ الألف فى حتَّى، و إلى، وعلى، إلى أصلها، فتكتب بالياء يعنى على هذه الصورة حتى مه، و إلى مه، وعلى مه .

فائـــــدة

قد يُكْتَبُ بالياء ما هو من ذوات الألف للمجاورة كما فى قوله تعالى : ﴿والضُّحى

٢٠ وَاللَّيْلِ إِذا سَجى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ فإن الضُّحى ونحوه قياسه عند البصريين

أن يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو ، ولكنه كتب بالياء لمجاورة سجى ، وسجى
وإن كان من ذوات الواو أيضا ، كتب بالياء لمجاورة قلى الذى هو من ذوات الياء ،
فسجى مجاور ، والضحى مجاور المجاور .

وأما الواو فقد نابت عن الألف فى مواضعَ من رسم المصحف الكريم ، وهى :
الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، والنجاة ، ومِشْكَاة ، ومَنَاة ، فتكتب على هذه الصورة : ٥
الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، والنجوة ، ومنوة ، ومِشْكوة . فمنهم من كتبها كذلك
فى غير المصحف أيضا آتباعا للسَّلَف فى ذلك ؛ ومنهم من كتبها بالألف وهو
القياس ، ووجه بأن رسم المصحف متبع فى القرءان خاصةً ، ولا يكتب شىء من
نظائر ذلك إلا بالألف . كالقناة ، والقطاة ، آقتصارا على ما ورد به الرسم السلفىّ .

قال آبن قتيبة : وقال بعض أهل الإعراب : إنهم كتبوا هذه الكلمات بالواو ١٠
على لغات الأعراب ، وكانوا يُميلون فى اللفظ بها إلى الواو شيئا . وقيل : بل كتبت
على الأصل ، إذ الأصل فيها واو ، لأنك إذا جمعت قلت : صلوات ، وزكوات ،
وحيوات : وإنما قلبت ألفًا ، لما آنفتحت وآنفتح ما قبلها .

قال : ولولا آعتياد الناس لذلك فى هذه الأحرف الثلاثة ، أى الصلاة ، والزكاة ،
والحياة ، لكان من أحب الأشياء إلىّ أن تكتب كلها بالألف . وجمعوا فى الربا ١٥
بين العوض والعوض منه ، فكتبوه بواو وألف بعدها على هذه الصورة : الربوا .
وفى بعض المصاحف : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾ بألف بغير واو ، وما سواه فلا خلاف فيه .

تنبيـــــــه

لو آتصل بشىء مما أبدلت ألفه واوا ضمير ، نحو صلاتهم ، وزكاتهم ، وحياتك ،
ونجاته ، ومِشْكَاته ، ورباه ، كتبت بالألف دون الواو[1] ؛ والله أعلم . ٢٠

(١) فى الأصل والضوء : «دون الياء» والصواب ما أثبتناه .

القســـــم الثـانى

ما ليس له صـــورة تخصـــه

وهو الهمزة، إذ تقع على الألف والواو والياء، وعلى غير صورة؛ ولها ثلاثة أحوال:

الحـال الأوّل

أن تكون فى أوّل الكلمـــة

فتكتب ألفا بأىّ حركة تحركت، من فتحة مثل: أحمد، وأيوب، وأحد؛ أو ضمة نحو: أخذ، وأُكرِمَ، وأوحِىَ، وأولئك؛ أو كسرة نحو: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، وإثمِد، وإبل، وإذ، وإذا وإلى، وإلّا، وإمّا، سواء فى ذلك همزة القطع مثل: أُكْرَمَ، وهمزة الوصل مثل: اتخذ، والهمزة الأصلية مثل: آمرئ، والهمزة الزائدة مثل: إشاح. وذلك لأن الهمزة المبتدأة لا تخفف أصلا من حيث إن التخفيف يقربها من الساكن، والساكن لا يقع أوّلا، فجعلت لذلك على صورة واحدة. وآختصت الألف بذلك دون الياء والواو حيث شاركت الهمزةَ فى المخرج، وفارقت أختيها فى الخِفَّة، ولا فرق فى ذلك بين أن تكون الهمزة مُبْتَدَأَةً كما فى الصور المذكورة، أو تقدّمها لفظ آخر، نحو: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ وفَبِأَىِّ، وأفانت، وبأنه، وكأنه وكأين، وبإيمان، ولإيلاف، ولبإمام، وسأترك، ولأُقَطِّعن، ومررت بأحمد، وجئتُ لِأُكْرِمَك، وآكتحلتُ بالإثمد، إلا فيما شذّ من ذلك، نحو هؤلاء، وآبْنَؤُمَّ، ولئن، ولِئَلّا، ويومئذ، وحينئذ، وما أشبهها، فإنه كان القياس أن تكتب الهمزة فيها ألفا لأنها وقعت أوّلا، لكنهم خالفوا فكتبوا همزة هؤلاء، وآبْنَؤُم بالواو، وإن كانت فى الحقيقة مبتدأة بدليل أن ها حرف تنبيه وهو منفصل عن آسم الإشارة. وكذلك آبنُ آسم أضيف إلى الأم، لكنهم شبهوها بهمزة لَؤُم، فكتبوها

بالواو، وراعَوْا فى ذلك كثرة لزوم هاء الإشارة، وعدم انفكاك ابنؤم الواقع فى القرءان، فكأنها صارت همزة متوسطة . وكتبوا همزة لئن، ولئلا، وحينئذ، و يومئذ، وما أشبهها ياء وإن كانت أوّل كلمة، وكان القياس أن تكتب بالألف . أما لئن، فلأن أصلها لِأَنْ بلام ألف ونون . وأما لِئَلّا ، فلأن أصلها لِأَنْ، بلام ألف ونون منفصلة من لا ، بدليل أنهم إذا لم يجيئوا بعدها بلا، كتبوها لِأَنْ، نحو جئتَ لأن تقرأ، لكنهم جعلوا اللام مع أنْ كالشىء الواحد . وكذلك حينئذ، و يومئذ، فإن الأصل أن يفصل الظرف المضاف لجملة التى بقى منها إذ المنوّنة تنوينَ العِوَض وأن يكتبَ بالألف، لكن جعل الظرف مع إذ كالشىء الواحد، فوصل بإذ، وجعلت صورة الألف ياءً كما جعلوها فى يَئِس . وكذلك الحكم فى كل ظَرْف أضيف إلى ماذكر، سواء المفرد، كالأمثلة المذكورة، والجمع نحو أزْمَانَئِذ . وسيأتى الكلام على ما يتعلق من ذلك فى الفصل والوصل إن شاء الله تعالى .

الحال الثانى

أن تكون متوسطة، ولها حالتان

الأولى — أن تكون ساكنة ، فلا يكون ما قبلها إلا متحرّكا وتكتب بحركة ما قبلها . فإن كان ما قبلها مفتوحا ، كتبت ألفًا نحو : رأس ، وكأس ، وبأس ، ويأس، وضأن، وشأن، ودأب ، وتأمُرُ، وتأكُلُ . وإن كان ما قبلها مضموما، كتبت واوًا ، نحو: مؤمن ،ونؤمن ، وتُؤْوِى ، وتؤتى ، ومؤتى ، و يؤفك ، وما أشبهها. وإن كان ما قبلها مكسورا ، كتبت ياء، نحو : بئر، وذئب، وبئس، وأنبئهم، ونبئنا، وجئت، وجئنا، وشئت، وشئنا، ولَمُلِئْتَ، وما أشبهها .

الثانية — أن تكون الهمزة متحرّكة، والنظر فيها باعتبارين :

الاعتبار الأول — أن يكون ما قبلها ساكنا، وحينئذ فلا يخلو، إما أن يكون حرفا من حروف العلة (وهى الألف والواو والياء) أو حرفا صحيحا . فإن كان الساكن الذى قبلها حرفَ علة نُظِرَ، إن كان حرف العلة ألفا، فإن كانت حركة الهمزة فتحةً، فلا تثبت للهمزة صورة نحو: ساءل، وأبناءنا، وأبناءكم، ونساءنا، ونساءكم، وجاءنا، وجاءكم، (وساءل، فاعَلَ من السؤال) وما أشبهه . وإن كانت ضمة تثبت لها صورة الواو نحو : التَّسَاؤُلُ، وآباؤكم، وأبناؤكم، وأولياؤكم، وبآبائنا[1]، وشبه ذلك؛ وإن كان حرف العلة واوا أو ياء، فإما أن تكونا زائدتين للمد، أو تكون الياء للتصغير أو أصليتين أو ملحقتين بالأصل . فإن كانتا زائدتين للمد نحو : خطيئة، ومقروءة، وهنيئا، مريئا، أو ياء تصغير نحو : أُقَيْئس تصغير أَفْؤُس جمع فاس، فلا صورة للهمزة . وإن كانتا أصليتين نحو : سوْءة ، وهيئة، أو ملحقتين بالأصل نحو : جيأل (وهو الضَّبُعُ)، وحَوْءَبَة (وهو الدلو العظيم)، والحَوْءَبُ (آسم موضع)، والسَّمَوْءَل (آسم رجل)، فإنك تحذفها وتنقل حركتها إلى الساكن قبلها فتقول : سوَة، وهية، وجيل، وحوبة؛ وحَوب وسَمول . ولا صورة للهمزة حينئذ فى تحقيقها ولا فى حذفها . وإن كان الساكن الذى قبلها حرفا صحيحا نحو : المَرْأَةُ ، والكَمْأَةُ ، ويَسْأَمُ ، ويُسْئِمُ، ويَلْؤُمُ ونحو ذلك، فتنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وتحذف الهمزة . والأحسن الأقيس ألا تثبت لها صورة فى الخط لا فى التحقيق ولا فى الحذف والنقل .

ومنهم من يجعل صورتها الألفَ على كل حال، فيكتبها على هذه الصورة : المرأة والكمأة، ويسأم، ويسإم، ويلأُم، وهو أقل آستعمالا . وقد كتب منه حرف فى القرءان بالألف، وهو قوله تعالى : " يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ " .

(١) كذا فى الأصل، وليس هذا موضعها كما هو ظاهر .

ومنهم من يجعل صورتها على حسب حركتها، فيكتب المرأة، والكماة، ويسأمُ، بالألف، ويكتب يَسْئِمُ بالياء، ويكتب يَلْؤُمُ بالواو . واستثنى بعضهم من ذلك ما إذا كان بعدها حرف علة نحو : سَئُول، ومَشْئوم فلم يجعل لها صورة أصلا، وإذا كان مثل : رءوس يكتب بواو واحدة فلا صورة لها . وكذلك الموءودة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ على ما كتبت فى المصحف بواو واحدة لا يجعل لها صورة . ٥

الاعتبار الثانى — أن يكون ما قبلها متحركا فينظر، إن كانت مفتوحة مفتوحا ما قبلها، كتبت ألفا نحو : سَأَلَ، ورَأَيْتُ، ورَأَوْكَ، وبدأ كم، وأَنْشَأَكم، وقرأه، وليَقْرَأْه، وشبه ذلك . إلا إن كان بعدها ألف فلا صورة لها نحو: مَآل ومَآب . وذهب بعضهم إلى أنها تصوّر ألفا فتكتب بألفين . وإن كانت مفتوحة مكسورا ما قبلها نحو: خاطئة، وناشئة : ولَيُبَطِّئَنَّ، ومَوْطِئًا، وخاسِئًا، ويُنْشِئَكُمْ، وشَانِئَكَ، صوّرت بمجانس ما قبلها (وهو الكسرة) فتصوّر ياء . وإن كانت مفتوحة، مضموما ما قبلها نحو : الفُؤَاد، والسؤال، ويُؤَدِّه إليك، ويؤلف، ومُؤَجَّلا، ومُؤَذِّنٌ، وهُزُؤًا، وشبهه، صوّرتها بمجانس ما قبلها . وإن كانت مضمومة، مضموما ما قبلها، نحو : نُؤُم، كَصُبُرٍ جمع صبور، أو مضمومة، مفتوحا ما قبلها نحو : لَؤُم، كتبت بالواو فى الحالتين، إلا إن كان بعدها فى الصورتين واو نحو : رءوس، ونَئُوم، وإن كانت مضمومة، مكسورا ما قبلها نحو : يَسْتَهْزِءُونَ، وأُنَبِّئكم، ولا يُنَبِّئُكَ، وسَنُقْرِئُكَ، كتبت بواو على مذهب سيبويه، وياء وواو بعدها على مذهب الأخفش. ١٠ ١٥

(١) أى فلا صورة لها . (٢) هذا خاص بنحو يستهزءون و يقرءون .

الحـال الثـالث

أن تكون الهمزة آخرا، ولها حالتان أيضا

[الحـالة] الأولى

أن يكون ما قبلها ساكنا، والنظر فيها بآعتبارين

الآعتبار الأوّل — أن يكون ما قبلها صحيحا، فتحذف الهمزة وتلق حركتها على ما قبلها ولا صورة لها فى الخط نحو: جزء، وخبء، ودفء، والمرء، وملء. سواء فى ذلك حالة الرفع والنصب والجر. وقيـل: إن كان ما قبل الساكن مفتوحا، فلا صورة لها. وإن كان مضموما، فصورتها الواو، وإن كان مكسورا، فصورتها الياء مطلقا. وقيـل: إن كان مضموما أو مكسورا فعلى حسب حركة الهمـزة، فيكتب الجزء، والدفء، بالواو فى الرفع وبالألف فى النصب وباليـاء فى الجر. وإن كان شيء من ذلك منصوبا منوّنا فيكتب بألف واحدة، هى البدل من التنوين. وقيل: يكتب بألفين، إحداهما صورة الهمزة، والأخرى صورة البدل من التنوين.

الآعتبار الثانى — أن يكون ما قبلها معتلا، فينظر إن كان حرف العلة زائدا للمدّ، فلا صورة لها نحو نبىء، ووضوء، وسماء، والسُّوء، والمسىء، وقرّاء، وشاء، ويشاء، والمـاء، وجاء[1]، إلا إن كان منوّنا منصوبا، فيكتبُهُ البَصْريون بألفين، والكوفيون وبعض البَصْريين بواحدة، وهذا إذا كان حرف العلة ألفا نحو: سماء: الألف الواحدة حرف العلة، والأخرى البدل من التنوين. فإن آتصل ما قبله ألف بضمير مخاطب أو غائب، فتصوّر الهمزة واوا رفعا نحو: هذا سماؤك، وياءً جرّا نحو: نظرت إلى سمائك، وألفا واحدة هى ألف المدّ نَصْبًا نحو: رأيت سماءك. أما إذا كان حرف

---

(١) هذه الألفاظ الأربعة ليس فيها مد زائد ولعله مصحف وأصله [و بناء، ونساء، والمساء، وخباء الخ]. فليحرر.

العلة ياء أو واوا نحو : رأيت وضـوءا ، فيكتب بألف واحدة . وإن كان حرف العلة غير زائد للمدّ، فلا صورة للهمزة فى الخط .

الحالة الثانية

أن يكون ما قبل الهمزة متحرّكا

فتكتب صورة الهمزة على حسب الحركة قبلها . فإن كانت الحركة فتحة ، رسمت ألفا نحو : بَدَأَ، وأَنْشَأَ «ومِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ» والمَلَأُ ، ويُسْتَهْزَأُ ، على البناء للمفعول ، ويُنْشَأُ كذلك ، ورأيت آمْرَأً وما أشبهه . وإن كانت كسرة رسمت ياء نحو : قُرِئَ ، وآستُهْزِئَ ، ولكل آمْرِئٍ ، ومن شَاطِئٍ ، ويَسْتَهْزِئُ ، على البنـاء للفاعل ، وبرئ ومررت بآمْرِئٍ . وإن كانت ضمة ، رسمت واوا نحو : آمرؤ ، واللؤلؤ ، وما أشبه ذلك ، إلا فى مثل النبأ إذا كان منصوبا منونا فقيل : يكتب بألفين نحو : سمعت نبأا ، وقيل : بواحدة وهو الأَوْلى . وإن آتصل بها ضمير ، فعلى حسب الحركة قبلها كحالها إذا لم يتصل بها ضمير . وقيل : إن كان ماقبلها مفتوحا فبألف ، نحو : لن يقرأَه ، إلا أن تكون هى مضمومة فبواو ، إن قلنا بالتسهيل بين الهمزة والواو ، وبالياء إن قلنا بإبدالها ياء ، وقيل : إن آنضم ما قبلها أو آنكسر ، فكما قبل الأتصال بالضمير ، فتجعل صورتها على حسب الحركة قبلها . وإن آنفتح ما قبلها وآنفتحت فبالألف ، نحو : لن يقـرأ ، وكذلك إذا آنفتح ما قبلها وسكنت نحـو : لم يقرأ ، ولم يُنَبَّأْ ، وآقرأ ، وإن نشأ وما أشبهه . وإن آنفتح ما قبلها وآنضمت فبالواو ، نحو : يقرؤه . وقيل : بالواو والألف كما كتبوا فى المصحف : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا ﴾ و﴿ نَبَؤُا الخَصْمِ ﴾ و﴿ يَبْدَؤُا الخَلْقَ ﴾ ﴿ أَوَ مَنْ يُنَشَّؤُا ﴾ بواو وألف فى الجميع . أو آنكسرت فبالياء ، نحو : من المقرئ ، وقيل بها وبألف كما كتبوا فى المصحف : ﴿ مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ ﴾ بألف وياء .

تنبيـــــه

قد تقدّم فى الحذف أن همزة الوصل تحذف فى بعض مواضعَ وتثبت فيما عداها.
فحيث ثبتت، كتبت بحسب حالها إذا آبتدئ بها . فإن كانت يبتدأ بها مضمومة،
كتب ما يليها واوا إن كانت همزة أو واوا مبدلة منها، نحو: اؤتمِنَ فلان، وقلت لك
٥ اؤمر فلانا بكذا ؛ وإن كانت يبتدأ بها مكسورة، كتب ما يليها ياء إن كانت همزة
أو ياء مبدلة منها، نحو : ائذن لىَ يا زيد، ائت القوم، ائت عليهم كذلك و إن كان
النطق بها واوا بضم ماقبلها، نحو : ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ ٱئْذَنْ لِي﴾ تكتبه ياءً على الهمزة
فى الأبتداء بها ؛ ويستثنى فاء افعل من نحو يَوْجل مثل يَوْسن فإنهـا تكتب واوا
بعـد الواو والفاء كما فى قولك فآوجل ، وآوجل . يكتبان بإثبات ألف الوصل ،
١٠ والواو بعدها ولم يكتبوها على آبتداء الهمزة . أما بعد غير الواو والفاء، فإنها تكتب
بحسب الأبتداء بها، نحو : قلت لها آيجلى، أو ثم آيجلى ، وقلت لكم آيجلوا ، فإنك
تلفظ به واوا وتكتبه ياء للانفصال؛ وإن كانت قبلها كسرة كانت ياء لفظا وخطا ،
نحو : قلت لكِ آيجلى، وكذلك إذا آبتدئ بهمزة الوصل، نحو : آيجلى يا هند .

وآعلم أنه إذا وقعت همزة آستفهام وبعـدها همزة قطع صوّرت همزة القطع
١٥ بعدها بمجانس حركتها . فإن كانت الحركة فتحة كتبت ألفـا ، نحو : أأسجد، وإن
كانت الحركة ضمة كتبت واوا، نحو : أَؤُنْزِل، وإن كانت الحركة كسرة كتبت ياء،
نحو : أَئِنَّكَ لأنها إذا خُفِّفت بالبدل كان إبدال المفتوحة ألفا، وإبدال المضمومة
واوا ؛ وإبدال المكسورة ياء . وقد تحذف المفتوحة خطا فتكتب بألف واحدة ،
نحو : أسجد كما فى رسم المصحف .

٢٠ وآختلف فى الساقطة من الهمزتين والحالة هذه، فقيل الثانية، وهو قول أحمد
آبن يحيى، وقيل الأولى وهو قول الكسائى .

فلو كانت ثلاث ألفات فى اللفظ، نحو قوله تعالى : ﴿ أآلِهَتُنَا خَيْرٌ ﴾ فقال أحمد ابن يحيى : تكتب بواحدة .

وآختلف فى الثابتة ، فذهب الفراء وثعلب وآبن كيسان إلى أنها الآستفهامية لأنها حرف معنًى . وحكى الفراء عن الكسائى : أنها الأصلية، وحكاه آبن السيد عن غير الكسائى وحُكى عنه أنها ألف الجمع .

وقد تكتب غير المفتوحة ألفا، نحو قوله : أ إنّك، لأن الألف هى الأصل ، والهمزة حرف زائد لمعنًى كالواو والفاء فلا يعتدّ به، لكنه قليل؛ والله أعلم .

الجملة الثانية

فى حالة التركيب والفصل والوصل

وآعلم إن الأصل فصل الكلمة من الكلمة ، لأن كل كلمة تدل على معنًى غير معنى الكلمة الأخرى ، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبّر عنهما يكون متميزا . وكذلك الخط النائب عن اللفظ يكون متميزا بفصله عن غيره . ويستثنى من ذلك مواضعُ كتبت على خلاف الأصل :

(منها) أن تكون الكلمتان كشىء واحد؛ وذلك فى أربعة مواضع :

الموضع الأوّل — أن تكون الكلمتان قد رُكّبتا تركيبَ مزج، مثل : بعلبك، ليدل على أن التركيب الذى يعتبر[1] فيه وصل الكلمة بالأخرى هو تركيب المزج، وهو أن يتحد مدلول اللفظين . بخلاف ما إذا رُكبتا تركيبَ إسناد، نحو : زيد قائم ، أو تركيبَ إضافة، نحو: غلامُ زيدٍ، أو تركيبَ بناء لم يتحد فيه مدلول اللفظين، نحو: خمسةَ عشر ، وصباحَ مساءَ ، وبينَ بينَ، وحَيْصَ بَيْصَ، فإن هذا كله يكتب مفصولا لا تخالط فيه كلمة بأخرى .

(١) لعله يغتفر .

الموضع الثانى — أن تكون إحدى الكلمتين لا يبتدأ بها فى اللفظ، نحو الضمائر البارزة المتصلة، ونون التوكيد، وعلامة التأنيث والتثنية والجمع فى لغة أكلونى البراغيث، وغير ذلك مما لا يمكن أن يبتدأ به، فكل هذا يكتب متصلا وإن كان من كلمتين.

الموضع الثالث — أن تكون إحدى الكلمتين لا يوقف عليها، وذلك ما كان ٥ نحو باء الجر، وفاء العطف، ولام التأكيد، وفاء الجزاء، فإن هذه الحروف لا يوقف عليها، فلما آمتزجت فى اللفظ آمتزجت فى الخط فتكتب متصلة، وإن كانت فى الحقيقة كلمتين.

الموضع الرابع — أن تكون الكلمة مع الأخرى كشىء واحد فى حال مّا تآستصحب لها الأتصال غالبا، مثل: بعلبك، إذا أعرب إعراب المضاف ١٠ والمضاف إليه، فإن هذا الإعراب يقتضى أن تفصل إحدى الكلمتين من الأخرى، لأن الإعراب قد فصلهما. أما إذا أعرب إعراب ما لا ينصرف فلا يصح فيه الفصل أصلا، لأن اللفظ الثانى منتهى الآسم، فهو مفرد فى المعنى وفى اللفظ.

وكتبوا لئلّا مهموزةً وغير مهموزة بالياء (وكان القياس أن تكتب بالألف) كما تكتب لأنْ إذا كانت اللام مكسورة بالألف فكذلك إذا زيدت عليها لا، إلا أن ١٥ الناس آتبعوا رسم المصحف، وكذلك لئنْ فعلت كذا تكتبه بالياء آتباعا للمصحف، وإن كان القياس أن يكتب بالألف. وسيأتى الكلام على وصل لا بأن فيما بعد إن شاء الله تعالى

(ومنها) توصل مِنْ الجارّة وهى المكسورة الميم بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدّم فى موضعين:

٢٠ الموضع الأوّل — توصل بمَن المفتوحة الميم مطلقا، سواء كانت موصولة، نحو: أخذت الدرهم ممّنْ أخذته منه، أو موصوفة كما فى المثال المذكور فإنها فيه تحتمل

المعنيين جميعا، أو آستفهامية، نحو: مِمَّنْ أنت؟ أو شرطية، نحو: مِمَّن تأخُذْ درهما آخُذْ منه، وإنما وصلت بها لأجل آشتباههما خطا إذ لو كتبتا مِنْ مَنْ لكانتا مشتبهتين فى الصورة، فأدغمت نون مِنْ فى ميم مَنْ ونُزِّلت منزلة المدغم فى الكلمة الواحدة، فلم يجعل له صورة بل حذف مع كتبه متصلا، وقد تقدّم الكلام على ذلك فى الحذف. هذا هو المشهور الراجح. ٥

وقال الأستاذ آبن عصفور: إن كانت مَنْ آستفهامية، كتبت مفصولة على قياس ما هو من المدغمات على حرفين.

الموضع الثانى — توصل بعد حذف النون أيضا بما، إذ كانت موصولة، نحو: عجبتُ مما عجبتَ منه، أو آستفهامية، نحو: مِمَّ هذا الثوب؟ أو زائدة كما فى قوله تعالى: (مِمَّا خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا). أما إذا كانت شرطية، نحو: مِن ما تأخُذْ آخُذْ، أو موصوفة، ١٠ نحو: أكلتُ من ما أكلتَ منه، فإن القياس يقتضى أن تكون مفصولة.

وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إذا كانت ما غير آستفهامية، كتبت مِنْ معها، وقضيته أنها لا تكتب متصلة إلا فى حالة الآستفهام فقط، وتكتب منفصلة فيما عداها.

قال الشيخ أثير الدين أبو حيّان رحمه الله: والأوّل أصح لأن علة الوصل فى ممن ١٥ مفقودة فى مما، وهى آلتباس اللفظين خطًّا.

(ومنها) توصل عن بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدّم، فى موضعين:

الموضع الأوّل — توصل بمَنْ الموصولة غالبا، نحو: رَوَيْتُ عَمَّنْ رويتَ عنه، ويجوز فصلها، فتنفصل عن مِنْ مَنْ وتثبت النون فى عن، وأما مَنْ غيرُ الموصولة، فالقياس فصلها، فتكتب فى الآستفهام عن من تسأل؟ وفى الشرط، عن مَنْ ترض ٢٠ أرضَ عنه، فتنفصل عَنْ مِنْ مَنْ على ما مرّ.

وزعم ابن قتيبة أن عَنْ مَنْ تكتب موصولة بكل حال، سواء الموصولة وغيرها كما تكتب عمّ وعما موصولة من أجل الإدغام . وزعم غيره أنه لا يؤثر الإدغام فى ذلك لأنهما كلمتان إلا فى نحو : عما قليل لزيادتها .

الموضع الثانى — توصل بما الاستفهامية، كما فى قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وتحذف الألف من ما على ما تقدّم فى الحذف .

(ومنها) توصل مَعَ بما إذا كانت زائدة، وتقطع إذا كانت موصولة، قاله ابن قتيبة.

(ومنها) توصل فى بمَنْ فى موضعين :

الموضع الأوّل — توصل بمَنْ الاستفهامية دائما، نحو قولك : فيمَنْ تفكر؟ ولكن لا تحذف اليـاء منها كما حذفت النون من عَنْ ومن، إذ لا إدغام هنا .

الموضع الثانى — توصل بما إذا كانت موصولة فى الغالب، نحو: فكّرْتُ فيما فكّرت فيه، ولا تسقط الياء على ما مرّ . ويجوز فى هذه الحالة فصلها، فتفصل "فى" عن "ما"، وتكتب على هذه الصورة "فى ما". وكذلك توصل بما إذا كانت استفهامية، نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ ولا تحذف ياؤها كما تقدّم .

أما مع إذا اتصلت بمـا أو بمن، فإنها تكتب منفصلة . قاله ابن قتيبة .

قال بعض النحاة : أظنّ سبب ذلك قلة الاستعمال ، وإلا فـما الفرق بين مع و بين فى . قال : وقد يمكن أن يفرق بينهما فى الاسمية، فإن فى لا تكون إلا حرفا، ومع إن تحرّكت كانت اسما ؛ و إن سكنت، فخلاف والأصح الاسمية ، وأيضًا فإنها تنفصل ممـا بعدها .

(ومنها) توصل الحروف النواصبُ للاسم، الروافعُ للخبر، إذا دخلت على ما الزائدة نحو : إنما وكأنما وليتما. فتكتب إنَّ وكأنَّ وليْتَ متصلات بما، نحو : إنما فعلت كذا، و إنمـا كلمتُ أخاك ، و إنمـا أنا أخوك، وكأنمـا وجْهُه قمر، وليتما هذا الشىء لى،

ونحو ذلك . فإن كانت ما موصولة ، كتبت مفصولة ، نحو : إنَّ مَا قلتَ لَحَقٌّ ، وكأنَّ مَا حَدَّثْت صحيحٌ ، وليت مَا لَكَ لى . على أنه قد جاء فى القرءان كثير من ذلك متصلا . وزعم بعضهم أنه لم يأت فى القرءان مفصولا إلا قوله تعالى فى الأنعام : ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ . وقد كتبوا فى المصحف : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ فى الطور وغيره متصلا ، وكذلك : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ . مع رفع كيد ونصبه ، وإن كانت ما موصولة فى الموضعين .

(ومنها) توصل قلّ بما إذا دخلت عليها ، نحو : قلّما أتيتك مائة مرة .

(ومنها) توصل إن الشرطية بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون ، نحو : ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ .

(ومنها) توصل إن الشرطية بما إذا جاءت بعدها بعد حذف النون ، نحو : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ . وإنما حذفت النون فى هذه وما قبلها لإدغامها كما فى ممّا وعمّا ونحوه .

(ومنها) توصل أين بما ، نحو : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ . لأن ما إذا دخلت على أين صارت جازمة إذ تقول : أين تكون أكون ، فترفع النون ، فإذا دخلت عليها ما ، قلت : أينما تَكُنْ أَكُنْ بالجزم ، فصارت أين وما كأنهما كلمة واحدة . فإن كانت ما موصولة ، فصلت نحو : أين ما آشتريتَ ، تريد أين الذى آشتريتَ .

ولم يصلوا متى بما بل كتبوها منفصلة عنها ، إذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما فى نحتام ، فتكتب مَتَامَ فيتعذر إدراكها .

(ومنها) توصل حيث أيضا بما ، نحو : ﴿وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ . كما تقدم فى أين .

(ومنها) توصل كل بما المصدرية، إذا دخلت عليها، نحو: كُلَّمَا جئتنى أحسنتُ إليك . فإن كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة، نحو : كُلُّ ما تفعلُ حسنٌ ، وكلُّ ما كان منك حسنٌ .

قال ٱبن قتيبة : وكُلُّ مَنْ مقطوعة على كل حال ومكان .

٥ (ومنها) توصل هلْ بِلَا، وتحذف إحدى اللامين على هذه الصورة (هَلَّا فعلت) وتقطعها من بل، فتكتب (بَلْ لا تفعل) .

قال ٱبن قتيبة : والفرق بينهما أنَّ لا إذا دخلت على هل تغير معناها، فكأنها معها كلمة واحدة؛ و إذا دخلت على بل لم تغير المعنى تقول : بل تفعل، و بل لا تفعل، كما تقول : كى تفعل، وكى لا تفعل .

١٠ (ومنها) توصل بين بما الزائدة، نحو : بينما أنا جالس، و بينما أنا أمشى .

(ومنها) توصل أىّ بما إذا كانت ما زائدةً كما فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ وكما تقول : أيَّما الرجلين لقيتَ فأكرم . فإن كانت ما موصولة قطعت فتكتب أىُّ ما تراه أوفقُ، أىُّ ما عندك أفضلُ، مقطوعةً .

١٥ (ومنها) يوصل يوم وحين بإذٍ من قولك يومئذ وحينئذ، وكان القياس الفصل، على ما تقدّم فى الهمزة .

(ومنها) توصل لَئِنْ ولِئَلَّا و إن كان كل منهما كلمتين . إذ الأصل لَإِنْ ولأنْ لا وقد تقدّم بيان كتابتهما بالياء دون الألف، لكونهم جعلوه مع ما بعده كالشىء الواحد

(ومنها) توصل أَنْ المفتوحة بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون على أحد

٢٠ الأقوال فتكتب على هذه الصورة(أَلَّا) (والثانى) : تفصل منها وتثبت النون، فتكتب على

هـذه الصورة : (أن لا يقوم) . و (الثالث) : يُفَصَّل بين أن تكون مخففـة عن الثقيلة ، فتكتب مفصولة نحو: علمت أن لا يقومُ زيدٌ ، وعلمت أن لاضرر عندك ، والتقدير أنه لا يقوم وأنه لا ضرر عندك ولذلك ثبتت فى قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ أو ناصبة للفعل فتقدر كتبها متصلة على اللفظ وتحذفها فى الخط ، نحو : يعجبنى ألّا تقوم ، وهو قول الأخفش وآبن قتيبة وآختيار آبن السيد . ٥
(والرابع) : التفصيل بين أن تدغم بِغُنَّةٍ ، فتكتب منفصلة ، أو بغير غُنَّة فينوى الاتصال ، وتحذف خطا . و يروى عن الخليل ، وآستحسنه بعض الشيوخ : وقد وقع فى القرءان مواضع متصـلة ومواضع منفصـلة فيجب آتباعها آقتـداء بالسلف . وقـد وقع فى المصحف وصـل مواضعَ القياسُ فصلُها ، فيجب وصلها فى المصحف آتباعا لرسمه ، وتوصل فى غيره فى الغالب أو فى بعض الأحوال . ١٠

(ومنها) وصلت بئس بمـا فى موضعين :

أحدهما — ﴿ بِئْسَمَا آشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فى البقرة .

والثـانى — ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى ﴾ فى الأعراف .

(ومنها) وصلت نعم بمـا للإدغام . وحكى آبن قتيبة فيه الفصل والوصل .

(ومنها) وصلت إن بلم مع حذف النون للإدغام فى قوله تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ فى هُودٍ ، بخلاف التى فى القَصَص فإنها كتبت مفصولة بإثبات النون . ١٥

(ومنها) وصلت أن بلن مع حذف النون للإدغام فى سورة الكهف فى قوله : ﴿ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ .

(ومنها) وصلت أم بمن فى نحو قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ﴾ .

قال محمد بن عيسى : كل ما فى القرءان من ذكر أم فهو موصول إلا أربعة مواضع : ٢٠

فى النساء : ﴿ أَم مَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ . وفى التوبة : ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ . وفى الصَّافَّات : ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَا ﴾ . وفى فُصِّلَتْ : ﴿ أَم مَّنْ يَأْتِى آمِنًا ﴾ .

(ومنها) وصلت كى بلا فى نحو : كَيْلَا ولِكَيْلَا فى أربعة مواضع فى المصحف : ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ فى آل عمران . و ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ فى الحج . ٥ و ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ فى الأحزاب . و ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا ﴾ فى الحديد وما عداها فهو مقطوع كما فى أوّل الأحزاب .

ووجه ابن قتيبة المقطوع بأنك تقول : أتيتك كى تفعل وكى لا تفعل ، كما تقول : حتّى تفعل وحتّى لا تفعل فيختلف المعنى بالنفى والإثبات فيه .

الفصـــل الخامس

١٠ ### من البـاب الثـانى من المقـالة الأولى

فيما يُكْتَبُ بالظاء ، مع بيان ما يقع الاشتباهُ فيه ممـا يُكْتَب بالضاد

وإنمـا خصت الظاءُ بالذكر دُونَ الضاد لقلّة وقوع الظاء وكثرة وقوع الضاد ، وخُصّ ما يكتَب بالظاء بالذكر دُونَ ما يُكتَب بالذال المعجمة ، لأن الدال والذال فى صُورة الكتابة واحد ، فلا يظهر خَطَأ الكاتب فيه ، بخلاف الظاء والضاد ، فإن ١٥ شكلَهما مختلف فيظهر خطأ الكاتب وعُوَارُه فيه ، فلذلك وقعت العناية بالتنبيه على ما يكتب بالظاء دُونَ ما يكتَب بالذال المعجَمة .

وقد أوردْتُه على حروف المعجَم ليقربَ تناوُلُه

حرف الألف

فيه — اظلّه الشيء : إذا غشيَهُ ، أما أضَلّه من الضَّلال إذا ضَلّ دابتَه إذا نَدّتْ ، ٢٠ فبالضـاد .

حرف الباء

فيه — بهظه الأمرُ : إذا أتعبه . وفيه، البَظْر، وهو اللَّحمة المتدلية من فرج المرأة، التى تُقطَع بالختان .

حرف التاء المثناة فوق

فيه — التَّقريظُ ، وهو المدح ؛ والتَّلَمُّظ ، وهو تحريك الشفتين بعد الأكل لابتلاع ما حَصَل بين الأسنان . ٥

حرف الجيم

فيه — الجَوّاظ، وهو الجافى المتكبِّر ، أو الأكول ؛ والجُحُوظ ، وهو نُتُوُّ العين ونُدُورها ؛ ومنه أبو عُثْمان الجاحظُ ، وجَحْظَة البَرْمَكِيّ .

حرف الحاء المهملة ١٠

فيه — الحِفْظ ، وهو ضِدُّ النِّسيان ؛ والحَفِيظة ، وهى المَوْجِدَة ؛ والحَظُّ ، وهو الغِنى والنصيب . ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ . وقوله: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ . أما الحَضّ بمعنى الحث فإنه بالضاد . ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا يَحُضُّ على طَعَامِ المِسْكِينِ ﴾ . والحُظْوة، وهى الرفعة؛ والحظر، وهو المنع . ومنه قوله تعالى : ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلاءِ وهٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وما كانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ . وقوله : ﴿ كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ ﴾ . وفى معناه الحَظِير ، وهو المَحُوط من قصب ونحوه . أمّا الحُضُور خلافُ الغَيْبة فإنه بالضاد ؛ والحَنْظَل ، وهو النَّبات المُرّ المعروف . ١٥

حرف الشين المعجمة

فيه — الشَّظِيَّة ، وهى القِطعة من الشىء ؛ والشِّظَاظ ، وهى عِيدانٌ لِطَاف يُجمَعُ بها العِدْلان ؛ والشَّظَف ، وهو خُشُونة العيش ؛ والشُّوَاظ ، وهو لَهَب النار . ٢٠

ومنه قوله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نارٍ وَنُحَاسٌ﴾ . والشَّيْظَمُ، وهو الفَرَس الطويل الظهر؛ والشَّنَاظى، وهى أطراف الجبال .

حرف الظاء المعجمة

فيه — الظَّنُّ، بمعنى التخمين والشكّ؛ والظِّنَّة، وهى التُّهَمة . أما الضَّنُّ بمعنى البخل فإنه بالضاد، وعلى المعنيين قرئ قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ ٥ بالضاد والظاء، لاتّجاه المعنيين فى النبىّ صلى الله عليه وسلم إذ ليس ببخيل ولا متّهم؛ وفيه ظَلَّ يفعل كذا : إذا فعله نهارا . ومنه قوله تعالى : ﴿فظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ . وقوله : ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾، وقوله : ﴿وانْظُرْ إلى إلٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفًا﴾ .

أما ضَلَّ من الضلال، خلاف الهدى؛ وضَلَّ الشىءُ : إذا ضاع، فالبضاد .

١٠ وفيه الظِّلُّ، خلاف الحَرّ حيثما وقع وما يُشْتقّ منه؛ والظُّلْم وما يتشعّب منه، والظَّلام وما يتفرّع منه، والظَّلْمُ (بفتح الظاء) وهو ماء الأسنان؛ والظَّلِيمُ، وهو ذكَر النَّعام؛ والظَّبْىُ : واحدُ الظِّباء؛ والظَّبْية الأنثى منه، والظَّبْية : حَيَاءُ الناقة؛ والظُّبَة، وهو حدُّ السيف؛ والظَّرْف، وهو الوعاء الحَسَن؛ والظَّعْن، وهو السَّفَر . ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ و يَوْمَ إقَامَتِكُمْ﴾ . والظِّرَاب، وهى الهضاب . أما الضِّرَابُ ١٥ مصدر ضاربْته فإنه بالضاد؛ والظَّعِينةُ، وهى المرأة؛ والظِّلفُ، وهو للبقر والغنم كالحافر للخيل؛ والظَّلَف، وهو نزاهة النفس؛ والظُّفُر، واحدُ الأظفار؛ والظَّفَر، وهو النصر . أما ضَفْر الشَّعر ونحوه فبالضاد؛ والظِّئْر، وهى المُرْضِعة؛ والظَّهْر، وهو العُضْو المعروف . أما الضَّهْر، وهو صخرة فى الجبل يخالف لونُها لونَه فإنه بالضاد؛ والظَّهير، وهو المُعين؛ والظَّهِيرة، وهى وَسَط النهار؛ والظَّمأ، وهو العَطَش؛ ٢٠ والظِّرار جمع ظِرّ، وهو الغليظ من الأرض . أما الضَّرير بمعنى الأعمى فبالضاد،

والظَّرِبَان ، وهى دُوَيْبَّةٌ منتنة الريح ، والظَّلَعُ ، وهو الغَمْز يقال : ناقة ظالع إذا غمزت فى المشى . أما الضِّلَع واحد الأضلاع فإنه يكتب بالضاد ، ومنه قولهم : فرسٌ ضَلِيع .

حرف العين المهملة

فيه ـ العَظْم ، وهو معروف ؛ والعَظَمة ، وهى الكبرياء وما تصرّف منها ، وعَظَّه الدهر وعَظَّته الحرب . أما العَضّ بالأسنان فبالضاد ، والعَظْل[1] ، وهو الشدّة ، ومنه تعاظُل الجراد والكلاب فى السِّفاد . أما العَضْل بمعنى المنع فإنه بالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فلا تَعْضُلُوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ ﴾ . وكذلك قولهم : أَعْضَلَ الأمرُ إذا صَعُب . ومنه الداء العُضَال ؛ وسوق عُكَاظ ، وهو سُوق كان يقام للعرب فى الجاهلية ، وأصل العَكْظ الحبْس .

حرف الغين المعجمة

فيه ـ الغَيْظ بمعنى الحَنَق وما تفرّع عنه ، أما غاض الماءُ بمعنى غار ، والغَيْضَة ، وهى مَنْبِتُ الشجر فى الماء فبالضاد ، والغِلَظ وما تصرف منه

حرف الفاء

فيه ـ الفَظَاظة ، وهى القسوة ومنه قوله تعالى : ﴿ولَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ﴾ . أما انفضاض الجمع فبالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ . وكذلك افتضاض البكر والكتّاب ، والفَظيع ، وهو الشنيع ، وفاظ الرجُل إذا مات . أما فَيْض الإناء والدمع بمعنى السَّيَلان فبالضاد ؛ ومن ثَمّ جاز أن يكتب فاظَتْ نفسُه بالظاء على معنى ماتت نفسه ، ويجوز أن يكتب بالضاد على معنى سالَتْ نفسه .

---

(١) كذا فى الضوء أيضا بالظاء المشالة . وفى اللسان مادة (ع ض ل) : «وأصل العضل المنع والشدّة» أى بالضاد الساقطة ، ولم يذكره بهذا المعنى فى مادة (ع ظ ل) .

حرف القاف

فيه ـ القَيْظ، وهو صميم الحرّ وما تصرّف منه. أما القَيْض الذى هو القشر الأعلى من البيض فبالضاد، وكذلك قيّض الله له كذا، أى أتاحه له، والقَرَظ، وهو ثمرة شجرة السَّنْط التى يدبَغُ بها الجلد. أما القَرْض بمعنى القطع فبالضاد، ومنه قَرْض المال.

٥

حرف الكاف

فيـه ـ الكَظْم، وهو كتْمُ الحُزْن، والكَظّ، وهو شدّة الحرب، وكاظِمَةُ، وهو آسم مكان بالبحرَيْن.

حرف اللام

فيه ـ لَظَى: آسمُ جهنّمَ، واللَّظّ، وهو اللزوم. ومنـه "أَلِظُّوا بياذا الجَلَالِ

١٠ والإكرام" أى آلزموا هـذا الآسم فى الدعاء والمناجاة به، واللَّحْظ، وهو النظر بمُؤْخِر العين؛ واللَّمَظ، وهو بياض الجَحفلة السُّفْلى من الفرس، ومنه قيل: فرس ألْمَظُ؛ واللَّفظ، وهو معروف وما تصرف من جميع ذلك.

حرف النون

فيه ـ النَّظْم وما تصرف منه، والنَّظَر بالعين وما تصرف منه، والنَّظير وهو المثل.

١٥ أما النَّضَارة بمعنى البَهْجة فبالضاد، ومنه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾. ومنه آشتقاق بنى النَّضير، وفى معناه النُّضَارُ آسمُ الذهب؛ والنَّظَافة، وهى خلاف القَذَارة.

حرف الواو

فيه ـ الوَظِيف: ما فوقَ الرُّسْغ من ذوات الحافر؛ والوَظِيفةُ، وأصلها الطعام الراتِب ثم آستُعِملت فيما هو أعَمّ من ذلك.

٢٠

حرف اليـاء

اليَقَظَة، وهى خلاف النوم.

المقالة الثانية

فى المسالك والممالك ، وفيها أربعة أبواب

الباب الأوّل

فى ذكر الأرض على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة فصول

٥

الفصل الأوّل

(فى معرفة شكل الأرض ، وإحاطة البحر بها ، وبيان جِهَاتها الأربع ، وما ٱشتملت عليه من الأقاليم الطبيعية ، وبيان مَوْقع الأقاليم العُرْفية من الأقاليم الطبيعية ، وذكر حدودها الجامعةِ لها ، ومعرفة طريق ٱستخراج جهة كل بلد ؛ وفيه طَرَفان) .

الطَّرَف الأوّل

١٠

فى شكل الأرض ، وإحاطة البحر بها

أما شكل الأرض فقد تقرر فى علم الهيئة أن الأرض كُرِيَّة الشَّكل والماء مُحِيط بها من جميع جهاتها إلا ما ٱقتضته العِنَاية الإلٰهيَّة من كشف أعلاها لوقوع العِمارة فيه ؛ وقيل هى مُسَطَّحة الشَّكْل ؛ وقيل كالتُّرْس ؛ وقيل كالطَّبْل . والتحقيق الأوّل وبكل حال فالماء محيط بها من جميع جهاتها كما تقدّم .

١٥

قال فى "تقويم البُلْدان"[1] : وأحواله معلومة فى بعض المواضع دون بعض ، فمن المعلوم الحالِ الجانبُ الغربىُّ ويسمَّى بحرَ أُوقيانُوس (بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنةٌ ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة تحتُ مفتوحةٌ ثم ألف بعدها نون ثم واو ثم سين مهملة) .

(١) هذه الفقرة تناسب الكلام على البحار وقد ذكرها هناك .

ثم للأرض أربع جهات :

الأولى — المَشْرِق، سميت بذلك لشُرُوق الشمس منها؛ ويقال لها الشَّرْق أيضا .

الثانيــة — المَغْرِب، سميت بذلك لغروب الشمس فيها؛ ويقال لها الغَرْب أيضا .

الثالثــة — الشَّمَال (بفتح الشين) وهى التى اذا ٱستقبلتَ المَشْرِق كانت على شِمَالك (١)

٥ ويقال لها الشام أيضا ، لأن الشام كانت فى جهة الشَّمال عن بلاد العرب فسميت الجهة به؛ وأهل مصر يسمون هذه الجهةَ : البَحْرِيَّة، لكونها جهة البحر الرومىّ ، أو تسميةً لها بٱسم الريح التى تَهُبُّ منها، فقد سبق أنهم يسمُّون الرِّيح التى تَهُبُّ من الشمال البحريةَ ، لأنها يسار بها فى البحر كيف كان .

الرابعــة — الجَنُوب (بفتح الجيم) وهى التى اذا ٱستقبلت المَشْرِق كانت على جانبك

١٠ الأيمن ولم يُسَمَّ بالأيمن كما سُمِّى مقابلُه بالشَّمال، لأنه لما ذكر الشَّمال لم يبق إلا الجانبُ الأيمن فٱستُغْنِىَ عن ذكره؛ وأهل مصر يسمون هذه الجهة : القبلية، لوقوعها فى جهة قِبْلتهم ولذلك يبدءُون بها فى التحديد، وإن كان الأصل الٱبتداء بالمشرق، لأن منه مبدأ حركة الفَلَك .

ثم كُرَة الأرض يقسمُها خطٌّ فى وسَطها بنصفين : نصفٍ جنوبىٍّ ، ونصف

١٥ شَمَالىّ؛ ويسمَّى هذا الخط خط الٱستواء، لٱستواء الليل والنهار عنده فى جميع فصول السنة؛ ويقاطعه خطٌّ آخرُ يقسِمُها بنصفين : نصفٍ شرقىّ ونصف غربىّ؛ وتصير الأرضُ به أربعةَ أرباع، ويسمى هذا الخط خطَّ نصف النهار لمسامتة الشمس له فى نصف النهار، وكلٌّ من هذين الخطين مقسوم بمِائة وثمانين درجةً، كل درجة ستون دقيقةً . وسيأتى تقدير ذلك بالأميال والفراسخ والمراحل والبُرُد فى الكلام على

٢٠ بُعْد ما بين البُلْدان فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(١) فى الأصل : «المغرب» وهو خطأ .

وآعلم أن كُلّ ما بَعُد عن أقصى العِمارة فى المغرِب إلى جهة المَشْرِق يعبَّر عنه عند علماء الهيئة والميقات بالطُّول؛ وقد آختلف فى آبتداء ذلك : فالقُدَماء آبتدءُوه من جزائر بالبحر المحيط تُعْرَف بالخالدات، يأتى الكلام عليها فى جملة جزائر البحر المحيط، والمحقِّقون على آبتداء ذلك من ساحل البحر المحيط الغَرْبىّ الذى هو أقصى العمارة الآنَ، و بينهما عَشْرُ دَرَج، ونهايةُ العمارة فى المشرق موضعٌ يقال له كُنْدُر؛ ومنتصفُ ما بين الآبتداء والنهاية الشرقية يسمَّى قُبَّة أرين، و يعبَّر عنه بقبة الأرض؛ وهى على بعد رُبع الدَّوْر من المبدإ الغربىّ، ويختلف الحال فيه بآختلاف الآبتداء من الجزائر الخالدات أو من الساحل . وما بَعُد عن خط الآستواء المقدّم ذكره يعبَّر عنه بالعَرْض؛ فإن كان فى جهة الجنوب فالعَرْض جنوبىٌّ، و إن كان فى جهة الشَّمال فالعَرْض شَمالىّ . و يعتبَر الطُّول والعرض فى الأمكنة من البُلْدان وغيرها بالدَّرَج والدقائق على ما سيأتى بيانه فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

ثم النِّصف الجنوبىُّ من الأرض لا عِمَارة فيه إلا فيما قارب خطّ الآستواء فى بعض بلاد الزَّنْج والحبشة، وما والى ذلك مما لا يزيد عَرْضُه على ثلاث دَرَج فيما أورده السلطان عماد الدين صاحب حماه فى "تقويم البُلْدان" أو ستَّ عشْرةَ درجةً وخمس وعشرين دقيقة فيما ذكره إسحاق الحارثىّ وغيره . وأكثر المعمور إنما هو فى النصف الشَّمالىّ؛ والعمارة فيه فيما بين خط الآستواء إلى نهاية ستٍّ وستين درجةً ونصف درجة فى العَرْض؛ وما وراء ذلك إلى نهاية الشَّمال خرابٌ لا عمارةَ فيه؛ وغالب العمارة واقع بينما يجاوز عَرْضُه عشرَ درج إلى حدود الخمسين درجةً، وما وراء ذلك فى جهة الجنوب إلى خط الآستواء، وفى جهة الشَّمال إلى حدّ العمارة غالبهُ جبال وقِفَار؛ وغالبُ العمارة فى الطُّول من ساحل البحر المحيط الغربىّ إلى تسعين درجة فما دُونَها .

الطَّـــرَف الثــانى

فيما آشتملت عليه الأرضُ من الأقاليم الطبيعية

قد قَسَّم الحكماءُ المعمورَ إلى سبعة أقاليم ممتدّة من المغرب إلى المشرق فى عُرُوض قليلة تتشابهُ أحوال البقاع فى كل إقليم منها، ثم آختلفوا فى ترتيبها بحسَب العرض، فقوم جعلوا آبتداء الأوّل منها خطَّ الآستواء، وآخرَ السابع منتهى العمارة فى الشّمال وهو ستٌّ وستون درجة على ما تقدّم .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والذى عليه المحقّقون أن آبتداء الإقليم الأوّل حيثُ العرض آثنتا عشرةَ درجة وثلثا درجة، وما وراء ذلك إلى خط الآستواء خارج عن الإقليم الأوّل فى جهــة الجنوب، وآخر الإقليم السابع حيثُ العرضُ خمسون درجة وثلث درجة، وما وراء ذلك إلى نهــاية العُمْران فى الشّمال خارجٌ عن الإقليم السابع إلى الشمال فيكون من العمران ما لم يدخل فى الأقاليم السبعة ، وعليــه وقع الترتيب فى هذا الكتاب .

الإقليم الأوّل — مبدؤه حيثُ العرض آثنتا عَشْرةَ درجةً وثلثا درجة كما هو مذهب المحققين على ما تقدّم ، ووَسَطه حيث العرض ستَّ عشرةَ درجة ونصفُ وثمن درجة، وآخره حيث العرض عشرون درجة وربعُ وثُمن درجة ، فتكون سعته سبع درجات وثلثى درجة وثمن درجة .

الإقليم الثانى — مبدؤه حيث العرض عشرون درجة وربعُ وثمن درجة، ووسَــطُه حيث العرض أربع وعشرون درجة وثلثــا درجة، وآخره حيثُ العرض سبعٌ وعشرون درجة ونصفُ درجة ، فتكون سَــعَتُه بالتقريب سبع دَرَج وثلاثَ دقائق .

الإقليم الثالث — مبدؤه حيث العرضُ سبعٌ وعشرون درجة ونصفُ درجة؛ ووسَطُه حيث العرض ثلاثون درجة وثلثا درجة ؛ وآخره حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وثمن درجة بالتقريب ؛ [فتكون سعته ست درجات وثمن درجة بالتقريب][1] .

الإقليم الرابع — مبدؤه حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصفُ وثمن درجة؛ ووسطه حيث العرضُ ست وثلاثون درجة وخمسُ وسدسُ درجة؛ وآخره حيث العـرضُ تسع وثلاثون درجة إلا عُشْرا ؛ فتكون سعتُه خمسَ دَرَجات وسبعَ عشرةَ دقيقةً بالتقريب .

الإقليم الخامس — مبدؤه حيث العرضُ تسع وثلاثون درجة؛ ووسطه حيث العرضُ إحدى وأربعون درجةً وربـعُ درجة ؛ وآخره حيث العرضُ ثلاث وأربعون درجة وربعُ وثمنُ درجةٍ؛ فتكون سعَتُه أربعَ درجات وربعَ وثمنَ وعُشْرَ درجةٍ بالتقريب .

الإقليم السادس — مبدؤُه حيث العرض ثلاث وأربعـون درجة وربعُ وثمنُ درجة؛ ووسـطه حيث العرض خمس وأربعون درجة وعُشْرُ درجة؛ وآخره حيث العرض سـبع وأربعون درجة وخمسُ درجة؛ فتكون سَعتُه ثلاثَ درجات ونصف وثمنَ وخُمس درجة .

الإقليم السابع — مبدؤه حيث العرضُ سبع وأربعون درجة وخمسُ درجة؛ ووسـطه حيث العرض ثمـانٍ وأربعون درجة ونصـفُ وربعُ وثمنُ درجة ؛ وآخره حيث العـرضُ خمسون درجةً وثلثُ درجة؛ فتكون سـعته ثلاثَ درجات وثمـانَ دقائق .

---

(١) الزيادة عن تقويم البلدان والضوء

وأما أطوال هذه الأقاليم فإنها تختلف فى الطُّول والقِصَر بآعتبار القُرْب من خط الآستواء والبعدِ عنـه ؛ فكلَّما قرُب الإقليم من خط الآستواء كان أكثر طُولا من الذى يليـه : ضرورةَ أن أوسع الكُرَة وَسَطُها وما بعده من الجانبين ينقُص شيئا فشيئا .

٥ فطول الإقليم الأوّل — من آبتدائه من ساحل البحر المحيط الغربىّ إلى ساحل البحر المحيط الشرقىّ فيما ذكره فى "تقويم البُلْدان" مائةٌ وآثنتان وسبعون درجةً وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثـانى — مائة وأربع وستون درجة وعشرون دقيقةً .

وطول الإقليم الثالث — مائة وأربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة .

١٠ وطول الإقليم الرابـع — مائة وأربع وأربعون درجة وسبع عشرةَ دقيقة .

وطول الإقليم الخامس — مائة وخمس وثلاثون درجة وآثنتان وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السادس — مائة وست وعشرون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السـابع — مائة وتسعَ عشرة درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

الفصــــل الثـانى

من الباب الأوّل من المقالة الثانية

في البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البُلْدان في التعريف بها والسَّفَر إليها ؛ وفيه طرفان :

الطــــرف الأوّل

في البحــر المحيــط ٥

وهو المستدير بالقَدْر المكشوف من الأرض . وأحوالُه معلومة في بعض المواضع دون بعض .

فمن المعلوم الحالِ منه الجانبُ الغربيُّ، ويسمّى بحر أُوقيانُوس ، وفيه الجزائر الخالدات المتقدّم ذكرها في الكلام على الأطوال .

ويأخذ في الامتداد من سواحل بلاد المغرب الأقصى من زُقَاق سَبْتَة الذي بين ١٠ الأندَلُس وبَرّ العُدْوة إلى جهة الجنوب حتّى يتجاوز صحراء لَمْتُونة ، وهي بادية البربر بين طَرَف بلاد المغرب من الجَنُوب وبين طرف بلاد السودان من الشَّمال ، ثم يمتدّ جَنُوبا على أرض خراب غير مسكونة ولا مسلوكة حتّى يتجاوز خط الاستواء المتقدّم ذكره إلى الجنوب .

قال الشريف الإدريسى : وماؤه هناك ثخين غليظ شديد الملوحة ، لا يعيش ١٥ فيه حيوان ، ولا يَسْلُك فيه مركب .

ثم يعطف إلى جهة الشرق وراء جبال القُمْر التي منها منابع نيل مصر الآتي ذكْرُها ، فيصير البحر المذكور جنوبيا عن الأرض ، ويمتدّ شرقا على أراض خراب وراء بلاد الزنج ، ثم يمتدّ شرقا وشمالا حتّى يتصل ببحر الصين والهند ، ثم يأخذ مشرّقا حتّى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة ، وهناك بلاد الصين ؛ ثم ينعطف ٢٠

فى شرق الصين إلى جهة الشّمال ويصير فى جهة الشرق عن الأرض ، ويمتدّ شمالا على شرقى بلاد الصين حتّى يتجاوز حدّ الصين ، ويسامت سـدّ يأجوج ومأجوج ، ثم ينعطف ويستدير على أرض غير معلومة الأحوال ، ويمتدّ مغرّبا ويصير فى جهة الشمال عن الأرض ، ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ، ثم ينعطف غربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويصير فى جهة الغرب منها ، ويمتدّ على سواحل أمم مختلفة من الكُفّار حتّى يُسامتَ بلاد رُومية من غربها ، ثم يمتدّ جنوبا ويتجاوز بلاد رومية ويسامت البـلاد التى بينها وبين الأندلس ، ويتجاوزها إلى سـواحل الأندلس ؛ ويمتدّ على غربى الأَندَلُس جنوبا حتّى يجاوزه وينتهى إلى زُقاق سَبْتة الذى وقعت البداءة منه .

الطّـــرَف الثـانى

فى البحار المنبثة فى أقطار الأرض ، ونواحى الممالك ، وما بها من الجزائر المشهورة ، وهى على ضربيـــن

الضــــرب الأوّل

الخارج من البحر المحيط وما يتصل به

والمشهور منه ثلاثة أبحر :

البحـــــر الأوّل

الخارج من البحر المحيط الغربى إلى جهة الشرق

وهو (بحر الروم) وأضيف إلى الروم لسكنى أممهم عليه من شَمَاليّه ، ويعبّر عنه بالبحر الرومىّ أيضا ، وقد يعبّر عنه بالبحر الشامىّ ، لوقوع سواحل الشام عليه من شرقيه . ومَخْرَجُه من المحيط من بحر أُوقِيانُوس المتقدم ذكره بين الأندلس وبرّ العُدْوة

من بلاد المغرب، ويُسمّى هنالك بحرَ الزُّقاق، وربما قيل زُقاق سَبْتة، لمجاورته لها على ما سيأتى؛ وهو هناك فى غاية الضيق .

قال الشريف الإدريسىّ : والثابت فى الكتب القديمة أن سَعَته عشرةُ أميال ولكنه آتسع بعد ذلك .

قال آبن سعيد : وهو فى زماننا ثمانيةَ عشرَ ميلا . ٥

قال فى "الروض المعطار": ويذكر أنه كان عليه قنطرة عظيمة بين الأندلس وساحل طَنْجة من بر العُـدْوة، مبنيّةٌ بالحجارة، لا يُعْلم لها نظير فى معمور الأرض، يمرّ عليها الناس والدوابُّ من جانب إلى جانب، وأن البحر قبل الفتح الإسلامىّ بمائة سنة طمى فأغرق القنطرةَ؛ وربما ظهرتْ لأهل المراكب تحت الماء . قال : والناس يقولون إنه لا بُدَّ من ظهورها قبل فَنَاء الدنيا . ١٠

ويبتدئ هذا البحر من أول بحر الزُّقاق المقدّم ذكُره، ويمتدّ على (سواحل الغرب) إلى حدود الديار المِصْريّة فيمرّ على مدينة (طَنْجة) حيث الطول ثمانُ درج، والعرض خمس وثلاثون درجةً ونصفٌ، ثم يَعْطف جنوبا وشرقا إلى مدينة (سَلَا) .

ثم يمتدُّ شَرْقا وشَمَالا إلى مدينة (سَبْتة) ويمتدّ كذلك حتّى يسامت مدينة (فاس) قاعدة الغـرب الأقصى على بُعْد منه؛ ثم يمتـدّ إلى حدود مدينة (تِلِمْسَان) قاعدة الغرب الأوسـط؛ ثم يأخذ شرقا بمَيْلة إلى الشمال حتّى يصير عند (الجـزائر) فُرْضة بِجَايَة، ويمرّ حتّى يسامت (بجاية) . ١٥

ثم يمتـدُّ حتى يجاوز مدينة (مَرْسى الخرز) الذى به مَغَاص المَرْجان شرقىّ قُسَـنْطينة : آخرِ مملكة بِجاية من الشرق، ثم يتجاوز مملكة بجـاية إلى أول حدود إفريقية، ويمرّ فى سمت وسط المشرق حتّى يقابل مدينة (تُونُس) قاعدة إفريقية من شماليها، ويدخل منه خَوْر إلى تُونُس المذكورة . ٢٠

ثم يمتدّ بعد أن يتجاوز تُونُس نحوَ تسعين ميلا شرقا نَصًّا، ثم يَعْطِف جنوبا حتّى يصير له دخلة كبيرة فى الجنوب؛ وفى فَم هذه الدخلة حيث يعطف البحر عن الشرق إلى الجنوب جزيرة (قَوْصَرَة) مقابلة لجزيرة صقلية .

ثم يمتدّ فى الجنوب إلى قريب من مدينة (سُوسَة)؛ ثم يشرق إلى سُوسة المذكورة ٥ ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلى مدينة (المَهْدِيَّة)؛ ثم يمرّ شرقا وجنوبا حتّى يتجاوز مدينة (صَفَاقُس)، ويمتدّ حتّى يجاوز جزيرة (جِرْبَة)؛ ثم يعطف شمالا ويصير للبر الجنوبى دخلةٌ فى البحر، ويمتـدّ شرقا وشمالا حتّى يبلغ مدينة (طرابُلُس) وهى آخر مـدن إفريقيَة؛ ثم يمتدّ شرقا حتّى يجاوز حدود إفريقية عند طول إحدى وأربعين درجة، ثم يمتدّ شَمَالا على سـواحل (بَرقَة) الآتى ذكرها فى جملة نواحى الديار المصرية إلى ١٠ (طَلْميثا) ثم ينعطف إلى جهة الشمال، ويكون للبرّ فى البحر دخلةٌ إلى (رأس أوثان) وهو جبل داخل فى البحر، ثم يشرق من رأس أوثان (إلى رأس تُنْبى) وهو جبـل فى البحر قبالة رأس أوثان من جهة الشرق؛ ثم يعطف إلى الجنوب ويمتدّ جنوبا حتّى يسامت (عقبـة بَرْقـة) وهى أوّل حدود الديار المصرية، على ما يأتى ذكره فى تحديدها .

١٥ ثم يمتـدّ على سواحل مصر، ويمرّ شرقا وجنوبا إلى مدينة (الإسكندرية) من قواعد الديار المصرية .

ثم يأخذ شرقا إلى عند مَصَبِّ فِرْقة النيل الشرقية، ويأخذ مشرِّقا إلى (رشيد) [عند مصب فرقة النيل الغربية، ويمتدّ كذلك إلى مدينة (دمياط) عند مصب فرقة النيل الشرقيـة، ويأخذ شرقا إلى الطينة] (١) ثم إلى (الفَرَما) ثم إلى (العَريش) ثم إلى ٢٠ (رَفَح) وهى مـنزلة فى طَرَف رمل الديار المصرية من جهة الشام على مرحلة من

(١) الزيادة عن الضوء .

غَزَّة ، حيث الطُّول نحـو ستّ وخمسين درجة ونصف والعرضُ اثنان وثلاثون درجة ؛ ومن هنا ينقطع تشريقه .

ثم ينعطف و يأخذ شَمَالا على (ســواحل الشام) الآتى ذكرها فى الكلام على المملكة الشامية فيمتدّ إلى مدينة (غَزَّة)، ثم إلى (عَسْقَلان) ، ثم إلى (يَافَا) مِيناء الرملة من أعمال الصَّفْقة الساحلية من دمشق؛ ثم إلى (قَيْسارِيَّة) . (بفتح القاف) ٥
وهى مدينة خراب تعدّ من جُنْد فلسطين، كانت من أمّهات المُدُن، ثم إلى (عَثْلِيث) من أعمال صَفَد ، ثم إلى (عَكَّا) من أعمالها، ثم إلى (صُور) من أعمالها ، ثم إلى (بَيْروت) من أعمال الصفقة الشمالية من دمشق ، ثم إلى (جُبَيْل) وهى مدينــة قديمة خراب، ثم إلى (أَنَفَــةَ) من أعمال طرابلس ، ثم إلى مدينــة (طرابلس) ،
ثم إلى (أَنْطَرْطُوس) من أعمالها، ثم إلى (بُلُنْيَاس)(١) من أعمالها، ثم إلى (جَبَــلَة) ١٠
من أعمالها، ثم إلى (اللَّاذِقيَّة) من أعمالها، ثم إلى (السُّوَيْدِيَة) ميناء أَنْطاكِيَةَ من أعمال حَلَب ، ثم يأخذ البحر غربا بشمال (إِيَاس) ، مدينة الفتوحات الجاهانية ، ثم إلى (المَصِّيصة) ثم إلى (أَذَنَة) ثم إلى (طَرَسوس) ثم يمتـدّ شَمَالا بغَرْب حتى يجاوز حدود بلاد الأرمن ؛ ويمتدّ على سواحل بلاد الروم التى هى الآن بيد التركمان
الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوكهم إلى (الكُرْك) . (بضم الكاف وسكون الراء المهملة) ١٥
وهى بلدة بساحل بلاد المسلمين هى الآن بيـد صاحب قبرس ، ثم يمرّ شَمَالا إلى (العَلَايَا) ، و يقابلها من البرّ الآخر (دِمياط) من سواحل الديار المصرية تقريبا ؛ ثم يمرّ إلى (أَنْطالِيــةَ)، ثم إلى (بَلَاط)، ثم إلى (طنفزاو)، ثم إلى (اياس لوق)، ثم إلى (مَغْنيسيا)، ثم إلى مدينــة (ابزو) وهى بلدة على فم الخليج القسطنطينى من
الشرق ، وبهـا يعرف الخليج فيقال فم ابزو ، و يقابلها من البر الآخر غربيَّ مدينة ٢٠
الإسكندرية ، فيما بينها و بين بَرْقة ؛ ثم يجاوز الخليج المذكور، ويمتدّ مغتربا بمَيْلة

(١) قال فى معجم البلدان : (بضمتين وسكون النون) . وفى القاموس : (بلنياس كسر طراطر) فلعل فيه لغتين .

إلى الجنوب على سواحل الروم والفرنجـة ، فيمرّ على بلاد المَرَا ، وهى مملكة أوّلها فم الخليج القسطنطينى المتقدّم ذكره من جانبه الغربىّ . كانت فى الأيام الناصرية (آبن قلاوون) مشتركة بين صاحب القسطنطينية و بين طائفة الكيتلان من الفرنج ، وقد فتحها الآن آبن عثمان وآستملكها من الروم .

٥ ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد (الملفجوط) وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به . و يقابلها من البر الآخر شرقىُّ بَرْقةَ ، ثم يمتدّ فى الغرب إلى بلاد إقليرنس، ثم إلى بلاد الباسليسة، وهى آمرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعمائة فعُرِفَتْ بها .

و يقابلها من البر الآخر أوساط برقة . و بآخر هذه المملكة من جهة الغرب (جَوْن البنادقة) وهو خليج يخرج من بحـر الروم هـذا ؛ و يمتدّ غربا بشَمَالٍ حتّى

١٠ يصير طَرَفُه غربىَّ رومية ، وعلى طرفه مدينـة (البُنْدُقية) ومن فمه إلى منتهاه نحو سبعمائة ميل ، ثم يجاوز فم الخَوْر المذكور إلى مملكة بولية ، وأوّلها فم خَوْر البنادقة من الجانب الغربىّ . و يقابلها من البحر الآخر (طَلْميثا) فُرْضة بَرْقة المتقدّمة الذكر ، ثم يمتدّ فى الغرب إلى بلاد (قلفرية) من جملة مملكة بولية المتقدّمة الذكر .

و يقابلها من البر الآخر بلاد أُطْرابُلُس من بلاد إفريقية ، ثم يمتدّ إلى ساحل

١٥ (رومية)، المدينة المعظمة المشهورة .

و يقابلها من البر الآخر شرقىُّ تُونُس من إفريقيـة . ثم ينقطع تغريبـه و يأخذ جَنُوبا حتّى يجاوز سواحل بلاد رومية المذكورة إلى بلاد التُّسْقان ، وهم جنس من الفرنج و بلادهم معروفة بنبات الزَّعْفران .

و يقابلها من البر الآخر مدينة تُونُس : قاعِدة إفريقية المتقدّمة الذكر ، و يمتدّ

٢٠ فى الجنوب إلى بلاد (بِيزَة) وهى بلدة على الركن الشمالىّ من جزيرة الأندَلُس إليها ينسب الفرنج البيازنة والحديدُ البيزانىّ .

ويقابلها من البرّ الآخر (مَرْسَى الخَرَز) آخر مملكة بِجَايةَ من الشرق على ما تقدّم ذكره ، ثم يمتدّ إلى بلاد (جَنَوة) الآتى ذكرها فى الكلام على البلاد الشمالية، ثم يأخذ غربا إلى جبل البُرت ، وهو الجبل الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة، ثم ينقطع تغريبه ويعطف مشرِّقا ويدخل الركن الشرقىّ من الأندلس فيه؛ ويمتدّ فى الشرق، ويستدير على الركن المذكور، ثم يعطف غربا، ويمتدّ على (سواحل الأندلس) إلى مدينة (بَرْشَلُونة) ثم إلى مدينة (طَرْطُوشة) .

قال فى "الروض المعطار" : ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية .

قال فى (تقويم البلدان) : وعرض البحر بينهما ثلاثة مجار، ثم يمتدّ كذلك بين الغرب والجنوب إلى مدينة بَلَنْسِية، ثم يعطف غربا إلى دانِيةَ، ثم يمتدّ غربا بجنوب إلى مدينة مالقَةَ ثم يمرّ إلى الجزيرة، وهى مقابلة لساحل سَبْتة وطَنْجة حيث وقع الابتداء .

وسيأتى الكلام على ضبط مالم يُضبط من البلاد على ساحل هذا البحر بالحروف مع ذكر صفاتها عند التعرّض لذكرها فى الكتاب فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

وطول هذا البحر من البحر المحيط إلى ساحل الشام فيما يُذكر ألف فرسخ ومائة وسبعون فرسخا، وغاية عَرْضه فى بعض الأماكن ستمائة ميل .

وأما ما يتصل بالبحر الرومىّ المتقدّم الذكر فبحر نِيطِش[1] (بنون مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة فى الآخر) . وهو المعروف فى زماننا ببحر القِرِم، لتركُّب بلاد القِرِم على ساحله ، ويعرف أيضا بالبحر الأرمنىّ، لتركُّب بعض بلاد أرمينيَةَ على بعض سواحله ، وربما قيل فيه البحر الأسودُ، وهو متصل ببحر الروم المذكور من شماليّه، ويتركب عليه من آخره (بحر مانِيطِش) بزيادة لفظ "ما" فى أوّله وباقى الضبط على ما تقدّم وهو المعروف فى زماننا ببحر الأَزَق ،

(١) ورد فى معجم البلدان لياقوت «بنطس» بضم الطاء والسين المهملة ، وذكر مؤلفه أنه وجده هكذا بخط أبى الريحان البيرونى .

لتركُّب بلاد الأَزَق على ساحله الشرقىّ وليس وراءه بحر متصلٌ به، ولذلك يُعبر عنه بعضهم ببحيرة ما نيطش، وهو يصبُّ فى بحر نيطش، وبحر نيطش يصب فى بحر الروم؛ ولذلك تُسرع المراكبُ فى سيرها من القِرِم إلى بحر الروم، وتبطئ فى سيرها من بحر الروم إلى القِرِم لأستقبالها جَرَيان المـاء .

٥ وأوّل بحر نيطش المذكور مما يلى بحر الروم . (الخليج القسطنطينى) المتقدّم ذكره فى تحديد بحر الروم، وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الإنسان صاحبه من البر الآخر.

قال آبن سعيد : وطول هذا الخليج نحو خمسين ميلا .

وذكر فى "تقويم البُلْدان" عن بعض المسافرين أن طوله سبعون ميلا وآتصاله بالبحر الرومىّ من جانبه الشمالى، ويمتدّ شمالا (على سواحل بلاد الروم) من البر الشرقىّ

١٠ منه إلى (قلعة الجرون)، وهى قلعة خراب على ساحل هذا الخليج مقابِل القسطنطينية، ويمتدّ من الجرون شمالا بميلةٍ يسيرة إلى الشرق إلى مدينة كربى على خليج القسطنطينية على القرب من الجرون المذكورة؛ ثم يمتدّ شرقا بشَمَالٍ إلى مدينـــة (كترو) وهى آخر مدن القسطنطينية التى على هذا الساحل، ثم يمتدّ إلى مدينة (كينولى) وهى بلدة على الخليج القُسْطنطينى، ثم يأخذ بين الشَّمَال والغرب، ويكون للبر دخلة فى البحر إلى

١٥ جهة الغرب، وعلى طَرَف هذه الدّخلة فرضة (سنوب) من سواحل الروم الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوك الكفر، ثم يأخذ فى الآتساع إلى مدينة (سامسون)، وهى بلدة من سواحل بلاد الروم، ثم يأخذ مُشَرِّقًا إلى مدينة (طرابزون)، وهى فُرْضَةٌ للروم بهذا الساحل، ثم يمتدّ شَمَالًا بميلة إلى مدينة (سُخُوم)، وهى مدينة على ثلاثة أيام عن طرابزون شرقا بِشَمَالٍ، وبينها وبين بلاد الكَرَج يوم واحد، ويقال إنها من بلاد الكَرَج؛ ثم يمتدّ

٢٠ شرقا بشمال إلى مدينة (أَبْخَاس) وهى مدينـــة فى جبل على ساحل البحر على القرب من سُخُوم؛ ثم يتضايق البحر مُغَرِّبًا ويضيق من البر الآخر حتى يتقارب البرَّان ويصير

الماء بينهما مثل الخليج ، وهو مصب بحر مَّا نيطش فى بحر نيطش ، وعلى جانب هذا الخليج مدينة (الطامَان) من سواحل الروم ، وهى حدّ بلاد الروم ، من مملكة بركة المشتملة على القِرِم ، ودَشْت القَبْجَاق ، والسراى ، وخُوَارِزْم على ما سيأتى بيانه فى مكاتبات القانات ، ثم يأخذ فى الاتساع شرقا وشَمَالا وغربا و يصير كالبركة ، و يمتدّ على سواحل الأَزَق الآتى ذكرها فى مكاتبات حاكمها إلى مدينة (الشقراق) وهى أوّل بلاد الأَزَق ، ومنها ينتهى تشريقُه ؛ ثم يَعْطِفُ إلى الشَّمَال و يأخذ إلى مدينة (الأَزَق) ثم يستديرُ من الأزق حتَّى يصير إلى الغرب ، و ينتهى إلى الخليج الذى بين بحر نيطش و بحر مانيطش المتقدّم ذكره .

وهناك مدينة الكِرْش من بلاد الأَزَق ، مقابل مدينة الطَّامَان المتقدّمة الذكر من البر الآخر ، ثم يمرّ جَنُوبا و يمتدّ على سواحل القِرم الآتية الذكر فى مكاتبة حاكمها ، فيمرّ إلى مدينة (الكَفَا) فرضة القِرِم .

و يقابلها من البر الآخر مدينة (طرابزون) المتقدّمة الذكر ، ثم يمتدّ كذلك إلى مدينة صُوداق ، وهى فُرْضة ببلاد القِرِم أيضا .

و يقابلها من البر الآخر مدينة (سامسون) المتقدّمة الذكر ، ثم يأخذ فى الانضمام جنوبا و يعطف مشرِّقا بحيث يكون للبر دخلة فى البحر ، و يمتدّ على سواحل بلاد البلغار إلى مدينة (صَارِى كِرمان) من بلاد البلغار ، و بينها و بين صُلْغَات مدينة (القِرِم) خمسة أيام .

و يقابلها من البر الآخر مدينة (سَنُوب) المتقدّمة الذكر ، ثم يأخذ فى الاتساع غربا بميلة إلى الجنوب و يمتدّ كذلك إلى مدينة (أَقْجَا كِرمَان) من بلاد البلغار ، ثم يأخذ جنوبا و يمتدّ على (سواحل بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة) إلى بلدة صَقْجى ، وعندها يصب نهر طُنَا (بطاء مهملة مضمومة بعدها نون وألف) وهو نهر عظيم بقدر

بجمـوع دِجْلَةَ والفُـرَات ، ثم يتضايق ويأخذ شرقا حتّى ينتهى إلى أوّل الخليـج القُسْطَنْطِينِيّ المتقدّم ذكره ، ثم يأخذ جنـوبا ويتقارب البَرّانِ ويمتـدّ كذلك إلى مقابل مدينة كربى المتقدمة الذكر ، ثم يمتدّ كذلك إلى مدينة (القُسْطَنْطِينيَّة) قاعدة ملك الروم الآتى ذكرها فى مكاتبة مَلِكها .

٥ ويقابلها من البر الآخر قلعة الجرون المتقدّمة الذكر، ثم يمتدّ حتّى يصبّ فى بحر الروم حيث وقع الأبتداء . وسيأتى الكلام على ضبط ما لم يضبط من البلاد التى على ساحل هـذا البحر المتقدّمة الذكر مع ذكر صفاتها عنـد الكلام على مكاتبات ملوكها وحُكّامها إن شاء الله تعالى .

ويبحر نيطش المتقدّم ذكره على القرب من الخليج القُسْطَنْطِينىّ جزيرة (مَرْمرا)

١٠ الآتى ذكرها عند الكلام على مكاتبة مَلِكها فى جملة ملوك الكفر إن شاء الله .

البحـــر الثـانى

الخارج من المحيط الشرقىّ إلى جهة الغرب

وهو بحر يخرج عند أقصى بلاد الصِّينِ الشرقية الجنوبية ممـا يلى خط الأستواء حيث لا عرض، وقيل : على عرض ثلاث عشرة درجة فى الجنوب، ويمتدّ غربا

١٥ بشَمَال على (سواحل بلاد الصِّينِ) الجنوبية، ثم على المفاوز التى بين الصِّينِ والهِنْد حتّى ينتهىَ إلى (جبال قَامُرُون) الفاصلة بين الصِّينِ والهِنْد .

قال ٱبن سعيد : ومدينة الملك بهـا فى شرقيهـا ، ثم يجاوز (جبال قامرون) المذكورة ويمتدّ على سواحل بلاد (الهند) من الجنوب، ويمرّ على (سُفَالة الهند) وهى سُوفَارة، ويمتدّ حتّى ينتهىَ إلى آخر الهنـد، ثم يمتدّ على مفازة السِّنْد الفاصلة

٢٠ بينه وبين البحر، ويمرّ حتّى ينتهىَ إلى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر إلى جهة الشَّمال على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ويجاوزه إلى بلاد اليَمَن فيمرّ على (ساحل مَهْرَة) : أوّلِ بلاد اليَمَن؛ ويمتدّ من شَمَاليها على سواحل اليَمَن من جنوبيه حتّى ينتهىَ إلى مدينة (عَدَن) فرضةِ اليمن ، ثم يمرّ من عَدَن إلى الشَّمال بميسلة إلى الغرب نحو مجرا حتّى ينتهىَ إلى (باب المَنْدَب) وهو فُرْضَةٌ بين جبلين، ويخرج منه ويمتـدّ غربا بميلة إلى الشَّمال آثنى عشر ميلا، ثم يعطف شَمالا ويمتدّ على سواحل اليَمَن الغربية إلى (عَلَّافِقَة) فرضة مدينة (زَبِيد)؛ ثم يمتدّ شَمالا أيضا إلى مدينة (حَلْى) من أطراف اليَمَن من جهة الحجاز، وهى المعروفة بحَلْى آبن يعقوبَ؛ ثم يمتد شَمالا على (ساحل الحجاز) إلى (جُدَّة)، فرضةٌ على بحر القُلْزُم؛ ثم يمتدّ شَمالا إلى (الجُحْفَة) ميقاتِ الإحرام لأهل مصر؛ ثم يمتدّ شمالا بميلة إلى الغرب حتّى يتصل بساحل (يَنْبُع)؛ ثم يأخذ بين الغرب والشَّمال حتّى يجاوز (مَدْيَنَ) الآتى ذكرها فى كُوَرِ مصر القديمة؛ ويمتدّ شَمالا بجنوب حتّى يقارب (أَيْلَةَ) الآتى ذكرها فى كُوَر مصر القديمة أيضا؛ ثم يعطف إلى الجنوب حتّى يجاوز أَيْلَةَ المذكورة إلى مكان يعرف (برأس أبى محمد) ويكون للبرّ دخلة فى البحر فى جهة الجنوب، ثم يعطف شَمالا حتّى ينتهىَ إلى فُرْضَـةِ (الطُّور) وهى مكانُ حَطٍّ وإقلاعٍ لمراكب الديار المصرية، وما يصل إليها من اليَمَن وغيرها؛ ويمرّ فى الشَّمال حتى يصل إلى فُرْضَـةِ (السُّوَيْس) وهى مكانُ حَطٍّ وإقلاعٍ للديار المصرية أيضا ؛ وعنده ينتهى بر العرب ببحر القلزم ويبتدئ بر العجم .

وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم على ما تقدّم ذكره فى الكلام على أصل هذا البحر .

ثم من السُّوَيْس يعطف إلى الجنوب على ساحل مصر، ويمتدّ موازيا لبلاد الصعيد حتّى ينتهى إلى مدينة (القُلْزُم) التى ينسب إليها هذا البحر الآتى ذكرها فى الكلام على كُوَرِ مصر القديمة ، ويقابلها من بَرّ الحجاز أَيْلَةُ، ثم يأخذ عن القُلْزُم جنوبا بميلة إلى الشرق حتّى يسامتَ فُرْضَةَ الطُّورِ المتقدّم ذكرها ، وتصير فرضة الطُّور بين أَيْلَةَ

والقُلْزُم غربيّ الدخلة المتقـدّم ذكرها، ثم يمتدّ كذلك حتّى ينتهى إلى (القُصَير)، فُرْضَة قُوص؛ ثم يتسع فى جهتى الجنوب والشرق حتّى يكون آتّساعه تسعين ميلاً، وتسمّى تلك القطعة المتسعة بِرْكَةَ الغرُنْدُل، وهى التى أغرق الله تعالى فيها فرعون؛ ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة إلى الغرب إلى (عَيْذابَ)، فُرْضَةُ قُوص أيضا . ويقابلها من بَرّ الحجاز جُدَّةُ، فرضَةُ مكةَ المشرَّفة ؛ ثم يمتدّ فى سمت الجنوب على (سـواحل بلاد السودان) حتّى يصير عند (سَوَاكِنَ) من بلاد البجاة؛ ثم يمتدّ كذلك حتّى يحيط (بجزيرة دَهْلَكَ) وهى جزيرة قريبة من ساحل هذا البحر الغربىّ، وأهلها من الحبَشَةِ المسلمين . ويقابلها من البرّ الآخر جَنوبىُّ حَلْىِ آبن يعقوبَ من بلاد اليَمَن، ويمتدّ حتى يصل إلى رأس (جبل المَنْدَب) المتقدّم ذكره .

وهناك يضيق البحر حتّى يرى الرجل صاحبه من البرّ الآخر .

ويقال : إنه بقدر رميتى سَهْم؛ وتُرى جبال عَدَنَ من جبال المَنْدَب فى وقت الصحو، ثم يتجاوز باب المَنْدَب ويأخذ شرقا وجنوبا، ويتسع قليلا قليلا ويمرّ على بقية سواحل الحبشة حتّى يمرّ بمدينة (زَيْلَعَ) من بلاد الحبشة المسلمين .

ويقابلها عَدَنَ من برّ اليَمَن، وهى عن عَدَن فى الغرب بميلة إلى الجنوب، ثم يمرّ إلى مدينة مَقْدِشُو[1]؛ ثم يمتدّ كذلك حتّى ينتهىَ إلى (خليج بَرْبَرَا) الخارج من بحر الهند فى جانبه الجنوبىّ على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ويتجاوز فم هذا الخليج ويمتدّ على (سواحل بلاد الزَّنْج) حتّى ينتهىَ إلى آخرها؛ ثم يمتدّ على (سواحل بلاد الواق واق) على أماكنَ مجهولة حتّى ينتهى إلى مبدئه من البحـر المحيط الشرقىّ . على أنه فى تقويم البُلْدان لم يتعرّض لساحل هـذا البحر الجنوبىّ فيما هو شرقىّ باب المَنْدَب لعدم تحققه .

(١) فى تقويم البلدان [بكسر الدال] وفى معجم البلدان [بفتح الدال] فهما لغتان .

وآعلم أن هذا البحر يسمَّى فى كل مكان بآسم ما يسامته من البُلْدان، أو باسم بعض البُلْدان التى عليه . فيسمَّى فيما يقابل بلاد الصِّين : بحرَ الصِّين، وفيما يقابل بلاد الهِنْد إلى ما جاورها إلى بلاد اليمن شرقىَّ باب المَنْدَب : بحرَ الهند، وفيما دون باب المندب إلى غايته فى الشمال والغرب : بحرَ القُلْزُم ، نسبةً إلى مدينة القُلْزُم المتقدّمة الذكر فى ساحل الديار المصرية . ٥

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطول هذا البحر من طَرَف بلاد الصِّين الشرقىّ إلى القُلْزُم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب، ومقتضى كلام آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" أن طوله أربعة آلاف وتسعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان ، فإنه قد ذكر أن طولَ بحر الصين والهند إلى باب المَنْدَب أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ، ثم ذكر أن طول بحر القُلْزُم ألف وأربع مائة مِيلٍ، وهى أربعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان وبين الكلامين بونَ . ١٠

وكلام صاحب تقويم البُلْدان أقرب إلى الصواب . فإنه آستخرجه من تضريب الدَّرَج وآستخراج أميالها وفراسخها . وبآخر بحر القُلْزُم من الذراع الآخذ الى جهة السُّوَيْس على مِيلٍ من مدينة القُلْزُم موضع يعرف (بذَنَب التِّمْسَاح) يتقارب بحر القلزم وبحر الروم فيما بينه وبين الفَرَما حتى يكون بينهما نحو سبعين مِيلا فيما ذكره آبن سعيد . ١٥

قال فى "الروض المعطار" : وكان بعض الملوك قد حفره ليوصل ما بين القلزم وبحر الروم فلم يتأت له ذلك لآرتفاع القلزم وآنخفاض بحر الروم، والله تعالى قد جعل بينهما حاجزا كما ذكر تعالى فى كتابه . قال : ولما لم يتأت له ذلك آحتفر خليجا آخر مما يلى بلاد تِنِّيس ودِمْياط وجرى الماء فيه من بحر الروم إلى موضع يعرف بقيعان (؟) . ٢٠

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية، وتدخل من بحر القُلْزُم إلى ذَنَب التمساح فيقرب ما فى كل بحر إلى الآخر، ثم آرتدم ذلك على طول الدهر.

وقد ذكر آبن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يخرق بينهما من عند ذَنَب التمساح المتقـدّم ذكره فنهاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه. وقال : إذَنْ يتخطّف الرومُ الحُجّاجَ .

وذكر صاحب "الروض المِعْطَار" أن الرشـيد همّ أن يوصل ما بين هـذين البحرين من أصل مَصَبّ النيل من بحر بلاد الحبشة وأقاصى صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل، فرام ذلك مما يلى بلاد القَرَمَا فقال له يحيى بن خالد : إن تمّ هذا تُخَطَّف الناسُ من المسجد الحرام ومكة، وآحتجّ عليه بمنع عمر بن الخطاب عمرو آبن العاص من ذلك، فأمسك عنه .

ويتفرّع من البحر الهندىّ بحران عظيمان مشهوران، وهما (بحر فارس، والخليج البربرىّ) .

فأما بحر فارس، فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدّم ذكره من شماليّه، ويمتدّ شَمَالا بميلة إلى الغرب غربىّ (مفازة السِّنْد) الفاصلة بينه وبين بحر الهند، ثم على غربىّ بلاد السند، ثم على أرض (مُكْرَانَ) من نواحى الهند، ويخرج منه من آخر مُكْرَانَ خَوْرٌ يمتدّ شرقا وجنوبا على ساحل مُكْرَانَ والسِّنْد حتّى يصير السند غربيّه، ثم ينعطف آخره على (ساحل بلاد كِرْمَانَ) من شماليها حتّى يعودَ إلى أصل بحر فارس، فيمتدّ شمالا حتّى ينتهىَ إلى مدينة (هُرْمُوز) وينتهى إلى آخر كِرْمَانَ فيخرج منه خَوْر يمتـدّ على ساحل كِرْمَانَ من شماليّها، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتصلّ بأصل بحـر فارس، ويمتـدّ شَمَالا ثم يعطف ويمتدّ مغربا إلى (حصن آبن عُمَارَة) من بلاد فارس، وقيل من بلاد كِرْمَانَ، وهو اليوم خراب؛

ثم يمتدّ مغرّبا فى جبال منقطعة ومفاوزَ إلى مدينة (سِيْرَاف)؛ ثم يمتدّ كذلك إلى (سِيف البحر) بكسر السين، وهو ساحل من سواحل فارس، فيه مزارع وقرى مجتمعة؛ ثم يمتدّ إلى (جَنَّابَة) من بلاد فارس، ثم يمتدّ إلى (سِينِيز) من بلاد فارس، وقيل من الأهواز؛ ثم يمتدّ إلى مدينة (مَهْرُوبانَ) من سواحل خوزستان، وقيل من سواحل فارس، وهى فُرْضَةُ (أَرَّجَانَ) وما والاها، ثم يمتدّ مغرّبا بميلة يسيرة نحو الشَّمال إلى مدينة (عَبَّادَانَ) من أواخر بلاد العِرَاق من الشرق على القرب من البَصْرة عند مَصَبِّ دِجْلَةَ فى هذا البحر؛ ثم ينعطف و يمتدّ جَنُوبا إلى (كَاظِمَةَ) وهى جَوْنٌ على ساحل البحرين مما يلى البصرة على مسيرة يومين منها؛ ثم يمتدّ إلى (القَطِيف) من بلاد البَحْرَيْنِ ثم يمتدّ كذلك إلى مدينة (عُمَانَ) فُرْضَةُ بلاد البحرين، وإليها تنتهى مراكب السند والهند والزَّنْج، ويخرج على القرب منها عن يمين المُقْلِع من ساحلها فى جهة الغرب بحرٌ ببلاد (الشِّحْرِ) من اليَمَن أيضا، وإليها ينسب العَنْبَر الشِّحْرِىُّ الطَّيِّبُ كما تقدّم ذكره فى النوع الخامس فيما يحتاج إليه من نفيس الطيب؛ ثم يمرّ على سواحل (مَهْرَةَ) من شرقىّ بلاد اليمن حتّى ينتهى إلى مَبْدَئه من بحر الهند .

قال فى "تقويم البُلْدان": وبفم هذا البحر ثلاثة أجبُل يخشاها المسافرون، يقال لأحدها كُسَيْر، والثانى عُوَيْر، والثالث ليس فيه خَيْر .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات": وطول هذا البحر أربعمائة فرسخ وأربعون فرسخا، وعُمْقُه ثمانون باعا .

وأما الخليج البَرْبَرِى، فهو ينبعث من بحر الهند المتقدّم ذكره فى جنوبى جبل المَنْدَبِ المتقدّم الذكر، ويمتدّ فى جنوبى بلاد الحبشة، ويأخذ غربا حتّى ينتهىَ إلى مدينة بَرْبَرَا (بباءين موحدتين مفتوحتين وراءين مهملتين الأولى منهما ساكنة)

وهى قاعدة الزَّغَاوَةِ من السُّودَان، حيث الطولُ ثمـان وستون درجةً، والعرضُ ست درج ونصف .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطوله من المشرق الى المغرب نحو خمسمائة مِيلٍ .

قال الشريف الإدريسىّ : وموجه كالجبال الشواهق ولكنه لا ينكسر. قال: يركب فيه إلى جزيرة قنبلو، ويقال قنبلة، وهى جزيرة للزَّنْج فى هذا البحر .

قال فى "القـانون" : وطولها آثنتان وخمسون درجة، وعرضهـا فى الجنوب ثلاث درج .

قال الإدريسىّ : وأهلها مسلمون .

البحـــر الثـالث

الخارج من المحيط الشمالى، المعروف ببحر بَرْدِيلَ

(بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت ولام فى الآخر) .

قال آبن سعيد: ويقال له بحر برطانية أيضا، وهو بحر يخرج من شَمالىّ الأَنْدَلُس ويأخذ شرقا إلى خلف جبل الأبواب الفاصـل بين الأَنْدَلُس والأرض الكبيرة، ويقرب طرفه الشرقى حتّى يبقى بينه وبين بحر الروم المتقـدّم ذكره أربعون مِيلًا، وهناك مدينة (بَرْدِيلَ) التى يضاف البحر إليها .

الضـــــرب الثـانى

من البحار المنبثة فى أقطار الأرض ماليس له آتصال بالبحر المحيط

وهو بحر الخَزَرِ (بفتح الخـاء والزاى المعجمتين، وراء مهملة فى الآخر) .

ويسمّى بحر جُرْجانَ لوقوع مدينة جُرْجانَ على ساحله ، وبحرَ طَبَرِسْتانَ لوقوع ناحية طَبَرِسْتانَ على ساحله أيضا ، وهذا البحر بحر مِلْحٌ منفرد عن البحار لا آتصال له بغيره البتة .

قال آبن حوقل : وهو مظلم القعر، ويقال : إنه متصل بحر نِيطش من تحت الأرض .

٥

قال المسعوديّ : وهو غلط لا أصل له ، ولم أدر من أين أخذه قائله ، أَمِنْ طريق الحِسّ ، أم من طريق الآستدلال والقياس .

قال الشريف الإدريسيّ : وهو مدوّر الشكل إلى الطُّول ، وقيل مثلث الشكل كالقلْع ، وعلى ساحله الجنوبيّ بلاد الجيل والدَّيْلَم ، وعلى جانبه الشرقيّ بلاد جُرْجَانَ والمفــازةُ التى بين جُرْجَانَ وخُوَارَزْم ، وعلى جانبه الشَّماليّ بلاد التُّرْك والخَزَر وجبال سِيَاهْ كُوهْ ، وعلى جانبه الغربيّ بلاد إيلاقَ وجبال الفتيق ، وآبتداؤه من جهة الغرب عند مدينة (باب الحديد) المعروف بباب الأبواب من بلاد أَرَّانَ ، حيث الطول ست وسـتون درجة والعرض نحو إحدى وأربعين درجة على القرب من دَرْبَنْــد شِرْوَانَ ، ثم يمتدّ جنوبا من باب الحـديد أحدا وخمسين فرسخا ، وهناك مصب نهر الكُرِّفيه ، ثم يمتدّ مشرقا بانحراف إلى الجنوب ستة عشر فرسخا ، فيمرّ على أراضى مُوقان من عمل أَرْدَبيل من أَذْرَبِيجــانَ ، ثم يمتدّ جنوبا وشرقا حتّى تبلغ غايته فى الجنوب حيث العرض سبع وثلاثون درجة قبالة مدينة (آمل) قصبة طَبَرِسْتَانَ ، ثم ينعطف ويمتــدّ شرقا حتّى يجاوز بلاد الجيل إلى مدينة آبَسْكُونَ ، وهى فُرْضَــةُ جُرْجَانَ ؛ ثم يمتدّ إلى نهايته فى الشرق حيث الطول ثمــانون درجةً والعرض نحو أربعين عند مدينة جُرْجانَ ، وهى فى الشرق منه قريبة من ساحله ؛ ثم ينعطف ويمتدّ شَمالا وغربا حتّى يبلغ نهايته فى الشمال حيث العرضُ نحو خمسين درجة ، والطولُ تسع وسبعون

١٠ ١٥ ٢٠

درجة ؛ وفى شماليّه وغربيّه يصبّ نهر إتل[1] الذى عليه مدينة السراى قاعدة مملكة أزبك الآتى ذكرها فى مكاتبة قانهم إن شاء الله تعالى .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وليس فى هذا البحر جزيرة مسكونة .

الفصـــل الثـالث

من البـاب الأوّل من المقـالة الثـانية

فى كيفية آستخراج جهات البُلْدان والأبعاد الواقعة بينها، وفيه طَرَفان

الطـــــرف الأوّل

فى كيفية آستخراج جهات البُلْدان

إذا كنتَ فى بلدٍ وأردتَ أن تعرف جهة بلد آخر عن البلد الذى أنت فيه ، فالذى أطلقه كثير من المُصَنّفين أنك تعرف طول البلد الذى أنت فيه وعرضَه ، وطولَ البلد الآخر وعرضَه ، وتقابل بين الطولين وبين العرضين ، فإن كان ذلك البلد أعرضَ من بلدك مع مساواته له فى الطول ، فهو عنك فى جهة الجنوب . وإن كان أطولَ من بلدك مع مساواته له فى العرض ، فهو عنك فى جهـة الشرق . وإن كان أقـلّ طولا مع مساواته فى العـرض ، فهو عنك فى جهة الغـرب . وإن كان أطولَ وأعرضَ من بلدك ، فهو عنك بين الشرق والشّمال . وإن كان أقـلّ طولا وعرضا ، فهو عنك بين المغرب والجنوب . وإن كان أقلّ طولا وأكثرَ عرضا ، فهو عنك بين الجنوب والشّمال . وإن كان أكثر طولا وأقل عرضا ، فهو عنك بين الشرق والجنوب .

والذى ذكره المحققون من علمـاء الهيئة أن البلد إذا كان أطولَ من بلدك مع مساواته له فى العرض ، يكون عنك فى جهة الشرق بميلة إلى الشّمال . وإذا كان أقلّ

(١) إتل (على وزن إبل) : نهر ببلاد الروس بآسم قرية هناك .

طولا مع مساواته له فى العرض ، يكون فى جهة الغرب بميلة إلى الشّمال أيضا .
وإذا كان أقلّ طولا وعرضا ، يكون بين المغرب والجنوب على ما تقدّم ، إلا أن يقلّ
الفصل بينهما بأن يكون أقل من درجة ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
على وسط المغرب . وإذا كان أقلّ طولا وأكثر عرضا ، فإنه يكون بين المشرق
والمغرب على ما تقدّم ، إلا أن يقلّ الفصل بينهما فيحتمل أن يكون كذلك وأن يكون ٥
على وسط المشرق .

الطـــرف الثـانى

فى معرفة الأبعـاد الواقعة بين البُلْدان

قد تقـدّم أن الأطوالَ والعُرُوضَ فى الأمكنة والبُلْدان تعتبر بالدَّرَج والدقائق
وأن الدّرجة مقسومة بستين دقيقة ، ثم الذى حققه القدماء كَبَطْلَيْمُوس صاحب ١٠
المَجَسْطِى وغيره تقدير الدرجة بستة وستين ميلًا وثلثَىْ ميل ، وبه أخذ أكثر المتأخرين
وعليه العمل . وما وقع لأصحاب الرَّصَد المَأْمُونِىّ مما يخالف ذلك بنقص عشر درج
ممـا لا تعويل عليه .

وقد نقل علاء الدين بن الشاطر من المتأخرين فى "زيجه" عن القدماء أنهم قدروا
الدرجة بالتقريب بعشرين فرسخا ، وبستين ميلاً ، وبمائتى ألف وأربعين ألف ذراع ، ١٥
وبخمسة بُرُد ، وبمسير يومين .

وقدّر الشافعىّ رضى الله عنه ذلك بسير يومين بالأيام المعتدلة دون لياليهما ،
وقدّر السير بالسير المعتدل ، وتقدير الدرجة كما بين الفُسْطَاط ودِمْيَاطَ ، فإنّ عَرْض
دِمْيَاطَ يزيد على عرض الفُسْطَاط بدرجة وكسر يسير على ما سيأتى ذكره .

فإذا أردت أن تعرف كم بين البلد الذى أنت فيه وبين بلد آخر على الخط المستقيم ، ٢٠
فلك حالتان :

الحالة الأولى — أن يكون ذلك البلد على سَمْتِ بلدك الذى أنت فيه فى الطول أو العرض، فآنظر كم درجة بينهما بالزيادة والنقص فآضربه فى ست وستين، وهو ما لكل درجة من الأميال، فما خرج من الضرب فهو بُعْد ما بينهما من الأميال على الخط المستقيم، فآعتبره بما شئتَ من المراحل والفراسخ والبُرُدِ على ما تقدّم بيانه .

٥ الحالة الثانية — ألّا يكون ذلك البلد على سَمْت بلدك الذى أنت فيـه . فطريقك أن تقابل بين عَرْض بلدك وطوله، وبين عرض البلد الآخر وطوله، وتنظر كم فَضْـلُ ما بين الطولين و بين العرضين، وهو ما يزيده أحد الطولـين أو أحد العرضين على الآخر فتضرب كُلًّا من فَضْل الطولين وفضل العرضين فى مثله، وتجمع الحاصل من الضربين فما كان خذ جَذْرَهُ، وهو القدر الذى إذا ضربتَه فى مثله حصل

١٠ عنه ذلك العدد، فما بلغ فهو مقدار ما بين بلدك والبـلد الآخر من الدرج، فآضربه فى ست وستين وثُلُثين على ما تقدّم، فما بلغ فهو أميال . فآعتبره بما شئت من المراحل والفراسخ والبُرُدِ على ما تقدّم .

مثال ذلك — أن الفُسْـطَاطَ طوله خمس وخمسون درجة، وعرضه ثلاثون درجة ودِمَشْقَ طولُها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصفُ درجة،

١٥ ففضل ما بين طوليهما خمس درج، وفضل ما بين عرضيهما ثلاث دَرَج ونصف درجة، فتضرب فضل ما بين الطولين ، وهو خمس درج فى مثله يبلغ خمسا وعشرين، وتضرب فضل ما بين العرضين، وهو ثلاث ونصف فى مثله يبلغ آثنى عشر و ربعا، فتجمع ماحصل من الضَّرْبَين، وهو خمس وعشرون وآثنا عشر و ربع و يكون سبعا وثلاثين و ربعا فخذ جَذْرَها يكن ســتا ونصفَ سُدُسٍ تقريبا، وهو ما بين الفُسْطَاط

٢٠ ودِمَشْقَ من الدَّرَج، فآضربه فى ست وستين وثُلُثين، وهى ما للدرجة الواحدة من الأميال يكن أربعمائة وخمســة أميال وثلثَ سدسِ مِيل، فإذا آعتبرت كل أربعـة

وعشرين ميلًا بمرحلة على ما تقدّم ، كانت سبع عشرة مرحلةً تقريبا ، وهو القدر الذى بين الفُسْطَاط ودِمَشْق على الخط المستقيم .

أما الطرق المسلوكة إلى البُلْدان على التعاريج بسبب البحار والجبال والأودية وغيرها، فإنها تقتضى الزيادة على ذلك .

وقد ذكر أبو الرَّيحان البيرونىّ فى كتابه "القانون" : أن زيادة التعريج على الاستواء يكون بقدر الخُمس تقريبا . فإذا كان بين البلدين أربعون ميلًا على الخط المستقيم كانت بحسب سير السائر خمسين ميلًا . ٥

قلت : وفيه نظر لطول بعض التعاريج على بعض فى الزيادة بالبحار والجبال عن الخط المستقيم على ما هو مشاهد فى الأسفار .

اللهم إلا أن يريد الغالب كما تقدّم بين الفُسْطَاط ودِمَشْق، فقد مرّ أن بينهما على الخط المستقيم سبع عشرة مرحلة بالتقريب، فإذا أضيف إليها مثل خمسها، وهو ثلاثة وخمسان، كانت عشرين مرحلة، وهو القدر المعتاد فى سيرها بالسير المعتدل . ١٠

وآعلم أن أطوال البُلْدان وعُرُوضها قد وقع فى الكتب المصنفة فيها ككتاب "الأطوال" المنسوب للفُرْس، و"رسم المَعْمُور" المترجم للأمون من اللغة اليونانية، "والزيجات" وغير ذلك آختلاف كثير وتباين فاحش . وممن صرح بذكر ذلك أبو الريحان البيرونى فى كتابه "القانون" فقال عند ذكرها : ولم يتهيأ لى تصحيح جميعها، وقد صححت ما أمكن منها . ١٥

قال فى "تقويم البُلْدان": إلا أن معرفة ذلك بالتقريب خير من الجهل بالكلية .

البـاب الثـانى
من المقـالة الثـانيـــة

في ذكر الخلافة ومَنْ وليها من الخلفاء، ومقرّاتهم فى القديم والحديث، وما انطوت
عليه الخلافة من الممالك فى القديم، وما كانت عليه من الترتيب،
٥ وما هى عليـه الآن، وفيـه فصلان

الفصــــل الأوّل

فى ذكر الخلافة ومن وليهـا من الخلفاء : من خلفاء بنى أُمَيَّـة بالشام ، وخلفاء
بنى العبّاس بالعراق، وخلفاء الفَاطِميِّين بمصر، وخلفاء بنى أُمَيَّة بالأَنْدَلُس

أما الخلافة ، فسيأتى فى المقالة الخامسة فى الكلام على الولايات أن المراد بها
١٠ خلافة النبيّ صلى الله عليه وسلم بعده فى أمته . ولذلك كان يقال لأبى بكر الصِّدِّيق
رضى الله عنه: خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الراجح أنه لا يجوز أن يقال
فى الخليفة خليفة الله إلى تمام القول فيما سيأتى ذكره هناك، إن شاء الله تعالى .

وأما مَنْ وليها من الخلفاء، فعلى أربع طبقات :

الطبقـــة الأولى

١٥ الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم

وأوّلهم : "أبو بكر الصـدّيق رضى الله عنـه" بويع بالخـلافة فى اليوم
الذى مات فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم، على ما سيأتى ذكره فى الكلام على البيعات
من المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وبقى حتّى تُوُفِّيَ لتسع ليال بَقِينَ من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة
٢٠ ودفن مع النبيّ صلى الله عليه وسلم، فى حُجْرة عائشة رضى الله عنها .

وبويع بعده "عمر بن الخطاب رضى الله عنه" فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بعد أن عَهِدَ له بالخلافة، وتُوُفِّى يوم السبت سلْخَ ذى الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين بطعنة أبى لُؤْلُؤَةَ : غلامِ المغيرة بن شعبة ، ودفن مع النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه .

وفى أيامه فتحت الأمصار : ففتحت دِمَشْقُ على يد خالد بن الوليد وأبى عُبَيدة ابن الجَرَّاح، وتبعها فى الفتح سائرُ بلاد الشام ففتحت بَيْسَانُ، وطَبَرِيَّةُ، وقَيْسَارِيَّةُ، وفِلَسْطِينُ، وعَسْقَلَانُ، وبَعْلَبَكُّ، وحِمْصُ، وحَلَبُ، وقِنَّسْرِينُ، وأَنْطَاكِيَّةُ، وسار إلى بيت المَقْدِسِ فى خلال ذلك، ففتحه صُلْحاً .

وفُتِح من بلاد الجزيرة الفراتية : الرَّقَّةُ، وحَرَّانُ، والمَوْصِل، ونَصِيبِينُ، وآمِدُ، والرُّها .

وفُتِح من العراق : القَادِسِيَّةُ، والمَدَائِنُ، على يد سعد بن أبى وَقَّاص، وزال مُلْكُ الفُرْس، وٱنهزم مَلِكُهم يَزْدَجِرْدُ إلى فَرْغَانَةَ من بلاد التُّرْك .

وفتحت أيضاً كُوَرُ دِجْلَةَ، والأُبُلَّةُ، على يد عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ .

وفتحت كُوَرُ الأَهْوَازِ على يد أبى موسى الأشعرى .

وفتحت نَهَاوَنْدُ، وإصْطَخْرُ، وأَصْبَهَانُ ، وتُسْتَرُ، والسُّوسُ، وأَذْرَبِيجَانُ، وبعض أعمال خُرَاسَانَ .

وفتحت مِصْرُ، والإسْكَنْدَرِيَّةُ، وأَنْطَابُلُسُ، وهى بَرْقَةُ، وطَرَابُلُسُ الغرب، على يد عمرو بن العاص .

وبويع بالخلافة بعده "عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه" لثلاث بقين من المحرّم سنة أربع وعشرين، وقتل بالمدينة لثمانَ عشرةَ ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل يوم الأضحى، وقيل غير ذلك .

وبويع بالخلافة بعده "عليّ كرّم الله وجهه" يوم قتل عثمان ، وقتـــل لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق، ودفن بالنّجَف على الصحيح المشهور .

وبويع بالخلافة لابنه "الحسن" بالكوفة من العراق يوم قتل أبيه، وسلم الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأول سـنة إحدى وأربعين، وقيل فى ربيع الآخر، وقيل فى جمادى الأولى، ولحق بالمدينة فأقام بها إلى أن تُوفّى بهـا فى ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين، وقيل ست وخمسين .

الطبقـــة الثانيـــة

خلفاء بنى أميـــة

أولهم: "مُعَاوِيَةُ بن أبي سُفْيَانَ" كان أميرا على الشام فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه، وآستمرّ بها إلى أن سلّم الحسنُ إليه الأمرَ، فآسـتقلّ بالخلافة وبقى حتّى توفى بدِمَشْق مستهلّ رجب الفرد سنة ستين من الهجرة، وقيـل فى النصف من رجب، وهو أوّل من رتب أمور الملك فى الإسلام .

وقام بالأمر بعده آبنه "يَزِيدُ" بالعهد من أبيه، وبويع له بعد وفاته فى رجب سنة ستين، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة أربع وستين .

وقام بالأمر بعده آبنـه "مُعَاوِيَةُ" وبويع له بالخـلافة فى النصف من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، فأقام بالخلافة أربعين يوما، وقيل ثلاثة أشهر، وقيل عشرين يوما .

وقام بالأمر بعده "مَرْوَانُ بن الحَكَم" وبويع له بالخلافة بالجابية فى رجب سنة أربع وستين ، ثم جُدّدت له البَيْعَةُ فى ذى القَعْدَةِ من السـنة المذكورة، وتُوُفّىَ بالطاعون بدِمَشْق فى شهر رمضان سنة خمس وستين

وقام بالأمر بعده ابنه "عبد الملك" بالعهد من أبيه؛ وبويع له بالخلافة في الثالث من شهر رمضان المذكور، وتوفي بدمشق منتصف شوال سنة ست وثمانين .

وقام بالأمر بعده ابنه "الوليد" بالعهد من أبيه؛ وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفي بدمشق في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

٥ وقام بالأمر بعده أخوه "سليمان بن عبد الملك" وبويع له يوم موت أخيه الوليد، وكان أبوه قد عهد أن يكون هو الخليفة بعد أخيه الوليد، وتوفي بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

وقام بالأمر بعده ابن عمه "عمر بن عبد العزيز" بعهده له؛ وبويع له بالخلافة يوم موته، وتوفي بخناصرة لخمس وقيل لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

١٠ وقام بالأمر بعده "يزيد بن عبد الملك بن مروان" بعهد من أخيه سليمان أن يكون له الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز، وقيل : بعهد من أبيه أن يكون له الأمر بعد أخيه سليمان، ولكنه سلم لابن عمه عمر؛ وبويع له يوم موت عمر، وتوفي بحولان لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه "هشام بن عبد الملك" بعهد من أخيه يزيد؛ بويع له بالخلافة في يوم موته، وتوفي بالرصافة لست خلون من ربيع الأول سنة خمس ١٥ وعشرين ومائة .

وقام بالأمر بعده "الوليد بن يزيد بن عبد الملك" بويع له بالخلافة لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وقتل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين[1] .

٢٠ (١) أي فكانت خلافته سنة واحدة وشهرين .

وقام بالأمر بعده ابنه "يزيد" المعروف بالناقص؛ سمى بذلك لنقصه الجند ما كان زادهم يزيد؛ بويع له بالخلافة يوم قتل الوليد، وتوفى بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده أخوه "إبراهيم بن الوليد" بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه فى ذى الحجة المذكور، فمكث أربعة أشهر، وقيل أربعين يوما ثم خلع نفسه .

وقام بالأمر بعده "مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدى" بتسليم إبراهيم بن الوليد الأمر إليه؛ وفى أيامه ظهرت دعوة بنى العبّاس، وقصدته جيوشهم فهرب إلى مصر، فأدرك وقتل بقرية يقال لها بوصير من الفيوم، وبزواله زالت دولة بنى أمية .

الطبقة الثالثة

خلفاء بنى العبّاس بالعراق

وأوّل من قام بالأمر منهم بعد خلفاء بنى أمية "السفّاح" وهو أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس: عمّ النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ بويع له بالخلافة بالكوفة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفى بالأنبار لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه "المنصور" أبو جعفر عبد الله؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه السفّاح، وتوفى بطريق مكة وهو محرم بالحج سنة ثمان وخمسين ومائة، ودفن بالحجون .

وقام بالأمر بعده ابنه "المهدى" أبو عبد الله محمد؛ بويع له بالخلافة يوم مات أبوه بطريق مكة وهو يومئذ ببغداد، وتوفى بماسبذان فى المحرم سنة تسع وستين ومائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الهادى" أبو محمد موسى؛ بويع له بعد أبيه يوم موته وهو غائب[1]، فسار إلى بغداد ودخلها بعد عشرين يوما، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة .

(١) كان مقيما بجرجان يحارب أهل طبرستان بعسكر أبيه

وقام بالأمر بعده "الرشيد" أبو محمد هرون بن المهدىّ ؛ بويع له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادى ، وتوفى ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الأمين" أبو عبدالله محمد ، ويقال أبو موسى ، ويقال أبو العبّاس ، بالعهد من أبيه هرون الرشيد ؛ وبويع له صبيحة الليلة التى توفى فيها أبوه الرشيد ، وقتل لخمس بقين من المحرّم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم قام بالأمر بعده أخوه "المأمون" أبو العبّاس ، ويقال أبو جعفر عبدالله ، بالعهد له من أبيه الرشيد أن يكون له الأمر بعد أخيه الأمين ؛ وبويع له بالخلافة يوم قتل أخيه الأمين ببغداد وهو غائب ؛ وبويع له البيعة العامة لخمس بقين من المحرّم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتوفى بأرض الروم لليلة بقيت من رجب ، وقيل لثمان خلون منه سنة ثمانى عشرة ومائتين ، ودفن بطَرَسُوس .

وقام بالأمر بعده أخوه "المعتصم بالله" أبو إسحاق محمد بن هرون الرشيد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون وهو يومئذ بطَرَسُوس ، فسار إلى بغداد ، فدخلها مستهلّ رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وتوفى بسامَرّا لثمانى عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه "الواثق بالله" أبو جعفر هرون ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه ، وتُوُفِّى بِسُرَّ مَنْ رَأَى لِستّ بقين من ذى الحجة سنة آثنتين وثلاثين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه "المتوكل على الله" أبو الفضل جعفر؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الواثق ، وقتل لثلاث خلون من شوّال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستنصر بالله" أبو جعفر محمـد ؛ بويع له بالخلافة صبيحة قتل أبيـه المتوكل، وتوفى بسَامَرّا لثلاث خلون من ربيع الآخر، وقيـل لخمس خلون من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده "المستعين بالله" أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله المتقدّم ذكره ؛ بويع له بالخلافة فى اليوم الثانى من موت المستنصر ، وخلع نفسه لأربع ٥ خلون من ربيع الآخر سنة ثمـان وأربعين ومائتين، وجهّز إلى واسط، فقتل بهـا فى آخر رمضان من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده "المُعْتَزّ بالله" أبو عبدالله محمد، وقيل أبو الزبير بن المتوكل على الله المتقدّم ذكره؛ بويع له ببغداد حين خلع المستعينُ نفسَه، وبايعه المستعينُ فيمن بايع، وخلع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم قتل بعد ذلك . ١٠

وقام بالأمر بعده "المهتدى بالله" أبو عبـد الله، ويقال أبو جعفر محمد بن الواثق بالله المتقدّم ذكره ؛ بويع له بالخلافة بعد ليلتين من خلع المعتز بالله، وقتـل لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وكان يقال هو فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أُمَيّة .

١٥ وقام بالأمر بعده "المعتمد على الله" أبو العباس، ويقال أبو جعفر أحمـد ابن جعفر المتوكل المتقدّم ذكره ؛ بويع له بالخلافة يوم قتل المهتدى بالله، وتوفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده "المعتضد بالله" أبو العباس أحمـد بن الموفق ، طلحة بن جعفر المتوكل ؛ بويع له بالخلافة يوم قتـل المعتمد على الله، وتوفى ببغداد لسـبع ٢٠ وقيل لثمـان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمـانين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ٱبنه "المكتفى بالله" أبو محمد علىّ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المعتضد وهو غائب بالرَّقَّة ، وكتب إليه بذلك فأخذ البيعة على من عنده وسار إلى بغداد، فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى من سنته، وتوفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة، وقيل لثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين.

وقام بالأمر بعده أخوه "المقتدر بالله" أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المتقدّم ذكره، وخُلِـع لعشر بَقِين من ربيع الأوّل سنة ست وتسعين ومائتين .

وبويع "المرتضى بالله" أبو محمد عبدالله بن المعتز، فأقام يوما وليلة ثم ٱضطرب عليه الأمر فٱختفى، وعاد الأمر إلى المقتدر فظفر بٱبن المعتز فصادره، ثم أُخرج من دار السلطان ميِّتًا لليلتين خلتَا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم خَلَع المقتدرُ بالله نفسَه، وبويع بالخلافة أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد فأقام يومين، ثم عاد الأمر إلى المقتدر بالله وبقى حتّى قُتِل لثلاث خلون من شوّال سنة عشرين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده أخوه "القاهر بالله" المتقدّم ذكره، لليلتين بقينا من شوّال سنة عشرين وثلثمائة، ثم خلع وسُمِلت عيناه لِستٍّ خلون من جمادى الأولى سنة ٱثنتين وعشرين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبن أخيه "الراضى بالله" أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله المتقدّم ذكره، وتوفى لست عشرةَ ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده أخوه "المتقى بالله" أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة لعشر بقين من ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلثمائة . وخُلِـع وسُمِلت عيناه لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده آبن عمه "المستكفى بالله" أبو القاسم[1] عبدالله بن المكتفى بالله المتقـدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع المتقى بالله بمشاركته[2] له، ثم خلع وسملت عيناه فى جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده آبن عمه "المطيع لله" أبو القاسم، ويقال أبو العباس الفضل آبن المقتدر بالله المتقدّم ذكره، بويع له بالخلافة يوم خلع المستكفى، وخلع نفسـه منها للعجز بالمرض فى الثالث عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

وولى الخلافة بعده آبنه "الطائع لله" أبو بكر عبد الكريم؛ بويع له بالخلافة يوم خَلْع أبيه المطيع لله ، وقُبِضَ عليه لآثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سـنة إحدى وثمانين وثلثمائة فخلع نفسه .

وقام بالأمر بعده "القادر بالله" أبو العباس أحمد بن إسحاق؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الطائع ،وكان غائبا بالبطائح فأُحْضِر، وجددت له البيعة ببغداد فى شهر رمضان من السنة المذكورة، وتوفى حادى عشر ذى الحجة سنة آثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه "القائم بأمر الله" أبو جعفر عبد الله، بالعهد من أبيه، وجدّدت له البيعة بعد موت أبيه، توفى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده آبن آبنه "المقتدى بأمر الله" عبدالله [بن] ذخيرة الدّين محمد ابن القائم بأمر الله المتقدم ذكره ، وتوفى بغأة فى الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه "المستظهر بالله" أبو العباس أحمد؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه، وتوفى سادسَ عشر ربيع الآخر سنة آثنتىْ عشرة وخمسمائة .

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٥٧) والنجوم الزاهرة (ج ٣ ص ٢٧٣) أيضا . وفى حياة الحيوان (ج ١ ص ١١٥) : «أبو العباس» .

(٢) ليست هذه الكلمة فى العقد ولا فى حياة الحيوان وهى قليلة الجدوى كما ترى .

وقام بالأمر بعده آبنه "المسترشد بالله" أبو منصور الفضل ؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر، وقتل فى قتال الباطنية سابعَ عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه "الراشد بالله" أبو جعفر المنصور، بالعهد من أبيه؛ وجدّدت له البيعة يوم قتله ، وخلع فى منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة . ٥

وقام بالأمر بعده "المقتفى لأمر الله" أبو عبد الله محمد بن المستظهر المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الراشد بالله ، وتوفى ثانى ربيع الأوّل سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه "المستنجد بالله" أبو المُظَفَّر يوسف؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتفى، وتوفى تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة . ١٠

وقام بالأمر بعده آبنه "المستضىء بالله" أبو محمد الحسن ؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المستنجد من أقاربه بَيْعَةً خاصة، وفى عشره[1] بَيْعَةً عامة، وتوفى ثانى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه "الناصر لدين الله" أبو العباس أحمد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستضىء، وتوفى أوّل شوّال سنة آثنتين وعشرين وستمائة . ١٥

وقام بالأمر بعده آبنه "الظاهر بأمر الله" أبو نصر محمد؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه الناصر، وتوفى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه "المستنصر بالله" أبو جعفر المنصور؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه الظاهر، وتوفى لعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه "المستعصم بالله" أبو أحمد عبد الله؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستنصر بالله ، وقتله هُولَاكُو مَلِكُ التَّتَارِ فى العشرين من المحرّم ٢٠

(١) أى عاشر ربيع الآخر التالى للبيعة الخاصة الواقعة فى التاسع

سنة ست وخمسين وستمائة . وبقتله آنقرضت الخلافة العباسية من بغداد ؛ وهـو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس ببغداد إذا عدّت خلافة آبن المعتز، وحسبت خلافة القاهر أوّلا وثانيًا خلافةً واحدة .

الطبقة الرابعـــــة

٥ خلفاء بنى العبّاس بالديار المصرية من بقَايا بنى العبّاس

وأوّل من قام بأمر الخلافة بها "المستنصر بالله" أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبى نصر محمـد المتقدّم ذكره . وذلك أنه لمـا قتل التـتر المستعصم المتقدّم ذكره، وبقيت الخلافة شاغرةً نحوا من ثلاث سنين ونصف ثم قَدِم جمـاعة من عرب الحجـاز إلى مصر فى رجب سنة تسع وخمسين وستمائة أيامَ الظاهر بيبرس ، ومعهم ١٠ المستنصر المذكور ، وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لـمّا ملكها التـتَرُ ، فعقد الملك الظاهر له مجلسا حضره جماعة من العلماء، منهم الشـيخ عز الدّين بن عبد السلام شيخ الشافعية، وقاضى القضاة تاجُ الدين آبن بنت الأعز الشافعى ،وهو يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده، وشهد أولئك العرب بنسبه، ثم شهد جماعة من الشهود على شهادتهم بحكم الأستفاضة ، وأثبت آبن بنت الأعز نسبَه، ثم بايعه الملك ١٥ الظاهر بالخلافة وأهلُ الحلّ والعقد، وآهتم الملك الظاهر بأمره ، وآستخدم له عسكرا عظيما، وتوجه الملك الظاهر إلى الشام وهو صحبته فجهّزه من هناك بعسكره إلى بغداد طمعا أن يستولى عليها وينتزعها من التتـار ، فخرج إليه التتار قبل أن يصل بغداد فقتلوه، وقتلوا غالب عسكره فى العشر الأوّل من المحرّم سنة ستين وستمائة . فكانت خلافته دون السـنة ؛ وهو أوّل خليفة لقب بلقب خليفـة قبله ، وكانوا قبل ذلك ٢٠ يلقبون بألقاب مرتجَلَة .

وقام بالأمر بعده "الحاكم بأمر الله" أبو العباس أحمد بن حسين بن أبى بكر ابن الأمير أبى على القبى ابن الأمير حسن بن الراشد بالله أبى جعفر المنصور المتقدّم ذكره فى الخلفاء ببغداد . قدم مصر سنة تسع وخمسين وستمائة، وهو ابن خمس عشرة سنة فى سلطنة الظاهر بيبرس، وقيل إن الظاهر بعث من أحضره إليه من بغداد، وجلس له مجلسا عاما أثبت فيه نسبه، وبايعه بالخلافة فى سنة ست وستين وستمائة، وأشركه معه فى الدعاء فى الخطبة على المنابر، إلا أنه منعه التصرّف والدخول والخروج . ولم يزل كذلك إلى أن ولى السلطنة الملكُ الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، فأسكنه بالكبش بخط الجامع الطولونى، فكان يخطب أيام الجمعة فى جامع القلعة ويصلى، ولم يطلق تصرفه إلى أن تسلطن المنصور لاجين، فأباح له التصرف حيث شاء وأركبه معه فى الميادين؛ وتوفى فى شهور سنة إحدى وسبعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستكفى بالله" أبو الربيع سليمان بالعهد من أبيه الحاكم؛ وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، واستقر على ما كان عليه أبوه من الركوب والنزول وركوب الميادين مع السلطان إلى أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة المرّة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فى شهور سنة تسع وسبعمائة، فحصل عند السلطان منه وحشة، فجهزه إلى قُوص ليقيم بها، وبقى بقُوص حتّى توفى فى سنة أربعين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده ابنه "المستعصم بالله" أبو العباس أحمد بعهد من أبيه المستكفى بأربعين شاهدا بمدينة قوص ، ودعى له على المنابر فى العشر الأخير من شوّال سنة أربعين وسبعمائة .

ثم خلعه الناصر محمد بن قلاوون؛ وبايع بالخلافة "الواثق بالله" أبا إسحاق إبراهيم ابن الحاكم بأمر الله المتقدّم ذكره، وأمر بأن يدعى له على المنابر، وتحمل له راية

الخلافة ، فجرى الأمر على ذلك . وكان قد هم بمبايعته بعد موت المستكفى فلم يتم له . فلما توفى الملك الناصر فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، أعيد المستعصم بالله أحمد المتقدّم ذكره إلى الخلافة بعد خلع الواثق إبراهيم ، وبقى حتّى توفى رابعَ شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

٥ ثم ولى الخلافة بعده أخوه "المعتضد بالله" أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتوفى عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده آبنه "المتوكل على الله" أبو عبدالله محمد بن المعتضد بالله المتقدّم ذكره بالعهد من أبيه المعتضد ، وآستقرّ له الأمر بعد وفاة أبيه يوم الخميس ١٠ ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وبقى حتّى خلعه الأمير أيْبَكُ أتابكُ العساكر فى سلطنة الملك المنصور علىّ بن الأشرف شعبان بن حسين .

وولى الخلافة مكانه "المستعصم بالله" أبو يحيى زكريا بن الواثق إبراهيم المتقدّم ذكره ، فأقام فى الخلافة دون ثلاثة أشهر . ثم أعيد المتوكل على الله محمد بن أبى بكر إلى الخلافة ثانيا فى أواخر المحرّم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، ١٥ وآستمر حتّى قبض عليه الظاهر برقوق وآعتقله بقلعة الجَبَل فى مستَهَلّ شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

وولّى الخلافة مكانه "الواثق بالله" أبو حفص عمر بن الواثق بالله إبراهيم المتقدم ذكره ، فبقى حتّى توفى فى العشر الأوّل من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم بالله زكريا المتقدّم ذكره ثانيا إلى الخلافة ، والمتوكل ٢٠ على الله فى الأعتقال والناس لا يَرَوْنَ فى كل ذلك الخليفةَ غيره .

ثم عنّ للملك الظاهر برقوق بعد ذلك فأطلق المتوكّل على الله من الاعتقال ، وأكرمه وأحسن إليه فى ثانى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وبقى فى الخلافة حتى توفى سابع عشرى شهر رجب الفرد سنة ثمان وثمانمائة .

وولى الخلافة بعده ابنه "أبو الفضل العباس ولُقِّبَ المستعينَ بالله" وبقى فى الخلافة على سَنَنِ من تقدّمه من الخلفاء العبّاسيين بالديار المصرية من قصور ٥ أمره على العهد إلى السلطان والدعاء له على المنابر قبل السلطان إلى أن قبض على الناصر فرج بن برقوق بالشام فى الثانى عشر من ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة ، فاستقلّ بالأمر واستبدّ به ، وأجمع له أمر الخلافة : من ضرب اسمه على السّكّة فى الدنانير والدراهم والدعاء له على المنابر بمفرده ، والعلامة على التقاليد والتواقيع والمكاتبات وغيرها ، وفوّض أمر تدبير دولته للأمير "شيخ" وكُتب له تفويضٌ ١٠ فى ورق ، عرضُه ذراعٌ ونصفٌ بذراع البز ، يزيد عما كان يكتب فيه للسلاطين نصف ذراع بقلم مختصر الطومار .

وكان المتولى لأمر كتابته المقرّ الشمسىّ محمد العمرى من أعيان كُتّاب الدست الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية ، ونائب كاتب السر . وسيأتى ذلك فى الكلام على التواقيع فى المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى . ١٥

وأما مقرّات الخفاء ، فهى أربع مقرّات :

المقــرّة الأولى

المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام

كانت مقرّة الخلفاء الراشدين إلى حين انقراضهم ؛ وذلك أن مبدأ النبوة كان بمكة ثم هَاجَر النبىُّ صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأقام بها حتّى تُوَفِّى فى الثالث[1] عشر ٢٠ من ربيع الأول سنة إحدى عشرةَ من الهجرة .

---

(١) المشهور أن وفاته يوم الاثنين الثانى عشر الخ ولكن فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٨ طبع بولاق) "ثلاث عشرة خلت من ربيع الأول" ولعل المؤلف اعتمده .

ثم كان بعده فى الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علىّ، ثم الحسن إلى حين سلّم الأمر لمعاوية، وإنما كان مُقام علىّ والحسن بالعراق زمن القتال بينهما وبين معاوية.

المقـــرّة الثانيـــة

الشـــام

وهى دار خلفاء بنى أميّة إلى حين آنقراضهم

٥

قد تقدّم أن معاوية كان أميرا على الشأم قبل الخلافة، ثم آستقل بالأمر حين سلّم إليه الحسنُ، وبقى فى الشأم هو ومَنْ بَعْدَهُ إلى حين آنقراض خلافتهم، فقتل مَرْوَانُ ابن محمد على ما تقدّم ذكره. وكانت دار إقامتهم دِمشق، وإن نزلوا غيرها فليس لإقامة.

المقرّة الثـالثـــة

١٠

العـــراق

وهى دار خلفاء بنى العباس

وكان أوّل مبايعة السَّفّاح به بالكوفة على ما تقدّم، ثم بنى بعـد ذلك بالأنبارِ مدينـةً وسماها الهاشمية ونزلها. فلما ولى أخوه أبو جعفر المنصـورُ الخلافةَ بعـده بنى بَغْدَاد وسكنها وصارت منزلا لخلفاء بنى العبّاس بعده إلى حين آنقراض الخلافة منها بقتل التتر المستعصمَ آخرَ خلفائهم بها.

١٥

المقـــرّة الرابعـــة

الديار المصـــرية

وهى دار الخـــلافة الآن

وقد تقدّم سبب آنتقال الخلافة إليها بعد آنقراضها من بغداد فى الكلام على من ولى الخلافة من الخلفاء، فأغنى عن إعادته هنا.

٢٠

وقد تقدّم أن الحاكم بأمر الله ثانى خلفائهم بمصر أسكنه الأشرف خليل بن قلاوون بالكبش بخُط الجامع الطُّولُونىّ . أما الآن فاستقرّت دار الخلافة بخُطّ المشهد النفيسىّ بين مصر والقاهرة، ولا أخلى الله هذه المملكة من آثار النبوّة .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الثانية

فيما انطوت عليه الخلافة من الممالك فى القديم، وما كانت عليه من الترتيب، وما هى عليه الآن

أما ما انطوت عليه من الممالك ، فاعلم أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد فتح مكة وما حول المدينة من القرى كخيبر ونحوها .

وفتح خالد بُصْرى من الشأم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، وهى أوّل فتح فتح بالشأم، ثم كانت الفتوح الكثيرة فى خلافة عمر رضى الله عنه، ففتح بلادَ الشأم، وكُوَر دِجْلَة والأُبُلَّة ، وكُوَرَ الأهْوَاز، و إصْطَخْر، وأصْبَهان ، والسُّوس ، وأذَرْبيجان ، والرَّىّ، وجُرْجَان، وقَزْوين ، وزَنْجان، و بعض أعمال خُرَاسَان ، وكذلك فتحت مصْرُ، وبَرْقَةُ، وطَرَابُلُس الغرب .

ثم فتح فى خلافة عثمان رضى الله عنه : كَرْمَانُ، وسجسْتَان، ونَيْسَابُورُ، وفَارِسُ، وطَبَرسْتَان، وهَرَاةُ، و بقية أعمال خُرَاسَانَ . وفتحت أرْمينيَةُ ، وحَرَّانُ، وكذلك فتحت إفْرِيقيةُ، والأَنْدَلُس،وسد الإسلامُ ما بين المشرق والمغرب، وكانت الأموال تُجْبى من هذه الأقطار النائية والأمصار الشاسعة، فتحمل إلى الخليفة، وتوضع فى بيت المال بعد تكفية الجيوش وما يجب صرفه من بيت المال . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أثناء خلافة بنى العباس، ما عدا الأَنْدَلُس فإن بقايا خلفاء بنى أمية استولَوْا

عليه حتّى يقال : إن الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر إلى السحابة مارّة يقول : "آذهبى إلى حيث شئتِ يأتينى خَرَاجُك" ثم آضطرب أمر الخلافة بعد ذلك وتقاصر شأنها وآستبدّ أكثر أهل الأعمال بعَمَله من خلافة الراضى على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب الخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

٥ وأما ترتيب الخلافة ، فله حالتان :

الحالة الأولى

ما كان عليه الحال فى الزمن القـــديم

اعلم أن الخلافة لابتداء الأمر كانت جارية على ما أُلِفَ من سيرة النبىّ صلى الله عليه وسلم : من خُشونة العيش ، والقُرْب من الناس ، وآطّراح الخُيَلاء ، وأحوال ١٠ الملوك ، مع ما فتّح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقاليم ، وجبى إليهم من الأموال التى لم يفُزْ عظماء الملوك بجزء من أجزائها . وناهيكَ أنهم فتحوا عِدّةً من الممالك العظيمة التى كانت يضرب بها المثَل فى عظَم قدرها ، وآرتفاع شأن ملوكها ، من ممالك المشرق والمغرب . حتّى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال : "إنما المَلِكُ الذى يأكل الشعير ويَعُسُّ على رجليه بالليـل ماشيا وقد فُتِحَتْ له مشارقُ الأرض ومغاربُها" ١٥ يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولم يزل الأمرُ على ذلك إلى أن سلّمَ الحسنُ رضى الله عنـه الأمرَ لِمُعَاوِيَةَ ؛ وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسـلم : "الخِلَافَةُ فى أُمّتى ثلاثُونَ سنةً ثم مُلْكٌ بعد ذلك" فكان آخر الثلاثين خلافةَ الحسن .

فلما سلّم الحسن رضى الله عنه لمعاوية بعد وقوع الاختلاف وتَبَايُنِ الآراء ، آقتضى الحال فى زمانه إقامةَ شِعَارِ الملك ، وإظهارَ أُبهَةِ الخلافة ، فأخذ فى ترتيب أمور الخلافة ٢٠ على نظام الملك لما فى ذلك من إرهاب العدّو وإخافته . بل كان ذلك شأنه وهو

أمير بالشأم قبل أن يلى الخلافة . حتّى حكى صاحب "العِقْد" وغيرُه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قَدِمَ الشأم فى خلافته، وهو راكب على حمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف ، ومعاويةُ أميرٌ على الشام، فخرج معاوية لملاقاته فى مَوْكب عظيم، فلقيه فى طريقه فى خِفٍّ من القوم فلم يشعُرْ به وتعدّاه طالبا له؛ ثم عُرِّفَ ذلك فيما بعد، فرجع وسلّم على أمير المؤمنين عمر، ومشى الى جانبه، فلم يلتفت إليه وطال به ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبْتَ الرجل يا أمير المؤمنين ، فالتفت إليـه حينئذ، وقال : أنت صاحب المَوْكب الآنَ مع ما يبلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ — فقال : يا أمير المؤمنين : إنا بأرض يكثر فيها جواسيسُ العـدوّ فأحتاجُ أن أُظْهِر لهم من أُبَّهَـة المُلْك والسلطان ما يَزَعُهُمْ ، فإن أمرتنى به ، آئتمرت ، وإن نهيتَنى عنـه ، آنتهيت — فقال : إن كان ما قلتَ حَقًّا، فإنه لَرَأْىُ أديب! وإن كان غيرَ حق، فإنه لَخُـدْعة أريب . لا آمُرُك ولا أنْهـاك — فقال عبد الرحمن : لَحَسَنٌ يا أمير المؤمنين ! ما صـدَرَ به هذا الفتى عما أوردْتَه فيه — فقال : لِحُسْنِ مَصادِرِه وموارده جشَّمْنَاهُ ما جشمناه .

فلما صارت الخلافة إليه،زاد فى حسن الترتيب وإظهار الأُبَّهة،وأخذ الخلفاء بعده فى مضاعفة ذلك والاحتفال به حتّى أمست الخلافة فى أعلى ما يكون من ترتيب الملك، وفاقت فى ذلك الأكاسِرَةَ والقياصرة . بل آضْمَحَلّ فى جانب الخلافة سائر الممالك العظام، وآنطوى فى ضمنها ممالك المشارق والمغارب ، خصوصا فى أوائل الدولة العباسية فى زمن الرشيد ومَنْ والاه .

حتّى يحكى أن صاحبَ عَمُّورِيَّةَ من ملوك الروم كانت عنده شريفـةٌ مأسورةٌ فى خلافة المُعْتَصِم فعـذّبها ، فصاحت وَا مُعْتَصِماه ! فقال لهـا : لا يأتى المعتصم لخلاصك إلا على أبْلَقَ . فبلغ ذلك المعتصم، فنادى فى عسكره بركوب الخيل البُلْقِ،

وخرج وفى مقـــدّمة عسكره أربعـــةُ آلاف أبلق، وأتى عَمُّـــوريّةَ لحاصرها وخلص الشريفة، وقال : آشهدى لى عند جدّك المصطفى صلى الله عليه وســـلم أنى جئت لخلاصك، وفى مقدّمة عسكرى أربعة آلاف أبْلَق .

وقد حكى آبن الأثير فى تاريخه : أنه لمـــا وصلت رُسُل ملك الروم إلى بغداد فى سنة خمس وثلثمائة فى خلافة المقتدر ، رُتِّبَ من العسكر فى دار الخلافة مائة وستون ألفا ما بين راكب وراجل، ووقف بين يدى الخليفـــة سبعُمائة حاجب، وسبعة آلاف خادم خَصِىٍّ : أربعـــة آلاف بيض وثلاثة آلاف سُـــود، ووقف الغِلْمان الحُجَرِيَّةُ الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن بالباب، بتمام الزينة والمناطق المُحَلَّاة ، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة، وغرائب الزينة، وغُشِّيت جُدْرَانُها بالستور، وفرشت أرضها بالبُسُط، وكان عدّة البسط آثنين وعشرين ألف بساط، وعدّة الستور المعلقة ثمانيةً وثلاثين ألف ستر، منها آثنا عشر ألف ستر من الديباج المُذْهَب؛ وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها، وطيورُ الذهب والفضة على أغصانها، وأغصانُها تمايل بحركات موضوعة، والطيور تُصَفِّرُ بحركات مرتبة، وألقيت المراكب والدبادب فى دِجْلَةَ بأحسن زينة . وكان هنـــاك مائة سَـــبُع مع مائة سَبّاع، الى غير ذلك من الأحوال الملوكية التى يطول شرحها .

هذا مع تقهقر الخلافة وآنحطاط رتبتها يومئذ. ولم تزل الخلافة قائمةً على ترتيب واحد فى النفقة والجرايات والمطابخ وإقامة العساكر إلى آخر أيام الراضى بالله .

فلما ولى المُتَّـــقِى لله، تقاصر أمرُ الخلافة وتناقص، وقَنِـــع الخلفاء من الخلافة بالدعاء على المنابر وضَرْبِ آسمهم على الدنانير والدراهم، وربمـــا خطب الواحد منهم بنفســـه ، ومع ذلك فكان الخليفـــة هو الذى يولّى أربابَ الوظائف من القُضاة وغيرهم، وتكتب عنه العهود والتقاليد وغيرها لا يشاركه فى ذلك سلطان .

وأما شعار الخلافة :

فمنها "الخاتم" : والأصل فيه ما ثبت فى الصحيح "أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قيل له : إن الملوك لا يقرءون كتابا غير مختوم فاتّخذ خاتما من ورِق، وجعل نقشه محمدٌ رسول الله" فلما تُوفّى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، لبسه أبو بكر بعده ثم لبسه عمر بعد أبى بكر، ثم لبسه عثمانُ بعد عمرَ، فوقع منه فى بئر فلم يُقدَرْ عليه . ٥

وآتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيمَ، لكل خاتم نقشٌ يخصه، وبقى الأمر على ذلك إلى آنقراض الخلافة من بغدادَ .

ومنها "البُرْدة" وهى بردة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان الخليفة يلبسها فى المواكب .

١٠ قال ابن الأثير : وهى شَمْلةٌ مُخطَّطة، وقيل كِساءٌ أسودُ مربَّع فيه صِغَرٌ، وقد آختلف فى وصولها إلى الخلفاء .

فحكى المَاوَرْدىّ فى الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم كان وهَبها لكعب بن زُهَير حين آمتدحه بقصيدته التى أولها : "بانَتْ سُعَادُ" فآشتراها منه معاوية . والذى ذكره غيره أن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية، ١٥ وقال : لم أكن لأوثِر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب اشتراها معاويةُ من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى المَاوَرْدىّ أيضا عن حَمْزَة بن ربيعة أن هذه البردة كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم أعطاها لأهل أيْلَةَ أمانًا لهم، فأخذها منهم عبد الله بن خالد بن أبى أوفى وهو عامل عليهم من قِبَل مَرْوانَ بن محمد آخرِ خلفاء بنى أُمَيّة وبعث بها إليه، ٢٠ وكانت فى خزانته حتّى أُخِذت بعد قتله . وقيل آشتراها أبو العبّاس السفّاحُ، أوّلُ خلفاء بنى العبّاس بثلثمائة دينار .

ومنها "القَضِيب" : وهو عُود كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يأخذه بيده .
قال المــاورديّ : وهو من تركة النبيّ صلّى الله عليه وسلم التى هى صدقة .

قلت : وكان القضيب والبردةُ المتقدّما الذكر عند خلفاء بنى العبّاس ببغدادَ إلى أن آنتزعهما السلطان سنجر السَّلْجُوقىّ من المسترشد بالله، ثم أعادهما إلى المقتفى عند ولايته فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . والذى يظهر أنها بقيت عندهم إلى آنقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فإن مقــدار ما بينهما مائةٌ و إحدى وعشرون سنة، وهى مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدّم من مدتهما .

ومنهـا "ثياب الخلافة" : وقد ذكر الســلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه فى الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحد ملوك بنى أيوبَ باليمن أنه كان به هَوَجٌ ، فآدّعى أنه من بنى أميــة ولبس ثياب الخـلافة ، ثم قال : وكان طول الكم يومئذ عشرين شِبراً ، فيحتمل أنه أراد زمن بنى أميــة ، وأنه أراد زمن بنى أيوب .

ومنها "اللون" فى الأعلام والخِلَع ونحوها .

وكان شعار بنى أُمية من الألوان الخُضْرَة ، فقــد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد إسمــاعيل المتقدم ذكره : أنه حين آدّعى الخلافة وأنه من بنى أُميّــة لبس الخُضْرَة ، وهذا صريح فى أنه شِعَارُهم .

أما بنو العباس فشعارهم السَّوَادُ ، وقــد آختلف فى سبب آختيارهم السَّوَادَ ، فذكر القاضى المَــاوَرْدِىّ فى كتابه "الحاوى الكبير" فى الفقه : أن السبب فى ذلك أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى يوم حُنَيْنٍ ويومِ الفَتْح عقد لعمه العبّاس رضى الله عنه رايةً سوداء .

وحكى أبو هلال العسكرى فى كتابه "الأوائل" : أن سبب ذلك أن مَرْوَانَ ٱبن محمد آخرَ خلفاء بنى أُمَيَّةَ حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العبّاسى أوّل القائمين من بنى العبّاس بطلب الخلافة قال لشيعته : لا يَهُولنكم قتلى ، فإذا تمكنتم من أمركم فآستخلفوا عليكم أبا العبّاس يعنى السَّفَّاح ؛ فلما قتله مَرْوان ، لبس شيعتُه عليه السَّوادَ ، فلزمهم ذلك وصار شِعَاراً لهم .

ومن غريب ماوقع مما يتعلق بذلك ماحكاه ٱبن سعيد فى "المغرب" أن الظافر الفاطمى أحدَ خلفاء مصر لما قتله وزيره عباس ، بعث نساءُ الخليفة شعورَهن طىَّ الكُتُب إلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ والٍ بمنية بنى خَصيب[1] ، فحضر إليهم وقد رفع تلك الشعور على الرماح ، وأقام الرايات السود إظهارا للحرب على الظافر ، ودخل القاهرة على ذلك ، فكان ذلك من الفأل العجيب ، وهو أن مصر انتقلت إلى بنى العباس بعد خمسة عشرة سنة ، ورفعت راياتهم السُّود بها .

* * *

وأما تولية الملوك عن الخلفاء ، فكان الحال فيه مختلفا باعتبار السلطان بحضرة الخلافة وغيره . فإن كان الذى يوليه الخليفة هو السلطانَ الذى بحضرة الخلافة ، كبنى بُوَيه وبنى سلجوق وغيرهم ، فقد حكى ٱبن الأثير وغيره أن السلطان طُغْرُلْبَك ابن ميكائيل السَّلْجُوقى لما تقلد السلطنة عن "القائم بأمر الله" فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، جلس له الخليفة على كرسىٍّ ٱرتفاعُه عن الأرض نحو سبعة أذْرُعٍ ، وعليه البُرْدَة ، ودخل عليه طغرلبك فى جماعةٍ ، وأعيانُ بغداد حاضرون ، فقبَّل طُغْرُلْبَك الأرضَ ويَدَ الخليفة ، ثم جلس على كرسىٍّ نُصب له ، ثم قال رئيسُ الرؤساء وزيرُ الخليفة عن لسان الخليفة : "إن أمير المؤمنين قد ولّاك جميعَ ما ولّاه الله تعالى من

(١) وتعرف بمنية ٱبن الخصيب ، ومنية أبى خصيب ، نسبة إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر فى عهد الخليفة هارون الرشيد العباسى . وهى المعروفة اليوم بـ«المنيا» عاصمة الإقليم المعروف بٱسمها .

بلاده، وردَّ إليك أمرَ عباده، فآتق الله فيما ولَّاك، وآعرف نعمته عليك" ثم خلع على طُغْرُلْبَك سبعَ جُبَّات سود بزيق واحد، وعمامة سوداء، وطُوِّق بطوق من ذهب، وسُوِّر بسِوَارَيْن من ذهب وأُعْطِى سيفا بغلاف من ذهب، ولقبه الخليفة، وقرئ عهده عليه فقبل الأرض ويدّ الخليفة ثانيا وآنصرف، وقد جُهِّز له فرس من إِصْطَبْلَاتِ الخليفة بمَرْكَب من ذهب مقندس فركب وآنصرف إلى داره، وبعث إلى الخليفة خمسين ألفَ دينـار، وخمسين مملوكا من الترك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها . ولعل هذا كان ترتيبهم فى لبس جميع ملوك الحضرة .

وإن كان الذى يوليــه الخليفة من ملوك النواحى البعيدة عن حضرة الخليفـة كملوك مصر إذ ذاك ونحوهم، جهزله التشريف من بغداد صحبة رسول من جهه الخليفة، وهو جُبَّة أطلس أسود بطراز مُذْهَب وطوق من ذهب يجعل فى عنقه، وسِوَارَانِ من ذهب يجعلان فى يديه، وسيفٌ قِرَابُهُ مُلَبَّسٌ بالذهب، وفرس بمركب من ذهب، وعَلَمٌ أسودُ مكتوب عليه بالبياض آسم الخليفة ينشرعلى رأسه، كما كان يبعث إلى السلطان صلاح الدّين يوسف بن أيوب ثم أخيه العادل . فإذا وصـل ذلك إلى سلطان تلك الناحية، لبس الخِلْعَةَ والعمامة، وتقلد السيف وركب الفرس وسار فى موكبه حتى يصل إلى محل ملكه . وربمـا جهز مع خلعـة السلطان خِلَعٌ أخرى لولده أو وزيره أو أحد من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ .

وآخر من وصلت إليه الخِلْعةُ والطوق والتقليد من ملوك بنى أيوب من بغداد الناصرُ يوسف بن العزيز بن السلطان صـلاح الدين عن المستعصم فى سـنة خمس وخمسين وستمـائة .

وأما الوظائف المعتبرة عندهم، فعلى ضربين :

الضـــرب الأوّل

وظائف أرباب السيوف؛ وهى عدّة وظائف

منها "الوزارة" فى بعض الأوقات دون بعض .

وقد ذكر القُضَاعىّ وغيره أن أول من لُقّب بالوزارة فى الإسلام ، أبو سلمة ٥ حفص بن سليمان الخلال وزير أبى العبّاس السّفّاح أوّل خلفاء بنى العبّاس، ولم يكن ذلك قبله ، ثم جرى الأمر على ذلك فى آتخاذ الخلفاء الوزراء إلى آنقراض الخلافة ببغداد بقتل التتار المستعصمَ فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ووزيره يومئذ مؤيد الدين بن العلقمىّ، وقتله هولاكو ملك التتار بعد قتل المستعصم لمالأته على المستعصم مع التتار، وهو آخر وزراء الخلافة ببغداد . ١٠

ومنها "الحِجَابة" : وكان موضوعها عندهم حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه، لا التّصدّى للحكم فى المَظَالم كما هو الآن .

وقد ذكر القضاعىّ فى "تاريخ الخلائف" ما يقتضى أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحُجّابَ من لَدُن الصِّدِّيق رضى الله عنه فمن بعده، خلا الحسنَ بن علىّ فإنه لم يكن له حاجب . ١٥

ومنها "وِلَاية المَظَالم" : وموضوعها قَوْدُ المتظالمين إلى التناصف بالرَّهْبة، وزَجْر المتنازعين عن التجاحُد بالهيبة . كما قاله المَاوَرْدِىّ فى "الأحكام السلطانية" وهى شبيهة بالجوبية الآن فى هذا المعنى؛ وكانت عندهم من أعلى الوظائف وأرفعها رتبة لا يتولّاهَا إلا ذَوو الأقدار الجليلة، والأخطار الحفيلة .

ومنهـا "النِّقَابَةُ على ذوى الأنساب" : كالطالبيين والعباسيين ومَنْ ٢٠ فى معناهم ، كما فى نقابة الأشراف الان بالديار المصرية وأعمالها ؛ وكانت لديهم من

وظائف أرباب السيوف، ولذلك آستُصْحِب هذا المعنى فى نقيب الأشراف الآن، فيكتب فى ألقابه الأميرىُّ، وإن كان من أرباب الأقلام على ماسيأتى ذلك فى كتابة توقيعه إن شاء الله تعالى .

الضـــرب الثـانى

وظائف أرباب الأقلام، وهى نوعان : دينية وديوانية

فأما الديوانية — فأجلُّها "الوِزَارَةُ" إذا كان الوزير صاحب قلم . وقـد مرّ القول فى آبتـداء وزارة الخلفاء وآنتهائهـا فى الكلام على وزارة أرباب السـيوف فى الضرب الأوّل .

وأما الدينية — فمنها "القَضَاء" وكانت ولاية القضاء عن الخليفة تارةً تكون عامّة لبغداد وأعمالهـا، وتارة قاصرةً على بغداد أو أحد جانبيها .

ومنها "الحِسْبَةُ" وأمرها معروف .

ومنها "ولاية الأوقاف" والنظر عليها .

ومنها "الولاية على المساجد" والنظر فى أمر الصلاة .

ومن الوظائف الخارجة عن حضرة الخلافـة لأرباب السـيوف الإمارةُ على الجهاد، والإمارةُ على الج وغيرها .

ومن الوظائف الخارجة عن الحضرة لأرباب الأقلام ولايةُ قضاء النـواحى، والحسبةُ بها إلى غير ذلك من ولايات زعمـاء الذمة وغيرهم .

الحـالة الثـانيـة

ما صار إليه الأمر بعد آنتقال الخلافة إلى الديار المصرية عند آستيلاء التتار على بغـداد لمـا بايع الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ فى سنة تسع وخمسين وستمـائة

"المستنصر بن الظاهر" أوّل الخلفاء بمصر على ما تقدّم ذكره وكُتب له عهد عنه بالسلطنة من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وعمل له السلطان الدّهاليز وآلات الخلافة ورتب له الجمدارية، وآستخدم له عسكرا عظيما وجهزه إلى بغداد للآستيلاء عليها فقتله التتار على ما تقدّم .

ثم لمـا بايع الظاهر أيضا الإمامَ "الحاكم بأمر الله" ثانىَ خلفائهم أيضا فى سنة تسع وخمسين وستمائة على ما تقدّم ذكره، بقى مدّة، ثم أشركه معه فى الدعاء فى الخطبة على المنابر فى سنة ست وستين وستمائة، إلا أنه منعه من التصرف والدخول والخروج. ولم يزل كذلك إلى أن ولى السلطنةَ الملكُ الأشرفُ "خليل بن المنصور قلاوون" فأطلق سبيله، وأسكنه فى الكبش على القرب من الجامع الطُّولُونى، وكان يخطب أيام الجمع بجامع القلعة إلى أن ولى السلطنة الملكُ المنصورُ حُسَـام الدّين لاچين، فأباح له التصرف والركوب إلى حيث شاء؛ و بقى الأمر على ذلك إلى أن ولى الخلافةَ "المستعصم بالله" أبو العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان المرّة الثانية بعد موت الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففوّض إليه السلطان نظر المشهد النفيسىّ وآستقرّ بأيدى الخلفاء إلى الآن .

والذى آستقرّ عليه حال الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوّض الأمور العامة إلى السلطان، ويُكْتَبُ له عنه عهدٌ بالسلطنة و يدعى له قبل السلطان على المنابر إلا فى مصلّى السلطان خاصة فى جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة، و يستبد السلطان بما عدا ذلك: من الولاية والعزل و إقطاع الإقطاعات حتّى للخليفة نفسه، و يستأثر بالكتابة فى جميع ذلك .

قلت: ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن قُبِض على السلطان الملك الناصر فرج آبن الظاهر برقوق بالشأم فى أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة على ما تقدّم ذكره ،

فاستقل الإمام "المستعينُ بالله" خليفة العصر بأمر الخلافة: من الكتابة على العهود ومناشير الإقطاعات، والتقاليد، والتواقيع، والمكاتبات وغيرها، وأُفرد بالدعاء على المنابر، وضرب آسمه على الدنانير والدراهم والطرز على ما تقدّم ذكره في الكلام على ترتيب الخلفاء، وهيئته في لبسه عند ركوبه بالمدينة في المواكب أو غيرها .

٥ فعمامته مدوّرة لطيفة عليها رَفْرَفٌ من خَلْفه تقدير نصف ذراع في ثلث ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها ، وفوق ثيابه كامليةٌ ضيقة الكُمّ مُفَرَّجَةُ الذيل من خلف وتحتها قباء ضيق الكُمّ .

أما تقليده السلطان السلطنة، فالذى رأيته في بعض التواريخ في عهد الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي الربيع سليمان ، إلى السلطان الملك المنصور

١٠ أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعة الحاكم المذكور عند موت أبيه في سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة : أنه طلع القضاةُ والأمراء إلى القلعة وآجتمعوا بدار العدل، وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت، وعليه خِلْعَةٌ خضراء، وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض، وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السرّ على العادة، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء، وجاء السلطان فجلس

١٥ على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة، ثم قام الخليفة فقرأ : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ إلى آخر الآية ، وأوصى السلطانَ بالرفق بالرعية، وإقامة الحق، وإظهار شعائر الإسلام ونُصْرة الدّين؛ ثم قال: "فوّضت إليك جميع أمر المسلمين، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين". ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ إلى آخر الآية ، ثم أُتِيَ الخليفةُ بخِلْعَة سوداء وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض،

٢٠ فألبسها السلطانَ وقلّده سيفَه ، ثم أُتِي بالعهد المكتوب عن الخليفة للسلطان فقرأه القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر إلى آخره . فلما فرغ من قراءته ، تناوله الخليفة

فكتب عليه ما صورته — فوضت إليه ذلك — وكتب — أحمد بن عم محمد صلّى الله عليه وسلم — وكتب القضاة الأربعة شهادتهم بالتولية ، ثم أتى بالسماط على العادة .

وأخبرنى مَنْ حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق عن الإمام المتوكل على الله أبى الفتح محمد المشار إليه فيما تقدّم : أنه حضر الخليفة وشيخ الإسلام سراجُ الدين البلقينىّ ، والقضاة الأربعة[1] وأهل العلم ، وأمراء الدولة إلى مَقْعَد بالإصْطَبْلات السلطانية يعرف بالحرّاقة ، وجلس الخليفة فى صدر المكان على مَقْعَد مفروش له ، ثم أتى السلطان وهو يومئذ حَدَثٌ ، فجلس بين يديه ، وسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحُلُمَ فأجاب بالبلوغ ، فخطب الخليفة خطبةً ، ثم خاطب السلطان بتفويض الأمر إليه على نحو ما تقدّم ذكره ، ثم أُتِىَ الخليفةُ بخِلْعَة سوداء وعمامة سوداء مرقومة فوقها طرحة سوداء مرقومة ، ثم جلس الخليفة فى مكانه الذى كان جالسا فيه ، ونُصِبَ للسلطان كرسىٌّ إلى جانب مقعد الخليفة فجلس عليه ، وجلس الأمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم ، وقد آستقرت جائزة تقليد السلطنة للخليفة ألف دينار مع قماش سكندرىّ .

أما حضوره بمجلس السلطان فى عامة الأيام، عند حضوره إلى السلطان لسلام أو مُهِمٍّ أو غير ذلك ، فقد أخبرنى بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكلَ المتقدّمَ ذكُرُه كان إذا حضر إلى مجلس السلطان الظاهر ، قام له ، وربما مشى إليه خطوات وجلس على طَرَف المَقْعَد وأجلس الخليفة إلى جانبه .

(١) القضاة الأربعة فى ذلك الوقت هم : القاضى الشافعى صدر الدين محمد المناوى ، والقاضى الحنفى جمال الدين يوسف الملطى ، والقاضى المالكى ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون ، والقاضى الحنبلى برهان الدين إبراهيم بن نصر الله العسقلانى .

البـاب الثـالث

من المقـالة الثـانيـــة

في ذكر مملكة الدّيار المصرية ومضافاتها، وفيه ثلاثة فصول

الفصـــــل الأوّل

في مملكة الدّيار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان

الطـــرف الأوّل

في الدّيار المصرية، وفيه اثنا عشر مقصدا

المقصـــد الأوّل

في فضـــلها ومحاســـنها

أما فضلها فقد ورد في الكتاب والسنة ما يشهد لها بالفضيلة، ويقضى لها بالفخر قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ يريد بالقوم بني إسرائيل، وبالأرض أرض مصر؛ ووصفها بالبركة إما بمعنى الفضل كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾. وإما من الخصب وسعة الرزق بدليل قوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾. وقال جل وعز: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فأمر بالعبادة في بيوتها إشارة إلى شرف أرضها ورفعة قدرها.

وقد ذكر الله تعالى آسمها فى غير موضع من كتابه العزيز فى ضمن قِصص الأنبياء عليهم السلام . فقال تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام : ﴿وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاه مِن مِصر لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ﴾ وفى موضع آخر : ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْر إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ وقال حكاية عن فرعون لعنه الله : ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى﴾ وفى معناه قوله تعالى خطابا لبنى إسرائيل : ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ على قراءة الحسن والأعمش مصر غير مصروف .

قال القضاعى : وكذلك قراءة من قرأ ﴿اهْبِطُوا مِصرًا﴾ مصروفا بناء على أن مصر مذكر سمى به مذكرا فلم يمنع الصرف فيه ، والتصريح بذكرها دون غيرها من الأقاليم دليل الشرف والفضل .

وقد ورد أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ بِلَادًا يُذْكَرُ فيها القِيراطُ فَآستوصُوا بأهلها خيرًا فإن لأهلها نَسَبًا وصهرًا " أراد بالنسب هاجَر أم إسماعيل عليه السلام ، وكان بعض ملوك مصر قد وهبها لزوجته سَارَّة ، وأراد بالصِّهر مارية أمّ إبراهيم ، ولَدِ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كان المُقَوْقِس قد أهداها للنبىّ صلى الله عليه وسلم فى جملة هديته .

ويروى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : " إذا فتح اللهُ عليكم مِصْرَ فاتّخذوا بها جُنْدا كثيفا ، فذاك خير جند الأرض ، قيل : ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال : لأنهم فى رِبَاط إلى يوم القيامة " .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مِصْرُ أطيبُ الأرَضين ترابا وعَجَمُها أكرم العَجَم نِصَابا " .

ويقال فى التوراة : " مِصْرُ خزائنُ الله ، فَمَنْ أرادها بسوء قَصَمه الله " .

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه " ولايةُ مِصْرَ جامعةٌ تعدل الخلافة " .

ومن كلام كعب الأحبار : " مصرُ بلد معافًى من الفتن ، فمن أرادها بسوء كبه الله على وجهه " .

ووصفها الكِنْدِىّ فقال : "جَبَلُها مُقَدس، ونيلها مباركٌ ، وبها الطُّور الذى كلَّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام " .

٥ قال كعب الأحبار : "كلم الله تعالى موسى من الطور الى طُوًى" وفى التوراة "وادٍ مقدّس أفيح " يريد وادى موسى عليه السلام .

ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام، منهم إبراهيم، ويعقوب، ويوسف، وإخوته عليهم السلام .

ونقل فى " الروض المعطار" عن الجاحظ أن عيسى بن مريم عليه السلام

١٠ ولد بها بكُورة أهْناس(١) الآتى ذكرها فى كُوَرِ مصر المقدّسة ، وأن نخلة مريم كانت بأهناس قائمة إلى زمانه . وذكر أيضا أن موسى عليه السلام وُلِدَ بها بمدينة أسْكَر شرقىّ النيل ، وهى الآن قرية من الأعمال الإطفيحية الآتى ذكرها فى أعمال الدّيار المصرية .

وبها سجن يوسفَ عليه السلام بمدينة بُوصير الخراب من الأعمال الجيزية على

١٥ القرب من البَدْرَشِين .

قال القُضَاعىّ : أجمع أهل المعرفة من أهل مِصْرَ على صحة هذا المكان ، وأن الوَحْىَ كان ينزل عليه به ، وسطحه معروف بإجابة الدّعاء .

سأل كافور الإخشيدىّ الإمامَ أبا بكر بن الحدّاد الفقيه الشافعى عن موضع يستجاب فيه الدّعاء، فأشار عليه بالدّعاء على سطح هذا السجن .

٢٠ قال القضاعىّ: وعلى القرب منه مسجد موسى عليه السلام ،وهو مسجد مبارك .

(١) الذى أجمعت عليه كتب الدين والتاريخ أنه ولد بقرية بيت لحم ببلاد فلسطين وليس بمصر .

وبسفح المُقَطَّم بالقرافة الصغرى قبرُ (يَهُوذَا ورُوبيل) من إخوة يوسف عليه السلام .

وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل ، ودُفِن بقرافتها جماعة منهم فيما ذكره ٱبن عبد الحكم عن ٱبن لَهِيعَة خمسةُ نفر، وهم: عمرو بن العاص، وعبد الله بن حُذَافَةَ ، وأبو بَصْرة الغفاريّ ، وعُقْبَةُ بن عامر الجُهَنِيّ، وعبد الله بن الحارث الزبيديّ وهو آخرهم موتًا .

قال القُضَاعى : وذكر غير ٱبن لَهِيعَةَ أن مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّدٍ الأنصارى أيضا مات بها، وهو أميرها .

***

أما محاسنها، فلا شك أن مصر مع ما ٱشتملت عليه من الفضائل ، وحُفَّتْ به من المآثر أعظمُ الأقاليم خَطَرًا ، وأجلُّها قَدْرًا، وأفخمها مملكةً ، وأطيبها تُرْبَةً، وأخفُّها ماء وأخْصَبُها زَرْعًا، وأحسنُها ثمارًا، وأعْدَلُها هواءً، وألطفها ساكنًا .

ولذلك ترى الناس يرحلون إليها ، وُفُودا، ويَفِدُون عليها من كل ناحية ، وقلّ أن يخرج منها مَنْ دخلها، أو يرحلَ عنها من وَلِجَهَا، مع ما ٱشتملت عليه من حسن المَنْظَرِ ، وبهجة الرَّوْنَق لا سيما فى زمن الربيع، وما يبدُو بها من الزروع التى تملأ العينَ وَسَامَةً وحُسْنًا، وتروقُ صورةً ومعنًى .

قال المسعوديّ : وصف الحكماءُ مصْرَ فقالوا : ثلاثة أشهر لؤلؤةٌ بيضاء، وثلاثة أشهر مِسْكَةٌ سوداء، وثلاثة أشهر زُمُرُّدَةٌ خضراء، وثلاثة أشهر سَبِيكَةٌ حَمْراء .

فاللؤلؤة البيضاء، زمانَ النيل، والمِسْكَةُ السوداء، زمانَ نُضُوب الماء عن أرضها والزُّمُرُّدَةُ الخضراء، زمانَ طلوع زروعها، والسَّبِيكَةُ الحمراء، زمانَ هَيْج الزرع وٱكتهاله .

وقد قيل : لو ضُرب بينها وبين غيرها من البلاد سورٌ ، لَغَنِي أهلها بها عما سواها ولما ٱحتاجوا إلى غيرها من البلاد. وناهيك ما أخبر الله تعالى به عن فرعون

مع عتوه وتجبّره وآدعائه الربوبيـة بآفتخاره بملكها بقوله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات": وهى إقليم العجائب، ومعْدن الغرائب؛ كان أهلها أهلَ مُلْك عظيم، وعز قديم؛ وإقليمها أحسن الأقاليم مَنْظَرًا، وأوسعها خيرا؛ وفيها من الكنوز العظيمـة، ما لا يدخله الإحصاء . حتّى يقال إنه ما فيها ٥ موضع إلا وفيه كنز .

قلت: أما ما ذكره أحمد بن يعقوبَ الكاتب فى كتابه فى "المَسَالِك والممالك" من ذمّه مصر بقوله : هى بين بحر رَطْب عَفِنٍ كثير البُخَارات الرديئة، يولد الأدْوَاءَ ويُفْسِد الغِذَاءَ، وبين جَبَـل وبَرٍّ يابس صـلْدٍ، لشدّة يبسه لا تنبت فيه خَضْراء، ١٠ ولا تنفجر فيه عين ماء؛ فكلامُ مُتَعَصِّبٍ خرق الإجماع ، وأتى من سخيف القول بما تنْفِر عنه القلوب وتَمُجُّه الأسماع؛ وكفى به نقيصة أَنْ ذَمَّ النيلَ الذى شهد العقلُ والنقل بتفضيله، وغَضَّ من المُقَطَّم الذى وردت الآثار بتشريفه .

المقصـــد الثـانى

فى ذكر خواصها وعجائبها ، وما بها من الآثار القديمة

١٥ أما خواصُّها ، فمن أعظمها خَطَرًا مَعْدنُ الزُّمُرُّد الذى لا نظير له فى سائر أقطار الأرض، وهو فى مَغَارة فى جبل على ثمـانية أيام من مدينـة قُوص، يوجَدُ عروقا خُضْرًا فى تطابيق حجر أبيض، وأفضـله الذُّبابىُّ، وهو أقل من القليل؛ بل لا يكاد يوجد .

ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزُّمُرُّدُ الى أثناء الدولة الناصرية " محمد بنَ ٢٠ قلاوون" فأهمل أمره وترك .

قال فى "مسالك الأبصار": وجميع ملوك الأرض وأهلُ الآفاق تستمدّ منه . وقد مرّ القول عليه فى جملة الأحجار الملوكية فى أواخر المقالة الأولى .

وأعظم خطرا منه وأرفع شأنا البَلَسَانُ الذى تسميه العامّة البَلَسَمَ، وهو نبات يزرع ببُقْعة مخصوصة بأرض المَطَرِيّة من ضواحى القاهرة على القرب من عَيْن شَمْس ، ويسقى من بئر مخصوصة هناك، يقال إن المسيح عليه السلام اغتسل بها حين قدمت به أُمُّه إلى مصر، والنصارى تزعم أنه حفرها بعَقِبه وهو طِفْلٌ، حين وضعته أمّه هنالك .

ومن خاصتها أن البَلَسان لا يعيش إلا بمائها ولا يوجد فى بقعة من بقاع الأرض غير هذه البقعة .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وطول هذه الأرض مِيلٌ فى مِيلٍ ، وشأنه أنه يُفْصد فى شهر كيهك من شهور القِبْط، ويجمع ما يسيل من دُهْنه ويصفى ويطبخ ويحمل إلى خِزانة السلطان، ثم ينقل منه قَدْر معلوم إلى قلاع الشام والبيمارستان ليستعمل فى بعض الأدوية ؛ وملوك النصارى من الحَبَشة والروم والفرنج يستهدُونه من صاحب مصر ويهادونه بسببه ، لما يعتقدونه فيه من أثر المسيح عليه السلام فى البئر، وله عليهم بذلك اليَدُ الطُّولى والمِنَّةُ العظمى، لا يساويه عندهم ذهب ولا جوهر .

قال فى "مسالك الأبصار": والنصارى كافّةً تعتقد فيه ما تعتقد، وترى أنه لا يتم تنصُّر نَصْرَانِيّ حتّى يوضع شيء من هذا الدهن فى ماء المعمودية عند تغطيسه فيها .

وبها معدن النَّطْرُون، وهو منها فى مكانين .

أحدهما — بِرْكة النَّطْرون التى بالجبل الغربى غربىّ عمل البحيرة الآتى ذكره

فى جملة أعمالهــا المسـتقرة، وهى من أعظم المعادن وأكثرها مُتَحَصَّلًا على حَقَارة النطرون وقلة ثمنه .

قال فى "التعريف" : لا يعرف فى الدنيا بركة صغيرة يُسْتَغَلّ منهـا نظيرها ؛ فإنها نحو مائة فَدَّانٍ تغل نحو مائة ألف دينار .

٥ والثـانى — مكان بالخَطَّارة من الشرقية، ولايبلغ فى الجَوْدَةِ مبلغ البركة الأولى، ولا يبلغ فى المُتَحَصَّلِ قريبا من ذلك .

وبهـا أيضا مَعْدن الشَّبِّ على القرب من أُسْوان، وهو من المعـادن الكثيرة المتحَصَّل أيضا إلى غير ذلك من الخواصّ .

وبها معدن النِّفْطِ على ساحل بحر القُلْزُم، يسيل دهنه من أعلى جَبَلٍ قليلا قليلا ١٠ وينزل إلى أسفله فيتحصل فى دِبارٍ قد وضعها له الأولون ، وتأتى العرب فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية .

* * *

وأما عجائبها، فكثيرة

(منها) جبل الطير شرقىّ النيل، مقابل مُنْيَة أبى خَصيب، فيه صَدْع يأتى إليه ١٥ جنس البواقير من الطير، وهو المعروف بالبَحّ فى يوم من السنة فيضيعون مناقيرهم فى ذلك الصدع واحدا بعد واحد حتى يتعلق منها واحد فى ذلك الصدع فيتركونه و يذهبون .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : قال أبو بكر الموصلى : سمعت من أعيان تلك البــلاد أنه إذا كان العام مخصبا ، يُقْبَض على طائرين ؛ و إن كان متوسطا ، يقبض على طائر واحد، و إن كان جَدْبًا، لم يقبض على شىء .

٢٠ (ومنها) مكان بالجبل الشرقىّ عن النيل، على القرب من أَنْصنا به تلال رمل إذا صُــعِد إلى أعلاها وكسح الرمل إلى أسافلها سمعت له أصوات كالرعد، يسمع من البر الغربىّ من النيل .

وقد أخبرنى بعض أهـل تلك البلاد أنه إذا كان الذى صَعِد على ذلك المكان جُنُبًا أو كانوا جماعة فيهم جنب، لم يسمع شىء من تلك الأصوات لو كسح الرمل.

(ومنها) مكان بالجبل المذكور على القرب من إخْمِيمَ به تِلَالُ رمل إذا كسحها الإنسان من أعلى إلى أسفل ، عادت إلى ما كانت عليـه وآرتفع الرمل من أسفلها إلى أعلاها . ٥

قال فى "الروض المعطار" : وعلى النيل جبل يراه أهل تلك الناحية مَنْ آنتضى سيفَه وأولجه فيه وقبض على مَقْبِضه بيديه جميعا ، آضطرب السيفُ فى يديه وآرتعد فلا يقدِر على إمساكه ولو كان أشدّ الناس ؛ وإذا حُدّ بحجارة هـذا الجبل سِكّينٌ أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا ، وجذب الإبر والمَسَالّ أشدّ جذبا من المِغْناطيس ، ولا يبطل فعلها بالثوم كما يبطل المغناطيس ، أما الحجر نفسه فإنه لا يجذب . ١٠

قال القُضَاعِىّ : وبجبل زماخير الساحرة يقال إن فيه خِلْقةً من الجبل ظاهرةً مشرفةً على النيل لا يصـل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق "باسمك اللهم" . وعلى القرب من الطُّور عين ماء فى أَجَمَـةِ رملٍ ينبُعُ المـاء من وسطها فوَراتٍ لطيفةً وينبسط ماؤها حولها نحو الذراع ، ثم يغوص فى الرمل فلا يظهر له أثر ، ولا يعرف أحد إلى أين يذهب ، وهى على ذلك مدى الدهور والأيام لا ينقطع نبعها ، ولا يجتمع ١٥ ماؤها فى مكان يدركه البصر ، وعجائبها أكثر من أن تذكر .

المقصـــد الثـالث

فى ذكر نيلها ومبدئه وآنتهائه ، وزيادته ونَقْصه ، وما تنتهى إليه زيادته ، وما تصل إليه فى النقص وقاعدتُه

أما آبتداؤه وآنتهـاؤه ، فاعلم أن آبتـداءه من أول الخراب الذى هو جنوبى ٢٠ خط الآستواء المقدّم ذكره ، ولذلك عَسُرَ الوقوف على حقيقة خبره .

وقـد ذكر الحكماء أنه ينحدر من جبـل القمر، إما (بفتح القاف والميم كما هو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم) كما نقله فى "تقويم البُلْدان" عن ضبط ياقوت فى "المشترك" وآبن سعيد فى "معجمه" .

قال فى "رسم المعمور" وطَرَفه الغَرْبى عند طول [ست وأربعين] (١) ونصف وعرض إحدى عشرة ونصف فى الجنـوب ، وطرفه الشرقى حيث الطول إحدى وستون درجةً ونصف والعرض بحاله . قال فى الرسم : ولونه أحمر . وذكر الطوسى أنهم شاهدوه على بُعْد، ولونه أبيض لمـا غلب عليه من الثلج . وآعترضه فى "تقويم البُلْدان" بأن عرض إحدى عشرة فى غاية الحرارة لاسيَّما فى الجنوب لحضيض الشمس .

قال بطليموس : والنيل ينحدر من الجبل المذكور من عشرة مسيلات ، بين كل مسيلين منها درجة فى الطول المقدّم بيانه ، والغربىُّ منها ، وهو الأوّل عند طلوع ثمان وأربعين درجة ، والثانى عند طلوع تسع وأربعين ، وعلى ذلك حتّى يكون العاشر منها عند طلوع سبع وخمسين ، كل مَسِيل منها نهر ، ثم تجتمع العشرة وتصب فى بطيحتين كُلُّ خمسةٍ منها تصب فى بَطِيحة ، ثم يخرج من كل واحدة من البطيحتين أربعـة أنهار ، ثم تفترع إلى ستة أنهار ، وتسير الستة فى جهـة الشمال حتّى تصب فى بحيرة مدوّرة عند خط الآسـتواء تعرف ببحيرة كورى ، فيفترق النيـل منها ثلاث فرَق ، ففرقة تأخذ شرقا وتذهب إلى مَقْدَشو من بلاد الحبشة المسلمين على ساحل البحر الهندىّ مقابل بلاد اليمن . وفرقة تأخذ غربا وتذهب إلى التُّكْرُور وغانة من مملكة مالى من بلاد السُّودان ، وتمرّ حتّى تصب فى البحر المحيط الغربىّ عند جزيرة أوليل وتسمَّى نيل السودان .

---

(١) الزيادة عن كتاب رسم المعمور من البلاد للعلامة محمد بن موسى بن شاكر الخوارزمى أحد الإخوة الثلاثة المعروفين ببنى موسى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ المطبوع مع الجزء الخاص بإفريقية .

وفرقة تأخذ شَمَالًا — وهى نيل مصر— فيمر فى الشَّمال على بلاد زَغَاوَةَ ، وهى أوّل ما يلق من بلاد السودان .

ثم يمرّ على بلاد النُّوبة حتّى ينتهى إلى مدينتها دُنْقُلَةَ الآتى ذكرها فى الكلام على ممالك السُّودان .

ثم يمرّ شَمَالا بميلة إلى الغرب إلى طول إحدى وخمسين ، وعرض سبع عشرة على حاله .

ثم يمرّ مغربا بميلة قليلة إلى الشَّمال إلى طول آثنتين وثلاثين ، وعرض تسع عشرة .

ثم يرجع مُشَرِّقًا إلى طول إحدى وخمسين .

ثم يمرّ فى الشمال إلى الجَنَادِلِ ، وهو الجبل الذى ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النُّوبة فى آنحدارها ومراكب مصر فى صُعُودها ، حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرضُ آثنتان وعشرون درجة .

ثم يمرّ شَمَالا إلى مدينة أُسْوان الآتى ذكرها فى أعمال الدّيار المصرية على القرب من الجنادل المقدّمة الذكر .

ويمرّ شَمَالا بميلة إلى الغرب إلى طول ثلاث وخمسين ، وعرض أربع وعشرين .

ثم يُشَرِّقُ إلى طول خمس وخمسين .

ثم يأخذ فى الشمال حتّى ينتهىَ إلى مدينة الفُسْطَاط الآتى ذكرها فى قواعد مصر المستقرّة .

ويمتدّ فى جهة الشّمال أيضا حتّى يصير بالقرب من قرية تسمّى شَطَّنَوْف[1] من قرى مصر ، من عمل منُوف فيفترق بفرقتين : فرقة شرقية وفرقة غربية . فأما الفرقة الشرقية ، فتمرّ فى الشّمال حتّى تأتى على قرية تسمّى المنصورة من عمل المُرْتاحية ،

(١) كذا ضبطه ياقوت بالعبارة ، وقال فى القاموس : "شطنوف كقلزون" .

فتتشعب شُعْبتين وتمرّ الغربية منهما، وهى العظمى إلى دمياط من شرقيّها، وتصب فى بحر الروم حيث الطول ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون وخمس وعشرون دقيقة؛ وتمر الشرقية منهما على أُشْمُوم طَنَاح، من غربيها حتّى تجاوز بلاد المَنْزِلَة، وتصب فى بحيرة شرقىّ دِمْياط حتّى بحيرة تنِّيس حيث الطول أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة .

وأما الفرقة الغربية، فتمر من شَطْنَوْف المقدّم ذكرها حتّى تأتى بالقرب من قرية تسمى بأبى نُشَّابَة من عمل البحيرة، فتتشعب شعبتين، الغربية منهما، وهى العظمى تأخذ شمالا بين عمل البحيرة من شرقيها وبين جزيرة بنى نصر من غربيها، والشرقية تأخذ شمالا أيضا بين جزيرة بنى نصر من شرقيها، وبين عمل الغربية من غربيها . ويسمّى هذا البحر بحر أبيار، ويمر حتّى يلتقىَ مع الفرقة الغربية عند قرية تسمّى القَرَشْتَق من الغربية بالقرب من مدينة أَبْيار المنسوب اليها البحر المقدّم ذكره، ويصير شعبة واحدة ويمر حتّى يصب فى البحر الرومىّ غربى قرية تسمّى رشيد حيث الطول ثلاث وخمسون، والعرض إحدى وثلاثون .

ومن هذه الفرقة يتفرّع خليج صغير يدخل إلى بُحَيرة نَسْتَرُوه[1] الآتى ذكرها فى جملة البحيرات، ويتفرع من كل فرقة من هذه الفرق وما يليها من أعلى النيل خُلْجانٌ يأتى ذكر المشهور منها فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

وأما زيادته ونقصه، فقد آختلف فى مَدَد زيادته؛ فنقل المسعودىّ عن العرب أنه يستمد من الأنهار والعيون . ولذلك تغيض الأنهار والعيون عند زيادته . وإذا غاض زادت؛ ويؤيده ما روى القضاعىّ بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : "إنّ نيل مصر سيدُ الأنهار، سخر الله له كلّ نهر بين

(١) كذا ضبطها المؤلف مما يأتى وألحق بها الهاء وكذلك ياقوت إلا أنه حذف منها الهاء : نستروا .

المشرق والمغرب أن يمُدّه، فأمدّته الأنهار بمائها، وفجّر الله له الأرض عيونا فانتهى جريُه إلى ما أراد الله، فأوحى الله إلى كل منها أن يرجع إلى عُنْصُره» .

ويقال عن أهل الهند : زيادته ونقصه بالسيول، ويعرف ذلك بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار، ورُكُود السحاب .

وقالت القِبْط : زيادته من عيون فى شاطئه رآها مَنْ سافر ولَحِق بأعاليه؛ ويؤيده ما رواه القضاعى بسنده إلى يزيد بن أبى حبيب «أن معاوية بنَ أبى سفيان رضى الله عنه قال لكعب الأحبار أسألك بالله! هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله عز وجل خبرا؟ قال : إى والله! إن الله عز وجل يُوحى إليه فى كل عام مرتين، يوحى إليه عند خروجه فيقول إن الله يأمرك أن تجرىَ، فيجرى ما كتب الله له، ثم يُوحى إليه بعد ذلك فيقول : يانيلُ إن الله يأمرك أن تنزلَ، فينزل» . ولا شك أن جميع الأقوال المتقدّمة فرع لهذا القول، وهو أصل لجميعها .

وبكل حال فإنه يبدأ بالزيادة فى الخامس من بؤُونه من شهور القِبْط . وفى ليلة الثانى عشر منه يوزن الطِّينُ، ويعتبر به زيادة النيل بما أجرى الله تعالى العادة به، بأن يوزن من الطين الجافّ الذى يعلوه ماء النيل زنة ستة عشر درهما على التحرير، ويرفع فى ورقة أو نحوها ويوضع فى صُنْدُوق أو غير ذلك، ثم يوزن عند طلوع الشمس فمهما زاد اعتبرت زيادته كل حبة خروب بزيادة ذراع على الستة عشر درهما .

وفى السادس والعشرين منه يُؤخذ قاع البحر وتقاس عليه قاعدة المقياس التى تبنى عليها الزيادة .

وفى السابع والعشرين ينادى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا إلى أن يكمل اثنى عشر ذراعا، فيحسب كل ذراع أربعا وعشرين أصبعا، فإذا وفى ستة عشر ذراعا، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة،

وهو يوم مشهود، ومَوْسِمٌ معدود، ليس له نظير فى الدنيا، وفيه تكتب البشارات بوفاء النيــل إلى ســائر أقطار المملكة، وتسير بهــا البُرُدُ، ويكون وفاؤه فى الغالب فى مسرى من شهور القِبْط، وفيها جُلُّ زيادته .

وفى النيروز، وهو أوّل يوم من توت يكثر قطع الخُلْجَانِ والتُّرَع عليه، وربما ٥ آضطرب لذلك ثم عاد .

وفى عيـد الصليب، وهو السابع عشر من توت المذكور يقطع عليـه غالب بقية التُّرع .

وقد حكى القُضَاعِىّ عن آبن عفير وغيره عن القِبْط المتقدّمين أنه إذا كان المـاء فى آثنى عشر يوما من مسرى آثنى عشر ذراعا ، فهى سَنَةُ ماء، وإلا فالمـاء ١٠ ناقص ، وإذا تمّ المـاء سـتة عشر ذراعا قبـل النيروز فالمـاء يتم، ثم غالب وفائه يكون فى النصف الأوّل من مسرى، وربمـا وفى فى النصف الثـانى منها، وقد يتأخر عن ذلك .

وفى الثامن من بابه يكون نهاية زيادته .

ورأيت فى "تاريخ النيل" أنه تأخر وفاؤه فى سنة ثمان وسبعمائة إلى تاسع عشر ١٥ بابه فوفى ستة عشر ذراعا، وزاد أصبعين بعد ذلك فى يومين : كل يوم أصبع بعد أن آستسق الناس أربع مرات، وهذا ممـا لم نسمع بمثله فى دهر من الدهور .

وقد جَرَتْ عادتُه أنه من حين آبتداءِ النداءِ بزيادته فى الســابع والعشرين من بؤونه إلى آخر أبيب تكون زيادته خفيفــة ما بين أصبعين فما حولها إلى نحو العشرة، وربمـا زاد على ذلك . فإذا دخلتْ مسرى، آشـتدّت زيادته وقويت، ٢٠ فيزيد العشرة فما فوقها، وربما زاد دون ذلك . وأعظم ما تكون زيادته على القرب من الوفاء حتّى ربما بلغ سبعين أصبعا .

ومن العجيب أنه يزيد فى يوم الوفاء سبعين أُصْبُعًا مثلا، ثم يزيد فى صبيحة يوم الوفاء أصبعين فما حولها، ويتم على ذلك . وله فى آخر بابه زيادة قليلة يعبر عنها بصَبّة بابه لما يَنْصَبُّ إلى النيل من ماء الأملاق .

وقد ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحَكَم وغيره : أنه لما فتح المسلمون مصر أتى أهلُها إلى عمرو بن العاص حين دخل شهر بشونة، فقالوا : أيُّها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يجرى إلا بها، وهو أنه إذا كان آثنا عشر من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكْرٍ من أبويها فأرضيناهما فيها، وزيناها بأفضل الزينة، وألقيناها فيه . فقال : هذا مما لا يكون فى الإسلام، فأقاموا أبيب ومسرى وهو لا يزيد قليلا ولا كثيرا . فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه يعرّفه ذلك، فكتب إليه أن أصبت، وكتب رُقْعَةً إلى النيل فيها :

من عَبْدِ الله عمرَ أمير المؤمنين إلى نيل مصر .

أما بعدُ، فإن كنت تجرى من قِبَلِكَ، فلا تَجْرِ، وإن كان الله الواحدُ القهّارُ الذى يُجْرِيكَ، فنسأل الله أن يُجْرِيَكَ .

وبعث بها إليه، فألقاها فى النيل، وقد تهيأ أهل مصر للخروج منها، فأصبحوا يوم الصليب، وقد بلغ فى ذلك اليوم ستة عشر ذراعا .

ويروى أنه وقع مثل ذلك فى زمن موسى عليه السلام، وهو أن موسى عليه السلام دعا على آل فِرْعَوْنَ، فحبس الله عنهم النيل حتّى أرادوا الجَلَاء، فَرَغِبوا إلى موسى فدعا لهم بإجراء النيل رجاء أن يؤمنوا، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا .

ورأيت فى "تاريخ النيل" المتقدم ذكره : أنه فى زمن المستنصر أحَد خلفاء

الفاطميين بمصر مكث النيل سنتين لم يطلُع، وطلع فى السنة الثالثة وأقام إلى الخامسة لم ينزل، ثم نزل فى وقته ونَضَب الماء عن الأرض، فلم يوجد من يزرعها لقلة الناس، ثم طلع فى السنة السادسة وأقام حتّى فرغت السابعة، ولم يبق إلا صُبَابة من الناس، ولم يبق فى الأقاليم ما يمشى على أربع غير حمار يركبه الخليفة المستنصر، وأنه وفّى ست عشرة ذراعا[1] فى ليلة واحدة بعد أن كان يخاض من برّ إلى برّ، وأقل ما آنتهى إليه قاع النيل فى النقص ذراع واحد وعشرة أصابع، ووقع ذلك من سنة الهجرة وإلى آخر الثمانمائة مرتين فقط : المرة الأولى — فى سنة خمس وستين ومائة من الهجرة . وبلغ النيل فيها أربع عشرة ذراعا وأربعة عشر أصبعا . والمرة الثانية — فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وبلغ فيها سبع عشرة ذراعا وخمسة أصابع .

وقد وقع مثل ذلك فى زماننا ، فى سنة ست وثمانمائة . وأغى ما آنتهى إليه القاعُ فى الزيادة مما رأيتُه مسطورا إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة تسعة أذرع . وسمعت بعض الناس يقول إنه فى سنة خمس وستين وسبعمائة كان القاع آثنتى عشرة ذراعا .

وأقل ما بلغ النقص فى نهاية الزيادة آثنا عشر ذراعا وأصبعان . وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وأغى ما كان ينتهى إليه فى الزمن المتقدّم ثمانية عشر ذراعا حتّى تعجب الناس من نيل بلغ تسع عشرة ذراعا فى زمن عمر بن عبد العزيز، ثم آنتهى فى المائة السابعة إلى أن صار يجاوز العشرين فى بعض الأحيان .

ومن العجيب أنه فى سنة تسع وسبعين وثلثمائة كان القاع على تسع أذرع، ولم يُوفِ بل بلغ خمس عشرة ذراعا وخمس أصابع؛ وفى سنين كثيرة كان القاع فيها

(١) الذراع والاصبع يذكران ويؤنثان وقد جريا فى كلامه تارة بالتذكير وتارة بالتأنيث وكل صحيح.

دون الذراعين ، وجاوز الوفاء إلى ثمانى عشرة ذراعا فما دونها . ولا عبرة بقول المسعودى فى "مروج الذهب" إن أقل ما يكون القاعُ ثلاثة أذرع ، وإنه فى مثل تلك السنة يكون متقاصرا . فقد تقدّم ما يخالف ذلك ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ .

٥ قلت : وقد جرت عادة صاحب المقياس ، أنه يعتبر قياسه زمن الزيادة فى كل يوم وقت العصر ، ثم ينادى عليه من الغَدِ بتلك الزيادة أصابعَ من غير تصريح بذَرْع إلا أنه يكتب فى كل يوم رقاعا لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام ، كأرباب الوظائف من الأمراء ، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، وكاتب السرّ وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، والمحتسب ، ومَنْ فى معناهم ، فيذكر زيادته فى ذلك ١٠ اليوم من الشهر العربى ، وموافقه من القِبْطِى ، من الأصابع وما صار إليه من الأذرع ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته فى العام الماضى فى ذلك اليوم من الأصابع وما صار إليه من الأذرع والبعادة بينهما بزيادة أو نقص ، ولا يُطْلِع على ذلك عوامّ الناس ورَعاعَهم ، فإذا وفّى ستة عشر ذراعا صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد من الأصابع ، وما صار إليه من الأذرع ، ويصير ذلك مشاعا عند كل أحد .

١٥ وأما مقاييسه ، فقد ذكر إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" أن أوّل من وضع مقياسا للنيل (خصليم) السابع من ملوك مصر بعد الطوفان : صنع بركة لطيفة وركب عليها صورتى عُقَابٍ من نُحَاس : ذكر وأنثى ، يجتمع عندها كهنتهم وعلماؤهم فى يوم مخصوص من السنة ، ويتكلمون بكلام فيصفّر أحد العقابين . فإن صفّر الذكر آستبشروا بزيادة النيل . وإن صفّرت الأنثى آستشعروا عدم زيادته ٢٠ فهيئوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة .

قال المسعودى : وقد سمعتُ جماعة من أهل الخبرة يقولون : إن يوسفَ عليه السلام حين بنى الأهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه .

قال القضاعىّ : وذلك بمدينة مَنْف، وقيل : إن النيل كان يقاس بأرض يقال لها علوة إلى أن بُنى مقياسُ مَنْف، وأن القِبْط كانت تَقيس عليه إلى أن بَطَل .

٥ قلت : وموضع المقياس بمَنْف إلى الآن معروف على القرب من الأهراء اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبَدْرَشين، وقيل كانوا يقيسونه بالرَّصاصة .

قال المسعودىّ : ووَضَعت دَلُوكَة العجوزُ ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأَنْصِنا صغير الأذرع، ووضعت مقياسا آخر بإخْميم، ووضعت الرُّومُ مقياسا بقَصْر الشَّمَع .

قال القضاعىّ : وكان المقياس قبل الفتح بقَيْسارِيّة الأَكْسية بالفُسْطاط إلى ١٠ أن آبتنى المسلمون أبنيتهم بين الحصن والبحر؛ ثم جاء الإسلام وفتحت مصر والمقياس بمَنْف .

كان النيل يقاس بمنف ويدخل القيّاس إلى الفسطاط فينادي به، ثم بنى عمرو ابن العاص مقياسا بأُسوان، ثم بنى مقياسا بدَنْدَرَة، ثم بنى فى أيام معاوية مقياسا بأنْصِنا .

فلما ولى عبد العزيز بن مَرْوَانَ مصر، بنى مقياسا صغير الأذرع بحُلْوَانَ من ١٥ ضواحى الفُسْطَاط، ثم لما ولى أُسَامَةُ بن زيد التَّنُوخىّ بنى مقياسا فى جزيرة الصِّناعة المعروفة الآن بالرَّوْضَة بأمر سليمان بن عبد الملك : أحد خلفاء بنى أُميّة سنة سبع وتسعين من الهجرة، وهو أكبرها ذرعا؛ ثم بنى المتوكِّل[1] مقياسا أسفل الأرض بالجزيرة المذكورة فى سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الله[2] على مصر، وهو المعمول عليه إلى زماننا هذا .

٢٠ (١) كذا فى ياقوت والمقريزى والنجوم الزاهرة . وفى الأصل : «المأمون» وهو خطأ .
(٢) كذا فى المقريزى والنجوم الزاهرة . وفى الأصل : «يزيد بن عبد الملك» وهو خطأ .

وكانت النصارى تتولّى قياسه فعزلهم المتوكل عنه ورتّب فيه أبا الرّداد عبد الله بن عبد السلام بن أبى الرّداد المؤدّب ، وكان رجلا صالحا ، فآستقرّ قياسه فى بنيه إلى الآن ، ثم أصلحه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين .

ثم كل ذراع يعتبر بثمانية وعشرين أصبعا إلى تمام آثنتى عشرة ذراعا ، ثم يكون كل ذراع أربعةً وعشرين أصبعا ، فلما أرادوا وضعه على ستة عشر ذراعا ، وزعوا الذراعين الزائدين ، وهما ثمانية وأربعون أصبعا على آثنى عشر ذراعا لكل ذراع منها أربعة أصابع ، فصار كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا ، وبقى الزائد على ذلك كل ذراع أربعة وعشرون أصبعا .

قال القضاعى : وكان سبب ذلك فيما ذكره الحسن[1] بن محمد بن عبد المنعم فى رسالة له أن المسلمين لما فتحوا مصر عرض على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقاه أهلها من الغلاء عند وقوف النيل فى حدّ لمقياس لهم فضلا عن تقاصره ، ويدعوهم ذلك إلى الآحتكار ، والآحتكار يدعوهم إلى زيادة الأسعار ، فكتب عمر إلى عمرو آبن العاص يسأله عن حقيقة ذلك ، فأجابه : إنى وجدت ما تروى به مصر حتّى لا يقحط أهلها أربع عشرة ذراعا ، والحد الذى يروى منه سائرها حتّى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعا ، والنهايتان المخوفتان فى الزيادة والنقصان ، فى الظمإ والاستبحار ، اثنتا عشرة ذراعا فى النقصان وثمانى عشرة ذراعا فى الزيادة . فاستشار عمر رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ذلك ، فأشار بأن يكتب إليه أن يبنى مقياسا ، وأن يفضّ ذراعين على آثنتى عشرة ذراعا ، ويبقى ما بعدهما على الأصل .

(١) كذا فى المقريزى (ج ١ ص ٥٨) والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٣١٢) وفى الأصل : «الحسين» .

قال القضاعىّ : وفى هذا نظر فى وقتنا لزيادة فساد الأنهار، وآنتقاض الأحوال، وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولهـا إلى آخرها أربعة وعشرون أصبعا كل ذراع بغير زيادة على ذلك .

قال المسعودىّ : فإذا تم النيل خمس عشرة ذراعا، ودخل فى ست عشرة، كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يُسْتَسْقَى فيه، وكان فيه نقص من خراج السلطان. وإذا انتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا، ففيه تمـام خراج السلطان وأخصب الناسُ، وفيه ظمأ ربع البلد، وهو ضارّ للبهائم لعدم المرعى .

قال : وأتم الزيادات العامة النافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا ، وذلك كفَافُها ورَيُّ جميع أرضها. وإذا زاد على السبع عشرة ذراعا وبلغ ثمانى عشرة، استبحر من مصر الربع، وفى ذلك ضرر لبعض الضِّياع . قال : وذلك أكثر الزيادات .

قلت : هذا ما كان عليه الحال فى زمانه وما قبله وكان الحال جاريا على ما ذكره فى غالب السنين إلى ما بعد السبعمائة .

أما فى زماننا، فقد علَت الأرض مما يرسب عليها من الطين المحمول مع المـاء فى كل سـنة وضَعُفت الجسور، وصار النيـل بحكمة الله تعالى إلى ثلاثة أقسام : متقاصرة وهى ست عشرة ذراعا فـا حولها ؛ ومتوسطة وهى سبع عشر ذراعا إلى ثمـان عشرة ذراعا فـا حولها ؛ وعالية وهى ما فوق ثمـان عشرة، وربمـا زادت على العشرين .

المقصـــد الرابـــع
فى ذكر خُلْجانها

وخلجانها القـــديمة ســـتة خُلُـــج :

الخليـــج الأوّل
(المَنْهى)

وهو الخليج الذى حفره "يوسف الصدّيق عليـه السلام" ومَخْرَجه بالقرب من دَرْوة سَرَبَام، من عمل الأُشْمُونين الآتى ذكرها، وهى المعروفة بِدَرْوَة الشَّريف، ويأخذ شَمالا إلى مدينــة البهنسى ، ثم إلى قرية اللّاهُون من عمـل البهنسى، ويمرّ فى الجبل حتّى يجاوزه إلى إقليم الفَيُّوم، ويمرّ بمدينته وينبثّ فى نواحيه .

وهذا النهر من غرائب أنهار الدنيا تجِفّ فُوّهته فى أيام نقص النيل، وباقيه يجرى فى موضـع ويجف فى آخر إلى إقليم الفَيُّوم ، فيجرى شتاءً وصيفًا من أعين تنفجر منه ولا يحتاج الى حفرٍ قطُّ .

ويقال : إن "يوسفَ عليه السلام" حفره بالوَحْىِ ومياهه منقسمة على استحقاقٍ مقدَّرٍ، كما فى دِمَشْقَ من البلاد الشامية .

وقال فى "الروض المعطار" : وكانت مَقَاسِمُه بحجر اللّاهُون على القرب من القرية المنسوبة إليه المتقدّمة الذكر . قال : وهو من عجائب الدنيا، وهو شاذَرْوان بين قبتين من أحكم صنعة، مُدَرّج على ستين درجة، فيها فوّارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، يسقى الأعلى الأرضَ العُلْيا ، والأوســطُ الأرضَ الوُسْطى، والأسفل الأرضَ السُّفْلى بوزن وقدر معلوم .

قال : ويقال إن يوسف عليــه السلام عمله بالوحى، وإنّ مَلِكَ مِصْرَ يومئذ لمــا عاينه قال هذا من مَلَكُوت السماء .

ويقال إنه عمل من الفِضّة والنُّحاس والرخام .

قلت : قد ذهبت معالم هذا اللاهون وبقى بعض بنائه ونُقِلت المقاسم الى مكان آخر بالفيوم تسقى الآن الأراضى على حكمها .

ومن غرائب أمره أن به التماسيحَ التى لا تحصى كثرةً ، ولم يشتهر فى زمن من الأزمان أنها آذتْ أحدا قطُّ .

الخليـــج الثـانى

خليج القاهرة الذى يكسر سدّه يومَ وفاء النيل

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

قال القضاعى : أمر بحفره عام الرَّمادة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وساقه إلى بحر القُـلْزُم ، فلم يتم عليه الحول حتّى جرَتْ فيـه السفن وحمل فيها الزاد والأطعمة إلى مَكّةَ والمدينة، ونفع الله بذلك أهلَ الحجاز .

وذكر الكِنْدى فى كتاب "الجند العربى" أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وفرغ منه فى ستة أشهر، وجرت فيـه السفن ووصلت الى الحجـاز فى الشهر السابع .

قال الكِنْدِى : ولم يزل يحمل فيـه الطعام حتّى حَمَلَ فيه عمر بن العزيز ، ثم أضاعته الوُلاة فترك وغلب عليـه الرمل ، وصار منتهاه إلى ذنَب التِّمساح من ناحية الطُّور والقُلْزُم .

وذكر ابن قديد : أن أبا جعفر المنصور أمر بسـده حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ليقطع عنه الطعام .

ولم يكن عليــه قنطرة إلى أن بنى عليــه عبد العزيز بن مَرْوَانَ قنطرة فى ســنة تسع [وستين][1] .

وقد ذكر[2] المسعودى فى " مروج الذهب " أنه آنقطع جريان هذا الخليج عن الإسـكندرية إلى ســنة آثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها وصــار شرب أهلهــا من الآبار .

قال آبن عبد الظاهر : وليس لها أثر فى هذا الزمان . قال : وإنما بنى السلطان الملك الصــالح أيوب آبن الملك الكامل محمد بن العــادل أبى بكر بن أيوب هاتين القنطرتين الموجودتين الآن على بسـتان الخشاب و باب الخرق ، يعنى قنطرة السدّ وقنطرة باب الخرق فى سنة نيف وأربعين وستمائة .

وذكر فى موضع آخر من خطَطه أن القنطرة التى عليه خارجَ باب القنطرة بناها القائد جوهر سنة ستين وثلثمائة ؛ وقنطرة اللؤلؤة — وهى التى كانت بالقرب من مَيْدان القمح ، و بعضها باق إلى الآن — من بناء الفاطميين أيضا ؛ واللؤلؤة التى تنسب هذه القنطرة إليها مَنْظرة على بَرّ الخليج القبلىّ ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمىّ ، كانت مستنزها لخلفاء الفاطميين ينزلون فيها فى أيام النيل و يقيمون بها إلى آخر النيل .

قلت : أما باقى القناطر التى على هــذا الخليج : كقنطرة عمر شاه ، وقنطرة سُـنْقُر ، وقنطرة أمير حسين ، فكلها مستحدَثة فى الدولة التركية ، وغالبها فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون .

قال آبن أبى المنصور فى " تاريخه " : وأول من رتب حفره على الناس المأمونُ آبن البطائحى ، وكذلك البساتين فى دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بمفرده .

(١) الزيادة عن المقريزى (ج ٢ ص ١٤٦) . (٢) هذه الفقرة ليس هذا موضعها و إنما موضعها فى الكلام على خليج الأسكندرية ، وقد ذكرها المؤلف هناك فى (ص ١٠٥)

الخليـج الثـالث
خليـج السَّـرْدُوس

ويقال السَّرْدُوسى بزيادة ياء فى آخره ، وهو الذى حفره هامانُ لفرعون .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال : إنه لمـا حفره سأله أهل البـلاد أن يجريه إليهم على أن يجعلوا له على ذلك مالا ، فتحصل له من ذلك مائة ألف دينار فحملها إلى فرعون ، فقال : ويحك ! إنه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ولا ينظر إلى ما فى أيديهم ، وأمر بردّ المـال إلى أربابه .

قال : وكان هذا الخليج أحد نزهات الدنيا يُسار فيه يوما بين بساتينَ مشتبكة وأشجار مُلتفّة وفواكه دانية .

قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعوّض عنه بحر أبى المنجا الآتى ذكره .

الخليـج الرابع
خليـج الإسكندرية

وهو خليج مخرجه من الفرقة الغربية من النيل عند قرية تسمّى العَطْف تُقَابِل فُوَّة ، مدينة المزاحمتين ، ويميل غربا حتّى يتصل بجُدْران الإسكندرية ، وتدخل منه قناةٌ تحت الأرض إلى داخلها ، و يتشعب منها شُعَبٌ كثيرة تدخل دُورَها ، وتخرج من دار إلى أخرى ، ويخالط أبارها فيحلو ماؤها وتملأ منها صهار يجها حينئذ فتمكث من السنة إلى السنة .

وكانت فُوَّهَةُ هـذا الخليج فيما تقـدم جنو بى فُوَّهته الآن عنـد قرية تسمّى الظاهرية من عمل البُحَيْرَة ، وكان يمرّ على دَمَنْهور مدينة البحيرة ، ثم نقل إلى مكانه الآن ويقال إن أرضه فى القديم كانت مفروشة بالبلاط .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو من أحسن المنتزهات لأنه مخضرّ الجانبين بالبساتين ؛ وفيه يقول ظافر الحدّاد الشاعر السكندرى :

وعَشِيَّةٍ أهدَتْ لِعَيْنِكَ مَنْظَرًا * جَاءَ السُّرُورُ بِهِ لِقَلْبِكَ وَافِدَا
رَوْضٌ كَمُخْضَرِّ العِذَارِ وجَدْوَلٌ * نَقَشَتْ عَلَيْهِ يَدُ الشَّمَالِ مَبَارِدَا
والنَّخْلُ كالغِيدِ الحِسَانِ تَزَيَّنَتْ * ولَبِسْنَ مِن أَثْمَارِهِنَّ قَلَائِدَا

وقد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" : أنه انقطع جَرَيان هذا الخليج عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها ، وصار شرب أهلها من الآبار .

الخليج الخامس

خليج سخا[1]

ويقال إن الذى حفره بَرْصا : أحد ملوك مصر بعد الطوفان .

الخليج السادس

خليج دمياط

ولم أقف على تفاصيل أحواله[2] .

[بحر أبى المنجا]

أما بحر أبى المنجا ، فإنه وإن عظم شأنه مستحدَث ، حفره الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلى بالله الفاطمى .

قال ابن أبى المنصور فى "تاريخه" : وكان سبب حفره أن البلاد الشرقية كانت جارية فى ديوان الخلافة ، وكان معظمها لا يروى فى أكثر السنين ولا يصل

(١) فى الأصل : « منجا » وهو خطأ . وخليج سخا من الخلجان الفرعونية القديمة وهو مذكور ضمنها فى الجزء الأوّل من النجوم الزاهرة ص ٥٦ (٢) موقعه الحالى هو الجزء الشمالى من فرع دمياط الحالى المعروف بفرع النيل الشرقى فى المساحة ما بين سمنود ودمياط .

المـاء إليها إلا من خليج السَّرْدوس المتقـدّم ذكره ، أو من غيره من الأماكن البعيــدة .

وكان يشارف العمل يهوديٌّ آسمه أبو المنجا ، فرغب أهل البـلاد إليه فى فتح ترعة يصل المـاء منها إليهم فى آبتـدائه فرفع الأمر إلى الأفضل ، فركب فى النيل
٥ فى آبتدائه فى مركب ورمى بحُزَم من البُوص فى النيل وجعل يتبعها بمركبه إلى أن رماها النيل إلى فم ذلك البحر فحفر من هناك ، وآبتدأ حفره يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة ، وأقام الحفر فيه سنتين وغُرِمَ فيه مال كثير . وكان فى كل سنة تظهر فائدته ، ويتضاعف آرتفاع البلاد التى تحته ، وغلب عليه إضافته إلى أبى المنجا لتكلمه فيه . فلما عرض على الأفضل ماصرف عليه آستعظمه وقال :
١٠ غَرِمنا عليــه هذا المـال العظيم والآسم لأبى المنجا ، فسماه البحر الأفضلىّ فلم يتم له ذلك ولم يعرف إلا بأبى المنجا ، ثم سطى بأبى المنجا المذكور بعـد ذلك ونُفِى إلى الإسكندرية . ولمـا ولى المأمون بن البطائحى الوزارة تحدّث معه الأمراء فى أن يتخذ لفتحه يوما كفتح خليج القاهرة ، فابتنى عندسدّه منظرة متسعة ينزل فيها عند فتحه .

قلت : وكانت فيه معـدِّية يعدَّى فيها بين قليوب وبيســوس ، وكان يحصل
١٥ للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المـارّين ، فعمر عليها الظاهر بيبرس رحمه الله قنطرةً عظيمة بحجر صَلْد ، من غرائب البناء ، تمرّ عليها الناس والدواب ، فحصل للناس بها الآرتفاق العظيم ، وهى باقية على جِدّتها إلى زماننا .

وكان سدّه يقطع فى عيد الصليب فى سابع عشر توت ، ثم آستقر الحال على أن يقطع يوم النَّوروز ، فى أوّل يوم من توت حرصا على رىّ البلاد .
٢٠ وأما بقية خُلُج الديار المصرية المستحدثة وتُرَعها بالوجهين : القبلىّ والبحرى ، فأكثر من أن تحصر ، ولكل منها زمن معروف يقطع فيه .

المقصـــد الخامس

فى ذكر بُحَيرات الديار المصرية، وهى أربع بحيرات

الأولى منها — "بُحَيرَةُ الفَيُّوم" ويُعبَّر عنها بالبِرْكة، وهى بُحَيرةٌ حُلْوةٌ بالقرب من الفيوم بين الشمال والغرب عنه، على نحو نصف يوم، يصب فيها فضلات مائه المنصب إليه من خليجه المَنْهى المتقدّم ذكره، وليس لها مَصْرِفٌ تتصرف إليه لإحاطة الجبل بها، ولذلك غلبت على كثير من قرى الفَيُّوم وعلا ماؤها على أرضها .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطولها شرقا بغرب نحو يوم، وبها أسماك كثيرة تحصل من صيدها جملةٌ كثيرةٌ من المال، وبها من آجام القَصَب والطَّرْفاء والبَرْدِىّ ما يتحصل منه المال الكثير .

الثانية — "بحيرة بوُقِير" (بضم الباء المُوَحّدة وسكون الواو وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحتُ وراء مهملة فى الآخر) وهى بُحَيرةُ ماء مِلْح يخرج من البحر الرومى بين الإسكندرية ورشيد، ولها خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية المتقدّم ذكره، يأتيها ماء النيل منه عند زيادته؛ وبها من صيد السمك ما يتحصل منه المال الكثير، وفيها من أنواع الطير كلُّ غريب، وبجوانبها المَلّاحَاتُ الكثيرة التى يحمل منها المِلْح إلى بلاد الفرنج وغيرها .

قلت : وقد وقع للسلطان عماد الدين صاحب حماة، رحمه الله، وَهَمٌ بجعل هذه البحيرة هى بحيرة نَسْتَرُوه الآتى ذكرها ؛ على أن هـذه البحيرة قد انقطع مَدَدها من البحر الملح فى زماننا بواسطة غَلَبَـة الرمل على أَشْتُومها الموصل إليها الماء من بحر الروم بخفَّت وصارت سبخة طويلة عريضة؛ ومات ما كان يصاد منها من السمك البُورِىّ ، وما يتحصل منها من المِلْح المنعقد بسواحلها ، وعاد على الإسكندرية

بواسطة ذلك ضرر كبير لأنه كان الغالب على أهلها أكل السمك ويحصل لهم بالملح رفق كبير .

الثـالثة ــ "بُحيرة نَسْتَرُوه" (بفتح النون وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وضم الراء المهملة وسكون الواو وهاء فى الآخر) وهى بحـيرة ماء مِلح أيضا بالقرب من البَرَلُّس فى آخر بلاد الأعمال الغربية الآتى ذكرها، متسعة الأرجاء إذا توسطها المركب لا تُرى جوانبها لعظمها، لبعد مركزها عن البر، وبالقرب منها قرية تسمّى نَسْتَرُوه، وهى التى تضاف إليها، وداخلها قرية أخرى تسمّى سِنْجار لا زرع فيهما ولا نفع ، وليس بهما غير صـيد السمك ، وهى الغـاية القُصْوى فيما يتحصل من المـال .

قال صاحب حماة : يبلغ متحصل صيد سمكها فى كل سنة فوق عشرين ألف دينار مصرية، وليس يساويها بحيرة من البحيرات فى ذلك .

قلت : وأخبرنى بعض مباشريها أنها فى زماننا قد تميز متحصلها عن ذلك نحو مثله للاجتهاد فى الصيد، وكثرة الضبط وارتفاع السعر .

الرابعــة ــ "بحيرة تِنِّيس" قال السمعانى (بكسر التاء المثناة فوق والنون المشدّدة المكسورة ثم ياء مثناة تحت وسـين مهملة فى الآخر) وهى بُحَـيْرةٌ متصلة بالبحر الرومى أيضا بآخر عمـل الدقهلية والمُرْتاحية الآتى ذكره ، وفيها مصبٌّ بحر أُشْمُومَ المنفرق من الفرقة الشرقيـة من النيل، ولذلك يعـذب ماؤها فى أيام زيادة النيل، وبوسطها تِنِّيسُ الآتى ذكرها فى الكلام على الكُوَرِ القديمة .

قال صاحب "الروض المعطار" : طمى عليها البحر قبل الفتح الإسلامى بمائة سنة فغرّقها وصارت بحيرة، ويتصل بهذه البحيرة من جهة الغرب "بحيرة دمياط" وهما فى الحقيقة كالبحيرة الواحدة .

المقصد السادس
فى ذكر جبالها

اعلم أن وادىَ مصْرَ يكتنفه جبلان شرقا وغربا، يبتدئان من الجنادل المتقدمة الذكر فوق أُسْوان آخذَيْن فى جهة الشَّمال على تقارب بينهما بحيث يُرى كل منهما من الآخر والنيل مارّ بين جَنْبَيهما .

فأما الشرقىّ منهما فيمرّ بين النيل و بحر القُلْزُم المتقدّم الذكر حتّى يجاوز الفُسْطَاطَ فينعطف و يأخذ شرقا حتّى يأتىَ على آخر بحر القُلْزُم من الشَّمال، يرتفع فى موضع و ينخفض فى آخر، وفى أوائل هذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة قُوص (مَعْدن الزُّمُرُّد) المتقدّم ذكره فى خواص الدّيار المصرية، فى مغارة طويلة فى قطعة جبل عالية، تسمّى قرشنده ليس هناك أعلى منها، وعلى القرب من ذلك (مقطع الرُّخام) الملون من الأبيض والسُّمّاقى وسائر الألوان المستحسنة التى لا تساوى حُسْنًا .

و يسمّى الجبل المطلّ منه على النيل مقابل المراغات من عمل إخميم "جبل الساحرة" وأظنه جبل زماخير الساحرة المتقدّمة الذكر فى عجائب الدّيار المصرية .

و يسمّى الجبل المطل منه على النيل مقابل مدينة مَنْفَلُوط "جبل أبى فيدة" بفاء و ياء مثناة تحت .

و يسمّى الجبل المطل منه على النيل مقابل منية بنى خصيب من الأُشْمُونين . "جبل الطيلمون" و يعرف الآن بجبل الطَّير، وقد تقدّم ذكره فى جملة عجائب الديار المصرية .

و يسمّى ما سامت الفُسْطَاط والقرافة منه "المُقَطَّم" و ربما أُطْلِقَ المُقَطَّم على جميع المُقَطَّم[1]، وقد آختلف فى سبب تسميته بذلك، فقيل سمى بآسم مُقَطَّم الكاهن كان مقيما فيه لعمل الكيميا .

(١) لعله على جميع الجبل .

وقال أبو عبـد الله اليمنى : سمى بالمُقَطَّم بن مصر بن بيصر، وكان عبدا صالحا آنفرد فيه لعبادة الله تعالى .

وذكر الكِنْدى فى كتاب "فضائل مصر" ما يوافق ذلك : وهو أن عمرو بن العاص رضى الله عنه سار فى سفح المُقَطَّم ومعه المُقَوْقِسُ، فقال له عمرو : ما بالُ جبلكم هذا أقرعَ ليس عليه نبات كجبال الشام ؟ فلو شققنا فى أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخـلا ؛ فقال المقوقس : وجدنا فى الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجارا ونبتا وفاكهة ، وكان ينزله المُقَطَّمُ بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما كانت الليـلة التى كلم الله تعالى فيهـا موسى عليـه السلام، أوحى الله تعالى إلى الجبال : إنى مكلِّمٌ نبيا من أنبيائى على جبل منك، فسمَت الجبـال كلُّها وتشامخت إلا جبلَ بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر، فأوحى الله تعالى إليه : لِمَ فعلتِ ذلك؟ وهو به أخبر، فقال : إعظاما و إجلالا لك يا رب! فأمر الله تعالى الجبال أن يحبُوه كل جبل مما عليه من النبت، فجاد له المُقَطَّمُ بكل ما عليـه من النبت حتّى بقِيَ كما ترى، فأوحى الله تعالى إليه إنى معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غَرْس الجنة .

وأنكر القضاعى وغيره أن يكون لمصر ولد آسمـه المقطم ، وجعلوه مأخوذا من القطم وهو القطع، لكونه منقطع الشجر والنبات .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وفيه كنوز عظيمة، وهيا كلُ كثيرة، وعجائبُ غريبة . وللملوك مصر فيه من الجواهر والذهب والفضـة والأوانى، والآلات النفيسة، والتماثيل العجيبة، وتراب الصنعة ما يخرج عن حدّ الإحصاء .

قال فى "الروض المعطار" : و إذا دُبِّرتْ تُرْبَتُه حصل منها ذهب صالح .

ويلى المُقَطَّمَ من جهة الشَّمال "اليَحَاميمُ" وهى الجبـال المتفرقة المطـلة على القاهرة من جانبها الشرقى وجَبَّانَتِهَا .

قال القضاعى : وقيل لها اليَحَامِيمُ لاختلاف ألوانها ، واليَحْمُوم فى كلام العرب : الأسْوَد المظلمُ ، ولعله يريد الجبل الأحمر وما والاه .

وفى شرقىّ المُقَطَّم على بحر القُلْزُم " طُورُسينَا " الذى كلّمَ الله تعالى موسى عليه السلام عليه ، وهو جبل مرتفع للغاية ، داخل فى البحر .

قال الأزهرى : وسمى الطُّورَ بطُور بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . ٥

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ومن خاصّيته أنه كيفما كُسِرَ ، ظهر فيه صورة شجر العليق ، وقد بُنِىَ هناك دَيْرٌ بأعلى الجبل ، وغرس بواديه بَسَاتِينُ وأشجارٌ .

*
* *

وأما الغربىّ منهما ، فإنه يبتدئ من الجنادل أيضا ويمرّ فى الشّمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والوَاحَات ، ثم فيما بين بلاد الصّعيد والفَيُّوم حتّى ينتهىَ إلى مقابل الفُسْطَاط . وهناك موقع الهَرَمَيْنِ العظيمين المقدّم ذكرهما على القرب من بُوصِير ، ثم ينعطف ويأخذ غربا بشَمَالٍ فيما بين بلاد ريف الوجه البحرى والبَرِّيَّة حتى يجاوز بِرْكَة النَّطْرُون ، ويمضى إلى قريب من الإسكندرية . ١٠

ويسمّى فيما سامت الواحاتِ "جبل جالوت" نسبة إلى جالوت البربرى .

ويتصل به من جنوبى الْوَاحَات "جبل اللازورد" قيل إن به معدنَ لازورد ، وإنه امتنع استخراجه لانقطاع العمارة هناك . ١٥

المقصد السابع

فى ذكر زروعها ، ورياحينها ، وفواكهها ، وأصناف المطعوم بها

أما زروعها — فيزرع فيها من أنواع الحبوب المُقْتاتة وغيرها كالبُرّ ، والشعير ، والذُّرَة ، والأُرْزِ ، والبَاقِلّى ، والحِمَّص ، والعَدَس ، والبِسِلَّا ، والجُلُبَّان ، واللُّوبيا ، والسِّمْسِم ، والقُرْطُم ، والخَشْخَاش ، والخِرْوَع ، والسَّلْجَم ، وبِزر الكَتَّان ، والبَرْسِيم ، وغير ذلك . ٢٠

وبهـا قصب السُّكَّر فى غاية الكثرة، والبِطِّيخُ، والقِثّاءُ على آختلاف أنواعها، والمُلُوخِيّا، والقُلْقاسُ، واللِّفْتُ، والبَاذنْجَانُ، والدُّبَّاء، والهِلْيَوْنُ، والقُنَّبِيطُ، وأنواع البقول المختلفة، كالثُّومِ، والبَصَلِ، والكُرَّاثِ، والفُجْلِ وغيرها؛ وعامة زرع حبوبها على النيل عند نزوله عن أرضها من أثناء بَابَه، من شهور القِبْطِ إلى أثناء طُوبَه منها بحسب ما يقتضيه حال الزرع. وربمـا زرع فيها على السواقى والدواليب؛ وأكثر ما يكون ذلك فى بلاد الصَّعِيد خصوصا فى سِنِي الجَدْب؛ ويُزْرَع فى الفيوم فى غير زمن النيل على نهره المنهى المتقدّم ذكره فى جملة الأنهار. ولا زرع فيهـا على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبرة به على قلة المطر بها بل فقده بصعيدها.

وأما رَيَاحينُها — ففيها الآسُ، والوَرْدُ، والبَنَفْسَجُ، والنَّرْجِسُ، والياسَمِينُ، والنِّسْرِينُ، والبَانُ، واللَّيْنُوفَرُ، وأزهار المحمضات، والرَّيْحَانُ القَارِسيّ على آختلاف أنواعه، والمنثور فيها بقلة، وإنمـا كثر بالإسكندرية، إلى غير ذلك من بقايا الأنواع التى يشق آستيعابها.

وأما فواكهها — ففيها الرُّطَبُ، والعِنَبُ، والتِّينُ، والرُّمّانُ؛ والخَوْخُ، والمِشْمِشُ، والقَرَاصِيَا، والبَرْقُوقُ، والتُّفَّاحُ، والكُمَّثْرَى، والسَّـفَرْجَلُ بقِلَّةٍ، واللَّوْزُ الأخضَر، والنَّبِقُ، والتُّوتُ، والفِرْصَادُ، والمَوْزُ، ولا يوجد فيها الجوْزُ، والفُسْتُقُ، والبُنْدُقُ، والإجَّاصُ إلا مجلوبًا بعد جفافه. وإن زرع بأرضها شيء من ذلك، لم يُفْلِح؛ والزيتون فيها بِقلَّةٍ، ولا يستخرج منه زيت البتة وإنمـا يؤكل مِلحًا.

وفيهـا من المحمضات: الأُتْرُجُّ، والحُمَّاضُ، والكِبَاد، والنَّارَنْجُ، واللَّيْمُونُ، على آختلاف أنواعها.

وأما أصناف المطعوم — ففيها ما يستطاب من الألْبَان ، والأجْبَان ، والعَسَلِ ، الذى لا يُساوى حُسْنا ، ولا يشبهه غيره من سائر الأعسال ، والسُّكَّرِ الكثير : من المُكَرَّرِ، والتبع، والوسط، والنبات . ومنها يجلب إلى أكثر البلاد ، قال فى "مسالك الأبصار" : وقد نُسِى به ما كان يذكر من سكّر الأهواز .

وبها من أنواع الحلوى والأشربة المتخذ ذلك من السُّكَّر ، والأشربة الفائقة ما لا يوجد فى غيرها من الأقاليم . ٥

وبها من لحم الضأن ، والبقر ، والمعز ، مالا يعادله غيره فى قُطْرٍ من الأقطار لطافةً ولَذّةً .

قلت : ومن محاسنها أن فاكهتها لا يدوم نوع منها فى جميع السنة فَيُمَلّ ، بل يأتى كل نوع منها فى وقت دون وقت ، فتتشوّف النفوس إلى طلبه ، ويكون لقدومه بهجة . ولا يعترض ذلك بدوام أُكُل الجنة ، فإن الجنة أُكُلها لا يملّ بخلاف مآكل الدنيا . ولأهل الرفاهيّة بذلك فرحةٌ ، وتغالى فيه فى آبتدائه مع أنه يجتمع فى الحين الواحد من الفواكه والرياحين مالا يحتاج معه فى زمنه إلى غيره . ١٠

قال المهذّب بن مَمّاتى فى "قوانين الدواوين" : بعثتُ غلاما لى ليُحْضِر من فَكَاهِى القاهرة ما وجد بها من أنواع الفاكهة والرياحين، فأحضر لى منها الوَرْدَ ، والنَّرْجِسَ ، والبَنَفْسَجَ ، والياسَمِينَ ، والمَنْثُورَ ، والمَرْسِينَ، والرَّيْحَانَ، والطَّلْعَ، والبَلَحَ ، والجُمّارَ ، والخِيَارَ ، والبِطِّيخَ الأخضرَ ، والبَاقِلَّى ، والتُّفّاحَ ، والفَقُّوسَ ، والأُتْرُنْجَ، والنّارَنْجَ، والأشْبَاه، واللَّيْمونَ، والتَّمْرَهِنْدِى الأخضر، والعِنَبَ، والحِصْرِمَ . ١٥

وقال بعض الجوّالين فى الآفاق : طفت أكثر المعمور من الأرض فلم أر مثل ما بمصر من ماء طوبه، ولَبَنِ أمشير ، وخَرُوبِ برمهات ، ووَرْدِ برموده ، ونَبِق بشنس، وتِينِ بؤُونة، وعَسَلِ أبيب ، وعِنَبِ مسرى ، ورُطَبِ توت، ورُمّانِ بابه، ومَوْز هتور ، وسَمَك كيهك . ٢٠

المقصـــد الثامن
فى ذكر مواشيها ، ووحوشها ، وطيورها

أما مَوَاشيها — ففيها الإبل المستجادة ، والبقر العظيمات القدود ، والأغنام المستطابة اللحوم ، والخيول المُسَوَّمَةُ ، والبغال النفيسة ، والحُمُرُ الفارهة مما ليس له نظير فى إقليم من الأقاليم ، ولا مصر من الأمصار .

وأما وُحُوشُها — ففى براريِّها : الغِزْلَانُ، والنَّعَامُ، والأَرَانِبُ، والثَّعَالِب ، والضِّبَـاعُ ، والذِّئَابُ ، وغير ذلك . ويجلب إلى سلطانهـا الفِيَلَةُ ، والزَّرَافَاتُ ، وغيرها من الوحوش من البـلاد القاصية ، والسِّـبَاعُ من بلاد الشـام من مملكته لتكون فى إصطبلاته زينةً لمملكته .

وأما طيورها — ففيها من الطيور الدَّواجن فى البيوت : الدَّجَاجُ، والإِوَزُّ، والحَمَامُ ؛ ومن الطيور البَرِّيَّةِ : الصَّقْرُ ، والعُقَابُ ، والنَّسْرُ ، والكُرْكِىّ ، واللَّغْلَغُ ، والإِوَزُّ التُّركى ، والمرزم ، والبَجَعُ ، والبَلَشُون ، والحُبْرُجُ ، والحَجَلُ ، والكَرَوَانُ ، والسُّمَانى ، والبُلْبُلُ ، وسـائر أنواع العصافير ، والأنواع المختلفة من طيور المـاء . ويجلب إلى سلطانها سائر أنواع الجوارح الصائدة على آختلاف أجناسها من أقاصى البُلْدان ، ويقع التغالى فى أثمانهـا للغاية القصوى على ما يأتى ذكره فى الكلام على أوصافها إن شاء الله تعالى .

المقصـــد التـاسـع
فى ذكـر حدودها

قد آضطربت عبارات المُصَنِّفِينَ فى المسالك والممالك فى تحديدها ، والذى عليه الجمهور أن حدّها الشَّمالىّ ، وهو المعبَّر عنه عند المصريين بالبحرى ، يبتدئ ممـا بين الزعقة ورَفَحٍ عند حدّها من الشام والبحر شماله ، ويمتدّ غربا على ساحل البحر

المذكور حيث الشجرتان عند الشجرة التى يعلق فيها العوامّ الخِرَق وتقول هذه مفاتيح الرمل، عند الكُثُب المجنبة عن البحر الرومىّ، إلى رَفَح ثم إلى العريش آخذا على الجِفَار، إلى القَرَما، إلى الطينة، إلى دِمْياط، إلى ساحل رشيد، إلى الإسكندرية، وهى آخر العمارة بهذا الحدّ . ثم يأخذ على اللينونة، على العميدين، إلى بَرْقَة، إلى العَقَبة الفاصلة بين الديار المصرية وإفريقيَّة على ما تقدّم ذكره فى الكلام على سواحل البحر الرومىّ .

وحدّها الغربى — يبتدئ من ساحل البحر الرومىّ حيث العَقَبة، ويمتدّ جنوبا، وأرض إفريقيَّة غربية، على ظاهر الفَيُّوم والوَاحَات حتَّى يقع على صحراء الحبشة على ثمان مراحل من أُسْوان .

وحدّها الجَنُوبىّ — وهو المعبر عنه عند المصريين بالقِبْلىّ، يبتدئ من آخر هذا الحدّ بصحراء الحبشة ويمتدّ شرقا، وبلاد الروم من بلاد البرّيّة جنوبيه حتَّى يأتى إلى أسوان، ثم يمتدّ من أسوان شرقا حتَّى ينتهى إلى بحر القُلْزُم مقابل أسوان على خمس عشرة مرحلة منها .

وحدّها الشرقى — يبتدئ من آخر هذا الحدّ ويمتدّ شمالا وبحرُ القُلْزُم شرقيُّه، إلى عَيْذَاب، إلى القُصَير، إلى القُلْزُم، إلى السُّوَيْس، ثم يأخذ شرقا عن بِرْكة الغُرُنْدُل التى أغرق الله تعالى فيها فرعون من بحر القُلْزُم إلى تِيه بنى إسرائيل؛ ثم ينعطف شمالا ويمرّ على أطراف الشام حتَّى ينحطّ على ما بين الزعقة ورَفَح ساحل البحر الرومىّ حيث وقعت البداءة .

وعلى هذا التحديد جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تقويم البُلْدان" والمقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "التعريف" إلا أنه فى "تقويم البُلْدان" جعل ابتداء الحدّ الشمالىّ نفس رَفَح، ونهاية الحدّ الغربىّ حدود بلاد النُّوبة؛ وفى "التعريف"

جعل ٱبتداءَ الحدّ الشمالى ما بين الزعقة ورَفَح، ونهاية الحـدّ الغربى صحراءَ بلاد الحبشة على ما تقدّم فى التحديد، والأمر فى ذلك قريب .

وخالف فى ذلك القُضَاعىّ فجعل ٱبتداء الحدّ الشَّمالىّ من العَرِيش، وليس فيه بُعْـدٌ عن رَفَح بل فى الآثار ما يدل عليه . كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

٥ وجعل الحـدّ الجَنُوبىّ يقطع بحر القُلْزُم وينتهى إلى ساحل الحجاز بالجَـوْراء : أحد منازل طريق الحجـاز من مصر؛ والحدّ الشرقىّ يمتـدّ على ساحل البحر الشرقىّ إلى مَدْيَن، إلى أَيْلَةَ ، إلى تيه بنى إسرائيل، إلى العَرِيش . فأدخل بحر القُلْزُم من حدّ الجَوْزاء إلى نهايته فى الشَّمال، وما على ساحله من برّ الحجاز مما يسامت العَرِيشَ كأَيْلَةَ ومَدْيَنَ ونحوها فى أرض مصر .

١٠ قلت : وفيه نظر ، والظاهر ما تقـدّم لأن البر الشرقىّ من القُلْزُم معدود من ساحل الحجاز من جمـلة جزيرة العرب، وهى ناحية على ٱنفرادها؛ وكأن الذى حمل القُضَاعىّ على ذلك مسامتة هذا الساحل لحدّها بساحل البحر الرومىّ على ما تقدّم .

وٱعلم أن جميع المحـدّدين لهـا وإن ٱختلفت عباراتهم فى ٱبتـداء الحدّ الشَّمالى الفاصل بينها وبين الشام، هل هو من العريش أو من رَفَح ، أو بين الزعقة ورَفَح ؟

١٥ متفقون على أن ٱبتداء الحد حيث الشجرتان ، وكأنهما شجرتان قديمتان حدد فى الأصل بهما .

قال فى "التعريف": وما إخال الان بقاءَ الشجرتين، وإنما هو موضع الشجرة التى تعلّق فيها العوامُّ الخِرَق، ويقولون هذه مفاتيح الرمل عنـد الكُثُب المجنبة عن البحر الرومىّ قريبا من الزَّعْقَة .

٢٠ قال: فأما الأشجار التى بالمكان المعروف الآن بالخرّوبة(١)، ويعرف قديما بالعُشّ، فهى وإن عظمت محدثة من زمن مَنْ حدّد الأقاليم، وليست فى موضع ما ذكروه .

(١) كذا فى الضوء والتعريف . وفى الأصل : «بالسردية» .

ثم لها طُول وعَرْضٌ، فطولها ما بين جهتى الشَّمال والجنوب، وعَرْضها ما بين جهتى المشرق والمغرب . وقد قيل : إن طولها مسيرة شهر وعرضها مسيرة شهر .

وذكر القضاعى أن ما بين العريش إلى بَرْقة أربعون ليلة .

المقصـــد العاشـــر

فى ٱبتداء عمارتها، وتسميتها مصر، وتفرّع الأقاليم التى حولها عنها

أما ٱبتداء عمارتها — فقد ذكر المؤرّخون أنها عُمِرت مرّتين :

المرّة الأولى — قبـل الطُّوفان، وأوّل من عَمَرها قبـل الطوفان نقراووس بن مصريم بن براجيل[1] بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام، نزلها فى سبعين رجلا من بنى غرباب جبابرة، فعمّرها . وهو الذى هَنْدس نيلَها وحفره حتّى أجراه، ووجه إلى البرية جماعةً هندسُوه وأصلحُوه، وبنى المُدُنَ وأثارَ المعادنَ، وعمل الطلسمات .

المرّة الثانية — بعد الطُّوفان، وأوّل من عَمَرها بعد الطوفان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، قدم إليها هو وأبوه بيصر فى ثلاثين رجلا من قومه حين قسّم نوح الأرضَ بين بنيه، فنزلوا بسفح المُقَطَّم، ونَقَرُوا فيـه منازل كبيرة نزلوا بهـا ثم ٱبتنوا مدينة مَنْف وسكنوها على ما يأتى ذكره فى الكلام على قواعد مصر القديمة إن شاء الله تعالى .

قال ٱبن لهيعَةَ : وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يُسْكِنَه الله تعالى الأرضَ الطيّبة المبـاركة التى هى أُمُّ البلاد وغَوْثُ العباد، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعلَ له فيها أفضلَ البركات، ويُسَخِّرَ له الأرضَ ولولده ويُذَلِّلَهَا لهم، ويقوّيهم عليها . فسأله عنها فوصفها له، وأخبره بها .

(١) لم تتفق الكتب على هذه الأسماء، بل كل كتاب يخالف الآخر فلذلك لم نعول عليهـا واقتصرنا على ما فى نسختنا الخطية .

وأما تسميتها مصر — فقيل : إن نقراووس بن مصريم أوّل ملوكها قبل الطوفان حين عمرها سمّـاها بآسم أبيه مصريم تبركا، وإن مصر بن بيصر إنمـا سمى بآسمه. وأكثر المؤرّخين على أنها سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام. وعلى الوجهين تكون عَلَمًا منقولا عن آسم رَجُل .

وقال الجاحظ فى رسالة له فى مـدح مصر : إنمـا سميت مِصْرَ [بمصير](١) لمصير الناس إليها .

قلت : ويجوز أن تكون سميت مصْرَ لكونها حدّا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب إذ المصر فى أصل لغة العرب آسم للحدّ بين الأرْضَيْنِ كما قاله القُضَـاعىّ . ومنه قول أهل هجر : آشتريت الدار بمُصُورها، أى بحدودها .

قال القُضَاعىّ : وكيف ما(٢) ... أما إن أريد بالمصر البـلد العظيم فإنه ينصرف ويجمع على أمصار .

وأما تَفَرُّعُ الأقاليم التى حولها عنها — فعن آبن لَهِيعة أنه لمـا آستقرّ مصر ابن بيصر بهذه البلاد هو وأبوه بيصر وإخوته : فارق، وماح، وياح وكثر أولادهم، قال له إخوته : قد علمت أنك أكبرُنا وأفضلُنا، وأن هذه الأرض أسكنك إياها جدّك نوحٌ، ونحن نضيّق عليك أرضك، ونحن نطاب إليك بالبركة التى جعلك فيها جدّك نوح أن تبارك لنا فى أرض نلحق بها ونسكنها، وتكون لنا ولأولادنا، فقال : نعم عليكم بأقرب البلاد إلىّ، لا تباعدوا منّى، فإن لى فى بلادى هـذه مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى، وتكون لى ولولدى وأولادهم. فحاز مصر لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش إلى أسوان طولا، ومن بَرْقَةَ إلى أَيْلَةَ عَرْضا. وحاز فارق لنفسه ما بين بَرْقَةَ إلى إفْرِيقيَّة، فكان ولده الأفارقة، وبذلك سميت إفْرِيقيةُ، وذلك مسيرة شهر. وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حدّ مصر إلى الجزيرة، مسيرة

(١) الزيادة عن خطط المقريزى (ج ١ ص ٢٢ طبع بلاق) .

(٢) كذا فى الأصل بدون بياض، وهو غير مستقيم، ولعله : وكيفما كان فإنها لا تنصرف . أما إن الخ .

شهر، وهو أبو نَبَط الشام ، وحاز يَاح ما وراء الجزيرة كلها من البحر إلى الشرق مسيرة شهر، فهو أبو نَبَط العراق .

وقد قال القضاعى بعد ذكر حدود مصر الأربعة : وما كان بعد هذا من الجانب الغربى فهو من فتوح أهل مصر وثغورهم من بَرْقَةَ إلى الأَنْدَلُس .

قلت : وذلك أن المسلمين بعد فتح مصر توجهت طائفة منهم إلى إفْرِيقِيَّةَ ففتحتها ، ثم توجهت طائفة من إفْرِيقِيَّةَ إلى الأَنْدَلُس ففتحته على ما سيأتى ذكره فى الكلام على مكاتبات ملوك الغرب إن شاء الله تعالى .

المقصد الحادى عشر

فى ذكر قواعدها القديمة، والمبانى العظيمة الباقية على ممر الأزمان، والقواعد المستقرة، وما فيها من الأبنية الحسنة

وقواعدها القديمة على ضربين :

الضرب الأول

ما قبل الطوفان

والمعروف لها إذ ذاك قاعدتان :

القاعدة الأولى — مدينة "أمسوس" وهى أوّل مدينة بنيت بالديار المصرية قبل الطوفان، بناها نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام ، أوّل ملوك مصر قبل الطوفان ، وموضعها خارج الإسكندرية تحت البحر الرومى كما ذكره بعض المؤرّخين، وشقّ لها نهرا يتّصل بها من النيل .

القاعدة الثانية — مدينة "برسان" وهى مدينة بناها نقراووس المتقدّم ذكره لابنه مصرايم وأسكنه فيها، ولم أقف على مكانها .

الضـــــرب الثـانى

قـــواعدها فيا بعـــد الطوفان

والمشهور منها ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى — مدينـة "مَنْف" قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الميم وسكون النون وفاء فى الآخر) والجارى على الألسـنة منف (بفتح المـيم) وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وهى أوّل مدينـة بنيت بمصر بعد الطوفان ، بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام حين نزل مصر .

قال فى "الروض المعطار": وأصلها بالسريانية مافه ، ومعناها بالعربية ثلاثون ؛ وذلك أن مصر حين نزلها كان فى ثلاثين رجلا من أهل بيته ، فسماها بعددهم .

قال ابن الأنبارى فى كتابه "الزاهر": وهى على اثنى عشر ميلًا من الفُسْطَاط .

قلت : ومَنْفُ هـذه فى جنوبى الفُسْطَاط على القـرب من البـلدة المعروفة بالبَدْرَشِين من عمل الجيزة ، وهى المعروفة بمصر القديمة ، وقد خربت وصارت كيمانا ، وبها آثار بنيان من الحجر الكَذَّان يوجد تحت الردم ، على القرب من أحجار الأهرام فى العظمة والمقدار ، وبوسطها آثار بِرْبَاةٍ عظيمة ، بها صنمان عظيمان من حجر صوّان أبيض ، طول كل صنم منهما نحو عشرين ذراعا ، وهمـا مطروحان على الأرض ، وقد غطّى الطين أسفلَهما .

وكان على القرب منهما بيت عظيم من حجر أخضر ، قطعة واحدة : جوانبه الأربعة وأرضه وسـقفه ، ولم يزل على ذلك إلى الدولة الناصرية حسن بن الناصر محمـد بن

قلاوون، وأراد الأمير شيخو أتابك العساكر نقله إلى القاهرة صحيحا فعولج فآنكسر
فأمر بأن تنحت منه أعتاب فنحتت وجعل منها أعتاب خانقاه وجامعه بصليبة
الجامع الطولونى؛ وشرقى هذه المدينة معالم سور مبنى بالحجر الكذّان النحيت فصوصا
صغارا بالطين والجير الذى قد علمت، لونه لون الحجر. ويقال : إنه سور الأهراء
التى بناها يوسف عليه السلام لأدخار الحنطة فى سنبلها . ٥

ويذكر بعض أهل تلك البلاد أنه يوجد بعض السُّنْبُل الذى أخبر به يوسف
عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن . وأنه فى المقدار فوق مقدار الحنطة
المتعارفة بقليل .

وفى شمالىّ هذه المدينة بلدةٌ صغيرة تعرف بالعزيزية، يقال إنها كانت منزلة
العزيز وزير الملك، وهناك مكان على القرب منها يعرف بزَلِيخَا ، وفى غربيّها إلى ١٠
الشَّمال فى سفح جبل مصر الغربىّ سِجْن يوسف عليه السلام، وإلى جانبه مسجد
موسى عليه السلام، وعلى القرب من السُّور المقدّم ذكره مسجد يعقوب عليه السلام.
ويقال: إن النيل كان تحت هذا السُّور، وهناك مكان يعرف بالمقياس إلى الآن.

*
* *

القاعدة الثانيه — مدينة "الإسكندرية" نسبة إلى الإسكندر بن فيلبس ١٥
المقدونى ملك اليونان المقدّم ذكره.

وقد ذكر القضاعى : أنه كان بها عدة عجائبَ، من أعجبها المَنَارة، وهى منارة
مبنية بالحجر والرصاص آرتفاعها فى الهواء ثلثمائة ذراع كل ذراع ثلاثة أشبار، وقيل
أربعمائة ذراع، وقيل مائة وثمانون ذراعا، وقيل بالحجر(1) لغلبة الجير فيه . وعلى رأسها
مرآة من أخلاط يرى فيها من حضر إليها على بُعْدٍ، وتهتدى بها المراكب السائرة ٢٠
إلى الإسكندرية إذ برها منخفض لا جبال فيها، تحرق بشعاعها ما أرادوا إحراقه
من المراكب الواصلة ، آحتال عليها النصارى فى أوائل الإسلام فى خلافة الوليد

(1) لعله وقيل بالجير أى هى مبنية بالحجر والرصاص وقيل بالجير الخ تأمل .

آبن عبد الملك الأموىّ فكسروها ، وتداعى هدم المنارة شيئا فشيئا إلى أوساط المائة الثامنة فآستؤصلت وبقى أثرها .

(ومنها) المَلْعَبُ الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بكُرَةٍ فلا تقع فى حِجْرِ أحد إلا ملك مصر ؛ وإن حضر فيــه ألف ألف من الناس كان كل منهم ناظرا فى وجه صاحبــه ؛ وإن قرئ كتاب ، سمعوه جميعا ؛ أو أُتِى بنوع من اللعب رَأَوْهُ عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العِلْيَةِ والسِّفلَةِ .

وكان من غريب هذا المَلْعَب أن عمرو بن العاص رضى الله عنــه حضر فيه فى الجاهلية فى يوم لَعِبِ الكُرَةِ فوقعت الكرة فى حِجْرِه ، وهم لا يعرفونه ، فتعجب القوم منه وقالوا : ما رأينا هــذه الكُرَة كذبت قطُّ إلا هذه المرة ، فآتفق أَنْ ملكها فى الإسلام . و (عمود السَّوارى) الذى بظاهر الإسكندرية الآن أحد عُمُدِ هذا الملعب ، وهو عمود عظيم يرمى الرجل القوىّ السهمَ عن قَوْسٍ قوىّ فلا يبلغ رأسه .

(ومنها) عمودا الإعياء ، وهما عمودان ملقيان وراء كل منهما جبل حَصْباؤُه كصُبَرِ الجمار بمِنًى يُقْبِل العيىّ بسبع حصيات حتى يستلقىَ على أحدهما ، ثم يرمى وراءه بالسبع و يقوم ولا يلتفت ، ويمضى لطَّيته فلا يُحِسّ بشىء من تعبه .

(ومنها) القبة الخضراء ، وهى قبة ملبسة نُحَاسا كأنه ذهب إبريز لا يُبْلِيه القِدَم ولا تُخْلِقه الدهور .

(ومنها) المِسَلَّتَان ، وهما جبلان[1] قائمان على سَرَطانات نحاس فى أركانهما كل ركن على سرطان ، فلو أراد مريد أن يدخل تحتها شيئا إلى الجانب الآخر لفعل .

قال آبن الأثير فى " عجائب المخلوقات " : وهاتان المِسَلَّتان إحداهما فى الركن الشرقى من البلد ، والثانية ببعض البلد ، وهمــا عمودان مُرَبَّعَان مــن حجر أحمر ، وعَرْض قواعدهما من الجهات الأربع أربعون شبرا ، طول كل واحدة منهما خمس قامات ، وأعلاها مُسْتَدِقٌّ ، وعرض[2] قاعدتهما من الجهات الأربع أربعون شبرا .

(١) لعله هيكلان ، أو بناءان . (٢) يظهر أنه مكرر مع المذكور فى السطر قبله .

ويقال : إن عليهما مكتوب بالسريانية : "أنا يَعْمَر بن شدّاد، بنيت هذه المدينة وأردت أن أجعل فيها من الآثار المعجزة، والعجائب الباهرة، فأرسلت البتون بن مرة العادىّ ومقدام بن يعْمَر بن أبى رِغَال الثمودى إلى جبل بَرِيم الأحمر، فاقتطعوا منه حجرين وحملاهما على أعناقهما ، فانكسرت ضلع البتون ، فوددْت أن أهل مملكتى كانوا فداء له ، فأقامهما القطن بن حازم(١) المؤتفكى فى يوم السعادة" .

وقد قيل فيها : إنها إرَمُ ذات العِمَادِ، ولم تزل عامرة إلى الفتح الإسلامى، فلما فتحها عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

" أما بعد ، فإنى فتحت مدينة لا أَصِفُ ما فيها ، غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بِنْيَة، وأربعة آلاف حَمَّام، وأربعون ألف يهودى عليهم الجزية ، وأربعمائة مَلْهًى للملوك" . ويقال : إنه وجد فيها أربعة آلاف بَقَّالٍ يبيعون البَقْل، وكان فيها من الروم يومئذ مائة ألف من أهل القوّة لحقوا بأرض الروم فى المراكب ، وكان مَنْ بقى ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

قلت : وقد ذهب جلُّ ذلك وزال أكثره، ولم يبق من عجائبها ظاهرا إلا عمود السَّوارى، وهو عمود عظيم من حجر صوّان خارج المدينة لا يكاد يكون له نظير فى الدنيا، ويقال : إنه كان قبلها مدينة فى مكانها تسمَّى رقودة(٢) بناها مصر بن بيصر بن حام ابن نوح المتقدّم ذكره حين بنى مدينة مَنْف، وعلى مِنْوالها نسج الإسكندر مدينته .

* * *

القاعدة الثالثة — "قَصْرُ الشَّمَعِ" الذى هو داخل مدينة الفُسْطَاطِ الآن ، وهو المعبر عنه فى كتب الفتوح بالحصن، بناه كسرجوس الفارسى أحد نواب مَلِك الفُرْس عند استيلائهم على مصر بعد غلبة بُخْت نَصَّر الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها .

(١) فى ياقوت : قطن بن جارد . (٢) كذا فى المقريزى (ج ١ ص ١٤٥) ونهاية الأرب للنويرى (ج ١٢ من النسخة الفتوغرافية) وفى الأصل « رقوره » .

قال القضاعى : ولم يكمله وإنما كمله الروم بعد ذلك[1] ... التى فتحت مصر وهى مقرّة الملوك بها . وقد قيل : إن المُقَوقِس كان يقيم بالإسكندرية أربعة أشهر من السنة، وبمدينة منف أربعة أشهر، وبقصر الشمع أربعة أشهر .

واعلم أنه قد كان بالديار المصرية مستقَرّات أخرى عظام كانت قواعد لبعض ملوكها فى بعض الأزمان، ومدن دون ذلك يأتى الكلام على جميعها بعد ذكر الكور القديمة والأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالى .

***

وأما المبانى العظيمةُ الباقية على ممرّ الأزمان — فاعلم أن ملوك مصر الأقدمين كان لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم، وكانوا يتفاخرون بذلك لإخباره على طول الزمن بعظَمة مُلْكهم واقتدارهم على ما لم يبلغه غيرهم . ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام) وهى قُبورٌ اتخذوها فى غاية الوَثاقة حفظا لأجسامهم، وكان لهم بها العناية التامة، وابتنَوْا منها عدة بالجَبَل الغربى من النيل، بعضها مقابل الفُسْطَاط، وبعضها ببُوصير السِّدْر وسَقَّارَة ودَهْشُور من الأعمال الجيزية ، وبعضها بمَيْدُومَ من البهنساوية؛ وأعظمها خَطَرا وأجلُّها قدرا الهَرَمَانِ المقابلان للفُسْطَاط ، يقال إن طول عمود كل هرم منهما ثلثمائة وسبعة عشر ذراعا، تحيط بها أربعة سطوح متساوية الأضلاع، طول كل ضلع منها أربعمائة وستون ذراعا .

قال أبو الصلت : ليس على وجه الأرض بناءٌ باليد حجر على حجر بهذا المقدار.

ويقال : إن لها أبوابا فى أزَج فى الأرض طول كل دَرَج مائة وخمسون ذراعا؛ وباب الهَرَم الشرقى من الجهة البحرية ، وباب الهرم الغربى من الناحية الغربية .

(١) عبارة المقريزى فى خططه (ج ١ ص ٢٨٧) : «وقال القضاعىّ : ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع ، يقال : إن فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام وملكت مصر بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على أيديهم إلى أن ظهرت الروم عليهم فتممت بناءه وحصنته ولم تزل فيه إلى حين الفتح » ومحلها بياض بالأصل .

والصابئة تحجّ هـذين الهَرَمَيْن ويقولون : إن أحدهما قبر إدريس عليـه السلام، والآخَر قبر آبنه صابئ الذى إليه ينتسبون .

وقد آختلف فى بانيها فأكثر المؤرخين على أن بانيها سوريد[1] بن سهلوق أحد ملوك مصر قبل الطوفان ، الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها فيما بعـدُ إن شاء الله تعالى، جعلها قبورا لأجسادهم، وكنوزا لأموالهم، حين أخبره مُنجّموه وكَهَنَتُه بما دلهم عليه الرَّصْد النجومىّ من حدوث حادثة تعمّ الأرض؛ ورجّحه محمد بن عبد الله آبن عبد الحكم وقال : لو بُنِيت الأهرام بعد الطوفان ، لكان علمها عند الناس .

وذكر آبن عُفَير عن أشياخه أن بانيها جَيّاد بن مياد بن شمر بن شدّاد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . قال : ولم تزل مشايخ مصر يقولون: إن الذى بناها شدّاد بن عاد . وذهب المسعودى وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام .

وقال آبن شبرمة : بنتها العمالقة حين ملكوا مصر . وبالجملة فهما من أعظم الآثار وأقدمها وأجلّ المبانى وأدومها؛ ولله القائل :

أُنظُرْ إلى الهَرَمَيْنِ وآسْمَعْ مِنْهُمَا * ما يَرْوِيَانِ عَنِ الزَّمانِ الغابِرِ
لَوْ يَنْطِقانِ ، لَخَـبَّرَانَا بِالَّذِى * صَنَـعَ الزمانُ بأَوَّلٍ وبآخِرِ

وكيفما كان فمآلها إلى الخراب، شأن الدنيا ومبانيها .

وقد كان المأمون ، أحد خلفاء بنى العَبّـاس ، حين دخل إلى مصر فى سـنة ست عشرة ومائتين قصد هدمهما فلم يقدر، فأعمل الحيلة فى فتح طاقة فى أحدهما يتوصل منها إلى مزلقان ، يصـعد فى أعلاه إلى قاعة بأعلى الهرم، بها ناووس من حجر، وينزل فى أسـفله إلى بئر تحت الأرض لم يعـلم ما فيها . ويقال : إنه وَجَدَ

(١) الثابت الآن تاريخيا بعد الاستكشافات وقراءة الحروف الهيروغليفية أن بانى الهرم الكبير الملك خوفو ، و بانى الهرم الثانى الملك خفرع ، و بانى الهرم الثالث الملك منقرع . وآستكشف العالم الأثرى الجليل الأستاذ سليم حسن بك فى هذه الأيام هرما رابعا بجوارها .

فى أعلاه مالا فاعتبره فإذا هو قــدر المــال الذى صرفه من غير زيادة ولا نقص؛ وقد أخذ الآن فى قطــع حجارتهما الظاهرة لاتخاذ البــلاط منها . فإن طال الزمان يوشك أن يخربا(١) كغيرهما من المبانى .

ولله المتنبى حيث يقول :

أَيْنَ الذى الهَرَمانِ من بُنْيَانِه؟ * ماقَوْمُهُ؟ما يَوْمُهُ؟ما المَصْرَعُ؟

تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عن أصحابها * دَهْرًا، ويُدْرِكُها الفَنَاء فتَتْبَعُ!

قال إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" : وقد قيــل إن هوجيب أحد ملوك مصر قبــل الطوفان أيضا بنى الهَرَمَ الكبير الذى بدَهْشُور ؛ والثانى بناه قِفْطِريم، بن قِفط، بن قبطيم، بن مصر، بن بيصر، بن حام، بن نوح عليه السلام بعد الطُّوفان .

قال القُضاعىّ : أما الهَرَمُ الذى بدير أبى هِرْمِيس، وهو الهرم المدرّج، يعنى الذى شمالىَّ أهرام دهشور، فإنه قبر قرياس، وهو فارس أهل مصر، كان يعدّ فيهم بألف فارس، فلما مات جزع عليه ملكه و بنى له هذا الهرم فدفنه فيه .

قال : وقبر الملك نفسه الهَرَمُ الكبير من الأهرام التى غربىّ دير أبى هِرْمِيس، وعلى بابه لوح من الحجر الكذّان طوله ذراع فى ذراع مكتوب بالخــط البرباوىّ(٢) .

ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حِكَمِهم (البَرَابى) وهى بيوت عبادة كانت لهم، زَبَرُوا فيها حِكَمَهم ، ورقموا تواريخ ملوكهم، وصوّروا فيها صُوَر الأمم التى حولهم . فمتى قصدتهم أمة من الأمم، أوقعوا بصُوَرهم المصوّرة من النَّكال ما أرادوا، فيُصيب تلك الأمة على البُعْد ما أوقعوه بتلك الصور، إلى غير ذلك من الحِكَم التى أودعوها والطِّلَّسْمَات التى وضعوها بجُدْرانها .

(١) لا يزلان إلى الآن (١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م) وتقوم الحكومة بالمحافظة عليهما وعلى جميع الآثار بالديار المصرية ، و يعتبران من مفاخر مصر الخالدة .

(٢) هو المعروف الآن بالخط الهيروغليفى .

ويقال : إن أوّل من بنى البرابى بمصر دَلُوكة العجوز، التى ملكت مصر بعد فرعون لعنه الله !

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد أخبرنى الحكيم شمس الدين محمد بن سعد الدمَشْقىّ أنه رآها وتأملها، فوجدها مشتملة على جميع أشكال الفلك ، وأن الذى ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولَّى عليها قوم بعد قوم حتَّى تكاملت فى دَوْرٍ، ٥
وهو ثلاثون ألف سنة ، لأن مثل هذه الأعمال لا تُعمل إلا بالأرصاد ولا يكمل رصد المجموع فى أقل من هذه المدّة .

قلت : ويجوز أن يكون الرَّصْدُ حصل على الوجه المذكور، وزُبِرَ ورُقِمَ فى الكُتُب، فلما بنى الثانى هذه البرابىَ ، نقل منها ما زُبِرَ فى الكتب من ذلك الزمن المتقدّم . ١٠

وآعلم أن أكثر البرابى بالوجه القبلىّ من الديار المصرية ، وبالوجه البحرىّ القليلُ منها، وقد آستولى الخراب على جميعها، وذهبت معالمها ولم يبق إلا آثارها، والذى وقفتُ عليه فى التواريخ، ووقفتُ على آثار غالبه ورسومه سبعُ بَرَابٍ :

(منها) بربا سَمَنُّودَ؛ كانت بظاهر سَمَنُّود من الأعمال الغربية بالوجه البحرىّ.

قال الكندىّ : رأيتها وقد خَزَّنَ فيها بعضُ عُمَّالها قَرَضا فرأيت الجمل إذا دنا من بابها بحمله وأراد أن يدخلها، سقط كل دبيب فى القرظ فلا يدخل منها شىء إلى البربا . ١٥

قال القضاعى : ثم خربت عند الخمسين وثلثمائة .

(ومنها) بربا تُمَىّ بالمُرْتاحية من الوجه البحرى على القُرْب من مدينة تُمَىّ الخراب، وعامة أهل تلك الناحية يقولون بربا عاد، وهى باقية بجُدْرانها، وسقوفُها ٢٠

من أعظم الحجارة العظيمة، إلى الآن باقية، وبأعلى بابها قطعة مبنية بالطوب الآجُرّ والجِصّ، وداخلها أحواض عظيمة من الصوّان غريبة الشأن .

(ومنها) بربا إخميم، وهى بربا بظاهر مدينة إخميم من الوجه القبلى، كانت من أعظم البرابى وأحسنها صنعةً وأكبرها حكمةً، ولم تزل عامرة إلى أواسط المائة الثامنة، فأخَذ فى هدمها والعمارة بأحجارها خطيب إخميم، ولم يَبْق إلا آثارها، وبعض جُدْرانها قائمة إلا الآن .

(ومنها) بربا دَنْدَرَة من الأعمال القُوصية .

قال القضاعى : وهى بربا عجيبة فيها مائة وثمانون كُوّة تدخل الشمس فى كل يوم فى كوّة منها، ثم تكُرّ راجعة إلى الموضع الذى بدأت منه، وهى الآن خراب لم يبق إلا آثارها .

(ومنها) بربا الأقْصُر : وكانت بربا عظيمة فهُدمت أيضا، ولم يبق منها إلا آثارها .

ومن بقايا الآثار بها صنم عظيم من حجر صوّان أملس، قائم على باب ضريح الشيخ أبى الحجاج الأُقْصُرى على حاله إلى الآن، ومر عليه زمنُ الشيخ وهو على ذلك، ولعله إنما أراد ببقائه التنبيه على ضعف عقول عَبَدَة الأصنام لكونهم يعبدون حجرا مثل هذا .

(ومنها) بربا أَرْمَنْت، وهى بربا صغيرة قد ذهبت معالمها، ولم يبق بها إلا عُمُد صوّان قائمة من غير شىء محمول عليها .

(ومنها) بربا إسْنا، وهى متوسطة القدر بين الكبر والصغر، وقد بقى منها قطعة جيدة جُعلت شونة للغلال، وأهل إسنا يذكرون أن الفأر لا يدخلها، وإن دخلها مات .

ومن الآثار العجيبة بمصر أيضا مِسَلّتان بعين شمس على القرب من المَطَرِيّة من ضواحى القاهرة من حجر صوّان أحمر محدّدتا الرأسين. ذكر القضاعى: أنّ الشمس تطلعُ على الجنوبية منهما فى أقصر يوم فى السنة، وعلى الشّمالية فى أطول يوم فى السنة، وتتردّد فيما بينهما فى بقية السنة. وذكر أنه كان عليهما صَوْمعتان من نُحَاس، إذا كان زمن زيادة النيل تقاطرَ الماء من أعلاهما إلى أسفلهما؛ فينبتُ حولها العَوْسَجُ، وما فى معناه من الحشيش.

ومن العجائب حائطُ العجوز، وهو حائط من لَبِنٍ، بنتها دَلُوكَة ملكة مصر بعد فرعون، من العَرِيش إلى أسْوان، دائرة على أراضى مصر من شرقيّها وغربيّها فى لِحف جبليها؛ وجعلت بين كل ثلاثة أميال مَحْرَسا، وشقّت خليجا من النيل إلى جانبها، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرقى والجانب الغربى.

المقصد الثانى عشر
فى ذكر قواعدها المستقرّة

وهى ثلاث قواعد، قد تقاربت وآختلطت حتّى صارت كالقاعدة الواحدة.

القاعدة الأولى
مدينة الفُسْطَاط

(بفاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانية فى الآخر). ويقال فيه فُسْتَاط بإبدال الطاء الأولى تاء وفُسَّاط. قال الجوهرى: وكسر الفاء لغة فيهن؛ وهى المدينة المعروفة بين العامة بمصر وآسمها القديم باب أَلْيُونَ[1].

قال أبو السعادات بن الأثير فى نهايته: (بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ونون فى الآخر).

(١) وفى ياقوت: «بابليون» الباء الثانية مكسورة واللام ساكنة وقد ذكره أيضا فى أليون.

قال القضاعى : وهو آسمها بلغـة الرُّوم والسُّودَانِ، ولذلك يعرف القصر الذى بالشرق بباب أَلْيُونَ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ثلاث وخمسون درجة، وعَرْضها ثلاثون درجة وعشر دقائق .

٥ وقال فى "القانون" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة، وعَرْضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال آبن سـعيد : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال فى "رسم المعمور" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

١٠ والذى عليـه عمل أهل زماننا فى وضـع الآلات وغيرها طول خمس وخمسين درجة، وعرض ثلاثين .

واختلف فى سبب تسميتها بالفُسْطَاط، فقال آبن قُتَيْبَةَ : إن كل مدينة تسمّى فُسْطَاطًا ، ولذلك سميت مصر الفُسْطَاطَ .

وقال الزَّمَخْشَرِىّ : الفُسْطَاطَ آسم لضَرْب من الأبنية ، فى القدر دون السُّرادِقِ.

١٥ والذى عليـه الجمهور أنه يسمّى بذلك لمكان فُسْطَاط عمرو بن العـاص رضى الله عنـه يعنى خيمته، وذلك أن عمرا لمـا فتح الحصن المعروف بقصر الشمع فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة وآسـتولى عليه ضرب فُسْطَاطَه على القرب منه ، فلما قصد التوجه الى الإسكندرية لفتحها، أمر بنزع فُسْطَاطِه للرحيل، فإذا بحَمَام قد أفرخ فيه فقال : لقـد تحرّم منا بحرم، وأمر بإقرار الفسطاط مكانه؛ وأوصى على الحَمَام، وسار إلى الإسكندرية ففتحها ، ثم عاد إلى فُسْطَاطِه ونزل به ونزل الناس

٢٠ حوله ، وآبتنى داره الصغرى التى هى على القرب من الجامع العتيق مكانَ فُسْطَاطِه وأخذ الناس فى الآختطاط حوله فتنافست القبائل فى المواضع والآختطاط، فولّى عمرو

على الخطط معاوية بن حُدَيْج التُّجِيبِيّ، وشريك بن سُمَيّ الغُطَيفِيّ، وعمرو بن قَحْزَم الخَوْلَانِيّ، وحَيْوِيل بن ناشرة المَعَافرى، ففصلوا بين القبائل وأنزلوا الناس منازلهم، فآختطوا الخطط وبَنَوُا الدور والمساجد، وعُرِفت كل خطة بالقبيلة أو الجماعة التي آختطتها أو بصاحبها الذي آختطها .

فأما الخطط والآدُرُ التي عرفت بالقبائل والجماعات :

(فمنها) خِطَّةُ أهل الراية، وهم جماعة من قُرَيْش، والأنصار، وخُزَاعَةَ، وأَسْلَمَ، وغِفَار، ومُزَيْنَةَ، وأَشْجَعَ، وجُهَيْنَةَ، وثَقِيف، ودَوْس، وعَبْس بن بَغِيض، وجُرَش من بنى كِنَانَةَ، ولَيْث بن بكر؛ لم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان فجعل لهم عمرو بن العاص رايةً لم ينسبها إلى أحد، وقال : يكون وقوفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها فعُرِفوا بأهل الراية، وآنفردوا بخِطَّة وحدهم، وخِطَّتهم من أعظم الخطط وأوسعها .

(ومنها) خِطَّة مَهْرَةَ، وهم بنو مَهْرَةَ بن حَيْدانَ بن عمرو بن الحَاف بن قُضَاعَةَ آبن مالك بن حِمْيَرَ، من قبائل اليَمَن .

(ومنها) خِطَّة تُجِيبَ ، وهم بنو عَدِيّ وسعد آبنى الأَشْرَس بن شَبِيب بن السَّكَن بن الأشرس بن كِنْدَة؛ وتُجِيبُ آسم أمهما عرفت القبيلة بها .

(ومنها) خِطَطُ لَخْم، وهى ثلاث : الأولى، بنو لخم بن عَدِيّ بن مُرَّة بن أُدَد[1]، ومَنْ خالطهم من جُذَام . والثانية، بنو عبد ربه بن عمرو بن الحارث بن وائل آبن راشدة بن لَخْم . والثالثة، بنو راشدة بن أَذَبّ بن جَزِيلة بن لَخْم .

(ومنها) خِطَطُ اللَّفِيف، وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلى مراكب الرُّوم حين بلغ عمرًا[2] قدومُهم الإسكندرية عند فتحها، فقال لهم عمرو، وقد

(١) كذا فى آبن دقماق أيضا ووقع فى المقريزى : "بنو رية" وهو تصحيف .

(٢) فى خطط المقريزى وآبن دقماق : "فقال لهم عمرو بن جمالة" .

آستكثرهم : إنكم لكما قال الله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ فسُمُّوا اللَّفيف من يومئذ .

(ومنها) خِطَط أهل الظاهر، وهم جماعة من القبائل قَفَلوا من الإسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم، فتحاكموا إلى معاوية ابن حُدَيْج الذى جعله عمرو على الخِطَط ، فقال لهم : إنى أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل، فسميت منازلهم الظاهر .

(ومنها) خِطَطُ غَافِق، وهم بنو غافق بن الحارث بن عَكّ بن عُدْثَانَ بن عبد الله بن الأَزْد .

(ومنها) خِطَط الصَّدِف (بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين) . وهم بنو مالك ابن سَهْل بن عمــرو بن قيس بن حِمْيَر من قبائل اليَمَن ، وقيل بنو مالك بن مُرَتّع ابن كِنْدة، سمي الصَّدِف لأنه صَدَف بوجهه عن قومه حين أتاهم سَيْلُ العَرِم .

(ومنها) خِطَط خَوْلَانَ، وهم بنو خَوْلان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عَرِيب .

(ومنها) خِطَطُ الفارسيين، وهم بقايا جند باذانَ، عامل كسرى ملك الفُرْس على اليَمَن .

(ومنها) خِطَط مَذْحِج، وهم بنو مالك بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن كَهْلان بن عبد الله .

(ومنها) خِطَّة يَحْصُبَ ، وهم بنو يَحْصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غَوْث بن حِمْيَرَ .

(ومنها) خِطَّة رُعَيْنٍ، وهم بنو رُعَين بن زيد بن سهل بن يَعْفُرَ بن مُرَّة بن أُدَدَ .

(ومنها) خِطَّة بنى الكُلَاع، وهو الكُلَاعُ بن شَرَحْبيلَ بن سَعْد بن حِمْيَرَ .

(ومنها) خِطَّة المَعَافِر، وهم بنو المَعَافر بن يَعْفُرَ بن مُرَّة بن أُدَدَ .

(ومنها) خِطَط سَبَإٍ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سَبَإٍ .

(ومنها) خطَّة بنى وائل، وهو وائل بن زيد مناة بن أَفْصى بن إياس بن حَرَام ابن جُذَام بن عدىّ .

(ومنها) خِطّة القَبَض، وهم بنو القَبَض بن مَرْثِد .

(ومنها) خِطَط الحَمْراوات ، وهى ثلاث، سميت بذلك لنزول الروم بها ، وهم حمر الألوان :

الأولى — الحمراء الدُّنيا، وبها خطة بَلِيّ ، وهم بنو بَلِيّ بن عمرو بن الحَاف بن قُضَاعَة إلا من كان منهم فى أهل الراية؛ وخِطّة ثراد من الأزد ؛ وخطة فَهْم، وهم ٥ بنو فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلاَن، وخطة بنى بحر بن سَوَادة من الأَزْد .

الثانية — الحمراء الوُسْطى، وبها خطة بنى نبـه، وهم قوم من الروم حضروا الفتح ؛ وخِطّة هُـذَيل، وهم بنـو هذيل بن مُدْرِكَة بن إِلْيَـاس بن مُضَر؛ وخِطّة بنى سَلاَمَان من الأَزْد .

١٠ الثالثة — الحمراء القُصْوى، وهى خطة بنى الأزرق من الرُّوم، وحضر الفتح منهم أربعمائة رجل؛ وخِطّة بنى يَشْكُر بن جَزِيلَة من لَخْم، وإليهم ينسب جبل يَشْكُر الذى بُنِى عليه جامع أحمد بن طولون الآتى ذكره مع جوامع الفُسْطَاط إن شاء الله تعالى .

(ومنها) خِطَط حَضْرَمَوت، وهم بنو حَضْرَمَوت بن عمرو بن قَيْس بن معاوية ابن حِمْيَر؛ إلى غير ذلك من الخطط التى دَرَسَتْ قبل الاهتمام بالتأليف فى الخِطَط .

١٥ * * *

واعلم أنه كان فى خلال هذه الخِطَط دُور جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم ممن حضر الفتح .

(منها) دار عمرو بن العاص، ودار الزُّبَيْر بن العوام، ودار قَيْس بن سَعْد بن عُبَادة الأنصارى، ودار مَسْلَمَة بن مُخَلَّد الأنصارى، ودار عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِىّ، ٢٠ ودار وَهْب بن عُمَير بن وَهْب بن خَلَف الجُمَحِى، ودار نافع بن عبد القيس بن لَقِيط الفِهْرى، ودار سَـعْد بن أبى وَقَّاص ، ودار عُقْبَـة بن عامر الجُهَنِىّ ، ودار القاسم

وعمرو ٱبنَىْ قيس بن عمرو، ودار عبد الله بن سـعد بن أبى سَرْح العـامرىّ، ودار مسعود بن الأسود بن عبد شمس بن حَرَام البَلَوىّ، ودار المستَوْرِد بن شداد الفِهْرِىّ، ودار حُيَىّ بن حَرَام اللَّيثىّ، (وفى صحبته خلاف)، ودار الحـارث بن مالك اللَّيثى المعروف بابن البَرْصاء، ودار بِشْر بن أَرْطاة العامرىّ، ودار أبى ثعلبة الخُشَنِى، ودار إياس بن البُكَير الليثىّ، ودار مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة القُرَشِىّ العَدَوِىّ ، ودار أبى الدَّرْدَاء الأنصارىّ، ودار يعقوب القِبْطِىّ رسول المُقَوْقس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم مع مارِيةَ: أمّ ولده إبراهيم وأختها شِيرين، ودار مُهَاجِر مولى أم سَلَمَة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلم، ودار عُلْبَةَ بن زيد الأنصارىّ، ودار محمد بن مَسْلَمَة الأنصارىّ، ودار أبى الأسـود مَسْروح[1] بن سندر الخصىّ ، ودار عبد الله بن عُمَر ابن الخَطّاب، ودار خارجة بن حُذَافة بن غانم العَـدَوِىّ، ودار عُقْبَة بن الحارث ، ودار عبد الله بن حُذَافة السهمىّ ، ودار محمية بن جَزْء الزُّبَيـدِىّ، ودار المُطَّلب بن أبى وَدَاعـة السَّهْمِىّ، ودار هُبَيْب بن مَعْقِـل الغِفارىّ، وبه يعرف وادى هُبَيْب بالقرب من الإسكندرية، ودار عبـد الله بن السائب المخزومى، ودار جَبْر القِبْطىّ رسول المُقَوْقِس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ودار يزيد بن زياد الأسْلَمِىّ، ودار عبد الله بن ريَّان الأسلمىّ، (وفى صحبته خلاف) ، ودار أبى عميرة رشيد بن مالك المُزَنِىّ، ودار سِبَاع بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِىّ، ودار نضلة بن الحارث الغِفَارىّ، ودار الحارث بن أسـد الخزاعىّ (وفى صحبته خلاف)، ودار عبد الله بن هشام بن زُهَرَة من ولد تيم بن مُرّة، ودار خارجة[2] بن حُذَافَـة بن غانم العـدوىّ، وهو أوّل من ٱبتنى غُرْفـة بالفُسْطَاط ، فكوتب عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فى أمرها فكتب إلى عمرو بن العاص: أن ٱدخُل غرفة خارجة وٱنْصِب فيها سريرا، وأقِم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، فإن ٱطَّلع من كُوَّاها فٱهدِمْها ، ففعل عمرو فلم

(١) كذا فى المقريزى (ج ٢ ص ١٣٧) وهو مولى زنبـاع بن روح بن سلامة الجذامى، يكنى أبا الأسود، له صحبة، قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالوصاة فأقطع منية الأصبغ ابن عبد العزيز. وفى الأصل: «مسروح بن سدر الخصى». (٢) تقدّم قريبا فهو مكرّر.

يبلغ الكوى فأقرها ، ودار محمد بن حاطب الجُمَحى ، ودار رِفاعة الدَّوْسِىّ ، ودار فضالة بن عبيد الأنصارىّ ، ودار المطلب بن أبى وَدَاعة السهمىّ[1] . إلى غير ذلك من الدور التى أغفلت ذكرَها أصحابُ الخِطَط .

قلت : وكان أمراء مصر القائمون مقام ملوكها الآن ينزلون بالفُسْطاط ، ولم يكن لهم فى ٱبتداء الأمر مَقَرَّة معيَّنة ، ولا دارٌ للإمارة مخصوصة . فنزل عمرو بن العاص أوّلُ أمرائها بداره على القرب من الجامع ، ولم يزل كلُّ أمير بعده ينزل بالدار التى يكون بها سكنه إلى آخر الدولة الأمَوِيَّة ، وكان عبد العزيز بن مَرْوانَ ، وهو أمير مصر فى خلافة أخيه عبد الملك بن مَرْوانَ قد بنى دارا عظيمة بالفُسْطاط سنة سبع وستين من الهجرة وسماها دار الذهب ، وجعل لها قُبَّة مُذْهَبة إذا طلعت عليها الشمس لايستطيع الناظر التأملَ فيها خوفا على بصره ، وكانت تعرف بالمدينة لسَعَتها وعِظَمها ، وكان عبد العزيز ينزلها ، ثم نزلها بنوه بعده . فلما هرب مَرْوان بن محمد آخرُ خلفاء بنى أُمَيَّةَ إلى مصر ، نزل هذه الدار فلما رهِقَه القوم ، أمر بإحراقها ، فلامه فى ذلك بعض بنى عبد العزيز بن مَرْوانَ فقال : إن أَبْقَ ، أَبْنها لَبِنَةً من ذهب ولَبِنَةً من فِضَّة ، وإلا فما تصاب به فى نفسك أعظم ، ولا يتمتع بها عدوك من بعدك .

فلما غلب بنو العبّاس على بنى أُمَيَّةَ وهرب مَرْوانُ بن محمد آخرُ خلفاء بنى أُمَيَّةَ إلى الديار المصرية ، وتبعه علىّ بن صالح بن علىّ الهاشمىّ إلى أن أدركه بمصر وقتله وٱستقر أميرا على مصر فى خلافة السَّفّاح أوّلِ خلفاء بنى العباس ، ٱبتنى دارا للإمارة ونزلها ، وصارت منزلةً للأمراء بعده إلى أن وَلِى أحمد بن طولون الديار المصرية فنزل بها فى أوّل أمره ، ثم ٱختطَّ بعد ذلك قَصْره المعروف بالمَيْدان فيما بين قلعة الجبل الآن والمَشْهد النَّفيسىّ وما يلى ذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين ،

(١) سبق ذكرها فإعادتها سهو .

وكان له عدّة أبواب : بعضها عند المشهد النفيسىّ ، و بعضها عند جامعه الآتى ذكره ، وآختطّ النـاس حوله ، وآقتطع كل أحد قطيعــة آبتنى بها ، فكان يقال : قطيعة هارون بن خُمَارويه ، وقطيعة السُّودان ، وقطيعة الفرَّاشـين ، فعرف ذلك المكان بالقطائع ، وتزايدت العمارة حتّى آتّصلت بالفُسْطَاط ، وصار الكل بلدا واحدا ، ونزل أحمد بن طولون بقصره المذكور ، وكذلك بَنُوه بعــده ، وأهملت دار الإمارة التى آبتناها علىّ بن صالح بالفُسْطَاط . وآستقرّ الأمر على ذلك بعده أيام آبنه خُمَارَوَيْهِ و ولديه جيش وهارون ، و زادت العمارة بالقطائع فى أيامهما ، وكثرت الناس فيها حتّى قتل هارون بن خُمارَوَيْهِ بعــد قتل أبيه وأخيه ، وسار محمد بن سليمان الكاتب بالعساكر من العراق مِن قِبَل المُسْتَكْفِى بالله ، ووصل إلى مصر فى سنة آثنتين وتسعين ومائتين ، وقد ولّى الطُّولُونِيَّةُ عليهم رَبيعةَ بن أحمد بن طولون ، فتسلم البلد منه وخرّب القطائع وهدّم القصر وقلع أساسه ، وخرب موضعه حتّى لم يبقَ له أثر .

وكان بَدْرٌ الحفيفى غلام أحمــد بن طولون قد بنى دارا عظيمة بالفُسْطَاط عند المُصَلّى القديمة ، وقيل آشــتراها له أحمد بن طُولُونَ ، ثم سخط عليــه أحمد فنكبه ، وسكنها بعده طاهر بن خُمَارَوَيْهِ ، ثم سكنها بعده الحمامى غلام أحمد بن طولون . فلمـا هدم محمد بن سليمان الكاتبُ قصر بنى طولون بالقطائع ، سكن هــذه الدارَ ، ثم سكنها عيسى النُّوْشَرِىّ أميرُ مصر بعــده ، وآستقرّت منزلةً للأمراء إلى أن وَلِىَ الإخشيدُ مصر فزاد فيها وعَظَّمها ، وعمل لها مَيْدَاناً وجعل له بابا من حديد ، وذلك فى ســنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، ولم تزل منزلةً للأمراء إلى أن غلبت الخلفاءُ الفاطميون الإخشــيديةَ على مصر و بنى القائد جوهرٌ القاهرةَ والقصرَ ، فنقل باب هذه الدار إلى القاهرة ، وصار القصر منزلة لهم على ما سيأتى ذكره فى الكلام على خطَط القاهرة إن شاء الله تعالى .

وصار الفُسْطَاطُ في كل وقت تتزايد عمارته حتّى صار في غاية العمارة ونهاية الحسن . به الآدُرُ الأنيقة، والمساجد القائمة، والحمامات الباهية، والقياسرُ الزاهية، والمستنزهات الرائقة ، ورحل الناس إليه من سائر الأقطار ، وقصدوه من جميع الجهات، وغصّ بسكّانه، وضاق فضاؤه الرحيب عن قُطّانه . حتّى حكى صاحب " إيقاظ المُتغفّل "[1] عن بعض سُكّان الفُسْطَاط أنه دخل حمّاما من بناء الرُّوم في أيام خُمَارَوَيْهِ بن طولون في سنة سبع عشرة وثلثمائة فلم يجد فيها صانعا يخدُمه ، وكان فيها سبعون صانعا قلّ منهم من معه ثلاثة نفر يغسلهم ، وأنه دخل بعدها حمّاما ثم حمّاما فلم يجد من يخدمه إلا في الحمّام الرابعة، وكان الذى خدمه معه ثان .

وحكى في موضع آخر عمن يثق به عن أبيه أنه شاهد من مسجد الوَكْرة[2] بالفُسْطَاط إلى جامع ابن طولون قصبة سوق متصلة ، فعدّ ما بها من مقاعد الحِمّص المصلوق فكانت ثلثمائة وتسعين مقعدا غير الحوانيت وما بها .

وحكى أيضا عمن أخبره أنه عدّ الأسْطَال النُّحَاس المؤبدة في البَكَر لاستقاء الماء في الطاقات المُطِلّة على النيل، فكانت ستة عشر ألف سطل . قال : وبلغ أجرة مقعد يُكْرَى عند البيمارستان الطولونى بالفُسْطَاطِ في كل يوم اثنى عشر درهما .

وذكر ابن حَوْقَل أنه كان بالفُسْطَاطِ في زمانه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز بالموقف يُصَبّ لمن فيها من السكان في كل يوم أربعمائة راوية ماء، وفيها خمسة مساجد، وحمّامان وفُرْنان .

قلت : ولم يزل الفُسْطَاط زاهيَ البنيان، باهي السُّكّان ، إلى أن كانت دَوْلَةُ الفاطميين بالديار المصرية ، وعمرت القاهرة على ما سيأتى ذكره فتقهقر حالُه وتناقص ، وأخذ الناس في الانتقال عنه إلى القاهرة وما حولها ، فخلا من أكثر

(١) هذا الكتاب لتاج الدين محمد عبد الوهاب المعروف بابن المتوج الزبيرى المتوفى سنة ٧٣٠ هـ بين فيه أحوال مصر وخططها إلى سنة ٧٢٥ هـ (عن كشف الظنون) .

(٢) الذى في الخطط للقريزى حين روى هذه الحكاية عن " إيقاظ المتغفل " أيضا : " مسجد عبد الله " فلعله يسمى بذلك أيضا . وفي ابن دقاق (ج ٥ ص ٤٢) : « مسجد الوكرة » .

سُكّانه، وتتابع الخراب فى بنيانه، إلى أن غلب الفرنج على أطراف الديار المصرية فى أيام العاضد، آخر خلفاء الفاطميين، ووزيرُه يومئذ شاور السعدىّ، فخاف على الفُسْطَاط أن يملكه الفرنج ويتحصنوا به، فأضرم فى مساكنه النار فأحرقها فتزايد الخراب فيه وكثر الخلو.

٥ ولم يزل الأمر على ذلك فى تقهقر أمره إلى أن كانت دولة الظاهر بيبَرْس، أحد ملوك التُّرك بالديار المصرية، فصرف الناسُ همتهم إلى هدم ما خلا من أخطاطه والبناء بنقضه بساحل النيل بالفُسْطَاط والقاهرة، وتزايد الهدم فيه وآستمرّ إلى الآن، حتّى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل، وما جاوره إلى مايلى الجامع العتيق وما دانى ذلك، ودثرت أكثر الخطَط القديمة وعفا رسمها، وآضْمَحلّ ما بقى منها وتغيرت معالمه.

١٠ وإذا نظرت إلى خطط الكندىّ والقضاعىّ والشريف النّسّابة، عرفت ما كان الفُسْطَاط عليه من العمارة وما صار إليه الآن؛ وإنما أجرينا ذكر بعض الخطط المتقدّمة، حفظا لأسمائها وتنبيها على ما كانت عليه. إلا أن فى ساحله المُطلّ على النيل الآن وما جاور ذلك المبانى الحسنة، والدور العظيمة، والقصور العالية، التى تبهج الناظر، وتسرّ الخاطر.

١٥ وكان أكثر بنيانه بالآجُرّ المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء، وأمكنه، وآثاره الباقية تشهد له بذلك، وقد صار ما خرب منه ودَثَر كيانا كالجبال العظيمة، وهجر غالبها وترك، وسكن فى بعضها رَعَاعُ الناس ممن لا يعبأ به فى جوانب منها لا تعدّ فى العامر.

ومن كيانه المشهورة التى ذكرها القضاعىّ: كَوم الجارح، وكوم دينار، وكوم ٢٠ السمكة، وكوم الزينة، وكوم الترمس؛ وزاد صاحب "إيقاظ المتغفل" كوم بنى وائل، وكوم آبن غراب، وكوم الشقاف، وكوم المشانيق.

ويقابل الفُسْطاط من الجهة البحرية جزيرةُ الصّناعة المعروفة الآن بالرَّوْضَة ، كانت صناعة العمائر أولا بها فنسبت إليها .

قال الكندى : وكان بناؤها فى سنة أربع وخمسين ثم غلب عليها آسم الروضة لحسنها ونَضارتها وإطافة الماء بها، وما بها من البساتين والقُصُور؛ وهى جزيرة قديمة كانت موجودة فى زمن الروم . وكان بها حصن عليه سور وأبراج؛ وبين الفُسْطَاط وبينها جسر ممتدّ من المراكب على وجه النيل كما فى جسر بغداد على الدجلة ولم يزل قائما إلى أن قدم المأمون مصر فأحدث عليه جسرا من خشب تمر عليه المارّة وترجع ،وبعد خروج المأمون من مصر هبّت ريح عاصفة فى الليل فقطعت الجسر القديم ، وصدمت بسفنه الجسر المحدّث فذهبا جميعا ، ثم أعيد الجسر المحدَّث وبطل القديم .

وقد ذكر القضاعى : أنه كان موجودا إلى زمنه ، وكان فى الدولة الفاطمية ، ثم حدّد الحصن المذكور أحمد بن طولون أمير مصر فى خلافة المعتمد فى سنة ثلاث ومائتين ، ثم آستهدم بعد ذلك بتأثير النيل فى أبراجه ومرور الزمان عليه ؛ ثم بنى الصالح نجم الدين أيوب قلعةً مكانه فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وبقيت حتّى هدمها المعز أيبك التركمانى أول ملوك الترك ، وعمر من نقضها مدرسته المُعِزّية برحبة الحروب ، وآتخذ الناس مكانها أملاكا ، وهى على ذلك إلى زماننا ، ولم يبق بها إلا بعض أبراج آتخذها الناس أملاكا وعمروا عليها بيوتا . فلما ملك الظاهر بيبرس ، هَمّ بإعادتها فلم يتفق له ذلك وبقيت على حالها .

قلت : وكانت أُزْفة[1] النيل التى بين جزيرة الصناعة وبين الفُسْطَاط هى أقوى الفرقتين والتى بين الجزيرة والجيزة هى الضعيفة ، ثم آنعكس الأمر إلى أن صار ما بين الجزيرة والفسطاط يجف ولا يعلوه الماء إلا فى زيادة النيل ، ويبدو بين آخر

(١) فى الأصل «أزفة» وهو تصحيف . والأرفة بالراء المهملة : الحد والمسناة ، والمراد بها هنا الفرقة .

الفُسْطاط . وهذه الجزيرة على فُوَّهة خليج القاهرة . [ويوجد فى أوّل الخليج][1] حيث السدّ الذى يفتح عند وفاء النيل مكان كالجزيرة، يعرف بمُنْشَأة المَهْرانى كان كوما يحرق فيه الآجُرّ يعرف بالكوم الأحمر، عدّه القضاعى فى جملة كيان الفُسْطَاط.

قال صاحب "إيقاظ المتغفل" : وأوّل من آبتدأ فيه العمارة بَلَبَان المهرانى فى الدولة الظاهرية بيبرس فنسبت المنشأة إليه .

ويلى الفُسْطَاط من غربيّه بركة تعرف ببركة الحَبَش[2] ، وهى أرض مزدرعة . قال القضاعى : كانت تعرف ببركة المَعَافر وحِمْيَر، وكان فى شرقيّها جَنَّات تعرف بالحبش فنسبت إليها . وذكر آبن يونس فى تاريخه : أن تلك الجنات تعرف بقَتَادَة آبن قيس بن حبشى الصدفى، وهو ممن شهد فتح مصر .

قلت : وهى الآن موقوفة على الأشراف من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقفها عليهم الصالح طلائع ابن رزيك وزير الفائز والعاضد من الخلفاء الفاطميين .

ويليه من قبليّه حيث القرافة المكانُ المعروف بالخندق، كان قد آحتفره عبد الرحمن بن عُيَيْنَة خندقًا فى سنة خمس وستين من الهجرة عند مسير مَرْوان بن الحكم إلى مصر، فعرف بذلك .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) لما زار ياقوت الحموى مصر فى سنة ٦١٠ هـ رأى بركة الحبش وقال عنها : « إنها ليست بركة بالتعريف المقصود وإنما هى علم لأرض زراعية تروى بماء النيل عند فيضانه السنوى فشبهت بالبركة أثناء غمرها بماء النيل ... وقال : وهى من أجل متنزهات مصر » .

وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية دير الطين، وجزء عظيم من الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية البساتين . وتحدّ هذه المنطقة من الغرب بجسر النيل الموصل بين مصر القديمة ودير الطين . ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين . ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرقى . ومن الشمال صحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر ثم حدود أراضى ناحية أثر النبى .

وأما جوامعه فستة :

الأوّل

الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو

وذلك أن عمرا لما بنى داره الصغرى مكان فُسْطَاطِه على ما تقدّم ذكره، آختط الجامع المذكور فى خطّة أهل الراية المتقدّمة الذكر .

قال القضاعىّ : وكان جنانا فيما ذكر الليث بن سعد . قال : وكان الذى حاز موضعه قَيْسَبَة بن كُلْثوم التُّجِيبىّ أحد بنى سُوم، فنزله فى حصار الحصن المعروف بقصر الشَّمع ، فلما رجع عمرو من الإسكندرية ، سأل قَيْسَبَة فيه ليجعله مسجدا فسلمه إليه، وقال : تصدّقتُ به على المسلمين، وآختط له خِطَّة مع قومه فى بنى سوم فى تُجِيب؛ فبُنِى فى سنة إحدى وعشرين، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين ذراعا ؛ ويقال : إنه وَقَف على قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم الزُّبَيْر بن العَوَّام ، والمِقْدادُ بن الأَسْوَد ، وعُبَادَة بن الصَّامِت، وأبو الدَّرْداء، وأبو ذَرٍّ الغِفَارىّ ، وأبو بَصْرَةَ الغِفَارىّ وغيرهم ؛ ولم يكن له يومئذ محراب مُجَوَّف بل عمد قائمة بصدر الجدار ، وكان له بابان يقابلان دار عمرو آبن العاص، وبابان فى بَحْرِيّه ، وبابان فى غَرْبِيّه، وطوله من قِبْلِيِّه إلى بحريّه مثل طول دار عمرو ، وبينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ولما فرغ من بنائه ، آتخذ عمرو بن العاص له مِنْبَرًا يخطب عليه، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره، ويقول : أما يَكْفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك ؟ فكسره . ويقال : إنه أعاده إليه بعد وفاة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

وقيل إن زكريا بن مرقيا[1] ملك النُّوبة أهدى لعبد الله بن أبى سَرْح العامرىّ في إمارته على مصر منبرا فجعله فى الجامع ؛ ثم زاد فيه مسـلَمة بن مُخَلَّد الأنصارىّ فى سـنة ثلاث وخمسـين من الهجرة، وهو يومئـذ أمير مصر من قِبَل معاويةَ بن أبى سُفيان زيادةً من بَحْرِيِّه، وزَخْرَفه؛ وهو أوّل من صلّى على الموتى داخل الجامع، وتوالت فيه الزيادات والتجديدات إلى زماننا . وأوّل من رتب فيه قراءة المصحف عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ فى إمارته فى سنة ست وسبعين، و رفع عبد الله بن عبد الملك سقفه فى سنة تسع وثمانين بعد أن كان مطاطأ ؛ ثم جعل فيه المحرابَ المجوّفَ قُرّةُ آبن شَرِيك العبسىّ آتّباعا لعمر بن عبد العزيز فى محراب مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى المدينة، وأحدث فيه المقصورة تبعا لمعاوية حيث فعل ذلك بالشأم.

وفى سنة آثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نُصير[2] اللخمىّ وهو أمير مصر بآتخاذ المنابر فى جميع جوامع قُرى مصر . وأوّل من نصب اللوحَ الأخضَر فيه عبدُ الله بن طاهر، وهو أمير مصر فى سنة آثنتى عشرة ومائتين؛ ثم آحترق الرّواق الذى فيه اللوح الأخضر فى ولاية خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون، فعمره خُمَارَوَيْه فى سنة خمس وسبعين ومائتين . ثم جدّد اللوحَ "الظاهرُ بيبرس" فى سنة ست وستين وستمائة . ثم جدّد اللوحَ الأخضر بُرْهَانُ الدين المَحَلِّىّ التاجر فى سلطنة "الظاهر برقوق" فى أواخرها .

وقد وصف صاحب "إيقاظ المتغفل" الجـامع على ما كان فى زمانه فى حدود ثلاث عشرة وسبعمائة فقال : إن ذَرْعه ثمانية وعشرون ألفا بذراع العمل ، مقدّمه ثمـانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وخمسون ذراعا ، ومؤخّره ثمـانية آلاف ذراع وتسعمائة وخمسون ذراعا ، وصحنه خمسة آلاف ذراع، جانبه الشرقىّ ألفا ذراع وخمسمائة ذراع وخمسون ذراعا، وجانبه الغربىّ كذلك؛ وأبوابه ثلاثة عشر بابا لكل

(١) فى آبن دقماق المخطوط "آبن مرقنى" .

(٢) كذا فى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٣٥) وفى الأصل : « نصر » . وهو خطأ .

باب منها آسم يخصه ، فى جانبه القبلى باب واحد ، وبه أربعة وعشرون رواقا ، سبعة فى مقدّمه ، وسبعة فى مؤخّره ، وخمسة فى شرقيّه ، وخمسة فى غربيّه ؛ وفيه ثلثمائة عمود وثمانية وستون عمودا ، بعضها منفرد وبعضها مضاف مع غيره ؛ وبصدره ثلاثة محاريب : المحراب الكبير المجاور للنبر ، والمحراب الأوسط ، ومحراب الخمس ؛ وفيه خمس صوامع : إحداها فى ركنه القبلىّ مما يلى الغربى ، وهى الغرفة ؛ والثانية فى ركنه القبلى مما يلى الشرقىّ ، وهى المنارة الكبرى ، والثالثة فى ركنه البحرىّ مما يلى الشرق ، وتعرف بالحديدة ؛ والرابعة فيما بين هذه المنارة والمنارة الآتى ذكرها ، وتعرف بالسعيدة ؛ والخامسة فى الركن البحرىّ مما يلى الغربى مقابل باب السطح ، وتعرف بالمستجدّة .

وهو على هذه الصفة إلى الآن لكنه قد آستهدم رواق اللوح الأخضر والرواقات التى داخله ، فأمر السلطان الملكُ الظاهرُ ببنيانها ، فعلقت جُدُرُه على الخشب ، فآخترمته المنية قبل الشروع فى البناء ، وأخذ القاضى برهان الدين المحلّى تاجر الخاص فى عمارة ذلك ، فهدم رواق اللوح الأخضر وما داخله ، وجدّد اللوح الذى كان قد نصبه الظاهر بيبرس ، وعمر الرواقات المستهدمة أنفس عمارة وأحسنها .

قلت : ومما يجب التنبيه عليه أنه قد تقدّم أنه وقف على إقامة محراب هذا الجامع ثمانون رجلا من الصحابة ، وحينئذ فيلحق بمحاريب البصرة والكوفة على الوجه الصائر إليه بعض أصحابنا الشافعية فى أنه لا يجتهد فى التيامن والتياسر فى محاريبهما كما نبه عليه الشيخُ تقىّ الدين السبكى فى شرح منهاج النووىّ فى الفقه ، لكن قد ذكر القضاعى فى خِطَطه عن الليث بن سعد وآبن لَهِيعَة أنهما كانا يتيامنان فى صلاتهما فيه ، وأن محرابه كان مشرقا جدّا ، وأن قُرّة بن شريك حين هدمه وبناه ، تيامن به قليلا .

وقــد حكى الشيخ تقيّ الدين السبكى فى شرح المنهـاج أيضا من بعض علماء الميقات : أنه أخبره أن فيه الآن آنحرافا قليلا . قال : ولعله من تغيير البناء، وقد سألت بعض علماء هذا الشأن من ذلك، فأخبرنى عن الشيخ تقيّ الدين أبى الطاهر رأس علمــاء الميقات فى زماننــا أنه كان يقول : من الدلالة على صحــة عملنا فى آستخراج القبلة موافقته لمحراب الجامع العتيق .

الثـانى

الجـامع الطُّولونى

بناه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين على الجبل المعروف بجبل يَشْكُر.

قال القضاعى : وينسب إلى يَشْكُر بن جزيلة من لخم، كان خطّة لهم .

قال آبن عبد الظاهر : وهو جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه .

قال : ويقال : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام عليه . ويقال : إن آبن طولون أنفق على هــذا الجامع مائة ألف دينـار وعشرين ألفـا من كَنْزٍ وجده . ويقال : إنه لمـا فرغ من بنائه أمر بتسمع ما يقوله الناس فيه من العيوب ، فسمع رجل يقول : محرابه صغير، وآخر يقول : ليس فيــه عمود ، وآخر يقول : ليس فيه ميضأة ، فقال : أما المحراب، فإنى رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقد خطه لى، فأصبحت فرأيت النَّمْلَ قد أطافت بالمكان الذى خطه لى. وأما العُمُدُ، فإنى بنيتــه من مال حلال ، وهو الكنز الذى وجدته فـا كنت لأشوبه بغيره ، والعمد لا تكون إلا من مسجد أو كنيسة فنزهته عن ذلك . وأما الميضأة، فأردت تطهيره من النجاسات، وها أنا أبنيها خلفه، ثم أمر ببنائها على القرب .

ويحكى أنه كان لا يعبث بشىء قط، وأنه أخذ يوما دَرْج ورق أبيض وأخرجه ومده كالحَلَزُون ، ثم آستيقظ لنفسه وظن أنه فُطِنَ له ، فأمر بعمارة المنارة على تلك الهيئة ، وعلى نظير العشـارى الذى على رأسها عُمِل العشارى الذى على رأس قبــة

الإمام الشافعى رضى الله عنه . ولما فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأن نارا نزلت من السماء فأحرقت الجامع دون ما حوله فقص[1] رؤياه على عابر فقال له : بُشْرَاكَ قبوله ، فإن الأمم الخالية كانوا إذا قرّبوا قربانا فتُقُبِّلَ، نزلت نار من السماء فأكلته ، كما فى قصة هَابِيلَ وقَابِيلَ ؛ ورأى مرّةً أخرى كأن الحق سبحانه وتعالى تجلّى على ما حول الجامع فَعَبَّره له عابر بأنه يخرب ما حول الجامع ويبقى هو ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وكان الأمر كذلك ، فهدمت منازل بنى طولون فى نَكْبَتِهم ولم يبق منها إلا الجامع .

الثالث

جامع راشدة

بناه الحاكم بأمر الله الفاطمىّ جنوبىّ الفُسْطَاط ، على القرب من الرصد ، وأدخله فى وقفه مع الجامع الأزهر وجامع المَقْس .

قال فى "إيقاظ المتغفل" : ليس هو بجامع راشدة حقيقة ، وإنما جامع راشدة كان بالقرب منه ، وهو جامع قديم بنته قبيلة يقال لها راشدة عند الفتح الإسلامى ، فلما بنى الحاكم هذا سمى بآسمه . قال : وقد أدركت بعضه ومحرابه ، وكان فيه شجر كثير من شجر المُقْل .

الرابع

جامع الرصد

بناه الأمير عز الدين أَيْبَك الأفرم أمير جاندار الصالحىّ النجمىّ فى شهور سنة ثلاث وستين وستمائة ، عَمر منظرته المعروفة به هناك ، وعَمّر رباطا بجانبه قرّر فيه عددا تنعقد به الجمعة مقيمين فيه ليلا ونهارا .

(١) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : « فعبر » .

الخـامس

جامع الشعيبية بظاهر مصر أيضا

بناه الأمير عز الدين الأفرم المذكور فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وسكنه الشيخ شمس الدين بن اللبان الفقيه الشافعىّ الصوفىّ فعرف به الان .

السـادس

الجـامع الجـديد

بناه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مَوْرَدة الحُلَفاء[1] ، و بدأ بعمارته فى التاسع من المحرّم فى سـنة إحدى عشر وسبعمائة ، وانتهت عمارته فى ثامن صفر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ، وخطب به قاضى القضاة بدرُ الدين بن جماعة الشافعى ، وصلّى فيه الجمعة فى التاسع من الشهر المذكور ، ورتب فيه صوفية يحضُرُونه بعد العصر كما فى الخوانق ، وهو من أحسن الجوامع وأنزهها بقعة خصوصا فى أيام زيادة النيل .

*
* *

وأما مساجد الخمس — فكانت على العدد الذى لا يحصى لكثرتها ، وخطط القضاعى شاهدة بذلك .

وقـد رأيت فى بعض التواريخ أن الفَنَاء وقع فى أيام كافور الإخشيدى حتى لم يجدوا من يقبل الزكاة ، فأتوا بهـا إلى كافور فلم يقبلها ، وقال : ابنوا بها المساجد واتخذوا لها الأوقاف ، فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيها ، ولكنها الآن قد خربت بخراب الفُسْطَاط ودَثَرت ولم يبق إلا آثار القليل منها .

*
* *

وأما المدارس — فكان المتقدّمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق ، وأوّل من أحدث المدارس بالفُسْطَاط بنو أيوب ، فعمّر السلطان صلاح الدين رحمه الله مدرستين .

---

(١) فى الأصل : «موردة الخلفاء» وهو تحريف .

إحداهما — مدرسة المالكية، المعروفة بالقَمْحية فى المحرم سنة ست وستين وخمسمائة، وسميت بالقمحية لأن معلومها يصرف للمدرسين والطلبة قمحا .

قال العماد الكاتب : وكانت قبل ذلك سوقا يباع فيه الغزل .

والثانية — المدرسة المعروفة بآبن زين التجار ، وكانت سجنا يُسْجَن فيه فبناها السلطان صلاح الدين مدرسة ووقفها على الشافعية، ووقف عليها الصاغة المجاورة لها ٥

ثم عَمَر الملك المظفر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بالمكان المعروف بمنازل العز بالقرب من باب القنطرة قبلى الفُسْطَاط مدرسةً ووقف عليها أوقافا من جملتها جزيرة الصِّناعة المعروفة بالرَّوْضَة .

ثم بنى السلطان الملك المعزّ أيبك التُّرْكُمَانى أوّل ملوك الترك مدرسته المعزية برحبة الخُرُوب فى شهور سنة أربع وخمسين وستمائة . ١٠

وعَمَر الصاحب شرف الدين بن الفائزى مدرسته الفائزية قبل وزارته فى شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وعمر الصاحب بهاء الدين بن حِنَّا المدرسة الصاحبية بزقاق القناديل بعد ذلك .

* * *

وأما الخوانق والرُّبُط — فلم تعهد بالفُسْطَاط ، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حِنَّا عَمَر رباطا للآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلىّ الفسطاط وآشترى الآثار الشريفة وهى مِيلٌ من نُحَاس ، ومِلْقَطٌ من حديد ، وقطعة من العَنَزَة ، وقطعة من القَصْعة بجملة مال وأثبتها بالآستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة . ١٥

* * *

وأما البيمارستان — فأوّل من أنشأه بالفُسْطَاط أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين وأنفق عليه ستين ألف دينار . ٢٠

قال القضاعىّ : ولم يكن قبله بيمارستان بمصر، وشرط ألّا يعالج فيه جُنْدِىٌّ ولا مملوك .

القـاعدة الثانيـــة

القـاهرة

(بألف ولام لازمين فى أوّلها وقاف مفتوحة بعدها ألف ثم هاء مكسورة وراء مهملة مفتوحة ثم هاء فى الآخر) ويقال فيها القاهرة المُعِزِّيَّةُ نسبة إلى المُعِزّ الفاطمىّ الذى بنيت له ، وربما قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا ، وهى المـدينة العظمى التى ليس لها نظير فى الآفاق، ولا يسمع بمثلها فى مصر من الأمصار .

بناها القائد جوهر المعزىّ لمولاه المعزّ لدين الله أبى تميم مَعَـدِّ بن المنصور أبى الطاهر إسمـاعيل بن القائم أبى القـاسم محمد بن المهدىّ بالله أبى محمـد عبيد الله الفاطمىّ فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، عند وصوله إلى الديار المصرية من المغرب ، وآستيلائه عليها ، وموقعها شمالى الفُسْطاط المتقدّم ذكره على القرب منه .

قال فى "الروض المعطار" : وبينهما ثلاثة أميال . وكأنه يريد ما كان عليـه الحال فى آبتداء عمارة القاهرة وهو ما بين سور الفُسْطَاط وسور القاهرة .

أما الآن فقد آنتشرت الأبنية وآتصلت العمارة حتّى كادت المـدينتان تتصلان أو آتصلتا .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الله الظاهر فى خِطَط القاهرة : والذى آستقرّ عليه الحال أن حدّ القاهرة من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رُقَيّة عرضا ، وكان قبل ذلك من المجنونة .

قال آبن سعيد : وكان مكانها قبل العمارة بستانا لبنى طولون على القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع . وكيفما كان ، فطولها وعرضها فى معنى طول الفُسَطَاط وعرضه أو أكثر عرضا بقليل ، وكان آبتداء عمارتها أنّ أمر إفريقيّة وغيرها من بلاد المغرب كان قد أفضى إلى المُعِزّ المذكور ، وقوىَ طمعه فى مصر بعد موت كافور الإخشيدى

وهى يومئذ والشام والحجاز بيد أحمد بن على بن الإخشيد أستاذ كافور وهو صبىّ لم يبلغ الحلم، والمتكلم فى المملكة أهل دولته، والحسين بن عبد الله فى الشام كالنائب أو الشريك له، يدعى له بعده على المنابر.

وكانت مصر قد ضَعُف عسكرها لما دَهِمَها من الغلاء والوباء، فجهز المُعِزّ قائده جوهرا المتقدّم ذكره، فبرز جوهر إلى مدينة رَقّادة من بلاد إفْرِيقيَّة فى أكثر ٥ من مائة ألف وما يزيد على ألف صندوق من المال، وخرج المُعِزّ لتشييعه، فقال للمشايخ الذين معه: "والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، وليدخُلَنها بالأردية من غير حرب، ولينزلن فى خرابات آبن طُولون، ويبنى مدينة تسمّى القاهرة تَقْهَر الدنيا" وكان للمعز غلام بَبَرْقة آسمه أفلح، فكتب إليه المُعزّ أن يترجّل لجوهر إذا عَبَر عليه ويقبل يديه، فبذل مائة ألف دينار على أن يُعْفى من ذلك، فأبى المُعِزّ ١٠ إلا ذلك، فترجّل من مكانه وقبّل يديه؛ وسار جوهر حتّى دخل مصر وتسلمها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، ونزل فى مُناخه من سفره موضع القاهرة الآن ليلا، وآختط القصرَ وأخذ فى بنائه وعمارة القاهرة، وآختط الناس حوله.

١٥ * * *

فأما القصر — فإنه آختطه فى الليلة التى أناخ فيها قبل أن يُصْبحَ، فلما أصبح رأى فيه آزورارات غير معتدلة فلم يعجبه، ثم قال: قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة، فتركه على حاله وتمادى فى بنيانه حتّى أكمله.

ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رحبة الأَيْدُمُرِىّ طولا؛ ومن السبع خُوخ إلى رحبة باب العيد عَرْضا، والحدّ الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة ٢٠ الصالحية على يسارك وتمضىَ إلى السبع خُوَخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رحبة الأيدمرى، ثم إلى الركن المخلّق، ثم إلى بين القصرين حتّى تأتى إلى باب المدرسة

الصـالحية من حيث ابتدأتَ ، فما كان على يسارك فى جميع دَوْرتك فهو موضع القصـــر .

وكان له تسعة أبواب بعضها أصلىٌّ وبعضها مستحدَث :

أحدها — باب الذهب، ويقال إنه كان مكانَ المدرسة الظاهرية الآن .

٥ الثـانى — باب البحر ، ويقـال إن مكانه باب قصر بشتاك[1] . قال ابن عبد الظاهر وهو من بناء الحاكم .

الثالث — باب الزُّهومة، ومكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدرسة الصالحية، وكانت الصاغة مَطْبخا للقصر، وكانوا يدخلون بالطعام إلى القصر من ذلك الباب فسمى باب الزهومة لذلك، والزُّهومة : الذَّفَر .

١٠ الرابع — باب التربة ؛ ويقـال إن مكانه بين باب الزُّهومة المتقـدّم الذكر ومشهد الحسين .

الخامس — باب الدَّيْلَم، وهو باب مشهد الحسين .

السادس — باب قَصْر الشوك، ومكانه بالموضع المعروف بقصر الشوك على القرب من رحبة الأيدمرى .

١٥ السابع — باب العيد، وهو باب البيمارستان العتيق، سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيد، وإليه تنسب رحبة باب العيد .

الثـامن — باب الزُّمُرُّد، وهو إلى جانب باب العيد المتقدّم ذكره .

التـاسع — باب الريح، وقد ذكر ابن الطُّوَيْر أنه كان فى ركن القصر الذى يقابل سور دار سعيد السعداء التى هى الخانقاه الآن .

٢٠ ثم استجد المأمون بن البطائحى وزير الآمر تحت القوس الذى بين باب الذهب وباب البحر ثلاث مناظر، وسمى إحداها الزاهرة، والثانية الفاخرة، والثالثة الناضرة.

(١) كذا فى المقريزى وما سيذكره المؤلف قريبا (ص ٣٤٨) . وذكر المقريزى أنه قبالة المدرسة الكاملية . وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضى تجاه جامع الملك الكامل بشارع بين القصرين . وفى الأصل : «بشبك» .

وكان "الآمر" يجلس فيها لعرض العساكر فى عيد الغَدِير، والوزير واقفٌ فى قوس باب الذهب، وكان مكان السيوفيين الآن سلسلةٌ ممتدّة إلى ما يقابلها تعلق فى كل يوم من وقت الظهر حتّى لا يجوز تحت القصر راكب ؛ ولذلك يعرف هذا المكان بدرب السلسلة .

ومما هو داخل فى حدود القصر "مشهد الحُسَيْن" . ٥

وسبب بنائه أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كانت بعَسْقَلان، فخشِىَ الصالح طلائعُ بن رُزِّيك عليها من الفرنج فبنى جامعه خارج باب زُوِيلةَ، وقصد نقل الرأس إليه فغلبه الفائز على ذلك، وأمر بآبتناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ومن غريب ما آتفق من بركة هذه[1] الرأس الشريفة ما حكاه القاضى محيي الدين ١٠ آبن عبد الظاهر : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين آستولى على هذا القصر بعد موت العاضد، آخر خلفاء الفاطميين بمصر، قبض على خادم من خُدّام القصر وحلق رأسه وشدّ عليها طاسا داخله خنافس فلم يتأثر بها ، فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السر فيه، فأخبر أنه حين أحضرت الرأس الشريفة إلى المشهد حملها على رأسه، فخلّى عنه السلطان وأحسن إليه . ١٥

وكان بجوار القصر قصر صغير يعرف بالقصر النافعىّ من جهة السبع خُوَخ فيه عجائز الفاطميين .

قلت : ولم يزل هذا القصر منزلة الخلفاء الفاطميين من لدن المُعِزّ أول خلفائهم بمصر و إلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم، وكانت الوزراء ينزلون بدار الوزارة التى آبتناها أمير الجيوش بدر الجمالى داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية بيبرس ٢٠

---

(١) أنث الرأس مجاراة للغة العامة، واللغة العربية تذكيره .

الآن . فلما وَلِىَ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة عن العاضد بعد
عمه أسد الدين شيركوه ، نزل بدار الوزارة المذكورة ، وبقى بها حتّى مات العاضد
فتحوّل إلى القصر وسكنه ؛ ثم سكنه بعده أخوه العادل أبو بكر. فلما ملك الكامل
محمد بن العادل أبى بكر انتقل منه إلى قلعة الجبل على ما سيأتى ذكره فى الكلام على
٥ القلعة إن شاء الله تعالى . وصارت دار الوزارة المتقدّمة الذكر منزلا للرسل الواردين
من الممالك إلى أن عمّر مكانها السلطانُ الملك المظفر بيبرس الجاشنكير الخانقاه
المعروفة به ، وخلا القصر من حينئذ من ساكنيه ، وأهمل أمره فخرب .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : قال لى بوّاب لباب الزُّهومة اسمه
مرهف فى سنة ثلاثين وستمائة : كان لى على هذا الباب المدّة الطويلة ما رأيته
١٠ دخل فيه حَطَب ولا رمى منه تراب . قال : وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه
وتكويم ترابه ؛ ثم أخذ الناس بعد ذلك فى تملكه واستحكاره ، وعمرت فيه المُدارس
والآدُر . فبنى السلطان الملك الصالح "نجم الدين أيوب" فيه مدرسته الصالحية،
ثم بنى " الظاهر بيبرس " فيه مدرسته الظاهرية ، وبنى فيه بشتاك أحد أمراء
الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فيه قصره المعروف به ، وجعلت دار الضرب
١٥ فى وسطه ، ولم يبق من آثاره إلا البيمارستان العتيق ، فإنه كان قاعة بناها العزيز بالله
ابن المُعِزّ الفاطمى على ما سيأتى ذكره .

وكذلك القبة التى على رأس السالك من هذا البيمارستان إلى رحبة باب العيد ،
وبعض جُدُر لا يعتدّ بها قد دخلت فى جملة الأملاك .

* * *

٢٠ وأما (أبواب القاهرة وأسوارها) — فإن القائد جوهرا حين اختطها جعل لها
أربعة أبواب : بابين متقاربين ، وبابين متباعدين . فالمتقاربان (باب زُويلة) نسبة إلى

زُوَيْلَة : قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب ، ولذلك يقع فى عبارة الموثّقين وغيرهم بابا زُوَيلة ؛ وأحد هذين البابين القَوْس الموجود الآن المجاور للسجد المعروف بسام بن نوح عليه السلام . والثانى كان موضع الحوانيت التى يباع فيها الجبن على يَسْرة القوس المتقدّم ذكره يدخل منه إلى المحمودية . وكان سبب إبطاله وسدّه أن المُعِزّ الذى بنيت له القاهرة لما دخلها عند وصوله من المغرب ، دخل من القوس الموجود الآن هناك فازدحم الناس فيه وتجنبوا الدخول من الباب الآخر ، وآشتهر بين الناس أن مَنْ دخل منه لم تقض له حاجة ، فرفض وسُدّ ، وجعل زقاق جنوبيّه يتوصل منه إلى المحمودية ، وزقاق شماليّه يتوصل منه إلى الأنماطيين وما يليها .

والبابان المتباعدان هما القوس الذى داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين وقوس آخر كان على حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن ، فهدم ثم آبتنى أمير الجيوش بدر الجمالى المتقدّم ذكره فى سنة ثمانين وأربعمائة سورا من لَبِن دائرا على القاهرة ، وبعضه باق إلى زماننا بخط سوق الغنم داخل الباب المحروق ؛ ثم آبتنى الأفضل بن أمير الجيوش باب زُوَيْلَة ، وباب النصر ، وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى خططه ، إلا أنه ذكر فى مواضع أخر منها أن باب زويلة بناه العزيز بالله وأكمله بدر الجمالى ، وهو من أعظم الأبواب وأشمخها ، وليس له باشورة على الأبواب ، وفيه يقول على بن محمد النيلى :

يا صاحِ لو أبْصَرْتَ بَابَ زُوَيْلَةٍ * لعَلِمْتَ قَدْرَ مَحَلِّهِ بُنْيانَا
بابٌ تَأَزَّرَ بالمَجَرَّةِ وآرتدى الشِّـ * ـعرى ولَاثَ برأسِه كيوَانَا
لو أنَّ فِرْعَوْنًا رآه لم يُرد * صرحا ولا أَوْصى به هَامَانَا

قال ٱبن عبد الظاهر : (وباب سعادة) ربما ينسب إلى سعادة بن حيان غلام المُعِزّ، وكان قد ورد من عنده فى جيش إلى جوهر وولى الرملة بعد ذلك .

قال : (وباب القنطرة) منسوبٌ إلى القنطرة التى أمامه، وهى من بناء القائد جوهر بنـاها عند خوفه من القَرَامطة ليجوز عليهـا إلى المَقْس . والقوس الذى بالشارع الأعظم خارج باب زويلة على رأس المنجبية عنـد الطيوريين الآن كان ٥ بابا بناه الحاكم بأمر الله خارج القاهرة، وكان يعرف بالباب الجديد .

(وباب الخوخة) الذى على القرب من قنطرة الموسكى أظنه من بناء الفاطميين أيضا . ولمـا ملك السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" الديار المصرية ٱنتدب لعمارة أسـوار القاهرة ومصر فى سـنة تسع وستين وخمسمائة الطواشىَ بهاء الدين قراقوش الأسدى الرومى[1] على كثرة من أسرى الفرنج عندهم يومئذ[1]، فبنى سورا دائرا ١٠ عليها وعلى قلعة الجبل والفُسْطَاط، ولم يزل البناء به حتّى توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله وهو الموجود الآن؛ وجعل فيها عدّة أبواب :

منها : باب البحر، وباب الشعرية، وباب البرقية، والباب المحروق؛ وٱبتنى برجين عظيمين أحدهما بالمَقْس على القرب من جامع باب البحر، وهو الذى هدمه الصاحب شمس الدين المَقْسىّ وزير الأشرف شعبان بن حسين على رأس السبعين ١٥ والسـبعمائة ، وأدخله فى حقوق الجامع المـذكور حين جدّد بناءه ؛ والثـانى بباب القنطرة جنوبى الفُسْطَاط .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : وقياس هذا السور من أوّله إلى آخره تسـعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة وذراعان بالهـاشمىّ ؛ من ذلك من باب البحر إلى البرج بالكوم الأحمـر ؛ يعنى رأس منشأة المهرانى المتقـدّم ذكرها فى الكلام ٢٠

(١) لم تذكر هذه الجملة فى خطط المقريزى .

على خِطَط الفُسْطَاط عنـد فُوَّهة خليج القاهرة عشرة آلاف ذراع ؛ ومن الكوم الأحمر المذكور إلى قلعة الجبل من جهة مسجد سـعد الدولة سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع؛ ومن مسجد سعد الدولة المذكور إلى باب البحر ثمانية آلاف ذراع وثلثمائة وآثنان وتسعون ذراعا ، ودائر القلعة ثلاثة آلاف ذراع ومائة وعشرة أذرع .

وآقتصر السلطان عماد الدين صاحب حمـاة فى تاريخه على ذَرْع السُّور من غير تفصيل ولم يتعرّض للذراعين الزائدين .

قلت : وهـذا السور قـد دَثَر أكثره ، وتغيرت معـالم غالبه ، للصوق عمائر الأملاك به حتّى إنه لا يتميز فى غالب الأماكن مـن الأملاك ، وسقط ما بين باب البحر إلى الكوم الأحمر حتّى لم يبق له أثر . على أن ما هو داخل سور القاهرة الأوّل من الأماكن أرضة سبخة وماؤه زُعَاق .

قال آبن عبد الظـاهر : ولذلك عَتَب المُعِزّ عنـد وصوله إلى الديار المصرية ودخوله القـاهرة على جوهر لكونه لم يعمُـرْها مكان المَقْس على القـرب من باب البحر أو جنوبى الفُسْطَاط على القرب من الرصد لتكون قريبة من النيـل ، عَذْبة مياه الآبار .

وآعلم أن خطط القـاهرة قد آتسعت وزادت العمارة حولهـا ، وصار ما هو خارجَ سورها أضعاف ما هو داخله . ثم منها ما هو منسوب إلى دولة الفاطميين ومنها ما هو منسوب إلى من تقدّمهم من الملوك ، إما لدروس آسمه الأوّل وغلبة آسمه الثانى عليه ، وإما لآستحداثه بعد أن لم يكن ؛ ومنها ما هو مجهول لآنقطاع شهرته بطول الأيام ومرور الليالى . وإنما يقع التعرّض هنـا للأماكن الظاهرة الشُّهْرة ، الدائرة على الألسنة دون غيرها ؛ وأنا أذكرها على ترتيب الأماكن لا على ترتيب القِدَم والحدوث .

*
* *

أما خططها المشهورة داخل السور :

(فمنها) "حارة بهاء الدين" داخل باب الفتوح ، وتعرف بالطواشى بهاء الدين قراقوش بانى سور القاهرة المتقدّم ذكره ، وكانت فى دولة الفاطميين تعرف ببين الحارتين، ثم آختطها قوم فى الدولة الفاطمية يعرفون بالرّيحانيـة والعزيزية فعرفت بهم . فلما سكنها بهاء الدين قراقوش المذكور، آشتهرت به ونُسِى ما قبل ذلك .

(ومنها) "حارة بَرْجَوَانَ" وتعرف ببرجوان الخادم، كان خادم القُصُور فى أيام العزيز بالله بن المُعِزّ ثانى خلفاء الفاطميين بمصر، ووصّاه على آبنه الحاكم فعظُم شأنه، ثم قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال إنه خلف فى تركته ألف سراويل بألف تكة حرير.

وبهذه الحارة كانت دار المظفر آبن أمير الجيوش بدر الجمالى .

(ومنها) "خط الكافورى" كان بستانا لكافور الإخشيدى ، وبنيت القاهرة وهو بستان ، وبقى إلى سـنة إحدى وخمسين وستمـائة ، فآختطته طائفة البحرية والعزيزية إصطبلات ، وأزيلت أشجاره وبقيت نسبته إلى كافور على ما كانت عليه .

(ومنها) "خُط الخرنشف"[1] كان ميدانا للخلفاء الفاطميين، وكان لهم سِرْداب تحت الأرض إليه من باب القصر يمرون فيه إلى الميدان المذكور راكبين ، ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية ، ثم بنى به الغُزّ بعـد الستمائة إصطبلات بالخرنشف وسكنوها فسمى بذلك .

(ومنهـا) "درب شمس الدولة" على القرب من باب الزُّهومة ، وكان فى الدولة الفاطمية يعرف بحارة الأمراء ، وبها كانت دار الوزير عباس وزير الظافر ، وبها المدرسة المسرورية بناها مسرور الخـادم ، وكان أحد خُدّام القصر فى الدولة الفاطمية وبقى إلى الدولة الأيوبية، وآختص بالسلطان صلاح الدين وتقدّم عنده،

(١) فى المقريزى "الخرشتف" وفسره بأنه المتجمد من وقود الحمامات بعد إحراقها وهى تسمية عرفية

ثم سكنها شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف، وعمر بها دربا فعرف به ونسب إليه .

(ومنها) "حارة زُوَيلة" وتنسب إلى زُوَيلة : قبيلة من البربر الواصلين صحبة القائد جوهر على ما تقدّم ذكره فى الكلام على باب زويلة، وهى حارة عظيمة متشعبة .

٥ (ومنها) "الجودرية" وتعرف بطائفة يقال لهم الجودريّة من الدولة الفاطمية نسبة إلى جودر خادم عبيد الله المهدى أبى الخلفاء الفاطميين، اختطوها وسكنوها حين بنى جوهرٌ القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك إلى أن بلغ الحاكم الفاطمىّ أنهم يَهْزءُون بالمسلمين و يقعُون فى حق الإسلام، فسدّ عليهم أبوابهم وأحرقهم ليلا، وسكنوا بعد ذلك حارة زُوَيلة المتقدّمة الذكر .

١٠ (ومنها) "الــوَزيرية" وتعرف بالوزير أبى الفرج يعقوب بن كِلّس وَزير المعز بالله الفاطمى، وكان يهودىّ الأصل يخدُم فى الدولة الإخشيدية، ثم هرب إلى المُعزّ الفاطمىّ بالمغرب لمــال لزمه ، فلقى عسكر المعز مع جوهر فرجع معــه ، وعظُمت مكانته عند المُعزّ حتّى آستوزره، وكانت داره مكان مدرسة الصاحب صفىّ الدّين ابن شُكْر ، وزير العادل أبى بكر بن أيوب، المعروفة بالصاحبية بسويقة الصاحب، وكانت قبل ذلك تعرف بدار الديباج . ١٥

(ومنها) "المحموديّة" قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : ولعلها منسوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحموديّة القادمة فى أيام العزيز بالله الفاطمىّ إلى مصر .

(ومنها) "حارة الروم" داخل بابَىْ زُوَيلة ، آختطها الرُّوم الواصلون صحبة جوهر القائد حين بنائه القاهرة فعُرِفت بهم ونُسبت إليهم إلى الآن

٢٠ (ومنها) "الباطلية" قال آبن عبد الظاهر : تعرف بقوم أتوا المُعزّ بانى القاهرة وقد قسم العطاء فى الناس فلم يعطهم شيئا، فقالوا : نحن على باطل؟ فسميت الباطلية .

(ومنها) "حارة الدَّيْلَم" وتعرف بالديلم الواصلين صحبة أَفْتِكين المعزّى غلام المعز ابن بُوَيه الديلمى، وكان قد تغلب على الشام أيام المُعِزّ الفاطمى وقاتل القائد جوهرا واستنصر بالقرامطة، وخرج إليهم العزيز بالله فأسره فى الرملة وقَدِم به إلى القاهرة فأجزل له العطاء، وأنزله هو وأصحابه بهذه الخِطّة . وبها كانت دار الصالح طلائع ابن رُزِّيك بانى الجامع الصالحى خارج باب زويلة، وكان يسكنها قبل الوزارة، وخوخته بها معروفة إلى الآن بخوخة الصالح .

(ومنها) "حارة كُتَامة" على القرب من الجامع الأزهر بجوار الباطلية، وتعرف بقبيلة كُتَامة من البربر الواصلين صحبة جوهر من الغرب .

(ومنها) "إصطبل الطارمة" بظاهر مشهد الحسين، كان إصطبلا للقصر، وبهذا الخط كانت دار الفِطرة التى يعمل فيها فطرة العيد، بناها المأمون بن البطائحى وزير الآمر، وكانت الفطرة قبل ذلك تعمل بأبواب القصر، وسيأتى الكلام على الفطرة مستوفًى فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(ومنها) "حارة الصالحية" قبلى مشهد الحسين، كانت طائفة من غلمان الصالح طلائع بن رُزِّيك قد سكنوها فعرفت بهم ونسبت إليهم .

(ومنها) "البَرْقية" قال ابن عبد الظاهر : اختطها قوم من أهل بَرْقة قدِموا صحبة جوهر فعرفت بهم . ورأيت بخَطّ بعض الفضلاء بحاشية خِطَط ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن رُزِّيك لما قتل عباسا وزير الظافر وتقلد الوزارة عن الآمر، أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية عَوْنا له وأسكنهم هذه الخِطّة فنسبت إليهم .

(ومنها) "قَصْر الشوك" على القرب من رَحَبة الأيْدُمُرِى، قال ابن عبد الظاهر: كان قبل عمارة القاهرة منزلة لبنى عُذْرة تعرف بقصر الشوك .

(ومنها) [(1)"خزانة البُنود"] وكانت خزانة السلاح فى الدولة الفاطمية، ثم جعلت سِجْنا فى الأيام المستنصرية، ثم احتُكِرت بعد ذلك وجعلت آدُرًا .

(1) الزيادة عن المقريزى .

(ومنها) "رَحَبة باب العيد" تنسب إلى باب العيد : أحد أبواب القصر المسمى بباب العيد المقدّم ذكره .

(ومنها) "دَرْب مُلُوخيّة" ينسب لمُلُوخيّة صاحب ركَاب الحاكم، وبه مدرسة القاضى الفاضل وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وبه كانت داره .

(ومنها) "العُطُوف" وأصل آسمها العَطُوفية: نسبة إلى عطوف خادم الحاكم. ٥

(ومنها) "الجَوّانية" قال آبن عبد الظاهر: وهى صفة لمحذوف، وأصلها حارة الرُّوم الجَوّانية، وذلك أن الرُّوم الواصلين صحبة جوهر آختطوا حارة الروم المتقدّمة الذكر وهذه الحارة، وكان الناس يقولون : حارة الروم البَرّانية وحارة الروم الجَوّانية فثقل ذلك عليهم، فأطلقوا على هذه الجَوّانيةَ وقَصَروا آسم حارة الروم على تلك .

قال: والورّاقون إلى هذا الوقت يقولون حارة الروم السفلى، وحارة الروم العُلْيا ١٠ المعروفة بالجَوّانية ، ثم قال : ويقال إنها منسوبة إلى الأشراف الجَوّانيين الذين منهم الشريف الجَوّانى النَّسّابة .

وأما خططها المشهورة خارج السور :-

(فنها) "الحُسَينيّة" كانت فى الأيام الفاطمية ثمانىَ حارات خارج باب الفتوح، أولها : الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين المتقدّم ذكرها، وهى حارة حامد، والمُنْشأة ١٥ الكبرى، والحارة الكبيرة، والمُنْشأة الصغيرة، وحارة عَبِيد الشراء، والحارة الوسطى، وسوق الكبير بمصر، والوَزِيرية، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والعُجْان وعَبِيد الشراء .

قال آبن عبد الظاهر : وكان بها من الأرمن قريب من سبعة آلاف نفس، ثم سكنها جماعة من الأشراف الحُسَينيين قَدموا فى أيام الكامل محمد بن العادل ٢٠ أبى بكر بن أيوب من الحجاز إلى مصر، فنزلوا بهذه الأمكنة وآستوطنوها فسميت[1] بهم، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبنَوْا بها الأبنية العظيمة والآدُرَ الضخمة .

(١) ذكر المقريزى أنها عرفت بطائفة من عبيد الشراء فى أيام الحاكم يقال لهم الحسينية وآعترض على آبن عبد الظاهر فى هذه النسبة بقوله : «هذا وهم فإنه تقدّم أن من جملة الطوائف فى الأيام الحاكمية الطائفة الحسينية» .

قال ٱبن عبد الظاهر : هى أعظم حارات الأجناد .

قلت : وذلك بحسب ما كان الحال عليه فى زمانه ، ولكنها قد خربت فى زماننا هذا ، وٱنتقل الأجناد إلى الأماكن القريبة من القلعة بصليبة الجامع الطولونى ونحوها .

وبنى بهاء الدين قراقوش خانا للسبيل تنزله المارّة وأبناء السبيل فعرف خطه به .

٥ (ومنها) "الخندق" خارج الحسينية بالخندق ؛ كان عنده خندق ٱحتفره العزيز بالله الفاطمى ، وكان المُعِزّ قد أسكن المغاربة هناك فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة حين تبسطوا فى القرافة والقاهرة وأخرجوا الناس من منازلهم ، وأمر مناديا ينادى لهم كل ليلة : من بات منهم فى المدينة ٱستحق العقوبة .

(ومنها) "أرض الطَّبَّالة"[1] منسوبة لأمرأة مغنية ٱسمها نَسَب[2] ، وقيل طَرَب ، ١٠ كانت مغنية للمستنصر الفاطمىّ وٱسمه مَعَدّ .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : ولما ورد الخبر عليه بأنه خُطب له ببغداد فى نَوْبة البساسيرى قريب السنة غنته نَسَب هذه :

يا بَنِي العَبَّاسِ صُدّوا * قَدْ وَلِيَ الأَمْرَ مَعَدُّ

مُلْكُكُمْ كَانَ مُعَارًا * والعَوَارِي تُسْتَرَدُّ

١٥ فوهبها هذه الأرض فى سنة ٱثنتين وثلاثين وأربعمائة فحُكِرت وبنيت آدُرًا فعرفت بها . قال : وكانت من مُلَح القاهرة وبهجتها ؛ وفيها يقول ٱبن سعيد المغربى مجانسا بين القُرْط الذى ترعاه الدوابُّ والقُرْط الذى يكون فى الأذن :

(١) أرض الطبالة ، قال المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ١٢٥) : «هذه الأرض على جانب الخليج الغربى بجوار المقس (والمقصود هنا خط المقس) قال : وكانت من أحسن منتزهات القاهرة ، وهبها الخليفة المستنصر ٢٠ بالله أبو تميم معدّ الفاطمى إلى مغنيته المسماة نسب الطبالة فعرفت بها» . وهذه الأرض موقعها اليوم منطقة السكن التى تحد من الشمال والغرب بشارع الظاهر ، ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ، ومن الشرق بشارع الخليج المصرى . ومنذ ٦٠ سنة كان النصف الغربى من هذه المنطقة وما جاورها من الغرب أرضا زراعية تزرع فيها الخضراوات وعلى الأخص صنف الفجل فأشتهرت الأرض بٱسم غيط الفجالة نسبة للذين يزرعونه ، ولما عمرت تلك الجهة بالمساكن سميت الطريق التى كانت مجاور هذا الغيط من الجهة القبلية بٱسم شارع الفجالة .

٢٥ (٢) فى المقريزى (ج ٢ ص ١٢٥) «نسب» بالسين المهملة . وهى ٱمرأة مترجلة كانت تقف تحت قصر المستنصر فى المواسم والأعياد وتسير أيام الموكب وحولها طائفتها وهى تضرب بالطبل .

سقى الله أرضا كلّما زُرْتُ رَوْضَها، * كَسَاها وحَلَّاها بزينتــه القُرْطُ
تَجلَّتْ عَرُوسًا والمِيَاهُ عُقُــودُها * وفي كُلِّ قُطْــر من جوانبها قُرْطُ

(ومنها) "خط باب القنطرة" قال ٱبن عبدالظاهر : ذكر لى علَمَ‌الدين بن ممّاتى أنه فى كتب الأملاك القديمة يسمّى بالمُرْتاحية .

(ومنها) "المَقْس"[1] قال القضاعى فى "خططه" : كانت ضيعة تعرف بأمّ دُنَيْن، وكان العاشر الذى يأخذ المَكْس يقعد بها لاستخراج المـال، فقيل المكس بالكاف، ثم أبدلت الكاف فى الألسنة قافا .

قال ٱبن عبد الظاهر : ومن النـاس من يقول فيه المَقْسِم لأن قسمة الغنائم فى الفتوح كانت فيـه . قال : ولم أر ذلك مسـطورا، وكانت الدكة من نواحيه بستانا إذا ركب الخليفة من الخليج يوم الكسر أتى إليـه فى البر الغربى من الخليج فى مركبة ويدخله بمفرده فيسقى منه فرسه، ثم يخرج إلى قصره على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية . إن شاء الله تعالى .

قال ٱبن عبـد الظاهر : والدكة الآن آدُرٌ وحارات شهرتهـا تغنى عن وصفها فسبحان من لا يتغير .

قلت : وقـد خَرِب أكثر تلك الآدُر والحارات حتّى لم يبقَ منها إلا الرسوم، وبعضها باق يسكنه آحاد الناس .

(ومنها) "مَيْدان القمح" كان قديما بستانا سلطانيا يسمّى بالمَقْسِى يدخل المـاء إليه من الخليج المعروف بالخليج الذكر الذى بناه كافور الإخشيدى، ثم أمر الظاهر الفاطمىّ بنقـل أنشابه وحفره وجعـله بركة قدّام اللؤلؤة، وأبقى الخليج المذكور

(١) كان المقس فى عهـد الدولة الفاطمية مقصورا على قرية المقس التى كانت واقعة فى المنطقة التى يقع فيها اليـوم جامع أولاد عنان لغاية شارع قنطرة الدكة . و يدخل فيها مدخل شارع إبراهيم باشا (شارع نوبار سابقا) والمبانى التى على جانبيه لغاية الدرب الإبراهيمى .

مسلطا على البركة ليستنقع المـاء فيها . فلما ضعف أمر الخلافة الفاطمية، وهُجِرت رُسومها القديمـة فى التفرج فى اللؤلؤة وغيرها، بنت السُّودان المعروفون بالطائفـة القَرَحية الساكنون بالمَقْس عند ضِيقه عليهم قُبالة اللؤلؤة حارة سميت حارة اللُّصوص بسبب تعدّيهم فيها مع غيرهم، ثم تنقلت بها الحال حتّى صار على ما هو عليه الآن .

٥ (ومنها) "بر آبن التبان" غربىّ خليج القاهرة، و ينسب إلى آبن التبان رئيس حِرَاقة الخلافة الفاطمية، وكان الآمر الفاطمىّ قد أمر بالعمارة قُبالة الحرق غربىّ الخليج، فأوّل من عمر به آبن التَّبان المذكور، أنشأ به مسجدا و بستانا ودارا فعرفت الخطّة به إلى الآن .

(ومنها) "خط اللوق" وهو خط قديم متسع ينتهى إلى الميدان المعـدّ لركوب السلطان عند وفاء النيل، قد عُمِر بالأبنيـة وسكنه رَعاع الناس وأو باشُهم والمكان

١٠ المعروف الآن بباب اللُّوق جزء منه .

(ومنها) "بِرْكة الفيل" وهى بركة عظيمة متّسعة جنوبىّ سـور القاهرة عليها الأبنية العظيمة المستديرة بها .

قال آبن عبد الظاهر : وتنسب إلى رجل من أصحاب ابن طولون يعرف بالفيل؛ وما أحسن قول آبن سعيد المغربىّ :

١٥ أُنظُرْ إلى بِرْكة الفِيلِ التى آكتنفتْ * بهـا المَنَـاظِرُ كالأهْـدَابِ لِلْبَصَرِ
كأنّمَـا هِىَ والأبْصَـارُ تَرْمُقُهَـا * كَوَاكِبٌ قَـدْ أدَارُوها عَلَى القَمَرِ

(ومنها) "خط الجامع الطولونى" من الصليبة وما والاها، وقد تقدّم فى الكلام على خِطَط الفُسْطاط أن هـذه الأرض كانت منازل لأحمـدَ بن طولون وعَسْكره، والجبل الذى فى جانبها البحرىّ يعرف بجبـل يَشْكُرَ، وعليـه بناء الجامع الطولونى

٢٠ المذكور، وآستحدث الملكُ الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله عليه قصورا جاءت فى نهاية الحسن والإتقان، وهى المعروفة بالكَبْش ، ولم يزل يسكنها أكابر الأمراء

إلى أن خرّبها العوامّ فى وقعة الجلبان قبل السبعين والسبعمائة، وهى على ذلك إلى الآن، وقد شرع الناس الآن فى آستحكار أماكنها للعمارة فيها فى حدود سنة ثمانمائة .

(ومنها) "خط حارة المَصامِدة" وتنسب لطائفة المَصامِدة من البربر الذين قدِموا مع المُعِزّ من المغرب، وكان المقدّم عليهم عبدَ الله المصمودىّ، وكان المأمون آبن البطائحىّ وزير الآمر قد قدّمه ونوّه بذكره، وسلم إليه أبوابه للمبيت عليها، وأضاف إليه جماعة من أصحابه . ٥

(ومنها) "الهِلاَلية" قال آبن عبد الظاهر : أظنها الحارة التى بناها المأمونُ بن البطائحىّ خارج الباب الجديد الذى بناه الحاكم بالشارع على يَسْرة الخارج منه للمَصامدة لما قدّمهم ونوّه بذكرهم، وحذر أن يبنى بينها وبين بركة الفيل حتّى صارت هذه الحارة مُشْرِفة على شاطىء بركة الفيل إلى بعض أيام الحافظ . ١٠

(ومنها) "المُنْتَجِبية" قال آبن عبد الظاهر : بلغنى أنها منسوبة لشخص فى الدولة الفاطمية يعرف بمُنْتَجِب الدولة .

(ومنها) "اليانِسيَّة" قال آبن عبد الظاهر : أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ، وكان يلقب بأمير الجيوش سيف الإسلام، ويعرف بيانس الفاصد لأنه فَصَد حَسَن آبن الحافظ، وتركه محلول الفِصَادة حتّى مات . ١٥

قال : وكان فى الدولة مَن آسمه يانس العزيزى، واليانِسيَّة : جماعة كانوا فى زمن العزيز بالله، ومنهم يانس الصقلّى، ونسبة هذه الحارة محتملة لأن تكون لكل منهم، وقد ذكر آبن عبد الظاهر عدة حارات كانت للجند خارجَ باب زويلة غير ما لعله ذكره سردا، منها ما هو مشهور معروف، وهو حارة حلب، والحبانية . ومنها ما ليس كذلك وهو الشوبك، والمأمونية، والحارة الكبيرة، والمنصورة الصغيرة، وحارة أبى بكر : ٢٠

*
* *

وأما جوامعها — فأقدمها "الجامع الأزهر" بناه القائد جوهر بعد دخول مولاه المُعِزّ إلى القاهرة وإقامته بهـا ، وفرغ من بنائه وجُمِّعت فيه الجمعة فى شهر رمضان لسبع خلون من سـنة إحدى وستين وثلثمائة ، ثم جدّد العزيز بن المعزّ فيـه أشياءَ وعَمَر به أماكنَ وهو أوّل جامع عُمِر بالقاهرة .

٥

قال صاحب "نهـاية الأرب" : وجدّده العزيز بن المُعِزّ، ولمـا عَمَر الحـاكم جامعه نقل الخُطْبة إليه وبقيَ الجامع الأزهر شاغرا، ثم أُعيدَت إليه الخطبة وصلى فيه الجمعة فى ثامن شهر ربيع الآخر سـنة خمس وستين وستمائة فى سلطنة الظاهر بيبرس، وتزايد أمره حتّى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قَدْرا .

١٠ قال آبن عبد الظاهر: وسمعتُ جماعة يقولون إن به طلسما لا يسكُنه عُصْفُور .

الجـامع الثـانى

الجـامـع الحاكمى

بنـاه الحاكم الفاطمىّ على القرب من باب الفتوح وباب النصر، وفُرِغ من بنائه فى سـنة ست وتسعين وثلثمائة ، وكان حين بنائه خارج القاهرة إذ كان بناؤه قبل بناء باب الفتوح وباب النصر الموجودين الآن ، وكان هو خارجَ القوسين اللذين هما باب الفتوح وباب النصر الأوّلان .

١٥

ثم قال : وفى سيرة العزيز أنه آختط أساسـه فى العاشر من رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة ، وفى سـيرة الحاكم أنه آبتدأه بعض الوزراء وأتمـه الحاكمُ ؛ وعلى البَدَنة المجاورة لباب الفتوح أنها بنيت فى زمن المستنصر فى أيام أمير الجيوش سـنة ثمانين وأربعمائة ، ثم آستولى عليها مَنْ ملكها والزيادة التى إلى جانبه بناها الظاهر ابن الحاكم ولم يكملها ، ثم ثبت فى الدولة الصالحية نجم الدين أيوب أنها من الجامع

٢٠

وأن بها محرابا ، فانتُزِعت ممن هى معه وأُضيفت للجامع ، وبُنِىَ بها ما هو موجود الآن فى الأيام المعزية أيبك التُّرْكُمَانِىّ ولم تسقف .

الجامع الثالث

الجامع الأقمر

بناه الآمر الفاطمىّ بوَساطة وزيره المأمون بن البطائحى ؛ وكمل بناؤه فى سنة تسع عشرة وخمسمائة ؛ ويذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه .

قلت : ولم يكن به خُطْبة إلى أن جدّد الأمير يَلْبغا السالمى ، أحد أمراء الظاهر برقوق عمارتَهُ فى سنة إحدى وثمانمائة ورتّب فيه خُطْبة .

الجامع الرابع

الجامع بالمَقْس بباب البحر ، وهو المعروف بالجامع الأنور

بناه الحاكم الفاطمىّ أيضا فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

الجامع الخامس

الجامع الظافرىّ ، وهو المعروف الآن بجامع الفَكَّاهين (١)

بناه الظافر الفاطمىّ داخل بابَىْ زُوَيلة فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .
وكان زَرِيبة للكِبَاش ، وسبب بنائه جامعا أن خادما كان فى مشترف على الزريبة فرأى ذَبَّاحًا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكّينه وذهب لقضاء حاجة له ، فأتى رأس الغنم الآخر فأخذ السكين بفمه ورماها فى البالوعة ، وجاء الذَّبَّاحُ فلم يجد السكّين ، فاستصرخ الخادمُ وخلصه منه ، فرفعت القصة إلى أهل القصر فأمروا بعمارته .

(١) فى خطط المقريزى "الفاكهيين".

الجـامع السـادس

الجامع الصالحى

بناه الصالح طلائع بن رُزِّيك وزير الفائز والعاضد من الفاطميين خارج باب زُوَيلة، بقصد نقل رأس الحسين عليه السلام من عَسْقلانَ إليه، عند خوف هجوم الفرنج عليها، فلما فرغ منه لم يمكّنه الفائز من ذلك، وآبتنى له المشهد المعروف بمشهد الحُسَيْن بجوار القصر، ونقله إليه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة؛ وبنى به صِهْريجا وجعل له ساقية تنقل الماء إليه من الخليج أيام النيل على القرب من باب الخرق. ولم يكن به خُطبة، وأوّل ما أقيمت الجمعة فيه فى الأيام المُعِزِّيّة أيبك التُّرْكُمَانِىّ فى سنة آثنتين وخمسين وستمائة، وخطب به أصيل الدين أبو بكر الإسعِرْدىّ؛ ثم كَثُرت عمارة الجوامع بالقاهرة فى الدولة التركية خصوصا فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها، فعمر بها من الجوامع ما لا يكاد يحصى كثرة: كجامع الماردينى، وجامع قُوصون خارج باب زُوَيْلة وغيرهما من الجوامع، وأقيمت الجمعة فى كثير من المدارس والمساجد الصِّغار المتفرّقة فى الأخطاط لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم.

***

وأما مدارسها — فكانت فى الدولة الفاطمية وما قبلها قليلةَ الوجود بل تكاد أن تكونَ معدومة، غير أنه كان بجوار القصر دارٌ تعرف "بدار العلم" خلف خان مسرور، كان داعى الشيعة يجلس فيها، ويجتمع إليه من التلامذة مَنْ يتكلم فى العلوم المتعلقة بمذهبهم، وجعل الحاكم لها جزءا من أوقافه التى وقفها على الجامع الأزهر وجامع المَقْس وجامع راشدةَ؛ ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار لآجتماع الناس فيها والخوض فى المذاهب خوفا من الآجتماع على المذهب النِّزارىّ؛ ثم أعادها الآمر بواسطة خُدام القصر بشرط أن يكون مُتَوَلّيها رجلا دَيِّنا والداعى هو الناظر فيها، ويقام فيها متصدّرون برسم قراءة القرءان.

وقد ذكر المسبحي في تاريخه : أن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كِلّس سأل العزيز بالله في حمله رزق جماعة من العلماء ، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق ، وبنى لهم دارا بجانب الجامع الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة حَلقوا بالجامع بعد الصلاة وتكلموا في الفقه، وأبو يعقوب قاضي الخندق رئيسُ الحَلْقَةِ والملقي عليهم إلى وقت العصر، وكانوا سبعة وثلاثين نفرا . ٥

ثم جاءت الدولة الأيوبية فكانت الفاتحة لباب الخير، والغارسةَ لشجرة الفضل، فآبتنى الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر (دار الحديث الكاملية) بين القصرين في سنة آثنتين وعشرين وستمائة ، وقرّر بها مذاهب الائمة الأربعة وخطبةً، وبقي إلى جانبها خراب حتّى بُنِي آدُرا في الأيام المُعِزِّيّة أيبك التُّرْكُمَانِيّ في سني خمسين وستمائة، ووقفُ على المدرسة المذكورة، وبنى مَنْ بنى من أكابر دولتهم مدارس ١٠ لم تبلغ شَأْو هذه ، وشتَّان بين الملوك وغيرهم .

ثم جاءت الدولة التركية فأربت على ذلك وزادت عليه ، فآبتنى الظاهر بيبرس (المدرسة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الصالحية ، ثم آبتنى المنصور قلاوون (المدرسة المنصورية) من داخل بيارستانه الآتي ذكره وجعل قبالتها تُرْبةً سنية . ١٥

ثم آبتنى الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيارستان المذكور .

ثم آبتنى الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (مدرسته العظمى) تحت القلعة، وهي التي لم يُسْبَق إلى مثلها، ولا سمع في مصر من الأمصار بنظيرها ، يقال إن إيوانها يزيد في القدر على إيوان كسرى بأذرع .

ثم آبتنى آبنُ أخيه الأشرف شعبان بن حسين (المدرسة الأشرفية) بالصُّوّة ٢٠ تحت القلعة ومات ولم يكملها، ثم هدمها الناصر فرج بن الظاهر برقوق لتسلطها على

القلعة فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ونقل أحجارها إلى عمارة القاعات التى أنشأها بالحوش بقلعة الجبل ؛ ولم تعهد مدرسة قُصِدت بالهدم قبلها .

ثم ٱبتنى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الكاملية بجاءت فى نهاية الحسن والعَظَمة ، وجعل فيها خطبة ، وقرر فيها صوفية على عادة الخوانق ودروسا للأئمة ، وتغالى[1] فى ضخامة البناء ؛ ونظم الشعراء فيها ، فكان مما أتى به بعضهم من أبيات :

وبَعْضُ خُدَّامِهِ طَوْعًا لِخِدْمَتِهِ * يَدْعُو الصُّخُورَ فَتَأْتِيهِ عَلَى عَجَلِ

وتواردوا كلهم على هذا المعنى ، فٱقترح على بعضُ الأكابر نظم شىء من هذا المعنى فنظمت أبياتا جاء منها :

وبِالْخَلِيلِيِّ قد رَاجَتْ عِمَارَاتُهَا * فى سُرْعَةٍ بُنِيَتْ مِنْ غَيْرِ مَا مَهَلِ
كَمْ أظهرَتْ عَجَبًا أَسْوَاطُ حِكْمَتِهِ * وَكَمْ غَدَتْ مَثَلًا نَاهِيكَ مِنْ مَثَلِ
وكم صخورٍ تَخَالُ الجِنَّ تَنْقُلُهَا * فإنَّهَا بالوَحَا تَأْتِى وبالْعَجَلِ

وفى خلال ذلك ٱبتنى أكابرُ الأمراء وغيرهم من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها .

* * *

وأما الخوانق والرُّبُطُ — فما لم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية ، وكان المبتكر لها السلطانَ صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فٱبتنى (الخانقاه الصلاحية) المعروفة بسعيد السعداء ، وسعيد السعداء لقب لخادم للمستنصر الفاطمىّ ٱسمه قنبر كانت الدار له ، ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح طلائع بن رُزِّيك ، ولما ولى الوزارة فتح من دار الوزارة إليها سِرْدابا تحت الأرض ، وسكنها شاور

(١) فى الأصل : « فتعالى فيها » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

السعدى وزير العاضد ثم ولده الكامل . فلما ملك السلطان صلاح الدين جعلها خانقاه، ووقف عليها قَيْسارِيَّةَ الشُّرْب داخل القاهرة، و بستان الحَبَّانية بزقاق البركة.

*
* *

وأما مساجد الصلوات الخمس — فأكثر من ان تحصى وأعزّ من ان تستقصى، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلُّون . ٥

*
* *

وأما البيمارستان — فقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر: بلغنى أن البيمارستان كان أولا بالقَشَّاشين ، يعنى المكان المعروف الآن بالخراطين على القرب من الجامع الأزهر ، وهناك كانت دارُ الضرب بناها المأمون بن البطائحى وزير الآمر قبالةَ البيمارستان المذكور، وقرر دُورَ الضرب بالإسكندرية وقُوص وصُور ١٠ وعَسْقلان، ثم لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية وآستولى على القصر، كان فى القصر قاعةٌ بناها العزيز بن المُعِزّ فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، بجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستانا ، وهو البيمارستان العتيق الذى داخل القصر، وهو باقٍ على هيئته إلى الآن، و يقال إن فيها طلسما لا يدخلها نمل، و إن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستانا . ١٥

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : ولقد سألت المباشرين بالبيمارستان المذكور عن ذلك فى سنة سبع وخمسين و[ستمائ]ة[1] فقالوا صحيح .

ثم آبتنى السلطان الملك "المنصور قلاوون" رحمه الله دارَ ستِّ الملك أخت الحاكم، المعروفة "بالدار القُطْبية" بيمارستانا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة بمباشرة الأمير علَم الدين

(١) زيادة يقتضيها المقام لأن ابن عبد الظاهر كان موجودا فى هذا الوقت . ٢٠

الشجاعى" ، وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة المتقدّم ذكرهما ، فبقىّ معالم بعض الدار على ما هو عليه ، وغيِّر بعضها . وهو من المعروف العظيم الذى ليس له نظير فى الدنيا . ونظره رتبة سنيةٌ يتولاه الوزراء ومَنْ فى معناهم .

قال فى "مسالك الأبصار": وهو الجليل المقدار، الجليل الآثار، الجميل الإيثار، العظيم بنائه ، وكثرة أوقافه ، وسعة إنفاقه ، وتنوع الأطباء والكحّالين والجرائحية فيه .

* * *

قلت : ولم تزل القاهرة فى كل وقت تتزايد عمارتُها ، وتتجدّد معالمها ، خصوصا بعد خراب الفُسْطَاط ، وٱنتقال أهله إليها على ما تقدّم ذكره حتّى صارت على ما هى عليه فى زماننا : من القصور العَلِيَّة ، والدور الضخمة ، والمنازل الرحيبة ، والأسواق الممتدّة ، والمناظر النزهة ، والجوامع البَهِجَة ، والمدارس الرائقة ، والخوانق الفاخرة ، مما لم يُسْمع بمثله فى قُطْرٍ من الأقطار ، ولا عُهِد نظيره فى مصر من الأمصار . وغالب مبانيها بالآجُرّ ، وجوامعها ومدارسها و بيوت رؤسائها مبنيةٌ بالحجر المنحوت ، مفروشة الأرض بالرخام ، مؤزَّرة الحيطان به ، وغالب أعاليها من أخشاب النخل والقصب المحكم الصنعة ، وكلها أو أكثرها مُبَيَّضَةُ الجُدُر بالكِلْس الناصع البياض ، ولأهلها القوّة العظيمة فى تَعْلِيَـة بعض المساكن على بعض حتّى إن الدار تكون من طبقتين إلى أربع طبقات بعضها على بعض ، فى كل طبقـة مساكنُ كاملةٌ بمنافعها ومرافقها ، وأسطحة مقطعة بأعلاها بهندسة محكمة ، وصناعة عجيبة .

قال فى "مسالك الأبصار": لا يرى مثل صُنّاع مِصْرَ فى هذا الباب ، وبظاهرها البساتين الحِسَانُ ، والمناظر النَّزِهَةُ ، والآدُرُ المُطِلَّةُ على النيل ، والخُلْجَانُ الممتدّة منه ومن مدّه ؛ وبها المستنزهات المستطابة ، خصوصا زمنَ الربيع لغُدْرانها الممتدّة من مقطعات النيل وما حولها من الزروع المختلفة وأزهارها المـائسة التى تسرّ الناظر وتبهج الخاطر .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وأجمع المسافرون برّا وبحرا أنه لم يكن أحسن منها مَنْظَرًا، ولا أكثر ناسا، وإليها يُجلَب ما فى سائر أقاليم الأرض من كل شيء غريب وزِىّ عجيب ؛ وملكها مَلِكٌ عظيم ، كثير الجيوش ، حسن الزِّىّ لا يماثله فى زِيِّه ملك من ملوك الأرض ؛ وأهلها فى رَفَاهِيَة عَيْش وطيب مأكَل ومَشْرَب؛ ونساؤه فى غاية الجمال والظَّرْف . ٥

قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى غير واحد ممن رأى المُدُنَ الكِبَار أنه لم يرَ مدينة اجتمع فيها من الخَلْق ما اجتمع فى القاهرة .

قال : وسألت الصدر مَجْد الدين إسماعيل عن بَغْدَادَ وتُورِيزَ هل يجمعان خلقا مثل مصر ؟ فقال : فى مصر خلق قدر مَنْ فى جميع البلاد .

قال فى "التعريف" : (والقاهرة اليوم أُمّ الممالكْ ، وحاضرة البلاد، وهى ١٠ فى وقتنا دارُ الخلافة ، وكرسىّ الملك ، ومَنْبَع الحكماء ، ومَحَطُّ الرحال ، ويتبعها كل شرق وغرب خلا الهند فإنه نائى المكان، بعيد المدى، يقع لنا من أخباره ما نُكْبِره، ونسمع من حديثه مالا نألفه .

قال : وكان يخلق لنا أن نجعل كل النُّطُق بالقاهرة دائرة، وإنما نفردها بما اشتملت عليه حدود الديار المصرية ، ثم ندير بأُمّ كل مملكة نِطَاقها ، ثم إليها مرجع ١٥ الكل وإلى بحرها مصب تلك الخُلُج) .

قال فى "مسالك الأبصار" : إلا أن أرضها سبخة، ولذلك يَتَعَجَّلُ الفساد إلى مبانيها .

وذكر القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر نحو ذلك وأن المُعِزّ لام القائد جوهرا على بنائها فى هذا الموضع ،وتَرْكِ جانب النيل عند المَقْس أو جنوبىّ الفُسْطَاط ٢٠ حيث الرصد الآن .

القـاعدة الثالثـــة

القلعـــة

(بفتح القاف) و يعبر عنها بقلعة الجبل، وهى مَقَرُّ السلطان الآن ودار مملكته.

بناها الطواشى بهاء الدين قراقوش المتقــدّم ذكره للملك النـاصر صلاح الدين

٥ يوسف بن أيوب رحمه الله، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المُقَطَّم والفُسْطَاط، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة والقرافة[1]، وطولها وعرضها على ما تقدّم فى الفُسْطَاط أيضـا، وهى على نَشَز مرتفع من تقاطيع الجبـل المقطم، ترتفـع فى موضع وتنخفض فى آخر.

وكان موضعها قبل أن تبنى، مساجدَ من بناء الفاطميين: منها مسجد ردينى

١٠ الذى هو بين آدُر الحريم السلطانية.

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر: قال لى والدى رحمه الله: عرض علىّ الملك الكامل إمامته، فآمتنعت لكونه بين آدُر الحريم. ولم يسكنها السلطان صلاح الدين رحمــه الله، و يقال: إن آبنه الملك العزيز سكنها مدّة فى حياة أبيه، ثم آنتقل منها إلى دار الوزارة.

١٥ قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر: قال لى والدى رحمه الله: كنا نطْلُع إليها قبل أن تُسْكَن فى ليالى الجُمَع نبيت متفرجين كما نبيت فى جواسق الجبل والقرافة.

وأوّل من سكنها الملك الكامل محمــد بن العادل أبى بكر بن أيوب آنتقل إليها من قصر الفاطميين سنة أربع وستمائة، وآستقرت بعده سكنا للسلاطين إلى الآن.

ومن غريب ما يحكى أن السلطان صلاحَ الدين رحمه الله طلع إليها ومعه أخوه

٢٠ العادل أبو بكر، فقال السلطان لأخيه العادل: هذه القلعة بُنيت لأولادك، فثقُل ذلك على العـادل وعرف السلطان صـلاح الدين ذلك منه؛ فقال: لم تفهم عنى

(١) لعله زائد أو سهو.

إنما أردت أنى أنا نجيب فلا يكون لى أولاد نُجباء ، وأنت غير نجيب فتكون أولادُك نجباءَ فسُرِّى عنه ، وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين ، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام ، فآستناب ولده الملك الكامل محمدا فى الديار المصرية فسكنها .

وذكر فى "مسالك الأبصار" أن أوّل مَنْ سكنها العادل أبو بكر، ولما سكنها الكامل المذكور، آحتفل بأمرها وآهتمّ بعمارتها وعمّر بها أبراجا ، منها البرج الأحمر وغيره .

وفى أواخر سنة آثنتين وثمانين وستمائة عمّر بها السلطان الملك المنصور قلاوون بُرْجًا عظيما على جانب باب السر الكبير ، وبنى عليه مشترفات حسنة البنيان ، بهجة الرخام ، رائقة الزَّخرفة . وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ثم عمّر بها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة أماكن ، كملت بها معانيها، وآستحق بها القلعة على بانيها :

أحدها — القصر الأبلق الذى يجلس به السلطان فى عامة أيامه ، ويدخل عليه فيه أمراؤه وخواصه ، وقد آستجدّ به السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" رحمه الله فى جانبه مقعدا بإزاء الإسطبلات السلطانية جاء فى نهاية من الحسن والبهجة .

والثانى — الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان فى أيام المواكب للخدمة العامة وإقامة العدل فى الرعية .

والثالث — جامع الخُطْبة الذى يصلى فيه السلطان الجمعة ، وستأتى صفة هذه الأماكن كلها .

وهذه القلعة ذاتُ سور وأبراج ، فسيحة الأفنية ، كثيرة العمائر، ولها ثلاثة أبواب يدخل منها اليها :

أحدها — من جهة القرافة والجبل المُقَطَّم ، وهو أقل أبوابها سالكا وأعزُّها آســتطراقا .

والثانى — باب السر ، ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخواصّ الدولة : كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، يتوصل إليه من الصوّة ، وهى بقية النَّشَز الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة ، بتعريج يمشى فيه مع جانب جدارها البحرى حتّى ينتهى إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب ، وهذا الباب لا يزال مُغْلَقًا حتّى ينتهىَ إليه من يستحق الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلق .

والثالث — وهو بابها الأعظم الذى يدخل منــه باقى الأمراء وسائرُ النــاس ، يتوصل إليه من أعلى الصوّة المتقدّم ذكرها ، يرقى إليه فى درج متناسبة حتّى يكون مدخله فى أول الجانب الشرقىّ من القلعة ، ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى منها إلى دِرْكَاه جليلة يجلس بهــا الأمراء حتّى يؤذَن لهم بالدخول ، وفى قبلىّ هــذه الدركاه (دار النيـابة) وهى التى يجلس بهــا النائب الكافل للحكم إذا كان ثَمّ نائب ، و(قاعة الصاحب) وهى التى يجلس بهــا الوزير وكُتّاب الدولة ، و(ديوان الإنشــاء) وهو الذى يجلس فيه كاتب السر وكُتّاب ديوانه ، وكذلك (ديوان الجيش) وســائر الدواوين السلطانية .

وبصدر هذه الدِّرْكَاه باب يقال له "باب القُلَّة" يدخل منه إلى دهاليز فسيحة ، على يَسْرَةِ الداخل منها بابٌ يتوصل منه إلى جامع الخطبة المتقدّم ذكره ؛ وهو من أعظم الجوامع ، وأحسنها وأبهجها نظرا ، وأكثرها زَخْرَفة ، متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مُبَطَّنُ السُّقُوف بالذهب ؛ فى وسطه قبة يليها مقصورة يصلِّى فيها السلطان الجمعــة ، مستورة هى والرواقات المشتملة عليهــا

بشبابيك من حديد محكمة الصنعة ، يُحَفّ بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة، ودور الحريم السلطانية .

وبصدر الدهاليز المتقدّمة الذكر مَصْطَبةٌ يجلس عليها مقدّم المماليك، وعندها مَدْخل باب السر المتقدّم ذكره ، وفى مجنبة ذلك ممرٌّ يدخل منه إلى ساحة يواجه، الداخل إليها باب الإيوان الكبير المتقدّم ذكره ، وهو إيوان عظيم عديم النظير ، مرتفع الأبنية ، واسع الأفنية ، عظيم العُمُد ، عليه شَبَابيكُ من حديد عظيمةُ الشأن محكمةُ الصنعة ؛ وبصدره سرير الملك ، وهو مِنْبَرٌ من رُخَام مرتفعٌ ، يجلس عليه السلطان فى أيام المواكب العظام لقدوم رسل الملوك ونحو ذلك .

ويُتَيامن عن هذا الإيوان إلى ساحة لطيفة بها باب القصر الأبلق المتقدّم ذكره ، وبنواحيها مصاطبُ يجلس عليها خواصّ الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة ؛ ويُدْخَل من باب القصر إلى دهاليز عظيمة الشأن ، نبيهة القدر ، يتوصّل منها إلى القصر المذكور، وهو قصر عظيم البناء، شاهق فى الهواء، به إيوانان فى جهتى الشّمال والجنوب، أعظمهما الشّمالىّ ، يُطَلّ منهما على الإصطبلات السلطانية، ويمتدّ النظر منهما إلى سوق الخيل والقاهرة والفُسْطَاط وحواضرها، إلى مجرى النيل، وما يلى ذلك من بلاد الجيزة والجبل وما والى ذلك ؛ وبصدره مِنْبر من رخام كالذى فى الإيوان الكبير يجلس عليه السلطان أحيانا فى وقت الخدمة على ما يأتى ذكره .

والإيوان الثانى وهو القبلىّ خاص بخروج السطان وخواصّه منه، من باب السر إلى الإيوان الكبير خارج القصر للجلوس فيه أيام المواكب العامّة ، ويدخل من القصر المتقدّم ذكره إلى ثلاثة قصور جَوّانية : واحد منها مسامت لأرض القصر الكبير، واثنان مرفوعان، يُصْعَد إليهما بدَرَج ؛ فى جميعها شبابيكُ من حديد تشرف على ما يُشرف عليه القصر ، ويدخل من القصور الجوّانية إلى دور الحريم وأبواب

الستور السلطانية؛ وهذه القصور جميعها ظاهرها بالحجر الأسود والأصفر، وداخلها مؤزَّر بالرخام والفَصّ المُذَهَّب المشجَّر بالصَّدَف وأنواع الملونات، والسقوفُ المبطَّنة بالذهب واللّازَوَرْد تُخرق[1] لضوء فى جُدْرانها بطاقاتٍ من الزجاج القُبْرسىّ الملون كقِطَع الجوهر المؤلفة فى العقود، وجميع أرضها مفروشة بالرخام المنقول من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله .

قال فى "مسالك الأبصار": فأما الآدُر السلطانية فعلى ماصح عندى خبره أنها ذوات بساتين وأشجار ومُنَاخات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور الدّواجن

وخارج هـذه القصور طِبَاق واسـعة للماليك السلطانية ، ودُورٌ عظامٌ لخواصّ الأمراء من مقـدّمى الألوف ، ومَنْ عَظُمَ قدره من أمراء الطَّبْلَخَانَاه والعشرات ، ومن خرج عن حكم الخاصكية إلى حكم البرانيين .

وبها بيوت ومساكنُ لكثير من النـاس، وسوق للمآكل ؛ ويباع بها النَّفِيس من السلاح والقماش مع الدّلالين يطوفون به .

وبهذه القلعـة مع آرتفاع أرضها وكونها مبنية على جبل بئرُ ماء مَعِين منقوبة فى الحجر، إحتفرها بهاء الدين قراقوش المتقـدّم ذكره حين بناء القلعـة، وهى من أعجب الآبار، بأسفلها سَوَاقٍ تدور فيها الأبقار، وتنقل المـاء فى وسطها، وبوسطها سواق تدور فيها الأبقار أيضا وتنقل المـاء إلى أعلاها؛ ولها طريق إلى المـاء ينزل البقر فيه إلى معينها فى مجاز، وجميع ذلك نَحْتٌ فى الحجر ليس فيه بناء .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : وسمعت من يحكى من المشايخ أنهـا لمـا نقرت، جاء ماؤها عَـذْبا فأراد قراقوش أو نوابُه الزيادة فى مائها فوسـع نقرا فى الجبل، فخرجت منه عين مالحة غيرت عذوبتها. ويقال: إن أرضها تسامتُ أرض

(١) فى المقريزى هكذا : «وقد مؤهت باللازورد والنور يخرق فى جدرانها الخ» .

بركة الفيل ؛ وهـذه البئر ينتفع بها أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الاستعمالات . أما شُرْبهم فمن المـاء العذب المنقول إليها من النيل بالرّوايا على ظهور الجمـال والبغال مع ما ينساق إلى قصور السـلطان ودور أكابر الأمراء المجـاورين للسلطان من ماء النيل فى المجارى، بالسواق النَّقّالات والدواليب التى تديرها الأبقار وتنقل المـاء من مقرّ إلى آخر حتّى ينتهى إلى القلعة، ويدخل إلى القصور والآدُر فى آرتفاع نحو خمسمائة ذراع .

وقد آستجدّ السلطان الملك الظـاهر برقوق بهـذه القلعة صِهْرِيجا عظيما يُمْلأُ فى كل سنة زَمَنَ النيل من المـاء المنقول إلى القلعة من السواقى النَّقّالات ، ورتّب عليه سبيلا بالدِّرْكاه التى بها دار النيابة يسق فيه المـاء وحصل به للناس رفق عظيم .

وتحت مشترف هذه القلعة ممـا يلى القصور السلطانية مَيْدَانٌ عظيم يحول بين الإصطبلات السلطانية وسوق الخيل، ممرّج بالنجيل الأخضر، فسيح المدى، يسافر النظر فى أرجائه، به أنواع من الوحوش المستحسنة المَنْظَر، وتُرْبَط به الخَوَاصّ من الخيول السلطانية للتفسح ؛ وفيه يصلى السلطان العيدين على ما سيأتى ذكره ؛ وفيه تعرض الخيول السلطانية فى أوقات الإطلاقات ووصول التقادم والمشترى، وربما أطعم فيه الجوارح السلطانية؛ وإذا أراد السلطان النزول إليه خرج من باب إيوان القصر وركب من درج تليه إلى إصطبل الخيول الخاص، ثم نزل إليه راكبا وخواصّ الأمراء فى خدمته مشاةٌ ، ثم يعود إلى القصر كذلك .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى "خططه" : وكان هـذا المَيْدَان وما حوله يعرف قديما بالميدان ، وبه قصر أحمـد بن طولون وداره التى يسكنها ، والأماكن المعروفة بالقطائع حوله على ما تقدّم ذكره فى خطط الفُسْطَاط ، ولم يزل كذلك حتّى بنى الملك الكامل بن العادل بن أيوب هـذا المَيْدَان تحت القلعة حين

سكنها ، وأجرى السواقى النقّالات من النيل إليه ، وعمّر إلى جانبه ثلاث بِرَك تملأ لسقيه ؛ ثم تعطل فى أيامه مدّة ، ثم آهتم به الملك العادل ولده ، ثم آهتم به الصالح نجم الدين أيوب آهتماما عظيما ، وجدّد له ساقية أخرى ، وغرس فى جوانبه أشجارا فصار فى نهاية الحسن . فلما تُوُفّى الصالح تلاشى حاله إلى أن هُدِم فى سنة خمسين
٥ وستمائة ، أو سنة إحدى وخمسين فى الأيام المُعِزّيّة أيبك التركمانى ، وهُدمت السواقى والقناطر وعفَت آثارها ، وبقى كذلك حتّى عمّره السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، فأحسن عمارته ورصّفه أبدع ترصيف ، وهو على ذلك إلى الآن .

أما المَيْدانُ السلطانىّ الذى بخُطّ اللوق ، وهو الذى يركب إليه السلطان عند
١٠ وفاء النيل للَعِب الكُرَة ، فبناه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل به المناظر الحسنة ونصب الطّوارق على بابه كما تُنْصب على باب القلاع وغيرها ، ولم تزل الطوارق منصوبة عليه إلى ما بعد السبعمائة ؛ وسيأتى الكلام على كيفية الركوب إليه فى المواكب فى الكلام على ترتيب المملكة فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

والقلعة التى بالرَّوْضَة تقدم الكلام عليها [فى الكلام] على خِطَط الفُسْطاط .

١٥ ***

ومما يتصل بهذه القواعد الثلاث ويلتحق بها "القرافة" التى هى مَدْفَن أمواتها ، وهى تربة عظيمة ممتدّة فى سفح المُقَطَّم ، موقعها بين المقطم والفُسْطَاط وبعض القاهرة ، تمتدّ من قلعة الجبل المتقدّم ذكرها آخذةً فى جهة الجَنُوب إلى بركة الحبش وما حولها . وكان سبب جعلها مَقْبُرة ما رواه آبن عبد الحَكَم عن الليث بن سعد :
٢٠ أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفحَ المقطم بسبعين ألف دينار ، فتعجب عمرو من ذلك ، وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك ،

فكتب إليــه عمر : أنْ سَلْهُ لِمَ أعطاك به ما أعطاك وهى لا تُزْرع ولا يُسْتنبط بها ماء ولا ينتفع بهـا ؛ فسأله ، فقال : إنا لنجد صِـفَتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فى ذلك ، فكتب إليه عمر : "إنّى لا أرى غَرْس الجنة إلا للؤمنين فاقبُرْ بها مَنْ مات قِبَلَك من المسلمين ولا تَبِعْها بشىء" فقال المقوقس لعمر : ما على ذا عاهدتنا ، فقطع لهم قِطْعـة تُدفَن فيها النصارى ، وهى التى على القرب من بِرْكة الحبش ؛ وكان أوّلُ من قُبِر بسـفح المقطم من المسلمين رجلا من المَعَافِر ٱسمه عامر ، فقيل عَمَرت .

ويروى أن عيسى عليـه السلام مرّ على سـفح المقطم فى سـياحة ومعه أمّه ، فقال : "يا أمّاه ! هذه مَقْبُرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم" . وفيها ضرائح الأنبياء عليهم السلام كإخوة يوسف وغيرهم . وبها قبر آسيَة ٱمرأة فرعون ، ومشاهد جماعة من أهل البيت والصحابة والتابعين والعلماء والزُّهّاد والأولياء .

وقد بنى الناس بها الأبنية الرائقة ، والمناظر البَهِجَة ، والقصورَ البديعة ، يَسْرَحُ الناظر فى أرجائها ، ويبتهج الخاطر برؤيتها ؛ وبها الجوامع والمساجد والزوايا والرُّبُط والخوانق ، وهى فى الحقيقة مدينة عظيمة إلا أنها قليلة السـاكن .

الفصل الثـانى
مـن المقـالة الثانيــــة
فى ذكر كُوَرِ الديار المصرية ، وهى على ضربين
الضرب الأوّل
فى ذكر كُوَرِهَا القــديمة

وقد جعلها القُضاعىّ فى "خططه" ثلاثة أحياز ، وتشتمل على خمس وخمسين كورة ، إلا أنه ذكرها سَرْدا غير مبيّنــة ولا مُرتّبة ، وقد أوردتُها هنا مبيّنة مرتبة ،

ونبهتُ على ما هو مستمرّ منهـا على حكمـه ، وما تغيّر حكمـه بإضافته إلى غيره من الأعمال المستمرّة مع بقاء أسمائه ، وما درس آسمه ونُسِى ، أو تغير ولم تعلم له حقيقة .

الحَـــيِّز الأوّل

أعلى الأرض ، وهو الصـعيد

٥ والمراد ماهو من كُوَرِهَا جنوبىّ الفُسْطَاط إلى نهايته فى الجنوب ، وسمى صعيدا لأنّ أرضه كلّما وغلت فى الجنوب ، أخذت فى الصُّعود والآرتفاع .

وقد ذكر القُضَاعىُّ فيه عشرين كورة :

الأولى — (كُورَةُ الفيوم) وهى كُورة باقية مستمرّة الحكم إلى الآن ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

١٠ الثانيـة — (كُورَةُ مَنْف) وَمَنْفُ هى مدينة مصر القـديمة المتقدّمة الذكر ، التى بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . وقد تقدّم أنها على آثنَىْ عشر ميلا من الفُسْطَاط فى جَنُوبِيِّه على القرب من البلدة المعروفة الآن بالبَدْرَشِين .

الثـالثة — (كُورَة وَسِيم) ووَسِيمُ بفتح الواو وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر . بلدة من عمـل الجيزة معروفة ، والثـابت فى الدواوين

١٥ أُوْسِيمُ بزيادة ألف فى أوّلهـا وسكون الواو .

الرابعة — (كُورَةُ الشرقية) وكأن المراد بها عمل إطفيح الآن إذ هو شرقىّ النيل وليس بالوجه القبلىّ عمل مستقلٌّ شرقىّ النيل سواه .

الخامسة — (كُورَةُ دَلَاص وبُوصِير) أما دَلَاصُ فبدال مهملة مفتوحة ولام ألف ثم صاد مهملة ، قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة عظيمة بها عجائب

٢٠ الأبنية وبها كان مجتمع سَحَرة مصر . وأما بوصير فالمراد هنـا بُوصِير قُورِيدُس التى

قتل بهـا مَرْوَانُ الحِمَار، آخر خلفاء بنى أميّة، ودَلَاص وبُوصِير هـذه كلاهما الآن من عمل البهنسى، وسيأتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

قال فى "الروض المعطار" : قال الجاحظ : بهـا ولد عيسى بن مريم عليه السلام . وذكر أن نخلة مريم كانت قائمة بها إلى زمانه .

قلت : والمعروف أن مولد عيسى عليه السلام كان بالقُدْس من أرض الشام على ما سيأتى ذكره فى الكلام على الإيمان فى أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

السادسة — (كُورَةُ أَهْنَاس) وأَهْنَاس بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح النون وألف وسين مهملة فى الآخر ، وتعرف بأَهْنَاس المدينة ، كانت مدينة فى القديم ، وهى الآن من جملة عمل البَهْنَسى الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

السابعة — (كُورَةُ القَيْس) والقَيْس بفتح القاف وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر، كانت مدينةً فى القديم، وهى الآن قرية معدودة من عمل البَهْنَسى أيضا .

الثامنة — (كُورَةُ البَهْنَسى) وهى ذات عمل مستقرّ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

التاسعة — (كُورَةُ طَحَا وجِيْر[1] شَنُودَة) . أما طحا فبفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر ، كانت فى القديم مدينةً ذات عمل، ولذلك تعرف بطَحَا المدينة، وهى الآن من عمل الأُشْمُونَيْنِ الآتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة؛ وإليها ينسب أبو جعفر الطَّحَاوىّ إمام الحنفية ومحدّثهم .

وأما جِير[1] شَنُودة ، فمن الأسماء التى دَرَست ولم نعلم حقيقتها .

العاشرة — (كُورَةُ بُوَيْط) قال ابن خَلِّكَان : بُوَيْط بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وطاء مهملة فى الآخر. وقال فى " تقويم البلدان[2] "

(١) كذا فى ياقوت . وفى الأصل : « حير » بالحاء المهملة .

(٢) نص ياقوت على الضبطين وقال : أكثر ما يقال بغير همز .

بهمزة مفتوحة فى أوّله وباء ساكنة ، وهو آسم واقـع على بلدتين بالديار المصرية : إحداهما بعمل البهنسى فى لِحْف الجبل على طريق المارّة، و إليها ينسب أبو يعقوب البُوَيْطى : أحد رواة الجديد عن الإمام الشافعيّ رضى الله عنه . والثانية من عمل سُيُوط وتُعرف ببُوَيْط البتينة، و إليها ينسب شرق بو يط والظاهر أنها المرادة هنا.

٥ الحادية عشرةَ — (كُورَةُ الأشْمُونَيْنِ وأَنْصِنَا وشُطْب) . أما مدينة الأشْمُونَيْنِ، فذات عمل مستقرّ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعـد إن شاء الله تعالى .

وأما (أَنْصِنَا) فقال فى " تقويم البُـلْدان " : هى بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الصاد المهملة وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة قديمة خرابٌ فى البر

١٠ الشرقى من النيل قُبَالة الأشْمُونَيْنِ .

وقد ذكر آبن هشام فى السيرة : أن مارِيَةَ القِبْطية التى أهداها المُقَوْقِسُ النبيّ صلّى الله عليه وسلم من كُورَتِها من قرية يقال لها حَفْن، وأنصنا الآن من جملة عمل الأشْمونين .

وأما (شُطْبٌ) فبضم الشين المعجمة وسكون الطـاء المهملة وباء موحدة

١٥ فى الآخر، وهى مدينة قديمة بنيت فى زمن شدّاد بن عديم أحد ملوك مصر بعـد الطوفان قد خربت وعُمِر عليها قرية صغيرة سميت باسمها ، وهى الآن من جملة عمل سُيُوط الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

الثانيةَ عشرةَ — (كُورَةُ سُيُوط) وهى مستقرّ الحكم وسيأتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة .

٢٠ الرابعةَ عشرةَ — (كُورَةُ قَهْقُوَهَ) وهى من الأسمـاء التى درست ونُسِيت ، ولم أعلم بالصعيد بلدة تسمى الآن بهذا الآسم .

الخامسةَ عشرةَ — (كورة إخميم والدَّيْر وأبْشَاية) . أما كورة إخميم ، فمن الكور المستمرّة الحكم ، وسيأتى الكلام عليها فى الكُوَر المستقرّة .

وأما (الدير) فيجوز أن يكون المراد به الدَّيْر والبَلَّاص[1] ، وهى بلدة فى شرقىّ النيل شَمَالىّ قِنَا ، هى الآن من عمل قُوص الآتية الذكر .

وأما (أبْشاية) فمن الأسماء التى جهلت .

السادسةَ عشرةَ — (كورة هُوْ ودَنْدَرَةَ وقِنَا) . أما هُوْ ، فبضم الهاء وسكون الواو ، وهى مدينة صغيرة على ساحل البر الغربىّ الجنوبىّ من النيل ، ويضاف إليها فى الدواوين الكوم الأحمر ، فيقال هُوْ والكومُ الأحمر .

وأما (دَنْدَرَة) فبفتح الدال المهملة وسكون النون وفتح الدال الثانية والراء المهملة وهاء فى الآخر ، وهى مدينة قديمة خرابٌ على الساحل الغربىّ الجنوبى من النيل فى شرقىّ هُوْ ، وبها كانت البِرْباة[2] العظيمة المتقدّم ذكرها فى عجائب الديار المصرية .

وأما (قِنَا) فبكسر القاف وفتح النون وألف فى الآخر ، وهى مدينة شرقىّ النيل ، وبها ضريح السيد الجليل عبد الرحيم القِنَائى ، المعروف بالبَرَكَة وإجابة الدعاء عنده . وهذه البلاد الثلاث الآن من جملة عمل قوص الآتى ذكره فى الكلام على الأعمال المستقرّة .

السابعةَ عشرةَ — (كُورَة قِفْط والأُقْصُر) . أما قفط ، فبكسر القاف وسكون الفاء وطاء مهملة فى الآخر ، كانت مدينة قديمة بالبر الشرقى من النيل جنوبىّ قِنَا المتقدّمة الذكر ، بناها قِفْطُ[3] بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام

---

(١) هذا لا يتفق مع الحقيقة . والصواب أن الدير وأبشاية المذكورتين مع إخميم هنا هما بلدتان من كورة إخميم ، الأولى منهما وهى الدير لازالت تعرف باسم نجع الدير تحت سفح الجبل الغربى تجاه مدينة سوهاج . وبها الدير الأبيض وهو دير الأنبا بشاى بأراضى ناحية أولاد عزاز بمركز سوهاج . وأما أبشاية فهى البلدة التى تعرف اليوم باسم المنشاة بمركز جرجا بمديرية جرجا . ولا علاقة لهاتين البلدتين بالدير والبلاص اللتين بمركز قنا .

(٢) لا تزال قائمة إلى اليوم .

(٣) فى ياقوت : قفط بن مصر ... ثم قال : وأصله فى كلامهم قفطيم ومصريم ، ولكن الذى فى المقريزى نحو ما فى الأصل .

أحد ملوك مصر بعــد الطوفان، فخربت و بقيت آثارها وعمرت على القرب منهـا مدينة صغيرة سميت بآسمها .

وأما (الأُقْصُر) فبضم الهمـزة وسكون القاف وضم الصاد المهملة وراء مهملة فى الآخر، وتسمّى الأُقْصُرَيْن أيضا على التثنية ، وهى مدينة خراب بالبر الشرقى من النيل ، قد عُمِر على القــرب منها قرية سميت بآسمها ، وبها ضريح الســيد الجليل أبو الحَجّاج الأقْصِرِىّ ،وكانت بها بِرْباة عظيمة فخربت[1] . وآعلم أن بين قِفط والأُقْصُر مدينة قوص، وقد ذكر القضاعىّ كورتها فى جملة الكُوَر، فكيف يستقيم أن تذكر قِفْطُ والأُقْصُر كورة واحدة ! .

الثامنةَ عشرةَ — (كورة قُوص) وهى مستمرّة الحكم ، وسـيأتى الكلام عليها فى جملة الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالى .

التاسعةَ عشرةَ — (كورة أَسْنَا وأَرْمَنْت) . أما أَسْـنَا ، فبفتح[2] الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة حسنة بالبر الغربىّ من النِّيل ، ويقال : إنه لم يسلم من تخريب بُخْتَ نَصَّر من مدن[3] الديار المصرية سواها ، وذلك أن أهلها هربوا منه الى الجبل بالقرب منها فتبعهم وقتلهم هناك وترك البلد على حالها .

وأما (أَرْمَنْتُ) فبفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقُ فى الآخر، وهى مدينــة صغيرة بالبرّ الغربىّ الشّمالىّ من النيل بينها وبين أَسْنَا مرحلة ، وكلاهما الآن من عمل قُوص، وقد جرى على الألســنة الجمع بينهما فى اللفظ فيقال : أَسْـنَا وأَرْمَنْت ، وكأن ذلك لكثرة آجتماعهما فى إقطاع واحد .

العشرون — (كورة أُسْوان) . وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة مع الأعمال القُوصية إن شاء الله تعالى .

(١) لا تزال بقاياها قائمة الى اليوم .
(٢) ضبطه ياقوت بكسر الهمزة .
(٣) المعروف أن بخت نصر لم يدخل مصر .

الحَيِّز الثـانى

أسـفل الأرض

وقد ذكر القضاعىّ : أنها ثلاث وثلاثون كورة فى أربع نواح .

النـاحية الأُولى

كُوَر الحَوْف الشرقىّ، وبها ثمانُ كُوَر

الأولى — (كورة عَيْنِ شَمْس) وعين شمس مدينة قديمة خرابٌ على القرب من المَطَرِيَّة من ضواحى القاهرة الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرة .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر: رأيت على حاشية بعض كتب التواريخ أن مَلِكَها كان عظيمَ الشأن، وعاش إلى زمن يوسف عليه السلام وتزوج ابنته .

الثانية — (كورة أَتْرِيب) وأتريب مدينة خرابٌ على القرب من بِنْها العَسَل من أعمال الشرقية الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرة ، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر ابن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

الثـالثة — (كورة نَتَّا[1] وتُمَىّ) أما نَتَّـا ، فلا يعرف بالحوف الآن بلدة اسمها نَتَّا، وإنمـا نَتَّا بعمل الغربية، وسيأتى ذكرها مع بُوصير هناك .

وأمّا (تُمَىّ) فبضم التاء المثناة فوقُ وفتح الميم وياء مثناة تحتُ فى آخرها ؛ وهى مدينة خرابٌ بعمل المُرْتاحِيَّة ، بهـا آثارٌ عظامٌ ، رأيت فيها أبوابا من حجر صوّان قطعة واحدة، ارتفاعها نحو عشرة أذرع قائمة على قاعدة من صوّان أيضا .

الرابعة — (كُورَةُ بَسْطَة) وبَسْطَةُ بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وهاء فى الآخر؛ وهى مدينـة خرابٌ تعرف الآن بتَلِّ بَسْـطَة من عمل الشرقية .

(١) فى الأصل : «بنا» .

الخامسة — (كورة طَرَابِيَة) وهى من الأسماء التى دَرَست ولم تعرف .

السادسة — (كورة قُرْبَيْط)[1] وهى من المجهول أيضا .

السابعة — (كورة صَان و إبْلِيل)[2] وهى من المجهول .

الثـامنة — (كورة الفَرَمَا والعَرِيش) . أمّا الفَرَما، فقال فى "تقويم البُلْدان":

٥ هى بفاء وراء مهمـلة وميم مفتوحات ثم ألف ، وهى بلدة خرابٌ على شاطئ بحـر الروم، على بُعْدِ يومٍ من قَطْيَة . قال ٱبن حَوْقَل : وبها قَبْرُجالينوس الحكيم .

وأما (العَرِيشُ) فبفتح العين المهملة وكسر الراء المهمـلة وسكون اليـاء المثناة تحتُ وشـين معجمة فى الآخر، قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينـة ذات جامعين مفترقى البناء، وثمـار وفواكه .

١٠ قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى الآن مَنْزِلة على شَطّ بحرالرُّوم، وبهـا آثار قديمة من الرُّخام وغيره .

قال فى "الروض المعطار" : وكان بينها و بين قُبْرُس[3] طريق مسلوكة فى البر .

النـاحية الثـانية

بطن الريف

١٥ وأصـل الرِّيف فى لغـة العرب موضع الزَّرْع والشجر ، إلا أنه غلب بالديار المصرِية على أسفل الأرض منها؛ وفيها سَبْعُ كُوَر :

الأولى — (كُورَةُ بَنَا وبُوصِيرَ) . أمّا بَنَا، فبفتح الباء الموحدة والنون وألف فى الآخر . وبُوصِـيرُ تقدّم ضـبطها فى الكلام على بوصـير المعروفة بمصر يوسف بالجيزِيّة عند ذكر قواعد مصر القديمة، وبنا وبُوصِيرُ هذه كلاهما من عمل الغربية

٢٠ الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

---

(١) هـذه الكورة تعرف اليوم باسم « هربيط » إحدى قرى مركز كفرصقر بمديرية الشرقية . وفى الأصل : « قربيط » بالقاف . (٢) صان هـذه لا تزال موجودة باسم « صان الحجر » إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية . وأما إبليل فقد خربت وكانت بالقرب منها .

(٣) فى الأصل : « قدس » وهو خطأ .

الثانية — (كُورَة سَمَنُّودُ) وسمنود بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشدّدة والواو ودال مهملة فى الآخر، وهى مدينة صغيرة من الأعمال الغربية، كان لها عمل مستقرّ فى أوّل الأمر ثم أضيفت إلى عمل الغربية .

الثالثة — (كُورَة نَوَسَا) ونوسا بفتح النون والواو والسين المهملة فى الآخر[1]، وهى الآن قرية من قُرى المُرْتاحية .

الرابعة — (كورة الأُوسِيَّة) وهى من الأسماء التى دَرَسَت وجُهِلت .

الخامسة — (كورة البُجُوم) بالباء الموحدة والجيم، وهى من الأسماء المندرسة أيضا، ولا يُعرف مكان بالديار المصرية ٱسمه البُجُوم إلا أرض بأسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للمياه المنصرفة عن البحيرة .

السادسة — (كُورَةُ دَقَهْلَةَ) ودَقَهْلَةُ بفتح الدال المهملة والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء فى الآخر، وهى مدينة قديمة بالجزيرة بين فِرْقَة النيل المارّة إلى دمياط والفرقة التى تصب ببحيرة تِنِّيس، وإليها ينسب عمل الدقهلية، وهى الآن قرية من عمل أُشموم الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة، وإن كان العمل فى الأصل منسوبا إليها .

السابعة — (كورة تِنِّيس ودِمْيَاطَ) . أمّا تنيس، فقال فى اللُّبَاب : هى بكسر المثناة فوقُ والنون المشدّدة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر، والجارى على الألسنة فتح التاء ؛ كانت مدينة عظيمة فطمى عليها المـاء قبل الفتح الإسلامى بمائة سنة، فأغرق ما حولها وصارت بُحَيْرَة، وسيأتى الكلام عليها فى الكلام على بُحَيرتها، وهى الآن قرية صغيرة بوسط البُحَيرة والمـاء محيط بها .

قال فى "الروض المعطار" : وكانت تُرْبتها من أطيب التُّرَب، وبهـا تُحاك الثيابُ النفيسة التى ليس لها نظير فى الدنيا، وقد قيل : إن الجنتين اللتين أخبر الله

(١) لعله بألف فى الآخر كما هو ظاهر .

تعالى عنهما فى سورة الكهف بقوله : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ الآية، كانتا بتِنِّيس .

وأمّا دِمْياطُ ، فسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالى .

النـاحية الثالثـــة

٥ الجزيرة بين فرقى النيل الشرقية والغربية ، وفيها خمس كور :

الأولى — (كُورَةُ دَمْسِيس[1] ومَنُوف) . أمّا دَمْسِيس ، فبفتح الدال المهملة وسكون الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر، وهى الآن بلدة من عمل الغربية .

وأمّا مَنُوف[2] فمن الأسماء التى نُسِيت وجهلت .

١٠ الثانية — (كورةُ طُوَّة مَنُوف) وهى من الأسماء التى جهلت ولا يعلم بالديار المصرية الآن بلدة آسمها طُوَّة غير بلدين بالوجه القبلى إحداهما بالأشْمُونين ، والثانية بالبهنساوية .

الثالثة — (كورة سَخَا وتَيْدَة والفَرَّاجُونِ) . أما سَخَا ، فبفتح السين المهملة والخاء المعجمة وألف فى آخرها ، وهى بلدة حسنة كانت ذات عمل ، ثم آستقرت ١٥ من عمل الغربية الآن .

وأما تَيْدَةُ ، فبفتح التاء المثناة فوقُ وسكون الياء المثناة تحتُ وفتح الدال المهملة وهاء فى آخرها ، وهى الآن قرية من قرى الغربية .

وأما الفَرَّاجُونُ ، فبالألف واللام فى أوّلها ، ثم فاء مفتوحة وراء مهملة مشدّدة بعدها ألف وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون فى الآخر، وهى بلدة مضافة إلى ٢٠ تَيْدَة ، فيقال : تَيْدَةُ والفَرَّاجُون .

(١) دمسيس زالت ، ومحلها يعرف اليوم باسم كفر شبرا اليمن من توابع شبرا اليمن بمركز زفتى بمديرية الغربية . (٢) منوف هى التى تعرف اليوم باسم محلة منوف إحدى قرى مركز طنطا مديرية الغربية .

الرابعــة — (كورة نَقيزَة[1] وديصا) وهما من الأسماء التى نُسيت وجهات .

الخامسة — (كُورة البَشْرُود) وهى من الأسماء التى جهلت .

النــاحية الرابعـــــة

الحَوْف الغربىّ، وفيها إحدى عشرة كورة :

الأُولى — (كورة صَا) وصَا بصاد مهملة مفتوحة وألف فى الآخر،وهى مدينة خرابٌ شرقىّ الفرقة الغربية من النيل،بناها صا بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام آبن نوح عليه السلام، أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وبها الآن آثار عظيمة، وقد عمرت بالقرب منها قرية سميت بآسمها، وكأن عملها كان من البرّ الغربىّ .

الثانيـة — (كُورَة شَبَاس) وشَبَاس بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وألف ثم سين مهملة آسم لثلاث بلاد من عمل الغربية الآن؛ وهى شَبَاس المِلْح، وشَبَاس أنبارة، وشَبَاس سنقر، وتعرف بشَبَاس الشهداء، وكأن المراد الثالثة فإنها أعظمها .

الثالثة — (كُورةُ البَذْقُون) وهى من الأسماء التى درست وجهلت .

الرابعة — (كورة الخَيْس والشَّرَاك) . أما الخيس فلا تعرف بالبحيرة الآن بلدة تسمّى الخيس ، وإنمـا الخَيْس بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء وسين مهملة فى الآخر، بلدة من عمل الشرقية .

وأما الشِّرَاكُ، فبكسر الشين المعجمة المشدّدة وفتح الراء المهملة وألف ثم كاف، وهى بلدة من عمل البحيرة .

الخامسة — (كورة خِرْبِتَا) بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح التاء المثناة فوق، وهى قرية معروفة من عمل البحيرة، ومنها سار من سار من المصريين لقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وفى الأصل : «بقيرة» وهو تحريف .

السادسة — (كورة قَرْطَسَا ومَصِيل) . أما قَرْطَسَا فبفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح الطاء والسين المهملتين وألف فى الآخر؛ وهى قرية من عمل البحيرة الآن .

وأما مَصِيل، فمن الأسماء التى جهلت

السابعة — (كورة المليدس) وهى من الأسماء التى جهلت .

الثامنــة — (كورة إجنا[1] ورَشِيدَ والبُحَيْرَة) . أما إجنا، فمن الأسماء التى جهلت ولا يعرف بالبحيرة بلد آسمها إجنا، وإنما أخنويه من عمل الغربية، والعامّة تقول إخنا .

وأما رَشِيدُ، بفتح الراء المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة فى الآخر، فبَلْدة عند مَصَبِّ الفرقة الغربية التى يقع الآعتناء بحفظها .

وفى ذلك نظر لآعتباره الغربيةَ ورشيد من سواحل البحيرة، وبينهما بُعْدٌ يبعد معه أن يجتمعا فى كورة واحدة .

وأما البُحَيْرَةُ، فالظاهر أنه يريد بحيرة بُوقِير المتقــدّم ذكرها فى الكلام على القواعد القديمة، ويأتى بقية الكلام عليها فى الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

العاشرة[2] — (كورة مَرْيُوطُ) . ومريوط بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر، وهى ناحية غربىّ الإسكندرية داخلة الآن فى عملها، بها الأشجار والبساتين، وفواكهها تحمل الإسكندرية .

الحــاديةَ عشرةَ — (كورة لُوبِيَةَ ومَرَاقِيَةَ) . أما لُوبِيَــةُ، فبلام وواو وباء موحدة ثم ياء مثناة تحت وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : وهى كورة

---

(١) قال ياقوت فى كلامه على «إخنا» : «ووجدته فى غير نسخة من كتاب فتوح مصر بالجيم، وأحفيت فى السؤال عنه بمصر فلم أجد من يعرفه إلا بالخاء، وقال القضاعى وهو يعدّد كور الحوف الغربى ؛ وكورة إخنا ورشيد والبحيرة وجميع ذلك قرب الإسكندرية» وفى الأصل : «إخنا» وقد أوردناها بالجيم فى الأول لإثبات الروايتين والسياق يقتضيها .

(٢) سقطت التاسعة من قلم الناسخ وهى "كورة البنتون" وقد ذكرها آبن دقماق فى كتاب "الانتصار" .

من كُوَر مصر الغربية، متصلة بالإسكندرية . قال: وقد قيل إن الإسْكَنْدَر كان منها .

وأما مَرَاقِيَةُ، فبميم وراء مهملة وألف وقاف وياء مثناة تحت وهاء فى الآخر.

وقد ذكر القضاعى فى تحديد الديار المصرية ما يقتضى أنهما بجوار بَرْقة، فقال:
إن الذى يقع عليه آسم مصر من العريش إلى لُوبِيَة ومَرَاقِيَة، ثم قال : وفى آخر
أرض مراقية تلقى أرض أنطابُلُس، وهى بَرْقة : والظاهر أن لوبية غربىّ مريوط، ٥
ومراقية غربى لوبية، وهى آخر أرض الديار المصرية من جهة الغرب .

الحَيِّزُ الثالث

كُوَر القِبْلة ، وفيها خمس كور :

الأولى — (كورة الطُّور وفاران). أما الطُّور فضبطه معروف. قال فى المشترك:
والطور فى اللغة العبرانيـة آسم لكل جَبَـل ، ثم صار عَلَمًا لجبـال بعينها ، منها : ١٠
جبل طُورزَيْتَا بلفظ الزيت ، وهو آسم لجبل برأس عين من بلاد الجزيرة ، وجبل
بالقُدْس، وجبل مُطِلّ على طَبَرِيَّة ، وطُور هرون بالقُدْس ، وطُور سينا ، وهو المراد
هنا، وهو جبل داخلٌ فى بحر القُلْزُم على رأسه دَيْرٌ عظيم ، وفى واديه بساتينُ وأشجار،
وهو على مَرْحلة من فُرْضَةِ الطور المتقدّمة الذكر فى تحديد بحر القُلْزُم، وكأنها سميت
بآسمه لقربها منه . قال آبن الأنبارىّ فى "كتابه الزاهر" : وسمى الطُّور بطُور بن ١٥
إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأما فارانُ، فبفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة بعدها ألف ثانية ثم نون،
قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة صغيرة من بر الحجاز على جون على البحر .
قال : وجبال فاران ذكر فى التوراة .

الثانية — (كورة رَايَةَ والقُلْزم) . أما راية فمن الأسمـاء التى جهلت ، وقـد ٢٠
ذكرها آبن سعيد مقرونة بالقلزم فقال : ورايَةُ والقُلْزم من كور مصر .

وأما القُلْزُم ، فقال فى المشترك : هو بضم القاف وسكون اللام وضم الزاى المعجمة ثم ميم فى الآخر، وهى مدينة قديمة على ساحل بحر القُلْزُم و إليها ينسب البحر المذكور .

قال فى "القانون" : وطولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها ثمانٌ وعشرون درجة وعشرون دقيقة ، وعلى القرب منها غَرِقَ فِرْعَونُ .

الثـالثة — (كورة أَيْلَةَ وحَيِّزها ، ومَـدْيَنَ وحَيِّزها ، والعَوْنيد وحَيِّزها ، والحَوْرَاء وحَيِّزها) .

أما أَيْلَةُ، فقال فى "تقويم البلدان": هى بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر، قال : وهى كانت مدينة صغيرة خرابا على ساحل بحر القُلْزُم.

قال فى "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

قال فى "تقويم البُلْدان": وبها زرع يسير، وهى مدينة اليهود الذين جعل منهم القِرَدَةُ والخنازير ، وعليها طريق حُجّاج مصر . قال : وهى فى زماننا برج و به وَالٍ من مصر وليس بها مزدرع ، وكان بها قلعة فى البحر فبطلت ونُقِل الوالى إلى البرج .

وأما مَدْيَنُ ، فضبطها معروف ، وهى فى الأصل آسم لقبيلة شُعَيْب عليه السلام وكانوا مقيمين بهـا فسميت البلد بهم ، وهى مدينـة خَرابٌ على بحر القُلْزُم محاذيةٌ لتَبُوكَ من بلاد الشأم على نحـو ست مراحل منهـا ، وعدّها فى "الروض المعطار" من بلاد الشأم ، و بها البئر التى آستقى منها موسى عليـه السلام لبنات شُعَيْب وسقى غنمهنّ .

قال آبن سعيد : وسعة البحر عندها نحو مجرى .

وأما العَوْنيد ، فبعين مهملة وواو و ياء مثناة تحت ونون ودال . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة قريبـة من نصف الطريق بين جُدَّةَ والقُلْزُم . قال : وعلى

القرب منها مرسى صنا ، ينحدر الماء بها عن أثرقدم من أوسط الأقدام بينة الكعب والأخمص والأصابع لم يُعفها الزمان، ولا تمحى بمرور الماء عليها .

وأما الحَوْرَاءُ ، فبحاء مهملة مفتوحة بعدها واو ساكنة وراء مهملة مفتوحة ثم ألف فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة على ساحل وادى القُرى بها مسجد جامع ، وبها ثمانية آبار عَذْبَة، وبها ثِمَار ونخل وأهلها عرب من جُهَيْنَة وبَلِيّ .

قلت : والمعروف فى زماننا أن الحَوْرَاءَ منزلة بطريق حُجَّاج مصر ، ولعلها على القرب منها .

الرابعة — كورة بَدَا يعقوب وشُعَيْب، ولم أعلم حقيقة مكانهما .

قلت : ذكر القضاعىّ أَيْلَةَ ومَدْيَنَ وما والاهما مما على ساحل بحر القُلْزُم من بر الحجاز فى أعمال مصر جريا على ما قدّمه من إدخال ذلك فى تحديد الديار المصرية، على أنه قد أهمل من جملة الديار المصرية حَيِّزَيْنِ آخرين .

الحَـيِّز الأوّل

بلاد ألواح

إذ هى داخلة فى حدود الديار المصرية على ما حدّده هو وغيره .

قال فى "اللُّبَاب" : وهى بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الواو وفى آخره حاء مهملة، وقال فى "المشترك" : واح بغير ألف ولام ويجمع على واحات، وهى ناحية غربىّ بلاد الصعيد منقطعة عنه خلف الجبل الغربىّ من جبلى مصر المتقدّم ذكرهما .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بين مصر والإسكندرية والصعيد والنُّوبة والحبشة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والبَرَارى محيطة بها من جميع جهاتها، وهى بينها كالجزيرة، بين رمال ومَفاوِزَ .

قال البكرى : وهو إقليم مستقلٌ غير مفتقر إلى سواه . قال فى "الروض المعطار" : وهى آخر بلاد الإسلام ، وبينها وبين بلاد النُّوبة ستُّ مراحل . قال : وفى هذه الأرض شَبِّية وزاجيّة وعيون حامضة الطعوم ، ولكل نوع منها منفعة وخاصة ، وبها العيون الجارية ، والبساتين ، والثمار ، والتمر الكثير ؛ وبها مدن كثيرة مسوَّرة
٥ وغير مسوّرة .

قال فى " المشترك " : وهى ثلاث كُوَر : واح الأولى ، وواح الوسطى ، وواح القُصْوى .

قلت : والأولى منها — مقابل الأعمال البهنساوية ، وهى أعمرها وأكثرها ثمرة ، ومنها يجلب التمر والزبيب الكثير ، وتعرف بواح البهنسى وبالواح الخاصّ .

١٠ والثانية — مقابل شمالىّ الأعمال الأُسْيوطية ، وتعرف بالواح الداخلة ، وهى تلو الواح الأولى فى العمارة ، بها مُدُن مشهورة ، منها السلمون والهنداو والقَلَمُون والقصير وغيرها .

والثالثة — مقابل جنوبىّ الْوَاح الثانية ، وتعرف بالْوَاح الخارجة ؛ وبين ريف الصعيد وبين جميعها عرض جبل مصر الغربى ، ومسيرته ثلاث مراحل فما دونها
١٥ بحسب اختلاف الأماكن والطرق .

قال فى " التعريف " : وهى جارية فى إقطاع أمراء مصر ، وهم يولُّون عليها من قِبَلِهم . قال : ومَغَلُّها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله أُسْوَةَ بقية ديار مصر ، لوقوعه منقطعا فى البلاد النائية والقفّار النازحة .

قال فى "مسالك الأبصار" : ولا تعدّ فى الولايات ولا الأعمال ، ولا يحكم
٢٠ عليها من قِبَل السلطان .

الحَيِّز الثانى

بَرْقَـةُ

بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدَان" : وهى من الإقليم الثالث . قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها آثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعَرضها آثنتان وثلاثون درجة . وهى أرض مُتَّسِعَةُ الأرجاء، مديدة القضاء، وهى من أزكى الأراضى دوابَّ، وأمراها مرعًى .

قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى بعض مَنْ رآها أنها شبيهة بأطراف الشأم وجبال نابُلُس فى مَنَابت أشجارها وكيفية أرضها وما هى عليه، وأنها لو عمرت بالسكان وتأهلت بالزُّرّاع، كانت إقليما كبيرا يقارب نصف الشأم، قال : وبها الماشية والسائمة الكثيرة : من الإبل والغنم والخيل، وخيلُها من أقوى الخيل وأصلبِها حوافر، وصُوَرُها بين العِـرَاب والبراذين، وقد جمعت بين حسن العِرَاب وكمال تخاطيطها، وصلابة البراذين وثباتها على الوُعُور، وهى إلى محاسن العِرَاب أقرب، ولكنها لا تبلغ شأْوَ خيل البحرين والحجاز، وفحولها أنجبُ من إناثها . قال : وكذلك بها المدن المبنية، والقصور العلية، والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة .

قال آبن سعيد : وهى سلطنة طويلة، وإن لم يكن لها آستقلال لآستيلاء العرب عليها، وهى إلى إفْرِيقِيَّةَ أقرب منها إلى مصر . قال : وكان سريرها فى القديم بمدينة (طَبَرْقَةَ) . وذكر صاحب "الروض المعطار" : أن قاعدتها كانت مدينة (أنطابُلُس)، وقد تقدّم من كلام القضاعى فى تحديد الديار المصرية فى آخر الحدّ الشمالى ما يوافقه .

قال فى "مسالك الأبصار" : ومن مدنها طُلْمَيْثَا . قلت : والتحقيق أن بَرْقَةَ قسمان : قسم محسوب من الديار المصرية، وهو ما دون العَقَبة الكبرى إلى الشرق .

وقسم محسوب من إفْرِيقيَّة، وهو مافوق العقبة المذكورة إلى الغَرْب، وهذه المُدُن الثلاث ممـا يلى جهة المغرب، والقسمان كلاهما اليوم بيد العرب أصحابِ المـاشية. قال فى "مسالك الأبصار": وربما زرع بعضهم فى بعض أرضها فأنجب، ولكنهم أهل بادية لا عناية لهم بعمارة ولا زرع . قال: وأمرها إلى صاحب مصر يُقْطِعها بالمناشير تارة لبعض الأمراء وتارة للعرب يأخذون عدادها، وكأنه يريد القسم الذى ٥ هو من مصر .

الضـــرب الثـانى

من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرّة ، ولها وجهان :

الوجـــه الأوّل

القبـلىّ ١٠

وهو المعبر عنه بالصعيد؛ وقد تقـدّم بيانه فى الكلام على الكُوَر القديمة ، وبه تسعة أعمـال :

العمل الأوّل — الجيزيّة . وهو أقربها إلى الفُسْطَاط والقاهرة، ومقرّ ولايته مدينة الجِيزَة (بكسر الجيم وإسكان الياء المثناة تحت وفتح الزاى المعجمة وبعدها ١٥ هاء) وموقعها فى الإقليم موقع الفُسْطَاط، وطولها وعرضهما واحد؛ وإليها ينسب الربيع الجِيزِىّ راوى الأمّ عن الشافعىّ رضى الله عنه .

قال فى "الروض المعطار": ويقال إن بهـا قبر كَعْب الأَحْبَار، وهى مدينة لطيفة على ضَفَّة النيل الغربية مقابل جزيرة المِقْياس المتقدّمة الذكر والنيل بينهما ، وبعض هذا العمل يأخذ فى جهة الشَّمَال إلى الوجه البحرىّ الآتى ذكره .

قال فى "الروض المعطار": والجِيزَةُ اختطها عمرو بن العاص رضى الله عنه . ٢٠

العمل الثانى — الإطفيحيّةُ . وهو شرقىّ النيل فى جنوب الفُسْطَاط، مُصاقِبٌ بركة الحبش وبساتين الوزير، ومقرّ ولايته مدينة "إطْفِيح" (بكسر الهمزة وإسكان الطاء المهملة و الفاء والياء والحاء المهملة) وربما قلبت الطاء تاءً مثناةً فوقُ، وهى مدينة لطيفة فى البر الشرقىّ، وموقعها فى الإقليم الثالث، ولم يتحرّر لى طولها وعَرْضها، وعملها ما بين المقطم والنيل آخذا عنها جنوبا وشَمَالا، وليس لعملها كبير ذكر .

العمل الثالث — البَهْنَسَاوِيَّةُ . وهو مما يلى عمل الجيزة من الجهة الجنوبية، ومقرّ ولايته مدينة البَهْنَسى . قال فى "المشترك" : (بفتح الباء وسكون الهاء وفتح النون وسين مهملة مفتوحة وألف مقصورة) وهى مدينة لطيفة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربىّ من النيل تحت الجبل بطوق المزدَرَع مركبة على ضَفَّة بحر الفيوم . وموقها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ثمان وعشرون درجة .

العمل الرابع — الفَيُّومِيَّةُ . وهو مُصَاقِبٌ لعمل البَهْنَسى من غربيه، وبينهما منقَطَع رمل . وهو من أعظم الأعمال وأحسنها عمارة، كثيرُ البساتين، غزيرُ الفواكه، دارُّ الأرزاق . يقال إنه كان مصل[1] مياه الديار المصرية فآستخرجه يوسف عليه السلام وجعله ثلثمائة وستين قرية ليَتَمَيَّر كلُّ قرية منها بلدَ مصرَ يوما من أيام السنة .

قلت : وأما الآن فقد نقصت عدّة قراه بسبب ما عراها من ركوب ماء البركة التى هى مصل[1] مياهه، المتقدّم ذكرها فى جملة بحيرات الديار المصرية وركوب مائها على أكثر القرى المجاورة لها، ولولا ما هو شامل له من بركة الصدّيق عليه السلام،

(١) كذا فى الأصل بدون نقط ولعله مصحف عن ممصل أى مكان المصل والرشح . وفى خطط المقريزى : وقد كان مغيض ماء النيل . وفى تقويم البلدان : كان فى وهدة وقد سيق إليه نهر من رشح ماء النيل . وفى المسعودى : وكان مصفاة .

لكانت قد غطَّتْ جميع بلاده . إذ المياه تنصبُّ إليها شتاءً وصيفا على ممرّ الدهور وتعاقب الأيام ، وليس لهـا مَصْرِف تتصرف منـه ضرورةَ إحاطة الجبال بها من الجهات التى هى بصَدَدِ أن تُصْرف منها ، ولقد اجتهد بعض حُكّام الزمان على أن يحيل فى عمل مَصْرِف يُقْطَع فى الجبل لتتصرف منه مياهها فلم يجد إلى ذلك سبيلا . ولو كان ذلك فى حَيِّز الإمكان، لفعله يوسف عليه السلام .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات": ويقال إنه على جميع الفَيُّوم سورٌ دائر، ومقرّ ولايته (مدينة الفَيُّوم) وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "القانون" : وطولُها أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعَرْضها ثمـان وعشرون درجة وعشرون دقيقة .

وقال فى "تقويم البُلْدان": القياس أن طولها ثلاث وخمسون درجة ،وعرضها تسعٌ وعشرون درجة ، وهى مدينة حسنة على ضَفَّة البحر المَنْهى حسـنة الأبنية ، زاهية المعالم . وبها الجوامع والرُّبُط والمدارس ، وهى راكبة على الخليج المنهى من جانبيـه ، وهو مخترق وسطها . قال فى "العزيزى" : وبين الفَيُّـوم والفُسْطَاط ثمـانية وأربعون مِيلًا .

العمل الخامس — عمل الأُشْمُونِين والطحاوية . وهو مصاقب لعمل البهنسى من جنوبيه، وهو عمل واسع كثير الزرع، واسع الفضاء، متقارب القُرى . ومقرّ الولاية به (مدينة الأُشْمُونِيْن) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون الواو وفى الآخر نون . وموقعها فى الإقليم الثـالث من الأقاليم السبعة على ما ذكره فى "تقويم البُلْدان" والإقليم الثانى على ما يقتضيه كلام المقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" حيث جعل آخر الإقليم الثانى دَهْروط من البهنساوية .

قال فى "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وعشرون درجة ؛ وهى مدينة لطيفة بالبر الغربى من النيل ، كانت فى الأصل مدينة قديمة بناها أُشمون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، ثم خربت ودثّرت ، وبنيت هذه المدينة على القرب منها . وكان هذا العملُ فيما تقدّم عملين : أحدهما عمل الأُشْمُونَيْنِ هذا ، والثانى عمل طَحَا المدينة (بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر) وقد تقدّم ذكرها فى الأعمال القديمة ، ثم أضيفا وجعلا عملًا واحدا .

العمل السادس — المَنْفَلُوطيّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الأُشْمُونَيْنِ من جنوبيه ، وهو من أخصّ خاصّ السلطان الجارى فى ديوان وزارته ، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الأهراء السلطانية بالفُسْطَاطِ . ومقرّ ولايته (مدينة مَنْفَلُوطَ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : (بفتح الميم وسكون النون وفتح الفاء وضم اللام ثم واو وطاء مهملة فى الآخر) . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة فيما ذكره فى "تقويم البُلْدان" ومن أواخر الإقليم الثانى على ما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار" .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها اثنتان وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهى مدينة لطيفة بالبرّ الغربىّ من النيل بالقُرب من شَطِّه .

العمل السابع — الأُسْيوطِيّة . وهو مصاقب لعمل مَنْفَلُوطَ من جَنُوبيّه ، وهو عمل جليل ، ومقرّ الولاية به (مدينة أُسْيُوطَ)(1) بضم الألف وسكون السين وضم المثناة تحت وفى آخرها طاء مهملة . هكذا ضبطه السمعانى فى "كتاب الأنساب" :

(1) ضبطها فى القاموس كذلك وضبطها ياقوت بالفتح .

وذكرها فى "الروض المعطار" فى حرف الهمـزة، ووقعت فى شعر ٱبن الساعاتى بغير ألف فى قوله :

لِلّٰهِ يَــوْمٌ فى سُـيُوطَ ولَيْـلَةٌ * عُمْـرُ الزّمَان بِمِثْلِهَـا لا يَغْلَطُ

بِتْنَا بهـا ، والبَـدْرُ فى غُلَوَائه * وله بجُنْحِ الليـل فَـرْعٌ أَشْمَطُ

والطَّيْرُ تَقْرأ ، والغَدِيرُ صَحِيفَةٌ ، * والرِّيحُ تَكْتُبُ ، والغَمَام يُنَقِّطُ

وإثبات الألف فيها هو الجارى على ألسنة العامّة بالديار المصرية ، والثابت فى الدواوين حذفها . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال": وطولها إحدى وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها ٱثنتان وعشرون درجة وعشر دقائق. وهى مدينة حسنة فى البر الغربى من النيل على مرحلة من مَنْفَلُوطَ؛ وبها مساجدُ ومدارسُ وأسواقٌ وقياسرُ وحمّامات.

العمل الثـامن — (الإخميمية) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جنوبيّه ، وهو عمل ليس بالكبير، وبلاده أكثرها بالبر الغربى عن النيل ، وحاضرته (مدينة إِخْمِيمَ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الألف وسكون الخاء المعجمة والمثناة تحت بين الميمين ، والأولى منهما مكسورة) وموقعها فى أواخر الإقليم الثـانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسـون درجة وثلاثون دقيقـة ، وعرضها ست وعشرون درجة . وهى مدينـة لطيفة بالبر الشرقى عن النيـل على مَرْحلتين من أُسْيُوطَ ، وبها كانت البرابى العظامُ المتقدّمة الذكر، ويقال إن ذَا النُّون المصرىَّ العابد الزاهد منها، وولايتها مضافة إلى قُوصَ .

العمل التاسع — القُوصِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جَنُوبه ، وهو عمل متسع القضاء بعيدُ ما بين القرى ، ينتهى آخره إلى أُسْوَان ، آخر الديار المصرية

فى البر الشرقىّ والغربىّ، وهى بلاد التّمر ، ومنها يجلب إلى سائر البلاد المصرية ، ومقرّ ولايته (مدينة قُوصَ) . قال فى "المشترك" : (بضم القاف وسكون الواو، وفى الآخر صاد مهملة) وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة، وهى مدينة جليلة فى البر الشرقىّ عن النيل، ذاتُ ديار فائقة، ورباع أنيقة، ومدارسَ ورُبُط وحَمَّامات ، يسكنها العلماء والتُّجّار وذوو الأموال، وبها البساتين والحدائقُ المستحسَنَة إلا أنها شديدة الحرّ، كثيرة العقارب، حتّى إنه يُقَيَّض لها مَنْ يدور فى الليل فى شوارعها بالمَسَارج لقتلها ، ويقار بها فى الكثرة أيضا سَامٌّ أَبْرَص .

قال المقر الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى عز الدين حسن بن أبى المجد الصَّفَدِىّ أنه عدّ فى يوم صائف على حائط الجامع بها سبعين سَامّ أَبْرَص على صفّ واحد . ومما يدخل فى عملها مما له ولاية مستقلة مدينة أَسْوَان . قال السمعانى : (بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعدها ألف ونون) وخالف ابن خَلّكان فى " تاريخه " فضبطه بضم الهمزة، وغلّط السمعانىّ فى فتحها . وهى مدينة فى أوائل الحدّ الجنوبىّ من الديار المصرية؛ وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها اثنتان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

قال فى "القانون" : طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . وهى فى البر الشرقىّ من النيل، ذاتُ نخيل وحدائق، وهى من قُوصَ على نحو خمس مراحل .

قال فى "التعريف" : وواليها وإن كان من قِبَل السلطان فإنه نائب لوالى قُوص،

قلت : أما الآن، فقد صار لها وَالٍ مستقلٌّ بنفسه لا حكم لوالى قُوص عليه، وسيأتى الكلام عليها فى مراكز البريد، ويأتى الكلام على ولايتها فى جملة الولايات بالديار المصرية إن شاء الله تعالى .

الوجـــه الثـانى

البحــرى

٥

وهو كل ما سَفَل عن القاهرة إلى البحر الرومى حيث مَصَبُّ النيل . وإنما سمى بَحْرِيًّا لأن منتهاه البحرُ الرومىّ، ولا يلزم من ذلك تسمية الجانب الشرقى من الديار المصرية بَحْرِيًّا لأن نهايته إلى بحر القُلْزُم، لأن انتهاءه إليه ليس حقيقيا لانقطاع بحر القُلْزم عن بلاد الديار المصرية بالجبال والبرارى المُقْفِرة ، بخلاف بحر الروم فإنه متصل بالبلاد مجاور لها فناسب النسبة إليه

١٠

قلت : وقد وقع للمقر الشهابى بن فضل الله فى "التعريف" فى بلاده وأعماله من الوَهْم ما لا يليق بمصرىّ على ما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وهذا الوجه هو أرْطَبُ الوجهين وأقلُّهما حرا، وأكثرهما فاكهة وأحسنهما مُدُناً ويشتمل على ثلاث شُعَب تحوى سبعة أعمال

١٥

الشـــعبة الأُولى

شرقىّ الفرقة الشرقيـــة من النيـــل

وفيها أربعة أعمـال :

العمل الأوّل — الضـواحى : جمع ضاحية ، وهى فى أصـل اللغة البـارزة للشمس، وكأنها سميت بذلك لبروز قُرَاهَا للشمس، بخلاف المدينة لغَلَبة الكِنّ بها؛ وهو ما يجاور القاهرة من جهـة الشَّمال من القرى، وولايتها مضافة إلى ولاية القاهرة وداخلة فى حكمها، وليست منفردة بمقرّ ولاية غيرها .

٢٠

العمل الثانى — القَلْيوبيَّة . وهو مُصَاقِبٌ للضواحى من شماليها مما يلى جهة النيل ، وهو عمل جليل ، حسن القُرى ، كثير البساتين ، غزير الفواكه . ومقرّ الولاية به (مدينة قَلْيُوب) — بفتح القاف وإسكان اللام وضم المثناة تحت وسكون الواو وباء موحدة فى آخرها — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتحرّر لى طُولها وعَرْضها ، غير أنها من القاهرة فى جهة الشَّمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة .

قلت : ومن بلادها بَلْدتنا (قَلْقَشَنْدَةُ) وهى بلدة حسنة المَنْظَر ، غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليثُ بنُ سعد الإمام الكبير ، وقد ذكر آبن يونس فى "تاريخه" : أنه وُلِد بها . قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس ، ولبس لما يقولونه ثَبَات عندنا .

قال آبن خَلِّكان : (بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة) وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوتٌ فى "مُعْجَم البُلْدان" اللامَ راءً ، وهو الجارى على ألسنة العامّة ، وعليه جرى القُضَاعى فيما رأيته مكتوبا فى "خِطَطه" : قال آبن خَلِّكَانَ : وهى على ثلاثة فراسخ من القاهرة [وهى بلدة حسنة المَنْظَر ، كثيرة البساتين ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير . قال آبن يونس فى "تاريخه" : ولد بها ، ثم قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس وليس لما يقولونه ثبات عندنا . وذكر][1] .

وقال القضاعى فى "خططه" فى الكلام على دار الليث بالفُسْطاط : وكان له دار بقَرْقَشَنْدَةَ بالرِّيف ، بناها فهدمها آبن رفاعة أميرُ مصر عنادا له ، وكان آبنُ عمه ،

(١) ما بين المربعين تقدم بلفظه فى هذه الصفحة فهو مكرر .

فبناها الليثُ ثانيا فهدمها ، فلما كانت الثالثة ، أتاه آتٍ فى منامه فقال له ياليثُ :
﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾
فأصبح وقد أُفْلِجَ ابنُ رِفَاعة فأوصى إليه ومات بعد ثلاث . وبقى اللَّيْثُ حتّى توفى
فى منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ؛ وصلّى عليه موسى بن عيسى الهاشمىّ
٥ أمير مُصر للرشيد .

وترجم له ابن خلكان بالأصبهانىّ ، ثم قال فى آخر ترجمته : ويقال إنه من قَلْقَشَنْدَة .

قلت : وما قاله ابن يونس أثبت ، ويجب الرجوع إليـه لأمرين : أحدهما
أنه مصرىّ وأهل البلد أخبر بحال أهل بلدهم من غيرهم . الثانى أنه قريب من زمن
الليث فهو به أدرى ، إذ يجوز أن يكون أصله من أصبهان ، ثم نزل آباؤه قَلْقَشَنْدَة
١٠ المذكورة وولد بها وسكنها ، فنسب إليها كما وقع فى كثير من النِّسَب ؛ وإعادة داره
بها بعـد هدمها ثلاث مرات على ما تقـدّم ذكره فى كلام القضاعىّ دليل اعتنائه
بشأنها وميله إليها ، وحينئذ فلا منافاة بين النسبتين .

وذكر فى "الروض المعطار" أنه كان له ضَيْعة على القرب من رشيد من بلاد
الديار المصرية ، يدخل عليه منها فى كل سنة خمسون ألف دينار لم تجب عليه فيها زكاة .

١٥ العمل الثالث — الشرقية . وهو مصاقب للضواحى من شَمَاليها ممـا يلى جهة
المُقَطَّم ، والقليوبية من جهة الشمال أيضا ، وهو من أعظم الأعمال وأوسعها . إلا
أن البساتين فيه قليلة بل تكاد أنْ تكون معدومة ، لاتصاله بالسِّباخ وبَدَاوة غالب
أهله ، وآخر العمران فيهـا من جهة الشَّمال الصَّالِحِيَّة ، وما وراء ذلك منقطَع رمال
على ما تقدّم ذكره فى المنقطع عنها من جهة الشرق ؛ ومَقَرُّ ولايتـه مدينة بِلْبِيْس .
٢٠ قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الباء الموحّدة وسكون اللام وفتح الباء الموحّدة [1]

(١) قال فى القاموس : "بلبيس كغرنيق وقد يفتح أوله بلد بمصر" وضبطه ياقوت بكسر البا ءين وسكون اللام .

وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة). كذا ذكره ، والجارى على الألسنة ضم الباء في أولها ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن يكون طولها أربعا وخمسين درجة وثلاثين دقيقة ، وعَرْضها ثلاثين درجةً وعشر دقائق . وهى مدينة متوسطة بها المساجد والمدارس والأسواق ، وهى مَحطُّ رحال الدرب الشامى . وفى الركن الشمالى الجنوبى من هذا العمل (بِنْها) . قال النووىّ فى شرح مسلم : بكسر البـاء والمعروف فتحها ، وهى البلدة التى أهدى المُقَوْقِسُ الى النبى صلّى الله عليه وسلم من عَسَلِها ؛ وفى آخره من جهة الشرق (قَطْيَا) بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وفتح اليـاء المثناة تحت وألف فى الآخر . كذا وقـع فى "التعـريف" و "مسالك الأبصار" . وفى "تقويم البُلْدان" : إبدال الألف فى آخره بهاء ، وهى قرية بالرمل المعروف بالجفَّار على طريق الشأم على القُرب من ساحل البحر الرومى .

قال فى "التعـريف" : وقد جعلت لأخذ المُوجَبـات ، وحفظ الطُّرُقات ، وأمرها مهمّ ، ومنها يطالع بكل صادر ووارد .

العمل الرابع — (الدَّقَهْلِيَّةُ والمُرْتاحية) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الشرقية من جهة الشّمال ، وأواخره تنتهى إلى السِّباخ وإلى بحيرة تِنِّيس المتصلة بالطينة من طريق الشأم ؛ ومقرّ الولاية به (مدينة أُشْمُومَ) بضم الهمزة وإسكان الشين المعجمة وبعدها ميم ثم واو وميم ثانية ، كما ضبطه فى "تقويم البُلْدان" ونقله عن خط ياقوت فى "المشترك" والذى فى "اللُّبَاب" إبدال الميم فى آخرها بنون ، وعزاه فى "تقويم البلدان" للعامة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة . وهى مدينة صغيرة على ضَفَّة الفرقة

التى تذهب إلى بُحَيرة تِنِّيس من فرقة النيل الشرقية من الجهة[(١)]؛ وبآخر هـذا العمل (مدينة دِمياط) بكسر الدال المهملة وسكون الميم وياء مثناة من تحت وألف وطاء، قال فى "الأطوال" : طولهـا ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقـة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة .

٥ وقال ابن سعيد : طولها أربع وخمسون درجة، وعَرْضها إحدى وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهى واقعة فى الإقليم الثالث ؛ وهى مدينـة حَسَنة عند مَصبّ الفرقة الشرقية من النيل فى بحر الروم ، ذات أسواق وحَمّامات ، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل : أحد خلفاء بنى العبّـاس ، فلما تسلطت عليها الفرنج وملكتها مرّة بعد مرّة ، خَرَّبت المسلمون أسوارَها فى سنة ثمان وأربعين وستمائة خوفا من ١٠ استيلائهم عليها، وهى على ذلك إلى الآن، ولها ولاية خاصّة بها .

الشُّـــعبة الثـانيـــة

غربىّ فرقة النيل الغربية؛ وفيها عملان :

العمل الأوّل — عمل البُحَيرة . وهو مما يلى عمل الجيزة المقدّم ذكره من الجهة البحرية ، وهو عمل واسع ، كثير القرى، فسيح الأَرَضين . ومقرّ ولايته (مدينـة ١٥ دَمَنْهُورَ) — بفتح الدال المهمـلة والميم وسكون النون وضم الهـاء وسكون الواو وفى آخرها راء مهملة — وتعرف بدَمَنْهُور الوَحْش . وهى مدينـة متوسطة ذات مساجدَ ومدارسَ وأسواق وحمـامات . وموقعها فى الإقليم الثالث؛ ولم يتحرر لى طُولهـا وعَرضها، غير أنها على نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب فليعتبر طولها وعرضها منها بالتقريب .

٢٠ قلت : ويدخل فى هذا العمل حَوْف رمسيس والكُفُور الشاسعة

---

(١) لعله من الجهة الشرقية .

- العمل الثانى — عمل المزاحمتين ، وهو ما جاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الرومى ، وبعضه بالبر الشرقى من النيل ، وحاضرته (مدينة فُوَّة) . قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم الفاء وتشديد الواو ؛ وهى مدينة متوسطة بالبر الشرقى من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذاتُ بساتين وأشجار ومَنْظَرٍ رائق ، وليس بها ولاية ، وإنما يكون بها شادٌّ للخاص ، يتحدث ٥ فى كثير من أمور الولاية ، وهى فى الحقيقة كإخميم مع قُوص

ويلى هذين العملين غربا بشمال (مدينةُ الإسكندرية) — بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء المهملتين وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر — وموقعها فى الإقليم الثالث .

١٠ قال فى كتاب " الأطوال " : طولها إحدى وخمسون درجة وأربع وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وثمانٌ وخمسون دقيقة ، وقد تقدّم القول على أصل عمارتها فى الكلام على قواعد الديار المصرية قبل الإسلام .

وهى الآن بالنسبة إلى ماتشهد به التواريخ من بنائها القديم جزءٌ من كلٍّ ، وهى مع ذلك مدينة رائقة المَنْظَر ، حسنة الترصيف ، مبنية بالحجر والكلس ، مُبَيَّضَةُ ١٥ البيوت ظاهرا وباطنا كأنها حَمَامةٌ بيضاء ، ذات شوارع مُشْرِعة ، كلُّ خط قائم بذاته كأنها رُقْعة الشِّطْرَنج ، يستدير بها سُورانِ منيعان ، يدور عليهما من خارجهما خَنْدَقٌ فى جوانب البلد المتصلة بالبر ، ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربى مما يلى الشمال إلى المشرق حيث دارُ النيابة ؛ وبهما أبراج حصينة عليها الستائر المسترة والمجانيق المنصوبة .

٢٠ قال ابن الأثير فى " عجائب المخلوقات " : ويقال إن مَنارها كان فى وسط البلد وإن المدينة كانت سبع مُحَجَّات ، وإنما أكلها البحرُ ، ولم يبق إلا مَحَجَّة واحدة ،

وهى المدينة الباقية الآن وصار مكانُ المنار منها على مسيرة ميل . قال : ويقال إن مساجدها أُحصيتْ فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد ؛ وبها الجوامع والمساجد، والمدارس، والخَوانق، والرُّبُط، والزوايا، والحمَّامات، والدِّيار الجليلة، والأسواق الممتدّة . وفيها يُنْسج القماش الفائق الذى ليس له نظير فى الدنيا، وإليها تهوى ركائب التجار فى البر والبحر، وتَمِير من قُمَاشها جميع أقطار الأرض، وهى فُرْضَــةُ بلاد المغرب، والأنْدَلُس، وجزائر الفــرنج، وبلاد الروم، والشأم . وشُرْب أهلها من ماء النيل، من صهاريج تملأ من الخليج الواصل إلى داخل دُورها، وآستعمال المــاء لعامّة الأمر من آبارها ، وبجَنَبات تلك الآبار والصهاريج بالوُعاتٌ تصرف منها مياه الأمطار ونحوها؛ وبها البساتين الأنيقــة ، والمستنزَهات الفائقة ، ولهم بهــا القصور والجَواسق الدقيقة البناء ، المحكمة الجُــدُر والأبواب ؛ وبهــا من الفواكه والثمــار ما يفوق فواكه غيرها من الديار المصرية حُسنا مع رِخَص الثمن؛ وليس بها مزارعُ ولا لها عملٌ واسع، وإن كان متحصِّلها يعدل أعمالا : من واصل البحر وغيره ؛ وهى أجلُّ ثغــور الديار المصرية ، لا يزال أهلها على يقظة من أمور البحر والآحتراز من العدوّ الطارق؛ وبها عسكر مستخدم لحفظها .

قال فى "مسالك الأبصار" : وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها موسوم بنيابة السلطنة سواها .

قلت : وهذا فيما تقــدّم حين كانت النيابة بها صغيرةً فى معنى ولاية . أما من حين طرقها العدوّ المخذول من الفــرنج فى سنة سبع وســتين وسبعمائة وآجتاحَ أهلها وقتل وسبى ، فإنها آســتقرت من حينئذ نيابةً كبرى تضاهى نيابة طرابُلُس وحَماة وما فى معناهما، وهى على ذلك إلى الآن؛ وسيأتى الكلام على نيابتها فى الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الشُّعْبة الثالثة

ما بين فِرْقَى النيل الشرقية والغربية، وهو جزيرتان :

الجزيرة الأولى — جانبها الشرقى يمتدّ فى طول فرقة النيل الشرقية إلى مصبه فى البحر المِلْح حيث دِمْياط بالقرب منها ، وجانبها الغربى يمتدّ فى طول فرقة النيل الغربية إلى تُجاه أبى نُشَّابة من عمــل الجيزة فينشأ بحُر أبيار المتقدّمُ ذكره، ويمتدّ فى طولها إلى قرية القَرَسْتَق خارجَ الجزيرة من الغرب فيتصلُ بفرقة النيــل التى تفترع منها على ما تقدّم، ويمتدّ فى طولها إلى مصبه فى البحر الملح حيث رشيد .

وتشتمل هذه الجزيرة على عملين :

العملُ الأوّل — المُنُوفية . وأوّله من الجنوب من القرية المعروفة بشَطَّنَوْف على أوّل الفرقة الغربيــة من النيل ؛ ومقرّ ولايتــه (مدينة مُنُوفَ)[1] — بضم الميم والنون وسكون الواو وفاء فى الآخر — وهى مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمــة كانت هناك قــد خربت الآن وبقيت آثارها كيانا ؛ وولايتهـا من أنفس الولايات، وقد أضيف إليها عمل أبيار، وهو جزيرة بنى نصر الآتى ذكرها فيا بعد إن شاء الله تعــالى ، وهى مدينــة حسنة ذات أســواق ومساجد، ومسجد جليل للخطبة، وحَمّام، وخانات .

قلت : وربما غلط فيها بعض الناس فظن أنها مَنْف المتقدّمة الذكر فى الكلام على قواعد مصر القديمــة، وبينهما بُعْــد كثير، إذ مَنْفُ المتقدّمــة الذكر جنوبى الفُسْطَاط على آثنى عشر ميلا منه كما تقدّم ذكره ، وهذه شَمَالِيّ الفُسْطَاط والقاهرة فى أسفل الأرض .

---

(١) ضبطها ياقوت والقاموس بالفتح وتبعناهما فى كثير من المواضع .

العمل الثـانى — الغَرْبِيّة . وهو مُصَاقِبٌ للنوفية من جهة الشمال ، ويمتدّ إلى البحر المِلْح بين مصبى النيل إلا ما هو من عمل المزاحمتين على فرقة النيل الغربية من الشرق وهو عمل جليل القـدر ، عظيم الخطَر ؛ به البلاد الحسنة ، والقرى الزاهية ، والبساتين المتراكبة وغير ذلك ؛ وفى آخره مما يلى بحر الروم موقع ثغر البَرَلُّس .

٥ ويندرج فيه ثلاث أعمال أخر كانت قديمة ، وهى القُوَيْسِنِيَّة ، والسَّمَنُّودية ، والدَّنجاوية ، ومقرّ ولايته (مدينة المَحَلَّة) . قال فى "المشترك" : — بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام ثم هاء فى الآخر — وتعرف بالمَحَلَّة الكُبْرى ، وقد غلب عليها اسم المحلة حتّى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى .

قلت : ووقع فى "التعريف" : التعبير عنها بمَحَلَّة المرحوم وهو وَهَمٌ ، وإنما ١٠ هى قرية من قراها .

قال فى "المشترك" : ويقال لها محلة الدَّقَلا (بفتح الدّال المهملة والقاف) وهى مدينة عظيمة الشأن ، جليلة المقدار ، رائقة المَنْظَر ، حسنة البناء ، كثيرة المساكن ، ذات جوامع ، ومدارس ، وأسواق ، وحَمَّامات ؛ وهى تعادل قُوص من الوجه القبلى فى جلالة قدرها ، ورياسـة أهلها ، ويفرق بينهما بما يفرق به بيـن الوجه القبلى ١٥ والوجه البحرى من الرطوبة واليبوسة .

الجزيرة الثانية — ما بين بحر أَبْيَار المتقدّم ذكره وبين الفرقة الغربية من النيل ، وتعرف بجزيرة بنى نَصْر ، وهى عمل واحد ، وحاضرته (مدينة أَبْيَار) — بفتح الهمزة كما قاله فى "الروض المعطار" وإسكان الباء الموحدة وفتح المثنـاة تحت وبعدها ألف ثم راء مهملة — وهى مدينـة لطيفة حسنة المَنْظَر يُعمل فيها القُماش الفائق ٢٠ من المحررات وغيرها ؛ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ؛ ولم يتحرّر لى طولها ولا عرضها ، وهى مضافة إلى ولاية مُنُوف ، وليس بها الآن ولاية مستقلة .

الفصــــل الثالث

فيمن ملك الديار المصرية ، جاهلية وإسـلاما

قال السلطان عمـاد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : وكانت أهـل مصر أهلَ مُلْك عظيم فى الدهور الخاليـة والأزمان السالفة ، ما بين قبطىّ ويونانىّ وعمليقىّ ، وأكثرهم القِبْط . قال : وأكثر من تملك مصر الغُرَبَاء .

وهم على ثلاثة مراتب :

المرتبــــة الأُولى

من ملكها قبل الطُّوفان ، وقلّ من تعرّض له من المؤرّخين

قد تقدّم فى الكلام على آبتداء عمارة مصر أن أول من عَمَرها قبل الطوفان نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام ، ومعنى نقراوس بالسريانية مَلِكُ قومه ، وهو الذى عَمَر مدينة أمسوس أول قواعد مصر المتقدّم ذكرها ؛ ثم ملكها بعده آبنه نقراووس الثانى مائة وسبع سنين ؛ ثم ملكها بعده أخوه مصرام بن نقراووس الأوّل ؛ ثم ملكها بعـده عنقام الكاهن ولم تطل مدّة ملكه ؛ ويقال إن إدريس عليه السلام رُفِـع فى زمانه ؛ ثم ملكها بعده آبنه عرناق ؛ ثم ملك بعده رجل من بنى نقراووس آسمه لوجيم ؛ ثم ملك بعده رجل آسمه خصليم ، وهو أوّل من عمل المِقْياس للنيـل على ما تقدّم ذكره ؛ ثم ملك بعده آبنه هرصال ، ومعناه بالسريانية خادم الزُّهَرَة ، وهى مدينة شرق النيل ، وعمل سَرَبًا تحت النيل إليها ، وهو أوّل من عمل ذلك وأقام فى الملك مائة وأربعا وثلاثين سنة ؛ ويقال إن نوحا عليه السلام ولد فى زمانه ؛ ثم ملك بعده آبنه بُدْرسَان ؛ ثم ملك بعده أخوه شمرود ، وكان طوله فيما يقـال عشرين ذراعا ؛ ثم ملك بعـده فرسيدون بن بُدْرسان المتقدّم ذكره مائة وستين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه شبرناق مائة وثلاث سنين

ثم ملك بعده آبنه سهلوق مائة وتسع سنين؛ ثم ملك بعده آبنه سَوريدين، وهو الذى بنى الأهرام العظام بمصر على ماتقدّم ذكره فى الكلام على عجائب مصر وخواصّها؛ ثم ملك بعـده آبنه هرجيب نَيِّفًا وسبعين سـنة، وهو الذى بنى الهرم الأوّل من أهرام دهشور؛ ثم ملك بعده آبنه مناوش ثلاثا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه أفروس أربعا وستين سـنة؛ وفى أيامه حصل القحط العظيم، وسلطت الوحوش والتماسيح على الناس، وأُعْقِمَتِ الأرحام حتّى يقـال إن الملك تزوّج ثلثمائة آمرأة يبغى الولد فلم يُولد له، وذلك مقدّمة الطوفان؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك آسمه أرمالينوس؛ ثمّ ملك بعـده آبن عمه فرعان، وهو أوّل من لقب بلقب الفراعنة، وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام، وفى زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

المرتبـة الثـانيـة

من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامىّ

وللمؤرّخين فى ذلك خُلْف كثير، وقد جمعت بين كلام التواريخ التى وقفتُ عليها فى ذلك، وهم على طبقات :

الطبقـة الأولى

ملوكها من القبـط

قد تقدّم فى الكلام على آبتداء عمارتها أن أوّل من عمرها بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وكان بيصر قد كبِر سنه وضعُف، فأقام يسيرا ثم مات، فدفن فى موضع دير أبى هرميس غربىّ الأهرام. قال القضاعىّ: ويقال إنها أوّل مقبُرة دفن فيهـا بأرض مصر؛ وملك بعـده آبنه مصر فعمر وطالت مدّة ملكه،

وعَمَرت البلاد فى أيامه وكَثُر خيرها ، ثم مات ؛ وملك بعده آبنه (قِبْطيم) ، و إليه يُنْسب القِبْطُ ، و يقال إنه أدرك بَلْبَلَة الألسُن التى كانت بعد نوح عليه السلام ، وهى ريح خرجت عليهم ففرّقت بينهم وصار كل منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر ، وخرج منها باللغة القِبْطيّة ؛ ثم ملك بعده آبنه (قِفْط) ، وهو الذى بنى مدينة قِفْط بالصعيد الأعلى وسماها بآسمه ، وآثارها باقية إلى الآن ؛ ثم ملك بعده أخوه (أشْمُن) ، وهو الذى بنى مدينة الأُشْمُونَيْن المتقدّم ذكرها بالوجه القبلىّ ، وطالت مدّته حتّى نُقِل أنه بقى ثمانمائة سنة ، وقيل ثمانمائة وثلاثين ؛ ثم ملك بعده أخوه (أَتْرِيبُ) ، وهو الذى بنى مدينة أَتْرِيبَ المتقدّمة الذكر بالوجه البحرىّ من الديار المصرية ؛ ثم ملك بعده أخوه (صا) ، وهو الذى بنى مدينة صَا المتقدّم ذكرها بالوجه البحرىّ أيضا ؛ ثم ملك بعده (قفطريم) بن قِفْط ، و يقال : إنه الذى وضع أساس الأهرام الدهشورية غير الهرم الأوّل الذى بناه هرجيب المتقدّم ذكره قبل الطُّوفان ، وهو الذى بنى مدينة دَنْدَرى بالصعيد الأعلى ، وآثارها باقية إلى الآن ؛ ثم ملك بعده آبنه (بودشير) ، وهو الذى أصلح جَنَبتى النيل بهندسته ؛ ثم ملك بعده آبنه (عديم) ثم ملك بعده آبنه (شدات) ، وهو الذى تمم الأهرام الدهشورية التى وضع أساسها قفطريم المتقدّم ذكره . ويقال : إن مدينة شُطْب التى بالقرب من مدينة أُسْيُوط بنيت فى أيامه ، وآثارها باقية إلى الآن ، وهو أوّل من ولع بالصيد وآتخذ الجوارح والكلاب السَّلُوقية ، وعمل البيطرة من ملوك مصر ، ومات عن أربعمائة وأربعين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه (منقاوش) ، و يقال : إنه أوّل من عُمِل له الحَمَّام بمصر ؛ ثم ملك بعده آبنه (مناوش) وطالت مدّته فى الملك حتّى بقى فيما يقال ثمانمائة سنة ، وقيل ثمانمائة وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده (منقاوش) بن أُشْمن نيفا وأربعين سنة ، وقيل ستين سنة ، وهو أوّل من عمل له المَيْدَانُ بمصر ، وأوّل من بنى البيمارستان لعلاج المرضى ، وفى أيامه بنيت مدينة سِنتريه

بالْوَاحَاتِ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (مرقوره) نيّفا وثلاثين سنة، وفى كتب القِبْط أنه أوّل
من ذلل السباع وركبها؛ ثم ملك بعده (بلاطس) خمسا وعشرين سنة؛ ثم ملكت
بعده بنت من بنات أَتْرِيبَ خمسا وثلاثين سنة، وهى أوّل من ملك مصر من
النساء؛ ثم ملك بعدها أخوها (قليمون) تسعين سنة، وفى أيامه بنيت مدينةُ دِمْيَاطَ
٥ على ٱسم غلام له كانت أمه ساحرة له، وفى أيامه بنيت أيضا مدينة تِنِّيسَ؛ ثم ملك
بعده ٱبنه (فرسون) مائتين وستين سنة؛ ثم ملك بعده ثلاثة ملوك أو أربعةٌ لم يعين
ٱسمهم؛ ثم ملك بعدهم (مُرقونس) الكاهن ثلاثا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده ٱبنه
(ايساد) خمسا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده ٱبنه (صا) وأكثر القبط تزعم أنه أخوه، نيفا
وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده ٱبنه (تدراس)، وهو الذي حفر خليج سخا المتقدّم ذكره
١٠ فى خُلْجَانِ مصر القديمة؛ ثم ملك بعده ٱبنه (ماليق)، ويقال: إنه خالف دينَ آبائه
فى عبادة الأصنام، ودان بدين التوحيد. ولما أحس بالموت، صنعَ له ناوُوسا
وكنز معه كنوزا عظيمة، وكتب عليها أنه لا يستخرجها إلا أمة النبيّ الذى يبعث
فى آخر الزمان؛ ثم ملك بعده ٱبنه (حريا)، وفى بعض التواريخ حرايا خمسا وسبعين
سنة؛ ثم ملك بعده ٱبنه (كلكن)، وفى بعض التواريخ كلكى نحوا من مائة سنة، وهو
١٥ أوّل من أظهر علم الكيمياء بمصر، وكان قبل ذلك مكتوما، وفى زمنه كان النُّمْرُوذُ
بأرض بابل من العراق؛ ثم ملك بعده أخوه (ماليا)؛ ثم ملك بعده (حربيا) بن ماليق؛
ثم ملك بعده (طوطيس) بن ماليا، وفى بعض التواريخ طوليس سبعين سنة،
وفى بعض التواريخ أنه ملك بعد أبيه ماليا؛ والقبط تزعم أن الفراعنة سبعة هو أوّلهم،
وهو الذى أهدى هَاجَرَ لإبراهيم عليه السلام، ثم ملكت بعده أخته (حوريا)، وهى
٢٠ التى بنى لها جيرون المؤتفكىّ صاحبُ الشام مدينة الإِسْكَنْدَرِيَّةِ حين خطبها على
أحد الأقوال فى عمارتها ليجعلها مهرا لها، ثم ٱحتالت عليه فسمَّته هو وجميع عسكره

فى خلع فماتوا؛ ثم ملكت بعدها بنت عمها (زلفى) و يقال دلفه بنت مأموم؛ ثم ملك بعدها (أيمين) الأتريبى، وهو آخر ملوك القبط من هذه الطبقة . والذى ذكره القضاعى وغيره أنه ملكها بعد وفاة بيصر آبنه مصر، ثم قفط بن مصر، ثم أخوه أشمن، ثم أخوه أتريب، ثم أخوه صا، ثم آبنه تدراس، ثم آبنه ماليق، ثم آبنه حريا، ثم آبنه كلكن، ثم أخوه ماليا، ثم حربيا، ثم طوطيس بن ماليا، ثم آبنته حوريا، وهى أوّل من ملكها من النساء، ثم آبنة عمها زلفى، ومنها آنتزعتها العمالقة الآتى ذكرهم .

الطبقة الثانية

ملوكها من العماليق ملوك الشام

أوّل من ملكها منهم (الوليد) بن دومع العمليقى، وقال السهيلى: الوليد بن عمرو ابن أراشة، اقتلعها من أيمين : آخر ملوك القبط المتقدّم ذكره، وهو الفرعون الثانى عند القبط ، وقيل هو أوّل من سمى بفرعون ، وقام فى الملك مائة وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (الرّيّان) مائة وعشرين سنة، والقبط تسميه نهراوس، وهو الفرعون الثالث عند القبط، ونزل مدينة عين شمس، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة منف، وفى أيامه وصل يوسف عليه السلام إلى مصر، وكان من أمره ما قصه الله تعالى فى كتابه . ويقال : إنه آمن بيوسف عليه السلام؛ ثم ملك بعده آبنه (دارم) و يقال دريوس، وهو الفرعون الرابع عند القبط ، وفى أيامه توفّى يوسف عليه السلام، وفى أيامه ظهر بمصر معدن فضة على ثلاثة أيام فى النيل؛ ثم ملك بعده آبنه (معدان) ويقال معاديوس، وهو الفرعون الخامس عند القبط، إحدى وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (أقسامس) وهو الفرعون السادس عند القبط، وبعضهم يزعم أن منارة الإسكندرية بنيت فى زمنه ، وأهل الأثر يسمونه كاسم، وربما قالوا كامس،

ثم ملك بعده آبنه (لاطس) ؛ ثم ملك بعده رجل آسمه (ظلما) كان من عُمّاله فخرج عليه فقتله وملك مكانه ، وهو الفرعون السابع عند القِبْط ، وهو فرعون موسى .

قال المسعودىّ : وهو الوليد بن مصعب الموجود فى كتب الأثر ، والوليد بن مصعب هو فرعون موسى ، وهو الوليد بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن أراشة ، يجتمع مع الوليد بن دومع فى أراشة ، وهو آخر مَنْ ملك مصر من العمالقة ، و بعضهم يقول ظلما بن قومس من ولد أُشمون أحد ملوك القِبْط المتقدّم ذكرهم ؛ وعلى هذا فيكون فرعون موسى من القِبط ، وهو أحد الأقوال فيـه ، وهو الذى يعوّل عليـه القِبْط ، و يوردونه فى كتبهم ، وآخَرُون يجعلونه من لَخْم من الشأم ، والظاهر الأوّل ، وهو أوّل من عَرَّف العرفاء على الناس ، وفى زمنه حفر خليج سَرْدوس المتقدّم ذكره فى خُلْجان النيل ، و يقال : إنه عاش دهرا طو يلا لم يمرض ولم يشكُ وجعا إلى أن أهلكه الله تعالى بالغرق[1] .

الطبقـــة الثـالثـــة

ملوكـها من القِبْـــط بعـــد العمالقة

أوّل من ملكها منهم بعد فرعون (دَلُوكة) وطالت مدّتها فى الملك حتّى عرفت بالعَجُوز ، و إليها ينسب حائط العجوز المبنىّ بالطوب اللَّبِن المستدير على بلاد مصر فى لِحْف الجبلين : الشرقىّ والغربىّ ؛ وأثره باق بالوجه القبلىّ إلى الآن ، و يدل إنها التى بنت البرابِىَ بمصر ، ثم ملك بعدها رجل من أبنـاء أكابر القِبْط آسمه (دركون) بن بطلوس ، و يقال دركوس بن ملوطس ؛ ثم ملك بعده رجل آسمه (تودس) ثم ملك بعده آبنه (لقاش) نحوا من خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده (مرينا) بن لقاش نحوا من عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه (بلطوس) و يقال بلوطس بن ميا كِل أربعين سنة ؛ ثم ملك

(١) تنبيه : وقع آختلاف فيما بأيدينا من الكتب فى أسماء الملوك وترتيبهم فى هذا والذى بعده نعوّلنا على الأصل .

بعده (مالوس) ويقال فالوس بن توطيس عشر سنين ؛ ثم ملك بعده ميا كيل .
قال المسعودىّ : وهو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل وخرّب بيت المقدس ؛
ثم ملك بعده (نوله) وهو الذى غزا رُحُبْعُم بن سليمان عليه السلام بالشام ، وقيل إن
الذى غزا رحبعم كان آسمه شيشاق . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة :
وهو الأصح . قال : ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو ٥
الذى غزاه بُخْتَنَصَّر وصلبه ، والذى ذكره المسعودىّ أنه ملك بعد ميا كيل المتقدّم
ذكره (مرنيوس) ؛ ثم ملك بعده آبنه (بغاش) ثمانين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه
(قومس) عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه كاييل .

قال المسعودىّ : وهو الذى غزاه بختنصر وصلبه وخرب مصر ، وبقيت مصر
أربعين سنة خرابا . ١٠

الطبقة الرابعة
ملوكها من الفُرْس

أوّل من ملكها فى جملة مملكة الفرس (بهراسف) بواسطة أن بُخْتَنَصَّر كان
نائبا له ومن حين آستولى عليها بُخْتَنَصَّر ، توالت عليها الولاة من جهته ، وهو ببابل ،
سبعا وخمسين سنة وشهرا كما ذكر صاحب حماة إلى أن مات ، فولى بعده آبنه ١٥
(أولات) سنةً واحدةً ؛ ثم أوليها بعده أخوه (بلطشاش) بن بُخْتَنَصَّر ، ثم آستقرت
مصر والشام بأيدى نوّاب الفُرْس عن ملوكهم .

فلما مات بهراسف ، ملك بعده (كيبستاسف) ؛ ثم ملك بعده آبنه (أرْدَشِير)
بَهْمَن بن آسفيديار بن كيبستاسف ، وآنبسطت يده حتّى ملك الأقاليم السبعة ؛
ثم ملك بعده آبنه (دارا) ، وفى زمنه ملك الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس على اليونان فقصده ، ٢٠

فلمـا قرب منه قتله بجماعة من قومه، ولحقوا بالإسْكَنْدَر، وهو آخر مَنْ ملك مصر من الفُرْس، ولم أقف على تفصيل نوّاب الفُرْس بمصر إلا أنه كان منهم (كسرجوس الفـارسيّ)، وهو الذى بنى قصر الشّمع بالفُسْـطَاطِ على ماتقـدّم ذكره، وبعـده (طحارست) الطويل، وفى أيامه كان بقراط الحكيم .

الطبقة الخـامسة

ملوكها من اليونان

أوّل من ملكها منهم (الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس) حين غلب دارا مَلِكَ الفُرْس على مُلْكه وآستولى على ما كان بيده، وكان مقرّ ملكه مَقْدُونِيَة من بلاد الروم القديمة، وآنحـاز له ملك العراق، والشـام، ومصر، وبلاد العرب. فلمـا مات تفرقت ممـالكه بين الملوك، فَمَلَكَ مصرَ ونواحيَ الغـرب البَطَالِسَةُ من ملوك اليونان، كان كلٌّ منهم يلقب بَطْلَيْمُوس .

فأوّل من ملكها منهم (بَطْلَيْمُوس المنطيق) عشرين سنة، ويقال: إنه أوّل من لعب بالبُزَاة وضَرَّاها؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس مُحِبُّ أخيه) أربعين سنة، وقيل ثمانا وثلاثين سنة، وهو الذى نقل التَّوْرَاةَ من العبْرَانيَّة إلى اليونانية؛ وفى أيامه ظهرت عبادة التمـاثيل والأصنام. ثم ملك بعـده (بَطْلَيْمُوس الصَّائغُ) خمسا، وقيـل ستا وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس مُحِبُّ أبيه) سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس صاحب علم الفلك) أربعا وعشرينَ سنة، وهو الذى ألَّف كتاب المجسطى؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس مُحِبُّ أمه) سبعا وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس الصائغ الثانى) ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس المُخْلِص) ست عشرة سنة، وقيل سبع عشرة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس الإسْكَنْدَرانِى) تسع سنين، وقيل آثنتى عشرة سـنة؛

ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس اسكندروس) ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده (بطْلَيْمُوس مُحبّ أخيه) الثانى ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس دِوتيسوس) ؛ ثم ملكت بعده ابنته (قلوبطرا) آثنتين وعشرين سنة ، و بزوالها آنقرض ملك اليونان عن مصر وزال ،

الطبقة السادسة

ملوكها من الروم

أوّل من ملكها منهم (أغشطش) . يقال بشينين معجمتين ومهملتين ، ولقبه قَيْصَر ، وهو أوّل من تلقب به ، ثم صار عَلَما على ملوك الروم .

قصد قلوبطرا المتقدم ذكرها ، فلما أحَسَّتْ بقربه منها ، عمدت إلى مجلسها فجعلت فيه الرياحين والمشموم ، وأعملت الفكر فى تحصيل حية إذا نهشت الإنسان مات لحينه ولم يتغير حاله ، فقربت يدها منها حتّى ألقت سمها فى يدها ، وآنسابت الحية فى الرياحين ، وجاء أغشطش فوضع يده فى الرياحين فنهشته الحية ، فبقى يوما ومات بعد أن ملك الروم ثلاثا وأربعين سنة . وفى أيامه ولد المسيح عليه السلام ؛ ثم ملك بعده الرومَ ومصر (طيباريوس) ويقال طبريوس ، ويقال طبرييس⁽¹⁾ آثنتين وعشرين سنة . قال المسعودى : وفى زمنه رفع المسيح عليه السلام قال : ولما مات أغشطش ، آختلف الروم وتحزبوا وتنازعوا فى الملك مائتين وثمانيا وتسعين سنة ، لا نظام لهم ، ولا ملك يجمعهم ؛ ثم ملكهم (عانيوس) . قال صاحب حماة : وكان رفع المسيح فى زمنه ، وهو مخالفٌ لما تقدّم من كلام المسعودى ؛ ثم ملك بعده (قلديوس) أربع عَشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (ناورن) ثلاث عشرة سنة ، وهو الذى قتل بطرس و بولص الحواريَّيْن برومية وصلبهما ؛ ثم ملك

(١) فى المسعودى «فلوريوس» . وبالجملة فبين ما بأيدينا من الكتب آختلاف فى هذه الأسماء فعوّلنا على المخطوط والله أعلم .

بعده (ساسانوس) عشر سنين ؛ ثم ملك بعده (طيطوس) سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (دومطيتوش) و يقال اديطانش خمس عشرة ســنة ، وكان على عبادة الأصنام فتتبع اليهود والنصارى وقتلهم؛ ثم ملك بعده (ادريانوس) ستا وثلاثين سنة فأصابته علة الجـذام فسار إلى مصر يطلبُ طبًّا لذلك فلم يظفر به ومات بعِلَّتِه؛ ثم ملك بعــده

٥ (ايطيثيوس) ويقال ابطاوليس ثلاثا وعشرين ســنة ، وهو الذى بنى بيت المَقْدِس بعد تخريبه الثانيةَ وسماه إيليا ، ومعناه بيت الرب ، وهو أوّل من سماه بذلك ؛ ثم ملك بعده (مرقوس) و يقال قومودوس سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (قومودوس) ثلاث عشرة سنة ، وكان دين النصارى قد ظهر فى أيامه ؛ وفى زمنه كان جالينوس الحكيم ؛ ثم ملك بعده (قوطنجوس) ستة أشهر؛ ثم ملك بعده (سيوارس) ثمانى عشرة سنة ؛

١٠ ثم ملك بعده (ايطيثيوس الثانى) أربع سنين ؛ ثم ملك بعده (اسكندروس) ثلاث عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (بكسمينوس) ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده (خورديانوس) ست سنين ؛ ثم ملك بعده (دقيانوس) وقيل دقيوس سنة واحدة ، فقتل النصارى وأعاد عبادة الأصنام ، ومنه هرب الفِتْيَةُ أصحابُ الكَهْف ، وكان من أمرهم ما قص الله تعالى فى كتابه العزيز؛ ثم ملك بعده (غاليوس) ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده (علينوس)

١٥ و (ولديانوس) آشتركا فى الملك ، وقيل إن ولديانوس آنفرد بالملك بعد ذلك ؛ وأقام فيه خمس عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (قلوديوس) سنة واحدة ؛ ثم ملك بعده (ارد ياس) و يقال ارد ليانوس ست سنين ؛ ثم ملك بعده (فروقوس) سبع سنين ؛ ثم ملك بعده (ياروس) وشركته سنتين ؛ ثم ملك بعده (دقلطيانوس) إحدى وعشرين سنة ، وهو آخر عَبَدَة الأصنام من ملوك الروم ، و بمهلكه تؤرخ النصارى إلى اليوم ، وعصى عليــه

٢٠ أهل مصر ، فسار إليهم من رومية ، وقتل منهــم خلقا عظيما ، وهم الذين يعبر عنهم النصارى الآن بالشهداء .

ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة فسار من رُومِيَةَ إلى قُسْطَنْطِينِيَّة وبنى سورها وآستقرت دار ملكهم ، وأظهر دين النصرانية وحمل الناس عليه ؛ ثم ملك بعده آبنُه قُسْطَنْطِينُ فشيَّد دينَ النصرانية وبنى الكنائس الكثيرة ؛ ثم ملك بعده إليانوس ، ويقال إليانس سنة واحدة ، وهو آبن أخى قُسْطَنْطِينَ المتقدّم ذكره ، فرفض دين النصرانيـة ورجع إلى عبادة الأصنام ، وبموته خرج المُلْك عن بنى قُسْطَنْطِينَ ؛ ثم ملك بعـده بِطْرِيق من بَطَارقة الروم آسمه يوثيانوس ، ويقـال سيوتيانوس سنة واحدة فأعاد دين النصرانية ، ومَنع عبادة الأصنام ؛ ثم ملك بعده قالنطيانوس أربع عشرة سـنة ؛ ثم ملك بعده خرطيانوس ثلاث سـنين ؛ ثم ملك بعده باردوسيوس الكبير تسعا وأربعين سنة ؛ ثم ملك بعده ادقاديوس بقُسْطَنْطِينِيَّة وشريكه أوريوس برُومِيَـة ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك بعدهما مرقيانوس سبع سنين ، وهو الذى بنى دير مارون بِحِمْص ؛ ثم ملك بعده واليطيس سـنة واحدة ؛ ثم ملك بعده لاون الكبير سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده زيتون ثمـان عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده اسطيسوس سبعا وعشرين سنة ، وهو الذى عَمَّر أسوار مدينة حَمَاة ؛ ثم ملك بعده بوسيطينوس تسع سـنين ؛ ثم ملك بعده بوسيطينوس الثانى ثمـانيا وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده طبريوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده طبريوس الثانى أربع سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس الثانى ، ويقال مرقوس آثنتى عشرة سـنة ؛ ثم ملك بعده قوقاس ثمـان سنين ؛ ثم ملك بعده هرقل وآسمه بالرومية أوقليس ، وهو الذى كتب إليه النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، يدعوه إلى الإسلام ، وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشرة من ملكه .

قال المسـعوديّ : وفى تواريخ أصحاب السير أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسـلم ، هاجر وملك الروم قيصر بن قوق[1] ؛ (ثم ملك الرومَ بعده) قيصر بن قَيْصَرَ ،

(١) وإليه تنسب الدنانير القوقية (قاموس مادة ق و ق) .

وذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وهو الذى حاربه أمراء الإسـلام بالشام واقتلعوا الشام منه .

والذى ذكره فى "التعريف" فى مكاتبة الأذفونش صاحب طُلَيْطِلَةَ من ملوك الفرنج بالأَنْدَلُس أن هِرَقْل الذى هاجر النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم فى زمنه وكتب إليه لم يكن الملكَ نفسَه، وإنمـا كان متسلم الشام لقيصر، وقَيْصَرُ بالقُسْطَنْطِينِيَّة لم يَرِمْ، وأن النبىَّ صلَّى الله عليه وسلم إنمـا كتب لهِرَقْلَ لأنه كان مجاورا لجزيرة العرب من الشام، وعظيمُ بُصْرى كان عاملا له ، ويظهر أن قَيْصَرَ الأخيرَ الذى ذكره هو الذى كان المُقَوْقِسُ عاملا له على مصر . ويقال : إن المُقَوْقِسَ تَقَبَّلَ مصر من هِرَقْلَ بتسعة عشر ألف ألف دينار .

واعلم أنه كان الحال يقتضى أن نذكر نواب من تقدّم من ملوك الروم واليونان والفُرْس على مصر، ولكن أصحاب التواريخ لم تعتَنِ بأمر ذلك، فتعذر العـلم به . وإذا ذكر الأصل، آستُغْنِى به عن الفرع .

وذكر القضاعىّ : أنه بعد عمارة مصر من خراب بُخْتَنَصَّر ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك التى وسط الأرض فقاتلت الرومُ أهـلَ مصر ثلاث سـنين إلى أن صالحوهم على شىء فى كل عام، على أن يكونوا فى ذمتهم ويمنعوهم من ملوك فارس، ثم ظهرت فارس على الروم وغلبوهم على الشام وألَحُّوا على مصر بالقتال، ثم آسـتقر الحـال على خراج مصر أن يكون بين فارس والروم فى كل عام ، وأقاموا على ذلك تسع سنين؛ ثم غلبت الرومُ فارسَ وأخرجوهم من الشام وصار ما صولحت عليه أهل مصر كله خالصا للروم، وجاء الإسلام والأمر على ذلك .

المرتبـــة الثـــالثـــة

من وليها فى الإسلام : من بداية الأمر إلى زماننا ، وهم على ضربين :

الضـــرب الأوّل

فيمن وليها نيابةً ، وهو الصدر الأوّل ، وهم على ثلاث طبقات :

الطبقـــة الأُولى ٥

عُمَّال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم

قد تقدّم أنها لم تزل بيد الروم والمُقَوْقِس عامل عليها إلى خلافة عمر رضى الله عنه ، ولم تزل كذلك إلى أن فتحها عمرو بنُ العاص والزُّبَيرُ[1] بنُ العوّام فى سنة عشرين من الهجرة ، وقيل سـنة تسع عشرة فى خلافة عمـر بن الخطاب رضى الله عنـه ؛ ووليها (عمرو بن العاص) من قِبَل عمر ، وهو أوّل من وَلِيَها فى الإسلام ، وبقى عليها ١٠ إلى سـنة خمس وعشرين ؛ وبنى الجامعَ العتيقَ بالفُسْطَاطِ ؛ ثم وليها عن عثمان بنِ عفان رضى الله عنه (أبو يحيى العامرىّ) فمكث فيها إحدى عشرةَ سنة ، وتوفى سنة ست وثلاثين ؛ ثم وليها عن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهـه (قَيْسُ بن سـعد) الخزرجىّ فى أوّل سنة سبع وثلاثين ؛ ثم وليها عنه (مالك بن الحارث النخعىّ) المعروف بالأشتر فى وسط سنة سبع وثلاثين ، وكتب له عنه عهدا يأتى ذكره فى الكلام على ١٥ العهود إن شاء الله تعالى ، فسُمّ ومات قبل دخوله إلى مصر ؛ ثم وليها عنه (محمد بن أبى بكر الصدّيق) رضى الله عنه فى آخر سـنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة ؛ ثم وليها عن معاويةَ بن أبى سُفْيَانَ رضى الله عنه (عمْرو بن العاص ثانيا) سنة ثمان وثلاثين خمس سنين ، وتوفى بها سنة ثلاث وأربعين ؛ ثم وليها عنه (عقبةُ بن عامر الجُهَنِىّ) فى سنة أربع وأربعين فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْرًا ؛ ثم وليها عنه (مَسْلَمَةُ بن مُخَلَّد ٢٠ الخزرجىّ) سنة سبع وأربعين فمكث فيها خمسَ عشرةَ سنة .

---

(١) كذا فى فتوح مصر وأخبارها لابن عبـد الحكم والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٤ و ٨) وتاريخ أبى الفداء وكان على رأس جيش مقداره اثنا عشر ألفا ، وهو أوّل من ارتقى سور المدينة وتبعه الناس . وفى الأصل : «عبد الله بن الزبير» وهو أيضا ممن شهدوا فتح مصر .

الطبقـــة الثانيـــة

عُمّـال خلفـاء بنى أميّـــة بالشـام

لمـا أفضت الخلافة بعد معاوية إلى ٱبنه يَزِيدَ، وليها عنه (سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدىّ) فى ســنة ٱثنتين وستين، فمكث فيهـا سنتين وكسرًا ؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفِهْرىّ) فى سنة أربع وستين، وأقرّه على الولاية بعد يزيد ٱبنُهُ معاويةُ ثم مَرْوَانُ بنُ الحَكَم ، فمكث فيها ٱثنتين وعشرين سنة؛ ثم وليها عن عبد الملك بن مروان (عبدُ الله بن عبد الملك بن مروان) فى أوّل سنة ست وثمانين ، فمكث فيها خمس ســنين؛ ثم وليها عنه (قُرَّةُ بن شريك) فى سنة تسعين، وأقره عليها الوليدُ بن عبد المَلِكِ بعده، فمكث فيها سبع سنين؛ ثم وليها عن سليمان بن عبد الملك (عبدُ الملك ابنُ رِفاعة) فى ســنة سبع وتسعين ، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا ؛ ثم وليها عن عمــر بن عبد العــزيز (أيوبُ بن شُرَحْبِيلَ الأَصْبَحِىّ) آخر ســنة تسع وتســعين ، فمكث فيها سنتين وســتة أشهر؛ ثم كانت خلافة يَزِيدَ بن عبــد المَلِكِ ؛ فوليها عنه ([بشر بن][1] صفوان الكلبىّ) ســنة إحدى ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر أيضا ؛ ثم وليها عن هشــام بن عبد الملك (محمد بن عبد الملك) أخو هشام فى سنة خمس ومائة ، فمكث فيهــا أشهرا ؛ ثم وليها عنــه (عبد الله بن يوسف الثقفىّ) فى ذى الحجة ســنة خمس ومائة، فمكث فيها أربع سنين وستة أشهر ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك [بن رفاعة ثانيا][2]) فى سنة تسع ومائة وعزل فيها؛ ثم وليها عنه (الوليد) أخو عبد الملك [بن رفاعة][2] فى سنة تسع المذكورة، فمكث فيها عشر سنين وكسرا، وتُوفِّى سنة تسع عشرة ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفهْرىّ) ثانيا فى آخر سنة تسع عشرة ومائة ، فأقام بها سبعة أشهر، ثم وليها عنه (حنظلة) بن صفوان

(١) الزيادة عن تاريخ مصر لابن عبد الحكم وتاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٤٤ طبع دار الكتب المصرية) وخطط المقريزى.

(٢) الزيادة عن تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٦٤) وخطط المقريزى.

ثانيا[1] فى سنة عشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا وعزل ؛ ثم وليها عن مَرْوَانَ بن محمد الجعدىّ ، فوليها عنه ([حسان بن] عتابة التُّجِيبىّ)[2] سنة سبع وعشرين ومائة ، فمكث فيها خمس سنين أو دونها ؛ ثم وليها عنه (حفص بن الوليد) سنة ثمان وعشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر ؛ ثم وليها عنه (الفزارىّ) سنة إحدى وثلاثين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك بن مَرْوَانَ) مولى لَخْمٍ سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وهو آخر مَنْ وليها عن بنى أمية .

الطبقة الثالثة

عُمَّال خلفاء بنى العَبَّاس بالعراق

أوّل من وليها فى الدولة العباسية عن أبى العَبَّاس السفَّاح : أوّل خلفائهم ، (صالح ابنُ علىّ) بن عبد الله بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها أشهرا قلائل ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) مولى بنى أسد آخرَ سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ؛ ثم وليها عنه (صالح بن علىّ) ثانيا فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . ثم وليها عن أبى جعفر المنصور (عبدُ الملك) سنة تسع وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ؛ ثم وليها عنه (النَّقِيب التميمىّ) سنة إحدى وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنتين ؛ ثم وليها عنه (حُمَيد الطائىّ) سنة ثلاث وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (يزيد المهلَّبىّ) سنة أربع وأربعين ومائة ، فمكث فيها تسعَ سنين ؛ ثم وليها عنه (عبدُ الله بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة اثنتين وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر ؛ ثم وليها عنه (محمد بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة أربع وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن على اللخمىّ) فى سنة خمس وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر .

(١) لم يذكر أن حنظلة كان أميرا على مصر فيما سبق ، ولكن فى المقريزى أن بشر بن صفوان استخلف أخاه حنظلة على مصر حينما ولاه يزيد على إفريقية فى سنة اثنتين ومائة فتكون ولايته هذه المرة ثانية .

(٢) الزيادة عن تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٣٠٠) وخطط المقريزى .

ثم وليها عن المهدى (عيسى الجُحَيّى[1]) سنة إحدى وستين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (واضح[2]) مولى المنصور فى سنة آثنتين وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (زيد بنُ منصور) الحميرى فى وسط سنة آثنتين وستين ومائة؛ ثم وليهـا عنه (يحيى أبو صالح) فى ذى الحجة من السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (سالم بن سوادة التميمى) سنة أربع وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (إبراهيم العباسى) فى سنة خمس وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (مُعين الدين ختهم) فى سنة ست وستين ومائة.

ثم وليها عن الهادى (أسامةُ بن عمرو العامرى) فى سنة ثمان وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (الفضل بن صالح العباسى) فى سـنة تسع وستين ومائة؛ ثم وليهـا عنه (على بن سليمان العباسى) آخرَ السنة المذكورة.

ثم وليها عن الرشيد (موسى العباسى) فى سنة آثنتين وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (محمد بن زهير) الأزدى سنة ثلاث وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه داودُ بن يزيد المهلبى سنة أربع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى العباسى) سنة خمس وسبعين ومائة ومات بها؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن المسيب الضبى) فى أول سنة سبع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (هَرْثَمة بن أعين) سنة ثمان وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الملك العباسى) فى سلخ ذى الحجة من السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدى العباسى) فى سنة تسع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى) التَّنُوخىّ فى آخر سنة ثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدى) ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (إسماعيل بن صالح) فى آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (إسماعيل[3] بن عيسى آبن موسى[4]) سنة آثنتين وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (الليثُ البِيوَرْدِىّ) فى آخر السنة

(١) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجـوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧) وخطط المقريزى. وفى الأصل: «الخمى». (٢) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجـوم الزاهرة (ج ٢ ص ٤٠) وخطط المقريزى. وفى الأصل: «أصبح». (٣) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٠٩) وخطط المقريزى. وفى الأصل: «سمية».
(٤) كذا فى تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير والنجوم الزاهرة. وفى الأصل: «إسماعيل»

المذكورة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن إسماعيل) فى آخر سنة تسع وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن محمد العباسىّ) المعروف بآبن زَيْنَبَ فى سنة تسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (مالك بن دَلْهَم الكلبىّ) سنة آثنتين وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن الأمين (الحسينُ بنُ الجماح) سنة ثلاث وتسعين ومائة .

٥ ثم وليها عن الأمين (حاتم بن هَرْثَمة بن أعْيَن) سنة خمس وتسعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عباد أبو نصر) مولى كِنْدَةَ سنة ست وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن المأمون (المطَّلِبُ بنُ عبد الله الخزاعى) سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم وليها عن المأمون (العباسُ بنُ موسى) سنة ثمان وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (المطلب بن عبد الله) ثانيا فى سنة تسع وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (السرىّ بن الحَكَم) ١٠ فى سنة مائتين؛ ثم وليها عنه (سليمان بن غالب) فى سنة إحدى ومائتين؛ ثم وليها عنه (أبو نصر محمد بن السرىّ) فى سنة خمس ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبيد الله) فى سنة ست ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن طاهر) مولى خُزَاعة فى سنة عشر ومائتين؛ وهو أوّل من جَلَب البِطِّيخ الخُراسانِىَّ المعروفَ بالعَبْدَلىِّ من خُرَاسان إلى مصر فنُسب إليه ؛ ثم وليها عنه (عيسى الجَلُّودىّ) فى سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين؛ ثم وليها عنه (عمرو بن ١٥ الوليد التميمىّ) فى سنة أربعَ عشرةَ ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسى الجَلُّودىُّ) ثانيا فى آخر السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (عَبْدَوَيْه بن جَبَلَةَ) فى سنة خمسَ عشرةَ ومائتين ؛ ثم وليها عنه (عيسى بن منصور) مولى بنى نصر فى سنة ستَّ عشرةَ ومائتين .

وفى هذه السنة دخل المأمون مصر وفتح الهَرَم .

ثم وليها عن المعتصم بالله (١) المسعودىّ فى أوّل سنة تسعَ عشرةَ ومائتين ؛ ٢٠ ثم وليها عنه (المظَفَّر بن كيدر) فى وسط السنة المذكورة أشهرا قلائل؛ ثم وليها عنه

(١) بياض فى الأصل ، والذى فى المسعودى أن خلافة المعتصم كانت فى سنة تسع عشرة ومائتين ، وفى المقريزى أنه ولى على مصر فى هذا التاريخ (كيدر) ومات كيدر فى ربيع الآخر من السنة المذكورة ، فولى آبنه (المظفر) باستخلاف أبيه .

(موسى بن أبى العباس[1]) فى آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (مالك[2] بن كيدر) فى سنة أربع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عنه (علىّ بن يحيى) فى سنة ست وعشرين ومائتين.

ثم وليها عن الواثق بالله (عيسى بن منصور الجلُّودى[3]) ثانيا فى سنة تسع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عن المتوكِّل[4] (علىٌّ بن يحيى) ثانيا فى سنة أربع وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (إسحاق الخَتْلِىّ[5]) فى سنة خمس وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (خُزَاعة) فى سنة ست وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (عَنْبَسةَ[6] الضَّبىّ) فى سنة ثمان وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (يزيد بن عبد الله) فى سنة آثنتين وأربعين ومائتين. وأقرّه عليها بعده المنتصر بالله، ثم المستعين بالله.

ثم وليها عن المستعين بالله (مُزاحِم بن خاقان) فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين؛ ثم وليها عنه (أحمد بن مُزَاحِم) فى سنة أربع وخمسين ومائتين وأقرّه عليها المهتدى بالله.

الضـــرب الثـانى

من وليها مُلْكا، وهم على أربع طبقات:

الطبقـــة الأولى

من وليها عن بنى العَبَّاس قَبْل دولة الفاطميين

وأوّلهم: (أحمدُ بن طولون) وليها عن المعتمد فى سنة ست وستين ومائتين، وعَمَر بها جامعَه المتقدّم ذكْرُه فى خِطَط الفُسْطاط؛ وفى أيامه عَظُمت نيابةُ مصرَ وشَمَخَتْ إلى المُلْك؛ وهو أوّل من جَلَب المماليك الترك إلى الديار المصرية وآستخدمهم فى عسكرها.

(١) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٣١) وخطط المقريزى. وفى الأصل: «أبو العباس الحمق». (٢) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٣٩) وخطط المقريزى. وفى الأصل: «مبارك». (٣) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧٨) وخطط المقريزى. وفى الأصل: «ثالث مرّة». (٤) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧٨) وخطط المقريزى. وفى الأصل: «عنه» ومقتضاه أن المذكور ولى عن الواثق فى هذا التاريخ مع أن خلافة الواثق كانت سنة سبع وعشرين ومائتين ووفاته كانت فى سنة آثنتين وثلاثين ومائتين. (٥) كذا فى النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٨٣)، وذكر أن أصله من قرية ختلان: بلدة عند سمرقند. وفى الأصل: «الجبلى» وهو تصحيف. (٦) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٩٣). وفى الأصل: «عقبة» وهو تحريف.

وأقرّه المعتضد بالله بعـد المعتمد، وبقى بها حتّى مات ، فوليها عن المعتضد (خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون) فى أوّل سنة آثنتين[1] وثمانين ومائتين ، وقتله جُنْدُه فى السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (جَيْش بن خُمارويه) فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقتله جنده فى السـنة المذكورة؛ ثم وليهـا عنه (هارون بن خمارويه) فى آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتل فى سنة آثنتين وتسعين . ٥

ثم وليها عن المكتفى بالله (شَيْبَانُ بن أحمد بن طولون) فى سنة آثنتين وتسعين ومائتين فبقى آثنىْ عشر يوما وعُزِل، ثم وليها عنـه (محمد بن سليمان الواثق) فى آخر سنة آثنتين وتسـعين ومائتين، ثم وليها عنـه أو عن المقتدر بالله (عيسى النُّوشَرِىّ) فى سنة خمس[2] وتسعين ومائتين .

ثم وليهـا عن المقتدر بالله (أبو منصور تِكِين) فى سـنة سبع وتسعين ومائتين ١٠ وعُزِل؛ ثم وليهـا عنه (أبو الحسن) فى سـنة ثلاث وثلثمائة وعزل ؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثانيا سنة سبع وثلثمائة وعزل ؛ ثم وليها عنه (هلالٌ) سنة تسع وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمدُ بن كَيْغَلَغ) فى سنة إحدى عشرة وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تِكِين) ثالث مرة فى السنة المذكورة .

ثم وليها عن القـاهر بالله (محمدُ بنُ طُغْج) فى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة . ١٥ ثم وليها عنه (أحمد بن كَيْغَلَغ) ثانيا فى سـنة ثلاث وعشرين وثلثمائة . وأقره عليها المكتفى ثم المستكفى بالله بعده .

ثم وليها عن المُطِيع لله (أبو القاسم الإخشيد) فى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (على بن الإخشيد) سـنة تسع[3] وثلاثين وثلثمائة ؛ ثم وليها عنه (كافور

(١) فى تاريخ مصر وولاتها للكندى وتاريخ ابن الأثير (ج ٧ ص ٢٨٧ طبـع أوروبا) والنجوم ٢٠ الزاهرة (ج ٢ ص ٤٩) وخطط المقريزى : أن ولاية خمارويه على مصر كانت فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين الى سـنة آثنتين وثمانين ومائتين . فكانت مـدة ملكه على مصر والشام آثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما . (٢) كانت ولاية عيسى النوشرى على مصر فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين وبقى الى سنة سبع وتسعين ومائتين كما ورد فى المصادر المذكورة . (٣) كانت ولاية على بن الإخشيد على مصر فى سنة تسع وأربعين وثلثمائة كما ورد فى المصادر المذكورة . ٢٥

الإخشيدى) الخادم فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وكان يحب العلماء والفقهاء، ويكرمهم، ويتعاهدهم بالنَّفقات، ويكثر الصدقات حتى آستغنى الناس فى أيامه، ولم يجد أربابُ الأموال من يقبل منهم الزكاةَ فرفعوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبتنوا بها المساجدَ ويتخذوا لها الأوقافَ ففعلوا؛ ثم وليها عنه (أحمدُ بن على الإخشيد) فى سنة سبع وخمسين وثلثمائة، وهو آخر من وليها من العُمَّال عن خلفاء بنى العباس بالعراق.

الطبقــة الثـانيــة

من وليها من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعُبَيديِّين

أول من وليها منهم (المُعِزّ لدين الله أبو تميم مَعَدُّ بن تميم بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدىّ) وإليه ينسبون، جهز إليها قائده جَوْهَرا ، من بلاد المغرب إلى الديار المصرية ففتحها فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة على ما تقدّم فى الكلام على قواعد الديار المصرية وآنقطعت الخطبة العباسية منها؛ ورحل المعزّ من المغرب إلى مصر فوصل إليها ودخل قصره بالقـاهرة فى سابع رمضان سنة آثنتين وستين وثلثمائة وصارت مصر والمغـرب مملكةً واحدة، وبلاد المغرب نيـابةً من مصر. وتُوفِّى ثالثَ ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة .

ثم ولى بعده آبنُه (العزيزُ بالله أبو المنصور) يوم وفاة أبيه، وإليه ينسب الجامعَ العزيزىّ بمدينـة بِلْبِيس، وتُوفِّى بالحَمَّـام فى بِلْبِيس ثامنَ رمضان المعظَّم قدرُه سنة ست وثمانين وثلثمائة .

ثم ولى بعده آبنه (الحاكمُ بأمر الله أبو على المنصور) ليـلةَ وفاة أبيه ، وبنى الجامع الحاكمىّ فى سـنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وهو يومئذ خارجَ سور القاهرة، وفارق مصر وخرج إلى الجبـل المقطم فوُجدتْ ثيابُه مُزَرَّرة الأطواق وفيهـا آثار السكاكين ولا جُثَّة فيها، وذلك فى سلخ شوّال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ولم يُشَكَّ

فى قتله . والدُّرْزِيَّة من المبتدعة يعتقدون أنه حىٌّ وأنه سيرجع ويعود على ما سيأتى فى الكلام على أيمانهم وتحليفهم إن شاء الله تعالى .

ثم ولى بعده آبنــه (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علىّ) وبقى حتّى توفى فى شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ثم ولى بعده آبنه (المستنصر بالله أبو تميم معَدٌّ) بعد وفاة أبيه . وفى أيامه جُدّد سُور القاهرة الكبير فى سنة ثمانين وأربعمائة . وتوفى فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وفى أيامه كان الغلاء الذى لم يعهد مثله، مكث سبع سنين حتّى خَرِبتْ مصرُ، ولم يبق بها إلا صُبَابة من الناس على ما تقدّم فى سياقة الكلام على زيادة النيل .

ثم ولى بعده آبنــه (المستعلى بالله) أبو القاسم أحمــدُ يوم وفاة أبيــه . وتوفّى لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم ولى بعده (الآمر بأحكام الله أبو علىّ المنصور) فى يوم وفاة المستعلى، وقتل بجزيرة مصر فى الثالث من ذى القَعدة سنةَ خمس وعشرين وخمسمائة .

ثم ولى بعــده آبنُ عمــه (الحافظُ لدين الله أبو الميمونِ عبدُ الحميــد بنُ الآمر أبى القاسم محمد) يوم وفاة الآمر . وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (الظافر بأمر الله إسماعيل) رابعَ جمادى الآخرة سنةَ أربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده آبنه (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى) صبيحةَ وفاة أبيه . وتوفى فى سابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (آبنــه العاضدُ لدين الله أبو محمد عبدُ الله بن يوسف) يوم وفاة الفائز . وتوفّى يومَ عاشوراء ســنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن قطع السلطانُ صلاح الدين خُطْبته بالديار المصرية وخطب للخلفــاء العبّاسيين ببغداد قبل موته، وهو آخر من ولى منهم .

الطبقـــة الثـالثـــة

ملوك بنى أيوب

وهم و إن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بنى العبّاس فهم ملوكٌ مستقلّون، وفى دولتهم زاد آرتفاع قدرِ مصرَ ومُلْكِها .

٥ أوّل من ملك مصر منهم الملك الناصرُ (صلاحُ الدين يوسفُ بنُ أيوبَ) كان الملك العــادلُ نورُ الدين محمودُ بن زنكى صاحبُ الشام رحمه الله قد جهّزه صحبــةَ عمه : أسدِ الدين شيركوه إلى الديار المصرية حين آستغاث به أهلُ مصر فى زمن العاضد الفاطمىّ المتقدّم ذكره لغلبة الفرنج عليهم ثلاثَ مَرّات آنتهى الحالُ فى آخرها إلى أنّ السلطان صلاح الدين وثب على شاور وزير العاضد المذكور فقتله وتقلد عمُّــه

١٠ أسدُ الدين شيركوه الوزارة مكانَهُ عن العاضد، وكُتبَ له بذلك عهدٌ من إنشاء القاضى الفاضل ، فأقام فيهــا مدّةً قريبــة ومات ، ففوّض العاضد الوزارة مكانَهُ للسلطان صلاح الدين، وكتب له عهدٌ من إنشاء القاضى الفاضل أيضا، و بقى فى الوزارة حتّى ضَعُفَ العاضد وطال ضعفُه فقطع السلطان صلاح الدين الخطبةَ للعاضد، وخطب للخليفة العباسىّ ببغداد بأمر الملك العادل صاحب الشام . ثم مات العاضد عن قريب

١٥ فآستقلّ السلطان صــلاح الدين بالسلطنة بمصر وقوِى جأشُــه ، وثبتت فى الدولة قدمه . وتوفى بدِمَشْقَ فى ســنة تسع وثمــانين وخمسمائة، وكانت مدّة ملكه بالديار المصرية أربعا وعشرين سنة وملكه الشام تسعَ عشرةَ سنة، ثم ملك بعده مصرَ آبنُه (الملكُ العزيز) وملك معها دمشقَ وسلّمها إلى عمه العادل أبى بكر فى ســنة آثنتين وتسعين وخمسمائة، وتفرّقت بقية الممــالك الشامية بيد بنى عمه من بنى أيوب .

٢٠ ملكَ مصرَ والشامَ جميعا فى ربيع الأوّل ســنة ست وتسعين وخمسمائة ، وتوفى بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة .

ثم ملك بعده آبنُه (الملكُ الكامل) عقيبَ وفاة أبيه المذكور ، وهو أول من سكن قَلْعَةَ الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة على ما تقدّم ذكره فى الكلام على القلعة ، وآستمرّ فى ذلك عشرين سنة ، وفتح حَرّان وديارَ بكر ، وكان الفرنج قد آستعادوا بعض ما فتحه السلطان صلاحُ الدين من ساحل الشام ، وكتب الهُدْنَة بينه وبين الفرنج فى سنة ست وعشرين وستمائة على أن يكون بأيدى الفرنج القلاعُ والنواحى ٥ التى ملكوها بعد فتح السلطان صلاح الدين ، وهى جبلة ، وبيروت ، وصيدا ، وقلعة الشقيف ، وقلعة تِبنين ، وقلعة هوابن ، وإسكندرونة ، وقلعة صَفَد ، وقلعة الطور والجون ، وقلعة كَوْكب ، ومجدل يافا[1] ، ولُدّ ، والرملة ، وعسقلان ، وبيت جبْريل ، والقُدْس وأعمال ذلك ومضافاته . وبنى مدرسته الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث ، وتوفى بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة . ١٠

ثم ملك بعده آبنه (الملك العادل أبو بكر) وقبض عليه فى العشر الأوسط من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم ملك بعده أخوه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل فى أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ثم ملك بعده آبنُه الملكُ المعظم (توران شاه) وهو الذى كسر الفرنج على المنصورة ١٥ فى المحرّم سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقتل فى الثامن والعشرين من المحرّم المذكور .

ثم ملكت بعده أمُّ خليل (شجرةُ الدُّرّ) فى صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة ؛ فأقامت ثمانية أشهر ، ولم يملك مصر فى الإسلام آمرأةٌ غيرها .

ثم ملك بعدها الملكُ الأشرف (موسى بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل آبن العادل أبى بكر بن أيوب) فى شوّال سنة ثمان وأربعين وستمائة وخلع نفسه ٢٠ وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية

(١) سيذكر فى الجزء الرابع هكذا : «مجداليابا» .

الطبقـــة الرابعـــة

ملوك التُّرْك خلّد الله تعالى دولتهم

أول من ملكها منهم (الملكُ المُعزُّ أيبك التركمانى) بعد خلع الأشرف موسى، آخر ملوك الأيوبية فى شوّال سنة ثمان وأربعين وستمائة؛ وجُمِع له بين مصر والشام، واستمرّ الجمع بينهما إلى الآن، وبنى المدرسة المُعِزّية برحبة الحروب بالفُسْطاط، وتزوّج بأمّ خليل المقدّم ذكرها، وقتل بحمّام القلعة فى سنة أربع وخمسين وستمائة.

ثم ملك بعده ابنُه (الملك المنصور علىّ) عقيبَ وفاة والده المذكور. وقُتِلتْ أمّ خليل المذكورة، ورميت من سُور القلعة، وقُبض على المُظَفَّر[1] سنة سبع وخمسين وستمائة.

ثم ملك بعده الملك (المظفر قُطُزْ) وكانَ المَصَافُّ بينه وبين التتار على عيْن جالوتَ بعد أن استولَوْا على جميع الشام فى رمضان سَنة ثمان وخمسين وستمائة، وكسرهم أشدّ كسرة واستقلع الشام منهم، وبقى حتّى قتل فى مُنصرَفه بطريق الشام وهو عائد منه بالقرب من قصير الصالحية على أثر ذلك فى السنة المذكورة.

ثم ملك بعده الملك (الظاهر بيبرس) البُنْدقدارىّ فى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأخذ فى جهاد الفرنج واستعادة ما ارتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وغير ذلك ففتح البِيرةَ فى سنة تسع وخمسين وستمائة والكَرَك فى سنة إحدى وستين، وحِمْص فى آخر سنة اثنتين وستين وستمائة، وقَيْسارِيّةَ وأَرْسُوف فى سنة ثلاث وستين، وصَفَد فى سنة أربع وستين، ويافا والشَّقيف، وأنطاكِيَةَ فى سنة ست وستين، وحِصْن الأكراد وعَكّا وصافِيتَا فى سنة تسع وستين، وكَسَر التّتارَ على البِيرة بعد أن عدّى الفُرات خوضا بعساكره فى سنة إحدى وسبعين؛ وفتح قلاعا من بلاد سِيس فى سنة ثلاث وسبعين، ودخل بلاد الروم، وجلس على

[1] لعل مراده الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر شريك المعز فى السلطنة. وانظر المقام فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٢٣٧).

كرسى بنى سَلْجُوق بقَيْسارِيّة الروم، ورجع الى دمشق فى آخر سنة خمس وسبعين. وتُوفِّى بدمشق فى المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة ، وبنى مدرسته الظاهرية بين القَصْرين.

وملك بعده ٱبنُه (الملك السعيد بَرَكَةُ) فى صفر سنة ست وسبعين وستمائة ، وخُلِع وسُيِّر إلى الكرك . ٥

وملك بعده أخوه (الملك العادل سَلَامِشُ) فى ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعين وستمائة، وبقى أربعة أشهر ثم خلع .

وملك بعده (الملك المنصور قلاوون الصالحىّ) الشهير بالألفىّ فى رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة، وسمى الألفىّ لأن آقْسُنْقر الكاملىّ كان قد ٱشتراه بألف دينار، وفتح حصن المَرْقَب بالشأم فى تاسع عشر ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وستمائة، وفتح ١٠ طَرَابُلُس فى ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين وستمائة؛ وهو الذى بنى البيمارستان المنصورىّ والمدرسةَ المنصوريةَ والقبةَ اللتين داخل البيمارستان بين القَصْرين. وتُوفِّى بظاهر القاهرة المحروسة، وهو قاصد الغزو فى ذى القَعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ودفن بتربته بالقبة المنصورية داخل البيمارستان المتقدّم ذكره .

وملك بعده ٱبنُه (الملك الأشرفُ خليلٌ) صبيحةَ وفاة أبيه وأخذ فى الغزو ففتح عَكَّا ١٥ وصُور، وصَيْدا، وبَيْروت، وعَثْليث، والساحل جميعه، وٱقتلعه من الفرنج فى رجب سنة تسعين وستمائة. وقتل فى متصيَّده بالبحيرة فى العشر الأوسط من المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وهو الذى عَمَر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسىّ .

ثم ملك بعده (الملك المعظم بيدرا) وخلع من يومه .

وملك بعده (الملك الناصر محمدُ بن قلاوون) فى صفر سنة ثلاث وتسعين ٢٠ وستمائة، وهى سلطنته الأولى . وخُلع بعد ذلك وبعث به إلى الكرك فحُبِس بها .

وملك بعده (الملك العادل كَتْبُغَا) عقب خلعه، ووقع فى أيامه غلاء شديد وفناء عظيم، ثم خلع فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة، وتولّى بعد ذلك نيابة صَرْخَد ثم حَمَــاة، وبقى حتّى توفى بعد ذلك، وهو الذى ٱبتــدأ عمارة المدرســة المعروفة بالناصرية بين القصرين وأكمل بناءها الناصرُ محمد بن قلاوون فنسبت إليه .

وملك بعــده (الملك المنصور حسام الدين لاچين) فى الخامس والعشرين من صــفر المذكور[1]، فجدّد الجــامع الطُّولونىّ وعمل الروك[2] الحُسَامىّ فى رجب الفــرد سنة سبع وتسعين وستمائة، وقتل فى الحادى عشر من شوّال[3] من الســنة المذكورة، وبقى الأمر شُورى مدّة يسيرة، ثم حضر الملك النــاصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة فى حادى عشر شوّال من السنة المذكورة .

وملك بعده (الملك المظفر بيبَرْس الجاشنكير) فى الثالث والعشرين من شوّال المذكور وخلع فى التاسع والعشرين من شهر رمضان ســنة تسع وسبعمائة، وهو الذى عمر الخانقاه الرُّكْنيّة بيبرس داخل باب النصر مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية، وجدّد الجامع الحاكمى .

وملك بعده (الملك الناصر محمدُ بن قلاوون) فى مستهل شوّال من السنة المذكورة، وهى سلطنته الثالثة . وفيها طالت مدّته وقوى ملكه، وعمل الروك[2] الناصرىّ فى سنة ست عشرة وســبعمائة، وبنى مدرسته النــاصرية بين القصرين، وبقى حتّى توفى فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ودفن بتربة والده .

ثم ملك بعده ٱبنه الملك المنصورُ أبو بكر عقب وفاة والده، وخلع تاسع عشر صفر سنة ٱثنتين وأربعين وسبعمائة .

---

(١) أى ســنة ست وتسعين وستمائة . (٢) الروك : مسح الأرض الزراعية وهو المعبر عنه الآن بفك الزمام . (راجع المقريزى ج ١ ص ٨٧) .

(٣) فى المقريزى "من ربيع الآخر سنة ثمــان وتسعين وستمائة" وأن تولية ابن قلاوون المرة الثانية فى السادس من جمادى الأولى من الســنة المذكورة وبقى الى الثالث والعشرين من ذى الحجة ســنة ثمان وسبعمائة ثم ولى المظفر فى التاريخ المذكور . وبملاحظة ذلك يستقيم الكلام ويعلم ما فى الأصل .

ثم ملك بعده أخوه (الملكُ الأشرفُ كجك) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه المنصور المذكور، وخلع فى التاسع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة .

ثم ملك بعد أخوه (الملكُ الناصرُ أحمدُ) بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أُحْضِر من الكرك ، وآستمرّ فى السلطنة حتّى خلع نفسه فى أوائل المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالحُ إسماعيلُ) بن الناصر محمد بن قلاوون فى العشرين من المحرّم المذكور، وبقى حتّى توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة .

وملك بعده[(١)] أخوه (الملكُ المُظَفَّرُ حاجّى) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه الكامل شعبان ، وبقى حتّى خلع فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وقتل من يومه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حَسَنٌ) بن الناصر محمد بن قلاوون فى رابع عشر شهر رمضان المذكور، وخلع فى التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة آثنتين وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالحُ صالحُ) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه الناصر حسن، وبقى حتّى خلع فى ثانى شوّال سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) المتقدّم ذكره مرة ثانية يوم خلع أخيه الصالح صالح، وبقى حتّى خلع وقُتِل فى عاشر جمادى الأولى سنة آثنتين وستين وسبعمائة ، وبنى مدرسته المعظمة تحت القلعة التى ليس لها نظير فى الدنيا، وفى أيامه ضربت الفلوس الجُدُد على ما سيأتى ذكره، وهو آخر من ملك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون لصُلْبه .

(١) سقط من قلم الناسخ الكامل شعبان فإنه تولى بعد أخيه الصالح إسماعيل ومكث سنة واحدة وثمانية وخمسين يوما ثم خلع كما تشير إليه بقية العبارة .

وملك بعده آبن أخيه (الملكُ المنصورُ محمـدُ) بن المظفر حاجّى بن الناصر محمد ابن قلاوون يوم خَلْع عمه الناصر حسن ، وبقى حتّى خلع فى خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة .

وملك بعده آبن عمه (الملك الأشرف شعبان) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع المنصور المتقدّم ذكره وهو طفل ، وبقى حتّى كمل سلطانه وبنى مدرسته بأعلى الصوّة تحت القلعة ولم يتمها ، وحج فخرج عليه مماليكه فى عَقَبة أيْـلَةَ ففرّ منهم وعاد إلى القاهرة فقُبِض عليه وقتل فى ثالث ذى القعدة الحرام سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وفى أيامه فتحت مدينة سِيس وآقتُلعت من الأرمن على ما سيأتى ذكره فى الكلام على أعمال حَلَب .

وملك بعده آبنه (الملك المنصور علىٌّ) يوم خلع أبيــه وهو طفل ، فبقى حتّى توفى فى الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمــانين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (الملك الصالح حاجّى) بن شعبان بن حسين يوم وفاة أخيه ، وبقى حتّى خُلِـعَ فى العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمــانين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك الظاهر برقوق) فعظُم أمره ، وآرتفع صِيتُه ، وشاع ذكره فى الممالك وهابَتْه الملوك وهادَتْه ، وساس المُلْكَ أحسن سياسة ، وبقى حتّى خلع وبُعِثَ به إلى السجن بالكرك فى شهر رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك المنصور حاجّى) بن شعبان ، وهو الملقب أوّلا بالصالح حاجّى وهى سـلطنته الثانية ، وبقى حتّى عاد الملك الظاهر برقوق المتقدّم ذكره فى سـنة [آثنتين] (١) وتسعين وسبعمائة ، فزاد فى التيه وضخامة الملك ، وبلغ شأْوًا لم يبلغه غيره من غالب متقدّمى الملوك ، وبقى حتّى توفى فى منتصف شوّال المبارك سنة إحدى وثمانمائة .

(١) الزيادة عن المقريزى .

وملك بعده آبنه (الناصر فرج) وسِنُّه إحدى عشرة سنة بعَهْد من أبيـه، وقام بتدبير أمره أمراءُ دولته، فبقى حتّى تغير عليه بعضُ مماليكه و بعضُ أمرائه، وحصر المماليك بالقلعة، فنزل منها مختفيا على حين غفلة فى السادس والعشرين من ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانمائة، ولم يعلم لأبتداء أمره أين توجه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك المنصور عبد العزيز) فى التاريخ المذكور . ٥

ثم ظهر أن السلطان الملك الناصر فرجا كان مختفيا فى بعض أماكن القاهرة، فركب فى ليلة السادس من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة، ومعه جماعة من الأمراء ومماليكه، وخرج الأمراء للقيام بنُصْرة أخيه عبد العزيز فطلع عليهم السلطان فرجٌ ومَنْ معه، فوَلَّوْا هاربين ، وطلع السلطان الملك الناصر القلعة فى صبيحة النهار المذكور وآستقرّ على عادته، وبقى فى السلطنة حتّى توجه إلى الشأم لقتال الأمير شيخ ١٠ والأمير نوروز نائبى دِمَشْق وحَلَب، ومعه الإمام (المستعينُ بالله أبو الفضل العباسُ) بنُ المتوكل محمد خليفة العصر، ودخل دِمَشْقَ وحُصِرَ بقلعتها حتّى قبض عليه فى ثانى عشر ربيع الأوّل سنة خمس عشرة وثمانمائة، وآستبدّ الإمام المستعينُ بالله بالأمر من غير سلطان، ورجع إليه ما كان يتعاطاه السلطان من العلاَمة على المكاتبـات والتقاليد والتواقيع والمناشير وغيرها، وأفرد آسمه فى السكة على الدنانير والدراهم، وأفرد بالدعاء ١٥ فى الخطبة على المنـابر، ثم عاد إلى الديار المصرية فى أوائل ربيع الآخر من السـنة المذكورة، وسكن الآدُرَ السلطانية بالقلعة، وقام بتدبير دولته الأميرُ شـيخ المقدّم ذكره وسكن الإصطبلات السلطانية بالقلعة وفوّض إليه الإمام المستعين بالله ما وراء سرير الخلافة، وكتب له تفـويض بذلك فى قِطْع كبير، عرضُـه ذراع ونصف بزيادة نصف ذراع عمـا يُكْتب به للسلاطين . إلا أنه لم يصرح له فيـه بسلطنة ٢٠ ولا إمارة، بل كتب له بدل الأميرى الآمرى بإسقاط الياء على ما سـيأتى ذكره فى الكلام على عهود الملوك إن شاء الله تعالى .

الفصــل الرابــع

من البـاب الثالث من المقالة الثانية

فى ذكـر ترتيب أحوال الديار المصرية ، وفيه ثلاثة أطراف

الطـــرف الأوّل

فى ذكر معاملاتها ، وفيه ثلاثة أركان

الركـن الأوّل

الأثمــان ، وهى على ثلاثة أنواع

النـــوع الأوّل

الدنانير المسكوكة ممـا يضرب بالديار المصرية ، أو يأتى إليها من المسكوك فى غيرها من الممـالك ، وهى ضربان

الضـــرب الأوّل

ما يتعامل به وزنا كالذهب المصرىّ وما فى معناه

والعبرة فى وزنها بالمثاقيل ، وضابطها أن كلَّ سبعة مثاقيلَ زنتُها عشرة دراهم من الدراهم الآتى ذكرها ، والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطا ، وقدّر بثنتين وسبعين حبةَ شعير من الشعير الوسَط باتفاق العلماء ، خلافا لابن حزم فإنه قدّره بأربع وثمانين حبةً ، على أن المثقال لم يتغير وزنه فى جاهلية ولا إسلام .

قلت : وقد كان الأمير صلاح الدين بن عرام فى الدولة الأشرفية شــعبان بن حسين بعد السبعين والسبعمائة ضرب بالإسكَنْدَرِيَّة ، وهو نائب السلطنة بها يومئذ ، دنانيرَ زِنَةُ كل دينار منها مثقالٌ ، على أحد الوجهين منه "محمد رسول الله" وعلى الوجه الآخر "ضرب بالإسكَنْدَرِيَّة فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نَصْرُه" ، ثم أمسك

عن ذلك فلم تكثر هذه الدنانير ولم تشتهر، ثم ضرب الأمير يلبغا السالمى أستادار العالية
فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانيرَ زنة كل واحد منها مثقال، فى وسط سكته
دائرةٌ فيها مكتوب " فرج " وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف أو مثقالان،
وربما كان نصف مثقال أو ربع مثقال . إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها ،
وكأنهم جعلوا نقصها فى نظير كُلفة ضَرْبها . ٥

الضرب الثانى
ما يتعامل به مُعَادّة

وهى دنانير يؤتى بها من البلاد الإفرنجة والروم، معلومةُ الأوزان، كلُّ دينار منها
معتبر بتسعة عشرَ قيراطا ونصف قيراط من المصرى، واعتباره بصنج الفضّة
المصرية كل دينار زنة درهم وحبتى خَرُّوبٍ يَرْجَحُ قليلا، وهذه الدنانير مُشَخَّصة على ١٠
أحد وجهيها صورةُ الملك الذى تُضْرَب فى زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس
و بوليس الحواريِّين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رُومِيَةَ ، و يعبر عنها
بالإفرنتيّة جمع إفرنتىّ ، وأصله إفرنسىّ بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة إلى
إفرنسة : مدينة من مُدُنهم ، وربما قيل فيها إفرنجة، وإليها تنسب طائفة الفرنْج،
وهى مقرّة الفرنسيس مَلِكهم، ويعبر عنه[1] أيضا بالدوكات . وهذا الاسم فى الحقيقة ١٥
لا يطلق عليه إلا إذا كان ضرب البُنْدُقيّة من الفرنجة ، وذلك أن الملك اسمه
عندهم دوك ، وكأن الألف والتاء فى الآخر قائمان مقام ياء النسب .

قلت : ثم ضرب الناصر فرج بن بَرْقوق دنانيرَ على زنة الدنانير الإفرنتية
المتقدّمة الذكر، فى أحد الوجهين " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وفى الآخر اسم
السلطان، وفى وسطه سَفَط مستطيل بين خطين، وعرفت بالناصرية وكثر وُجْدانُها، ٢٠

---

(١) أى عن الدينار من تلك الدنانير .

وصار بها أكثر المعاملات . إلا أنهم يَنْقُصونها فى الأثمان عن الدنانير الإفرنتية عشرةَ دراهم .

ثم ضَرَب على نظيرها "الإمام المستعينُ بالله أبو الفَضل العَباس"(١) حين آستبدّ بالأمر بعد الناصر فرج ، ولم يتغير فيها غير السِّكة ، بآعتبار آنتقالها من آسم السلطان إلى آسم أمير المؤمنين .

ثم صَرْفُ الذهب بالديار المِصْرية لا يثبت على حالة بل يعلو تارة ويَهْبِط أخرى بحسب ما تقتضيه الحال ، وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصرى فيما أدركناه فى التسعين والسبعمائة وما حولها عشرون درهما ، والإفرنتى سبعةَ عشرَ درهما وما قارب ذلك . أما الآن فقد زاد وخرج عن الحدّ خصوصا فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، وإن كان فى الدولة الظاهرية بيبرس قد بلغ المصرىُّ ثمانية وعشرين درهما ونصفا فيما رأيته فى بعض التواريخ .

أما الدينار الجَيْشى ، فمسمًّى لا حقيقة ، وإنما يستعمله أهل ديوان الجَيْش فى عبرة الإقطاعات بأن يجعلوا لكل إقطاع عبرةَ دنانير معينة من قليل أو كثير، وربما أخليت بعض الإقطاعات من العِبْرة . على أنه لا طائل تحتها ولا فائدة فى تعيينها ، فربما كان متحَصَّل مائة دينار فى إقطاع أكثرَ من متحصَّل مائتى دينار فأكثر فى إقطاع آخر . على أن صاحب "قوانين الدواوين" قد ذكر الدينار الجيشى فى إقطاعات على طبقات مختلفة فى عبرة الإقطاعات ، فالأجناد من التُّرك والأكراد والتركمان دينارهم دينارٌ كامل ، والكنانية والعَسَاقلة ومن يجرى مجراهم دينارُهم نصفُ دينار ، والعُرْبان فى الغالب دينارهم ثُمُنُ دينار ، وفى عُرْف الناس ثلاثة عشر درهما وثلث ، وكأنه على ما كان عليه الحال من قيمة الذهب عند ترتيب الجيش فى الزمن

(١) كذا فى المقريزى (ج ٢ ص ٢٤٢) والنجوم الزاهرة فى حوادث سنة ٨١٤ هـ وحياة الحيوان أيضا . وفى مروج الذهب : «أبو العباس» كما سبق للؤلف فى الخلفاء العباسيين .

القديم، فإن صرف الذهب فى الزمن الأوّل كان قريبا من هذا المعنى، ولذلك جعلت الدية عند مَنْ قدّرها بالنّقد من الفقهاء ألفَ دينار وآثنى عشر ألف درهم، فيكون عن كل دينار آثنا عشر درهما، وهو صرفه يومئذ .

النـــوع الثـــانى

الدراهـــم النُّقْـــرة

وأصل موضوعها أن يكون ثُلُثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتُطْبع بدور الضرب بالسِّكة السلطانية على نحو ماتقدّم فى الدنانير، ويكون منها دراهمُ صحاحٌ وقُراضات مكسرة على ماسيأتى ذكره فى الكلام على دار الضرب فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

والعبرة فى وزنها بالدرهم؛ وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا؛ وقُدّر بستّ عشرةَ حبةً من حب الخروب، فتكون كل خُرّوبَتَيْنِ ثُمُنَ درهم، وهى أربع حبات من حب البُرّ المعتدل؛ والدرهم من الدينار نصفه وخمسه، وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .

أما الدراهم السُّوْداء، فأسماءٌ على غير مسمَّيات كالدنانير الجَيْشية، وكل درهم منها معتبر فى العرف بثلث درهم نُقْرة، وبالإسكندرية دراهم سوداء يأتى الكلام عليها فى معاملة الإسْكَنْدَريّة إن شاء الله تعالى .

النـــوع الثـــالث

الفُلُوس، وهى صنفان : مطبوع بالسكة، وغير مطبوع

فأما المطبوع فكان فى الزمن الأوّل إلى أواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد آبن قلاوون فلوس لِطَاف، يعتبر كل ثمانية وأربعين فَلْسًا منها بدرهم من النُّقْرة على آختلاف السكة فيها، ثم أُحْدِث فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى سلطنة حسن أيضا

فلوس شهرت بالجُدُد جمع جَديد، زِنَةُ كل فَلْس منها مثقالٌ، وكل فلس منها قيراطٌ من الدرهم، مطبوعةٌ بالسكة السلطانية على ما سيأتى ذكره فى الكلام على دار الضرب إن شاء الله تعالى، فجاءت فى نهاية الحُسْن، وبطل ما عداه من الفُلُوس، وهى أكثر ما يتَعامل به أهلُ زماننا . إلا أنها فسد قانونها فى تنقيصها فى الوزن عن المثقال حتّى صار فيها ما هو دون الدرهم، وصار تكوينها غير مستدير، وكانت توزن بالقَبّان كلُّ مائة وثمانية عشر رطلا بالمصرىّ بمبلغ خَمْسمائة درهم، ثم أُخِذَت فى التناقص لصغر الفلوس ونقص أوزانها حتّى صار كل مائة وأحد عشر رطلا بمبلغ خمسمائة .

قلت : ثم آستقرّ الحال فيها [على ذلك](1) على أنه لو جعل كل أوقية فما دونها بدرهم، لكان حسنا بآعتبار غلوّ النُّحاس وقلة الواصل منه إلى الديار المصرية، وحَمْل التجار الفلوسَ المضروبةَ من الديار المصرية إلى الحجاز واليمن وغيرهما من الأقاليم متجرا، ويوشك إن دام هذا أن تَنْفَد الفلوسُ من الديار المصريّة، ولا يوجد ما يتعامل به الناس .

وأما غير المطبوعة فنُحَاسٌ مكسر من الأحمر والأصفر، ويعبر عنها بالعتق، وكانت فى الزمن الأوّل كل زِنة رطل منها بالمصرىّ بدرهمين من النُّقْرة، فلما عُملت الفلوس الجُدُد المتقدّمة الذكر، آستقرّ كل رِطل منها بدرهم ونصف، وهى على ذلك إلى الآن .

قلت : ثم نَفِدت هذه الفلوس من الديار المصرية لغلوّ النحاس، وصار مهما ... من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجُدُد وراج معها على مثل وزنها .

---

(1) زيادة يقتضيها السياق .

الركن الثانى

فى المُثَمَّنات، وهى على ثلاثة أنواع

النوع الأوّل

الموزونات

ورطلها الذى يعتبر بوزنه فى حاضرتها من القاهرة والفُسْطاط وما قاربهما الرطلُ المصرىّ، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما، وأُوقيته آثنا عشر درهما، وعنه يتفرّع القِنْطَارُ المصرىّ، وهو مائة رطل؛ وتعتبر أوزان الطيب بها بالمنّ ، وهو مائتان وستون درهما، وأواقيّه ست وعشرون أوقيّة، فتكون أوقيته عشرةَ دراهم .

النوع الثانى

المَكيلات من الحبوب ونحوها

واعلم أن بمصر أقداحا مختلفةَ المقادير أيضا كالأرطال بحسبه(1)، ولكل ناحية منها قَدَحٌ مخصوص بحسب إرْدَبّها، والمستعمل منها بالحاضرة القَدَحُ المصرىُّ، وهو قَدَحٌ صغير تقديره بالوزن من الحَبِّ المعتدل مائتان وآثنان وثلاثون درهما، وقدّره الشيخ تقىّ الدين بن رزين فى الكلام على صاع الفِطْرَة بآثنين وثلاثين ألفَ حبة وسبعمائة وآثنتين وستين حبة، وكل ستةَ عشرَ قدحا تسمّى وَيْبة ، وكل ستة وتسعين قدحا تسمّى إردبًّا؛ وبنواحيها بالوجهين القبلىّ والبحرىّ أرادبُّ متفاوتة يبلغ مقدار الإردبِّ فى بعضها إحدى عشرةَ ويبة بالمصرىّ فأكثر .

---

(1) لعله بحسب إردبها . أوهى زائدة من قلم الناسخ .

النـــوع الثـالث

المقيسات، وهى الأراضي والأقمشة

فأما الأراضي فصنفان :

الصـــنف الأوّل

أرض الزراعـــة

٥ وقد اصطلح أهلُها على قياسها بقَصَبة تعرف بالحاكمية، كأنها حُرِّرت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمىّ فنسبتْ إليه ، وطولها ستة أذرع بالهاشمىّ كما ذكره أبو القاسم الزجاجىّ فى "شرح مقدّمة أدب الكاتب" وخمسة أذرع بالنجارى كما ذكره ابن مَمّاتى فى " قوانين الدواوين " وثمانية أذرع بذراع اليد كما ذكره غيرهما .

١٠ وذراع اليد ست قَبَضات بقبضة إنسان معتدل ، كلُّ قبضة أربعة أصابع بالخنصر والبنصر والوُسطى والسَّبّابة ، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهرًا لبطن على ما تقدّم فى الكلام على الأميال . وقد تقدّر القصبة بباعين من رجل معتدل ؛ وربما وقع القياس فى بعض بلاد الوجه البحرىّ منها بقصبة تعرف بالسَّنْدَفاوية أطول من الحاكمية بقليل ، نسبة إلى بلد تسمَّى سَنْدَفَا بالقرب من مدينة المَحَلّة ، ثم كل

١٥ أربعمائة قصبة فى التكسير يعبر عنها بفَدّان ، وهو أربعة وعشرون قيراطا ، كل قيراط ستَّ عشرةَ قصبة فى التكسير .

الصـــنف الثـانى

أرض البُنْيان من الدُّور وغيرها

وقد اصطلحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثةُ أشبار بشبر رجل

٢٠ معتدل ، ولعله الذراع الذى كان يقاس به أرض السَّواد بالعراق ، فقد ذكر الزجاجىّ

أنه ذراع وثلث بذراع اليد ، وكان ابتداء وضع الذراع لقياس الأرضين أن زياد ابن أبيه حين ولّاه معاويةُ العراقَ وأراد قياس السَّواد ، جمع ثلاثة رجال : رَجُلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا متوسطا بين ذلك ، وأخذ طُول ذراع كل منهم ، بجمع ذلك وأخذ ثلثه ، فجعله ذراعا لقياس الأرضين ، وهو المعروف بالذراع الزِّيَادىّ لوقوع تقديره بأمر زِيَاد ، ولم يزل ذلك حتّى صارت الخلافة لبنى العباس فاتخذوا ذراعا مخالفا لذلك كأنه أطول منه ، فسمّى بالهاشمى لوقوعه فى خلافة بنى العباس ، ضرورة كونهم من بنى هاشم .

وأما الأقمشة — فإنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة ، ويزيد عليه ذراع القماش بالفُسْطَاط بعضَ الشىء ، وربما زاد فى بعض نواحى الديار المصرية أيضا نحو ذلك . ولغير القماش من الأصناف أيضا كالحصر وغيرها ذراع يخصه .

الركن الثالث

فى الأسعار

وقد ذكر المَقَرّ الشهابى بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" جملة من الأسعار فى زمانه فقال : وأوسط أسعارها فى غالب الأوقات أن يكون الإردبّ القمح بخمسة عشر درهما ، والشعير بعشرة[1] ، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج ، والأرز يبلغ فوق ذلك ، واللحم أقل سعره الرِّطْلُ بنصف درهم ، وفى الغالب أكثر من ذلك ، والدَّجاج يختلف سعره بحسب حاله ، فجيِّده الطائر منه بدرهمين إلى ثلاثة ، والدُّونُ منه بدرهم واحد ، والسُّكَّر الرطل بدرهم ونصف ، وربما زاد ، والمكرَّر منه بدرهمين ونصف .

(١) فى الأصل : « بسعره » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

قلت : وهذه الأسعار التي ذكرها قد أدركنا غالبها وبقيت إلى ما بعد الثمانين والسبعمائة فغلت الأسعار وتزايدت في كل صنف من ذلك وغيره، وصار المثل إلى ثلاثة أمثاله وأربعة أمثاله ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله ذي المنن الجسيمة القادر على إعادة ذلك على ما كان عليه أو دونه ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ .

٥ الطـــرف الثـاني

في ذكر جسورها الحابسة لمياه النيل على أرض بلادها إلى حين آستحقاق الزِّراعة ؛ وأصناف أرضها ؛ وما يختص بكل صنف من أرضها من الأسماء الدائرة بين كُتّابها ؛ ومزارعها ؛ وبيان أصناف مزدرعاتها وأحوال زَرعها

فأما جسورها فعلى صنفين :

١٠ الصِّنف الأوّل

الجســور الســلطانية

وهي الجسور العامّة الجامعة للبلاد الكثيرة التي تُعْمَر في كل سـنة من الديوانَ السلطاني بالوجهين : القبليّ والبحريّ، ولها جراريف ومحاريثُ وأبقار مرتَّبة على غالب البُلْدان بكل عمل من أعمالها . وقد جرت العادة أن يجهَّز لكل عمل في كل ١٥ سـنة أمير بسبب عمـارة جسوره ، ويعبر عنه بكاشف الجسور بالعمل الفلاني ، ويعرّف بذلك في تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة ، وربمـا أضيف كَشْفُ جسور عَمَلٍ من الأعمال إلى مُتَوَلِّي حربه ، ويقال في تعريفه : وَالِي فلانة وكاشف الجسور بها ، إذا كانت المكاتبة بسبب شيء يتعلق بالجسور ؛ ولهذه الجسور كاتبٌ منفرد بها مقرر في ديوانه ما على كل بلد من الجراريف والأبقار ، وتكتتب التذاكير

السلطانية لكاشف كل عمل فى الورق الشامى المربّع، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالآسم الشريف، وللجسور خَوَلَةٌ ومهندسون لكلّ عمل يقومون فى خدمة الكاشف فى عمارة الجسور إلى أن تنتهىَ عمارتُها .

الصنف الثانى

الجسور البلدية

٥ وهى الخاصة ببلد دون بلد، ويتولّى عمارتها المُقْطَعون بالبلاد : من الأمراء والأجناد وغيرهم ، من أموال البلاد الجارية فى إقطاعهم ؛ ولها ضرائب مقرّرة فى كل سنة .

قال آبن مَمَّاتِى فى "قوانين الدواوين" : والفرق بين السلطانيـة والبلدية أن ١٠ السلطانية جارية مجرى سُور المدينة الذى يجب على السلطان الآهتمامُ بعمارته والنظرُ فى مصلحته وكفايةُ العامة أمر الفكرة فيه، والبلدية جارية مجرى الآدُرِ والمَسَاكن التى داخلَ السور، كلٌّ صاحب دار منها ينظر فى مصلحتها ويلتزم تدبير أمره فيها . قال : وقد جرتْ عادة الديوان أن المُقْطَع المنفصل إذا أنفق شيئا من إقطاعه فى إقامة جسر لعمارة السنة التى آنتقل الخير عنه لها ، استعيد له نظير مُنْفَقه من ١٥ المُقْطَع الثانى ، وكذلك كل ما أنفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره كان له آستعادة نظيره .

قلت : وقد أهمل الآهتمام بأمر الجسور فى زماننا، وتُرِكَ عمارة أكثر الجسور البلدية، وآقتصر فى عمارة الجسور السلطانية على الشىء اليسير الذى لا يحصل به كبير نفع، ولولا ما من الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة فى النيل من حيث إنه ٢٠ صار يجاوز تسعة عشر ذراعا فما فوقها إلى ما جاوز العشرين ، لفات رى أكثر

البلاد وتعطلت زراعتهـا ﴿ فَضْلًا مِنَ اللهِ ونِعْمَةً ﴾ و إلا فقد كان النيل فى الغالب يقف على سـبع عشرة ذراعا فما حولها ، بل قد تقدّم من كلام المسعودى أنه إذا جاء النيل ثمانى عشرة ذراعا، آستبحر من أراضيها الثلثُ .

* * *

وأما أنواع أرضها — وما يختص بكل نوع من الأسمـاء ، فإنها تختلف بآختـلاف الزراعة وعدمها ، و بسبب ذلك تتفاوت الرّغبة فيهـا وتختلف قيمتها بآختلاف قيمة ما يُزْرَع فيها ، وقد عدّ منها آبن ممّـاتى ثلاثة عشر نوعا :

النوع الأوّل — الباق ، قال آبن ممّـاتى : وهو أثر القُرْط والقَطَانِى والمقاثئ . قال : وهو خير الأرضين وأغلاها قيمة وأوفاها سعرا وقطيعة ، لأنها تصلح لزراعة القمح والكَتّان .

قلت : والمعروف فى زماننا أن الباق أثر القُرْط والفُول خاصـة . أما المقاثئ فإن أثرها يسمّى البَرْش ، وسيأتى ذكره فيما بعد .

النوع الثـانى — رىّ الشّراق ، قال آبن ممّـاتى : وهو يتبع الباق فى الجَوْدَة ، ويُلْحَق به فى القطيعة ، لأن الأرض قد ظَمِئت فى السنة المـاضية وآشتدّت حاجتها إلى المـاء ، فلمـا رَويت حصل لها من الرىّ بمقـدار ما حصل لهـا من الظمإ ، وكانت أيضا مستريحة فزرعها يُنْجِبُ .

النوع الثالث — البروبية ، وأهل زماننا يقولون البرايب ، قال آبن ممّـاتى : وهو أثر القمح والشعير ، قال : وهو دون الباق لأن الأرض تضعُف بزراعة هذين الصّنفين . فمتى زرع أحدهمـا على الآخر لم تنجب كنجابة الباق وسـعرُها دون سـعره ، ويجب أن تزرع قُرْطـا وقَطَانِىَ ومقاثئَ لتسـتريح الأرض وتصـير باقا فى السنة الآتية .

النوع الرابع — البُقْماهة، بضم الباء الموحدة وسكون القاف — وهو أثر الكَتَّان.
قال ابن مماتى: ومتى زُرِع فيه القمح لم يُنجِبْ، وجاء رقيق الحب أسود اللون.

النوع الخامس — الشتونية، وأهل زماننا يقولون الشتانى، وهو أثر ما رَوِى
و بار فى السنة الماضية؛ قال ابن مماتى: وقطيعته دون قطيعة الشراقى.

٥ النوع السادس — شوشمس[1] السلايح؛ قال ابن مماتى: وهو عبارة عما رَوِىَ
و بار فحُرِث وعُطِّل، وهو يجرى مجرى الباق ورى الشراقى، ويجئ ناجب الزرع.

النوع السابع — البرش النقاء[2]؛ قال: وهو عبارة عن كل أرض خلَتْ من أثر
ما زرع فيها للسنة الماضية، لاشاغل لها عن قبول ما تُودعه[3] من أصناف المزروعات[4].

النوع الثامن — الوُسَخ المزروع؛ قال: وهو عبارة عن كل أرض لم
١٠ يستحكم وسخها، ولم يَقْدِر المزارعون على استكمال إزالته منها فحرثوها و زرعوها وطلع
زرعها مختلطا بوَسَخها.

النوع التاسع — الوُسَخ الغالب، وهو عبارة عن كل أرض حصل فيها من
النبات الذى شغلها عن قبول الزراعة ما غلب المزارعين عليها، ومنعهم بكثرته عن
الزراعة فيها، وهى تباع مراعىَ للبهائم.

١٥ النوع العاشر — الحرس، وهو عبارة عن فساد الأرض بما استحكم فيها من موانع
قبول الزرع، وهو أشدّ من الوسخ الغالب فى التنقية والإصلاح، وهى مرعى الدوابّ.

النوع الحادى عشر — الشراقى، وهو عبارة عما لم يصل إليه الماء لقُصُور
النيل وعلوّ الأرض، أو سدّ طريق الماء عنه.

---

(١) كذا فى قوانين الدواوين (ص ٣٣ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية
٢٠ برقم ٦٣٠١ أدب) وفى الأصل: «شق شمس». (٢) فى قوانين الدواوين المطبوع
(ص ٣٨) هما نوعان مختلفان فذكر «البرش» وقال: «هو حرث الأرض على ما تقدّم حرثها بعد ما كان
فيها زراعة أيضا، ويعبر به عن أثر المقات، وبالجملة فإنه عبارة عن الأرض المحروثة وهو من أجودها
للزراعة» ثم ذكر «النقا» وعرفه بما نقله عنه القلقشندى هنا. (٣) كذا فى قوانين الدواوين.
وفى الأصل: «نوعه». (٤) كذا فى قوانين الدواوين. وفى الأصل: «المزدرعات».

النوع الثـانى عشر — المستبحر، وهو عبـارة عن أرض واطئـة إذا حصل الماء فيها لا يجد مصرفا له عنها فيمضى زمن المزارعة قبـل زواله بالنُّضُوب . قال آبن ممَّـاتى : وربما آنتفع به من آزدرع الأرض بالآستقاء منه بالسواقى لمـا زرعه فى العُلُوّ .

٥ النوع الثـالث عشر — السباخ ، وهو أرض غلب عليها المِلْح فَمَلَحَت حتّى لم يُنْتفَع بها فى زراعة الحبوب ، وهى أرْدى الأرضين . قال آبن ممـاتى : وربمـا زرع فيها لم يستحكم منها الهِلْيَوْنُ والباذِنجانُ ، وربما قطع منها ما يسبخ به الكَتّانُ ، ويزرع فيها القصب الفارسىُّ فَيَنْجُبُ .

الطـــرف الثـالث

١٠ فى وجوه أموالها الدّيوانية ، وهى على ضربين : شرعىّ وغير شرعىّ

الضرب الأوّل الشرعىّ

وهو على سبعة أنواع

النـــوع الأوّل

المـال الخَرَاجىُّ ، وهو ما يؤخذ عن أجرة الأرضين ؛ وله حالان

١٥ الحال الأوّل — ما كان عليه الأمر فى الزمن المتقدّم ، وقد أورد آبن ممّـاتى فى " قوانين الدواوين " ما يقتضى أنه كان على كلّ صِنْفٍ من أصناف المزروعات[1] قطيعة مقرّرة فى الديوان السلطانىّ لا يختلف أمرها ، فذكر أن قطيعة القمح كانت إلى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فَدّانٍ ثلاثةُ أرادبَّ ، ثم إنه تقرّر عند المساحة فى سـنة آثنتين وسبعين وخمسمائة إردبان ونصف إردب . ثم قال : ومن

٢٠ (١) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : « المزدرعات » .

ذلك ما يباع بعين ، ومنه يُزرَع مُشاطرة . قال : وقطيعة الشَّعير كذلك ؛ وقطيعة الفُول عن كل فدّان من ثلاثة أرادبَّ إلى أردبين ونصف ؛ وقطيعة الجُلبَانِ والحِمِّص والعَدَس عن كل فدان إردبان ونصف ؛ وقطيعة الكَتَّان تختلف بآختلاف البلاد .
ثم قال : وهى على آخر ما تقرر فى الديوان عن كل فدان ثلاثةُ دنانير إلى ما دونها ؛ وقطيعة القُرْط بالديوان عن كل فدّان دينار واحد ، وفيما بين الناس مختلف ؛ وقطيعة الثُّومِ والبَصَل عن كل فدّان ديناران ؛ وقطيعة التُّرْمُس عن كل فدّان دينار واحد وربع ؛ وقطيعة الكَمُّونِ والكراويا والسَّلْجَم الصيفى عن كل فدان دينارٌ واحد .
قال : وكان قبل ذلك دينارين ؛ وقطيعة البِطِّيخ الأخضر والأصفر واللُّوبِيَاءِ عن كل فدّان ثلاثة دنانير؛ وقطيعة السِّمْسِم عن كل فدّان دينار واحد؛ وقطيعة القُطْنِ كذلك ؛ وقطيعة قَصَبِ السُّكَّر عن كل فدّان إن كان رأسا خمسةُ دنانير ، وإن كان خِلْفَةً ديناران وخمسة قراريطَ ؛ وقطيعة القُلْقَاس عن كل فدّان ثلاثة دنانير؛ وقطيعة النِّيلة عن كل فدّان ثلاثة دنانير؛ وقطيعة الفُجْلِ عن كل فدّان دينار واحد؛ وقطيعة اللِّفتِ كذلك ؛ وقطيعة الخَسّ عن كل فدّان ديناران ؛ وقطيعة الكُرُنْب كذلك .
قال : والقطيعة المستقرة عن خراج الشَّجَر والكَرْمِ تختلف بآختلاف سنينه . ثم قال : وهو يدرك فى السنة الرابعة ويترتب على كل فدّان ثلاثة دنانير؛ وقطيعة القَصَب الفارسىّ عن كل فدّان ثلاثة دنانير .

الحال الثانى — ما الأمر عليه فى زماننا ، والحال فيه مختلف بآختلاف البلاد .

فالوجه القبلىّ الذى هو الصعيد أكثر خراجه غلالٌ من قمح وشعير وحِمِّص وفول وعَدَس وبسلة وجُلْبَانٍ ، ويعبَّر فى عُرْف الدواوين عما عدا القمح والشعير والحِمِّص بالحبوب ، ثم الغالب أن يؤخذ عن خراج كل فدّان من الأصناف المذكورة ما بين أردبين إلى ثلاثة بكيل تلك الناحية ، وربما زاد أو نقص عن ذلك ، وفى الغالب

يؤخذ مع كل إردب درهم أو درهمان أو ثلاثة، ونحو ذلك بحسب قطائع البلاد وضرائبها فى الزيادة والنقص فى الأرادب والدراهم؛ وربما كان الخَرَاج فى بعض هذه البلاد دراهم؛ وما بار من أرض كل بلد يباع ما نبت فيه من المرعى مناجزة، وربما أخذ فيه العِدَادُ [1] على حسب عرف البلاد .

والوجه البحرى غالب خراج بلاده دراهمُ، وليس فيه ما خراج بلاده غلةٌ إلا القليل على العكس من الوجه القبلى .

ثم الذى كان عليه الحال إلى نحو التسعين والسبعمائة فى غالب البلاد أن يؤجر أثر الباقِ كلُّ فدان بأربعين درهما فما حولها ، والبَرَايب كلُّ فدان بثلاثين درهما فما حولها ، ثم غلا السعرُ بعد ذلك حتّى جاوز الباقُ المائةَ والبرايبُ الثمانين ، وبلغ البَرْشُ نحو المائتين ، وذلك عند غلو الغلال وآرتفاع سعرها .

قلت : ثم تزايد الحال فى ذلك بعد الثمانمائة إلى ما بعد العشر والثمانمائة حتّى صار يؤخَذُ فى الباق عن كل فدان نحو الأربعمائة درهم ، وربما زادت الأرض الطيبة حتّى بلغت ستمائة درهم ، وفى البرايب ونحوه دون ذلك بالنسبة؛ [2] ثم إنه إذا كان المقرر فى خراج بلد من بلاد الديار المصرية غلالا وأعوز صنفٌ من الأصناف أن يؤخذ البدل عنها من صنف آخر من الغَلّة .

وقد ذكر فى "قوانين الدواوين" أن قاعدة البدل أن يؤخذ عن القمح بدل كل إردب، من الشعير إردبان، ومن الفول إردب واحد ونصف، ومن الحِمَّص إردب، ومن الجُلُبّان إردبٌ ونصف، والشعير يؤخذ عن كل إردب منه نصف إردب من

(١) مراده بالعداد المواشى الراعية : من الإبل والبقر والغنم .

(٢) فى التركيب ركاكة والمعنى مفهوم .

القمح أوثلثا إردب من الفول أونصف إردب من الحِمَّص أوثلثا إردب من الجُلُبّان؛ وفى الفول يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو [إردب و](١) نصف إردب من الشعير أو ثلثى إردب من الحِمَّص أو إردب من الجُلُبّان؛ وفى الحِمَّص يؤخذ عن كل إردب منه إردب من القمح أو إردبان من الشعير أو إردب ونصف من الفول أو إردب ونصف من الجلبان؛ وفى الجُلُبّان يؤخذ عن كل إردب منه ثلثى(٢) إردب من القمح أو إردب ونصف من الشعير أو إردب من الفول أو ثلثى(٣) إردب من الحِمَّص . ثم قال : والسِّمْسِمُ والسَّلْجَمُ والكَتَّانُ ما رأيت لها بدلا ، والاحتياط فى جميع ذلك الرجوع إلى سعره الحاضر، فإنه أسلم طريقةً وأحسن عاقبةً .

واعلم أن بلاد الديار المصرية بالوجهين : القبلى والبحرى بجملتها جارية فى الدواوين السلطانيــة و إقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجنــد إلا النزرَ اليسيرَ مما يجرى فى وقف مَنْ سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها مما لا يُعتدّ به لقلته .

والجارى فى الدواوين على ضربين :

الضـــرب الأوّل

ما هو داخل فى الدواوين السلطانية ، وهو الآن على أربعة أصناف :

الصـــــنف الأوّل

ما هو جار فى ديوان الوزارة ، وأعظمُه خَطَرا وأرفعُه قدرا جهتان :

إحداهما — عمل الجيزية المتقدِّم ذكره فى أعمال الديار المصرية ، ولها مباشرون بمفردها من ديوان الوزارة ما بين ناظر ومُسْتَوْف وشهود وصَيْرَفىّ وغيرهم ، وغالبُ

(١) الزيادة عن قوانين الدواوين .

(٢) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : «ثلث» .

خراجه مبلغ دراهم تحمل إلى بيت المـال فتثبت فيه وتصرف منه فى جملة مصارف بيت المـال، وربما حمل من بعضها الغَلَّة اليسيرة من القمح وغيره للأهراء[1] السلطانية بالفُسْطَاط، ومن أرضها تفرد الإطلاقات؛ ويبذر فيهـا البرسيم لربيع الخيول بالإصطبلات السلطانية والأمراء والممـاليك السلطانية .

الثانية — عمل مَنْفَلُوط، وله مباشرون كما تقدّم فى الجيزيّة بل هى أرفع قدرا وأكثر متحصّلا، وغالب خراجه غلال : من قمح وفُول وشـعير، وغلالها تحمل إلى الأهراء السلطانيـة بالفُسْطاط، ويصرف منهـا فى جمـلة مصارف الأهراء على الطواحين السلطانية والمُنَاخات وغير ذلك، وربمـا حمل منها المبلغ اليسير إلى بيت المـال فيثبت فيـه ويصرف منه على ما تقدّم فى الأعمال الجيزية، وما عدا هاتين الجهتين من البلاد الجارية فى ديوان الوزارة مفرّقة فى الأعمـال بالوجهين : القبلى والبحرى، وهى فى الوجه القبـلى أكثر، ولكنها قـد تناقصت فى هذا الزمن حتّى لم يَبْقَ فيها إلا بعضُ بلاد بالوجه القبلى .

الصـــنف الثـانى

ما هو جار فى ديوان الخـاص

وهو الديوان الذى أحدثه السلطان "الملك الناصر محمد بن قلاوون" حين أبطل الوزارة على ما سيـأتى ذكره؛ وأعظم بلاده وأرفعها قدرا مدينة الإسْكَنْدَرِيَّة فإنها فى الغالب مضافة إليـه؛ وبها مباشرون من ناظر ومستوف وشادّين وغيرهم . وربما أُخِّرت عنه فى جهات أخرى جارية فيه، ويليها تَرُوجَةُ وفُوَّة ونَسْتَرُوه، ومالُ جميعها يحمل إلى خزانة الخاص الآتى ذكرها تحت نظر ناظر الخاصّ الآتى ذكره .

(١) الأهراء : جمع «هرى» بضم الهاء وكسر الراء وتشـديد الياء، وهى بيت كبير تجمع فيه الغلال التى للسلطان، قال الأزهرى : لا أدرى أعربى هو أم دخيل .

الصـنف الثـالث

ما هـو جار فى الديوان المُفـرَد

وهو ديوان أحدثه " الظاهر برقوق " فى سلطنته ، وأفرد له بلادا، وأقام له مباشرين وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير، ورتّب عليه نفقة مماليكه من جامكيات وعليق وكُسْوَة وغير ذلك . ٥

قلت : وليس هو المخترعَ لهذا الأسم بل رأيت فى ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان للخليفة ديوان يسمى: الديوان المفرد.

الصـنف الرابـع

ما هـو جار فى ديوان الأملاك

١٠ وهو ديوان أحدثه " الظاهر برقوق " المتقدّم ذكره، وأفرد له بلادا سماها أملاكا، وأقام لها أستاذ دار ومباشرين بمفردها ، وهذا الديوان خاص بالسلطان ليس عليه مرتب نفقة ولا كُلْفة .

الضـرب الثـانى

ما هـو جار فى الإقطاعات

١٥ وهو جُلّ البلاد بالوجهين القبلى والبحرى، والبلاد النفيسة الكثيرة المُتَحَصَّل فى الغالب تقطع للأمراء على قدر درجاتهم ، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة ، وما دون ذلك من البُلْدان يقطعُ للماليك السلطانية ، يشترك الأثنان فما فوقهما فى البلدة الواحدة فى الغالب ، وربما أنفرد الواحد منهم بالبلد الواحد.

وما دون ذلك يكون لأجناد الحَلْقة تجتمع الجماعة منهم فى البلد الواحد بحسب مقـداره وحال مُقْطَعيـه، وفى معنى أجناد الحَلْقـة المُقْطَعون من العُرْبان بالبحيرة والشرقية من أرباب الأدراك وملتزمى خيل البريد وغيرهم .

ثم آعلم أن لبلاد الديار المصرية حالين :

الحال الأوّل ـ أن تتحجَّز إجارةُ طين البلد بقدر معين لا يزيد ولا ينقص، وطلبُ الخراج على حكمها .

الحال الثـانى ـ أن تكون البلاد مما جرت العادة بمساحة أرضها لسَعَة طينها وآختلاف الرىّ فيه بالكثرة والقلة فى السنين ؛ وقد جرت العادة فى ذلك أنّ كاتب خراج الناحيـة يطلب خَوَلة القانون بذلك البـلد وتوريخ الأحواض على المزارعين بفدن مقدّرة، وتُكتَب بها أوراق تسمَّى أوراق المسجل، وتحمل نسختها الى ديوان صاحب الإقطاع فتخلدفيه؛ فإذا طلع الزرع خرج من باب صاحب الإقطاع مباشرون، فيمسحون أرض تلك البـلد فى كل قَبَالة بأسماء المزارعين، ويكتب أصـل ذلك فى أوراق تسـمَّى الفُنْداق[1]، ثم تجمع القبائل[2] بأوراق تسمَّى تأريج[3] القبائل، ثم تجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمَّى تأريج[3] الأسماء، ويقابل بين ما آشتملت عليـه أوراق المسجل وما آشتملت عليـه مساحته، وفى الغالب يزيد عن أوراق المسجل، ويُجْمَعُ ذلك وتنظم به أوراق تسـمَّى المكلّفة، ويكتب عليها الشهود وحاكم العمـل، ويحمل لديوان المُقْطَع نسخا .

---

(١) الفنداق، هو الذى تكتب فيـه المساحات حال قياسها . (٢) القبائل : جمع قبالة بفتح القاف، وهى الأرض التى يقبلها أصحابها ، أى يضمنونها بمبلغ من المال يؤدّونه عنها فى كل سنة .

(٣) التأريج، هو الأوراق التى يبسطها مباشر المساحة بما فى السجلات ويختمها بما آنتهت إليه المساحة كما فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٨ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية) وفى الأصل : «تاريخ» وهو تحريف .

النـــــوع الثـانى

ما يتحصّل ممـا يُستخرَج من المعادن

وقد تقـدّم فى الكلام على خواصّ الديار المصرية أن الموجود الآن بها ثلاثة معادن :

الأوّل — "معدن الزُّمُرُّد" على القرب من مدينة قُوص ، ولم يزل مستمرّ ٥ الاستخراج إلى أواخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" ، ثم أُهمِل لقلّة ما يتحصّل منه مع كثرة الكُلَف وبقى مهملا إلى الآن . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أنه كان له مباشرون وأَمَناءُ من جهة السلطان يتولَّوْن استخراجه وتحصيله ، ولهم جوامك على ذلك . ومهما تحصل منه حُمِل إلى الخزائن السلطانية فيباع ما يباع ، ويبقّى ما يصلح للخزائن الملوكية . ١٠

الثانى — "معدن الشَّبّ" (بالباء الموحدة فى آخره) . قال فى "قوانين الدواوين" : ويُحتاج إليه فى أشـياء كثيرة ، أهمّها صَبْغ الأحمر ، وللرّوم فيه من الرغبة بمقـدار ما يجدون من الفائدة ، وهو عندهم مما لا بُدَّ منه ولا مندوحة عنه ؛ ومعادنه بأماكنَ من بلاد الصعيد والواحات على ما تقدّم فى الكلام على خواصّ الديار المِصْرية .

قال : وعادة الديوان أن يُنْفِق فى تحصيل كل قنطار منه باللَّيْثى ثلاثين درهما ، ١٥ وربما كان دون ذلك . وتَهْبِط به العرب [من معدنه](١) إلى ساحل قُوص ، وساحل إخميم ، وساحل أَسْيوط ، وإلى البَهْنَسى إن كان الإتيان به من الواحات ، ثم يحمل من هذه السواحل إلى الإسْكَنْدَرِيّة ، ولا يعتدّ للمباشرين فيه إلا بما يصح فيها عند الاعتبار . قال ابن مماتى : وأكثر ما يباع منه فى المَتْجَر بالإسكندرية خمسة آلاف قِنْطار بالجَرَوى ، وبيع منه فى بعض السنين ثلاثة عشر ألف قنطار . وسعره من ٢٠

(١) الزيادة عن قوانين الدواوين .

بخمسة دنانير إلى خمسة دنانير وربع وسدس كلّ قنطار . قال : أما القاهرة، فأكثر ما يباع فيها منه فى كل سـنة ثمـانون قنطارا كل قنطار بسـبعة دنانير ونصف؛ ثم قال : وليس لأحد أن يبيعه ، ولا يشتريه سوى الديوان السلطانى ، ومتى وجد مع أحد شيء من صنفه آستهلك . قلت : وقد تغير غالب حكم ذلك .

٥ الثالث — "معدن النَّطْرُون" وقد تقدّم فى الكلام على خواص الديار المصرية أن النّطْرون يوجد فى معدنين : أحدهمـا بعمل البحيرة مقابلَ بلدة تسمّى الطرّانة على مسيرة يوم منها ، وتقدّم فى كلام صاحب " التعريف " أنه لا يعلم فى الدنيا بقعة صغيرة يستغلّ منها أكثر ممـا يستغلّ منها ، فإنها نحو مائة فدّان تُغِل نحو مائة ألف دينار فى كل سنة . والمعدن الثـانى بالفاقوسية على القرب من الخطارة ، ويعرف ١٠ بالخطارى ، وهو غير لاحق فى الجَوْدة بالأول .

قال فى "نهاية الأرب" : وأوّل من آحتجر النّطْرون أحمدُ بن محمد بن مُدَبِّر نائب مصر قبل أحمد بن طولون ، وكان قبل ذلك مباحا . قال فى " قوانين الدواوين" : وهو فى طور محدود لا يتصرف فيه غير المستخدمين من جهة الديوان ، والنفقة على كل قنطار منه درهمان ، وثمن كل قنطار منه بمصر والإسكندرية لضيق الحاجة إليه ١٥ سبعون درهما . قال : والعادة المستقرّة أنه متى أُنْفق من الديوان فى العربان عن أجرة حمولة عشرة آلاف قِنْطار، ألزموا بحمل خمسة عشر ألف قنطار، حسابا عن كل قنطارٍ قنطار ونصفٌ؛ ثم قال : وأكثره مصروف فى نفقة الغُزاة .

قلت : أما فى زماننا فقد تضاعفت قيمة النّطْرون وغلا سعره لآحتجار السلطان له ، وأفرط حتّى خرج عن الحدّ، حتّى إنه ربمـا بلغ القِنْطار منه مبلغَ ثلثمائة درهم ٢٠ أو نحوها . وقد كان على النّطرون مرتّبُون من كُتّاب دَست وكُتّاب دَرْج وأطباءَ وكحالين وغيرهم وجماعةٌ من أرباب الصدقات يستأدون ذلك ، وينفقون على حمولته

إلى ساحل النيل بالبلدة المعروفة بالطَّرانة المتقدّمة الذكر، ويبيعونه على مَنْ يرغب فيه ليتوجه به فى المراكب إلى الوجه القبلىّ، ولم يكن لأحد أن يبيع شيئا بالوجه البحرىّ جملةً، ثم بطل ذلك فى أواخر الدولة الظاهرية برقوق، وصار النطرون بجملته خالصا للسلطان جاريا فى الديوان المفرد تحت نظر أستاذ دار، يحمل إلى الإسكندرية والقاهرة فيُخْزَن فى شُوَن ثم يباع منها، وعليه مباشرون يحضُرون الواصل والمبيع، ويعملون الحسبانات بذلك، وتميَّز بذلك متحصّله للغاية القصوى.

النـــوع الثـالث
الزكاة

قد تقرّر فى كتب الفقه أن مَنْ وجبت عليه زكاة كان مخيرا بين أن يدفعها إلى الإمام أو نائبه، وبين أن يفرّقها بنفسه. والذى عليه العمل فى زماننا بالديار المصرية أن أرباب الزكوات المؤدّين لها يفرّقونها بأنفسهم، ولم يبق بها ما يُؤخذ على صورة الزكاة إلا شيئين:

أحدهما — ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب أو فضة، فإنهم يأخذون على كل مائتى درهم خمسةَ دراهم، ثم إذا اشترى بها شيئا وخرج به وعاد بنظير المبلغ الأوّل لا يؤخذ منه شىء عليه حتّى يجاوز سنة. إلا أنهم انتقصوا سنة ذلك بجعلوها عشرة أشهر، وخصّوه بما إذا لم يزد فى المدّة المذكورة على أربع مرار. فإن زاد عليها استأنفوا له المدّة، ثم إنه إذا كان بالبلد متْجَر لأحد من تجار الكارم من بَهار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد، أخذوا عليه الزكاة أيضا. ويجرى ذلك جميعه مجرى سائر متحصّل الإسكندرية فى المباشرة وغيرها.

. الثـانى ـــ ما يؤخذ من العِدَاد من مواشى أهل بَرْقة من الغنم والإبل عنــد وصـــولهم إلى عمـــل البحيرة بسبب المرعى ، وفى الغـــالب يُقْطَع لبعض الأمراء ، ويخرج قُصَّادُهم لأخذه .

النــــــوع الرابـــع
الجـــوالى

٥

وهى ما يؤخذ من أهل الذِّمَّة عن الجزية المقرَّرة على رقابهم فى كل سنة ، وهى على قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية من الفُسْطَاط والقاهرة ، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة بها ناظرا يُولَّى من جهة السـلطان بتوقيع شريف ، ويتبعه مباشرون من شادّ وعامل وشُهُود ، وتحت يده حاشرٌ لليهود وحاشر للنصارى يعرف أربابَ الأسماء الواردة فى الديوان ومن ينضم ١٠ إليهم ممن يبلغ فى كل عام من الصِّبيان ، ويعبَّر عنهم بالنَّشْو ، ومن يَقْدَم إلى الحاضرة من البـلاد الخارجة عنها ، ويعــبَّر عنهم بالطارئ ، ومن يهتدى أو يموت ممن اسمه وارد الديوان . ويُمْلِى على كُتَّاب الديوان ما يتجدّد من ذلك .

قال فى "قوانين الدواوين" : إن الجزية كانت فى زمانه على ثلاث طبقات : عُلْيًا ، وهى أربعة دنانير وسدسٌ عن كل رأس فى كل سنة ، ووُسْطى وهى ديناران ١٥ وقيراطان ، وسُــفْلى وهى دينار واحد وثلث وربع دينار وحبتان من دينـار ، وإنه أضيف إلى جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشادّ والمباشرين . ثم قال : وقد كانت العادة جارية بآستخراجها فى أوّل المحرّم من كل سنة ، ثم صارت تُسْتخرَج فى أيام من ذى الحجة . قلت : أما الآن ، فقــد نقصت حتّى صار أعلاها خمسةً وعشرين درهمـا ، وأدناها عشرة دراهم ، ولكنها صارت تُستأدى معجَّلة فى شهر ٢٠ رمضان ، ثم ما يَتحصَّل منها يحمل منــه قدر معين فى كل ســنة لبيت المـال ، وباقى ذلك عليه مرتبون من القُضاة وأهل العلم والديانة يوزَّع عليهم على قدر المتحصَّل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بُلْدانها فإن جزية أهل الذمة فى كل بلد تكون لمُقطَع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرى مال ذلك الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية ، كان ما يَتحصَّل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا فى ذلك الديوان .

النـــوع الخــامس

ما يؤخذ من تُجّار الكفّار الواصلين فى البحر إلى الديار المصرية

وآعلم أن المقرّر فى الشرع أخذ العشر من بضائعهم التى يَقْدَمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شُرط ذلك عليهم . والمُفْتى به فى مذهب الشافعىّ رضى الله عنه أن للإمام أن يزيد فى المأخوذ عن العشر وأن ينقُص عنه إلى نصف العشر للحاجة إلى الآزدياد من جلب البضاعة إلى بلاد المسلمين، وأن يرفع ذلك عنهم ١٠ رأسا إذا رأى فيه المصلحة . وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه على مَرّة من كل قادم بالتجارة فى كل سنة، حتّى لو رجع إلى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة فى سنته لا يؤخذ منه شيء إلا أن يقع التراضى على ذلك؛ ثم الذى ترد إليه تُجّار الكفار من بلاد الديار المصرية ثَغْرُ الإسكندرية ، وثغر دِمْيَاط المحروستين، تأتى إليهما مراكب الفرنج والرُّوم بالبضائع فتبيع فيهما أو تمتار منهما ماتحتاج إليه من البضائع، وقد تقرّر الحال ١٥ على أن يُؤخَذ منهم الخمس وهو ضِعْف العُشْر عن كل ما يصل لهم فى كل مرة ، وربما زاد ما يُؤخَذ منهم على الخمس أيضا .

قال آبن مماتى فى "قوانين الدواوين": وربما بلغ قيمة ما يُستخرَج عما قيمته مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين دينارا، وربما آنحط عن العشرين دينارا . قال: ويطلق على كليهما خُمس ، قال : ومن الروم مَنْ يُسْتأدى منه العشر، إلا أنه لما ٢٠

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقرة فى الدواوين وأوضاع معروفة .

النـــــوع الســادس

المواريث الحشرية

وهى مال من يموت وليس له وارث خاص: بقرابة أو نكاح أو وَلَاء، أو الباقى بعد الفرض من مال مَن يموتُ وله وارثٌ ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصِبَ له .

وهذه الجهة أيضا على قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية، وما هو خارج عنها .

فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة ناظرا يولَّى من قِبَل السلطان بتوقيع شريف ومعه مباشرون من شادّ وكاتب ومُشَارِف وشُهُود، وهى مضافة إلى ما تحت نظر الوزارة من سائر المباشرات، ومُتَحَصَّلُها يحمل إلى بيت المال، وربما كان عليها مرتَّبون من أرباب جوامك وغيرهم . وقد جرت عادة هذا الديوان أنّ كاتبه فى كل يوم يكتب تعريفا بمَنْ يموت بمصر والقاهرة من حَشْرِىّ أو أهلى وتفصيله من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة ، ولنظر الدواوين ومستوفى الدولة ، ويُسَدّ من وقت العصر . فمن أطلق بعد العصر، أضيف إلى النهار القابل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية ، فلها مباشرون يُحصِّلونها ويحملون ما يتحصَّل منها إلى الديوان السلطانىّ .

النـــوع السابـــع

ما يتحصَّل من باب الضرب بالقـاهرة

والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف :

الصــنف الأوّل

الذهب

وأصله مما يُجْلَب إلى الديار المصرية من التِّبْر من بلاد التَّكْرُور وغيرها مع ما يجتمع إليه من الذهب . قال فى "قوانين الدواوين": وطريق العمل فيها أن يُسْبَك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتّى يصير ماء واحدا ، ثم يقلب قُضْبانا و يقطع من أطرافها قطع بمباشرة النـائب فى الحكم ، ويحرّر بالوزن ويسـبك سبيكة واحدة ، ثم يؤخذ من بعضها أربعة مثاقيل ويضاف إليها من الذهب الحائف المسبوك بدار الضرب أربعة مثاقيل ، ويعمل كل منها أربع ورقات وتجمع الثمان ورقات فى قدح فخار بعد تحرير وزنها ، ويوقد عليها فى الأتُّون ليلة ، ثم تخرج الورقات وتمسح ويُعبَّر[(1)] الفرع على الأصـل ، فإن تساوى الوزن وأجازه النائب فى الحكم ، ضُرِب دنانير . وإن نقص أعيد الى أن يتساوى ويصح التعليق فيضرب حينئذ دنانير .

قال ابن الطُّوَيْر فى الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية فى سياقه الكلام على وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حُكِى أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له إلمـام بمدينة عين شمس الخراب على القرب من المَطَرِيّة من ضواحى القاهرة ، حيث ينبُت البَلَسانُ ، وأن يد فرسه ساخت بها يوما فى أرض صَلْدة ، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسةَ نَواوِيسَ فكشفها فوجد فى الأوسط منها ميتا مُصَبَّرًا فى عسل ، وعلى صدره لوحٌ لطيف من ذهب فيه كتابة لا تعرف ، والنواويس الأربعة مملوءة بسـبائك الذهب ، فنقل ذلك الذهب

(1) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : «القدح» وهو تحريف .

ولم يجد من يقرأ ما فى اللوح ، فدُلّ على راهب شيخ بدير العَرَبة بالصعيد له معرفة
بخط الأوّلين، فأمر بإحضاره فأُخْبِرَ بضعفه عن الحركة، فوجّه باللوح إليـه،
فلما وقف عليه قال : إن هذا يقول : أنا أكبر الملوك ، وذَهَبِي أخلصُ الذهب .
فلـما بلغ ذلك أحمد بن طولون، قال : قبح الله من يكون هـذا الكافر أكبَرَ منه
٥ أو ذهبه أخلَصَ من ذهبه ، فشدّد فى العيار فى دُور الضرب، وكان يحضُر ما يعلّق
من الذهب ويختم بنفســه فبقى الأمر على ما قرّره فى ذلك من التشديد فى العيار .
وكانت دار الضرب فى الدولة الفاطمية لا يتولاها إلا قاضى القضاة تعظيما لشأنها ،
وتُكتَب فى عهده فى جملة ما يضاف إلى وظيفة القضاء، ويقيم لمبـاشرة ذلك مَنْ
يختاره من نوّاب الحُكْم ، وبقى الأمر على ذلك زمنا بعـد الدولة الفاطمية أيضا .
١٠ أما فى زماننا ، فنظرها موكول لناظر الخاصّ الذى آستحدثه "الملك الناصر محمد بن
قلاوون" عند تعطيله الوزارة على ما سيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والسِّكّة السلطانية بالديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير أن يكتب على أحد
الوجهين : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرْسَلَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ[(١)]) وعلى الوجه الآخر آسم السـلطان الذى ضرب
١٥ فى زمنه وتاريخ سنة ضربه .

الصـــــنف الثـانى

الفضّـة النُّقـرة

وقد ذكر آبن مَمَّاتى فى "قوانين الدواوين" فى عيارها أنه يؤخذ ثلثمائة درهم
فضة فتضاف إلى سبعمائة درهم من النحاس الأحمر، ويسبك ذلك حتّى يصـير ماء
٢٠ واحدا فيقلب قُضْبانا ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهما، ثم تسبك، فإن خلص

(١) ليست هذه العبارة نظم آية كما قد يتوهم .

منها أربعة دراهم فضة ونصف حسابا عن كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم، وإلا أعيدت
إلى أن تصح . وكأن هذا ما كان الأمر عليه فى زمانه؛ والذى ذكره المقر الشهابى
آبن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أن عيارها الثلثان من فضة والثلث من
نحاس، وهذا هو الذى عليه قاعدة العيار الصحيح كما كان فى أيام الظاهر بيبرس
وما والاها، وربما زاد عيار النحاس فى زماننا على الثلث شيئا يسيرا بحيث يظهره ٥
النقد، ولكنه يروج فى جملة الفضة، وربما حصل التوقف فيه إذا كان بمفرده .

قلت : أما بعد الثمانمائة فقد قلت الفضة، وبطل ضرب الدراهم بالديار المصرية
إلا فى القليل النادر لآستهلاكها فى السروج والآنية ونحوها ، وآنقطاع واصلها
إلى الديار المصرية من بلاد الفرنج وغيرها . ومن ثم عز وجود الدراهم فى المعاملة
بل لم تكد توجد . ثم حدث بالشام ضرب دراهم رديئة فيها الثلث فما دونه فضة ١٠
والباقى نحاس أحمر، وطريقة ضربها أن تقطع القضبان قطعا صغارا كما تقدم
فى الدنانير، ثم ترصع إلا أن الدنانير لا تكون إلا صحاحا مستديرة، والفضة ربما كان
فيها القراضات الصغار المتفاوتة المقادير فيما دون الدرهم إلى ربع درهم وما حوله ؛
وصورة السكة على الفضة كما فى الذهب من غير فرق .

الصنف الثالث ١٥

الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر

وقد تقدم أنه كان فى الزمن الأول فلوس صغار كل ثمانية وأربعين فلسا منها
معتبرة بدرهم من النقرة إلى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى سلطنة الناصر حسن بن
محمد بن قلاوون الثانية ، فأحدثت فلوس عبر عنها بالجدد زنة كل فلس منها مثقال،
وهو قيراط من أربعة وعشرين قيراطا من الدرهم، ثم تناقص مقدارها حتى كادت ٢٠

تفسد وهى على ذلك . وطريق عملها : أن يُسبك النُّحاسُ الأحمر حتّى يصير كالمـاء ؛ ثم يخرج فيضرب قضبانا ، ثم يُقَطَّع قطعا صغارا ، ثم تُرْصَع وتسك بالسكة السلطانية وسكتها أن يكتب على أحد الوجهين آسم السلطان ولقبه ونسبه ، وعلى الآخر آسم بلد ضربه وتاريخ السنة التى ضرب فيها .

الضـــرب الثـانى

من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى ،

وهو المكوس ، وهى على نوعين

النــــوع الأوّل

ما يختص بالديوان السلطانى وهو صنفان

الصـــنف الأوّل

ما يؤخذ على الواصل المجلوب ، وأكثره مُتَحَصَّلا جهتان

الجهـــــة الأولى

ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر القُلْزُم

من جهة الحجاز واليَمَن وما والاهما ، وذلك بأربعة

سواحل بالبحر المذكور

الساحل الأوّل — "عَيْذَابُ" وقد كان أكثرَ السواحل واصلا لرغبة رؤساء المراكب فى التعدية من جُدَّةَ إليـه ، وإن كانت باحتُه متسعةً لغزارة المـاء وأَمْنِ الَّحَاقِ بالشعب الذى ينبت فى قعر هذا البحر ، ومن هذا الساحل يتوصل إلى قُوصَ بالبضائع ومن قُوصَ إلى فُنْدُقِ الكارم بالفُسْطَاط فى بحر النيل .

الساحل الثانى ــ «القُصَيْر» وهو فى جهة الشمال عن عَيْذابَ، وكان يصل إليه بعضُ المراكب لقربه من قُوص وبُعْدِ عَيْذابَ منها؛ وتُحمل البضائع منه إلى قُوصَ، ثم من قُوصَ إلى فُنْدق الكارم بالفُسْطاط على ما تقدّم، وإن لم يبلغ فى كثرة الواصل حدّ عَيْذابَ.

الساحل الثالث ــ «الطُّور» وهو ساحل فى جانب الرأس الداخل فى بحر القُلْزُم بين عَقَبة أَيْلَةَ وبين بر الديار المصرية؛ وقد كان هذا الساحل كثير الواصل فى الزمن المتقدم؛ لرغبة بعض رؤساء المراكب فى السير إليه، لقرب المراكب فيه من بَرّ الحجاز حتّى لا يغيب البر عن المسافر فيه وكثرة المراسى فى بره، متى تغير البحر على صاحب المركب وجد مَرْساة يدخل إليها، ثم تُرِك قَصْدُ هذا الساحل والسفرُ منه بعد آنقراض بنى بدير العباسية التجار، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذى يُخْشى على المراكب بسببه، ولذلك لا يُسافَر فيه إلا نهارا، وبقى على ذلك إلى حدود سنة ثمانين وسبعمائة، فعَمَر فيه الأمير صلاح الدين بن عَرّام[1] رحمه الله، وهو يومئذ حاجب الحُجّاب بالديار المصرية مَرْكبا وسَفَّرها، ثم أتبعها بمركب آخر فجسر الناس على السفر فيه وعَمَروا المراكب فيه، ووصلت إليه مراكبُ اليَمَن بالبضائع، ورُفِضت عَيْذابُ والقُصَيْرُ، وحصل بواسطة ذلك حمل الغلال إلى الحجاز، وغَزُرت فوائد التجار فى حمل الحنطة إليه.

الساحل الرابع ــ «السُّوَيْس» على القرب من مدينة القُلْزُم الخراب بساحل الديار المصرية. وهو أقرب السواحل إلى القاهرة والفُسْطاط إلا أن الدخول إليه نادر، والعمدة على ساحل الطُّور كما تقدّم.

(١) هو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، كان واسع الاطلاع فى التاريخ والأدب، وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير ومعرفة تامة بالأمور السياسية. تولى نيابة الاسكندرية غير مرة وتنقل فى عدة وظائف. قتل وهو مسمر بسوق الخيل بالرميلة بالقاهرة سنة ٧٨٢ هـ ورثاه الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار بقوله:

أيا آبن عرّام قد سمرت مشتهرا * وصار ذلك مكتوبا ومحسوبا
ما زلت تجهد فى التاريخ تكتبه * حتى رأيناك فى التاريخ مكتوبا

(راجع النجوم الزاهرة فى حوادث سنة ٧٨٢ هـ)

قلت : وهذه السواحل على حدّ واحد فى أخذ المرتّب السلطانىّ ، وقد ذكر فى "قوانين الدواوين" : أن واصل عَيْذابَ كان آستقرّ فيه الزكاة . أما الذى عليه الحال فى زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشْر مع لواحِقَ أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطانىّ أيضا .

٥ وآعلم أنه قد تَصِلُ البضائع للتجار المسلمين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدّم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتّب السلطانى على ما توجبه الضرائب .

الجهـــة الثـــانيـــة

ما يؤخذ على واصل التجار بقَطْيا فى طريق الشأم إلى الديار المصرية

وعليها يردُ سائرُ التجار الواصلين فى البر من الشأم والعراق وما والاهما، وهى

١٠ أكثر الجهات متحصَّلا وأشدّها على التجار تضييقا وعنـدهم ضرائب مقرّرة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصـــــنف الثـــانى

ما يؤخذ بحاضرة الديار المصرية : بالفُسْطَاط والقاهرة

وهو جهات كثيرة ، يقال إنها تبلغ آثنتين وسبعين جهة؛ منها ما يكثُر متحصَّله

١٥ ومنها ما يقلّ، ثم بعضها بحسب ما يتحصّل من قليل وكثير، وبعضها له ضَمَّان[1] بمقدار معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه .

قلت : وقـد عمت البلوى بهذه المُكُوس، وخرجت فى التزيُّد عن الحدّ، ودخلت الشبهة فى أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمـه الله فى سلطنته قد رفع هـذه المكوسَ ومحـا آثارها ،

٢٠ (١) لعله ضامن .

وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتحه من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلهام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها . ومن أعظم ذلك خَطَرا وأرفعه أجْرًا ما فعله السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بُطْلان مكوس المَلَاهى والقراريط على الأملاك المبيعة . ٥

النـــوع الثـانى

ما لا آختصاص له بالديوان السلطانىّ

وهى المُكُوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعـة للإقطاع إن كانت تلك البـلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانيـة فمتحصِّلها لذلك الديوان، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فمتحصِّلها لصاحب الإقطاع، ويعبَّر ١٠ عنها فى الدواوين بالهلالى كما يعبَّر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجىّ .

المقصـــد الثـالث(١)

فى ترتيب المملكة، ولهـا ثلاث حالات :

الحالة الأولى — ما كانت عليـه فى زمن عُمَّال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشـيدية ؛ ولم يتحرر لى ترتيبهـا، والظاهر أنه لم يزل نوابهـا وأمراؤها ١٥ حينئذ على هيئة العرب إلى أن وليهـا أحمد بن طولون وبَنُوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السـودان ، حتّى يقـال إنه كان فى عسكره آثنا عشر ألف أسود، وتبعتهم الدولة الإخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

---

(١) لم يسبق له التعبير بالمقصد الأول والثانى ولم يجمل كعادته فلعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع ٢٠ فى هذا الجزء شىء من هذا القبيل فاقتضى التنبيه .

الحالة الثانية — من أحوال الديار المصرية ما كانت عليه فى زمن الخلفاء الفاطميين ؛ وينحصر المقصود من ترتيب مملكتهم فى سبع[1] جمل .

الجملة الأولى

فى الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام

وهى على أصناف متعددة :

منها "التاج" . وكان يُنعت عندهم بالتاج الشريف، ويعرف بشدّة الوَقار. وهو تاج يركب به الخليفة فى المواكب العِظَام ، وفيه جوهرة عظيمة تُعْرف باليتيمة زنتها سبعة دراهم ولا يقوّم عليها لنفاستها؛ وحولها جواهر أخرى دونها؛ يلبس الخليفة هذا التاج فى المواكب العظام مكان العمامة .

ومنها "قضيب الملك" . وهو عُود طول شبر ونصف ، ملبّس بالذهب المرصّع بالدرّ والجوهر، يكون بيد الخليفة فى المواكب العظام .

ومنها "السيف الخاص" . الذى يحمل مع الخليفة فى المواكب . يقال إنه كان من صاعقة وقعت وحصل الظّفر بها فعمل منها هذا السيف ، وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر، وهو فى خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه، وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة فى الموكب .

ومنها "الدواة" . وهى دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المَرْجَان على صلابته ومناعته، تلف فى منديل شرب[2] أبيض [مذهب[3]]، ويحملها شخص من الأستاذين فى الموكب أمام الخليفة تكون بينه وبين السرج ، ثم جعل حَمْلُها لعَدْل من العدول المعتبرين .

(١) فى الأصل : « ثلاث » وقد أثبت سبع جمل . (٢) الشرب : نوع مخصوص من الحرير كان يستعمل فى ذلك الزمن . (٣) الزيادة عن المقريزى (ج ١ ص ٤٤٩) والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٧) .

ومنها "الرمح" . وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم باللؤلؤ ، وله سِنان مختصر بحلية الذهب ، وله شخص مختص بحمله .

ومنها "الدَّرَقَة" . وهى دَرَقة كبيرة بكوابج[1] من ذهب ، يقولون إنها دَرَقة حمزة عم النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، وعليها غِشاء من حرير ، ويحملها فى الموكب أمير من أكابر الأمراء ، له عندهم جلالة . ٥

ومنها "الحافر" . وهى قطعة ياقوت أحمر فى شكل الهلال ، زنتها أحد عشر مثقالا ، ليس لها نظير فى الدنيا ، تخاط خياطة حسنة على خرقة من حرير ، وبدائرها قضب زمرد ذُبابى[2] عظيم الشأن ، تجعل فى وجه فرس الخليفة عند ركوبه فى المواكب .

ومنها "المِظَلَّة" التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه . وهى قُبَّة على هيئة خيمة على رأس عمود كالمظلة التى يركب بها السلطان الآن ، وكانت اثنى عشر شوزكا ١٠ عرض سُفْل كل شوزك شبر ، وطوله ثلاثة أذرع وثلث ، وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكا فى رأس عمود بدائرة ، وعمودها قنطارية من الزان ملبَّسة بأنابيب الذهب ، وفى آخر أنبوبة ثلثى رأس العمود فلكة[3] بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشوازك فى حَلْقة من ذهب ، وتنزل فى رأس الرمح . ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وحاملها من أكبر الأمراء . ١٥

قال ابن الطوير : وكان من شرطها عندهم أن تكون على لون الثياب التى يلبسها الخليفة فى ذلك الموكب ، لا تخالف ذلك .

ومنها "الأعلام" . وأعلاها اللواءان المعروفان بلواءى الحمد ، وهما رمحان طويلان ملبَّسان بأنابيب من ذهب إلى حد أسنّتهما ، وبأعلاهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب ، ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين ، يُخرَجان لخروج ٢٠ المظلة إلى أميرين معدّين لحملها ، ودونهما رمحان برءوسهما أهِلَّة من ذهب صامت ،

(١) فى النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٠) والمقريزى : « بكوافخ » .

(٢) سمى بالذبابى لقرب لونه من لون الذباب الكبير المائل الى الخضرة .

(٣) كذا فى النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٤) . وفى الأصل : « ملكة » وهو تحريف .

فى كل واحد منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفى فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فيفتحان فيظهر شكلهما ، يحملهما فارسان من صبيان الخاصّ ، وو راءهما رايات لِطَاف ملوّنة من الحرير المرقوم ومكتوب عليها : ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ طولُ كلّ راية منها ذراعان فى عرض ذراع ونصف ، فى كل واحدة ثلاث طرازات على رماح من القَنَا ، عدّتها أبدا إحدى وعشرون راية ، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة ، وحاملها أبدا راكب بغلة .

ومنها "المِذَبَّتَانِ" وهما مِذَبَّتَانِ عظيمتان كالنخلتين ملويتان محمولتان عند رأس فرس الخليفة فى الركوب .

ومنها "السلاح" الذى يحمله الركابية حول الخليفة . وهو صَمَاصِمُ مصقولة ، ودبابيس مُلَبَّسة بالكَيْمَخْتِ[1] الأحمر والأسود ، ورءوسها مدوّرة ، ولُتُوتُ[2] حديد كذلك ورءوسها [مستطيلة وآلات يقال لها المستوفيات[3]] وهى عمد حديد طول ذراعين ، مربعات الأشكال بمقابض مدوّرة بعدّة معلومة من كل صنف ؛ وستمائة حربة بأسنة مصقولة ، تحتها جُلَبُ[4] الفضة ؛ وثلثمائة دَرَقة بكوابج فضة ؛ يحمل ذلك فى الموكب ثلثمائة عبد أسود كل عبد حربتان ودَرَقَةٌ واحدة ؛ وستون رمحا طول كل واحد منها سبع أذرع ، برأسها طلعة وعقبها من حديد ، يحملها قوم يقال لهم "السريرية" يفتلونها بأيديهم اليمنى فتلًا متدارك الدوران ؛ ومائة درقة لطيفة ؛ ومائة سيف بيد مائة رجل ، كل رجل دَرَقَةٌ وسيف يسيرون رَجَّالة فى الموكب ؛ وعشرة سيوف فى خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم ، تكون فى أعقاب الموكب برسم ضرب الأعناق إذا أراد الخليفة قتلَ أحد . وذلك كله خارج عما يخرج من خزانة التجمل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزِمّة العساكر لتجملهم فى الموكب ، وهى نحو أربعمائة راية مرقومة الأطراف ، وبأعلاها رمامين الفضة المذهبة ، وعدة

(١) الكيمخت : ضرب من الجلود المدبوغة . (٢) لتوت : كلمة فارسية معربة ، جمع لت ، والت : القدوم والفأس العظيمة . (٣) الزيادة عن النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٧٩) .
(٤) الجلب ، جمع جلبة ، وهى القطعة من الفضة وغيرها تضم نصاب الحربة بسنانها .

من العَمَّاريات[1] ، وهي شبه الكنجاوات ملبسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزى وغير ذلك ، وعليها كوابج[2] الفضة المذهبة ، لكل أمير من أصحاب القضب منها عمّارية ، ويختص لواءان على رمحين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه فى الموكب إلى غير ذلك من الالات التى يطول ذكرها ، ويعسر آستيعابها .

ومنها "النَّقَّارات" . وكانت على عشرين بغلا ، على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات ، تسير فى الموكب آثنتين آثنتين ولها حسٌّ حسن .

ومنها "الخيام والفساطيط" وكان من أعظم خيمهم خَيْمَةٌ تعرف بالقاتول ، طول عمودها سبعون ذراعا ، بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء ، وسعتها مايزيد على فدانين فى التدوير ، وسميت بالقاتول لأن فَرّاشًا سقط من أعلاها فمات .

قلت : ولعمرى إن هذه لأثرة عظيمة تدل على عظيم مملكة وقوّة قدرة ، وأنّى يتأتى مثل هذه الخيمة لملك من الملوك وإن جلّ قدره وعظم شأنه .

الجملة الثانية

فى حواصل الخليفة ، وهى على خمسة أنواع

النوع الأوّل

الخزائن ، وهى ثمان خزائن :

الأولى — "خِزَانة الكتب" . وكانت من أجل الخزائن وأعظمها شأنا عندهم ، وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة عدّةٌ كثيرة ، ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد ، مشتملة على أنواع العلوم مما يُدهِش الناظر ويحيره ، وربما آجتمع من المصنَّف الواحد فيها عشرُ نسخ

---

(١) العماريات ، جمع عمارية ، وهى الهودج يجلس فيه .

(٢) فى النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٠) والمقريزى «كواغ» .

فما دونها[1]، وكان فيها من الدُّروج المكتتبة بالخطوط المنسوبة كخط ابن مقلة وابن البوّاب، ومن جرى مجراهما[2] .

الثانية — "خِزَانة الكُسْوة" وهى فى الحقيقة خزانتان . إحداهما — الخزانة الظاهرة، وهى المعبر عنها فى زماننا بالخزانة الكبرى على ما كانت عليه أوّلا، والمعبر عنها بخزانة الخاصّ على ما استقرّ عليه الحال آخرا ، وكان فيها من الحواصل من الديباج الملوّن على اختلاف ضروبها ، والشرب الخاص الدَّبِيقِىّ[3] والسَّقلاطُون[4]، وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة ما يدل على عِظَم المملكة، وإليها يحمل ما يُعْمَل بدار الطِّراز بتِنِّيس ودِمْيَاط والإسْكَنْدَرِيّة من مستعملات الخاص، وفيها يفصّل ما يؤمر به من لباس الخليفة ، وما يحتاج إليه من الخِلَع والتشاريف وغير ذلك .

١٠ الثانية — معدّة للباس الخليفة خاصة ، وهى المعبر عنها فى زماننا بالطشت خاناه ، وإليها ينقل القماش المفصّل بالخزانة الأولى من قماش الخليفة وغيره .

الثالثة — "خزانة الشراب". وهى المعبر عنها فى زماننا بالشراب خاناه، وكان فيها من أنواع الأشربة والمَعَاجين النفيسة والمربّيات الفاخرة وأصناف الأدوية والعِطْرِيّات الفائقة التى لا توجد إلا فيها؛ وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصِّينِىّ من الزبادى والصُّحُون والبَرَانِىّ والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك .

الرابعة — "خزانة الطُّعْم". وهى المعبّر عنها فى زماننا بالحوائج خاناه، وكانت تحتوى على عدّة أصناف من جميع أصناف القَلَوِيّات من الفستق وغيره والسُّكَّر والقَنْد[5] والأعسال على أصنافها والزيت والشّمع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصّا

(١) لعل الأنسب فما فوقها . (٢) لعل تمامه [ما يدل على عظم المملكة] كما سيأتى فى نظيره .

٢٠ (٣) الدبيق : نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التى كانت تصنع فى دبيق ، وهى بلدة بمصر قديمة زالت ، وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس ، وموضعها اليوم تل دبيق فى الشمال الشرقى لقرية صان الحجر وعلى بعد ٥٥٠٠ متر منها بمركز فاقوس . (٤) السقلاطون : نوع من الملابس الحريرية الفاخرة الملوّنة بالألوان القرمزية وغيرها . وهو اسم بلد بالروم تصنع فيه تلك الملابس وتنسب اليه . وكانت تصنع أيضا ببغداد وتبريز (راجع قاموس دوزى والقاموس الانجليزى الفارسى ومعجم البلدان لياقوت فى كلامه

٢٥ على تبريز) . (٥) القند : عسل قصب السكر إذا جمد معرب كند وهو قصب السكر ومنه الكردى "قند".

وعاماً، وينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات فى كل شهر، ولا يحتاج إلى غيرها إلا فى اللحم والخضر.

الخامسة — "خزانة السُّروج". وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالرِّكاب خاناه، وكانت قاعة كبيرة بالقصر، بها السروج واللُّجُم من الذهب والفضّة، وسائر آلات الخيل مما يختص بالخليفة؛ ثم منها ما هو قريب من الخاص، ومنها ما هو وسط برسم مَنْ هو من أرباب الرُّتَب العالية، ومنها ما هو دُونٌ برسم من هو برسم العوارى أيام المواكب لأرباب الخدم.

السادسة — "خزانة الفَرْش". وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالفرّاش خاناه؛ وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك؛ وكان الخليفة يحضُر إليها من غير جلوس ويطوف فيها، ويسأل عن أحوالها، ويأمر بإدامة عمل الاحتياجات وحملها إليها.

السابعة — "خزانة السلاح". وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالسلاح خاناه؛ فيها من أنواع السلاح المختلفة ما لا نظير له: من الزَّرَديَّات المُغَشَّاة بالديباج المحكمة الصَّنْعة المحلّاة بالفضة، والجواشن(1) المُذْهبة، والخُوَذ المحلّاة بالذهب والفضة، والسيوف العربيات والقلجوريّة، والرِّماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة، والأَسِنَّة العظيمة والقِسِيّ المخبورة المنسوبة إلى أفاضل الصُّنّاع، وقسىّ الرجل والركاب، وقِسِىّ اللولب التى تبلغ زِنَةُ نصله خمسة أرطال بالمصرى، والنَّبْل الذى يرمى به عن القسىّ العربية فى المجارى المصنوعة لذلك.

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر: كان يصرف فيها فى كل سنة سبعون ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار.

(1) الجواشن: جمع جوشن، وهو مثل الزرد يلبس على الظهر، والفرق بينه وبين الزرد أن الزرد يكون من حلقة واحدة فقط، والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفائح رقيقة من التنك.

الثامنة — "خزانة التجمّل". وهى خزانة فيها أنواع من السلاح يُخرَج منها للوزير والأمراء فى المواكب الألوية والقُضُب الفضة والعَمَاريّات وغيرها. قال ابن الطوير: هى من حقوق خزائن السلاح.

وأما "خزائن المـال" فكان فيها من الأموال والجواهر النفيسة، والذخائر العظيمة، والأقمشة الفاخرة ما لا تحصره الأقلام.

وناهيك أن المستنصر لمـا وقع الغلاء العظيم بمصر، أخرج من خزانته فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة ذخائرَ تَسَعُها للإعانة على قيام أمر المملكة والجند، فكان مما أخرجه ثمـانون ألف قطعة بِلَّوْر كبار، وسبعون ألف قطعة من الدِّيباج، وعشرون ألف سيف مُحَـلًّى. ولمـا استولى السلطان صـلاح الدين يوسف بن أيوبَ علىٰ القصر بعـد وفاة العاضد، آخر خلفائهم، وجد فيـه من الأعلاق الثمينة والتُّحف ما يخرج عن حدّ الإحصاء، من جملته الحافر الياقوت المقـدّم ذكره. ويقال إنه وجد فيـه قضيب زُمُرُّدٍ يزيد على قامة الرجل على ما تقـدّم ذكره فى الكلام على الأحجار الملوكية فى أثناء المقالة الأولى، ووجد فيه أيضا الهَرَم العَنْبَرَ الذى عمله الأمين زِنَتُهُ ألف رطل بالمصرى.

النـــوع الثـانى

حواصل المواشى المعبر عنها عند كُتَّاب زماننا بالكُرَاع؛ وهى حاصلان:

الأول — "الإصطبلات". وهى حواصل الخيول والبِغَال وما فى معناها، قال ابن الطوير: وكان لهم إصطبلان. قال: وكان للخليفة[1] برسم الخـاصّ فى كل إصطبل ما يقرب من الألف رأس، النصف من ذلك برسم الخاصّ، والنصف برسم العوارى فى المواكب لأرباب الرُّتَب والمستخدمين، وكان لكل ثلاثة أرؤُس منها سائس

(١) عبارة المقريزى (ج ١ ص ٤٤٤) نقلا عن ابن الطوير: «وكان لهم إصطبلان: أحدهما يعرف بالطارمة، يقابل قصر الشوك، والآخر بحارة زويلة يعرف بالجميزة، وكان للخليفة الحاضر ما يقرب الخ وهى أوضح.

واحد؛ لكل واحد منها شدّاد برسم تسييرها ، وبكل من الإصطبلاين رائض كامير آخور . ومن غريب ما يحكى أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يركب حصانًا أدهمَ قَطُّ ، ولا يَرَوْنَ إضافته إلى دوابّهم بالإصطبلات .

الثانى — "المُنَاخات" . وهى حواصل الجمال ، وكان لهـم من الجمال الكثيرة بالمُنَاخات وعُدَدها الفائقة ما يقصر عنه الحدّ . ٥

النـــوع الثـالث

حواصـــل الغلال وشُوَنُ الأَتْبان

أما الغلال — فكانت لهم الأهراءُ فى عدّة أماكنَ : بالقاهرة ، و بالفُسْطَاط ، والمَقْسِم ؛ ومنها تصرف الإطلاقات لأرباب الرواتب والخدم والصدقات وأرباب الجوامع والمساجد والجرايات والطواحين السلطانية ، وجرايات رجال الأسطول ١٠ وغير ذلك ، وربما طال زمن الغلال فيها حتّى تقطع بالمساحى .

وأما شون الأتبان — فكان بطريق الفُسْطَاط شونتان عظيمتان مملوءتان بالتبن معبأتان تعبئة المراكب كالجبلين الشاهقين ، وينفق منها للإصطبلات والمواشى الديوانية وعوامل بساتين الملك ، وكانت ضريبة كل شليف عندهم ثلثمائة وستين رطلا .

النــوع الرابـــع ١٥

حواصـــل البضاعـــة

قال ابن الطوير : وكان فيهـا ما لا يحصره إلا القـلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من القنّب والكتّان ، والمنجنيقات والصُّنّاع الكثيرة من الفرنج وغيرهم من أهل كل صنعة ، وكانت الصناعة أوّلا بالجزيرة المعروفة الآن بالرَّوْضة ، ولذلك كانت تعرف بينهم بجزيرة الصّناعة قاله القضاعىّ . ٢٠

النـــوع الخـامس

ما فى معنى الحواصل، لوقوع الصرف والتفرقة منه،
وهو الطواحين، والمَطْبَخ، ودار الفِطْرة[(١)]

فأما الطواحين — فإنها كانت معلقة ، مداراتها أسفلُ وطواحينها فوقُ
كما فى السواق حتّى لا يقارب الدقيقَ زِبْلُ الدوابّ الدائرة لاختصاصه بالخليفة . ٥

وأما المَطْبَخ — فقد تقدّم فى الكلام على خطط القاهرة، وكان يدخل بالطعام منه إلى القصر من باب الزُّهومة مكانَ قاعة الحنابلة من المدرسة الصالحية الآن على ما تقدّم فى خِطط القاهرة. قال ابن الطوير: ولم يكن لهم أسمطة عامّة فى سوى العيدين وشهر رمضان.

الجمـــلة الثـالثـــة

فى ذكر جيوش الدولة الفاطمية، وبيان مراتب أرباب السيوف ١٠
وهم على ثلاثة أصناف :

الصنف الأوّل الأُمراء

وهم على ثلاث مراتب: :

المرتبة الأولى — مرتبة الأمراء المطوّقين. وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب فى أعناقهم، وكأنهم بمثابة الأمراء مقدّمى الأُلُوف فى زماننا . ١٥

المرتبة الثـانية — مرتبة أرباب القُضُب، وهـم الذين يركبون فى المواكب بالقُضُب الفِضّة التى يخرجها لهـم الخليفة من خِزانة التجمُّل تكون بأيديهـم، وهم بمثابة الطبلخاناه فى زماننا .

المرتبة الثالثة — أدوان الأمراء ممن لم يؤهَّل لحمل القُضُب. وهم بمثابة أمراء العشرات والخمسات فى زماننا . ٢٠

(١) أغفل المؤلف الكلام على دار الفطرة . وكانت خارج القصر قبالة الديلم ومشهد الحسين ، بناها العزيز بالله وقرر فيها ما يعمل مما يحمل من الفطرة (وهى الجوز واللوز والبندق والفستق والزبيب) الى الناس فى عيد شوّال . وكان مصروفها فى كل سنة عشرة آلاف دينار. ومحلها اليوم الدور الواقعة فى أوّل شارع قربد على يمين الداخل فيه من جهة الميدان القبلى لجامع سيدنا الحسين تجاه بوابة شارع الباب الأخضر (راجع الكلام عليها فى خطط المقريزى ج ١ ص ٤٢٥ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٢ طبع دار الكتب المصرية) . ٢٥

الصـــنف الثـانى

خواص الخليفة ، وهم على ثلاثة أنواع :

النــــوع الأول

الأســـتاذون

وهم المعروفون الآن بالخدّام وبالطواشيّة ، وكان لهم فى دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ؛ وأجلهم المُحَنَّكُونَ ، وهم الذين يُدَوِّرون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه وأخصهم به ، وكانت عدّتهم تزيد على ألف . قال ابن الطوير : وكان من طريقتهم أنه متى ترشّح أستاذ منهم لحنك وحنك[1] ، حَمَلَ إليه كل أستاذ من المحنّكين بَدْلَةً كاملة من ثيابه وسيفا وفرسا فيصبح لاحقا بهم ، وفى يده مثل ما فى أيديهم .

النــــوع الثـانى

صِبْيان الخـاص

وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم ، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصكية فى زماننا .

النــــوع الثـالث

صِبْيان الحُجَـــر

وهم جماعة من الشّبّاب يناهزون خمسة آلاف نفر مقيمون فى حُجَر منفردة لكل حُجْرة منها آسم يخصها ، يضاهون مماليك الطباق السلطانية الآن المعبر عنهم بالكتابية إلا أن عدّتهم كاملة وعالهم مزاحة ، ومتى طُلبوا لِمُهِمّ لم يجدوا عائقا ، وللصّبيان منهم حجرة منفردة يتسلمها بعض الأستاذين ؛ وكانت حُجَرتهم بمعزل عن القصر داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية بيبرس الآن .

(١) لعله : لتحنك وتحنك ، لأن الموجود فى اللغة : تحنك الرجل اذا أدار العمامة من تحت حنكه .

الصـــــنف الثـالث

طوائف الأجناد

وكانوا عدّة كثيرة، تنسب كلُّ طائفة منهم إلى مَنْ بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم، كالحافظية والآمرية من بقايا الحافظ والآمر، أو إلى مَنْ بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجُيُوشية والأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالىّ وولده الأفضل، أو إلى مَنْ هى منتسبةٌ إليه فى الوقت الحاضر كالوزيرية أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والدَّيْلم والمَصَامدة، أو من المستصنعين كالروم والفرنج والصَّقالبة، أو من السُّودان من عبيد الشراء، أو العُتَقَاء وغيرهم من الطوائف، ولكل طائفة منهم قُوّاد ومقدّمون يحكمون عليهم .

الجمـــلة الرابعـــة

فى ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية، وهم على قسمين :

القســـم الأوّل

ما بحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف

الصـــــنف الأوّل

أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم نوعان :

النـــــوع الأوّل

وظائف عامّة الجند، وهى تسع وظائف :

الوظيفة الأولى — "الوزارة" وهى أرفع وظائفهم وأعلاها رتبةً . وآعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة تكون فى أرباب السُّيوف، وتارة فى أرباب الأقلام، وفى كلا الجانبين تارة تعلو فتكون وزارة تَفْويض تضاهى السلطنة الآن

أو قريبا منها ، ويعبر عنها حينئذ بالوزارة ، وتارة تنحطّ فتكون دون ذلك ، ويعبر عنها حينئذ بالوَساطة .

قال فى "نهاية الأرب" : وأول مَنْ خُوطِب منهم بالوزارة يعقوبُ بن كِلّس وزير العزيز ، وأوّل وزارتهم من عظماء أرباب السيوف بدر الجمالىّ وزير المستنصر ، وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ومنها آستقل بالسلطنة على ما تقدّم ٥

الوظيفة الثانية — وظيفة "صاحب الباب" وهى ثانى رتبة الوزارة . قال آبن الطوير : وكان يقال لها الوزارة الصغرى ، وصاحبها فى المعنى يقرب من النائب الكافل فى زماننا ، وهو الذى ينظر فى المظالم إذا لم يكن وزيرٌ صاحبُ سيف ، فإن كان ثَمّ وزيرٌ صاحب سيف ، كان هو الذى يجلس للظالم بنفسه ، وصاحبُ الباب من جملة مَنْ يقف فى خِدْمته . ١٠

الوظيفة الثالثة — "الاسفهلارية" . قال آبن الطوير : وصاحبها زِمَام كلّ زِمَام ، وإليه أمر الأجناد والتحدّث فيهم ، وفى خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحُجّاب على آختلاف طبقاتهم .

الوظيفة الرابعة — "حمل المِظَلّة" فى المواسم العِظام : كركوب رأس العام ونحوه . وهى من الوظائف العِظام ، وصاحبها يسمّى حاملَ المظلة ، وهو أمير جليل ، وله عندهم التقدّم والرفعة ، لحمل ما يعلو رأس الخليفة . ١٥

الوظيفة الخامسة — "حمل سيف الخليفة" فى المواكب التى تحمل فيها المظلة ، ويعبر عن صاحبها بحامل السيف .

الوظيفة السادسة — "حمل رُمْح الخليفة" فى المواكب التى تحمل فيها المظلة ، وهو رمح صغير يحمل مع الخليفة فى المواكب ، وصاحبها يعبر عنه بحامل الرمح . ٢٠

الوظيفة السابعة — "حمل السِّلاح" حول الخليفة فى المواكب . وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزيهم بالركابية وبصِبْيان الركاب الخاص أيضا، وهم الذين يعبر عنهم فى زماننا بالسِّلاح دارية والطَّبَرْدارية ، وكانت عدّتهم تزيد على ألفىْ رجل ، ولهم اثنا عَشَر مقدَّما ، وهم أصحاب ركاب الخليفة ، ولهم نُقَبَاءُ موكَّلون بمعرفتهم ، والأكابر من هؤلاء الركابيَّة تندب فى الأشغال السلطانية ، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصِّيتُ المرتفع .

الوظيفة الثامنة — "وِلَاية القاهرة" . وكان لصاحبها عندهم الرتبة الجليلة والحُرْمة الوافرة ، وله مكان فى الموكب يسير فيه .

الوظيفة التاسعة — "ولاية مصر" . وهى دون ولاية القاهرة فى الرتبة كما هى الآن ، إلا أن مصر كانت إذ ذاك عامرةً آهلةً ، فكان مقدارها أرفع مما هى عليه فى زماننا .

النـــوع الثـانى

وظائف خواصّ الخليفة من الأستاذين ؛ وهى عدّة وظائف ؛ وهى على ضربين :

الضـــرب الأوّل

ما يختص بالأستاذين المحنَّكين ، وهى تسع وظائف :

الأولى — "شـدّ التاج" . وموضوعها أن صاحبها يتولَّى شدّ تاج الخليفة الذى يلبَسه فى المواكب العظيمة بمثابة اللَّفَّاف فى زماننا ، وله مِيزَةٌ على غيره بلمسه التاجَ الذى يعلو رأس الخليفة ، وكان لشدّه عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد ، يأتى به فى هيئة مستطيلة ، ويكون شدّه بمنديل من لون لبس الخليفة ، ويعبَّر عن هذه الشدّة بشدّة الوَقَار كما تقدّم .

الثانية — وظيفة "صاحب المجلس" . وهو الذى يتولّى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوسَ العامّ فى المواكب، ويخـرج إلى الوزير والأمراء بعـد جلوس الخليفة على سرير الملك يُعْلمهم بذلك، وينعت (بأمين الملك) ، وهو بمثابة أمير خازندار فى زماننا .

الثـالثة — وظيفة "صاحب الرسالة" . وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلى الوزير وغيره .

الرابعة — وظيفة "زِمَام القُصُور" . وهو بمثابة زِمَام الدُّور فى زماننا .

الخامسة — وظيفة "صاحب بيت المـال" . وهو بمثابة الخازندار فى زماننا .

السـادسة — وظيفـة "صاحب الدفتر" المعروف بدفـتر المجلس ، وهو المتحدّث على الدواوين الجامعة لأمور الخلافة .

السابعة — وظيفة "حامل الدواة" ، وهى دواة الخليفة المتقدّم ذكرها ، وصاحب هذه الوظيفة يحمل الدواة المذكورة قدّامه على السَّرْج ويسيربها فى المواكب .

الثـامنة — وظيفة "زمّ الأقارب" . وصاحبها يحكم على طائفـة الأشراف الذين هم أقارب الخليفة وكلمته نافذة فيهم .

التاسعة — "زمّ الرجال" ، وهو الذى يتولى أمر طعام الخليفة كأستادار الصحبة .

الضـــرب الثـانى

ما يكون من غير المحنّكين ، ومن مشهوره وظيفتان :

الأولى — "نِقَابة الطالبيِّين" . وهى بمثابة نِقَابة الأشراف الآن ، ولا يكون إلا من شيوخ هذه الطائفة وأجلّهم قَدْرًا ؛ وله النظر فى أمورهم ، ومنع من يدخل

فيهم من الأدعياء؛ وإذا آرتاب بأحد أخذه بإثبات نَسَبه . وعليه أن يعود مَرْضاهم ، ويمشىَ فى جنائزهم ، ويسعى فى حوائجهم ، ويأخذ على يد المتعدّى منهم ، ويمنعه من الاعتداء ، ولا يَقْطَع أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك .

الوظيفة الثانيــة — "زم الرجال" . وصاحبها يتحدّث على طوائف الرجال والأجناد كزمّ صِبْيان الحُجَر، وزمّ الطائفة الآمرية والطائفة الحافظية ، وزمّ السودان وغير ذلك ؛ وهو بمثابة مقدّم المماليك فى زماننا .

الصـــــنف الثـانى

من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أربابُ الأقلام ، وهم على ثلاثة أنواع :

النـــــوع الأوّل

أرباب الوظائف الدينية ، والمشهور منهم ستة :

الأوّل — "قاضى القُضَاة" . وهو عندهم من أجلّ أرباب الوظائف وأعلاهم شأنا وأرفعهم قدرا . قال ابن الطوير : ولا يتقدّم عليه أحد أو يحتمى عليه ، وله النظر فى الأحكام الشرعية ودُور الضَّرْب وضبط عيارها ، وربما جُمِعَ قضاءُ الديار المصرية وأجنادُ الشأم وبلاد المغرب لقاض واحد وكتب له به عهدٌ واحد كما سيأتى فى الكلام على الولايات إن شاء الله تعالى .

ثم إن كان الوزير صاحبَ سيف ، كان تقليدُه من قِبَلِه نيابة عنه ، وإن لم يكن ، كان تقليده من الخليفة .

ويقدّم له من إصطبلات الخليفة بغلةٌ شهباء يركبها دائما ، وهو مختص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة ، ويخرج له من خِزَانة السروج مركب ثقيل وسرج برادنتين من الفضة ، وفى المواسم الأطواقُ ، وتُخلَع عليه الخلع المُذَهَّبَة ؛ وكان من

مصطلحهم أنه لا يعدّل شاهدا إلا بأمر الخليفة ، ولا يحضُر إملاكا ولا جنازةً إلا بإذن ، و إذا كان ثَمَّ وزيرٌ لا يخاطب بقاضي القضاة لأن ذلك من نعوت الوزير ؛ و يجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر أوّل النهار للسلام على الخليفة ، و يوم السبت والثلاثاء يجلس بزيادة الجامع العتيق بمصر ، وله طَرْحة ومسند للجلوس وكُرسىّ توضع عليه دواتُه . و إذا جلس بالمجلس ، جلس الشهود حواليْه يَمْنَةً و يَسْرَةً على مراتبهم فى تقدّم تعديلهم . قال ابن الطوير : حتّى يجلس الشابُّ المتقدّمُ التعديل أعلى من الشيخ المتأخر التعديل ، و بين يديه أربعة موقعون : اثنان مقابل اثنين ، و ببابه خمسة حُجّاب : اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم . ولا يقوم لأحد وهو فى مجلس الحكم البتةَ .

الثانى — "داعى الدُّعاة" . وكان عندهم يلى قاضىَ القضاة فى الرتبة و يتزيّا بزيه فى اللباس وغيره . وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار تعرف بدار العلم ، و يأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبهم .

الثالث — "المحتسب" . وكان عندهم من وجوه العُدُول وأعيانهم ، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجلُّه بمصر والقاهرة على المنبر ؛ و يده مُطْلَقةٌ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحِسْبة ؛ ولا يُحَال بينه و بين مصلحة أرادها ؛ و يتقدّم إلى الوُلاة بالشدّ منه ، و يقيم النوّاب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنوّاب الحكم ؛ ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوما بيوم ، وباقى أمره على ما الحال عليه الآن .

قلت : و رأيت فى بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحب الشُّرْطة بهما أحيانا .

الرابع — "وكالة بيت المال" . وكانت هذه الوكالة لا تُسنَد إلا لذوى الهيبة من شيوخ العدول ، و يفوّض إليه عن الخليفة بيعُ ما يرى بيعه من كل

صنف يملك و يجوز التصرف فيه شرعا ، وعتقُ المماليك ، وتزويجُ الإماء ، وتضمين ما يقتضى الضمان ، وآبتياعُ ما يرى آبتياعه ، و إنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه فى التصرف عن الخليفة .

الخامس ــ "النائب" . والمراد نائب صاحب الباب المتقدّم ذكره المعبَّر عنه فى زماننا بالمهمندار . قال آبن الطوير : و يعبَّر عن هذه النيابة بالنيابة الشريفة . قال وهى رتبة جليلة ، يتولاها أعيان العدول وأرباب الأقلام ، وصاحبها ينوب عن صاحب الباب فى تَلَقِّى الرُّسُل الواردين على الخليفة على مسافة وقفة نُوّاب الباب فى خدمته ، ويُنْزِل كُلًّا منهم فى المكان اللائق به ، و يرتِّب لهم ما يحتاجون إليه ، ولا يمكِّن أحدا من الآجتماع بهم ، ويتولّى آفتقادهم ، و يُذَكِّر صاحب الباب بهم ، ويسعَى فى نَجَاز أمرهم ، وهو الذى يسلِّم بهم على الخليفة أو الوزير ويتقدّمهم ويستأذن عليهم ، و يدخل الرسول وصاحبُ الباب قابضٌ على يده اليمنى ، والنائبُ قابض على يده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ، ويجتهد فى آنفصالهم على أحسن الوجوه ، و إذا غاب أقام عنه نائبا إلى أن يعود . ومن شريطته أنه لا يتناول من أحد من الرسل تقدمةً ولا طُرْفة إلا بإذن .

قال آبن الطوير : وهو المسمَّى الان بالمهمندار ، وسيأتى فى الكلام على ترتيب المملكة المستقر أن المِهْمِنْدَارَ الآن من أصحاب السيوف ، وكأنَّ ذلك لموافقة الدولة فى اللسان والهيئة .

السادس ــ "القُرّاء" . وكان لهم قرّاء يقرءون بحضرة الخليفة فى مجالسه وركوبه فى المواكب وغير ذلك ، وكان يقال لهم "قرّاء الحضرة" يزيدون فى العدّة على عشرة نَفَر ، وكانوا يأتون فى قراءتهم فى المجالس ومواكب الركوب بآيات مناسبة للحال بأدنى ملابسة ، قد أَلِفُوا ذلك وصار سهلَ الآستحضار عليهم ، وكان ذلك يقع منهم موقعَ

الأستحسان عند الخليفة والحاضرين، حتّى إنه يحكى أن بعض الخلفاء غَضِب على أمير فأمر بآعتقاله، فقرأ قارئ الحضرة : ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ فاستحسن ذلك وأطلقه إلا أنهم كانوا ربما آتوا بآيات إذا رُوعِى قصدُهم فيها، أخرجت القرءان عن معناه : كما يحكى أنه لما آستُوزِر المستنصرُ بدرٍ الجمالىّ قرأ قارئهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ولما آستُوزِر الحافظ رضوان ٥ قرأ قارئهم : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ إلى غير ذلك من الوقائع .

النـــوع الثـانى

من أرباب الأقلام أصحاب الوظائف الديوانية ، وهى على أربعة[1] أضرب :

الضـــرب الأوّل

الوزارة إذا كان الوزير صاحبَ قلم ١٠

آعلم أن أكثر وزرائهم فى آبتداء دولتهم إلى أثناء خلافة المستنصر كانوا من أرباب الأقــلام : تارةً وزارة تامة وتارة وَسَاطة ، وهى رتبة دون الوزارة ؛ وممن اشتهر من وزرائهم أرباب الأقلام فيما ذكره آبن الطوير : يعقوبُ بن كِلّس وزير العزيز، والحسنُ بن عبــد الله اليازُورىّ وزير المستنصر، وأبو سـعيد التُّسترىّ ، والجَرْجَرائى[2] ، وآبن أبى كدينـة، وأبو الطاهر أحمد بن بابْشاذ صاحب المقــدّمة ١٥ فى النحو، ووزير الوزراء علىّ بن فلاح، والمَغربىّ وزير المستنصر، وهو آخر من وُزِّرَ لهم من أصحاب الأقــلام ، وعليه قدّم أمير الجيوش بدرٌ الجمالىّ فوُزِّرَ للمستنصر على ما تقدّم ذكره ؛ وربمــا تخلل تلك المــدّة الأولى فى الوَسَاطــة أربابُ السيوف ، كبَرْجَوان الخادم، وقائد القوّاد الحسين بن جوهر، وثِقَةُ ثقات السيف والقلم علىّ

(١) فى الأصل : « ثلاثة » وقد أثبتنا المعدود . (٢) كذا فى كتاب الإشارة الى من نال ٢٠ الوزارة لابن الصــيرفى المصرى ومعجم البلدان لياقوت ، نسبة الى جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى . وفى الأصل : « الجرجانى » وهو تحريف .

ابن صالح كلهم فى أيام الحاكم . وربما وَلِىَ الوساطةَ بعضُ النصارى ، كعيسى بن
نسطورس فى أيام العزيز، ومنصور بن عَبْدُون الملقب بالكافى، وزرعة بن نسطورس
الملقب بالشافى كلاهما فى أيام الحاكم . وربما كان الأمر شُورى فى أهل
المروادنى[1]؛ وكان من زِىّ وزرائهم أصحابِ الأقلام أنهم يَلْبَسون المناديل الطبقيات
٥ بالأحناك تحت حلوقهم كالعُدُول ، وينفردون بلُبْس الدراريع مشقوقةً من النحر
إلى أسفل الصدر بأزرار وعُرًى ؛ وهذه علامة الوزارة؛ ومنهم من تكون أزراره
من ذهب مشبك ، ومنهم من تكون أزراره من لؤلؤ ؛ وعادته أن تحمل له الدواة
المحلاة بالذهب من خزانة الخليفة ويقف بين يديه الحُجّاب ، وأمره نافذ فى أرباب
السيوف من الأجناد، وفى أرباب الأقلام .

الضرب الثانى

١٠ ديوان الإنشاء، وكان يتعلق به عندهم ثلاث وظائف :

الأولى — "صَحَابة ديوان الإنشاء والمكاتَبَات" وكان لا يتولاه إلا أجل
كتّاب البلاغة ، ويخاطب بالأجلّ ؛ وكان يقال له عندهم كاتب الدَّسْت الشريف ،
وإليه تسلَّم المكاتبات الواردة مختومةً فيَعْرِضها على الخليفة من يده، وهو الذى يأمر
١٥ بتنزيلها والإجابة عنها؛ ويستشيره الخليفة فى أكثر أموره؛ ولا يُحْجب عنه متى قصد
المثولَ بين يديه ، وربما بات عنده الليالىَ ، ولا سبيل إلى أن يدخل إلى ديوانه
ولا يجتمع بكُتّابه أحدٌ إلا خواصّ الخليفة . وله حاجب من أمراء الشُّيوخ ،
وله مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالمَخَادّ والمسند، ودواته من أخصّ الدُّوِىّ وأحسنها
إلا أنه ليس لها كرسىّ توضع عليه كدواة قاضى القُضاة، ويحملها له أستاذ من
٢٠ الأستاذين المختصين بالخليفة إذا أتى إلى حضرته .

(١) كذا فى الأصل مضبوطا عليه إشارة التوقف ولعله المرداوات .

الثانية — "التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم" وهى رُتْبة جليلة تلى رتبةَ صاحب ديوان الإنشاء والمكاتَبات ، يكون صاحبها جليسا للخليفة فى أكثر أيام الأسبوع فى خلوته ، يذاكره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالى أو أخبار الأنبياء والخلفاء الماضين ، ويقرأ عليه مُلَحَ السِّيَر ، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق ، ويقوّى يده فى تجويد الخط وغير ذلك . وصحبَتَه للجلوس دواة مُحَلَّاة ، فإذا فرغ من المجالسة ألقى فى الدواة كاغَدَة فيها عشرة دنانير ، وقرْطاسٌ فيه ثلاثة مثاقيل ندّ مثلَّث خاصّ ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثانى دَفْعة . وإذا جلس الوزير صاحب السيف للظالم ، كان إلى جانبه يوقِّع بما يأمر به فى المظالم . وله موضعٌ من حقوق ديوان المكاتَبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن ، وفرّاش لتقديم القصص ؛ ويرفع إليه هناك قصص المظالم فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال كما يفعل كاتب السر الآن . ١٠

الثالثة . "التوقيع بالقلم الجليل" وكان يسمَّى عندهم الخدمة الصغيرة لجلالتها ، ولصاحبها الطُّرّاحة والمسند فى مجلسه بغير حاجب . وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقِّع به صاحب القلم الدقيق ، وبسطه . وصاحب القلم الدقيق فى المعنى ككاتب السر أو كاتب الدَّسْت فى زماننا ، وصاحب القلم الجليل ككاتب الدَّرْج . فإذا رفعت قِصَص المظالم ، حملت إلى صاحب القلم الدقيق فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال بأمر الخليفة أو أمر الوزير أو من نفسه ، ثم تحمل إلى الموقِّع بالقلم الجليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق ، ثم تحمل فى خريطة إلى الخليفة فيوقِّع عليها ، ثم تُخْرَج فى خريطتها إلى الحاجب فيقف على باب القصر ، ويسلِّم كلَّ توقيع لصاحبه . ١٥

أمّا توقيع الخليفة بيده على القِصَص ، فإنه إن كان ثَمَّ وزيرٌ صاحبُ سيف وَقَّع الخليفة على القصة بخطه : "وزيرنا السيد الأجل (ونعته بالمعروف به) أمتعنا الله تعالى ببقائه يتقدّم بكذا وكذا إن شاء الله تعالى" ويحمل إلى الوزير فإن كان يحسن الكتابة ، ٢٠

كتب تحت خط الخليفة : " أمتثل أمر مولانا أمـير المؤمنين صلوات الله عليه " وإن كان لا يحسن الكتابة ، كتب أمتثل فقط ؛ وإن لم يكن وزيرٌ صاحبُ سيف : فإن أراد الخليفة نجاز الأمر لوقته ، وقّع فى الجانب الأيمن من القصة "يوقّع بذلك" فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقّع عليها بالقلم الجليل ويخلى موضع العلامة ، ثم تعاد إلى الخليفة فيكتب فى موضع العلامة (يُعْتَمد) وتثبت فى الدواوين بعد ذلك . وإن كان يوقع فى مساحة أو تسويغ أو تحبيس ، كتب لرافعها بذلك "وقد أمضينا ذلك " وإن أراد علم حقيقة القصة ، وقّع على جانب القصـة " ليخرج الحـال فى ذلك" وتحمل إلى الكاتب فيكتب الحـال وتعاد إلى الخليفة فيفعل فيها ما أراد من توقيع ومنع ، والله أعلم .

الضـرب الثـالث

ديوان الجيش والرواتب ، وهو على ثلاثة أقسام :

الأوّل — "ديوان الجيش". ولا يكون صاحبه إلا مُسْلما ، وله الرتبة الجليلة والمكانة الرفيعة ، وبين يديه حاجبٌ ، وإليه عرض الأجناد وخيولهم ، وذكر حِلاهم وشِيَات خيولهم . وكان من شرط هذا الديوان عندهم ألا يثبت لأحد من الأجناد إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل وإناثها دون البغال والبراذين ، وليس له تغيير أحد من الأجناد ولا شيء من إقطاعهم إلا بمرسوم . وبين يدى صاحب هذا الديوان نُقَباء الأمراء ، يُعَرّفونه أحـوال الأجناد من الحياة والموتِ والغَيْبة والحضور وغير ذلك ، على ما الحال عليه الآن . وكان قد فسح للأجناد فى المقايضة بالإقطاعات لما لهم فى ذلك من المصالح كما هو اليوم ، بتوقيعات من صاحب ديوان المجلس من غير علامة ، ولم يكن لأمير من أمرائهم بلد كاملة ، وإن علا قدرُه إلا فى النادر . ومن هذا الديوان كان يعمل أوراق أرباب الجرايات ، وله خازنان برسم رفع الشواهد .

الثانى — "ديوان الرواتب" . وكان يشتمل على آسم كل مرتزق فى الدولة وجار وجراية، وفيه كاتب أصيل بطراحة ونحو عشرة مُعِينين، والتعريفات واردة عليه من كل عمل بآستمرار مَنْ هو مستمرّ ومباشرة مَن آستجدّ وموت مَنْ مات، وفيه عدّة عروض يأتى ذكرها فى الكلام على إجراء الأرزاق والعطاء .

٥ الثالث — "ديوان الإقطاع" . وكان مختصا عندهم بما هو مُقْطَع للأجناد، وليس للباشرين فيه تنزيل حلْية جُنْدِىّ ولا شِية دابته، وكان يقال لإقطاعات العُرْبان فى أطراف البلاد وغيرها الاعتداد، وهى دون عبرة الأجناد .

الضـــرب الرابـــع
نظـــر الدواوين

١٠ وصاحب هـذه الوظيفة هو رأس الكل، وله الولاية والعزل، وإليه عرض الأرزاق فى أوقات معروفة على الخليفة والوزير، وله الجلوس بالمرتبة والمسند، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ؛ وتُخْرج له الدواة من خزانة الخليفة بغير كرسىّ ، وإليه طلب الأموال وآستخراجُها والمحاسبةُ عليها، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة . قال آبن الطوير : ولم يُرَ فى هذه الوظيفة نصرانىّ إلا الأخرم .

١٥ الثانية[1] — "ديوان التحقيق" . وموضوعه المقابلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير، وله الخِلَعُ ومَرْتبة يجلس عليها وحاجب بين يديه ، ويُفتقر إليه فى كثير من الأوقات، ويُلْحَق برأس الدواوين المتقدّم ذكره .

الثالثة — "ديوان المجلس" . قال آبن الطوير: وهو أصل الدواوين قديما، وفيه معالم الدولة بأجمعها، وفيه عِدّة كُتَّاب، وعنده مُعين أو معينان، وصاحب هذا الديوان

---

٢٠ (١) لم يتقدم له تقسيم ولم يذكر أولى لتكون هـذه ثانيتها والذى يفهم من المقام أنها وظائف وأن وظيفة نظر الدواوين أولى ونظر ديوان التحقيق ثانية وهكذا تأمل .

هو المتحدّث فى الإقطاعات ، ويُخلَع عليـه وينشأ له سجـلٌّ بذلك لاحق بديوان النظر، وله دواة تُخْرَج له من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه ، وكان يتولاه عنـدهم أحد كُتّاب الدولة ممن يكون مترشحـا لأن يكون رأس الدواوين ، ويسمى آستيماره دفتر المجلس ، وهو متضمن للعطاء والظاهر من الرسوم التى تقرّر فى غُرّة السنة والضحايا ، وما ينفق فى دار الفِطرة فى عيد الفطر، وفى فتح الخليج والأسمطة المستعملة فى رمضان وغيره ، وسائر المآكل والمشارب والتشريفات ، وما يطلَق من الأمراء من الغَلّات ، وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب على آختلاف الطبقات من المُرتَّب ، وما يَرِد من الملوك من الهدايا والتحف ، وما يُبْعَثُ به إليهم من الملاطفات ، ومقاديرُ صِلات الرسل الواردين بالمكاتبات ، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من الحريم ، وضـبط ما يُنْفَق فى الدولة من المهمّات ليُعْلَم ما بين السنة والأخرى من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة . وهـذا الديوان فى زماننا قد تفرّق إلى عدّة دواوين كالوزارة ونظر الخاص والجيش وغيرها .

الرابعـــة — "ديوان خزائن الـكُسْوة" . وكان لها عنـدهم رتبة عظيمة فى المباشرات . وقد تقدّم ذكر حواصلها فى جملة الخزائن فيما سبق .

الخامسة — "الطِّراز" . وكان يتولاه الأعيان من المستخدمين ، من أرباب الأقلام ، وله آختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ، ومُقامه بدِمْيَاط وتِنِّيس وغيرهما من مواضع الآستعمالات ، ومن عنده تحمل المستعملات إلى خزانة الكسوة المقدّمة الذكر .

السادسة — "الخدمة فى ديوان الأحباس" قال آبن الطوير: وهى أوكد الدواوين مباشرة ولا يخدُم فيها إلا أعيان كُتّاب المسلمين من الشهود المعدّلين ، وفيها عدّة مُدَرَاء[1] بسبب أرباب الرواتب ، وكان فيه كاتبان ومُعينان لنظم الآستيمارات ، ويُورِد فى آستيماره كل ما فى الرقاع والرواتب ، وما يُجْبى له من جهات كل من الوجهين القبلىّ والبحرىّ .

(١) تقدم له مثل هذا الجمع فى الجزء الأول ونبهنا عليه .

السابعة — "الخدمة بديوان الرواتب". وفيه مرتّبات الوزير فمن دونه إلى الضوى قال آبن الطوير: بلغ فى بعض السنين ما يزيد على مائة ألف دينار ونحوا من مائتى ألف، ومن القمح والشعير عشرة آلاف إردب، وكان آستيمار الرواتب يعرض فى كل سنة على الخليفة فيزيد من يزيد، وينقص مَنْ ينقص، وإنه عُرِض سنةً على المستنصر بالله فلم يعترض أحدا من المرتّبين بنقص، ووقّع على ظاهر الأستيمار بخطه ٥ "الفقر مُرّ المَذَاق، والحَاجَةُ تُذِلُّ الأعْنَاق، وحِرَاسَةُ النِّعَم بإدْرَارِ الأرزاق، فلْيُجْرَوْا على رسومهم فى الإطلاق، مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ، وَمَا عِنْـدَ اللهِ بَاقٍ" وأمر ولىّ الدولة آبن خيران كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك.

الثامنة — "الخدمة فى ديوان الصعيد" من الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى. وكان فيه عدة كُتّاب فروع، والآستيفاء مقسومٌ بينهم، وعليهم عمل التذاكر بطلب ١٠ ما تأخر من الحساب. وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه، ويحملها إلى صاحب الديوان الكبير فيوقّع عليها بالآسترفاع، ويَنْدُب لها من الحُجّاب أو غيرهم من يراه، وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدّة بقائه عندهم ويُحْضِرُها نُسَخًا للدّواوين الأصول.

التاسـعة — "الخدمة فى ديوان أسفل الأرض". وهو الوجه البحرىُّ خلا الثُّغُور، وحكمه فيما تقدّم من الكُتّاب وما يلزم كلا منهم حكم ديوان الصـعيد ١٥ المتقدّم الذكر من غير فرق.

العـاشرة — "الخدمة فى ديوان الثُّغُور". وهى الإسكندرية ودِمْياط ونَسْتَرُوه والبَرَلُّس والفَرَما، وحكمه حكم ما تقدّم من ديوان الصعيد وأسفل الأرض.

الحادية عشرة — "الخدمة فى الجوالى والمواريث الحشرية". قال آبن الطوير: كان لا يتولاه إلا عدل، وفيه جماعة من الكُتّاب على ما تقدّم فى غيره من ٢٠ الدواوين أيضا.

الثانية عشرة — "الخدمة فى ديوانى الخراجىّ والهلالىّ" وتجرى فيه الرباع والمكوس وعليه حوالات أكثر المرتزقين .

الثالثة عشرة — "الخدمة فى ديوان الكُرَاع". وفيه معاملة الإصطبلات، وما فيها من الدوابّ الخاص وغيرها والبغال والجمال ودوابّ المَرَمّة المُرصَدة للعمائر ورباع الديوان، وعُدَد ذلك وآلاته، وعلوفات ذلك مع ما ينضم إليه من علوفة الفِيَلة والزّرَاريف[1] والوحوش ورواتب مَنْ يخدمها . وكان فى هذا الديوان كاتبا أصل ومستوفى ومُعينان .

الرابعــة عشرة — "الخدمة فى ديوان الجِهَاد" . ويقال له ديوان العمائر، وكان محله بالصِّناعة[2] بمصر، وفيه إنشاء المراكب للأسطول وحمل الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها ، ومنــه يُنْفَق على رؤسـاء المراكب ورجالها، وإذا لم يف ٱرتفاقه بما يحتاج إليه ٱستُدْعى له من بيت المـال بما يكفيه .

الصنف الثـالث من أرباب الوظائف

أصحاب الوظائف الصناعية

وأعظمها وظائف الأطباء، وكان للخليفة طبيب يُعْرَف بطبيب الخاصّ يجلس على باب دار الخليفة كلّ يوم، ويجلس على الدكك التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر دونَهُ أربعةُ أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص فيكتُب لهم رقاعا على خزانة الشراب فيأخذون ما فيها، وتبقى الرقاع عنــد مباشريها شاهدا لهم . ولكل منهم الجارى والراتب على قدره .

---

(١) لم نعثر على هذا الجمع فى كتب اللغة ولعله جارى العامة فى تعبيراتهم . (٢) المراد بها دار الصناعة التى كانت تنشأ بها المراكب الحربية والأساطيل بمصر القديمة بالساحل القديم .

الصـــــنف الرابع

الشـــعراء

وكانوا جماعة كثيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره، وكان منهم أهل سُنّة لا يغلون في المديح، وشيعةٌ يَغْلُون فيه . فمِنْ أحْسَنِ مدحٍ فيهم لِسُنّيّ قول عُمارة اليمني[1] رحمه الله :

أَفَاعِيلُهُـمْ في الجُودِ أَفْعَالُ سُنَّةٍ * وإنْ خَالَفُونِي في آعْتِقَادِ التَّشَيُّعِ ٥

ومن الذي وقعت فيه المغالاة قول بعضهم[2] :

هَـذَا أميرُ المؤمنيـن بمجلس * أَبْصَرْتُ فيـهِ الوَحْيَ والتَّنْزِيلا

وإذا تَمَثَّلَ رَاكِبًا في مَوْكِبٍ، * عَايَنْت تَحْتَ رِكَابِهِ جِـبْرِيلا

قلت : وهـذه المغالاة من المغالاة الفاحشة التي لا يجوز الإقدام عليهـا لسنيّ ولا متشيِّع، وإنمـا هي من آقتحام الشعراء البوائق . ١٠

القســـم الثـاني

من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج عن حضرة الخلافة، وهو صنفان :

الصـــــنف الأوّل

النُّـوّاب والـوُلاة ١٥

وآعلم أن مملكتهم كانت قـد [آنحصرت[3]] في ثلاث ممـالك فيها نوابهم ووُلّاتهـم : المملكة الأولى "الديار المصرية" وهي التي كانت قد آستقرّت قاعدةَ ملكهم، ومحطّ رحالهم، وكان بها أربع ولايات :

الأولى — "ولاية قُوص" وكانت هي أعظم ولايات الديار المصرية، وواليها يحكم على جميع بلاد الصعيد، وربمـا وُلّيَ بالأُشْمُونين ونحوها من يكون دونه . ٢٠

---

(١) في الأصل «التيمي» وهو تحريف .

(٢) هذان البيتان من قصيدة لابن هانئ الأندلسي يمدح بها المعز طمعا في صلاته وعطاياه .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

الثانية — "ولاية الشَّرْقية" وكانت دون ولاية قُوص فى الرتبة، وكان متوليها يحكم على عمل بُلْبَيْس وعمل قَلْيُوبَ وعمل أُشْمُوم .

الثـالثة — "ولاية الغربية" وكانت دون ولاية الشرقية فى المرتبـة، وكان متوليها يحكم على عمل المَحَلَّة، وعمل مَنُوفَ، وعمل أبيار .

٥ الرابعة — "ولاية الاسْكَنْدَرِيَّة" وهى دون الغربية فى الرتبة، وكان متوليها يحكم على أعمال البحيرة بأجمعها .[1]

قال آبن الطوير : وهؤلاء الأربعة كان يُخْلَع عليهم من خزانة الكُسْوَة بالبدنة، وهو النوع الذى يلبسه الخليفة فى يوم فتح الخليج .

قلتُ : لعل هـذه الولايات الأربع ولايات الولاة التى تدخل تحت حكمها

١٠ الولايات الصِّغار، أو تكون هى التى آستقر عليه الحال فى آخر دولتهم، وإلا فقد رأيت فى تذكرة أبى الفضل الصورى، أحد كُتَّاب الإنشاء فى أيام القاضى الفاضل سجلاتٍ كثيرةً لولاة الوجهين القبلى والبحرى .

الجمـلة الخـامسـة

من ترتيب مملكتهم، فى هيئة الخليفة فى مواكبه وقصوره؛ وهى على ثلاثة أضرب :

١٥ الضـــرب الأوّل

جلوسه فى المواكب، وله ثلاثة جلوسات :

الجـــلوس الأوّل

جلوسه فى المجلس العامّ أيام المواكب

وآعلم أن جلوس الخليفة أوّلا كان بالإيوان الكبير الذى كان بالقصر على سرير

٢٠ المُلْك الذى كان بصدره إلى آخر أيام المستعلى . فلما ولى آبنه الآمر الخلافة بعده،

(١) لم يذكر بقية الممالك الثلاث آقتصارا على المقصود وسيأتى ذكر البقية فى الجزء الرابع .

نقل الجُلوسَ من الإيوان الكبير إلى القاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر أيضا ، وصار يجلس من مجالسها على سرير المُلْك به ، وجعل الإيوان الكبير خِزَانَةً للسلاح ، ولم يتعرّض لإزالة سرير المُلْك منه حتّى جاءت الدولة الأيوبية ، وهو باق ، وكان جلوس الخليفة فى هذه الحالة لا يتعدّى يومى الاثنين والخميس ، وليس ذلك على الدوام بل على التقرير بحسب ما يقتضيه الحال . فإذا أراد الجلوس فإن كان فى الشتاء ٥ عُلِّق المجلس الذى يجلس فيه بستور الديباج ، وفرش بالبُسُط الحرير ، وإن كان فى الصيف ، علق بالستور الدَّبيقية وفرش بطبرى طَبَرِسْتَانَ المُذْهَب الفائق ، وهيئت المرتبة المعدّة لجلوسه على سرير الملك بصدر المجلس ، وغُشِّى السرير بالقُرْقُوبِىّ ، ثم يستدعى الوزير من داره بصاحب الرسالة على حصان رهوان فى أسرع حركة على خلاف الحركة المعتادة ، فيركب الوزير فى هيئته وجماعته وبين يديه الأمراء ، ١٠ فإذا وصل إلى باب القصر ترجّل الأمراء ، وهو راكب إلى أول باب من الدّهاليز الطِّوال عند دِهْليز يعرف بدِهْليز العمود ، ويمشى وبين يديه أكابر الأمراء إلى مَقْطَع الوزارة بقاعة الذهب ، فإذا تهيأ جلوس الخليفة ، آستدعى الوزير من مَقْطَع الوزارة إلى باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو مُغْلَق ، وعلى بابه سِتْرٌ مُعَلَّق ، فيقف زِمَام القصر عن يمين باب المجلس وزِمَام بيت المال عن يساره ، والوزير واقف أمام باب المجلس ١٥ وحواليه الأمراء المطوّقون وأرباب الخِدَم الجليلة ، وفى خلال القوم قُرَّاءُ الحضرة ؛ ويضع صاحبُ المجلس الدواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كمّ من أكمامه يعرف بفرد الكمّ ويشير إلى زِمَام القصر وزِمَام بيت المال الواقفَيْن بباب المجلس ، فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا على سرير الملك مستقبل القول بوجهه ، ويستفتح القرّاء بالقرآن ، ويدخل الوزير المجلس ويسلم بعد دخوله ، ٢٠ ثم يُقَبِّلُ يدى الخليفة ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية ،

ثم تُخْرَج له مِخَدّة عن الجانب الأيمن من الخليفـة و يؤمر بالجلوس إليهـا ، و يقف
الأمراء فى أماكنهم المقرّرة لهم ، فصاحب البـاب وآسفهسلار من جانبى الباب
يمينا و يسارا ، و يليهم من خارجه ملاصقا للعتبة زِمَام الآمرية والحافظية و باقى الأمراء
علَى مراتبهم إلى آخر الرواق ، وهو إفريزٌ عالٍ عن أرض القاعة ، ثم أرباب القصب
٥ والعَمارِيّات يَمْنَةً و يَسْرةً كذلك ، ثم الأماثل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة ،
و يقف مستندا بالقدر الذي يقابل باب المجلس نوّابُ الباب والحجابُ ، فإذا آنتظم
الأمر على ذلك ، فأوّل ماثل للخدمة بالسلام قاضى القُضاة والشهودُ المعروفون
بالآستخدام فيجيز صاحبُ البـاب القاضىَ دون من معـه فيسلم على الخليفة بأدب
الخلافة ، بأن يرفع يده اليمنى و يشير بالمسبحة ، و يقول بصوت مسموع : "السلام
١٠ على أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته" يتخصص بهـذا الكلام دون غيره من أهل
السلام ، ثم يسلم بالأشراف الأقارب زِمامُهُم ، و بالأشراف الطالبيين نقيبهم ، فتمضى
عليهم كذلك ساعتان زمانيتـان أو ثلاثٌ ، ثم يسلم عليه من خُلِـعَ عليه بقُوص
أو الشرقية أو الغربية أو الإسكندرية ، و يشرّفون بتقبيل العتبة ، و إذا دعت حاجة
الوزير إلى مخاطبـة الخليفة فى أمر ، قام من مكانه وقَرُب منه مُنْحَنِيًا على سيفه ،
١٥ ويخاطبـه مرة أو مرتين أو ثلاثا ، ثم يأمر الحاضرون بالآنصراف فينصرفون ،
و يكون آخرهم خروجا الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله . فإذا خرج إلى الدهليز
الذى ترجل فيه ، ركب منه إلى داره ، وفى خدمته من حضر فى خدمته إلى القصر ،
و يدخل الخليفةُ إلى مَسْكنه مع خواصّ الأستاذين ، ثم يُغْلَق باب المجلس و يرخى الستر
إلى أن يحتاج إلى حضور موكب آخر فيكون الأمر كذلك .

الجلوس الثانى

جلوسه للقاضى والشهود فى ليالى الوقود الأربع من كل سنة

وهى : ليلة أول رجب، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه .

إذا مضى النصف من جمادى الآخرة حمل إلى القاضى من حواصل الخليفة ستون شمعة ، زنةُ كل شمعة منها سُدُس قِنطَار بالمصرى ليركب بها فى أول ليلة ٥ من شهر رجب؛ فإذا كان أول ليلة منه جلس الخليفة فى مَنْظَرة عالية كانت عند باب الزُّمُرُّد من أبواب القصر المتقدّم ذكره، وبين يديه شَمَع يوقد فى العلُوِ يَتَبيَّن شخصُه على إرتفاعه . ويركب القاضى من داره بعد صلاة المغرب وبين يديه الشَّمَعُ المحمول إليه من خزانة الخليفة موقودا، من كل جانب ثلاثون شمعة، وبين الصَّفَّين مؤذنو الجوامع، يعلنون بذكر الله تعالى، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقرّر محفوظ ١٠ ويحجُبه ثلاثة من نواب الباب، وعشرة من حُجّاب الخليفة، خارجا عن حُجّاب الحكم المستقرين وهم خمسة فى زىّ الأمراء؛ وفى ركابه القُرّاء يقرءُون القرآن ، والشهودُ وراءه على ترتيب جلوسهم بمجلس الحكم الأقدمُ فالأقدمُ ؛ وحول كل منهم ثلاث شَمَعات أو شمعتان أو شمعة واحدة إلى بين القصرين فى جمع عظيم حتى يأتىَ باب الزُّمُرُّد من أبواب القصر ، فيجلسون فى رَحبة تحت المَنْظَرة التى فيها الخليفة، ١٥ ويحضر بين يديه بسَمْت ووقار وتشوّف لانتظار ظهور الخليفة ، فيفتح الخليفة إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها رأسه ووجهه ، وعلى رأسه عدة من خواص الأستاذين من المحنّكين وغيرهم ، فيفتح بعض الأستاذين طاقةً أخرى فيُخْرِجُ منها رأسه ويدَه اليمنى، ويشير بكمه قائلا : "أمير المؤمنين يردّ عليكم السلام" فيسلم بقاضى القضاة أوّلا بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملة ٢٠ من غير تعيين أحد؛ ويستفتح قرّاء الحضرة بالقراءة وهم قيام فى الصَّدْر ، ظهورهم

إلى حائط المَنْظَرَة وَوجوههم للحاضرين. ثم يتقدّم خطيب الجامع الأنور (وهو الذى بباب البحر) فيخطُب كما يخطب فوق المِنْبَر، وينبه على فضيلة ذلك الشهر، وأن ذلك الركوبَ علامتُــه ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة؛ ثم يتقــدّم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك؛ ثم يتقدّم خطيب جامع الحاكم فيخطب كذلك، والقرّاء فى خلال
٥ تلك الخطب يقرءون، فإذا انتهت خَطَابة الخطباء، أخرج الأستاذ الأول يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة السـلام؛ ثم تغلق الطاقتان وينفضّ الناس، ثم يركب القاضى والشهود إلى دار الوزير فيجلس لهم ليسلموا عليه، ويخطب الخطباء الثلاثة عنده بأخفّ من مقام الخليفة ويدعون له، ثم ينصرفون ويذهب القاضى والشهود صحبتُه إلى مصر، ووالى القــاهرة فى خدمتــه، ويمرّ بجامع ابن طولون فيصلّى فيه
١٠ ويخرج منه فيجد والىَ مصر فى تَلَقّيه فيمضى فى خِدْمته، ويمرّ على المَشَاهد فيتبرك بها، ويمضى إلى الجامع العتيق ويدخل من باب الزيادة التى يحكم فيهـا فيصلى فى الجامع ركعتين، ويُوقَد له التنّور الفضة الذى بالجـامع، وهو تنّور عظيم حَسَن التكوين، فيه نحو ألف وخمسمائة براقة، وبسفله نحو مائة قنديل؛ ثم يخرج من الجامع فإن كان ساكنا بمصر استقرّ بها، وإن كان ساكنا بالقــاهرة انتظره والى القاهرة
١٥ فى مكانه حتّى يعودَ من مصر فيذهب فى خدمته إلى داره .

وكذلك يركب فى ليلة الخامس عشر من رجب إلا أنه بعـد صلاته فى جامع مصر يتـوجه إلى القرافة فيصلّى فى جامعها ؛ ثم يركب فى أوّل شـعبان كذلك، ثم فى نصفه كذلك .

الجـلوس الثـالث

٢٠ جلوسه فى مولد النبي صلّى الله عليه وسلم فى الثانى عشر من شهر ربيع الأوّل

وكان عادتهم فيه أن يعمل فى دار الفِطْرة عشرون قنطارا من السُّكَّر الفائق حَلْوَى من طرائف الأصناف، وتُعبّى فى ثلثمائة صينية نُحَاس . فإذا كان ليلةُ ذلك المولد،

تفرّق فى أرباب الرسوم : كقاضى القضاة، وداعى الدعاة، وقرّاء الحضرة، والخطباء، والمتصدّرين بالجوامع بالقاهرة ومصر ، وقَوَمَةِ المشاهد وغيرهم ممن له آسم ثابت بالديوان، ويجلس الخليفة فى مَنْظرة قريبة من الأرض مقابلَ الدار القُطْبيَّة المتقدّمة الذكر (وهى البيمارستان المنصورىّ الآن) ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى المتقدّمة الذكر، فيجلسون فى الجامع مقدارَ قراءة الختمة الكريمة، وتُسدّ الطريق تحت القصر من جهة السُّيُوفيين وسُوَيقة أمير الجيوش ، ويكنس ما بين ذلك ويُرَشّ بالماء رَشًّا، ويرشّ تحت المَنْظَرة بالرمل الأصفر، ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطُّرُق لمنع المارّة ، ثم يستدعى القاضى ومَنْ معه فيحضرون ويترجّلون على القرب من المنظرة ويجتمعون تحتها وهم متشوّفون لانتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهُه، ثم يُخْرِجُ إحدى الأستاذين المحنّكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يردّ عليكم السلام ، ويقرأ القرّاء ويخطب الخطباء كما تقدّم فى ليالى الوُقُود فإذا آنتهت خَطَابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيرا بردّ السلام كما تقدّم، ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم ؛ وكذلك شأنهم فى مولد علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه الخاص فى أوقات معلومة عندهم من السنة .

الضرب الثانى

ركوبه فى المواكب ، وهو على نوعين

النوع الأوّل

ركوبه فى المواكب العظام ، وهى ستة مواكب

الموكب الأوّل

ركوب أوّل العام

وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من السنة ، وقع

الاهتمام بإخراج ما يُحتاج إليه فى المواكب من حواصل الخليفة ، فيُخْرَج من خزائن السلاح ما يحمله الرَّكَابية وغيرهم حولَ الخليفة كالصَّماصم ، والدَّبابيس، واللُّتُوت ، وعمد الحديد ، والسيوف ، والدَّرَق، والرماح، والألوية، والأعلام ، ومن خزانة التجمــل برسم الوزير والأمراء وأرباب الخـدَم الألويةُ والقُضُبُ، والعماريات ، وغير ذلك مما تقدّم ذكره، ومن الإصطبلات مائةُ فرس مسوَّمة برسم ركوب الخليفة وما بجنبه . ويُخْرَج من خزانة السروج مائةُ سرج بالذهب والفضة مرصَّع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب، وفى أعناق الخيـل أطواق الذهب وقلائد العَنْبَر ، وفى أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة، قيمة كل فرس وما عليها من العدّة ألف دينار ، يُدْفَع للوزير منها عشرة بعدّتها برسم ركوبه وركوب أخصّائه ، وتسلّم إلى المُقَاخات أغشية العماريات لتحمل على الجمال، إلى غير ذلك من الآلات المستعملة فى المواكب مما تقدم ذكره فى الكلام على الخزائن، ويُبْعَث إلى أرباب الخدَم من الإصطبلات بخيـول عادية ليركبوها فى الموكب . فإذا كان يوم التـاسع والعشرين من ذى الحجة ، آسـتدعى الخليفة الوزير من داره على الرسم المعتـاد فى الإسراع ، فإذا عاد صاحبُ الرسالة من آستدعاء الوزير، خرج الخليفة من مكانه راكبا فى القصر، فينزل فى السدلىّ ، بدهليز باب الملك الذى فيه الشباك ، وعليه ستر من ظاهره، فيقف من جانبه الأيمن زِمَامُ القصر، ومن جانبه الأيسر صاحبُ بيت المـال؛ ويركب الوزير من داره وبين يديه الأمراءُ، فإذا وصـل إلى باب القصر تَرَجَّلَ الأمراء وهو راكب، ويدخل من باب العيد، ولا يزال راكبا إلى أوّل باب من الدهاليز الطّوال، فينزل ويمشى فيها وحواليــه حاشية ومن يُرَبّه من أولاده وأقاربه . فإذا وصل إلى الشُّبّاك ، وجد تحته كرسـيا كبيرا من حديد فيجلس عليه ورجلاه تطأ الأرض، فإذا جلس، رفع كلٌّ من زمام القصر وصاحب بيت المـال

الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة ، فيقف ويسلم ويخدم بيده في الأرض ثلاث مرّات ، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس . ويستفتح القُرّاء بقراءة آيات لائقة بذلك المكان مقدارَ نصف ساعة ؛ ثم يسلم الأمراء ، ويُشْرَع في عرض خيول الخاص المقدّم ذكرها واحدةً واحدةً إلى آخرها . فإذا تكمل عرضها ، قرأ القرّاء ما يناسب ختم ذلك المجلس . فإذا فرغوا أُرْخِي الستر وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ، ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الأمراء معه إلى خارج فيَمْضُون معه إلى داره رُكبانا ومُشاة على حسب مراتبهم . فإذا صلّى الخليفة الظهر ، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاص وتعيين ما يُلْبَسُ في ذلك الموكب ولباسه فيه ، فيعين مِنْديلاً لشدّ التاج ، وبَدْلَةً من هذا النوع ، والجوهرةَ الثمينةَ وما معها من الجواهر المتقدّمة الذكر لشدّ التاج وتشدّ مِظَلّةٌ تشبه تلك البذلة ، وتلف في مِنْديل دَبِيقيّ فلا يكشفها إلا حاملُها عند ركوب الخليفة ، ثم يشدّ لواءى الحمد المتقدّمى الذكر . فإذا كان أوّلُ يوم من العام ، بَكَّرَ أربابُ الرُّتَب من ذوى السيوف والأقلام فلا يُصْبِح الصبح إلا وهم بين القصرين منتظرين ركوب الخليفة (وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء) ويبكر الأمراء إلى دار الوزير ليركبوا معه ، فيخرج من داره ويركب إلى القصر من غير استدعاء وأمامه ماشرّفه به الخليفة من الألوية والأعلام ، والأمراء بين يديه ركبانا ومشاة ، وأولاده وإخوته قدّامه ، وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك ، وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل والحَنَك متقلدا بالسيف الذهب . فإذا وصل إلى باب القصر ، ترجّل الأمراء ودخل هو راكبا إلى محل نزوله بدهليز القصر المعروف بدهليز العمود فيترجّل هناك ويمشى في بقية الدهاليز حتّى يصل إلى مَقْطَع الوزارة بقاعة الذهب هو وأولاده وإخوته وخواصّ حاشيته ، ويجلس الأمراء بالقاعة على دِكَك معدّة لهم ،

و يُدْخَل فرسُ الخليفة إلى باب المجلس الذى هو فيه ، وعلى باب المجلس كرسىٌّ يركب من عليه . فإذا آستوت الدابة إلى ذلك الكرسىّ ، أخرجت المظلة إلى حاملها فيكشفها ممـا هى ملفوفة فيه و يتسلمها بإعانة أربعة معدّين لخدمتها فيركُزها فى آلة من حديد تشبه القرن المصطحب مشـدودة فى ركاب حاملها الأيمن بقوة ، ويمسـك العمود بحـاجز فوق يده ؛ ثم يخرج السـيف فيتسلمه حامله . فإذا تسـلمه أرخى ذُؤَابَتَـهُ فلا تزال مرخاة ما دام حاملا له ، ثم تُخْرَج الدواة فيتسلمها حاملهـا و يجعلها قدّامه بينه و بين السرج ، ثم يخرج الوزير عن المَقْطَع و ينضم إليـه الأمراء و يقفون إلى جانب فرس الخليفة ، و يرفع صاحب المجلس السترَ فيخرج مَنْ كان عند الخليفة للخدمة من الأستاذين ، ويخرج الخليفـة فى أثرهم فى ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلى رأسه التاج الشريف والدرّة اليتيمة على جبهته ، وهو مُحَنَّكٌ مرخىّ الذؤابة ممـا يلى جانبه الأيسر متقلد بالسيف العربىّ وقضيبُ المُلْك بيده ، و يسلم على الوزير قوم مرتَّبون لذلك ، ثم على القاضى وعلى الأمراء بعدهما ، ثم يخرج الأمراء و بعدهم الوزير فيركب و يقف قُبَالة باب القصر ، ويخرج الخليفة راكبا وفرسـه ماشيةٌ على بُسُط خَشْـيَةَ أن تَزْلَق على الرخام والأستاذون حوله . فإذا قارب البـاب وظهر وجهُـهُ ، ضرب رجلٌ ببُوقٍ لطيف مُعْوَجّ الرأس متّخَذ من الذهب يقـال له الغريبة مخالف لصوت الأبواق ، فتضرب البوقات فى المواكب ، وتُنْشَر المظلة ، و يخرج الخليفـة من باب القصر فيقف وقفةً يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا فى الخدمة بالقاعة ، ثم يسير الخليفة فى الموكب وصاحبُ المظلة على يسـاره ، وهو يحرِص ألّا يزول ظلها عن الخليفة ، ثم يكتنف الخليفةَ مقدّمو صِبْيان الركاب ، آثنـان منهم فى شكيمتى لجام فرسه ، وآثنان فى عنق الفرس من الجانبين ، وآثنـان فى ركابه من الجانبين أيضا ، والأيمن منهما هو صاحب المِقْرَعة

الذى يناولها للخليفة و يتناولها منه ، وهو الذى يؤدى عن الخليفة مدّة ركوبه الأوامرَ والنواهىَ ، واللواءان المعروفان بلواءى الحمد عن جانبيه ، والمِذَبَّتان عند رأس فرس الخليفة ، والركابية يمينه وشماله نحو ألف رجل مقلدو السيوف مشدودو الأوساط بالمناديل والسلاح ، وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المادّين ، بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد ، وبالقرب من رأسها الصقلبيان الحاملان للمِذَبّتين ، وهما مرفوعتان كالنخلتين . (و يترتب الموكب) : أجناد الأمراء وأولادهم وأخلاط العسكر أمام الموكب وأدوان الأمراء بلوناتهم ، و بعدهم أرباب القُضُب الفضة من الأمراء ، ثم أرباب الأطواق منهم ، ثم الأستاذون المحنكون ، ثم أهل الوزير المتقدّم ذكرهم ، ثم الحاملان للواءى الحمد من الجانبين ، ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده ، وهما من الجانب الأيسر ، وكل واحد ممن تقدّم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه ، ثم الخليفة بين الركابية ، وهو سائر على تُؤَدَةٍ ورِفْقٍ ، وفى أوائل العسكر ومتقدّميه والِى القاهرة ذاهبا وعائدا لفسح الطرقات وتسيير مَنْ يقف ، وفى وسط العسكر اسفهسلار يَحُث الأجناد على الحركة و يزجُر المتزاحمين والمعترضين فى العسكر ذاهبا وعائدا ، وفى زمرة الخليفة صاحب الباب لترتيب العسكر وحراسة طرقات الخليفة ذاهبا وعائدا ، يلقى صاحبُ الباب اسفهسلارُ ، واسفهسلارُ يلقى والى القاهرة ، وفى يد كل منهم دبّوس ، وخلف الخليفة جماعةٌ من الركابية لحفظ أعقابه ، ثم عشرة يحملون عشرةَ سيوف فى خرائط ديباج أحمرَ وأصفرَ يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الأعناق ، و بعدهم الحاملون للسلاح الصغير المتقدّم الذكر ؛ ووراءه الوزير فى هيئة عظيمة ، وفى ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه ، وقوم يقال لهم صبيان الزّرَد من أقوياء الأجناد من جانبيه بفُرْجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة مجتهدا ألّا يغيب الخليفة عن نظره ، وخلفه الطُّبول والصُّنوج والصفافير فى عدّة

كثيرة تَدْوِى من أصواتها الدنيا ، ووراء ذلك حاملُ الرمح المقدّم ذكره والدرَقَة المنسوبة إلى حمزة ، ثم رجال الأساطيل مشاةً ومعهم القِسِيّ العربيــة ، وتسمّى قسىَّ الرِّجْل والركاب ، ما يزيد على خمسمائة رجل ، ثم طوائف الرجال من المصامدة ، ثم الريحانية والجُيُوشية ، ثم الفرنجية ، ثم الوزيرية : زُمْرَة بعد زُمْرة فى عِدة وافرة تزيد على أربعة آلاف ، ثم أصحاب الرايات والسبعين ، ثم طوائف العساكر : من الآمرية والحافظية والحُجَرِيّة الكبار والحُجَرِيّة الصِّغار والأفضلية والجيوشية ، ثم الأتراك المصطنعون ، ثم الديلم ، ثم الأكراد ، ثم الغُزُّ المصطنعة وغيرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس .

قال ٱبن الطوير : وهذا كله بعضٌ مِنْ كلّ . وإذا ترتب الموكب على ذلك ، سار من باب القصر الذى خرج منــه بين القصرين ، يسير بموكبه حتّى يخــرج من باب النصر ويصلَ إلى حوض كان هناك يعرف بعزّ الملك على القرب من باب النصر ، ثم ينعطف على يساره طالبا بابَ الفتوح ، وربما عطف عند خروجه من باب النصر على يساره ، وسار بجانب السُّــور حتّى يأتى بابَ الفتوح فيــدخل منه . وكيفما كان فإنه يدخل منه ، ويسير الموكب حتّى ينتهىَ بين القصرين فيقف العسكر هُناك على ما كان عليه عند الركاب ويترجّل الأمراء . فإذا ٱنتهى الخليفةُ إلى الجامع الأقمر وقف هناك فى جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرّك مسرعا ليصير أمام الخليفة . فإذا مرّ بالخليفة ، سَكَع[(1)] له سَكْعة ظاهرة ، فيشير الخليفة بالسلام عليه إشارة خفيفة ، وهــذه أعظم كرامة تصدُر من الخليفة ، ولا تكون إلا للوزير صاحبِ السيف . فإذا جاوز الوزيرُ الخليفةَ ، سبقه إلى باب القصر ودخل راكبا على عادته والأمراءُ أمامه مشاةً إلى الموضع الذى ركب منه بدهليز العمود المقدّم ذكره ، فيترجل هناك ويقف هو والأمراءُ لانتظار الخليفة . فإذا ٱنتهى الخليفةُ إلى باب القصر ، ترجل الأستاذون المحنَّكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والأســتاذون مُحْدِقون به .

(١) سكع (كمنع وفرح) : مشى مشيا متعسفا لا يدرى أين يأخذ طريقه .

فإذا انتهى إلى الوزير، مشى الوزير أمام وجه فرسه إلى الكرسىّ الذى ركب من عليه فيخدمُه الوزيرُ والأمراء، وينصرفون ويدخل الخليفة إلى دُوره . فإذا خرج الوزير إلى مكانِ تَرَجُّلِه ركب ، والأمراء بين يديه، وأقاربُه حواليه إلى خارج باب القصر، فيركب منهم مَنْ يستحق الركوب، ويمشى من يستحق المشى، ويسيرون فى خدمته إلى داره، فيدخل راكبا وينزل على كرسىّ فيخدُمه الجماعة وينصرفون، وقدْ رأى الناس من حسن الموكب ما أبهجهم وراق خواطِرَهم، ويتفرّق الناسُ إلى أماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم الغرّة : وهى دنانير رُبَاعية ودراهم خِفّاف مدوّرة، ويكون الخليفة قد أمر بضربها فى العشر الأخير من ذى الحجة برسم التفرقة فى هذا اليوم، لكل واحد من الوزير والأمراء وأرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام قدرٌ مخصوص من ذلك، فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة، ويكتب إلى البلاد والأعمال مخلّقات بالبشائر بركوب أول العام كما يكتب بوفاء النيل وركوب المَيْدان الآن .

الموكب الثانى

ركوب أول شهر رمضان

وهو قائم عند الشيعة مَقَام رؤية الهلال، والأمر فى العَرْض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق المسلوكة على ما تقدّم فى أول العام من غير فرق، ويكتب فيه المخلّقات بالبشائر كما يكتب فى أول العام .

الموكب الثالث

ركوبه فى أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان

وهى الجمعة الثانية [والثالثة(1)] والرابعة ، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور بباب البحر، بكّر صاحب بيت المال إلى الجامع بالفَرْش المختص بالخليفة محمولا

(1) زيادة يقتضيها السياق .

على أيدى أكابر الفرّاشــين ملفوفا فى العَرَاضى الدبيقية، فَيُفْرَش فى المحراب ثلاث طرّاحات إمّا شاميات، وإمّا دَبيق أبيض، منقوشة بالحمرة، وتُفْرَش واحدة فوق واحْدة، ويعلّق ستران يَمْنَةً ويَسْرَةً، فى الستر الأيمن مكتوب برقم حرير أحمر سُورةُ الفاتحة وسُورةُ الجمعة، وفى الستر الأيسر ســورةُ الفاتحة وسورةُ المنافقين كتابةً واضحة مضبوطة، ويصــعد قاضى القضاة المنبرَ، وفى يده مِدْخنة لطيفة خَيْزُرَان يُحْضرها إليه صاحبُ بيت المــال وفيها نَدُّ مثلّث لا يشم مثله إلا هناك، فيبخر ذِرْوة المِنْبر التى عليها القَبّا كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث دَفَعات، ويركب الخليفة فى هيئة ما تقدّم فى أوّل العــام وأوّل رمضان : من المِظَلّة والآلات، ولباسُــه فيه الثياب البياض غير المُذْهَبة توقيرا للصلاة، والمِنْديل والطيلسان المقوّرة. وحولَ ركابه خارج الركابية قرّاء الحضرة من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة نَوْبةً بعد نَوْبةٍ من حين ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخَطابة، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها، وإن آحتاج إلى تجديد وضوء فعــل، وتحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب وآسفهسلار وصِبيان الخاصّ، وغيرهم ممن يجرى مجراهم من أوّلها إلى آخرها، وكذلك من داخلها من باب خروجه إلى المنبر. فإذا أُذِّنَ للجمعة دخل إليه قاضى القضاة، فقال : "السلام على أمير المؤمنيـــن الشريف القــاضى الخطيب ورحمة الله وبركاته، الصلاةَ يرحمك الله" فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحنَّكون والوزير وراءه، ومن يليهم من الأمراء من صِبْيان الخاص، وبأيديهم الأسلحة حتّى ينتهى إلى المِنْبَر فيصعد حتّى يصل إلى الذّروة تحت القبة المُبخّرة، والوزير على باب المنبر ووجهه إليه. فإذا آســتوى جالسا أشار إلى الوزير بالصــعود فيصعد إلى أن يصل إليه، فيُقَبِّل يديه ورجليه بحيث يراه الناس، ثم يزرّ عليه تلك القبة وتصــير كالهودج، ثم ينزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للنبر فإن لم يكن وزيرٌ صاحب

سيف، كان الذى يَزُرّ عليه قاضى القضاة، ويقف صاحب الباب ضابطا للنبر،
فيخطب خطبة قصيرة من سَفَط يأتى إليه من ديوان الإنشاء، ويقرأ فيها آيةً من
القرآن الكريم، ثم يصلى فيها على أبيه وجده يعنى النبى صلى الله عليه وسلم، وعلى
ٱبن أبى طالب كرم الله وجهه، ويَعِظ الناسَ وَعْظاً بليغا قليلَ اللفظ، ويذكر مَن
سلف من آبائه حتّى يصل إلى نفسه فيقول : "اللهم وأنا عبدك وٱبن عبديك ٥
لا أملك لنفسى ضَرًّا ولا نفعا" ويتوسل بدعوات فخمة تليق به، ويدعو للوزير إن
كان ثَمّ وزيرٌ وللجيوش بالنصر والتآلف، وللعساكر بالظَّفَر، وعلى الكافرين والمخالفين
بالهلاك والقَهْر، ثم يختم بقوله ﴿ ٱذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ ﴾ فيطلع إليه من زرّ عليه فيفُكّ
ذلك التزرير عنه، وينزل القَهْقَرى، فيدخل(١) المحراب ويقف على تلك الطراحات
إماما والوزير وقاضى القضاة صَفًّا، ومن ورائهما الأستاذون المحنكون والأمراء ١٠
المطوّقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام والمؤذّنون وقوفٌ وظهورهم
لحائط المقصورة، والجامع مشحون بالعالَم للصلاة وراءه فيقرأ فى الركعة الأولى
ما هو مكتوب فى الستر الأيمن، وفى الثانية ما فى الستر الأيسر. فإذا سَمَّعَ الخليفةُ،
سَمَّعَ القاضى المؤذنين، فيسمِّع المؤذنون الناس. فإذا فرغ خرج(٢) الناس وركبوا أوّلا
فأوّلا وعاد إلى القصر والوزيرُ وراءه حتّى يأتى إلى القصر، والطبول والبُوقات ١٥
تضرب ذَهَابا وإيابا .

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر، ركب إلى الجامع الأزهر كذلك وفعل كما
فعل فى الجمعة الأولى، لا يختلف فى ذلك غيرُ الجامع .

فإذا كانت الجمعة الرابعة منه، ركب إلى الجامع العتيق بمصر ويزيِّن له أهل
القاهرة من باب القصر إلى الجامع الطُّولونى، ويزيّن له أهل مصر من الجامع ٢٠

(١) لعله فينزل (أى الخليفة) فيدخل الخ . (٢) لعله خرج وخرج الناس الخ .

الطولونى إلى الجامع العتيق ، وقد نَدَب الواليان بالبلدين مَنْ يحفظ الناس والزينة ويركب من باب القصر ويسير فى الشارع الأعظم بمصر، يمشى فى شارع واحد بين العمارة إلى الجامع العتيق بمصر فيفعل كما فعل فى الجامعين الأوّلين من غير مخالفة . فإذا قضى الصلاة، عاد إلى القاهرة من طريقه تلك إلى أن يصل إلى قصره، وفى خلال ٥ ذلك كلّه لا يمرّ بمسجد إلا أعطى أهله دينارا على كَثْرة المساجد فى طريقه .

المـــوكب الرابـــع

ركوبه لصـــلاة عيـــدى الفطر والأضحى

أما عيد الفطر — فيقع الاهتمام بركوبه فى العشر الأخير من رمضان، وتعبّى أهبة المواكب على ما تقدّم فى أوّل العام وغيره ، وكان خارج باب النصر مصلًّى على ١٠ رَبْوَةٍ وجميعها مبنىٌّ بالحجر، ولها سور دائر عليها وقلعة على بابها، وفى صدرها قبّةٌ كبيرة فى صدرها محْراب، والمنبر إلى جانب القبة وسط المصلَّى مكشوفا تحت السماء، ٱرتفاعه ثلاثون درجة وعَرْضه ثلاثة أزرع، وفى أعلاه مصطبةٌ . فإذا كمل رمضان، وهو عندهم ثلاثون يوما من غير نقص . فإذا كان اليوم الأوّل من شوّال، سار صاحب بيت المـال إلى المصـلَّى خارج باب النصر، وفرش الطراحات بمحراب المصـلَّى، ١٥ كما تقـدّم فى الجوامع فى أيام الجمع، ويعلق سترين يَمْنَةً ويَسْرَةً، فى الأيمن الفاتحةُ وسَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وفى الأيسر الفاتحةُ، وهَـلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، ويركز فى جانبى المصلَّى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة، وهما منشوران مرخيـان، ويوضع على ذِرْوة المنبر طرّاحة من شاميات أو دبيقى، ويفرش باقيـه بستر من بيـاض، على مقداره فى تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغـير بالمشى وغيره، ٢٠ ويجعل فى أعلاه لواءان مرقومان بالذهب يَمْنَةً ويَسْرَةً، ثم سار الوزير من داره إلى

قصر الخليفة على عادته المتقدّمة الذكر، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة على ما تقدّم فى أوّل العـام : من المِظَلّة والتاج وغير ذلك من الآلات، ويكون لباسه فى هـذا اليوم الثيابَ البيض الموشّحة المجومة ، وهى أجلّ لباســه ومظلته كذلك ، ويخرج من باب العيد على عادته فى ركوب المواكب إلا أن العساكر فى هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر من غيره، وينتظم القوم له صَفَّيْن من باب القصر إلى المصلَّى ، ويركب الخليفـة إلى المصلى فيدخل من شرقيّها إلى مكان يستريح فيه دقيقةً، ثم يخرج محفوظا بحاشيته كما فى صلاة الجمع المتقدّمة الذكر فيصير إلى المحراب، والوزير والقاضى وراءه كما تقدّم، فيصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة، ويقرأ فى الركعة الأولى ما فى الستر الذى على يمينه، وفى الثانية ما فى الستر الذى على يساره . فإذا فرغ وسلم ، صعد المنبر لخطَابة العيد . فإذا انتهى إلى ذِرْوة المنبر، جلس على تلك الطرّاحة بحيث يراه النـاس ، ويقف أسـفل المنبر الوزيرُ وقاضى القضاة، وصاحب البـاب وآسفهسلار، وصاحب السيـف ، وصاحب الرسالة، وزِمَامُ القصر(1)، وصاحب دفتر المجلس، وصاحب المِظَلّة، وزِمَام الأشراف الأقارب ، وصاحب بيت المـال، وحامل الرمح، ونقيب الأشراف الطالبيـين . ويوجه الوزير إليه [فيشير إليــه فيصعد ويقرب وقوفه منه ويكون وجهــه موازيا رجليه](2) فيقبلهما بحيث يراه النـاس، ثم يقوم فيقف على يَمْنَة الخليفة . فإذا وقف أشار إلى قاضى القضاة بالصـعود فيصعد إلى سابع درجة ، ثم يتطلع إليــه منتظرا مايقول، فيشير إليه فيُخْرِجُ من كُمّهُ دَرْجا قد أُحْضِر إليه فى أمسه من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير، فيُعلن بقراءة مضمونه [ويقول](2) بعـد البسملة : [ثبت من](2) شُرِّف بصعود [ه](2) المنبر الشريف فى يوم كذا، وهو عيد الفطر من سنة

(1) زمام القصر : هو الذى يتولى إدارة أمور خدام القصر والإشراف على أعمالهم .
(2) الزيادة عن المقريزى (ج ١ ص ٤٥٥) .

كذا من عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد صعود السيد الأجل ... » (يذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) ثم ذكر من يُشَرِّفه الخليفة بصعود المنبر من أولاد الوزير، ثم ذكر القاضى ولكنه يكون هو القارئ للتَّثبت فلا يسعه ذكر نعوته فيقول : المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك، ثم الواقفين على باب المنبر ممن تقدّم ذكره بنعوتهم واحدا واحدا، وكلما ذكر واحدا استدعاه وطلع المنبر، كل منهم يعرف مقامه فى المنبر يَمْنَةً ويَسْرَةً . فإذا لم يبق أحد ممن أُطلع إلى المنبر، أشار الوزير إليهم فأخذ كل منْ هو فى جانب بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون ، وينادى فى الناس بالإنصات، فيخطب الخليفةُ خطبةً بليغةً مناسبة لذلك المقام ، يقرؤها من السَّفَط الذى يُحْضَر إليه مسطَّرا من ديوان الإنشاء كما فى جُمَع رمضان المتقـدّمة الذكر . فإذا فرغ من الخطبـة، ألقى كلُّ مَنْ فى يده شىءٌ من اللواء خارج المنبر، فينكشفون وينزلون القهقرى أوّلا بأوّل الأقرب فالأقرب . فإذا خلا المنـبر للخليفة ، هبط ودخل المكانَ الذى خرج منـه، فيلبث قليلا ثم يركب فى هيئته التى أتى فيها إلى المصلَّى، ويعود فى طريقه التى أتى منها . فإذا قرب من القصر، تقدّمه الوزير على العادة، ثم يدخل من باب العيد الذى خرج منه ، فيجلس فى الشُّبَّاك الذى فى الإيوان الكبير، وقد مدّ منه إلى فسقية فى وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سِمَاطٌ فيه من الخُشْكَان[1] والبِسْتَنْدُود[2]، وغير ذلك ممـا يعمل فى العيد مثـلُ الجبل الشاهق، كل قطعـة ما بين ربع قنطار إلى رطل واحد ، فيأكل مَنْ يأكل وينقُل مَنْ ينقُل لا حَجْر عليـه ولا مانع دونه ، ثم يقوم من الإيوان فيركب إلى قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نُصِب، ووضع له مائدة من فضـة، وَمدّ السماط تحت السرير فيترجل عن السرير، ويجلس على المـائدة، ويستدعى الوزيرَ فيجلس معـه ، ويجلس الأمراء على السِّماط ولا يزال كذلك حتَّى

---

(١) الخشكان ويعرف فى مصر بالخشتنان، وهو نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوّفة يملأ وسطها باللوز أو بالفستق . (٢) البستندود، أصله بالفارسية (بشندة) : طعام فارسى مصنوع من دقيق و بلح . وفى الأصل : « البسندود » .

يستهدم السِّماط قريبَ صلاة الظهر ؛ ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره والأمراء في خدمته فيمدّ لهم سماطا يأكلون منه وينصرفون .

وأما عيد الأضحى — فإنه إذا دخل ذو الحجة وقع الاهتمام بركوبه . فإذا كان يوم العيد، ركب الخليفة على ما تقدّم في عيد الفطر من الزّيّ والترتيب والركوب إلى المصلّى ، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمرَ الموشّحَ ، ومظلّته كذلك ، ويخرج إلى المصلّى خارج باب النصر ويخطب ، ثم يعود إلى القصر كما في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص ؛ ثم بعد دخوله إلى القصر يخرج من باب الفَرَج ، وهو باب القصر الذى كان مسامتا لدار سعيد السُّعَداء التى هى الخانقاه الآن ، فيجد الوزير راكبا على الباب المذكور ، فيترجّل الوزيرُ ، ويمشى فى خدمته إلى المَنْحَـر[1] ، وهو خارج الباب المذكور . وكان إذ ذاك الفضاء واسعا لابناء فيه ، وهناك مصطبة مفروشة فيطلُع عليها الخليفةُ والوزيرُ وقاضى القضاة والأستاذون المحنَّكون وأكابر الدولة ، ويكون قد سبق إلى المنحر أحدٌ وثلاثون فصيلا وناقـةٌ للأضحية ، وبيده حربة ، وقاضى القضاة ممسك بأصل سِنانها ، وتُقَدّم إليه الأضحية رأسا رأسا فيجعل القاضى السنانَ فى نحر النحيرة ويطعن به الخليفة فى لَبَّتها ، فتخرّ بين يديه حتّى يأتى على الجميع ، ثم يُسَيِّرُ رسومَ الأضحية إلى أرباب الرسوم المقررة ، وفى اليوم الثانى يساق إلى المنحر سبعةٌ وعشرون رأسا ، ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك ، وفى اليوم الثالث يساق إليه ثلاثٌ وعشرون رأسا فيفعل بها كذلك . فإذا انقضى ذلك فى اليوم الثالث وعاد الخليفة إلى القصر، خلع على الوزير ثيابه الحمرَ التى كانت عليه يوم العيد ، ومنديلا بغير اليتيمة والعقد المنظوم بالجوهر ، ويركب الوزيرُ بالخلعة من القصر ، ويشق القاهرةَ بالشارع سالكا إلى الخليج فيسير عليه حتّى يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة ، وبذلك انفصال العيد . ثم أوّل نحيرة تنحر تقدّد وتُسَيَّرُ إلى داعى اليَمن فيفرّقها على المعتَقِدين من وزن نصف درهم

(١) المنحر : الموضع الذى اتخذه الخلفاء لنحر الأضاحى فى عيد الأضحى وعيد الغدير . وكان موضع المنحر أرض فضاء بالدرب الأصفر . ومحله اليوم مجموعة المبانى الواقعة غربى جامع سعيد السعداء بين شارعى الدرب الأصفر والتمبكشية بقسم الجمالية .

إلى وزن ربع درهم، وباقى ذلك يفرّق على أرباب الرسوم فى أطباق للبركة، وأكثره يفرّقه قاضى القضاة وداعى الدّعاة على الطلبة بدار العدل والمتصدّرين بجوامع القاهرة، وفى اليوم الأوّل يمدّ السماط بقاعة الذهب على ما تقدّم فى عيد الفطر من غير فرق .

المـــوكب الخـــامس

ركوبه لتخليق المقياس عنـــد وفاء النيـــل

٥ قد تقدّم عند ذكر النيل فى الكلام على الديار المصرية ابتداءُ زيادة النيل ووفاؤه وانتهاؤه، وذكرُ المناداة عليــه على ما الأمر مستقرّ عليــه . إلا أنه فى زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى عليه قبل الوفاء، وإنمــا يؤخذ قاعُه وتكتب به رُقْعَــةٌ للخليفة والوزير، ثم يترل بديوان الرسائل فى مسير معدّ له فى الديوان، ويستمرّ الحــال على ١٠ ذلك فى كل يوم ترفع رُقْعــة إلى ديوان الإنشاء بالزيادة لا يطّلِـع عليها غير الخليفة والوزير، وأمره مكتوم إلى أن يبقى من ذراع الوفاء (وهو الســادس عشر) أصبعٌ أو أصبعان، فيؤمر بأن يبيت فى جامع المقياس تلك الليلة قُرَّاءُ الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم لختم القرآن الكريم فى تلك الليلة هناك، ويمدّ لهم السماط بالأطعمة الفاخرة، وتوقد عليهم الشموع إلى الصبح . فإذا أصبح ١٥ الصبح وأذن الله تعالى بوفاء النيل فى تلك الليلة، طلعت رُقْعــة ابن أبى الرّدّاد إلى الخليفة، فتُحضَر إليه بالقصر، فيركب الخليفــةُ فى هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والموكب العظيم، إلا أنه يلبس التاج الذى فيه اليتيمة، ولا يُحَلَّى المظـلة على رأسه فى ذلك اليوم ؛ ويركب الوزيرُ وراءه فى الجمع العظيم على ترتيب الموكب ؛ ويخــرج من القصر شاقا القاهرةَ إلى باب زويلة فيخرج منه، ويسلك الشارع إلى أن ٢٠ يجاوز البستان المعروف بعباس عند رأس الصّليبة بالقرب من الخانقاه الشيخونيــة

الآن ، فيعطف سالكا على الجامع الطولونى والجسر الأعظم حتى يأتى مصر ، ويدخل من الصناعة ، وهى يومئذ فى غاية العمارة ، وبها دِهْليزٌ ممتدّ بمصاطبَ مفروشة بالحصر العبدانى مؤزّر بها ، ويخرج من بابها شاقّا مصرَ حتى يأتى المنظرة المعروفة برواق الملك على القرب من باب القنطرة ، فيدخلها من الباب المواجه له والوزيرُ معه ماشيا إلى المكان المعدّ له ، ويكون العشارى الخاصّ المعبَّر عنه الآن بالحرّاقة واقفا هناك ٥ بشاطئ النيل ، وقد حُمِل إليه من القصر بيتٌ مثمن من العاج والآبنوس كل جانب منه ثلاثة أذرع ، وطوله قامةُ رجل تام ، فيركب فى العشارى المذكور وعليه قبة من خشب محكم الصنعة ، وهو وقبّته ملبّس صفائح الفضة المُذْهَبَة ، ثم يخرج الخليفة من دار الملك المذكور ومعه من الأستاذين المحنّكين من يختاره من ثلاثة إلى أربعة ، ثم يطلُع خواصّ الخليفة إلى العشارى والوزيرُ ومعه من خواصّه اثنان أو ثلاثة ١٠ لا غير ، فيجلس الوزير فى رُواق بظاهر البيت المذكور ، بفوانيس من خشب مخروط مدهونة مذهّبة ، بستور مسدلة عليه ، ويسير العشارى من باب المنظرة إلى باب المقياس العالى على الدّرج ، فيطلع من العشارى ، ويدخل إلى الفسقية التى فيها المقياس ، والوزير والأستاذون المحنكون بين يديه ، فيصلّى هو والوزير كلّ منهما ركعتين بمفرده ، ثم يؤتى بالزعفران والمسك فيَديفه فى إناء بيده بآلة معه ، ويتناوله ١٥ صاحب بيت المال فيناوله لابن أبى الرّدّاد ، فيُلْقِى نفسه فى الفسقية بثيابه فيتعلق فى العمود برجليه ويده اليسرى ويُخَلِّقه بيده اليمنى ، وقرّاء الحضرة من الجانب الآخر يقرءون القرآن ؛ ثم يخرج على فوره راكبا فى العشارى المذكور ، ثم يعود إلى دار الملك ، ويركب منها عائدا إلى القاهرة ؛ وتارة ينحدر فى العشارى إلى المَقْس ، ويتبعه الموكب فيسير من هناك إلى القاهرة . ويكون فى البحر ذلك اليوم نحوُ ألف مركب مشحونة ٢٠ بالناس للتفرج وإظهار الفرح . فإذا كان اليوم الثانى من التخليق أتى ابن أبى الرّدّاد

إلى الإيوان الكبير الذى فيـه الشُّبَّاك بالقصر فيجد خِلْعة مُذْهَبَـةً بطَيْلَسان مقوّر، ويُدْفَعُ إليه خمسـة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم مهيأة له ، فيلبس الخلعـة ، ويخرج من باب العيد المتقدّم ذكره فى أبواب القصر، وقد هيِّئ له خمس بغال على ظهورها الأحمال المزَيَّنَةُ بالحلىّ ، على ظهر كل منهـا راكب وبيده أحد الأكياس الخمسة المتقدّمة الذكر ظاهرًا فى يده، وأقاربه وبنو عمه يحجبونه وأصدقاؤه حوله ، وأمامه حِمْلان من النَّقَّارات السلطانية، والأبواقُ تضرب أمامه، والطبل وراءه مثل الأمراء ؛ فيشق بين القصرين، وكلمـا مرّ على باب من أبواب القصر يدخل منه الخليفة أو يخرج، نزل فقبّلَه ، ويخرج من باب زويلة فى الشارع الأعظم حتّى يأتى مِصْرَ فيشقُّ وسَطَها ويمرّ بالجامع العتيق ،ويجاوزه إلى شاطئ النيل فيعدّى إلى المقياس بخلعته ومامعه من الأكياس، فيأخذ من الأكياس قدرا مقرّرا له ، ويفرّق باقى ذلك على أرباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم .

المـــوكب السادس

ركوبه لفتـــح الخليـــج

وهو فى اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق المتقدّم ذكره، وليس كما فى زماننا من فتحه فى يوم التخليق ؛ وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين يأخذ النيل فى الزيادة ، وتعمل فى بيت المـال موائدُ من التمـاثيل المختلفـة : من الغِزْلان ، والسبـاع ، والفِيَلة ، والزَّرَارِيف عدّة وافرة، منها ماهو ملبَّس بالعنبر ، وماهو مُدَبَّسٌ بالصندل، مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب، وكذلك يُعْمَلُ أشكالُ التُّفّاح والأُتْرُجّ وغير ذلك، وتخرج الخَيْمَةُ العظيمة المعروفة بالقاتول المتقدّمة الذكر فتنصب للخليفة فى برّ الخليج الغربىّ على حافته عنـد مَنْظَرة يقال لهـا السكَّرة على

القرب من فم الخليج ، ويُلَفّ عمــودُ الخيمة بديباج أحمرَ أو أبيض أو أصفر من أعلاه إلى أسفله ، وينصب فيها سرير الملك مستندا إليه ويغشّى بقُرْقوبى ، وعَرَانيسه ذهبٌ ظاهرة ، ويوضع عليه مَرْتبة عظيمة من الفرش للخليفة ، ويضرب لأرباب الرُّتب من الأمراء بحْرِىّ هذه الخيمة خِيَمٌ كثيرة على قدر مراتبهم فى المقدار والقرب من خيمة الخليفة ، ثم يركب الخليفة على عادته فى المواكب العظيمة بالمظَلّة وتوابعها ٥ من السيف والرمح والألوية والدواة وسائر الآلات ، ويزاد فيه أربعون بُوقا : عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ، يكون المنفِّرون بها ركبانا ، والمنفِّرون بالأبواق النُّحَاس مشاةً ، ومن الطبول العظام عشرة طبول . فإذا كان يومُ الركوب ، حضر الوزير من دار الوزارة راكبا فى هيئة عظيمة ، ويركب حينئذ إلى باب القصر الذى يخرج منه الخليفة ، ويخرج الخليفة من باب القصر راكبا والأستاذون المحنَّكون مشاةً حوله ، ١٠ وعليه ثوب يسمّى البدنة حريرٌ مرقومٌ بذهب ، لا يلبسه غير ذلك اليوم ، والمظلة بنسبته ، فيركب الأستاذون المحنَّكون ويسـير الموكب على الترتيب المتقدّم فى ركوب أوّل العام سائرا فى الطريق التى ذهب فيها للتخليق حتّى يأتى الجامع الطولونى ، ويكون قاضى القضاة وأعيانُ الشهود جلوسا ببابه من هذه الجهة ، فيقف لهم الخليفة وقفةً لطيفةً ، ويسلم على القاضى ، فيتقدّم القاضى ويُقَبِّلُ رجله التى من جانبه ، ويأتى الشهود ١٥ أمام وجه فرس الخليفة ، ويقفون بمقدار أربعـة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم ، ثم يركبون ويسـير الموكب حتّى يأتى سـاحل الخليج ، فيسير حتّى يقارب الخليفةُ الخيمةَ ، فيتقدّمه الوزير على العادة ، فيترجل على باب الخيمة ، ويجلس على المرتبة الموضوعة له فوقه[1] ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوّقون بعدهم ، ويوضع للوزير كرسيُّه الجـارى به العادة على ما تقـدّم فى جلوسـه فى القصر ، فيجلس ٢٠

(١) أى فوق السرير المتقدّم وصفه قريبا .

ورجلاه بُحكّان الأرض ، ويقف أرباب الرُّتَب صفّين من سرير المُلْك إلى باب الخيمة ، وقرّاء الحضرة يقرءُون القرآن ساعة زمانيـة . فإذا فرغوا من القـراءة ، ٱستأذن صاحبُ الباب على حضور الشعراء للخدمة ، فيؤذن لهم فيتقدّمون واحدا بعد واحد على مقـدار منازلهم المقرّرة لهم ، ويُنْشِدُ كلٌّ منهم ماوقع له نظمه ممـا يناسب الحـال . فإذا فرغ أتى غيره وأنشـد ما نظمه إلى أن يفرغ إنشادهم ، والحاضرون ينتقدون على كل شاعر ما يقوله ، ويُحَسِّنُون منه ما حَسُنَ ويُوَهُّون منه ما وهى . فإذا ٱنقضى هذا المجلس ، قام الخليفة عن السرير فركب إلى المنظرة المعروفة بالسكّرة بقرب الخيمة والوزير بين يديه ، وقد فُرشت بالفُرُش المعدّة لهـا ، فيجلس الخليفة بمكان معـدّ له منها ، ويجلس الوزيرُ بمكان منها بمفرده ، ويجلس القاضى والشهودُ فى الخيمة البيضاء الدبيقية ، فيُطلُّ منها أستاذ من الأستاذين المحنكين فيشير بفتح السدّ فيفتح بالمَعَاول ، وتضرب الطبول والأبواق من البرّين ، وفى أثناء ذلك يصل السِّماط من القصر صحبةَ صاحب المـائدة القـائم مقام أسـتاذ دار الصحبة الآن ، وعدّتها مائة شدّة فى الطيافير الواسعة فى القوارير الحرير ، وفوقها الطرّاحات النفيسة ، وريح المسك والأفاويه تفوح منها ، فتوضع فى خيمة وسـيعة معدّة لذلك ؛ ويحمل منها للوزير وأولاده ما جرت به عادتهم ، ثم لقاضى القضاة والشهود ، ثم إلى الأمراء على قدر مراتبهم : على أنواع الموائد من التمـاثيل المقدّمة الذكر خلا القاضى والشهود ، فإنه لا يكون فى موائدهم تماثيل . فإذا ٱعتدل المـاء فى الخليج دخلت فيه العشاريات اللطاف ووراءها العشاريات الكبار ، وهى سـبعة : الذهبىّ المختص بالخليفـة ، وهو الذى يركب فيـه يوم التخليق ، والفِضّىُّ ، والأحمـر ، والأصفر ، والأخضر ، واللّازَوَرْدِىُّ ، والصِّـقِلِّىّ ، وهو عشارىٌّ أنشأه تَجّارٌ من صِقِلِّيّة على الإنشاء المعتاد فنسب إليه ، وعليها الستور الدبيقى الملوّنة ، وفى أعناقها الأهلّة وقلائد العنبر والخرز

الأزرق، وتسير حتّى ترسُوَ على بر المنظرة التى فيها الخليفة . فإذا صلّى الخليفةُ العصر، ركب لابسا غير الثياب التى كانت عليه فى أوّل النهار، ومظلّته مناسبة لثيابه التى لبسها، وباقى الموكب على حاله، ويسير فى البر الغربىّ من الخليج شاقًّا للبساتين حتّى يصلَ إلى باب القنطرة فيعطف على يمينه ويسير إلى القصر، والوزير تابعه على الرسم المعتاد، فيدخل الخليفة قصره، ويمرّ الوزير إلى داره على عادته فى مثل ذلك اليوم . ٥

وذكر القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : أنه إذا ركب من المنظرة المعروفة بالسكرة ، سار فى بر الخليج الغربىّ على ما تقدّم ذكره حتّى يأتىَ بستان الدكة ، وقد عُلِّقت دهاليزه بالزينة فيدخله وحده ويسقى منه فرسه ، ثم يخرج حتّى يقف على الرعنة المعروفة بخليج الدار، ويدخل من باب القنطرة ويسير إلى قصره .

النوع الثانى ١٠

من مواكبهم المواكب المختصرة فى أثناء السنة

وهى أربعة أيام أو خمسة فيما بين أوّل العام ورمضان ولا يتعدّى ذلك يومى السبت والثلاثاء . فإذا عزم على الركوب فى يوم من هذه الأيام، قدّم تفرقة السلاح على الركابية على ما تقدّم ذكره فى أوّل العام، وأكثرُ ما يكون ركوبه إلى مصر، فيركب والوزير وراءه على أخصرَ من النظام المتقدّم له فى المواكب العظام وأقلّ ١٥ جمعا، ولبسه فى هذه الأيام الثياب المُذْهَبَةُ من البياض والملوّن ومنديلٌ من نسبة ذلك مشدودة بشدّة غير شدّات غيره ، وذوائبه مرخاة تقرب من جانبه الأيسر، وهو مقلد بالسيف العربى المجوهر بغير حنك ولا مظلة، ويخرج شاقا القاهرة فى الشارع الأعظم حتّى يجاوز الجامع الطولونى على المشاهد[1] إلى الجامع العتيق . فإذا وصل إلى بابه، وجد الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب، مفروشة ٢٠

(١) يريد بالمشاهد الأماكن التى كان الناس ولا يزالون يتبركون بزيارتها كمشهد زين العابدين ومشهد السيدة نفيسة ومشهد السيدة أم كلثوم رضوان الله عليهم .

بحصير وعليها سجادة معلقة، وفى يده المصحف الكريم المنسوب خطه إلى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهــه ، فيناوله المصحف من يده فيقبلــه و يتبرك به و يأمر له بعطاء يفترق على أهل الجامع .

الضـــرب الثـــالث

من هيئة الخليفة هيئته فى قُصُـــوره

٥

قال آبن الطوير : كان له ثياب يلبَسُها فى الدور أكمامها على النصف من أكمام ثيــابه التى يلبسها فى المواكب، وكان من شأنه أنه لا ينصرف من مكان إلى مكان فى القصر فى ليــل أو نهار إلا وهو راكب، ولا يقتصر فى القصر على ركوب الخيل بل يركب البغال والحمير الإناث لمــا تدعوه الضرورة إليــه من الجواز فى السراديب القصيرة والطلوع على الزلاقات إلى أعلى المناظر والمساكن، وله فى الليل نسوة برسم شدّ ما يحتاج إلى ركوبه من البغال والحمير، وفى كل محلة من محلات القصر فَسْقِيَّةٌ مملوءة بالمــاء خيفَةً من حدوث حريق فى الليــل ، و يبيت خارج القصر فى كل ليلة خمسون فارسا للحراســة . فإذا أُذِّن بالعشاء الآخرة داخلَ قاعة الذهب وصلّى الإمامُ الراتبُ فيها بالمقيمين من الأستاذين وغيرهم، وقف على باب القصر أميرٌ يقال له سِنَان الدولة ـــ مقام أمير جاندار الآن ـــ فإذا علم بفراغ الصلاة تضرب البوقيةُ من الطبول والبوقات وتوابعها على طريق مستحسنة ساعةً زمانيــة ، ثم يخرج أستاذ برسم هذه الخدمة فيقول : " أمير المؤمنين يردّ على ســنان الدولة السلام" فيغرز سنان الدولة حربةً على الباب ثم يرفعها بيــده ، فإذا رفعها أغلق الباب ، ودار حول القصر سبعَ دَوْرات . فإذا آنتهى ذلك جعــل على البــاب البوّابين والفرّاشين وأوى المؤذّنون إلى خزائن لهم هناك وتُرمى السلسلة عند المضيق، آخر بين القصرين عند السيوفيين

١٠ ١٥ ٢٠

فينقطع المارّ من ذلك المكان إلى أن تضرب البوقية سَحَرا قربَ الفجر فتُرفَع السلسلة ويجوز الناس من هناك .

الجملة السادسة

فى آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وآعتنائهم بأمر الجهاد، وسيرهم فى رعاياهم، وآستمالة قلوب مخالفيهم

أما آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور — وآعتناؤهم بأمر الجهاد، فكان ذلك من أهمّ أمورهم، وأجلّ ما وقع الآعتناءُ به عندهم . وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالإسكَنْدَرِيَّة ودِمْياطَ من الديار المصرية، وعَسْقَلان وعكّا وصُور وغيرها من سواحل الشام، حين كانت بأيديهم، قبل أن يغلبهم عليها الفرنج؛ وكانت جريدة قوّادهم تزيد على خمسة آلاف مقاتل مدوّنة، وجوامكهم فى كل شهر من عشرين دينارا إلى خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى ثمانية إلى دينارين، وعلى الأسطول أميرٌ كبيرٌ من أعيان الأمراء وأقواهم جأشا، وكان أسطولهم يومئذ يزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالات ، وعمارة المراكب متواصلة بالصناعة لا تنقطع . فإذا أراد الخليفة تجهيزها للغزو، جلس للنفقة بنفسه حتّى يكملها، ثم يخرج مع الوزير إلى ساحل النيل بالمَقْسِم، فيجلس فى مَنْظَرة كانت بجامع باب البحر والوزير معه للوادعة[1]، ويأتى القُوّادُ بالمراكب إلى تحت المنظرة، وهى مزينة بالأسلحة والمَنْجَنيقات واللعب منصوبة فى بعضها، فتسيَّر بالمجاديف ذَهابًا وعَوْدًا كما يُفعَل حالة القتال، ثم يحضرَ إلى بين يدى الخليفة المُقدَّمُ والرَّيِّس فيوصيهما ويدعو لهم بالسلامة، وتنحدر المراكب إلى دِمْيَاطَ وتخرج إلى البحر المِلْح فيكونَ لها فى بلاد العدو الصِّيتُ والسُّمْعة . فإذا غنموا مَرْكبًا آصطفى الخليفة

(١) أى التوديع . وقد جرى فيه وفى كثير غيره على اصطلاحات العامة .

لنفسه السَّبْيَ الذى فيه من رجال أو نساء أو أطفال، وكذلك السلاح، وما عدا ذلك يكون للغانمين لا يُساهَمُون فيه . وكان لهم أيضا أسطول بعَيْذَابَ يتلقَّى به الكارم فيما بين عَيْـذَابَ وسواكن، وما حولهـا خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب، فيحميهم الأسطول منهم، وكان عدّة هذا ٥ الأسطول خمسة مراكب، ثم صارت إلى ثلاث، وكان والِي قُوصَ هو المتولِّى لأمر هـذا الأسطول، وربمـا تولاه أمير من الباب، ويحمل إليه من خزائن السـلاح ما يكفيه .

* * *

وأما سَيْرُهم فى رعيتهم — وآستمالة قلوب مخالفيهم، فكان لهم الإقبال على من ١٠ يَفِدُ عليهم من أهل الأقاليم جلّ أو دقّ، ويقابلون كل أحد بما يليق به من الإكرام، ويعوّضون أرباب الهدايا بأضعافها. وكانوا يتألَّفون أهل السُّنَّة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على آختلاف مذاهبهـم، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح فى الجوامع والمساجد على مخالفـة معتَقَدهم فى ذلك (١) بذكر الصحابة رضوان الله عليهـم، ومذاهب مالك والشافعى وأحمد ظاهرة الشِّعار فى مملكتهم، ١٥ بخلاف مذهب أبى حنيفة، ويُراعُون مذهب مالك، ومَنْ سألهم الحكم به أجابوه، وكان من شأن الخليفة أنه لا يكتب فى علامته إلا "الحمد لله رب العالمين" ولا يخاطب أحدا فى مكاتبته إلا بالكاف حتَّى الوزير صاحب السيف، وإنمـا المكاتبات عن الوزير هى التى تتفاوت مراتبها؛ ولا يخاطب عنهم أحدٌ إلا بنعت مقرّر له ودعاء معروف به؛ ويراعون من يموت فى خدمتهـم فى عقبه، وإن كان له مرتب نقلوه ٢٠ إلى ذرّيته من رجال أو نساء .

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

الجملة السابعة

فى إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم وما يتصل بذلك من الطعمة

أمّا إجراء الأرزاق والعطاء — فقد تقدّم أن ديوان الجيوش كان عندهم على ثلاثة أقسام : قسم يختص بالعرض وتحلية الأجناد وشيّات دوابّهم ، وقسم يختص بضبط إقطاعات الأجناد ، وقسم يختص بمعرفة ما لكل مرتزق فى الدولة من راتب وجار وجراية ، ولكل من الثلاثة كُتّاب يختصون بخدمته . والقسم الثالث هو المقصود هنا ؛ وكان راتبهم فيه بالدنانير الجَيْشية ، وكان يشتمل على ثمانية أقسام :

الأول — فيه راتب الوزير وأولاده وحاشيته .

فراتب الوزير فى كل شهر خمسة آلاف دينار، ومَنْ يليه من ولد أو أخ من ثلثمائة دينار إلى مائتى دينار، ولم يقتر لولد وزير خمسُمائة دينار سوى الكامل بن شاور، ثم حواشيه من خمسمائة دينار، إلى أربعمائة دينار، إلى ثلثمائة دينار خارجا عن الإقطاعات

الثانى — فيه حواشى الخليفة .

فأولهم الأستاذُون المحنكون على رُتَبِهِمْ . فزِمَامُ القصر، وصاحبُ بيت المال، وحامل الرسالة ، وصاحب الدفتر، وشادُّ التاج ، وزِمَامُ الأشراف الأقارب ، وصاحب المجلس ، لكل واحد منهم فى الشهر مائة دينار، ثُمَّ مَنْ دونهم من تسعين دينارا إلى عشرة دنانير على تفاوُت الرُّتَب . وفى هذا طبيبا الخاص ، ولكل واحد منهما فى الشهر خمسون دينارا ، ولمن دونهما من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير.

الثالث — فيه أرباب الرُّتَب بحضرة الخليفة .

فأوّل مسطور فيه كاتبُ الدَّسْت — وهو المعبَّر عنــه الآن بكاتب السرّ؛ وله فى الشهر مائة وخمسون دينارا ، ولكل واحد من كُتَّابه ثلاثون دينـارا ؛ ثم الموقِّع بالقلم الدقيق ، وله مائة دينـار ؛ ثم صاحب الباب، وله مائة وعشرون دينـارا ؛ ثم حامل السيف وحامل الرمح ، ولكل منهما سـبعون دينارا ، وبقيَّـة الأزِمَّة على العساكر والسودان من خمسين دينارا ، إلى أربعين دينارا ، إلى ثلاثين .

الرابع — فيه قاضى القضاة ، وله فى الشهر مائة دينار ؛ وداعى الدُّعاة وله مثله ؛ وقُرَّاء الحضرة ، ولكل منهم عشرون دينارا ، إلى خمسة عشر دينارا ، إلى عشرة .

الخامس — فيه أرباب الدواوين ومن يجرى مَجْراهم .

فأوّلهم مُتَوَلِّى ديوان النظر ، وله فى الشهر سبعون دينارا ؛ ثم متولى ديوان التحقيق ، وله خمسون دينارا ؛ ثم متولى ديوان المجلس ، وله أربعون دينارا ؛ ثم متولى ديوان الجيوش ، وله أربعون دينارا ؛ ثم صاحب دفتر المجلس ، وله خمسة وثلاثون دينارا ؛ ثم الموَقِّع بالقـلم الجليل القائم مقام كاتب الدَّرْج الآن ، وله ثلاثون دينارا . ولكل مُعِين عشرة دنانير ، إلى سبعة ، إلى خمسة .

السادس — فيه المستخدمون بالقاهرة ومصر فى خدمة واليهما ، ولكل واحد منهما خمسون دينارا ؛ وللحُمَاة بالأهراء والمُنَاخات والجوالى والبساتين والأملاك وغيرها لكل منهم ما يقوم به من عشرين دينارا ، إلى خمسة عشر ، إلى عشرة ، إلى خمسة .

الســابع — فيه عدّة الفرّاشين برسم خِدْمَة الخليفة والقصور وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر ، ولكل منهم فى الشهر ثلاثون دينارا فما حولها ؛ ثم مَنْ يليهم من الرشّاشين داخل القصر وخارجه وهم نحو ثلثمائة رجل ، ولكل منهم من عشر دنانير إلى خمسة .

الثامن — فيه الركابية ومقدّموهم، ولكل من مقدّميهم فى الشهر خمسون دينارا، وللركابية من خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى خمسة .

وأما الطُّعمة — فعلى ضربين :

الضــرب الأوّل

الأسمطة التى تمدّ فى شهر رمضان والعيدين ٥

أما شهر رمضان — فإن الخليفة كان يرتّب بقاعة الذهب بالقصر سِمَاطا فى كل ليلة من آستقبال الرابع منه، وإلى آخر السادس والعشرين منه، ويستدعى الأمراء لحضوره فى كل ليـلة بالنَّوْبة، يحضُر منهم فى كل ليلة قومٌ كىْ لا يحرِمَهم الإفطار فى بيوتهم طول الشهر، ولا يكلَّف قاضى القضاة الحضورَ سوى ليالى الجُمَع توقيرا له، ولا يحضُر الخليفة هذا السِّماط، ويحضر الوزيرُ فيجلس على رأس السماط . ١٠ فإن غاب قام ولده أو أخوه مَقَامه . فإن لم يحضر أحدٌ منهم، كان صاحبُ الباب عِوَضَه . وكان هذا السِّماط من أعظم الأسمطة وأحسنها، يُمَدّ من صدر القاعة إلى مقدار ثلثيها بأصـناف المأكولات والأطعمة الفاخرة؛ ويخرجون من هنالك بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين، ويفرّق فضلُ السماط كلَّ ليلة، ويتهاداه أرباب الرسوم حتّى يصل إلى أكثر النـاس . وإذا حضر الوزير بعث الخليفــة إليه من ١٥ طعامه الذى يأكل منه تشريفا له، وربمـا خصه بشىء من سَحُوره .

+
+ +

وأما سِمَاط العيدين — فإنه يمدّ فى عيد الفطر وعيد الأضحى تحت سرير الملك بقاعة الذهب المذكورة أمام المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوسَ العامَّ أيام المواكب، وتنصب على الكرسىّ مائدة من فضة تعرف بالمدوّرة، وعليها من الأوانى الذهبيات ٢٠ والصينىّ الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك؛ وينصب السِّماط العـام تحت السرير من خشب مدهون فى طول القاعة فى عرض عشرة أذرع، وتفرش

فوقه الأزهارُ المشمومة ، ويُرَصُّ الخبز على جوانبه كل شابورة ثلاثة أرطال من نَقِيّ الدقيق؛ ويعمر داخل السماط على طوله بأحد وعشرين طبقا عظاما ، فى كل طبق أحد وعشرون خروفا من الشِّوِىّ ، وفى كل واحد منها ثلثمائة وخمسون طيرا من الدَّجاج والفراريج وأفراخ الحمام ، ويعبّى مستطيلا فى العلو حتّى يكون كقامة الرجل الطويل ، ويسوّر بتشاريح الحلواء اليابسة على آختلاف ألوانها ، ويُسدّ خلل تلك الأطباق على السماط نحوٌ من خمسمائة صحن من الصحون[1] الخَزَفيـة المترعة بالألوان الفائقة ، وفى كل منها سبع دجاجات من الحلواء المـائعة والأطعمة الفاخرة ؛ ويعمل بدار الفطرة الآتى ذكرها قصران من حلوى زنة كل منها سبعة عشر قنطارا فى أحسن شكل ، عليها صُوَر الحيوان المختلفة ، ويحملان إلى القاعة فيوضعان فى طرفى السماط .

ويأتى الخليفة راكبا فيترجّلُ على السرير الذى قد نصبت عليـه المـائدة الفضـة ، ويجلس على المـائدة وعلى رأسـه أربعةٌ من كبار الأستاذين المحنكين ، ثم يستدعى الوزيرَ وحده فيطلُع ويجلس على يمينه بالقرب من باب السرير ، ويشير إلى الأمراء المطوّقين فمن دونهم من الأمراء ، فيجلسون على السِّماط على قدر مراتبهم فيأكلون وقرّاءُ الحضرة فى خلال ذلك يقرءون القرآن ، ويبقى السماط ممدودا إلى قريب من صلاة الظهر حتّى يستهلك جميعُ ما عليه أكلا وحملا ، وتفرقةً على أرباب الرسوم .

الضـــرب الثـــانى

فيما كان يعمل بدار الفطرة[2] فى عيد الفطر

وكان لهم بها الآهتمام العظيم . وقد ذكر آبن عبد الظاهر أصنافها فقال : كانت ألف حملة دقيق ، وأربعمائة[3] قنطار سُكَّر ، وستة قناطير فُسْتُق ، وأربعمائة وثلاثين

---

(١) عبارة المقريزى "من الصحون الخزفية" التى فى كل منها سبع دجاجات وهى مترعة الخ .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ صفحة ٤٧٦ من هذا الجزء .

(٣) فى المقريزى والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ١٢٢) : « سبعمائة » .

إردب زبيب، وخمسة عشر قنطارا عسل نحل، وثلاثة قناطير خل وإردبين سمسم وإردبين أنيسون وخمسين رطلا ماء ورد، وخمس نوافج[1] مسك، وكافور قديم عشرة مثاقيل، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهما، وزيت برسم الوقود ثلاثون قنطارا. في أصناف أخرى يطول ذكرها. قال ابن الطوير: ويندب لها مائة صانع من الحلاويين، ومائة فرّاش برسم تفرقة الطوافير على أصحاب الرسوم خارجا عمن هو مرتّب فيها؛ ويحضرها الخليفة والوزير معه فيجلس الخليفة على سريره فيها، ويجلس الوزير على كرسي له؛ في النصف الأخير من رمضان، وقد صار ما لها من المستعملات كالجبال الرواسي، فتفرق الحلوى من رُبْع قنطار إلى عشرة أرطال إلى رطل واحد، والخشكنان من مائة حبة إلى خمس وسبعين حبة، إلى ثلاث وثلاثين، إلى خمس وعشرين، إلى عشرين، ويفرّق على السودان على يد مقدّمهم بالأفراد من تسعة أفراد إلى سبعة، إلى خمسة، إلى ثلاثة، كل طائفة على مقدارها (٢) بسماط يوم الفطر ما يمدّ في الإيوان الكبير قبل مدّ سماط الطعام بقاعة الذهب. وقد وقع في كلام ابن الطوير خُلْفٌ في وقته، فذكر في موضع من كتابه أن ذلك يكون قبل ركوب الخليفة لصلاة العيد، وذكر في موضع آخر أن ذلك يكون بعد حضوره من الصلاة.

الطـــرف الثـامن[3]

في جلوس الوزير للمظالم إذا كان صاحب سيف، وترتيب جلوسه

يجلس الوزير في صَدْر المكان، وقاضي القضاة مقابِلَه، وعن جانبيه شاهدان من المعتبرين، وكاتب الوزير بالقلم الدقيق، ويليه صاحب ديوان المال؛ وبين يديه

---

(١) النوافج: جمع نافجة، والنافجة: وعاء المسك وهي الجلدة التي يجتمع فيها. (٢) بياض بالأصل. ولعله «وقد كان سماط يوم الفطر يمد ... الخ». (٣) لم يتقدّم في هذا الفصل تقسيم بالأطراف.

صاحب الباب وٱسفهسلار، وبين أيديهما النوّاب والحُجّاب على طبقاتهم . وذلك يومان فى الأسبوع .

وقد رثاهم عُمارة اليمنىّ بعد ٱنقراضهم واستيلاء السلطان صلاح الدين بن أيوب على المملكة بقصيدة وصف فيها مملكتهم، وعدّ مواكبهم، وحكى مكارمهم، وجلّى محاسنهم، وهى :

٥

رمَيْتَ يا دَهْرُ كَفَّ المَجْـدِ بالشَّلَلِ * وجِيـدَهُ بعـد حُسْنِ الحَلْىِ بالعَطَـلِ
سَـعَيْتَ فى مَنْهَجِ الرَّأْيِ العَثُـورِ فإن * قَدَرْتَ من عَثَراتِ الدَّهْرِ فاسْتَقِلِ
جَدَعْتَ مَارِنَكَ الأَقْـنَى فَأَنْفُـكَ لا * يَنْفَكُّ ما بيـن أَمْرِ الشَّيْنِ(١) والخَجَـلِ
هَـدَمْتَ قَاعِدَةَ المَعْرُوفِ عَن عَجَـلٍ * شَقِيتَ ، مَهْـلًا أَمَا تَمْشِى عَلَى مَهَـلِ
لَهْـفِى ولَهْـفَ بنى الآمَالِ قَاطِبَـةً * عـلى فَجِيعَتِهَـا فى أكـرم الدُّوَلِ
قَدِمْتُ مصـرَ فأَوْلَتْـنى خَلَائِفُهَـا * مِن المَكَارِمِ ما أَرْبَى عَلَى أَمَـلِى
قَوْمٌ عرفتُ لهم كَسْبَ الأُلُوفِ، ومِنْ * كَمَالِهَـا أنهـا جَاءتْ ولم أَسَـلِ
وكُنتُ من وُزَرَاءِ الدَّسْتِ حَيْثُ سَمَا * رَأْسُ الحِصَانِ بِهَـادِيهِ على الكَفَـلِ
ونِلْتُ مِن عُظَمَاءِ الجَيْشِ تَكْرِمَـةً * وخُـلَّةً حُرِسَتْ من عَارِضِ الخَلَـلِ
يا عاذلى فى هـوى أَبْنَـاءِ فَاطِمَـةٍ * لَكَ المَلَامَـةُ إن قَصَّرْتَ فى عَـذَلِى
باللهِ! زُرْ سَاحَةَ القَصْرَيْنِ وَٱبْكِ مَعِى * عَلَيْهِما لا على صِفِّيـنَ والجَمَلِ!
وقُـلْ لأَهْلِيهِمَا : واللهِ مَا ٱلْتَحَمَتْ * فيكم جُـرُوحِى ولا قَـرْحِى بِمُنْـدَمِلِ
ماذا تَـرى كَانَتِ الإِفْـرِنْجُ فَاعِـلَةً * فى نَسْـلِ آلِ أَمِـيرِ المُؤمنينَ عَلِى
[هَلْ كَانَ فى الأَمْرِ شَىْءٌ غيرِ قِسْمَة ما * مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّبْىِ والنَّفَـلِ](٢)

١٠

١٥

(١) فى الخطط للمقريزى "قرع السن" . (٢) الزيادة عن المقريزى . والنكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى (ص ١١٣ طبع أوربا) .

٢٠

وقد حصلتم عليها ، واسمُ جدّكُمُ * محمدٌ وأبوكم خيرُ منتعلِ
مررتُ بالقصرِ والأركانُ خاليةٌ * من الوفودِ ، وكانت قبلةَ القُبَلِ
فملتُ عنها بوجهٍ خوفَ منتقدٍ * من الأعادي ، ووجهُ الودّ لم يَمِلِ
أسبلتُ من أسفي دمعي غداةَ خلت * رحابُكم وغدت مهجورةَ السُّبُلِ
أبكي على مأثُراتٍ من مكارمكم * حالَ الزمانُ عليها وهي لم تَحُلِ ٥
(دارُ الضيافةِ) كانت أُنسَ وافدِكم * واليومَ أوحشُ من رسمٍ ومن طَلَلِ
و(فطرةُ الصومِ) إذ أضحت مكارمُكم ، * تشكو من الدهرِ حيفًا غيرَ محتَمَلِ
و(كسوةُ الناس)في الفصلين قد درست * ورثَّ منها جديدٌ عندهم وبَلِي
وموسمٌ كان في (يومِ الخليجِ) لكم * يأتي تجمُّلُكم فيه على الجَمَلِ
و(أوّلُ العام) و(العيدين) كم لكمُ * فيهنّ من وَبْلِ جودٍ ليس بالوَشَلِ ١٠
والأرضُ تهتزّ في (يوم الغدير) كما * يهتزّ ما بين قصرَيكم من الأَسَلِ
والخيلُ تُعرَضُ في وَشْيٍ وفي شِيَةٍ * مثلَ العرائسِ في حَلْيٍ وفي حُلَلِ
وما حملتم قِرى الأضيافِ من سَعةِ الأطـ * ـباقِ إلا على الأكتافِ والعَجَلِ
وما خصصتُم ببِرٍّ أهلَ ملّتِكم * حتى عممتم به الأقصى من المِلَلِ
كانت رواتبُكم للوافدين وللضيـ * ـفِ المقيمِ والطاري من الرُّسُلِ ١٥
ثم (الطِّرازُ) بتنّيسَ الذي عظُمت * منه الصِّلاتُ لأهلِ الأرضِ والدُّوَلِ
وللجوامعِ من أخماسِكم[1] نِعَمٌ * لمن تصدّرَ في علمٍ وفي عَمَلِ
وربما عادت الدنيا فمعقِلُها * منكم وأضحت بكم محلولةَ العُقَلِ
واللهِ ! لا فاز يومَ الحشرِ مُبغِضُكم * ولا نجا من عذابِ النارِ غيرُ وَلِي
ولا سُقِي الماءَ من حَرٍّ ومن ظمإٍ * من كفِّ خيرِ البرايا خاتمِ الرُّسُلِ ٢٠

(١) في المقريزي والنكت العصرية : " من إحسانكم " وهي أوضح .

[ولَا رأى جنــةَ اللهِ التى خُلِقتْ * مَنْ خان عَهْدَ الإمَامِ العَاضِدِ بن عَلِي] (١)
أئمَّـتِي وهُــدَاتى والذخـيرَةُ لِى * إذا آرتُهِنْتُ بمـا قدَّمْتُ من عَمَـلِ
واللهِ لم نُوفِهِـمْ فى المَدْحِ حَقَّهُـمُ ! * لأنَّ فَضْلَهُـمُ كالوَابِلِ الهَطِـلِ
ولو تَضَاعَفَتِ الأقــوالُ وآستَبَقَتْ * ما كُنْتُ فيهـم بمحــد الله بالخَجِـلِ
٥ بابُ النَّجاةِ ، هُـمُ دُنيَـا وآخِـرَةٌ * وحُبُّهُـمْ فهْوَ أصْـلُ الدِّين والعَمَـلِ
نُـورُ الدُّجى ومَصَابِيحُ الهُـدى وهُمُ * من نُـورِ خالِصِ نُـورِ اللهِ لم يَغِـلِ (٢)
واللهِ لا زُلْتُ عن حُبِّى لهـم أبَدًا * ما أخَّـرَ اللهُ لِى فى مُـدَّةِ الأجَـلِ

قلت : وعُمارة هذا لم يكن على مُعْتَقَدِ الشِّيعَة بل فقيها شافعيًّا، قَدِمَ مصْرَ برسالة عن القاسم بن هاشم بن أبى فليتة أمير مكة إلى الفائز أحد خلفائهم فى سنة خمسين وخمسمائة ١٠ فى وزارة الصالح طلائع بن رُزِّيك ، فأحسنوا له و بالغوا فى بره ، فأقام عنـدهم وتألف بهم ، وأتى فيهم من المـدح بمـا بَهَرَ العقول ، ولم يزل مواليا لهم حتّى زالت دولتهم وآستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فرثاهم بهـذه القصيدة ، فكانت آخر أسباب حتفه ، فصلب فيمن صُلِب بين القصرين من أتباع الدولة الفاطمية .

---

١٥ تم الجـــزء الثـالث

ويليه الجزء الرابع ، وأوّله "الحالة الثالثة من أحوال المملكة ، ما عليـه ترتيب المملكة من آبتداء الدولة الأيو بيـة و إلى زماننا"

(١) الزيادة عن المقريزى والنكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى .
(٢) أصل هذا البيت فى خطط المقريزىّ والنكت العصرية بيتان وهما :
٢٠ نور الدجى ومصابيح الهـدى ومحـل الغيث إن ونت الأنواء فى المحـل
أئمـة خلقوا نـورا فنورهـم * من نور خالص نور الله لم يغل

تراثنا

صبح الأعشى

في

صناعة الإنشا

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي

٨٢١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الرابع

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيلة
بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر – ٩٠١١٨

القاهرة

فهـــــرست

الجـــزء الرابع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحه

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

(تم فهرست الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الخامس

وأوله المقصد الثانى

فى ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه

الحالة الثالثة

من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة

(من ٱبتداء الدولة الأيوبية وإلىٰ زماننا)

وٱعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت علىٰ الدولة الفاطمية وخَلَفتها فى الديار المصرية ، خالفتها فى كثير من ترتيب المملكة ، وغيَّرتْ غالب مَعَالمها ، وجرت علىٰ ما كانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكى بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه ؛ وكان من شأنهم أنهم يلبسون الكلوتات الصُّفر علىٰ رءُوسهم مكشوفةً بغير عمائم ، وذوائبُ شعورهم مُرْخاةٌ تحتها سواء فى ذلك المماليك والأمراء وغيرهم . حتّى يحكىٰ عن الملك المعظم عيسىٰ بن العادل أبى بكر صاحب دِمَشْق فى ٱطِّراح التكلف : أنه كان يلبس الكلوتة الصفراء بلا شاش ، ويخترق الأسواقَ من غير أن يُطَرَّق بين يديه كغيره من الملوك ، وكان سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى حين ملك المَوْصل بعد أبيه أحدث حمل السَّنْجَق علىٰ رأسه ، فتبعه الملوك علىٰ ذلك ، وألزم الأجناد أن يشدّوا السيوف فى أوساطهم ، ويجعلوا الدَّبابيس تحت رُكَبِهم عند الركوب كما حكاه السلطان عماد الدين صاحب حَمَاة فى تاريخه .

فلمـا ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمـه الله الديار المصرية، جرىٰ علىٰ هـذا المنهج أو ما قاربه، وجاءت الدولة التركيـة ، وقد تنقحت المملكة وترتبت ، فأخذت فى الزيادة فى تحسين الترتيب وتنضـيد الملك وقيام أبهته، ونقلت عن كل مملكة أحسنَ ما فيهـا ، فسلكت سبيلَه ونسجتْ علىٰ منواله حتى تهذّبتْ وترتبت أحسنَ ترتيب ، وفاقت سائرَ الممالك ،وفَخَر مَالِكُها علىٰ سائر المُلوك .

ولم يزل السلطان والجُنْد يلبسون الكلوتة الصفراء بغير عمامة إلىٰ أن وَلِيَ السلطانُ "الملك الأشرف خليل" بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطنةَ ، فأحدث الشاش عليها فجاءت فى نهاية من الحسن ، وصاروا يلبسونها فوق الذوائب الشـعر المُرْخاة علىٰ ما كان عليه الأمر أولا إلىٰ أن حَجَّ السلطانُ الملك النـاصر محمد آبن قلاوون فى سلطنته الثالثة ، فحلق رأسـه وحلق الناسُ رءُوسهم ، وآستـداموا حلق رءُوسهم وتركَتْ ذوائب الشعر إلىٰ الآن .

ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد .

المقصـــد الأول

(فى ذكر رسوم الملك وآلاته ، وهو أنواع كثيرة ، بعضها عامّ فى الملوك أو أكثرهم ، وبعضها خاصّ بهذه المملكة)

منها ــ (سرير الملك) ويقال له تخت الملك . وهو من الأمور العـامة للملوك ، وقد تقدّم أن أول من آتخذ مرتبة للجلوس عليها فى الإسـلام معاويةُ رضى الله عنه حين بَدَّنَ ، ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده فى الإسلام فى ذلك حتى آتخذوا الأَسِرَّةَ ، وكانت أسِرَّةُ خلفاء بنى العبّـاس ببغداد يبلغ علوّها نحوَ سـبعة أذرع . وهو فى هذه المملكة منبر من رُخَام بصَـدْر إيوان السلطان الذى يجلس فيه ، وهو علىٰ هيئة منابر

الجوامع إلا أنه مستند إلىٰ الحائط ، وهذا المِنْـبَرُ يجلس عليه السلطان فى يوم مُهِمٍّ كقدوم رُسُل عليه ونحو ذلك ، وفى سائر الأيام يجلس علىٰ كرسىّ من خشب مغشّى بالحرير، إذا أرخىٰ رجليـه كادتا أن تَلْحقا الأرض، وفى داخل قصوره يجلس على كرسىّ صغير من حديد يحمل معه إلىٰ حيث يجلس .

ومنها ــ (المقصورة) للصلاة فى الجامع . وقد تقدّم فى الكلام علىٰ ترتيب الخلافة أن أوّل مَن آتخذها فى الإسلام معاويةُ ، وقد صارت سُنَّةً لملوك الإسلام بعد ذلك تمييزا للسلطان عن غيره من الرعية ، وهى فى هذه المملكة مَقْصُورَةٌ بجامع قلعة الجبل علىٰ القرب من المِنْبَرِ متَّخذةٌ من شِـبَّاك حديد محكمة الصنعة ، يصـلِّى فيها السلطان ومَنْ معه من أخصاء خاصكيته يوم الجمعة .

ومنها ــ (نَقْشُ آسم السلطان) علىٰ مايُنْسَـجُ ويُرْقَمُ من الكُسْوة والطُّرُزِ المتخذة من الحرير أو الذهب بلون مخالف للون القماش أو الطرز لتصـير الثياب والطُّرُز السـلطانية مميَّزة عن غيرها ، تنويها بقدر لابسها : من السلطان أو مَنْ يُشَرِّفُهُ بلبسها عنـد ولاية وظيفة أو إنعـام أو غير ذلك . ولذلك دارٌ مفردة بعمله بالإسْكَنْدَرِيَّةِ تعرفُ بدار الطِّراز، وعلىٰ ذلك كانت خلفاء الدولتين : بنى أُمَيَّةَ وبنى العبّـاس حين كانت الخلافة قائمة .

ومنها ــ (الغاشِيَة) . وهى غاشية سرج من أديم مخروزةٌ بالذهب، يَخَالُها الناظر جميعَها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه عند الركوب فى المواكب الحَفِلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الرِّكَابدارِيَّة ، رافعا لها علىٰ يديه يلفتها يمينا وشمالا ، وهى من خواص هذه المملكة .

ومنها ــ (المِظَلَّة) . ويعبر عنها بالجِتْر (بجيم مكسورة، قد تبدل شينا معجمة، وتاء مثناة فوق)؛ وهى قُبَّةٌ من حرير أصفر مزركش بالذهب ، علىٰ أعلاها طائرٌ من فِضَّة

مَطْلِيَّة بالذهب، تحمل علىٰ رأسه فى العيدين . وهى من بَقايا الدولة الفاطمية، وقد تقدّم الكلام عليها مبسوطا فى الكلام علىٰ ترتيب مملكتهم .

ومنها — (الرَّقبة) . وهى رقبة من أطلس أصفر مزركشةٌ بالذهب بحيث لا يرىٰ الأطلسُ لتراكم الذهب عليها، تجعل علىٰ رقبة الفرس فى العيدين والميادين من تحت أذنى الفرس إلىٰ نهاية عُرْفه، وهى من خواصّ هذه المملكة .

ومنها — (الجفتة) . وهما آثنان من أوشاقية إصطبله قريبان فى السنّ، عليهما قَباءان أصفران من حرير بطراز من زَرْكَش، وعلىٰ رأسيهما قُبَّعَتَان من زركش، وتحتهما فرسان أشهبان برقبتين وعُدّة، نظير ما السلطان راكب به كأنهما معدّان لأن يركبهما، يركبان أمامه فى أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكُرة فى الميدان الكبير ونحو ذلك؛ وهما من خواصّ هذه المملكة .

ومنها — (الأعلام) . وهى عدّة رايات، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرّزة بالذهب، عليها ألقاب السلطان وآسمه، وتسمّى العِصَابة؛ وراية عظيمة فى رأسها خُصْلة من الشعر تسمّى الجاليش؛ ورايات صُفْر صغار تسمّى السَّناجق .

قال السلطان عماد الدين صاحب حَماة فى تاريخه : وأوّل من حُمِلَ السنجق علىٰ رأسه من الملوك فى ركوبه غازى بن زنكى، وهو أخو السلطان نور الدين محمود آبن زنكى صاحب الشام .

ومنها — (الطبلخاناه) . وهى طبول متعدّدة معها أبواق وزمر[1] تختلف أصواتها علىٰ إيقاع مخصوص، تُدَقّ فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صحبة الطلب فى الأسفار والحروب، وهى من الآلات العامّة لجميع الملوك . ويقال إن الإسْكَنْدَرَ

(١) لعله و زَمّارات .

كان معه أربعون حِملا طبلخاناه ، وقد كتب أرسطو فى "كتاب السياسة" الذى كتبه للإسكندر أن السرّ فى ذلك إرهابُ العدوّ فى الحرب . والذى ذهب إليه بعض المحققين أن السرّ فى ذلك أن فى أصواتها تهييجا للنفس عند الحرب وتقويةَ الجأش كما تنفعل الإبل بالحُدَاء ونحو ذلك .

ومنها — (الكوسات) . وهى صُنُوجات من نُحاس شبه التُّرس الصغير ، يُدَقّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ، ومع ذلك طبولٌ وشَبَّابة ، يدق بها مرتين فى القلعة فى كل ليلة ، ويُدَارُ بها فى جوانبها مرةً بعد العشاء الآخرة ، ومرةً قبل التسبيح على المواذن[1] ، وتسمّى الدَّوْرة بذلك فى القلعة ، وكذلك إذا كان السلطان فى السفر تدور حول خيامه .

ومنها — (الخيام والقَساطيط) فى الأسفار . ولهذا السلطان من ذلك المَدَد الكبير ، تُتخذ له الخيام العظيمةُ الشأنِ المختلفةُ المقاديرِ والصنعة من القطن الشامىّ الملوّن بالأبيض والأحمر والأزرق وغيرها ، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان مما يُدهِش بحسنه العقولَ : لينوب مَنَاب قصورهم فى الإقامة ، وسيأتى ذكر أمور أخرى من آلات الملك سوى ما تقدّم منفردة فى أماكنها إن شاء الله تعالى .

المقصد الثانى

(فى حواصل السلطان ، وهى على أربعة أنواع[2])

النوع الأوّل

(الحواصل المعبَّر عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناه كالطشت خاناه ، والشراب خاناه

---

(١) صوابه المآذن وكثيرا ما يجارى لغة العامة .

(٢) يظهر أن هذا التنويع من الناسخ فإنه فى الضوء لم يذكر التنويع وإنما قسم الحواصل الى البيوت الثمانية فقط ثم أتبعها بالمقصد الثالث .

ونحوهما، وخاناه لفظ فارسىّ معناه البيت، والمعنىٰ بيت كذا إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه علىٰ عادة العجم فى ذلك، وهى ثمـانية بيوت .

الأول ـ (الشَّرابخاناه) . ومعناها بيت الشراب، وتشتمل علىٰ أنواع الأشربة المُرْصَدَة لخاصّ السلطان، والمشروب الخاص من السكر والأَقْسِما وغير ذلك ، وفيها يكون السكر المخصوص بالمشروب، وبها الأوانى النفيســةُ من الصِّينىّ الفـاخر من اللَّازَوَرْدِىّ وغيره مما تساوِى السُّكُرُّجة الواحدة اللطيفة منه ألفَ درهم فـا حوله . ووظيفة الشادّ بها تكون لأمير من أكابر أمراء المِئِين الخاصكية المؤتمنين ، ولهـا مِهْتار يعرف بمهتار الشرابخاناه متسلمٌ لحواصلها،له مكانة علية، وتحت يده غِلْمَانٌ عنده برسم الخِدْمة ، يُطْلَق علىٰ كل منهم شَراب دار، وسيأتى فى الكلام علىٰ الألقاب فى المقالة الثالثة معنىٰ الإضافة إلىٰ الدار فى ذلك ونحوه .

الثـانى ـ (الطِّشْتَخَانَاهْ) . ومعناه بيت الطشت، سميت بذلك لأنّ فيها يكون الطِّشْت الذى تغسل فيــه الأيدى والطِّشْت الذى يُغسَّل فيــه القماش ، وقد غلب عليهم آستعمال لفظ الطشت بشين معجمة مع كسر الطاء، وصوابه بالسين المهملة مع فتح الطاء، وأصله طَسٌّ بسين مشدّدة فأبدلت من إحدىٰ السينين تاء للآستثقال . فإذا جُمِــع أو صُغِّرَ، ردّت السين إلىٰ أصلها ، فيقال فى الجمع طسَاس وطُسُوس ، وفى التصغير طُسَيس . قال الجوهرىّ : ويقال فيه أيضا طَسَّة ويجمع علىٰ طَسَّات، والناس الآن يقولون طاسة ويجمعونه علىٰ طاسات ، ويجعلون الطِّسْتَ آسمـا لنوع خاص، والطاسةَ آسمـا لنوع خاص .

وفى الطِّشْتَخاناه يكون ما يلبسه السلطان من الكلوتة والأقبية وسائر الثياب والسيف والخُفّ والسُّرموزة وغير ذلك .

وفيها يكون مايجلس عليه السلطان من المَقاعد والمَخادّ والسَّجّادات التى يصلّى عليها وما شاكل ذلك، ولها أيضا مِهْتارٌ من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطِّشْتَخاناه، وتحت يديه عدّة غِلْمَانٍ بعضهم يعرفون بالطشتدارية، وبعضهم يعرف بالرختوانية . وله التحدث فى تفرقة اللحم على المماليك السلطانية من الحوائجخاناه وإقامة قُبَّاض اللحم، ويطلق على كلٍّ من غلمان الطشتخاناه وقباض اللحم بَابَا، وهى لفظة رومية بمعنى الأب، أطلقوها على مهتار الطِّشْتَخاناه تعظيما له، ثم غلبت على من عداه، ولغلمانها دُرْبَةٌ بترتيب الأحمال التى تحمل على ظهور البغال للزينة فى المواكب العظيمة ونحوها، يأتون فيها من بديع الصَّنْعة والتعاليق الغريبة بكل عجيب، وهم يتباهَوْن بذلك، ويسامِى بعضهم بعضا فيه .

الثالث ـ (الفِرَاشخاناه) . ومعناها بيت الفِرَاش، وتشتمل على أنواع الفَرْش من البُسُط والخيام، ولها مِهْتار يعرف بمهتار الفراشخاناه، وتحت يده جماعة من الغِلْمان مستكثَرة مرصَدُون للخدمة فيها فى السفر والحَضَر يعبر عنهم بالفرّاشين، وهم من أمْهَرِ الغلمان وأنْهَضِهِمْ، ولهم دُرْبَةٌ عظيمة فى نَصْب الخيام حتّى إن الواحد منهم ربما أقام الخَيْمة العظيمة ونصبها وحده بغير معاون له فى ذلك، ولهم معرفة تامة بشدّ الأحمال التى تحمل فى المواكب على ظهور البغال، يبلغ الحمل منها نحوَ خمسة عشرة ذراعا .

الرابع ـ (السِّلاحخاناه) . ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزَّرَدْخاناه ومعناها بيت الزَّرَد لما فيها من الدروع الزَّرَد، وتشتمل على أنواع السلاح: من السيوف، والقِسِىّ العربية، والنُّشَّاب، والرماح، والدروع المتخذة من الزرد المانع، والقرقلات المتخذة من صفائح الحديد المُغَشَّاة بالديباج الأحمر والأصفر، وغير ذلك

من الأطبــار وسائرأنواع الســلاح ، ويقلُّ بها قسيّ الرِّجْل والرِّكاب لعدم معاناتها بالديار المصرية ، وإنما تكثر بالثغور كالإسْكَنْدَرِيَّةِ وغيرها، وفي كلى سنة يحمل إليها مايعمل بخزائن السلاح من الأسلحة ، يجعل علىٰ رءُوس الحَمّالين ويُزَفُّ إلىٰ القلعة ويكون يوما مشهودا ، وفي هــذه السلاح‌خاناه من الصُّنّاع المقيمين بها لإصلاح العُدَد وتجديد المستعملات جمــاعة كثيرة ، ويسمّى صــانع ذلك الزردكاش ، وهي لفظة عجمية وكأن معناها صانع الزرد ، ولهــا غِلْمان أخرىٰ وفرّاشون بسبب خدمة القُماش وآفتقاده .

الخامس ـ (الرِّكاب‌خاناه) . ومعناها بيت الركاب، وتشــتمل علىٰ عُدَد الخيل مــن السروج ، واللجم ، والكَنَابيش ، وعى المراكيب ، والعبي الإصطبليات ، والأجلال، والمَخَالى وغيرذلك من الأصناف التي يطول ذكرها ، وفيها من السُّروج المَغشّاة بالذهب والفضة المطلية والساذجَة والكَنَابيش المتخَذة من الذهب المزركش المَزَهّرة بالريش،وغيرالمزهرة،والعبي المُتَّخذة من الحرير وصوف السهك(١)، وغير ذلك من نفائس العُدَد والمراكيب ما يحير العقول ويُذْهِش البصر، ممــا لا يقدر علىٰ مثله إلا عظماء الملوك . ولهــا مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه بمهتار الركاب‌خاناه، وتحت يده رجال لمعاضَدته علىٰ ذلك .

الســادس ـ (الحوائج‌خاناه) . ومعنــاها بيت الحوائج ، وليست علىٰ هيئــة البيوت المتقدّمة مشتملةً علىٰ حاصل معيَّن ، وإنمــا لهــا جهة تحت يد الوزير منها يصرف اللّحم الراتب للطبخ السلطانيّ والدور السلطانية ورواتب الأمراء والممــاليك الســلطانية وسائر الجنــد والمتعمّمين ، وغيرهم مــن أرباب الرواتب الذين تملأ

(١) لم نعثر علىٰ حيوان بهذا الأسم ولعله مصحف عن السمند .

أسماؤهم الدفاتر، وكذلك تَوَابلُ الطعام للطبخ السلطانىّ والدور السلطانية ، ومن له تَوابلُ مرتَّبة من الأمراء وغيرهم ، والزيت للوقود ، والحبوب ، وغير ذلك من الأصناف المتعدّدة ، ولها مباشرون منفردون بها يضْبِطون أسماء أرباب المستحَقَّات ومقاديرَ آستحقاقهم ، وهى من أوسع جهات الصرف حتّى إن ثمن اللحم وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم فى كل يوم خارجا عما عداه من الأصناف، وربما زاد على ذلك .

السابع — (المَطْبَخ). وهو الذى يُطْبَخ فيه طعام السلطان الراتب فى الغَدَاء والعَشَاء والطارئ فى الليل والنهار والأسمطة التى تمدّ بالإيوان الكبير بدار العدل فى أيام المواكب ، ويحمل إليه اللّحم والتوابل وسائر الأصناف من الحوائجخاناه المتقدّمة الذكر بقدر معلوم مرتب؛ يُستهلَك فيه فى كل يوم قناطير مقنطرة من اللحم والدَّجاج والإوَزّ والأطعمة الفاخرة؛ وله أمير من الأمراء يحكم عليه يسمّى أستادار الصحبة وتحت يده آخر يعبر عنه بالمُشْرِف؛ وله طَبَّاخ كبير معتبر يعبر عنه باسباسلار .

الثامن — (الطبلخاناه) . ومعناه بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات ؛ ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير عَلَم ، يقف عليها عند ضربها فى كل ليلة، ويتولّى أمرها فى السَّفَر؛ ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه؛ وله رجال تحت يده ما بين دبندار : وهو الذى يضرب على الطبل، ومُنَفِّر وهو الذى يضرب بالبوق، وكُوسىٌّ ، وهو الذى يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض وغير أولئك من الصُّنَّاع .

المقصـــد الثـالث

(فى ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب الذين بهم آنتظام المملكة
وقيام المُلْك، وهم علىٰ أربعة أضرب)

الضـــرب الأوّل

(أرباب السيوف؛ والنظر فيهم من وجهين)

الوجـــه الأوّل

(مراتبهم علىٰ سبيل الإجمال؛ وهى علىٰ نوعين)

النـــوع الأوّل

(الأمراء؛ وهم علىٰ أربع طبقات)

الطبقة الأولىٰ ـ أمراء المِئِين مقدّمو الألوف ، وعدّة كل منهم مائة فارس .

قال فى "مسالك الأبصـار" : وربمـا زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ؛ وله التَّقْدِمَةُ علىٰ ألف فارس ممن دونه من الأمراء ، وهذه الطبقة هى أعلىٰ مراتب الأمراء علىٰ تقارب درجاتهم ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنوّاب . ثم الذى كان آستقرّ عليـه قاعدة المملكة فى الروك النـاصرى محمد بن قلاوون ، وما بعده إلىٰ آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، أن يكون بالديار المصرية أربعة وعشرون مقدّما ، ولمـا آستجدّ فى الدولة الظاهرية الديوانُ المفْرَد لخاص السـلطان وأفرد له عدّة كثيرة من المماليك السـلطانية والمستخدمين ، نقصت عِدّة المقدّمين عما كانت عليه ، وصارت دائرةً بين الثمـانية عشر والعشرين مقدّما بمـا فى ذلك من نائب الإسْكَنْدَرِيَّةِ وناثبى الوجهين : القبلىّ والبحرىّ .

الطبقة الثانية — أمراء الطبلخاناه ، وعدّة كل منهم فى الغالب أربعون فارسا .

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد يزيد بعضهم علىٰ ذلك إلىٰ سبعين فارسا ، بل ذكر فى "التعريف" فى أواخر المكاتبات أنه يكون للواحد منهم ثمانون فارسا . قال فى "مسالك الأبصار" : ولاتكون الطبلخاناه لأقل من أربعين ، وهذه الطبقة لاضابط لعدّة أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص لأنه مهما فرقت إمرة الطبلخاناه فجعلت إمرتى عشرين أو أربع عشرات ، أوضم بعض العشرات ونحوها إلىٰ بعض وجعلت (١) طبلخاناه ، ومن أمراء الطبلخاناه تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكُشّاف بالأعمال ، وأكابر الولاة .

الطبقة الثالثة — أمراء العشرات ، وعدّة كل منهم عشرة فوارس . قال فى "مسالك الأبصار" : وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعدّ إلا فى أمراء العشرات ، وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدد أمرائها بل تزيد وتنقص كما تقدّم فى الكلام علىٰ أمراء الطبلخاناه ، ومن هذه الطبقة يكون صغار الوُلّاة ونحوهم من أرباب الوظائف .

الطبقة الرابعة — أمراء الخَمْسات . وهم أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية ، وأكثر مايقع ذلك فى أولاد الأمراء المندرجين بالوفاة رعايةً لسَلَفِهم ، وهم فى الحقيقة كأكابر الأجناد .

النوع الثانى

(الأجناد ، وهم علىٰ طبقتين)

الطبقة الأولىٰ — المماليك السلطانية . وهم أعظم الأجناد شأنا ، وأرفعُهم قدرا ، وأشدّهم إلىٰ السلطان قُرْبا ، وأوفرُهم إقطاعا ؛ ومنهم تؤمَّر الأمراء رتبة بعد رتبة ،

(١) لعل الواو زائدة .

وهم فى العِدّة بحسب ما يُؤْثِره السـلطان من الكثرة والقـلّة ، وقد كان لهم فى زمن السـلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم فى أيام السـلطان الملك الظاهر برقوق العَدَد الجَمُّ والمَدَدُ الوافر لطول مُدَّة ملكهما وآعتنائهما بجلب المماليك ومشتراها .

الطبقة الثانية ـ أجناد الحَلْقة . وهم عدد جَمٌّ وخلق كثير، وربمـا دخل فيهم من ليس بصـفة الجند من المتعمّمين وغيرهم ، بواسـطة النزول عن الإقطاعات ، وقد جرت عادة ديوان الجيش بعدم الجمع على الجند كى لا يُحاط بعدّته ويطلع إليه . قال فى "مسالك الأبصار" : ولكل أربعين نفسا منهم مقدّم منهم، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت مواقفهم معه، وترتيبهم فى موقفهم إليه . ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحولَ دهاليز السلطان فى السفر كالحَرَس ، وأوّل من رتبهم وسماهم بهذا الآسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب .

الوجـــــــه الثـانى

(فى ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدّم ذكرهم، وهم على نوعين)

النـــــوع الأوّل

(من هو بحضرة السلطان ، وهى خمسة وعشرون وظيفة)

الأولى ـ النِّيابة . ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ،وكافل الممالك الإسلامية . قال فى "التعريف" : وهو يحكُمُ فى كل ما يحكم فيه السـلطان ويُعَلِّمُ فى التقاليـد والتواقيع والمناشير،وغير ذلك ممـا هو من هذا النوع على كل ما يُعَلِّمُ عليه السلطان، وسائر النوّاب لا يُعلِمُ الرجل منهم إلا على ما يتعلّق بخاصة نيابته . قال : وهذه رتبة

لا يخفىٰ ما فيها من التمييز . قال فى "مسالك الأبصار" : وجميع نواب الممالك تكاتبه فيما تُكاتَب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يُراجَع السلطان، ويستخدم الجُنْدَ من غير مشاورة السلطان، ويعيِّن أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السر، وقل أن لا يجاب فيمن يُعيِّنه؛ وهو سلطانٌ مختصر بل هو السلطان الثانى . وعادته أن يركب بالعسكر فى أيام المواكب وينزل الجميعُ فى خدمته . فإذا مثل فى حضرة السلطان، وقف فى ركن الإيوان . فإذا آنقضت الخدمة، خرج إلىٰ دار النيابة بالقلعة والأمراءُ معه ويجلس جلوسا عاما للناس، ويحضُره أرباب الوظائف، ويقف قدامه الحُجّاب، وتقرأ عليه القِصَصُ، ثم يَمُدُّ السماطَ للأمراء كما يمدّ لهم السلطان فيأكلون وينصرفون . وإذا كانت النيابة قائمة علىٰ هذه الصورة، لم يكن السلطان يتصدّىٰ لقراءة القِصص، وسماع الشّكاوىٰ بنفسه، ويأمر فى ذلك بما يرىٰ من كتابة مثال ونحوه، ولكنه لا يستبدّ بما يكتب من الأبواب السلطانية بنفسه بل يكتب بإشارته وينبه علىٰ ذلك، وتشمله العلامة الشريفة بعد ذلك .

أمّا ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمةٌ إلا عنده ولا آجتماعٌ إلا به، ولا آجتماع لهم بالسلطان فى أمر من الأمور، وما كان من الأمور المُعْضِلةِ التى لابدّ من إحاطة علم السلطان بها فإنه يُعْلمه بها تارة بنفسه وتارة بمن يرسله إليه . هذا آخر كلامه فى "المسالك" غير أن هذا النائب تارة يُنَصَّب وتارة يُعَطَّلُ جِيدُ المملكة منه؛ وعلىٰ هذا كان الحال فى الأيام الناصرية آبن قلاوون تارة وتارة وكذا الحال فى زماننا . وإذا كان منتصبا، آختُصَّ بإخراج بعض الإقطاعات دون بعض، ويكون صاحب ديوان الجيش هو الملازم له وناظر الجيش ملازم السلطان .

قال فى "التعريف" : أمّا نائب الغَيْبة : وهو الذى يترك[1] إذا غاب السلطان

(١) كذا فى الضوء أيضا ومراده يترك وشأنه فى الحكم .

والنائب الكافل، وليس إلا لإخماد الثوائر وخلاص الحقوق، فحكمه فى رسم الكتابة إليه رسم مثله من الأمراء .

الثانية — الأَتابكيَّة . ويعبر عن صاحبها بأتابك العساكر . قال السلطان عماد الدين فى "تاريخه" : وأصله أطابك ومعناه الولد الأمير، وأوّل من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السَّلْجوقىّ حين فوض إليه ملكشاه تدبيرَ المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة، ولقبه بألقاب منها هذا؛ وقيل أطابك معناه أمير أب، والمراد أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدّمين بعد النائب الكافل، وليس له وظيفة ترجع إلىٰ حكم وأمر ونهى، وغايته رِفْعَةُ المَحَلِّ وعلو المقام .

الثالثة — وظيفة رأس نَوْبة . وموضوعها الحكم علىٰ المماليك السلطانية والأخذُ علىٰ أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحدٌ مقدّم ألف وثلاثةٌ طبلخاناه .

الرابعة — إمرة مجلس . وموضوعها (١) وهو يتحدّث علىٰ الأطباء والكحّالين، ومَنْ شاكلهم، ولا يكون إلا واحدا .

الخامسة — إمرة سلاح . وأصل موضوعها حمل السلاح للسلطان فى المجامع الجامعة، وصاحبها هو المقدّم علىٰ السِّلاحدارية من المماليك السلطانية والمتحدّث فى السلاحخاناه السلطانية ، وما يُستعمل لها ويقدّم إليها ، ولا يكون إلا واحدا من الأمراء المقدّمين .

السادسة — إمرة أخورية . وموضوعها التحدّث علىٰ إصطبل السلطان وخيوله، وعادتها مقدّم ألف يكون متحدّثا فيها حديثا عاما، وهو الذى يكون ساكنا

---

(١) بياض بالأصل ولعله وموضوعها تولّى أمور مجلس السلطان .

بإصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخاناه . أما أمراء العشرات والجند، فغير محصورين .

السابعة — الدَّوَادارِيَّة . قال فى "مسالك الأبصار" : وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامّة الأمور، وتقديم القِصَص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديمُ البريد، هو وأمير جاندار وكاتب السر، ويأخذ الخط على عامّة المناشير والتواقيع والكُتُب . وإذا خرج عن السلطان بكتابة شىء بمرسوم، حمل رسالته وعينت فيما يكتب ، وسيأتى بيان ذلك فيما يكتب بالرسائل فى الكلام على قوانين ديوان الإنشاء إن شاء الله تعالى .

وفى هـذه الوظيفة عدّةٌ من الأمراء والجُنْد ، وقد كانت فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وما تلاها ليس فيها أميرٌ مقدّم ألف ، ثم آل الأمر إلى أن صار الأعلى منهم مقدّمَ ألف ، ونائبه طبلخاناه . وأول من آستقرّ فى وظيفة الدّوادارية من الأمراء الألوف طغيتمر النجمى فى الدولة الناصرية حسن، ثم صار غالب من يليها ألوف، وربما كان طبلخاناه أحيانا .

الثامنة — الحُجُوبِيَّة . قال فى "مسالك الأبصار" : وموضوعها أن صاحبها يُنصفُ بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم مَنْ يعرض ومَنْ يرد، وعَرْضُ الجند وما ناسب ذلك؛ والذى جرت به العادة خمسة حُجّاب ، آثنان من مقدّمى الألوف : وهما حاجب الحُجّاب[1] هو المشار إليه من الباب الشريف ، والقائم مقام النائب فى كثير من الأمور . وآعلم أن هذا الآسم أول ما حدث فى الدولة الأُمَوِيَّة فى خلافة عبد الملك بن مَرْوَانَ، وكان موضوعها إذ ذاك تَحَجُّبَ السلطان عن العامّة، ويُغْلِق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره فى مواقيته،

(١) فى الكلام سقط ظاهر ولعل الأصل "حاجب الحجاب ونائبه وحاجب الحجاب هو الخ" تأمل .

ثم تبعهُم بنو العبَّاس علىٰ ذلك . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أنه كان للقتدر سبعمائة حاجب . هذا وكانت الخلافة قد أخذت فى الضعف، وهو خلاف موضوعها الآن، وفيها بمالك المغرب معانٍ أخرىٰ يأتى ذكرها عند الكلام علىٰ ممالكها إن شاء الله تعالىٰ .

التاسعة ـ إمرة جاندار . وموضوعها أن صاحبها يستأذن علىٰ دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلىٰ الديوان . قال فى "مسالك الأبصار" : ويقدّم البريدَ مع الدّوادار وكاتب السر . قال : وصاحبها كالمتسلم للباب، وله به البرددارية وطوائف الركابية والخازندارية . وإذا أراد السلطان تعزير أحد أو قتله كان ذلك علىٰ يد صاحب هذه الوظيفة، وهو المتسلم للزَّرَدْخاناه التى هى أرفع قدرا فى الاعتقالات، ولا تطول مدّة المعتقَل بها، بل إمّا يعجل بتخلية سبيله أو إتلاف نفسه ؛ وصاحب هذه الوظيفة هو الذى يطوف بالزّفّة حول السلطان فى سفره، وقد جرت العادة أن يكون فيها أميران : مقدّم ألف، وطبلخاناه، والمشار إليه هو المقدّم .

العاشرة ـ الاستاداريّة . قال فى "مسالك الأبصار" : وموضوعها التحدّث فى أمر بيوت السلطان كلها من المَطابخ والشّراب‌خاناه والحاشية والغِلْمان، وهو الذى يمشى بطلب السلطان، ويحكم فى غِلمانه وباب داره، وإليه أمر الجاشنكيرية، وإن كان كبيرُهم نظيرَه فى الإمرة من ذوى المِئين ، وله حديثٌ مطلق وتصرف تامٌّ فى آستدعاء ما يحتاجه كلُّ مَنْ فى بيت السلطان من النفقات والكساوى(١) وما يجرى مجرىٰ ذلك للماليك وغيرهم . وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة : واحد مقدّم ألف وثلاثة طبلخاناه، وربمـا نقصُوا عن ذلك .

---

(١) جمع الكسوة كُسًا وكِسَاءٌ . فما فى الاصل جارعلىٰ اصطلاح العامة .

الحادية عشرةَ ـ الجاشنكيريّة . وموضوعها التحدّثُ فى أمر السِّماط مع الاستادار على ما تقدّمت الإشارة إليه ، ويقف على السِّماط مع أستادار الصحبة ، وأكبرهم يكون من الأمراء المقدّمين .

الثانيةَ عشرةَ ـ الخازندارية . وموضوعها التحدّث فى خزائن الأموال السلطانية من نَقْد وقُمَاش وغير ذلك ، وكانت عادتها طبلخاناه ، ثم آستقرت تقدمة ألف ، ويطالبه فى حساب ذلك ناظرُ الخاصّ الآتى ذكره .

الثالثة عشرة ـ شَدّ الشراب‌خاناه . وموضوعها التحدّث فى أمر الشراب‌خاناه السلطانيـة وما حمل إليهـا من السُّكَّر والمشروب والفواكه وغير ذلك ، وتارة يكون مقدّما، وتارة يكون طبلخاناه .

الرابعةَ عشرةَ ـ أستادارية الصحبة . وموضوعها التحدّث على المَطْبَخ السلطانىّ والإشراف على الطعام والمشى أمامه والوقوف على السِّماط ،والعادة أن يكون صاحبها أمير عشرة .

الخامسةَ عشرةَ ـ تقدمة المماليك . وموضوعها التحدّث على المماليك السلطانية والحكم فيهم، ولا يكون صاحبها إلا من الخدّام ،والعادة أن تكون إمرة طبلخاناه، وله نائب أمير عشرة .

السادسةَ عشرةَ ـ زِمَامية الدور السلطانية . وصاحبها من أكبر الخدّام ، وهو المعبر عنه بالزِّمَام ،وعادته أن يكون أمير طبلخاناه .

السابعة عشرة ـ نِقَابة الجيوش . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى موضوعة لتحلية الجند فى عرضهم ، ومعه يمشى النُّقَباء . وإذا طلب السلطان أو النائب

أو الحاجب أميرا أو غيره، أحضره . قال : وهو كأحد الحُجّاب الصغار، وله التطلب بالحراسة فى الموكب والسفر .

الثامنةَ عشرةَ ــ المهمندارية . وموضوعها تَلَقِّى الرسل الواردين وأمراء العُرْبان وغيرهم ممن يردُ من أهل المملكة وغيرها .

التاسعة عشرة ــ شَــدّ الدواوين . وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متحدّثا فى آستخلاص الأموال، وما فى معنىٰ ذلك، وعادتها إمرة عشرة .

العشرون ــ إمرة طَبَر . وموضوعها أن يكون صاحبها حاملا الطَّبَر فى المواكب، ويحكم علىٰ مَنْ دونه من الطَّبَردارية، وعادتها إمرة عشرة أيضا .

الحــادية والعشرون ــ إمرة عَلَم . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدّثا علىٰ الطبلخاناه السلطانية وأهلها، متصرفا فى أمرها، وعادتها إمرة عشرة .

الثــانية والعشرون ــ إمرة شكار . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدّثا فى الجوارح السلطانية من الطُّيور وغيرها والصُّيود السلطانية وأحواش الطيور وغيرها، وهى إمرة عشرة .

الثالثة والعشرون ــ حِراســة الطير . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدّثا علىٰ حراسة الطيور من الكَرَاكِىّ التى هى بصدد أن يصيدها السلطان فى الأماكن التى تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها، وهى إمرة عشرة .

الرابعة والعشرون ــ شدّ العمائر . وموضوعها أن يكون صاحبها متكلما فى العمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار، وهى إمرة عشرة .

الخامسة والعشرون ــ الولاية . والوُلَاة بالحاضرة علىٰ صنفين .

الصنف الأوّل

(وُلَاة الشُّرْطة، المعروفون فى الديار المصرية بوُلاة الحرب؛ وهم ثلاثة، بالقاهرة، والفُسْطَاط المعروف بمصر، والقَرَافة)

فأما والِى القاهرة، فيحكم فى القاهرة وضواحيها، وهو أكبر الثلاثة وأعلاهم رتبةً؛ وعادته إمرة طبلخاناه.

وأما والِى الفسطاط، فيحكم فى خاصّة مصر علىٰ نظير ما يحكم والِى القاهرة فى بلده؛ وعادته إمرة عشرة.

وأما والِى القرافة، فيحكم فى القرافة التى هى تُرْبة هاتين المدينتين بمراجعة والِى مصر؛ وعادته إمرة عشرة. وقد أضيفت الآن القرافة إلىٰ مصر، وصارت ولاية واحدة وجعلت إمرة طبلخاناه ولكنها لاتبلغ شأو القاهرة.

الصنف الثانى

(وُلَاة القَلْعة، وهم اثنان)

أحدهما — والِى القلعة، وهو أمير طبلخاناه، وله التحدّث علىٰ باب القلعة الكبير الذى منه طلوع عامّة العسكر ونزولهم فى الفتح والغلق ونحو ذلك.

الثانى — والِى باب القلة، وهو أمير عشرة، وله التحدّث علىٰ الباب المذكور وأهله كما لوالى القلعة التحدّث علىٰ الباب الكبير المتقدّم ذكره.

النـــــوع الثـانى

(ماهو خارج عن الحضرة السلطانية، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(نُوّاب الســـلطنة)

والذى بمصر الآن ثلاثُ نيابات ، جميعها مستحدثة عن قُرْب .

الأولى ــ نيابةُ الإسكندرية . وهى نيابة جليـلة تُضاهى نيابةَ طَرَابُلُس وحماةَ وصَـفَدَ من المملكة الشامية الآتى ذكرها ، وبها كرسىّ سلطنةٍ ونمجاه سلطانية توضع على الكرسىّ ، ونائبها من الأمراء المقدّمين يركَبُ فى المواكب بالشبّابة السلطانية ، ومعه أجنادِ الحَلْقَةِ المرتَّبون بها ، ويخرج فى موكبه إلى ظاهر الإسْكَنْدَرِيَّةِ خارجَ باب البحر، ويجتمع إليه الأمراء المسيَّرون بها هناك ،ثم يعود وهم معه إلى دار النيابة ، ويُمَدّ السماط السلطانىّ ، ويأكل عليه الأمراء والأجناد، ويحضره القضاة ، وتقرأ القِصَص على عادة النيابات ثم ينصرفون .

وكان ٱبتـداء ترتيب هذه النيابة فى سنة سبع وستين وسبعمائة فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طَرقَ العـدوُّ المخذول من الفرنج الإسكندريةَ وفتكوا بأهلها وقتلوا منهم الخلقَ العظيم ونهبوا الأموال الجمّة ، وكانت قبل ذلك ولاية تُعدّ فى جملة الولايات ، وكان لواليها الرتبة الجليلة والمكانة العلية من أكابر أمراء الطبلخاناه .

الثانية ــ نِيَابةُ الوجه القبلىّ . وهى ممـا ٱستُحْدِث فى الدولة الظاهرية برقوق ، وهو فى رتبة نيابة الوجه البحرىّ بل أعظم خَطَرا منـه ، ومقرُّ نيابته مدينة أُسْيوط المتقدّم ذكرها ، وحكمه على جميع بلاد الوجه القبلىّ بأسرها ، وهى فى الترتيب على

ماتقدّم من نيابة الوجه البحرىّ ، وكانت قبـل ذلك كاشفا يطلق عليه والِى الوُلاة كما كان فى الوجه البحرىّ .

الثالثة ـ نيابة الوجه البحرىّ . وهي مما ٱستحدث فى الدولة الظاهرية أيضا ، ونائبها من الأمراء المقـدّمين ، وهو فى رتبة مقدّم العسكر بغزّة الآتى ذكرها ، ومقرّ نائبهـا دمنهور مدينة البحيرة المتقـدّم ذكرها ؛ وليست علىٰ قاعدة النيـابات بل هى فى الحقيقة وِلاية حرب كبيرة ، وقد كان القائم بها قبل ذلك كاشفا يطلق عليه والى الولاة ولم يكن له مَقَرّة خاصة .

الطبقة الثـانيــــة
(الكُشّاف)

قد تقدّم أنه قبل النيابة بالوجهين القبلىّ والبحرىّ كان بهما كاشفان ، ولمـا اسـتقرّت النيابة بهما جعل للوجه البحرىّ كاشف من أمراء الطبلخاناه علىٰ العادة المتقدّمة ، يتحدّث فى بلاده ماعدا عَمَل البحيرة لقربه من نائب الوجه البحرىّ ، وجعل كاشف آخر من رتبته لعمل الفَيُّوم وعطِّل من الوالى ، وأضيف إليه عمل البهنسىٰ أيضا ؛ وسائر الوجه القبلىّ أمره راجع إلىٰ نائبه المتقدّم ذكره .

الطبقة الثـالثـــة

(الوُلَاة بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ)

وقد تقدّم ذكر أعمـالها . ومراتب الوُلاة بهما لا تخرج عن مرتبتين .

المرتبـــة الأولى

(أمراء الطبلخاناه، وهى سبع[1] ولايات بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ)

فأما الوجه القبلىّ ففيه أربع وُلَاة من هذه الرتبة .

الأوّل ـ والى البهنسىٰ ، وهى أقرب ولاة الطبلخاناه بهذا الوجه الآن إلىٰ القاهرة .

الثانى ـ والى الأشْمُونين .

الثالث ـ والى قُوصَ و إخميم ، وهو أعظم ولاد الوجه القبـلىّ حتّى إنه يركب فى المواكب بالشَّبَّابة السلطانية أسوة النوّاب بالممالك .

الرابع ـ والى أُسْوان ، وهو محدَث فى الدولة الظاهرية برقوق ، وكانت قبـل ذلك مضافة إلىٰ والى قُوصَ ، وكانت ولاية الفَيُّوم طبلخاناه آستقرت كشفا علىٰ ما تقدّم .

أما أُسْيوط ، فلم يكن بها ولاية لكونها كانت مستقرّ والى الولاة بالوجه القبلىّ ، ثم صارت مسـتقرّ النائب به ، وسيـأتى بيان ما كان ولايةً طبلخاناه ، ثم نقل إلىٰ العَشَرات .

وأما الوجه البحرىّ ففيه أربعة ولاة من هذه الرتبة .

(١) لعله ثمـان ولايات كما يظهر من عد الولاة بالوجهين .

الأول ــ والى الشرقية وهو والى بُلْبَيْس .

الثانى ــ والى مَنُوف .

الثالث ــ والى الغربيــة ، وهو والى المحلة ، ورتبته فى الوجه البحرىّ فى رِفعة القدر تضاهى رتبة والى قُوص فى الوجه القبلىّ .

الرابع ــ والى البحيرة ، وهو والى دَمَنْهُورَ .

وقد تقــدّم أن الإسكندرية قبل أن تســتقرّ نيابةً كان بها والٍ من أمراء الطبلخاناه .

المرتبة الثــانيــــة

(من الوُلّاة أمراء العشرات، وهى سبعة وُلّاة بالوجهين)

فأما الوجه القبلىّ ففيه ثلاثة ولاة .

الأول ــ والى الجيزة ، وقد كان قبل ذلك طبلخاناه، ثم نقل إلى العشرات .

الثانى ــ والى إطفيح ، ولم يزل عشرة .

الثالث ــ والى منفلوط، وهو وإن كان الآن اميرعشرين فقد تقدّم أن مَنْ دون الأربعين معــدود فى العشرات . على أنها كانت قبل ذلك ولايةَ طبلخاناه وحُطَّت عن ذلك .

وقد كان بعَيْذابَ فى الايام الناصرية والٍ أميرُعشرة يولّى من قِبَل الســلطان يراجع والى قُوص فى الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرىّ، ففيه أربعة وُلّاة من هذه الرتبة .

الأوّل – والى قَلْيُوبَ، ولم تزل ولايتها إمرة عشرة .

الثانى – والى أشْمُومَ، ولم تزل عشرة أيضا .

الثالث – والى دِمْيَاطَ .

الرابع – والى قَطْيا، وكان قبل ذلك طبلخاناه .

الضرب الثـانى

(من أعيان المملكة وأرباب المناصب حَمَلةُ الأقلام، وهم على نوعين)

النـــــوع الأوّل

(أرباب الوظائف الدِّيوانية، وهى كثيرة للغاية لايسع آستيفاؤها والمعتبر منها مما يجب الآقتصارُ عليه تسعُ وظائف[1])

الأولى – الوِزَارة . وهى أجلُّ الوظائف وأرفعها رتبةً فى الحقيقة لو لم تخرج عن موضوعها ويُعْدَل بها عن قاعدتها . قال فى "مسالك الأبصار" : وربها ثانى السلطان لو أُنصِفَ وعُرِفَ حقُّه، لكنها لما حدّثت عليها النيابة تأخرت وقَعَد بها مكانُها حتّى صار المتحدّث فيها كناظر المال لا يتعدّى الحديث فيه، ولا يتسع له فى التصرف مجال، ولا تمتدّ يده فى الولاية والعزل لِتَطلُّع السلطان الى الإحاطة بجزئيّات الأحوال . قال : وقد صار يليها أُناسٌ من أرباب السيوف والأقلام بأرزاق على قدر الإنفاق، وقطيعتها أشهر من أن تذكر .

قال : وكان هذا السلطان (يعنى الناصرَ محمد بن قلاوون رحمه الله) قد أبطلها، وصار ما كان يتحدّث فيه الوزير منقسما الى ثلاثة : ناظرِ المال، ومعه شادّ الدواوين

---

(١) أوصلها فى العد الى ست وعشرين ومراده أن المهم منها تسع وان كان قد ذكر أكثر .

لتحصيل المال وصرف النفقات، وناظر الخاص لتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين، وكاتب السر للتوقيع فى دار العدل مما كان يوقّع فيه الوزير مشاورةً وآستقلالا .
قلت : ولما عادت الوزارة بعد ذلك، صارت إلىٰ ما كانت عليه من الاقتصار علىٰ التحدّث فى المال، و بقيت كتابة السر علىٰ ماصارت إليه من التوقيع علىٰ القصص بدار العدل وغيرها . ثم إن كان الوزير صاحب قلم، فهو المستقلّ بمباشرة الوظيفة نظرا وتنفيذا ومحاسبةً علىٰ الأموال، وإن كان صاحبَ سيف، كان مقتصرا علىٰ النظر والتنفيذ، وكان أمر الحساب فى الأموال راجعا إلىٰ ناظر الدولة معه .

ثم لوظيفة الوزارة أتباع كثيرة أجلها نظر الدولة وآستيفاء الصُّحْبة وآستيفاء الدولة .

فأما نظر الدولة : وهو المعبر عنه فى مصطلح الدواوين المعمورة بالصُّحْبة الشريفة فموضوعها أن صاحبها يتحدّث مع الوزير فى كل ما يتحدّث فيه ويشاركُه فى الكتابة فى كل ما يكتُب فيه، ويوقع فى كل ما يوقّع فيه الوزير تبعا له . وإن كان الوزير صاحب سيف، كان ناظر الدولة هو المتحدّث فى أمر الحسبانات، وما يتعلق بها والوزير مقتصر علىٰ النظر والتنفيذ .

وأما آستيفاء الصحبة — فهى وظيفة جليلة رفيعة القدر . قال فى "مسالك الأبصار" : وصاحبها يتحدّث فى جميع المملكة مصرا وشاما، ويكتب مراسيمَ يَعلَمُ عليها السلطان، تارة تكون بما يُعْمَل فى البلاد، وتارة بإطلاقات، وتارة بآستخدامات كبار فى صغار الأعمال، وما يجرى مجراه .

قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية، وكلّ من دواوين الأموال فهو فرعُ هذا الديوان وإليه يرجع حسابه وتتناهىٰ أسبابه .

وأما آستيفاء الدولة ـ فهى وظيفة رئيسية ،وعلىٰ متوليها مدار أمور الدولة فى الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها ، ويكون فيها مستوفيان فأكثر .

الوظيفة الثانية ـ كتابةُ السر . قال فى "مسالك الأبصار" : وموضوعها قراءة الكتب الواردة علىٰ السلطان وكتابة أجوبتها وأخذُ خَطِّ السلطان عليها وتسفيرها ، وتصريف المراسيم ورودا وصَدَرا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها . وقد تقدّم فى الكلام علىٰ الوزارة أنه صار يوقِّع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة مع مراجعة السلطان فيما يحتاج إلىٰ المراجعة فيه ، فى أمور أخرىٰ من التحدّث فى أمر البريد وتصريف البريدية والقُصّاد ، ومشاركة الدّوادار فى أكثر الأمور السلطانية مما تقدّم ذكره مفصلا . وبديوانه كُتّاب الدَّسْت : وهم الذين يجلسون معه فى دار العدل ويقرءُون القصص علىٰ السلطان ويوقِّعون عليها بأمر السلطان ، وكُتّاب الدَّرْج : وهم الذين يكتبون الولايات والمكاتبات ونحوها مما يكتب عن الأبواب الشريفة ، وربما شاركهم كُتّاب الدست فى ذلك .

الوظيفة الثالثة ـ نظر الخاصّ . وهى وظيفة محدَثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله حين أبطل الوزارة علىٰ ما تقدّم ذكره ، وأصل موضوعها التحدّث فيما هو خاصٌّ بمال السلطان . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرُّفه ، وصار إليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين يعنى فى زمن تعطيل الوزارة . قال : وصاحب هذه الوظيفة لايقدر علىٰ الآستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان . ولناظر الخاصّ أتباع من كُتّاب ديوان الخاصّ كمستوفِى الخاص ، وناظر خزانة الخاص ونحو ذلك مما لا يسع آستيعابُه .

الوظيفة الرابعة ـ نَظَر الجيش . وموضوعُها التحدّث فى أمر الإقطاعات بمصر والشأم والكتابةُ بالكشف عنها ومشاورةُ السلطان عليها وأخذُ خَطّه ؛ وهى وظيفة

جليلة رفيعة المقدار ، وديوانها أول ديوان وُضع فى الإسلام بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم فى خلافة عمرَ . قال الزُّهْرِيّ : قال سعيد بن المسيب : وذلك فى سنة عشرين من الهجرة ، وسيأتى الكلام على مايتعلق بها فى الكلام على كتابة المناشير فى المقالة السادسة إن شاء الله تعالى . ولناظر الجيش أتباع بديوانه يُوَلَّوْن عن السلطان ، كصاحب ديوان الجيش وكُتَّابه وشهوده ، وكذلك صاحب ديوان المماليك ، وكاتب المماليك وشهود المماليك . فإن المماليك السلطانية فرع من الجيش ونظرهم راجع الى ناظر الجيش .

الوظيفة الخامسة ـ نظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة . وهو المعبر عنه بناظر الدولة . وموضوعها التحدّث فى كل ما يتحدّث فيه الوزير ، وكلّ ما كَتَبَ فيه الوزير كَتَب فيه هو ، يكتب فيه بمثل مارسم به .

الوظيفة السادسة ـ نظر الخِزَانة . قال فى "مسالك الأبصار" : وكانت أوّلا كبيرة الوضع لأنها مستودَع أموال المملكة ، فلما آستُحدِثت وظيفة الخاص ، صَغُر أمر الخِزانة ، وسميت بالخزانة الكبرى ، وهو آسم فوق مسماه . قال : ولم يكن بها الآن إلا خِلَعٌ تخلع منها أو مايحضر إليها ويصرف أوّلا فأوّلا ، وفى الغالب يكون ناظرها من القُضاة أو من يلتحق بهم ، ولناظر الخزانة أتباع يُوَلَّوْن عن السلطان كصاحب ديوان الخزانة .

الوظيفة السابعة ـ نظر البيوت والحاشية . وهو نظر جليل ، وكلّ ما يتحدّث فيه الأستادار له فيه مشاركة فى التحدّث فيه ، وقد تقدّم تفصيل حال وظيفة الأستادارية .

الوظيفة الثامنة ـ نظر بيت المال . وموضوعها حملُ حمول المملكة إلى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا . قال فى "مسالك الأبصار" : ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة .

الوظيفة التاسعة ـ نظر الإصطبلات السلطانية . وموضوعها مباشرة إصطبلات السلطان والتحدّث فى أنواع الخيول والبغال والدواب والجمـال السلطانية ، وعليقها وعُدّتها ، وما لهـا من الأستعمالات والإطلاقات ، وكل ما يبتاع لهـا أو يباع منها ، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك .

الوظيفة العاشرة ـ نظر دار الضيافة والأسواق . وموضوعها التحدّث فى أمر ما يتحصّـل من سوق الخيـل والرقيق ونحوهمـا ، وصرف ذلك فى كلفة من يرد إلىٰ الأبواب السلطانية من رُسُـل الملوك ونحوهم ، وصرف مرتبات مقررة لأناس فى كل شهر ، والتحدثُ فيهـا ولايةً وعزلا وتنفيـذا راجعٌ إلىٰ الدّوادار ، وللوزير المشاركة معه فى المتحصّل فى شيء مخصوص .

الوظيفة الحاديةَ عشرةَ ـ نظر خزائن السـلاح . وموضوعها التحدّث علىٰ كل ما يستعمل من السلاح السـلطانى ، وعادته أن يجمع ما يتحصّل من عمل كل سـنة ويجهّز فى يوم معين ، ويحمل علىٰ رءُوس الحمّالين إلىٰ خزائن السلاح بالقلعة المحروسة ، ويخلع عليه وعلىٰ رُفْقته من المباشرين .

الوظيفة الثانية عشرة ـ نظر الأملاك السـلطانية . وموضوعها التحدّثُ علىٰ الأملاك الخاصّة بالسلطان من ضِيَاع ورِبَاع وغير ذلك .

الوظيفة الثالثةَ عشرةَ ـ نظر البَهار والكارمى[1] . وموضوعها التحدّث علىٰ واصل التجار الكارميّة من اليمن من أصناف البَهار وأنواع المتجر ، وهى وظيفة جليلة تارة تضاف إلىٰ الوزارة وتجعل تبعا لهـا ، وتارة تضاف إلىٰ الخاص وتجعل تبعا لهـا ، وتارة تنفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان .

---

(١) رجح فى الضوء الكانمى بالنون وقال انه نسبة الى الكانم فرقة من السودان كان منهم طائفة مقيمة بمصر يجرون فى البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم الى آخر ما قال فراجعه .

الوظيفة الرابعة عشرة — نظر الأهراء بمصر بالصناعة . وهى شونة الغلال السلطانية التى يتكلم عليها الوزير، وموضوعها التحدث فيما يصل إليها من النواحى من الغلال وغيرها ، وما يُصرف منها على الإصطبلات الشريفة والمُنَاخات السلطانية وغير ذلك .

الوظيفة الخامسةَ عشرةَ — نظر المواريث الحَشْرِيّة . وموضوعها التحدث على ديوان المواريث الحشرية ممن يموت ولا وارث له ، أو وله وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدث فى إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم .

الوظيفة السادسةَ عشرةَ — نظر الطواحين السلطانية بمصر بالصناعة أيضا ، وهو مغلق عظيم فيه عشرة حجارة يخرج منها فى كل يوم نحو خمسين تليسا .

الوظيفة السابعة عشرة — نظر الحاصلات . وهو المعبَّر عنه بنظر الجهات ؛ وموضوعه التحدث فى أموال جهات الوزارة من متحصِّل ومصروف أو حمل لبيت المال وغيره .

الوظيفة الثامنة عشرة — نظر المرتَجَعات . وموضوعها التحدث على ما يُرتَجَع ممن يموت من الأمراء ونحو ذلك، وقد رُفِضت هذه الوظيفة وتعطَّلت ولايتها فى الغالب وصار أمر المرتَجَع موقوفا على مستوفِى المرتجع ، وهو الذى يحكم فى القضايا الديوانية و يفصلها على مصطَلَح الديوان، وهو المعبر عنه بديوان السلطان .

الوظيفة التاسعة عشرة — نظر الجيزة . وموضوعها التحدث على ما يَتحصَّل من عمل الجيزِيّة التى هى خاص السلطان، وهى فرع من فروع الدواوين .

الوظيفة العشرون — نظر الوجه القبلىّ . وموضوعها التحدّث على بلاد الصعيد بأسرها مما يتحصَّل فيها من ميراث وغيره .

الوظيفة الحادية والعشرون ـ نظر الوجه البحرىّ . وموضوعها كموضوع نظر الوجه القبلىّ المتقدّم ذكره .

الوظيفة الثانية والعشرون ـ صَحَابة ديوان الجيش . وموضوعها التحدّث فى كل ما يتحدّث فيه ناظر الجيش من أمر الإقطاعات .

الوظيفة الثالثة والعشرون ـ صَحَابة ديوان البيمارسـتان . وموضوعها التحدّث فى كل ما يتحدّث فيه ناظر البيمارستان .

الوظيفة الرابعة والعشرون ـ صَحَابة ديوان الأحباس . وصاحبها يكتب فى كل مايكتب فيه ناظر الأحباس إلا أنها بطَلتْ .

الوظيفة الخامسة والعشرون ـ آستيفاء الصحبة .

آستيفاء الدولة [1]

النـــــوع الثـانى

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم صنفان)

الصـــــنف الأوّل

(من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ،

وهو منحصر فى خمس وظائف)

الوظيفة الأولىٰ ـ قضاء القضاة . وموضوعها التحدّثُ فى الأحكام الشرعيـة وتنفيذ قضاياها ، والقيامُ بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، ونصب النوّاب

(١) تقدم الكلام عليهما فى الكلام علىٰ توابع الوظيفة الأولىٰ من هذا النوع وهى الوزارة فرأىٰ أنه لا داعى الىٰ الإعادة فلا سقط كما قد يتوهم .

للتحدّث فيما عَسُر عليه مباشرته بنفســه ، وهى أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا وأجلّها رتبة .

وٱعلم أن الأمر فى الزمن الأوّل كان قاصرا علىٰ قاضٍ واحد بالديار المصرية من أىّ مذهب كان ، بل كان فى الدولة الفاطمية قاضٍ واحدٌ بالديار المصرية ، وأجنادِ الشام ، وبلاد المغرب ، مضافٌ إليه التحدّث فى أمر الصلاة ودُور الضرب وغير ذلك علىٰ ماستقف عليه فى تقاليد بعض قضاتهم فى الكلام علىٰ تقاليد القضاة إن شاء الله تعالىٰ ، ثم ٱستقرّ الحال فى الأيّام الظاهرية بيبرس فى سنة ثلاث وستين وستمائة علىٰ أربعة قضاة من مذاهب الأئمة الأربعة : الشافعىّ ومالك وأبى حنيفة وأحمد بن حَنْبَل رضى الله عنهم ، وكان السبب فى ذلك فيما ذكره صاحب "نهاية الأرب" أن قضاء القضاة بالديار المصرية كان يومئذٍ بيد القــاضى تاج الدين عبد الوهاب ٱبن بنت الأعز بمفرده ، وكان الأمير جمال الدين ايدغدى أحد أمراء السلطان الملك الظاهر المتقدّم ذكره يعانده فى أموره ، ويُغُضّ منه عند السلطان ، لتثبّته فى الأمور وتوقفه فى الأحكام . فبينما السلطانــ ذاتَ يوم جالس بدار العدل إذ رُفعت إليه قصة بسبب مكانٍ باعه القاضى بدر الدين الســنجارىّ ، ثم ٱدّعى ذرّيته بعــد وفاته أنه موقوف ، فأخذ الأمير ايدغدى يَغُضّ من القُضاة بحضرة السلطان ، فسكت السلطان لذلك ، ثم قال للقاضى تاج الدين : ما الحكم فى ذلك ؟ قال : إذا ثبتت الوقفيــة يستعادُ الثمن من تَركة البائع ، قال : فإن عجزت التّركة عن ذلك ، قال : يوقف علىٰ حاله ، فٱمتعض لهــا السلطان وسكت ، ثم جرىٰ فى المجلس ذكرُ أمور أخرىٰ توقف القــاضى فى تمشيتها ، وكان آخرُ الأمر أن الأمير ايدغدى حَسَّنَ للســلطان نصبَ أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ففعل ، وأقرّ القاضى تاجَ الدين ٱبن بنت الأعز فى قضاء الشافعية ، وولّىَ الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح

السبكيّ قضاءَ المـالكية ، والقاضي بدر الدين بن سلمـان قضاءَ الحنفية ، والقاضي شمسُ الدين محمد آبن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسيّ قضاءَ الحنابلة ، وجعل لهم الأربعـة أن يولّوا النوّاب بأعمـال الديار المصرية ، وأفرد القاضيَ تاج الدين بالنظر في مال الأيتام والأوقاف ، وكُتِبَ له بذلك تقليـدٌ من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر أوّله "الحمد لله مجرِّد سيف الحق علىٰ مَنْ آعتدىٰ". ثم كل من الأربعة له التحدّث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفُسْـطَاطِ ، ونصب النوّاب ، وإجلاس الشهود ، ويسـتقلُّ الشافعيّ منهم بتولية النوّاب بنواحي الوجهين القبليّ والبحريّ لا يشاركه فيه غيره .

الوظيفة الثانية ـ قضاء العسكر . وهي وظيفة جليلة قديمة كانت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان قاضي عسكره بهاء الدين بن (١) وموضوعها أنّ صاحبها يحضُر بدار العدل مع القُضاة المتقدّم ذكرهم ، ويسافر مع السلطان إذا سافر ؛ وهم ثلاثة نفر : شافعيّ ، وحنفيّ ، ومالكيّ ، وليس للحنابلة منهم حظ ، وجلوسهم في دار العدل دون القُضاة الأربعة المتقدّمي الذكر علىٰ ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ .

الوظيفة الثالثة ـ إفتـاء دار العـدل . وموضوعها علىٰ نحو ما تقـدّم في قضاء العسكر ، وبها أربعة نفر ، من كل مذهب واحد ، وجلوسهم دون قُضاة العسكر علىٰ ما يأتي ذكره .

الوظيفة الرابعة ـ وَكَالة بيت المال . وهي وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر ، وموضوعها التحدُّث فيما يتعلق بمبيعات بيت المـال ومشـتَرَياته من أراض وآدُر وغير ذلك ، والمعاقدة علىٰ ذلك وما يجري هذا المجرىٰ . قال في "مسالك الأبصار":

(١) بياض بالأصل .

ولا يليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل : تارة يكون دون المحتسب ، وتارة فوقه بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه .

الوظيفة الخامسة ـ الحِسْبة . وهى وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها التحدث فى الأمر والنهى ، والتحدّث علىٰ المعايش والصنائع ، والأخذُ علىٰ يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته . وبالحضرة السلطانية محتسبان : أحدهما بالقاهرة ، وهو أعظمهما قدرا وأرفعهما شأنا ؛ وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحرى بكماله خلا الإسْكَنْدَرِيَّة ، فإن لها محتسبا يخُصها ، والثانى بالفُسْطَاط ومرتبته منحطة عن الأول ؛ وله التحدث والتولية بالوجه القبلىّ بكماله ، والذى يجلس منهما بدار العدل فى أيام المواكب محتسب القاهرة فقط دون محتسب مصر ؛ ومحلُّ جلوسه دون وكيل بيت المال ، وربما جلس أعلىٰ منه إذا كان أرفع منه بعلم أو نحوه .

الصنف الثانى

(من أرباب الوظائف الدينية من لا مَجلِسَ له بالحضرة السلطانية)

وهذه الوظائف لا حصْرَ لعددها علىٰ التفصيل ، ولا سبيلَ الىٰ استيفاء ذكرها علىٰ تفاوُت المراتب فوجب الاقتصار علىٰ ذكر المُهِمِّ منها .

ثم هذه الوظائف منها ماهو مختصٌّ بشخص واحد ، ومنها ماهو عامٌّ فى أشخاص .

فأما التى هى مختصة بشخص واحد .

فمنها (نِقَابة الأشراف) وهى وظيفة شريفة ، ومرتبة نفيسة ؛ موضوعها التحدث علىٰ ولد علىّ بن أبى طالب كرم الله تعالىٰ وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهم المراد بالأشراف ، فى الفحص عن أنسابهم والتحدث فى أقاربهم

والأخذ على يد المتعدّى منهم ونحو ذلك ، وكان يعبَّر عنها فى زمن الخلفاء المتقدّمين بنقابة الطالبيِّين .

ومنها (مشيخة الشيوخ) والمراد بها مشيخة الخانقاه التى أنشأها الملك الناصر محمد آبن قلاوون بسرياقوس من ضواحى القاهرة .

أمّا مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء، فإنها وإن قَدُم زمنها وعَظُم قدرها دونَ تلك فى المشيخة .

ومنها (نَظَر الأحبـاس المبرورة) وهى وظيفة عاليــة المقــدار ؛ وموضوعها أنّ صاحبها يتحدّث فى رزق الجوامع والمساجد والرُّبُط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحى الديار المصرية خاصةً ، وما هو من ذلك على سبيل البِرّ والصدقة لأناس معيَّنين ، وأصل هذه الوظيفة أن اللَّيْثَ بن سعد رحمه الله آشترى أراضىَ من بيت المـال فى نواحٍ من البُلْدان وحبَّسها على وجوه البِرّ ، وهى المسماة بديوان الأحبـاس بوجوه العين ، ثم أضـيف إلى ذلك الرِّبَاعُ والدور المعروفة بالفُسْطَاط وغيره ، ثم أضيف إليها رِزَق الخطابات ، ثم كثرت الرِّزَق من الأرضين فى الدولة الظاهرية بيبرس بواسطة الصاحب بهاء الدين بن حنا وأخذت فى الزيادة إلى زماننا ؛ وهى تارة يتحدّث فيها السلطان بنفسه ، وتارة النائب ، وفى غالب الوقت يتحدّث فيها الدّوادار الكبير على ما آستقرّ عليه الحال آخرا .

ومنها (نظر البيمارستان) والمراد البيمارستان المنصورىّ الذى أنشأه المنصور قلاوون بين القصرين ، وكان داراً لِستّ الملك أخت الحاكم الفاطمىّ فغيّر معالمه وزاد فيــه ، وليس له نظير فى الدنيـا فى بِرّه ومعروفه ؛ وهى من أجلّ الوظـائف وأعلاها ؛ وعادةُ النظر فيه من أصحاب السيوف لأكبر الأمراء بالديار المصرية .

وأمّا التى هى عامّة فى أشخاص .

فمنها (الخَطَابة) وهى فى الحقيقة أجلُّ الوظائف وأعلاها رتبة، إذ كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعلها بنفسه، ثم فعلها الخلفاء الراشـدون فَمَنْ بعدهم، وهى على كثرة الجوامع بالديار المصرية بحيث إنهـا لاتحصٰى كَثْرَةً ـ لا يتعلق منها بولاية السلطان إلا القليل النادر : كجامع القلعة إلا إذا كان مفردا عن القضاء ونحو ذلك مما لا ناظر له خاصٌّ .

ومنهـا (التداريس) وهى على آختـلاف أنواعها من الفقه والحديث والتفسـير والنحو واللغـة وغير ذلك لا يولِّى السلطان فيها إلا فيما يَعْظُمُ خَطَره و يرتفع شأنه مما لا ناظر له خاصٌّ كالمدرسة الصلاحية بجوار تربة الإمام الشافعىّ رضى الله عنه، والزاوية الصلاحية بالجامع العتيق بالفُسْطَاط، وهى المعروفة بالخشابية، والمدرسة المنصورية بالبيمارستان المنصورىّ المتقدّم ذكره بين القصرين، ودرس الجامع الطولونى ونحو ذلك .

المقصـــد الرابع

(فى زِىّ أعيان المملكة من أرباب المناصب السلطانية بالديار المصرية فى لبسهم وركوبهم، وهم أربع طوائف)

الطائفـــة الأولىٰ

(أرباب السُّيوف، وزِيُّهُمْ راجع إلىٰ أمرين)

الأمر الأوّل (لُبْسهم) . ويختلف الحال فيه باعتبار مواضع اللُّبس من البدن .

فأما مابه تَغْطِيَةُ رءُوسهم، فقد تقدّم أنهم كانوا فى الدولة الأيوبية يلبسون كَلُّوتات صُفْر بغير عمـائم، وكانت لهم ذوائبُ شـعر يرسلونها خلفهم . فلمـا كانت الدولة

الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه الله، غير لونها من الصُّفْرَةِ إلىٰ الحُمْرَة وأمر بالعمائم من فوقها، وبقيت كذلك حتّى حجّ الملكُ الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله فى أواخر دولتــه لحلق رأســه لحلق الجميع رءوسهم، وٱستمرّوا علىٰ الحلق إلىٰ الآن، وكانت عمــامتهم صغيرة فزيد فى قدرها فى الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" لحَسُنَت هيئتها وجادت، وهى علىٰ ذلك إلىٰ زماننا .

وأما ثياب أبدانهم فيلْبَسون الأقبية التَّتَرِيَّةَ والتكلاوات فوقها ثم القَبَاء الإسلامىّ فوق ذلك، يشدّ عليه السيف من جهة اليسار والصولق والكزلك من جهة اليمين .

قال الســلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : وأوّل من أمر بذلك غازى بن زنكى أخو العادل نور الدين الشهيد حيــن ملك المَوْصــلَ بعــد أبيه، ثم الأمراء والمقدَّمون وأعيان الجند تلبس فوقه أقبيةً قصيرةَ الأكمام أقصرَ من القَبَاء التحتانىّ بلا تفاوت كبير فى قِصَر الكُمِّ وطوله، مع سَعَة الكم القصير وضيق الأكمام الطويلة .

ثم إن كان زمنُ الصيف كان جميع القماش من الفوقانىّ وغيره أبيضَ من النصافى ونحوه، وتشــدّ فوق القَبَاء الإســلامىّ المِنْطَقَةُ، وهى الحيــاصة، ومعظم مناطقهم من الفضة المطلية بالذهب، وربمــا جُعِلت من الذهب، وقد تُرَصَّع باليشم . قال فى "مسالك الأبصار" : ولا تُرَصَّع بالجواهر إلا فى خلع الســلطان لأكابر أمراء المِئِيــن .

وإن كان زمنُ الشتاء كانت فوْقانياتهم ملوّنة من الصوف النفيس والحرير الفائق، تحتها فِرَاءُ السِّنجاب الغض . ويلبس أكابر الأمراء السَّــمُّورَ، والوشق، والقاقم والفنك، ويجعل فى المِنْطَقَةِ منديلا لطيفا مُسْــدَلا علىٰ الصولق، ومعظمهم يلبس

المطرز على الكُمَّيْنِ من الزركش أو الحرير الأسود المرقوم. قال في "المسالك" : ولا يَلْبَسُ المُطَرَّزَ إلا مَنْ له إقطاع في الحَلْقَةِ، أما مَنْ هو بعدُ بالجامكية، فلا يتعاطى ذلك.

وأما ما يجعل في أرجلهم، فإن كان في الصيف لَبِسوا الخفاف البيض العَلَوية، وإن كان في الشتاء لبسوا الخِفَاف الصفر من الأديم الطائفيّ، ويشدّون المهاميز المسَقَّطة بالفضة في القدم على الخف. قال في "مسالك الأبصار" : ولا يُكَفَّت مِهْمازَه بالذهب إلا مَنْ له إقطاع في الحَلْقة على ما تقدّم في لبس المطرز.

الأمر الثاني (ركوبهم). أما ما يركبون، فالخيل المُسَوَّمَةُ النفيسة الأثمان خصوصا الأمراء ومن يُلْحق بشأوهم، ولا يركبون البغال بحال بل تركبها غلمانهم خلفهم بالقُماش النفيس والهيئة الحسنة والقوالب المحلّاة بالفضة، وربما غُشِّي جميعها بالفضة بل ربما غُشِّي جميعها بالذهب للسلطان وأعيان الأمراء، ومعها العِبْي السابلة الملونة من الصوف الفائق، وربما جعلت من الحرير لأعيانهم، وقد يتخذ بدلها الكَنابيش بالحواشي المخَايش، وربما كانت زركشا للسلطان والأمراء، وتحلّى لُجُمُهُمْ وتُسَقَّط بالفضة بحسب آختيار صاحبها، ويجعل الدَّبُّوس في حَلْقة متصلة بالسرج تحت ركبته اليمنى. قال صاحب حماة : وأوّل من أمرهم بذلك غازى بن زنكى حين أمرهم بشدّ السيوف في أوساطهم على ما تقدّم ذكره. قال في "مسالك الأبصار" : وعلى الجملة فزِيُّهم ظريف وعُدَدُهم فائقة نفيسة.

الطائفة الثانية

(أرباب الوظائف الدينية من القُضاة وسائر العلماء، وزِيُّهُمْ راجع أيضا إلى أمرين)

الأمر الأوّل (ملبوسهم). ويختلف ذلك بآختلاف مراتبهم، فالقضاة والعلماء

منهم يَلْبَسون العمائم من الشاشات الكبار للغاية ، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذُؤابة تلحق قَرَبُوسَ سرجه إذا ركب ، ومنهم من يجعل عِوَض الذُّؤابة الطيلسانَ الفائق ، ويَلْبَسُ فوق ثيابه دلقا متسعَ الأكمام طويلَها مفتوحا فوق كتفيه بغير تفريج ، سابلا علىٰ قدميه . ويتميز قُضاة القضاة الشافعىّ والحنفىّ بلُبْس طرحة تستُر عمامته وتنسدل علىٰ ظهره ، وكان قبل ذلك مختصا بالشافعىّ ؛ ومَنْ دون هذه منهم تكون عمامته ألطف ، ويلبس بدل الدلق فَرَجيَّة مفرجة من قدّامه من أعلاها إلىٰ أسفلها مزررة بالأزرار ، وليس فيهم من يَلْبَس الحرير ، ولا ما غلب فيه الحرير ؛ وإن كان شتاء كان الفَوْقانى من ملبوسهم من الصوف الأبيض الملطىّ ، ولا يلبسون الملون إلا فى بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف فى الطرقات ، ويلبسون الخِفَاف من الأديم الطائفىّ بغير مَهاميز .

الأمر الثانى (مركوبهم) . أما أعيان هذه الطائفة من القُضاة ونحوهم فيركبون البِغَال النفيسة المساوية فى الأثمان لمُسَوَّمَاتِ الخيول ، بلُجُم ثِقَال وسروج مدهونة غير مُحلَّاة بشىء من الفضة ، ويجعلون حول السرج قرقشينا من جوخ . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو شبيه بثوب السرج مختصر منه ، ويجعلون بدل العبى الكنابيش من الصوف المرقوم محاذية لكفل البغلة ، ويمتاز قضاة القضاة بأن يجعل بدل ذلك الزنارىّ من الجوخ ، وهو شبيه بالعباءة مستدير من وراء الكَفَل ولا يعلوه بردنب ولا قوش ، وربما رَكبوا بالكنابيش . وأما من دون هؤلاء من هذه الطائفة فربما ركبوا الخيول بالكنابيش والعبى .

الطائفــــة الثـالثة

(مشايخ الصوفية)

وهم مُضاهُون لطائفة العلماء فى لبس الدلق إلا أنه يكون غير سابل، ولا طويل الكُمّ، ويُرْخون ذؤابة لطيفة علىٰ الأذن اليسرىٰ لا تكاد تلحق الكتف ، ويركبون البغال بالكَابيش علىٰ نحو ما تقدم .

الطائفة الرابعــــة

(أرباب الوظائف الديوانية)

أما أعيانهم كالوزراء ومَنْ ضاهاهم ، فيلبسون الفراجى المضاهية لفراجى العلمـاء المتقدمة الذكر، وربما لَبِسوا الجِبَاب المفرجة من ورائها . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن أكابرهم كانوا يجعلون فى أكمامهم بادهنجات مفتوحة ، وقد صار ذلك الآن قاصرا علىٰ ما يلبسونه من التشاريف . ومَنْ دون هؤلاء يلبسون الفرجيات المفرجة من ورائها علىٰ ما تقدم .

وأما ركوبهم فيضاهى ركوب الجند أو يقاربه . قال فى " مسالك الأبصار" : وتجمُّل هذه الطائفة بمصر أكمل مما هم بالشام فى زِيِّهم وملبوسهم ، إلا ما يحكىٰ عن قِبْط مصر فى بيوتهم من اتساع الأحوال والنفقات ، حتّى إن الواحد منهم يكون فى ديوانه بأدنىٰ اللباس ويأكل أدنىٰ المآكل ، ويركب الحمار ، حتّى إذا صار فى بيته انتقل من حال إلىٰ حال وخرج من عدمٍ إلىٰ وجود . قال : ولقد تبالغ النـاس فيما تحكى من ذلك عنهم .

المقصـــــد الخـامس

(فى هيئة السلطان فى ترتيب الملك ، وله ثلاث[1] هيئات)

الهيئـــــة الأولىٰ

(هيئته فى جلوسه بدار العدل لخلاص المظالم)

عادةُ هذا السلطان إذا كان بالقلعة فى غير شهر رمضان أن يجلس بُكْرَةَ يوم الاثنين بإيوانه الكبير المسمّى بدار العدل المتقدّم ذكره مع ذكر القلعة فى الكلام علىٰ حاضرة الديار المصرية؛ ويكون جلوسه علىٰ الكرسىّ الذى هو موضوع تحت سرير المُلْك .

قال فى "مسالك الأبصار" : ويجلس علىٰ يمينه قُضاة القُضاة من المذاهب الأربعة، ثم وكيل بيت المـال، ثم الناظر فى الحسبة . ويجلس علىٰ يساره كاتب السِّر، وقدّامه ناظر الجيش وجماعةُ الموقِّعين تكملة حَلْقَة دائرة . قال : وإن كان الوزير من أرباب الأقلام ، كان بينه وبين كاتب السر، وإن كان من أرباب السـيوف، كان واقفا علىٰ بُعْـدٍ مع بقيـة أرباب الوظائف . وكذلك إن كان ثَمَّ نائب وقف مع أرباب الوظائف . ويقف من وراء السلطان مماليكُ صِغار عن يمينه ويساره من السلاحدارية والجمدارية والخاصكية؛ ويجلس علىٰ بُعْـد بقدر خمسةَ عشرَ ذراعا من يَمْنته ويَسْرته ذوو السنّ من أكابر أمراء المِئِيـن ، وهم أمراء المَشُورَة ؛ ويليهم مِن أسـفلَ منهـم أكابرُ الأمراء ، وأربابُ الوظائف وقوفٌ ، وباقى الأمراء وقوف من وراء المَشُورَة؛ ويقف خلفَ هذه الحَلْقَة المحيطة بالسلطان الحُجّابُ والدَّوادارية لإحضار قِصَص أرباب الضرورات وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه القصص فما احتاج فيه إلىٰ مراجعة القضاة راجعهم فيه، وما كان متعلقا بالعسكر تحدّث فيه مع الحاجب وناظر الجيش، ويأمر فى البقية بمـا يراه .

---

(١) الصواب سبع كما صرح به فى الضوء وهى فى العدد أيضا سبع كما ستراه .

قلت : وقد آستقر الحال على أن يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة : وهما الشافعيّ والمالكيّ ، وعن يساره قاضيان وهما الحنفيّ ثم الحنبليّ ؛ ويلى القاضى المالكيّ من الجانب الأيمن قُضاةُ العسكر الثلاثةُ المتقدّم ذكرهم الشافعيّ ثم الحنفيّ ثم المالكي ؛ ويليهم مُفْتُو دار العدل على هذا الترتيب ؛ ويليهم وكِيلُ بيت المال ثم الناظر فى الحِسْبة بالقاهرة ، وربما جلس المحتسب فوق وكيل بيت المال إذا علا قَدْرُه عليه بعِلْمٍ أو رياسة . كل هؤلاء صفٌّ واحدٌ عن يمين السلطان مستدبرين جدارَ صدر الإيوان مستقبلين بابه ، والقاضيان الحنفيّ والحنبليّ كذلك من الجانب الأيسر ، والوزير إن كان من أرباب الأقلام إلى جانب الكرسيّ من الجانب الأيسر بانحراف ، وكاتب السرّ يليه ، وتستدير الحَلْقَةُ حتّى يصير الجالس بها مستدبرا باب الإيوان على ماتقدّمت الإشارة إليه فى كلام " مسالك الأبصار " .

الهيئة الثانيـــة

(هيئتـــه فى بقيّـــة الأيام)

عادته فيما عدا الآثنين والخميس من الأيام أن يخرج من قُصُوره الجَوّانيـة المتقدّم ذكرها إلى قصره الكبير المُشْرِف على إصطبلاته ، ثم تارة يجلس على تخت الملك الذى بصَدْره ، وتارة يجلس على الأرض ، ويقف الأمراء حوله على ما تقدّم فى الجلوس فى الإيوان ، خلا أمراء المَشُورَةِ والغرباء منه فليس لهم عادة بحضور هـذا المجلس إلا مَنْ دعت الحاجة إلى حضوره ، ثم يقوم فى الثالثة من النهار فيدخل إلى قصوره الجَوّانية لمصالح ملكه ، ويعبر عليه خاصته من أرباب الوظائف كالوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش فى الأشغال المتعلقة به على ماتدعو الحاجة إليه .

الهيئة الثالثـــــة

(هيئته فى صلاة الجمعة والعيدين)

أما صـلاة الجمعة فإن عادته أن يخرج إلىٰ الجامع المجاور لقصره المتقـدم ذكره من القصر، ومعه خاصة امرائه ، فيدخل من أقرب أبواب الجامع للقصر، ويصلّى فى مقصورة فى الجامع عن يمين المِحْراب خاصـة ،و يصلّى عنده فيها أكابر خاصته ، ويجيء بقية الأمراء : خاصَّتُهم وعامّتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها و يسارها علىٰ مراتبهم ، فإذا فرغ من الصلاة دخل إلىٰ دُور حريمه وذهب الأمراء كلُّ أحد إلىٰ مكانه .

وأما صلاة العيدين ، فعادته أن يركب من باب قصره و ينزل من مَنْفَذة من الإصطبل إلىٰ الميدان الملاصـق له ، وقد ضُرب له فيـه دِهْليز علىٰ أكمل ما يكون من الهيئة ، ويَحْضُر خطيب جامع القلعة إلىٰ الميدان فيصلى به العيد ويخطب ، فإذا فرغ من سمـاع الخطبة ركب وخرج من باب الميـدان والأمراء والممـاليك يمشون حوله ، وعلىٰ رأسه العصائب السلطانية ، والغاشية محمولة أمامه ، والجتر وهو المظلة محمول علىٰ رأســه مع أحد أكابر الأمراء المقدّمين وهو راكب فرسا إلىٰ جانبـه ، والأوشاقيّان[1] الجفتة المتقدّم ذكرهمـا راكبان أمامه ، وخلفه الجنائب ، وعلىٰ رأســه العصائب السُّلْطانية ، وأرباب الوظائف من السلاحدارية كلُّهم خلفه ، والطَّبَرْدارية أمامه مشاة بأيديهم الأطبـار ، ويطلُع من باب الإصطبل و يطلُع إلىٰ الإيوان الكبير المقدّم ذكره ، ويمدّ السماط ويَخْلَع علىٰ حامل الجتر ، وأميرْ سلاح ، والأســتادار ، والجاشنكير ، وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة فى مُهِمّ العيـد كنوّاب أستادار ، وصغار الجاشنكيرية ، وناظر البيوت ونحوهم .

---

(١) لم يذكر هذه الجملة فى الضوء وعدم ذكرها أولىٰ لانها سبقت .

الهيئة الرابعة

(هيئته للعب الكرة بالميدان الأكبر)

عادته أن يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية فى كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل، وهو راكب على الهيئة المذكورة فى العيد ماعدا الجتر فإنه لا يحمل على رأسه، وتحمل الغاشية أمامه فى أول الطريق وآخره، ويصير إلى الميدان فينزل فى قصوره، وينزل الأمراء منازلهم على قدر طبقاتهم، ثم يركب للعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه، ثم ينزل فيستريح، ويستمر الأمراء فى لعب الكرة إلى أذان العصر، فيصلى العصر ويركب على الهيئة التى كان عليها فى أول النهار ويطلع إلى قصره .

الهيئة الخامسة

(هيئته فى الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل)

واعلم أن السلطان قد يركب لكسر الخليج، ولم تجر العادة بركوبه فيه بمظلة ولا رقبة فرس ، ولا غاشية، ولا ما فى معنى ذلك مما تقدم ذكره فى ركوب الميدان والعيدين ، بل يقتصر على السناجق، والطبردارية، والجاويشية ونحو ذلك، ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء فى أى وقت كان، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمد هناك سماطا يأكل منه من معه من الأمراء والمماليك، ثم يذاب زعفران فى إناء ويتناوله صاحب المقياس ويسبح فى فسقية المقياس حتى يأتى العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق العمود ، ثم يعود ويخلق جوانب الفسقية وتكون حراقة السلطان قد زينت بأنواع الزينة، وكذلك حراريق الأمراء، وقد فتح شباك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط وعلق عليه ستر ، فيؤتى بحراقة

السلطان إلىٰ ذلك الشباك فينزل منه ويَسْبَحُ وحراريق الأمراء حوله وقد شحن البحر بمراكب المتفرجين ، يسيرون خلف الحراريق حتّى يدخل إلىٰ فم الخليج ، وحراقة السلطان العظمىٰ المعروفة بالذّهبيّة وحراريقُ الأمراء يلعب بها فى وسط آمتدادها ، ويرمى بمدافع النِّفْط علىٰ مقدامها ، ويسير السلطان فى حراقته الصغيرة حتّى يأتىَ السدّ فيُقْطَعَ بحضوره ، ويركب وينصرف إلىٰ القلعة .

الهيئة السادسة

(هيئتـــه فى أســـفاره)

ولم تجر العادة فيها باظهار ماتقدّم من الزينة فى موكب العيد والميدان ، بل يركب فى عِدّة كبيرة من الأمراء : الأكابر والأصاغر ، والخواصّ ، والغرباء ، وخواصّ مماليكه . ولا يركب فى السَّيْر برقبة ولا عصائب ، ولا تتبعه جنائب ، ويقصد فى الغالب تأخير النزول إلىٰ الليل . فإذا دخل الليـــل حُمِلت أمامه فوانيس كثيرةٌ ومَشَاعلُ ، فإذا قارب مُخَيَّمه ، تُلُقِّيَ بالشـــموع المركبـــة فى الشـــمعدانات المكفَّتَة ، وصاحت الجاويشية بين يديه ، وترجل الناس كافة إلا حَمَلَة السلاح والأوشاقيةُ وراءه ، ومشت الطبردارية حوله حتّى يدخل الدهليز الأوّل من مُخَيَّمه فينزل ويدخل إلىٰ الشـــقة ، وهى خيمة مستديرة متســـعة ، ثم منها إلىٰ شقة مختصرة ، ثم إلىٰ لاجوق . وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور خركاه من خشب ، وفى صدر اللّاجُوق قصرٌ صغير من خشب ينصب للمبيت فيه ، وينصب بإزاء الشقة حَمَّـــامٌ بقدور من رَصَاص وحوض علىٰ هيئـــة الحمـــامات بالمدن إلا أنه مختصر . فإذا نام طافت به الممـــاليك دائرةً وطاف بالجميع الحَرَس ، وتدور الزَّفَّة حول الدهليز فى كل ليلة مرتين : عند نومه وعند آستيقاظه من النوم ، ويطوف مع الزَّفَّة أميرٌ من أكابر الأمراء وحوله

الفوانيس والمشاعل، ويبيت على باب الدهليز أرباب الوظائف من النقباء وغيرهم. فإذا دخل إلى المدينة، ركب على هيئة ركوبه لصلاة العيد بالمِظَلّة وغيرها، هذا ما يتعلق بخاصته.

أما موكبه الذى يسير فيه جمهور مماليكه، فشعاره أن يكون معهم مقدّم المماليك والأستادار، وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن، ويكون بصحبته فى السفر من كل ما تدعو الحاجة إليه من الأطباء والكَحّالين والجرائحية وأنواع الأدوية والأشربة والعقاقير ومايجرى مجرى ذلك، يُصْرَف ذلك لمن يعرض له مرض بالطريق.

الهيئة السابعة

(النوم)

وقد جرت العادة أنه يبيت عنده خواصّ مماليكه من الأمراء وأرباب الوظائف من الجدارية وغيرهم، يَسْهَرون بالنَّوْبَةِ بقسمة بينهم على بناكيم الرمل، كلما انقضت نَوْبَةٌ قوم أيقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم، ويتعاطى كل منهم ما يشاغله عن النوم فقوم يقرءون فى المصاحف، وقوم يلعبون بالشِّطْرَنْج والأكل (١) وغير ذلك.

---

(١) أى وقوم يتشاغلون بالأكل الخ.

المقصـــــد السادس

(فى عادته فى إجراء الأرزاق؛ وهو علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(الجارى المستمرّ؛ وهو علىٰ نوعين)

النـــــوع الأوّل

(الإقطاعات)

والإقطاعات فى هـذه المملكة تجرى علىٰ الأمراء والجُنْد . وعامّة إقطاعاتهم بلاد وأراضٍ يَسْتَغِلُّها مُقْطَعُها ويتصرف فيها كيف شاء، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل، وتختلف بآختلاف حال أربابها .

فأما الأمراء بالديار المصرية فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أنّ أكابر الأمراء يبلغ إقطاعُ الواحد منهم مائتى ألف دينار جيشية . وربما زاد علىٰ ذلك . ويتناقص بآعتبار آنحطاط الرتبة إلىٰ ثمانين ألفَ دينار وما حولها، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء الطبلخاناه ثلاثين ألفَ دينار فأكثر، وينقص إلىٰ ثلاثة وعشرين ألف دينار، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء العشرات تسعة آلاف دينار إلىٰ مادون ذلك، ويبلغ إقطاع الواحد من مقدّمى الحَلْقة إلىٰ ألف وخمسمائة دينار، وكذلك أعيان جند الحَلْقة إلىٰ مائتين وخمسين دينارا .

وأما إقطاعات الشام فلا تُقارب هـذا المقدارَ بل تكون بقدر الثلثين فى جميع ماتقدّم . خلا أكابر الأمراء المقدّمين بالديار المصرية، فليس بالشام من يبلغ شأوهم إلا نائب الشام فإنه يقاربهم فى ذلك . قال فى "مسالك الأبصار" : وليس للنواب فى الممالك مَدْخَل فى تأمير أمير عِوَضَ أمير بل إذا مات أميرٌ صغير أو كبير طولع به

السلطان فأمَّر مكانه مَنْ أراد ممن فى خدمته، ويخرجه إلىٰ مكان الخدمة، وأما مَنْ كان فى مكان الخدمة أو ينقل إليه من بلد آخر فعلىٰ ما يراه فى ذلك .

أما جُنْـد الحَلْقة، فمن مات منهم آستخدم النائب عِوَضَـه، وكتب بذلك رُقْعة فى ديوان جيش تلك المملكة، ويُجَهَّزُ مع بريدىّ إلىٰ الأبواب السلطانية فيُقابَلُ عليها من ديوان الجيش بالحضرة، ثم إن أمضاها السلطان كتب عليها (يكتب) ويكتب بها مربعة من ديوان الجيش، ويكتب عليها منشور .

ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتبُ الجاريةُ فى كل يوم: من اللحم، والتَّوابل، والخبز، والعليق، والزيت؛ ولأعيانهم الكسوة والشَّمَعُ؛ وكذلك المماليك السلطانية وذوُو الوظائف من الجنـد مع تفاوُت مقادير ذلك بحسَب مراتبهم وخُصوصيَّتهم عند السلطان وقربهم إليه . قال فى "مسالك الأبصار" : وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دنانيرُ وخبزٌ ولحم وعليق إلىٰ أن يتأهل للإقطاع فى جملة الحَلْقة، ثم منهم من ينقل إلىٰ العشرة أو الطبلخاناه علىٰ حسب الحظوظ والأرزاق .

النوع الثـانى

(رزق أرباب الأقـلام)

وهو مبلغٌ يصرف إليهـم مُشاهَرة . قال فى "مسالك الأبصـار" : وأكبرهم كالوزير له فى الشهر مائتان وخمسون دينارا جيشية، ومن الرواتب والغَلَّة ما إذا بسط وثمن كان نظير ذلك. ثم دونَ ذلك ودونَ دونه. ولأعيانهم الرواتب الجارية: من اللحم، والخبز، والعليق، والشَّمَع، والسُّكَّر، والكسوة ونحو ذلك. إلىٰ غير ذلك مما هو جار علىٰ العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والأراضى المؤبدة. وما يجرى مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف ممـا لا يوجد بمملكة من الممـالك. ولا مصر من الأمصار .

الضـــرب الثـانى

(الإنعام وما يجرى مجراه : مما يقع فى وقتٍ دون وقت ، وهو على خمسة أنواع)

النوع الأوّل

(الخِلَعُ والتَّشَاريف)

قال فى "المسالك" : ولصاحب مصر فى ذلك اليدُ الطُّولى حتّى بَقِى بابه سُوقًا يَنْفُقُ فيه كل مجلوب ، ويحضُر الناس إليه من كل قُطْرٍ حتّى كاد ذلك يَنْهَك المملكة و يودى بمُتَحَصَّلَاتها عن آخرها . قال : وغالب هذا مما قرّره هذا السلطان ، ولقد أتعب مَنْ يجىء بعده من كثرة الإحسان .

وهى على ثلاثة أصناف .

الصنف الأوّل

(تشاريف أرباب السيوف)

وهى على طبقات ، أعلاها ماهو مختص بالأمراء المقدّمين من النوّاب وغيرهم فوقانى أطلس أحمر بطرز زركش ، مُفَرًّى بسنجاب ، بدائره سجف من ظاهره مع غشاء قندس ، وتحته قَبَاءٌ أطلس أصفر ، وكلوتة زركش بكلاليب ذهب ، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض ، مرقومان بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملوّن ، ومِنْطَقَة ذهب مركّبة على حاشية حرير تشدّ فى وسطه ، ويختلف حال المِنْطَقَة بحسب المراتب . فأعلاها أن يعمل من عمدها [بواكير](١) وسَطًا ومحبسين ، مرصّعة بالبَلَخْش والزُّمُرُّدِ واللُّؤلُؤ ، ثم مَا كَانَ ببيكارية واحدة مرصعة ، ثم مَا كَانَ ببيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مُفَخَّمَة ، زيد سيفًا محلًّى بذهب وفرسا مُسْرَجا ملجما بكنبوش زركش ، وربما زيد أكابر النوّاب كنائب الشام

(١) الزيادة عن ضوء الصبح .

تركيبة زَرْكَش على الفوقانى ، وشاش حرير سكندرى مموّج بالذهب . ويعرف ذلك بالمتمر . وعلى ذلك كان شاش صاحب حماة ، ويكون عوض كنبوشه زنارى أطلس أحمر . ودون ذلك من التشاريف أقبيــة طرد وحش من عمل الإسكندرية ومصر والشام ، مجوّخ : جاخاتٌ مكتوبة بألقاب السلطان ، وجاخاتٌ صُوَرُ وحوش أو طيور صِغَار ، وجاخات ملوّنة مموّجة بقصب مذهب ، يفصل بين جاخاته نقوشٌ ، يركب على القَبَاء طراز زركش ، وعليه السنجاب والقندس كما تقــدّم ، وتحته قبــاء من الطرح السكندرى المفرج ، وكلوتة زركش بكلاليبَ وشاش كما تقدّم ، وحياصة ذهب تارة تكون ببيكارية وتارة لا تكون ، وهــذه لأصاغر أمراء المِئِين وَمَنْ يُلْحق بهم ، وكذلك أصحاب الوظائف المختصة بذلك كالجوكندار والولاة ومن يجرى مجراهم[1] .

ثم للتشاريف أماكن .

منها إذا ولى أمير أو صاحب مَنْصب وظيفة فإنه يلبس تشريفا يناسب ولايته التى وَلِيها على حسب ما تقتضيه الرتبة علوّا وهبوطا .

ومنهــا عيد الفطر ، يخلع فيه على جميع أرباب الوظائف : من الأمراء وأرباب الأقلام كالأستادار والدّوادار وأمير سلاح والوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش ونحوهم ، كلٌّ منهم بمــا يناسبه .

قال فى " مسالك الأبصار " : ومن عادة الســلطان أن يُعِدَّ لكل عيد خِلْعة على أنها لملبوســه من نسبة خِلَع أكابر المئين فلم يلبسها ، ولكنْ يختص بهــا بعضَ أكابر المئين يخلعها عليه

ومنها الميادين ، يخلع فيها على أكابر الأمراء كل ميدان يختص بأمير أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفرّج المُذْهَب .

(١) لم يذكر فى الأصل الصنف الثانى والثالث وهما تشاريف الوزراء والكتّاب وتشاريف القضاة والعلماء ، وقد تكلم عليهما فى الضوء ، فانظره .

ومنها دَوَران المحمل فى شوّال ، يخلع فيه علىٰ أرباب الوظائف بالمحمل كالقاضى والنـاظر والمحتسب والشاهد والمقدّمين والأدلة وناظر الكسوة ومباشريها ومَنْ فى معناهم .

النـــوع الثـانى
(الخيـــول)

قد جرت عادة صاحب مصر أن ينعم علىٰ أمرائه بالخيول مرتين فى كل سنة : المرة الأولىٰ عند خروجه إلىٰ مرابط خيوله علىٰ القُرْط فى أواخر ربيعها ، فينعم علىٰ الأخِصّاء من أمرائه بما يختاره من الخيول علىٰ قدر مراتبهم ، وتكون خيول المقدّمين منهم مُسْرَجة ملجّمة بكابيش من زركش ، وخيولُ أمراء الطبلخانات عُرْياً من غير قُمَاش . المرة الثانية عند لَعِبِه الكُرَةَ بالميدان ، وتكون خيول المقدّمين والطبلخانات مُسْرَجَةً مُلْجَمَةً بفضة يسيرة بلا كابيش ؛ وكذلك يرسل إلىٰ نواب الممالك الشاميـة كل أحد بحسـبه ، وليس لأمراء العشرات فى ذلك حظ إلا ما يتفـقدهم به علىٰ سبيل الإنعام .

قال المقرّ الشهابىّ بن فضل الله : ولخـاصة المقربين من الأمراء المقدّمين والطبلخانات زيادات كثيرة فى ذلك بحيث يصل بعضهم إلىٰ مائة فرس فى كل سنة ؛ وله أوقاتٌ أخرىٰ يفرّق فيها الخيلَ علىٰ مماليكه وربمـا أعطىٰ بعض مقدّمى الحَلْقة ؛ وكُلُّ مَنْ مات له فرس من مماليكه دفع إليه عوضه ، وربمـا أنعم بالخيول علىٰ ذوى السِّنّ من أكابر الأمراء عند الخروج إلىٰ الصيد ونحوه .

ولخيول الأمراء فى كل سـنة إطلاقات أراض بالأعمـال الجيزية لزرع القُرْط لخيولهم من غير خَرَاج ، وللماليك السلطانية البَرْسيم المزدَرَع علىٰ قدر مراتبهم ، وما يدفع

إليهم من القرط يكون بدلا من عليق الشعير المرتّب لهم فى غير زمن الربيع عوضا عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله فى مدّة ثلاثة أشهر .

النوع الثـالث
(الكُسْوة والحوائض)

قد جرت عادة السلطان أنه ينعم على ممـاليكه وخواصّ أهل المناصب من حَمَلة الأقلام فى كل سنة بكسوة فى الشتاء وكسوة فى الصيف على قدر مراتبهم ، ومن عاداته أنه إذا ركب للَعب الكرة بالميدان فَرَّق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدّمين ، يفرّق فى كل موكب ميدان على أميرين بالنَّوْبة حتّى يأتى على آخرهم فى ثلاث سـنين أو أربع بحسب ما تقع نَوْبته فى ذلك . قال فى " المسالك " : أما أمراء الشأم فلا حظّ لهم من الإنعام فى أكثر من قَبَاء واحد يلبس فى وقت الشتاء إلا من تعرّض لقصد السلطان فإنه ينعم عليه بما يقتضيه حاله .

النـــوع الرابع
(الإنعـام والأوقاف[1])

وأكثر الأوقات لا ضابط لعطائه إنمـا يكون بحسب مزية المنعَم عليه عند السلطان وقربه منه . قال فى "مسالك الأبصار" : ولخاصة الأمراء المقدّمين أنواع من الإنعامات كالعَقّار والأبنية الضَّخْمة التى ربمـا أُنْفق على بعضها فوق مائة آلف دينار ، وكساوى القماش المنوع ، وفى أسفارهم فى وقت خروجهم إلى الصـيد وغيره العلوفات والأموال .

---

(١) فى الضوء "والإدرار" .

النوع الخامس

(المأكول والمشروب)

أعظم أسمطة هـذا السلطان تكون بالإيوان الكبير أيامَ المواكب . إذا خرجت القضاة وسائر أرباب الأقلام من الخدمة . مُدّ السماطُ بالإيوان الكبير من أوّله إلىٰ آخره بأنواع الأطعمة المنوّعة الفاخرة . ويَجْلِس السلطانُ علىٰ رأس الخِوَان والأمراءُ يَمْنَةً ويَسْرَةً علىٰ قدر مراتبهم فى القرب من السلطان . فيأكلون أكلا خفيفا ثم يقومون . ويجلس مَنْ دونهم طائفة بعد طائفة . ثم يُرفَع الخِوَانُ . وأما فى بقية الأيام فيمدّ الخِوَانُ فى طَرَفى النهار لعامّة الأمراء خلا البرّانيين فإنه لا يحضُره منهم إلا القليل النادر .

ففى أوّل النهار يمدّ سماطٌ أوّلُ لا يأكل منه السلطان شيئا ، ثم سماط ثانٍ بعده قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ، ثم سماط ثالث بعده يسمى الطارئ ، ومنه مأكول السلطان .

وفى أُخْرَيَاتِ النهار يمدّ سماطان الأوّل والثانى المسمى بالخاص ، ثم إن ٱستُدْعى بطارئ حضر ، وإلا فبحسب ما يؤمر به . وفى كل هـذه الأسمطة يسقىٰ بعدها المشروب من الأقسما السكّرية عقب الأكل . وأما فى الليل فيبيت بالقرب من مبيته أطباقٌ من أنواع المآكل المختلفة والمشروب الفائق ليتشاغل أصحاب النُّوَب بالمأكول والمشروب عن النوم . قال فى "مسالك الأبصار" : ولكل ذى إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والحَلْوىٰ فى شهر رمضان ، والضَّحية علىٰ مقادير رُتَبهم .

المقصد السابع

(فى آختصاص صاحب هذه المملكة بأماكنَ داخلة فى نطاق مملكته ، يمتاز بها علىٰ ملوك الأرض من المسلمين وغيرهم)

منها **الكعبة المعظمة** داخلة فى نطاق هذه المملكة ، وآختصاصه بكسوتها ودَوَران المحمل فى كل سنة .

أما كسوة الكعبة ، فإنها كانت فى الزمن الأوّل مختصّةً بالخلفاء ، وكانت خلفاء بنى العبّاس يجهزونها من بغدادَ فى كل سنة ، ثم صارت إلىٰ ملوك الديار المصرية يجهزونها فى كل سنة ، وآستقرت علىٰ ذلك إلىٰ الآن . ولا عِبْرة بما وقع من آستبداد بعض ملوك اليمن فى بعض الأعصار بذلك فى بعض السنين ، وهذه الكسوة تُنْسَج بالقاهرة المحروسة بمشهد الحُسَين من الحرير الأسود مطرّزةً بكتابة بيضاء فى نفس النسج ، فيها : ﴿ إنَّ أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ لَلّذى بِبَكّةَ ﴾ الآية . ثم فى آخر الدولة الظاهرية برقوق آستقرت الكتابة صفراء مشعّرة بالذهب . ولهذه الكسوة ناظر مستقلٌّ بها ، ولها وقف أرض بيسوس من ضواحى القاهرة يُصْرف منها علىٰ آستعمالها .

وأما دَوَران المَحْمِل ، فقد جرت العادة أنه يدور فى السنة مرتين : المرّة الأولىٰ فى شهر رجب بعد النصف منه ، يحمل وينادىٰ لأصحاب الحوانيت التى فى طريق دَوَرانه بتزيين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام ، ويكون دَوَرانه فى يوم الآثنين أو الخميس لا يتعدّاهما ، ويحمل المَحْمِلُ علىٰ جمل وهو فى هيئة لطيفة من خركاه وعليه غِشاءٌ من حرير أطلس أصفر ، وبأعلاه قُبّة من فضة مطلية ويبيت فى ليلة دَوَرانه داخلَ باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، ويحمل بعد الصبح علىٰ الجمل المذكور

ويسـير إلىٰ تحت القلعة، فيركب أمامَه الوزيرُ والقضاةُ الأربعة والمحتسبُ والشهودُ وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من المماليك السلطانية الرمّاحة ملبسين المصفّات الحديد المُغَشّاة بالحرير الملوّن، وخيولهم ملبسـة البركستوانات والوجوه الفولاذ كما فى القتال، وبأيديهم الرماح، عليها الشطفات السلطانية فيلعبون تحت القلعة كما فى حالة الحرب؛ ومنهم جماعة صغار بيد كل منهم رمحان يديرهما فى يده وهو واقف علىٰ ظهر الفرس، وربما كان وقوفه فى نَعْل من خشب علىٰ ذُبَاب سيفين من كل جهة؛ وهو يفعل كذلك ويهيئُوا من أزيار النفط وغيرها جملة مسـتكثرة، ويطلق تحت القلعة فى خلال ذلك، ثم يذهب إلىٰ الفُسْطَاط فيمرّ فى وسطه، ثم يعود إلىٰ تحت القلعة ويفعل كما فى الأوّل إلا أنه أقل من ذلك؛ ثم يحمل من[1] جامع الحـاكم ويوضع فى مكان هنالك إلىٰ شوّال؛ وفى خلال ذلك كله الطبلخانات والكوسات السـلطانية تضرب خلفه، ويخلَع فيـه علىٰ جمـاعة مستكثرة. وكذلك يفعل فى نصف شوّال إلا أنه يرجع من تحت القلعة إلىٰ باب النصر ويخرج إلىٰ الرَّيْدانيَّة للسفر ولا يتوجه إلىٰ الفُسْطَاط.

المقصـــد الثـامن

(فى انتهاء الأخبار إليه، وهو علىٰ ثلاثة أنواع)

النـــوع الأوّل

(أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم)

وقد جرت العادة أنه إذا وصل رسولٌ من ملِك من الملوك إلىٰ أطراف مملكته كَاتَبَ نائبُ تلك الجهة السلطانَ عرّفه بوُفُوده، واستأذنه فى إشخـاصه إليه، فتبرُزُ المراسيمُ السلطانية بحضوره فيحضُر. فإذا وقع الشُّـعور بحضوره فإن كان مرسـله

---

(١) لعله إلىٰ جامع الخ.

ذا مَكانة عظيمة من الملوك : كأحد القانات من ملوك الشرق، خرج بعض أكابر الأمراء كالنائب وحاجب الحُجّاب ونحوهما للقائه. وأُنزل بقصور السلطان بالميدان الذى يلعب فيه بالكُرَة ، وهو أعلىٰ منازل الرسل . وإن كان دون ذلك تلقاه المهمندار وآستأذن عليه الدَّوادار وأنزله دارَ الضيافة أو ببعض الأماكن علىٰ قدر رتبته . ثم يرتقب يومَ موكبٍ فيجلس السلطان بإيوانه ، وتحضر أعيان المملكة الذين شأنهم الحضور من أرباب السيوف والأقلام. ويحضُر ذلك الرسول وصحبته الكتاب الوارد معه . فيُقَبِّلُ الأرض ويتناول الدوادار الكتابَ منه فيمسحه بوجه الرسول ، ثم يدفعه إلىٰ السلطان فيفُضُّه ويدفعه إلىٰ كاتب السر فيقرؤه علىٰ السلطان ويأمر فيه أمرَه .

النـــــوع الثـانى

(الأخبار التى تَرِدُ عليه من جهة نوابه)

عادة هذا السلطان أن يطالعه نُوَّابُه فى مملكته بكل ما يتجدّد عندهم من مهمّات الأمور أو ما قاربها. وتؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الإنشاء بما يراه فى ذلك ، أو يبتدئهم هو بما يقتضيه رأيه. وينفّذ علىٰ البُرُد أوأجنحة الحَمَام الرسائل- علىٰ ما يأتى ذكره فى المقالة الثالثة من الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

وقد جرت العادة أنه إذا ورد بَرِيدٌ من بلد من بلاد المملكة أو عاد المجهَّز من الأبواب الشريفة بجواب. أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيُقَبِّلُ الأرض . ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى، ثم يناوله للسلطان فيفُضُّه ويجلس كاتب السر فيقرؤه عليه ويأمر فيه بأمره .

وأما بطائق الحمـام . فإنه إذا وقع طائر من الحمام الرسائلي ببطاقة أخذها البرّاج وأتى بها الدّوادار، فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمـام بيده. ثم يحملها إلى السلطان ويحضر كاتب السرّ فيقرؤها كما تقدم .

النـــوع الثـالث
(أخبار حاضرته)

جرت العادة أن والى الشُّرْطَة يستعلم متجدّدات ولاياته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك فى كل يوم من نوابه ، ثم تكتب مطالعة جامعـةٌ بذلك وتحمل إلى السلطان صبيحةَ كل يوم ليقف عليها . قال فى "مسالك الأبصار": وأما مايقع للناس فى أحوال أنفسهم فلا .

المقصـــد التاسع
(فى هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم)

واعلم أن كل أمير من أمراء المِئِين أو الطبلخانات سلطان مختصَر فى غالب أحواله ، ولكل منهم بيوت خَدَمة كبيوت خَدَمة السلطان من الطَّشْت خاناه، والفرّاش خاناه، والرِّكاب خاناه . والزَّرَدْخاناه، والمطبخ، والطبلخاناه، خلا الحوائج خاناه فإنها مختصة بالسلطان ، ولكل واحد من هـذه البيوت مِهْتار متسلم حاصلَه ، وتحت يده رجال وغِلْمـان لكل منهم وظيفة تخصه، وكذلك لكل منهم الحواصل من إصـطبلات الخيول ومُنَاخات الجمـال وشُوَن الغلال؛ وله من أجناده أسـتادار، ورأس نَوْبة، ودَوَادار، وأمير مجلس، وجمدارية، وأميراخور، وأستادار صحبة، ومشرف، وتوصف البيوت فى دواوين الأمراء بالكريمة ، فيقال البيوت الكريمة كما يقال فى بيوت السلطان البيوت الشريفة، وكذلك كل فرد منها فيقال : الطِّشْت خاناه الكريمة والفراش خاناه

الكريمة ، وكذا فى الباقى؛ ويوصف الإصطبل بالسعيد فيقال : الإصطبل السعيد، وكذلك المُنَاخ، وتوصَف الشُّوَن بالمعمورة فيقال : للشُّونة المعمورة . قال فى " مسالك الأبصار " : ومن رسم الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مُسْرَجٌ مُلْجَمٌ، وربما ركب الأمير من أكابرهم بجنيبين سواء فى ذلك الحاضرة والبرّ . قال : ويكون لكل منهم طلب مشتمل علىٰ أكثر مماليكه، وقدامهم خِزَانة محمولة للطبلخاناه علىٰ جمل واحد، يجرّه راكب علىٰ جمل آخر، والألف علىٰ جملين وربما زاد بعضهم علىٰ ذلك. وأمامَ الخزانة عِدّة جنائب تُجَرّ علىٰ أيدى مماليكَ رُكَّابِ خيل وهُجْن ، وركَّابة من العرب علىٰ هجن، وأمامهم الهِجْن بأكوارها مجنوبة، للطبلخاناه قطار واحد وهو أربعة ، ومركوب الهَجَّان والألف قطاران وربما زاد بعضهم . قال : وعدد الجنائب فى كثرتها وقلتها إلىٰ رأى الأمير وسَعَة نفسه، والجنائب المذكورة منها ماهو مُسْرَجٌ مُلْجَمٌ ، ومنها ماهو بعباءة لاغير . انتهىٰ كلامه .

ومن عادتهم أيضا أن الأمير إذا ركب يكون أكابر أجناده من أرباب الوظائف : كرأس نَوْبة والدَّوادار، وأمير مجلس، ومشاة الخدمة أمامَه؛ وكلُّ من كان منهم أكبر كان إليه أقرب؛ وتكون الجمدارية من مماليكه الصِّغار خلفَه وأميراخوره خلف الجميع، ومعه الجنائب والأوشاقية علىٰ قاعدة السلطان فى ذلك .

ومن عادة أكابر[1] مجالس بيوتهم أنه ينصب للأمير بشتميخ خلف ظهره من الجوخ الأحمر المزهر بالجوخ الملوّن، برنك ذلك الأمير وطراز فيه ألقابه، ويجلس علىٰ مقعد مُسْنِدا ظهره إلىٰ البشتميخ، وربما جلس أكابرهم علىٰ مدوّرة من جلد ورجلاه علىٰ الأرض، وتكون الناس فى مجلسه فى القرب إليه علىٰ حسب مراتبهم .

ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه مابين هناب أو دواة أو بقجة أو فرنسيسية ونحو ذلك ، بشطفة واحدة أو شطفتين، بألوان مختلفة، كل

(١) لعله " ومن عادة الاكابر فى مجالس الخ "

أمير بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك ، ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كمطابخ السُّكَّر، وشون الغلال، والأملاك والمراكب وغير ذلك ،وعلى قُمَاش خيولهم من جوخ ملون مقصوص،ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبى والبلاسات ونحوها ، وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركصطوانات للخيل وغيرها .

ومن عوائد أمراء العسكر بالحضرة السلطانية أنهم يركبون في يومى الأثنين والخميس فى الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل إن كان، وإلا فعلى حاجب الحُجَّاب، ويسيرون تحت القلعة مَرَّات،ثم يقفون بسوق الخيل وتُعْرَض عليهم خيول المناداة، وربما نُودِى على كثير من آلات الخيل والخِيَم والحركاوات والأسلحة . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد ينادى على كثير من العَقَارات، ثم يطلُعُون إلى الخِدْمة السلطانية على ماتقدّم .

ومن قاعدة هذه المملكة أن أجناد الأمراء كافة تُعْرَض بديوان الجيوش السلطانية وتثبت أسماؤهم مفصّلة فيه، وكانوا فيما تقدّم يحلون بالديوان . أما الآن، فقد ترك ما هنالك وآكتُفِى بأوراق تكتب من دواوين الأمراء بأسماء أجناده وتخلّد بديوان الجيوش . ثم كلما مات واحد منهم أو فُصِل من الخدمة، عُرِض بديوان الجيش واحد مكانه يعبر فيه عرض من ديوان ذلك الأمير .

ومن عادتهم أن من مات من الأمراء والجند قبل آستكمال سنة خدمته حوسب فى مستحق إقطاعه على مقدار مدّته، وكتب له بذلك محاسبة من ديوان الجيوش، ويكون ما يتحصّل من المغل شركة بين المستقر وبين الميت أو المنفصل على حسب استحقاق القراريط، كل شهر من السنة بقيراطين .

ومن عادة الأمراء أنه إذا مر السلطان فى متصيّداته بإقطاع أمير كبير، قدّم له من الإوَزّ والدَّجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو اليه همة مثله فيقبله منه ، ثم ينعم عليه بخِلْعة كاملة يلبسها، وربما أمر لبعضهم بشىء من المال فيقبضه .

المقصد العاشر

(فى وُلاة الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(النُّواب، والمستقر بها ثلاث نيابات)

الأُولى — نيابة الإِسْكَنْدَرِيَّة : وهى نيابة جليلة، نائبها من الأمراء المقدّمين يُضاهى فى الرتبة نيابة طَرَابُلُس وما فى معناها أو يقاربها ، وبها حاجبٌ أميرُ عشرة ، وحاجب جندىّ ، ووال للمدينة، وأجناد حَلْقَة عدّتهم مائتا نفر، يعبر عنهم بأجناد المائتين، وبها قاضى قضاة مالكىّ، وقاض حنفىّ مستحدَث. وربما كان بها قاض شافعىّ، والمالكىّ أكبر الكل بها، وهو المتحدّث فى أموال الأيتام والأوقاف. على أنه ربما وَلِىَ قضاءَ قضاتها فى الزمن الماضى شافعىٌّ، وبها مُوقِّع يعبر عنه فى البلد بكاتب السر، وناظر متحدّث فى الأموال الديوانية، ومعه مستوف، وتحت يده كُتَّابٌ وشهود ؛ وبها محتسب ، وليس بها قُضاة عسكر ولا مُفْتُو دار عدل. ووكيل بيت المال بها نائب عن نائب بيت المال بالقاهرة ، وتُرَكَّز بها أمراء المقدّمين والطبلخانات فى غير الزمن الذى يمتنع سير المراكب الحربية فى البحر بشدّة الريح منها، ووال للتركيز يسمّى الحاجب . وقد مرّ القول على معاملتها. وذكر أحوالها فى الكلام على قواعد الديار المصرية المستقرّة مُغْنٍ عن إعادته هنا .

وهذه النيابة مع جلالة قَدْرها ورِفْعَة محلّها ليس لها عَمَل يحكم فيه نائبها ولا قاضيها ومحتسبها ، بل حكمهم قاصر علىٰ المدينة وظواهرها لا يتعدّىٰ ذلك ، بخلاف غيرها من سائر نيابات المملكة . وبها كرسيّ سلطنة بدار النيـابة ، وعادة الخِدْمة السلطانية بها فى أيام المواكب أن يركب نائب السلطنة من دار النيابة وفى خدمته مماليكه وأجناد المـائتين المتقدم ذكرهم ، ويخرج من دار النيابة عند طلوع الشمس ، ويسـير فى موكبه والشَّبَّابة السـلطانية بين يديه حتّىٰ يخرج من باب البحر ، ويخرج الأمراء المَرَكَّزُون علىٰ حِدتِهم أيضـا ، ويجتمـعون فى الموكب ويسـيرون خارج باب البحر ساعة ثم يعودون ، ويتوجه النائب إلىٰ دار النيابة فى مماليكه وأجناد المـائتين ، وقد فارقه الأمراء المركَّزون وتوجه كلٌّ منهم إلىٰ منزله . فإذا صـار إلىٰ دار النيابة : فإن كان فى ذلك الموكب سِمَاطٌ ، وضع الكرسىُّ فى صدر الإيوان مغشًّى بالأطلس الأصفر ووضع عليه سيف نمجاة سلطانية ومُدّ السماط تحته وأكل ممـاليك النائب وأجناد المـائتين وجلس النـائب بجنبة من الإيوان والشباكُ مُطِلٌّ علىٰ مينا البلد ، ويجلس القاضى المـالكىّ عن يمينه ، والقاضى الحنفىّ عن يساره ، والناظر تحته ، والموقِّع بين يديه ، ورءُوس البـلد علىٰ قدر منـازلهم ، وترفع القصص فيقرؤها الموقِّع علىٰ النائب فيفصلها بحضرة القضاة ثم ينصرف الموكب .

قلت : وهذه النيابة مستحدَثة ، وكان آبتداء ترتيبها فى سنة سبع وستين وسبعمائة فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرقها الفرنج وفتكوا بأهلها وقتلوا ونهبوا وأسروا ، وكانت قبل ذلك ولايةٌ تعـدّ فى جملة الولايات الطبلخاناه ، وكان لواليهـا الرتبةُ الجليلة والمكانةُ العلية .

الثانية — نيابة الوجه البحرىّ . وهى مما آستُحْدث فى الدولة الظاهرية برقوق ، ونائبها من الأمراء المقدّمين ، وهو فى رتبة مقدّم العسكر بغَزَّة الآتى ذكره فى الممـالك

الشامية، ومقرّ نيابتها مدينة دَمَنْهُورَ بالبحيرة، وحكمه علىٰ جميع بلاد الوجه البحرىّ المتقدّم ذكرها فى الكلام علىٰ أعمال الديار المصرية المستقرة خلا الإسْكَنْدَرِيَّة، وليست علىٰ قاعدة النيابات فى ركوب المواكب وما فى معناها ؛ بل نائبها فى الحقيقة كَاشِفٌ كبير، وليس فيها من رسوم النيابة سوىٰ لبس التشريف وكتابة التقليد والمكاتبة بما يكاتب به مثل نائبها من النوّاب، وقد كان القائم بها فى الزمن الأوّل قبل آستقرارها نيابةً يعبر عنه بوالى الوُلَاةِ .

الثالثة — نيابة الوجه القبلىّ . وهى مما آستُحدِث فى الدولة الظاهرية برقوق أيضا، وكان مقرّ نائبها مدينةَ أُسْيوط، وحكمه علىٰ جميع بلاد الوجه القبلىّ، وهى فى الترتيب والرتبة علىٰ ماتقدّم من نيابة الوجه البحرىّ، غير أنها أعظم خَطَرا فى النفوس وكان القائم بها قبل ذلك يسمّى والى الولاة كما تقدّم فى الوجه البحرىّ .

الطبقة الثانيــــة
(الكُشَّافُ)

قد تقدّم أنه قبل آستحداث النيابة بالوجهين القبلىّ والبحرىّ كان بهما كاشفان يعبّر عن كل منهما بوالى الولاة، ولما آستقرّا نيابتين جعل للوجه البحرىّ كاشفٌ من أمراء الطبلخاناه علىٰ العادة المتقدّمة، وهو فى الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرىّ، ومقرّته مُنْية غَمْر من الشرقية، وجعل كاشف آخر للبهنساوية والفَيّوم؛ وعُطِّل الفَيُّومُ من الوالى، و باقى الوجه القبلىّ أمره راجعٌ إلىٰ نائبه؛ وللجيزية كاشفٌ يتحدّث فى جسورها وسائر متعلّقاتها، ولا يتعدّىٰ أمره إلىٰ غيرها من النواحى .

الطبقة الثالثـــــة

(الوُلاة بالوجهين القبلى والبحرى)

وقد تقدّم ذكر أعمالها؛ ومراتب الولاة بهما لاتخرج عن مرتبتين :

المرتبة الأولىٰ ــ الولاة من أمراء الطبلخاناه . وهى سبع[1] ولايات بالوجهين القبلى والبحرى علىٰ ما آستقرّ عليه الحال .

فأما الوجه القبلى ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة : وهى ولاية البهنسىٰ ، وولاية الأُشْمُونين ، وولاية قُوص ، وهى أعظمها حتّى إن واليها كان يركب بالشـبّابة أسوة النوّاب بالممالك ، وولاية أسوان : وهى مستحدثة فى الدولة الظاهرية برقوق ، وكانت قبل ذلك مضافة إلىٰ والى قُوص يجعل فيها نائبا من تحت يده ، وكانت ولاية القَيُّوم طبلخاناه ، ثم آستقرّت كشفا علىٰ ماتقدّم .

أما أُسْيوط ، فلم يكن بها والٍ لكونهـا مقرّ نائب الوجه القبلى ومقرّ والى الولاة من قبله ، وسيأتى ما كان ولاية طبلخاناه من الوجه القبلى ثم نقل .

وأما الوجه البحرى ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة ، وهى ولاية الشرقية ، ومقرّ واليها بُلْبَيْس ؛ وولاية المنوفيـة ومقرّ واليهـا مدينة مَنُوف ؛ وولاية الغربية ، ومقرّ واليها المحلة الكبرىٰ ، وهى تضاهى ولاية قُوص من الوجه القبلى إلا أن واليها لم يركب بالشبابة قط ؛ وولاية البحيرة ، ومقرّ واليها مدينة دَمَنْهور ، وربما عطلت ولايتها لكونها مقرّة النائب ، وقد تقدّم أن ولاية النائب قبل أن تستقرّ نيابة كانت ولاية طبلخاناه .

المرتبة الثانية ــ من الولاة أمراء العشرات . وهى سبع ولايات بالوجهين :

فأما القبلى ففيه من هذه الرتبة ثلاث ولايات : ولاية الجيزة ، وكانت قبل ذلك طبلخاناه ؛ وولاية إطفيح ولم تزل عشرة ؛ وولاية منفلوط وولايتها عشرون ، وكانت

---

(١) تد عد ثمـان ولايات .

قبل ذلك ولاية طبلخاناه، وقد كان بعيذاب فى الأيام الناصرية ابن قلاوون وما بعدها وال أمير عشرة يولى من قبل السلطان ويراجع والى قوص فى الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرى ، ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة ، ولاية منوف ، وولاية أشموم ، وولاية دمياط ، وولاية قطيا ، وكانت قبل ذلك طبلخاناه .

الطبقة الرابعة

(أمراء العربان بنواحى الديار المصرية)

قد تقدم فى الكلام على مايحتاج إليه الكاتب فى المقالة الأولى ذكر أصول أنساب العرب ، وانقسامهم إلى قحطانية وهم العاربة ، وإلى عدنانية وهم المستعربة ، وبيان رجوع كل بطن من بطون العرب الموجودين الآن بالديار المصرية وغيرها إلى قبيلتهم التى إليها ينتسبون ، وبيان من بوجهى الديار المصرية القبلى والبحرى من القبائل ، وأفخاذ كل قبيلة المتشعبة منها . والمقصود هنا بيان أمراء العربان بالوجهين المذكورين فى القديم والحديث .

فأما الوجه القبلى ، فقد ذكر الحمدانى أن الإمرة كانت بالوجه القبلى فى ثلاثة أعمال :

العمل الأول ـ عمل قوص ، وكانت الإمرة به فى بيتين من بلى من قضاعة بن حمير بن سبإ من القحطانية .

الأول ـ بنو شاد المعروفون ببنى شادى . وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف بقصر بنى شادى بالأعمال القوصية ، وتقدم هنالك أنه قيل إنهم من بنى أمية بن عبد شمس من قريش .

الثانى ـ العجالة . وهم بنو العجيل بن الذئب منهم أيضا ، وكانوا معهم هنالك .

العمل الثانى ـ عمل الأُشْمُونَين . وكانت الإمرة به فى بنى ثَعْلب من السَّلاَطنة ، وهم أولاد أبى بُجَيش من الحَيادرة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ، من عَقِب الحُسَيْن السِّبْط ابن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكانت منازلهم بدَرْوَتِ سَرَبَام ، وغلب عليها الشريف حِصْنُ الدين بن ثعلب فعرفت بدَرْوَتِ الشَّريف من يومئذ . وآستولىٰ عليها وعلىٰ بلاد الصعيد . وقد تقدم أنه كان فى آخر الدولة الأيوبية . فلما ولِىَ المُعِزّ أَيْبَكُ التُّرْكُمانى : أوّل ملوك الترك بالديار المصرية السلطنةَ ، أَنِفَ من سلطنته وسَمَتْ نفسُــه إلىٰ السلطنة فجهَّز إليه المعز جيوشا ، فجرت بينهم حروبٌ لم يظفَروا به فيهــا ، و بقى علىٰ ذلك إلىٰ أن كانت دولة الظاهر بيــبرس ، فنصب له حبائل الحِيَل وصاده بها وشنقه بالإِسْكَنْدَرِيَّة .

العمل الثالث ـ البهنسىٰ ، وكانت الإمرة فيه فى بيتين .

الأوّل ـ أولاد زُعازِع . (بضم الزاى)(1) من بنى جديدى من بنى بلار من لواثة(2) من البربر أو من قيس عَيْلاَنَ علىٰ الخلاف السابق عند ذكر نسبهم فى المقالة الأولىٰ . قال الحمدانىّ : وهم أشهر مَنْ فى الصعيد .

الثانى ـ أولاد قُرَيْش . قال الحمدانىّ : وهم أمراء بنى زيد ، ومساكنهــم نُوَيْرة دَلاَص .

قال : وكان قُرَيْشٌ هذا عبدا صالحا كثير الصدقة ، ومن أولاده ســعد الملك المشهور بنوه هناك .

وذكر المقرّ الشهابىّ بن فضــل الله فى " التعريف " : أن الإمرة بالوجه القبلىّ فى زمانه (وهو سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وما وليها) كانت لناصر الدين عمر بن فضــل ، ولم يذكر مقرَّته ولا من أىّ العرب هو ، وذكر أيضــا أن الإمرة فيا فوق

(١) تقدم لنا فى الجزء الأول (ص ٣٦٥) ضبطها بالفتح والصواب ماهنا .

(٢) ضبطها المؤلف فيا تقدم بالثاء المثلثة ولكن المجد ذكرها فى باب التاء المثناة .

أسْوان كانت فى عرب يقال لهم الحِدَارية فى سميرة بن مالك . قال : وهو ذو عَدَد جَمّ وشوكة مُنْكِيَة ، يغزو الحبشة وأُمَمَ السودان، ويأتى بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمودٌ وفضلٌ مأثور، وفد على السلطان فأكرم مثواه ، وعقد له لواء وشُرِّف بالتَّشريف ، وقُلِّد ، وكُتِبَ إلىٰ ولاة الوجه القبلىّ عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب للغَزْو معه متىٰ أراد ، وكتب له منشور بما يفتحه من البلاد ، وتقليدٌ بإمرة عربان القبلة مما يلى قُوص إلىٰ حيث تصلُ غايتُه ، وتُرْكَزُ رايتُه .

قلت : أما فى زماننا فقد وجَّهَتْ عربُ هَوَّارة وجوهَها من عمل البحيرة إلىٰ الوجه القبلىّ ونزلت به آنتشرت فى أرجائه آنتشار الجراد ، وبسطت يَدَها من الأعمال البهنساوية إلىٰ منتهاه حيث أسوان وما والاها ، وأذعنت لهم سائر العُرْبان بالوجه القبلىّ قاطبةً ، وآنحازوا إليهم وصاروا طَوْعَ قيادهم .

والإمرة الآن فيهم فى بيتين .

الأول — بنو عمر : محمد وإخوته . ومنازلهم بجَرْجا ومُنْشأة إخميم ؛ وأمرهم نافذ إلىٰ أُسْوانَ من القبلة وإلىٰ آخر بلاد الأُشْمُونِين من بحرى .

الثانى — أولاد غَرِيب . وبيدهم بلاد البهنسىٰ ، ومنازلهم دَهْرُوط وما حولها .

⁂

وأما الوجه البحرىّ ، فقد ذكر الحمدانىّ أن الإمرة فيهم فى خمسة أعمال .

العمل الأول — الشرقيَّة . قال : والإمرة فيها فى قبيلتين .

الأولىٰ — ثعلبَةُ ، وذكر أن الإمرة كانت فيهم فى شُقَيْر بن جرجى من المَصَالِحَة من بنى زُرَيْق ، وفى عمر بن نفيلة من العُلَيْميين .

الثانية — جُذَام : وقد ذَكَر أن الإمرة كانت فيهم فى خمسة بيوت .

الأول — بيت أبى رُشْد بن حبشى ، بن نَجْم ، بن إبراهيم من العُقَيْلِيِّين : بنى عُقَيْل

ابن قرة، بن موهوب، بن عُبَيْد، بن مالك، بن سُوَيد، من بنى زيد بن حَرام، ابن جُذام، أمّر بالبوق والعَلَم .

الثانى — طَريف بن مَكْنُون[1]، من بنى الوليد، بن سُوَيد المقدّم ذكره؛ وإلىٰ طَريف هذا يُنْسَب بنو طريف من بلاد الشرقية . قال الحمدانىّ : وكان من أكرم العرب، كان فى مَضْيَفته أيامَ الغلاء آثنا عشر ألفا تأكل عنده، وكان يَهْشِم الثريد فى المراكب . قال : ومن بنيه فَضْل بن سَمْح بن كَمُّونة، وإبراهيم بن عالى؛ أمّر كل منهما بالبُوق والعَلَم .

الثالث — بيت أولاد منازل من ولد الوليد المذكور، كان منهم مَعْبَد بن مُبارَك، أُمِّر بالبوق والعَلَم .

الرابع — بيت نمىّ بن خَثْعم من بنى مالك، بن هَلْبا بن مالك بن سويد، أُقْطِعَ خثعم آبن نمىّ المذكور وأُمِّر، وآقتنىٰ عددا من المماليك الأتراك والروم وغيرهم، وبلغ من الملك الصالح أيوبَ منزلةً، ثم حصَل عند الملك المعز أيبك التُّرْكُمانى علىٰ الدرجة الرفيعة، وقدّمه علىٰ عرب الديار المصرية، ولم يزل علىٰ ذلك حتّى قتله غِلْمانُه، فجعل المعزّ آبنيه: سلمى ودغش عوضه، فكانا له نِعْمَ الخَلَف، ثم قدم دغش دِمَشْقَ فأمَّره الملك الناصر صاحب دمشق يومئذ من بنى أيوب ببُوق وعَلَم، وأمَّرَ الملكُ أيبكُ أخاه سلمى كذلك .

الخامس — بيت مُفَرِّج بن سالم بن راضى من هَلْبا بَعْجَة، ابن زيد، بن سُوَيد، ابن بَعْجة، من بنى زيد بن حَرام بن جُذام، أمره المعزّ أيبك التركمانى بالبوق والعَلَم . وذلك أنه حين أراد المعزّ تأمير سلمى بن خثعم المقدّم ذكره آمتنع أن يؤمَّر حتّى يُؤمَّر مُفرج بن غانم[2] فأُمِّر .

(١) تقدم فى الجزء الأول (ص ٣٣٢) آبن بكتوت . (٢) لعله سالم .

العمل الثانى ـ المَنُوفية . والإمرة فيها لأولاد نَصير الدين من لواتة ، ولكن إمرتهم فى معنى مَشْيخة العرب .

العمل الثالث ـ الغربية . والإمرة فيه فى أولاد يُوسُف من الخَزاعلة من سِنْبِس من طيّئ من كَهْلان من القَحْطانية ، ومقرّتهم مدينة سَخَا من الغربية .

العمل الرابع ـ البُحَيرة . وقد ذكر فى "التعريف" : أن الإمرة فى الدولة الناصرية ابن قلاوون كانت لخالد بن أبى سليمان وفائد بن مقدم . قال فى "مسالك الأبصار" : وكانا أميرين سيدين جليلين ذَوَىْ كرم وإفضال وشجاعة وثبات رأى وإقدام .

العمل الخامس ـ بَرْقة . قال فى "التعريف" : ولم يبق من أمراء العرب ببَرْقة يعنى فى زمانه إلا جعفرُ بن عمر ، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ، ومخاشنة وليان ، والجيوش فى كل وقت تمدّ إليه ، وقلّ أن تَظْفَرَ منسه بطائل أو رجعت منه بمَغْنَم ، وإن أصابته نوبةٌ من الدهر[1] . قال : وآخر أمره أن ركب طريق الواح حتّى خرج من الفَيُّوم وطرق باب السلطان لائذا بالعفو ، ووصل ولم يسبق به خبرٌ ، ولم يعلم السلطانُ به حتّى استأذن المستأذن له عليه وهو فى جملة الوُقُوف بالباب ، فأُكْرِمَ أتمّ الكرامة وشُرِّفَ بأجلّ التشاريف ، وأقام مدّة فى قِرى الإحسان وإحسان القِرى وأهله لا يعلمون ماجرى ، ولا يعلمون أين يَمَّ ولا أىّ جهة نَحَا ، حتّى أتتهم وافداتُ البشائر وجاءت منه . فقال له السلطان : لِمَ لا أعلمتَ أهلك بقصدك إلينا؟ قال : خفت أن يقولوا : يفتك بك السلطان فأتثبّط ، فاستحسن قَوْلَه ، وأفاض عليه طَوْلَه ، ثم أعيد إلى أهله ، فانْقَلَبَ بنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لم يمسسه سوءٌ ولا رُئى له صاحبٌ ولا شَمِت به عدوٌّ .

---

(١) لم يذكر هذه الجملة فى الضوء .

قلت : والإمرة اليوم فى بَرْقة فى عمر بن عريف ؛ وهو رجل دَيِّنٌ وكان أبوه [عريف ذا دين متين رأيته](١) فى الإسْكَنْدَرية بعد الثمانين والسبعمائة ، وآجتمعتُ به فوجدت آثار الخير ظاهرةً عليه .

الفصـــل الثـانى

من المقـالة الثـانية

(فى المملكة الشامية ، وما يتصل بها : من بلاد الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين الفُرَاتِ والدِّجْلَةِ مما هو مضاف إلىٰ هذه المملكة ؛ وفيه أربعة أطراف)

الطرف الأوّل

(فى فضل الشام وخواصّه وعجائبه ؛ وفيه مقصدان)

المقصـــد الأوّل

(فى فضل الشام)

أعظم شاهد لذلك ما أخرجه الترمذىّ من حديث زَيْد بن ثَابِتٍ رضى الله عنه أنه قال : "كُنَّا يومًا عِنْدَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم نُؤَلِّف القُرْءانَ من الرِّقَاعِ . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : طُوبىٰ لأَهْلِ الشامِ . فقلتُ : لِمَ ذاكَ يارسولَ الله ؟ قال : لأن الملائكةَ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عليه". هذا وقد بُعِثَ به الكثير من الأنبياء عليهم السـلام ، وفيه ضَرَائِحُهُم الشريفة ، والمسجدُ الأقصىٰ الذى هو أحد المساجد الثلاثة التى تُشَدّ إليها الرِّحال ، وهو أوّل القبلتين ؛ وبه ينْزِل المسيح عليه السلام بمنارة جامع دِمَشْقَ ؛ وبه يقتل الدجّال بمدينة لُدٍّ . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن اللهَ بَارَكَ فيما بَيْنَ العَرِيش إلىٰ الفُرَاتِ وخَصَّ فِلَسْطِينَ بالتقْدِيس" .

---

(١) ترك له فى الأصل بياضا وأخذناه عن الضوء للؤلف .

المقصـــــد الثـانى
(فى خواصّه وعجائبه)

أما خواصّـــه فإنّ به الأماكنَ التى تعظّمها الأممُ علىٰ آختلاف عقائدهم كالصَّخْرة التى هى قِبْلَةُ اليهود، والقُمَامة التى يَحُجُّها النصارىٰ من سائر أقطار الأرض، وطُورنابُلُس الذى تَحُجُّه السامِرَةُ ؛ و بمدينة صُور كنيسةٌ تعتقد طائفةٌ من النصارىٰ أنه لا يصح تمليك ملوكهم إلا منها، علىٰ ماسيأتى ذكره فى الكلام علىٰ أعمال صَفَد إن شاء الله تعالىٰ، وغير ذلك ممــا تنقاد به الأمم إلىٰ صاحب هذه المملكة وتُذْعِنُ لمُسالمته .

وأما عجائبه فكثيرة .

منها ــ (حَمَّةُ طَبَرِيَّةَ) المشهورةُ : وهى عين تَنْبُــعُ ماءً شديد الحرارة يكاد يَسْلُقُ البَيْضَةَ، يقصِدها المتردّدون للآستشفاء بالآغتسال فيها . قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وليس فيها حَمَّام يوقد فيه النار إلا الحَمَّام الصغير .

ومنها ــ (قُبَّةُ العَقَارب) بمدينة حِمْصَ . وهى قُبَّة بالقرب من مسجدها الجامع، إذا اخذ شىء من تُراب حِمْصَ وجبل بالماء وأُلصق بداخل تلك القُبَّة وتُرِك حتّى يجفّ ويسقُط بنفسه من غير أن يلقيها[1] أحد ثم أُخِذت ووضع منها شىءٌ فى بيت لم يدخله عَقْرَبٌ، أو فى قُمَاش لم يقربه، و إن ذُرّ علىٰ عقرب منه شىء أخذها مثلُ السُّكْرِ فربما زاد عليها فقتلها، بل قيل إن ذلك لا يختصّ بالقبة بل عامّة أرض البلد كذلك حتّى لا يدخلها عقرب إلا مات، بل لا يقْرَب ثيابا ولا أمتعة عليها غُبَارُها، و إلىٰ ذلك أشار القاضى الفاضلُ فى البُشرىٰ بفتوحها بقوله : " ودَبَّتْ إليها عقاربُ المَجَانيق فخالفت عادةَ حِمْصَ فى العَقَارب، ورُمِيَتْ الحجارة بالحجــارة فوقعتِ العداوة المعروفة بين الأقارب" .

---

(١) الصواب التذكير نظرا للتذكير السابق .

ومنها — (عَيْنُ فَوَّارَةٌ) داخلَ البحر المِلْح علىٰ القُرْب من ساحل مدينة طَرَابُلُس علىٰ قدر رَمْيَة حجر عن البَرّ، تَنْبُع ماءً عذبا يطفُو علىٰ وجه المــاء قدرَ ذراع أو أكثر يتبين عند سكون الريح .

ومنها — (وادى الفَوّار) وهو وادٍ بالقرب من حِصْن الأكراد من عمل طَرَابُلُس غربا عنه بشَمَال علىٰ الطريق السالكة. قال فى "مسالك الأبصار" : وهى صفة بئر قائمة فى الأرض، وفى سُفْل الأرض سِرْدَابٌ ممتد إلىٰ الشَّمال يَفُور فى كل أســبوع يوما واحدا لاغير، فتسـقِىٰ به أرضٌ ومُزْدرعاتٌ ، وينزل عليه التُّرْكُمان وَيَرِدُونَه، ويُسْــمَع له قبل فَوَرَانِه دَوِىٌّ كالرعد، وهو فى بقية الأيام يابسٌ لا ماء فيه . قال : وذَكَر لى مَنْ دخل السِّرداب أن فى نهايته نهـرا كبيرا آخذا من الغرب إلىٰ الشرق تحت الأرض، له جَرَيان قَوِىٌّ، وبه موج وريح عاصف، لا يُعْرَف إلىٰ أين يجرى ولا من أىِّ جهة يأتى .

ومنها — (حَمَّامُ القُدْمُوس) من قِلاَع الدعوة من عمل طرابلُس يخرج منها[1] أنواع كثيرةٌ من الحيات تظهر من أنابيب مائها وتدخل فى ثياب داخلها ، ولم يشتهر أنهـا أضَرَّتْ أحدا قَطُّ علىٰ ممَرِّ الدُّهور وتطاوُل الأزمنة، حكاه فى "مسالك الأبصار".

ومنها — (صَدْعٌ) فى سور الخَوَابِى من قلاع الدعوة من عمل طرابلس أيضا . إذا لُدِغ أحد بحَيَّةٍ فأتىٰ إلىٰ ذلك الموضع فشاهده بعينه أو أرسل رسوله فشاهده، سلم من تلك اللَّدْغة، ولم يضره السُّمُّ . إلىٰ غير ذلك من العجائب الظاهرة والمندرســة بمرور الزمان عليها .

قال ابن الأثير: وبقُرىٰ حَلَبَ قريةٌ تسمَّى بُرَاق، يقال إن بها مَعْبَدا يقصده أصحاب الأمراض ويَبِيتون به . فإما أن يرىٰ المريضُ فى منامه مَنْ يقول له استعمل كذا وكذا

(١) أنث باعتبار القامة .

فيبرأ، أو يمسح عليه بيده فيبرأ . قال فى تاريخه : وبقرية مبرون من قرى صَفَد مَغَارة يظهر فيها الماء فى يوم من السنة تجتمع إليه اليهود فى ذلك اليوم، ويحْلُبُون منه الماء إلى البلاد البعيدة؛ وبوادى دلسه من عملها عينٌ تعرف بعين الجن تفور لحظة كالنهر ثم تغور حتّى لا يبقى فيها ماء، ثم تفور كذلك ليلا ونهارا؛ وبقرية بكوزا من قرى صَفَد عِنَبٌ داخل العِنَبةِ عنبةٌ أخرى ؛ وبقرية عد شيب من قراها بَلُّوطٌ يؤخذ الواحد منه من الشجرة فيوجد حضنها حجر ؛ وبقرية عياض تراب الجير إذا عمل منه كوزٌ وسُقِى فيه الكسير من آدمىّ أو غيره، جُبِرَ عظمه ؛ وبالناصرة من أعمالها كنيسة بها عمود إذا آجتمع عنده جماعة وعملوا سماعا عَرِق العمود حتّى يظهر عَرَقُه .

الطَّرَف الثانى

(فى حدوده، وآبتداءِ عمارته، وتسميته شاَمًا، وفيه مقصدان)

المقصد الأوّل

(فى حدوده)

وقد آختلف فى تحديده، فذكر فى "التعريف" أن حدّه من القبلة إلى البَرّ المقفر: تِيـه بنى إسْرَائيلَ وبَرّ الحجاز والسَّماوة إلى مَرْمى الفرات بالعراق . قال : وهذه المُحَاذَاتُ كلُّها من جزيرة العرب .

وحدّه من الشرق طَرَف السَّماوة والفُرَات .

وحدّه من الشَّمال البحر الرومىّ .

وحدّه من الغرب حدّ مصر المتقدّم ذكره، وذكر فى " تقويم البُلْدان " : أن حدّه من الجنوب من أوّل رَفَح التى فى أوّل الجِفَار بين مِصْرَ والشام إلى حدود تِيـه بنى إسرائيل إلى ما بين الشَّوْبَك وأَيْلَةَ من البلقاء؛ وحدّه من الشرق من البَلْقاء

إلى مشاريق صَرْخَدَ، آخذا على أطراف الغُوطة، إلى سَلَمْيَة، إلى مشاريق حلب، إلى بَالِس؛ وحدّه من الشمال من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم، إلى البِيرَة، إلى سُمَيْسَاط إلى حصْنِ منصور، إلى بَهَسْنَى، إلى مَرْعَش، إلى بلاد سيس، إلى طَرَسُوسَ، إلى بحر الروم؛ وحدّه من الغرب من طَرَسُوسَ المذكورة آخذا على ساحل البحر الرومىّ إلى رَفَح المتقدمة الذكر حيث وقع الابتداء .

قلت : واخْتُلِفَ بينهما فى شيئين .

أحدهما — أنه فى "التعريف" جعل حدّه الشّمالىّ إلى البحر الرومىّ، وحدّه الغربىّ حدَّ مصر المتقدّم ذكره ، وفى "تقويم البلدان" جعل حدّه الشمالىّ البلاد التى بين الفُرَات والبحر الرومىّ، وحدّه الغربىّ البحرَ الرومىّ من طَرَسُوسَ إلى رَفَحَ فيدخل حدّ مصر الذى حدّ به الجانبَ الغربىَّ فى "التعريف" فى هذا الحدّ، وكأن المُوقِع لها فى ذلك أن البحر الرومىّ عن الشام غربا بشمال ، فَجَنَحَ كل منهما إلى جهة .

الثـانى — أنه فى "تقويم البُلْدان" أدخل بلاد الأَرْمَنِ المتصلةَ بآخر بلاد حَلَب من الشمال فى حدود الشام، وفى "التعريف" أخرجها وهو التحقيق . وقد صرّح بذلك فى "التعريف" فيما بعـدُ فقال بعد أن أفرد الفتوحات الجاهانيَّة التى هى أوّل بلاد الأَرْمَنِ من جهة حَلب بالذكر : وأتيتُ بها ههنا إذ لم يكن لها تَعَلُّق بمملكة تُذكر فيها، وليست من الشامات فى شىء وإنمـا هى من بلاد الأرمن المسماة قديمًا ببلاد العواصم والثُّغُور، وسيأتى الكلامُ على بلاد الأَرْمَنِ بمفردها فى جملة أعمـال حلب فى الكلام على قواعد المملكة الشامية إن شاء الله تعالى .

على أن ما ذكره من التحديد فى "التعريف" و "تقويم البُلْدان" لا يخلو عن تساهل . فقد قال فى "التعريف" : بعد ذكر الحدودِ التى أوردها : وهذه الحدود هى الجامعـةُ على ما يُحتاج إليه ، وإذا فُصِّلت تحتـاج إلى زيادة إيضـاح . وقال

فى "تقويم البُلْدان" : بعد ذكر الحدود التى أوردها أيضا : و بعض هذه الحدود قد تقع شرقيةً عن بعض الشام وهى بعينها جنوبيةً عن بعض آخر، مثل البَلْقاءِ فإنها جنوبية عن حَلَب وما علىٰ سمتها، وشرقيَّةٌ عن مثل غَزَّةَ وما علىٰ سمتها فلْيُعْلَم العذرُ فى ذلك .

قال ٱبن حوقل : وطول الشام من مَلَطْيَةَ إلىٰ رَفَح خمس وعشرون مرحلة . فمن مَلَطْيَــة إلىٰ مَنْبِج أربع مراحلَ ، ومن مَنْبِج إلىٰ حَلَب مرحلتان، ومن حَلَب إلىٰ حِمْصَ خمسُ مراحلَ، ومن حِمْص إلىٰ دِمَشْــقَ خمسُ مراحلَ، ومن دِمَشْــقَ إلىٰ طَبَرِيَّة أربعُ مراحلَ، ومن طَبَرِيَّة إلىٰ الرملة ثلاثُ مراحلَ، ومن الرملة إلىٰ رَفَح مرحلتان .

قال التيفاشىّ فى "سرور النفس" : وطوله أكثر من شهر . قال ٱبن حَوْقَلَ : وأعرضُ ما فيه طَرَفاه . فأحد طرفيه من الفرات من جسر منبج علىٰ منبج علىٰ قُورُس فى حدّ قِنَّسْرِينَ، ثم علىٰ العواصم فى حدّ إنطاكِيَةَ، ثم يقع علىٰ جبل اللُّكَام، ثم علىٰ المَصِّيصة، ثم علىٰ أَذَنَة، ثم علىٰ طَرَسُوسَ، وذلك نحو عشر مراحل وهذا هو السَّمْتُ المستقيم . والطرف الآخر يأخذ فى البحر من حدّ يَافَا من جُنْد فِلَسْطِينَ حتّىٰ ينتهىَ إلىٰ الرملة إلىٰ بيت المَقْدِس، ثم إلىٰ أرِيحا، ثم إلىٰ زُغَرَ، ثم إلىٰ جبل الشَّراة إلىٰ أن يأتىَ إلىٰ مَعَانَ، وتقدير ذلك ستُّ مراحل . ثم قال : أما ما بين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد بين الأُرْدُنِّ ودِمَشْقَ وحِمْصَ يزيد علىٰ أكثر من ثلاثة أيام ، لأن من دِمَشْقَ إلىٰ طَرَابُلُس علىٰ بحر الروم غربًا يوما وإلىٰ أقصى الغُوطة شرقا حتّىٰ يتصلَ بالبادية يوما ، ومن حِمْصَ إلىٰ أَنْطَرْطُوسَ علىٰ بحر الروم غربا يومين ، ومن حِمص إلىٰ سلَمْيَة علىٰ البادية شرقا يوما ، ومن طَبَرِيَّة من جُنْـد الأُرْدُنّ إلىٰ صُورَ علىٰ البحر الرومىّ غربا يوما، ومنها إلىٰ أريحا علىٰ حدود بنى فَزَارَةَ شرقا يوما .

المقصـــد الثـانى

(فى ٱبتداء عمارته وتسميته شاما ومايلتحق بذلك)

أما ٱبتداء عمارته، فقد روىٰ الحافظ بن عساكر فى تاريخ الشام عن هشام بن محمد عن أبيه : أن نوحا عليه السلام لما قسم الأرض بين بنيه لحق قوم من بنى كَنْعَانَ ٱبن حام بن نوح[1] عليه السلام بالشام فسميت الشامَ، حين تَشَاءمُوا إليها، يعنى من أرض بابل كما جاء فى الرواية الأخرىٰ. قال : فكانت الشأم يقال لها لذلك أرض كنعان. وجاء بنو إسرائيلَ فأجلَوْهم عنها، وبقيت الشام لبنى إسرائيلَ إلىٰ أن غلب عليه الروم وٱنتزعوه منهم فأجلَوْهم إلىٰ العراق إلا قليلا منهم، ثم جاء العربُ فغلبوا علىٰ الشام (يعنى فى الفتح "الإسلامى") ثم الشأم مهموز مقصور. قال النَّووىُّ فى "تهذيب الأسماء واللغات" وغيره : ويجوز فيه فتح الشين والمدّ. قال : وهى ضعيفة وإن كانت مشهورة قال الجوهرىّ : ويجوز فيه التذكير والتأنيث . قال النووىّ : والمشهور التذكير . وقد ٱختلف فى سبب تسميته شاما فقيل لتشاؤم بنى كنعان إليه كما تقدّم فى كلام ٱبن عساكر، وقيل سمى بسام بن نوح لأنه نزل به، وٱسمه بالسريانية شام بشين معجمة، والعربُ تنقلها إلىٰ السين المهملة . وقيل لأن أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسَّواد والبياض فسمِّى شامًا لذلك كما يسمّى الخال فى بدن الإنسان شامة. وقيل سميت شاما لأنها عن شَمَال الكعبة، والشام لغة فى الشمال . قال أبو بكر بن محمد : ويجوز فيه وجهان . أحدهما أن يكون من اليد الشؤمىٰ وهى اليسرىٰ . والثانى أن يكون فَعْلا من الشُّؤم .

---

(١) كذا فى معجم البلدان أيضا وفى القاموس فى مادة (ك ن ع) كنعان بن سام .

الطَّــــرَف الثالث

(فى أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورَيَاحينه ومواشيه، ووحُوشه وطيوره؛ وفيه ستة مقاصد)

المقصــــد الأوّل

(فى ذكر الأنهار العظام بالشام وماهو مضاف إليه ممـا يتكرر ذكره بذكر البُلْدان، وهى أربعة[1] أنهار)

الأوّل ــ نَهْر الفُرَات وهو أعظمها، وقد تقدّم فى الكلام على النيل أنه شقيقه فى الخروج من الجنّـة . وقد ثبت فى صحيح مسلم أن النبىّ (صلى الله عليه وسلم) قال : "لا تَقُومُ الساعةُ حتّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عن جَبَل من ذَهَب فيقْتَتِل الناسُ عليه فيُقْتَل من كل مائة تِسعةٌ وتِسعُون ، ويقولُ كُلُّ رجل منهم لَعَلِّى أنا الذى أنْجُو بِهِ " وأوّل ابتدائه من شمالىّ مدينة (أَرْزَن الرُّوم) وشرقيّها، وهى آخر بلاد الروم من جهة الشرق حيث الطولُ أربعٌ وستون درجة والعرض آثنتان وأربعون درجة ونصفٌ، ثم يأخذ إلى قُرْب (مَلَطْيَة) ثم يأخذ إلى (سُمَيْساطَ) ثم يأخذ مشرقا ويتجاوز (قلعة الروم) من شماليّها وشرقيها، ثم يسير إلى (البِيرَة) من جنوبيها، ثم يمرّ مشرقا حتّى يجاوز بَالِسَ، ثم قَلْعَة جَعْبَر ويتجاوزها إلى الرَّقّة ، ثم يسير مُشَرِّقا ويتجاوز الرَّحْبة من شماليّها ويسير إلى عُنَّة، ثم يمتدّ إلى هِيتَ، ويمتدّ حتّى يجاوز مَخْرَج (نهر كُوثَى) الآتى ذكره، فينقسم قسمين ويمرّ أحدهما : وهو الجنوبىُّ إلى (الكوفة) ويتجاوزها، ويصبُّ فى بطائح العراق، ويمرّ الآخَرُ : وهو أعظمها بإزاء (قصر آبن هُبَيْرَة) ويعرف هذا القسم بنهر سُورَا (بضم السين المهملة وآخره ألف يمدّ ويقصر) وهى قرية على النهر نُسب إليها،

(١) الصواب ستة أنهار كما يتضح ممـا سيأتى .

ويتجاوز قصر آبن هُبَيْرَةَ ويسير جنوبا إلىٰ (مدينة بابل) القديمة، ويتفرّع منه بعد أن يجاوز بابل عدّةُ أنهر، ويمرّ عموده إلىٰ (مدينة النيل) ويجاوزها حتّى يصب فى دِجْلَةَ ويسمّى من بعد مجاوزة النيل (نهر الصَّراةِ) . وعلىٰ الفرات أنهار تصبُّ فيه وأنهار تخرج منه ليس بنا حاجة إلىٰ تفصيلها .

الثانى – نهر حَمَـاةَ . ويسمّى العاصِىَ لأن غالب الأنهر تسـقى الأرض بغير دواليبَ ولا نواعيرَ بل تَرْكَبُ البلادَ بأنفسها، ونهر حماة لايسقى إلا بنواعير تنزع الماء منه، ويسمّى أيضا النهرَ المقلوبَ : لجريه من الجنوب إلىٰ الشمال، وغالب الأنهر إنمـا تجرى من الشمال إلىٰ الجنوب، وآسمه القديم نهر الأُرُنْط[1]، وأوّله نهر صغير من ضـيعة قريبة من بَعْلَبَـكَّ فى الشَّمال عنها علىٰ نحو مَرْحلة، تسمّى الرأس، ويمتدّ من الرأس شَمالا حتّى يصلَ إلىٰ مكان يسمّى قائم الهرمل بين قرية جُوسِـيَّة والرأس، ويمرّ فى واد هناك ويَنْبُعُ من هناك أكثرُ ماء النهر من موضع يسمّى مَغَارة الراهب، ويمتدّ شَمالا حتّى يتجاوزَ (جُوسِيَّة) ويمتدّ حتّى يصب فى (بحيرة قَدَس) غربىَّ حِمْصَ، ويخرُج من البحيرة ويتجاوز حمص إلىٰ الرَّسْتَن، ويمتـدّ إلىٰ حماة، ثم إلىٰ شَيْزَر، ثم إلىٰ بحيرة أفامِيَةَ، ثم يخرج من بحيرة أفامِيَةَ، ويمرّ علىٰ دَرْكُوش، ويمتدّ إلىٰ جسر الحديد، وذلك جميعه شرقىَّ جبـل اللُّكَام . فإذا وصل إلىٰ جسر الحـديد آنقطع الجبل المذكور هناك، ويستدير النهر المذكور ويرجع ويسير جنوبا بغرب ويمرّ علىٰ سُور أَنْطَاكِيَةَ، ويسير كذلك مغرّبا بجنوب حتّى يصب فى بحر الروم عند السُّوَيْدِيَّة

ويصب فى العاصى عدّة أنهر :

منها – نهرٌ مَنبَعُه من تحت أَفَامِيَةَ يسير مغربا حتّى يصل إلىٰ بحيرة أَفَامِيَةَ ويختلط بالعاصى .

(١) أورده ياقوت فى معجم البلدان بالدال المهملة .

ومنها — نهر فى شَمال أفامِيَةَ على نحو مِيلَيْن يُعْرَف بالنهر الكبير يسير مَدًى قريبا ويصب فى بحيرة أفامِيَةَ، ويخرج منها مع العاصى .

ومنها — النهر الأسود، يجرى من الشمال ويمرّ تحت دَرْبَسَاكَ ويمتدّ حتّى يصبّ فى بُحَيْرَة أَنْطَاكِيَة ويخرج منها ويصب فى العاصى .

ومنها — نهر يَغْرَا — بفتح الياء المثناة تحت وسكون الغين المعجمة وفتح الراء المهملة ثم ألف مقصورة — بلدة هناك يمرّ عليها ويصب فى النهر الأسود المذكور .

ومنها — عِفْرِينُ — بكسر العين المهملة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحت ونون فى الآخر — وهو نهر يأتى من بلاد الروم ويمرّ على الرَّاوَنْدَان إلى الجُومة ويمرّ فى الجُومة إلى العَمْق ويختلط بالنهر الأسود .

الثالث — نهر الأُرْدُنّ . والأُرْدُنّ بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الدال المهملة أيضا وتشديد النون . كذا ضبطه السمعانىّ فى " اللُّبَاب " قال : وهى بلدة من بلاد الغَوْر من الشام نسب إليها النهر ويسمى الشريعةَ أيضا ، وأصله من أنهار تصب من جبل الثلج إلى بحيرة بانْيَاس ، ثم يخرج من البحيرة المذكورة ويصب فى بحيرة طَبَرِيَّةَ ، ويمتد جنوبا ، وهناك يصب فى نهر اليَرْمُوك بين بحيرة طبريّة المذكورة وبين القُصَيْر ، ويمتدّ فى وسط الغَوْر جنوبا حتّى يجاوز بَيْسَانَ ، ويمتدّ فى الجنوب كذلك إلى أريحا ، ولا يزال يمتدّ فى الجنوب حتّى يصب فى بحيرة زُغَر وهى البحيرة المُنْتِنَةُ المعروفة ببحيرة لُوط .

الرابع — نهر العَوْجَاء — بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح الجيم وبعدها ألف — ويسمّى نهر أبى فُطْرس (بضم الفاء وبالطاء والراء والسين المهملات) وهو نهر شمالىّ مدينة الرملة من فِلَسْطِينَ باثنى عشر ميلا ، ومَنْبَعه من تحت جبل الخليل

عليه السلام مقابِلَ قلعةٍ خراب هناك تسمّى مجد اليابا[1]، ويجرى هذا النهر من الشرق إلىٰ الغرب ، ويصب فى بحر الروم جنوبىّ غابة أرْسُوف، ومن مَنْبَعه إلىٰ مصبه دون مسافة يوم. قال فى "العزيزى": وماالتقىٰ عليه جيشان إلا غَلَبَ الغربىّ وانهزم الشرقىّ؛ وسيأتى الكلام علىٰ أنهار دِمَشْق فى الكلام علىٰ حاضرتها إن شاء الله تعالىٰ إذ لا يتعدّاها إلىٰ غيرها من البلاد .

الخامس — نهر جَيْحَانَ . بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحتُ وفتح الحاء المهملة وبعد الألف نون — وتُسمّيه العامّة جَهَانَ — بجيم وهاء مفتوحتين وألف ثم نون، وربما زادوا ألفا بعد الجيم فقالوا جَاهَانَ ، وإليه تنسب الفتوحات الجاهانية الآتى ذكرها . قال : فى "رسم المعمور" : وأوّله عند طول ستين درجةً وعَرْض أربعين درجةً، وهو نهرٌ يقارب الفُرَاتَ فى الكِبَر، ويمرّ ببيس، ويسير من الشّمال إلىٰ الجنوب بين جبال فى حدود الروم حتّى يبلغ المَصِّيصة من شَمَالِيّها حيث الطول تسع وخمسون وكسر والعرضُ ست وثلاثون درجةً، وعرض خمس عشرة[2]؛ وجَرَيَانه عندها من المشرق إلىٰ المغرب، ويتجاوز المَصِّيصة ويصبُّ بالقرب منها فى بحر الروم .

السادس — نهر سَيْحَانَ . بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون . قال فى "رسم المعمور" : وأوّله عند طول ثمان وخمسين، وعرض أربع وأربعين؛ ويمرّ ببلاد الروم إلىٰ الجنوب عند مجرىٰ جَيْحَانَ المتقدّم ذكره، ويسير حتّى يمرّ ببلاد الأَرْمَن، ويمرّ علىٰ سُور أَذَنَةَ من شرقيها حيث الطولُ تسع وخمسون بغير كسر، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقةً،

(١) أوردها فى المعجم هكذا "مَجْدَلْيَابَة" .

(٢) فى تقويم أبى الفداء "وخمس عشرة دقيقة" .

ويجاوز أَذَنَةَ ويلتقى مع جيحان المتقدّم ذكره ويصيران نهرا واحدا ، ويصبَّان فى بحر الروم بين آيَاس وطَرَسوس على ما تقدّم ذكره

المقصـــد الثـانى
(فى ذكر بحيراته ، وهى ثمانُ بحيرات)

الأولى — بحيرة طَبَرِيَّةَ . قال الزجاجى : سميت طَبَرِيَّةَ بطبارى ملك من ملوك الروم . وهى فى أول الغَوْر، يدخل إليها نهرُ الشريعة المنصبُّ من بحيرة بَانِيَاس الآتى ذكرها ، ودَوْرها نحو مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول ثمان وخمسون درجة . والعرض اثنتان وثلاثون ، وهى قرعاء ، ليس بها قَصَب نابت . وطَبَرِيَّةُ مدينةٌ خرابٌ على شاطئ البحيرة المذكورة من جانبها الغربىّ الجنوبىّ ، قال العثمانىّ فى " تاريخ صفد " : ويقال إن قبر سليمان بن داود عليهما السلام بهذه البحيرة .

الثانية — بحيرة زُغَر وتعرف بحيرة سَدُوم وبحيرة لوط ، وهى بحيرة منتنة ليس لهـا سمك ولا يأوى إليها طير ، وفيهـا مصب نهـر الأُرْدُنّ المسمّى بالشريعة عند نهايته ، ويَغيض المـاء فيها ولا يخرج منها شىء من الأنهار ، وهى فى آخر الغَوْر من جهة الجنوب ، ودَوْرها فوق مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول تسع وخمسون درجة والعرض إحدى وثلاثون .

الثالثـة — بحيرة بانياس . وهى بُحَيْرة بالقرب من بانِياس من مقابلة دِمَشْق فصبُّ فيها عدّة أنهار من جبل هناك ، ويخرج منها نهر الشريعة ويصبُّ فى بحـيرة الطبَرِيَّةَ المتقدّم ذكرها ، وبها غابة قَصَب .

الرابعة — بُحيرة البِقَاع . وهى مستنقع ماء فى جهة الغرب عن بَعْلَبَكَّ على مسيرة يوم منها ، بها هيش وغاباتُ قَصَب .

الخامسة — بحيرة دِمَشْــقَ . وهى بحيرة فى شرقىّ غُوطَةِ دِمَشْقَ بمَيْلة يسـيرة إلى الشمال يصب إليها فضلة نهر بَرَدَى وغيره، وتتسع فى أيام الشتاء وتضيق فى أيام الصيف، وبها غابات قَصَب، وفيها أماكن تَحْمِى من العدوّ .

السادسة — بحيرة قَدَسَ . بفتح القاف والدال وفى آخرها سين مهملة .

وهى بحيرة فى أرض مستوية، عن حِمْص فى جهة الغرب على بعض يوم منهـا، وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة وفى طرفها الشمالى سدّ ممتدّ فى طولها مبنىّ بالحجر من بنـاء الأوائل ينسب بنـاؤه إلى الإسْكَنْدَرِ طوله شرقا وغربا ألف ومائتان وسبعة وثمـانون ذراعا، وعرضه ثمـانية عشر ذراعا ونصف ذراع، وعلى وسط السدّ بُرْجَانِ من حجر أسود .

السابعة — بحيرة أفاميَةَ . وهى عدّة بطائح فى الغرب بمَيْلة إلى الشمال عن أفامية بين غابات من القَصَب، يصب فيها النهر العاصى من جهة الجَنُوب . وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيهما السمك، فالجنوبية منهما بُحَيْرَةُ أفَامِيَةَ المذكورة، وسَعَتها بالتقريب نحو نصف فرسخ، وقَعْرها قريب قامة، وأرضها مَوْحَلة لايقدر الإنسان على الوقوف فيها، وبوسطها جُمَّ قصَب وبَرْدِىّ وحولها القصب والصُّفْصاف، وبها من أنواع الطير مالا يحصى كثرةً، وينبت بهـا فى زمن الربيع اللَّيْنُوفَرُ الأصفر حتّى يستر المـاء عن آخره بوَرَقه وزَهْرِهِ . والبحيرة الشمالية من عمل حصن بَرْزُويَةَ بقدر بحيرة أفامية أربعَ مرات، ووسطها مكشوف، وينبت اللَّيْنُوفَرُ بجانبيها الجنوبىّ والشمالىّ وبينها وبين بحيرة أفَامِيَةَ المذكورة زُقَاق تسـير فيه المراكب من إحداهمـا إلى الأخرى . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويعتبر طول هذه البطائح وعَرْضها بأفامية .

الثـامنة — بحيرة أنْطَاكِيَةَ . وهى بحيرة بين أنْطَاكِيَةَ وبَغْرَاسَ وحارِم فى أرض تعرف بالعَمْقِ (بفتح العين المهملة وسكون الميم) من معاملة حَلَب شمالىّ أنْطَاكِيَةَ على

مَسِيرة يومين من حَلَب فى جهة الغرب عنها . وفيها مَصَبُّ نهر عِفْرِينَ والنهر الأسود ونهر يَغْرَا المتقدّم ذكرها ، ودَوْرُها نحو مسيرة يوم ، وآجَامُ القصب محيطةٌ بها وفيها من الطير والسمك نحو ماتقدّم ذكره فى بحيرة أَفَامِيَةَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وطولها طول أَنْطَاكِيَةَ تقريبا ، وعَرْضها أكثر من عرضها بدقائق .

المقصد الثالث

(فى ذكر جباله المشهورة التى يتعلق بها كثير من المقاصد، وهى عدّة أَجْبُل)

منها ـ (جبل الثَّلْج) بالثاء المثلثة والجيم ، وما يتصل به . قال فى "تقويم البلدان" : والطرف الجنوبىّ لهذا الجبل بالقرب من صَفَدَ . قال فى "رسم المعمور" حيث الطولُ تسع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرضُ اثنتان وثلاثون درجة . قال : فى "تقويم البُلْدان" : ثم يمتدّ إلى الشَّمال و يتجاوز دِمَشْق . فإذا صار فى شَمَاليّها ، سمّى جبل (سَنِير) ويسمّى جانبه المطلّ على دِمَشْق جبل (قاسِيُون) ويتجاوز دِمَشْقَ و يمرّ غربىّ بَعْلَبَكَّ ، ويسمّى الجبل المقابل لبَعْلَبَكَّ جبل (لِبْنَانَ)[1] بلام مكسورة و باء موحدة ساكنة ونون مفتوحة بعدها ألف ونون ثانية ـ و إذا تجاوز بَعْلَبَكَّ وصار شرقىّ طَرَابُلُس سمى جبل (عَكَّار) بعَيْن مهملة مفتوحة وكاف مشدّدة وراء مهملة فى الآخر ـ إضافة إلى حصْنٍ بأعلاه يسمّى عَكَّارًا ، ثم يمرّ شَمالا ويتجاوز طَرَابُلُس إلى حِصْنِ الأكراد من عمل طَرَابُلُسَ ، ويسامت حِمْصَ من غربيّها على مسيرة يوم و يمتدّ حتّى يجاوز سَمْتَ حماة ، ثم سَمْتَ شيْزَر ، ثم سمت أَفَامِيَةَ ، ويسمّى قبالة هذه البلاد جبل (اللُّكَام) بضم اللام . قال فى "رسم المعمور" : وجبل اللُّكَام يمتدّ إلى أن يصير بينه و بين جبل شُحْشَبُو ، اتساعه نصف يوم حتّى يجاوز صَهْيُون والشُّغْر وبَكَاس والقُصَيْر ، و ينتهى إلى أَنْطَاكِيَة فينقطع هناك و يصير قُبَالةَ جبال الأرْمن .

(١) ضبطه ياقوت والمجد بضم اللام .

قال فى "تقويم البُلْدان" : ويقابل جبلَ اللُّكام المذكور عند مسامتته لأَفَامِيَة المتقدّمة الذكر جبلٌ آخر من شرقيّه . يسمَّى جبل (تُحْشُبُو) بشين معجمة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وشين ثانية مفتوحة بعدها باء موحدة مضمومة ثم واو ــ إضافة إلىٰ قرية هنالك تسمَّى بذلك، ويمرُّ من الجنوب إلىٰ الشَّمال علىٰ غربىِّ المَعَرَّة وسَرْمِين وحَلَب ، ثم يأخذ غربا ويتصل بجبال الروم .

ومنها ــ (جبل عامِلَة) وهو جبل ممتدّ فى شرقىّ ساحل بحر الروم وجنوبيّه ، حتّى يقرب من مدينة صُور ، وعليه شَقِيفُ أَرْنُونَ ، نزله بنو عاملة بن سبإ من عرب اليمن عند تفرّقهم بسَيْل العَرِم فعُرِف بهم .

ومنها ــ (جبل عَوْف) وهو جبل بالقرب من عَجْلُونَ ، كان ينزله قوم من بنى عوف من جَرْم قُضَاعَةَ فعُرِف بهم ، وكانوا عُصاةً لايدخلون تحت طاعة حتّى بنى عليهم أُسَامَةُ أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعةَ عَجْلُونَ فدخلوا تحت الطاعة علىٰ ماسيأتى ذكره .

ومنها ــ (جبل الصَّلْت) إضافة إلىٰ مدينة الصَّلْت الآتى ذكرها فى أعمال دِمَشْق . وهو جبل فى شرقىّ جبل عَوْف وشماليّه ، كان أهله عصاةً حتّى بنى عليهم المُعَظَّمُ عيسىٰ ابن العادل حصنَ الصَّلْت فدخلوا فى الطاعة .

المقصـــد الرابع

(فى ذكر زروعه وفواكهه ورَيَاحينه)

أما زروعه فغالبها علىٰ المطر . قال فى "مسالك الأبصار" : ومنها ماهو علىٰ سَقْى الأنهار وهو قليل ، وفيه من الحبوب من كل مايوجد فى مصر من البُرّ والشعير والذُّرَة والأُرْزّ والبَاقِلَّا والبِسِلَّة والجُلُبَّان ، واللُّوبِيَاء والحُلْبة ، والسِّمْسِم والقُرْطُم ، ولايوجد فيه

الكَتَّانُ والبَرْسِيمُ، وبه من أنواع البِطِّيخ والقِثَّاء ما يُستطاب ويستحْسَن، وكذلك غيرها من المزدرعات كالقلقاس والملوخيا والباذنجان واللفت والجزر والهليون والقُنَّبِيط والرِّجْلَة والبقلة اليمانية، وغير ذلك من أنواع الخضراوات المأكولة، وقصبُ السُّكَّر في أغواره إلا أنه لم يبلغ في الكثرة حدّ مصر.

وأما فواكهه، ففيه من كل ما يوجد في مصر كالتين والعنب والرُّمّان والقَراصيا والبَرْقُوق والمِشْمِش والخَوْخ ـ وهو المسمّى بالدُّرَاقِن ـ والتوت والفرصاد، ويكثر بها[1] التُّفَّاحُ والكُمَّثْرَى والسَّفَرْجَلُ مع كونها أكثر أنواعا وأبهج منظرًا، ويزيد عليه فواكه أخر لا توجد بمصر، وربما وجد بعضها في مصر على الندور الذى لا يعتدّ به كالجَوْز والبُنْدُق والإجَّاص والعُنَّاب والزُّعْرُور، والزَّيْتُونُ فيه الغاية في الكثرة، ومنه يعتصر الزيتُ وينقل إلى أكثر البُلْدان وغير ذلك، وبأغوارها أنواع المُحَمَّضَات كالأُتْرُجّ والليمون والكَبَّاد والنَّارَنْج ولكنه لا يبلغ في ذلك حدّ مصر، وكذلك المَوْزُ ولا يوجد البَلَحُ والرُّطَبُ فيه أصلا. قال في "مسالك الأبصار": وفيه فواكه تأتى في الخريف وتبقى إلى الربيع كالسَّفَرْجَل والتُّفَّاح والعِنَب.

وأما رَيَاحِينه، ففيه كلُّ ما في مِصْر من الآس والوَرْد والنَّرْجِس والبَنَفْسَج والياسمين والنِّسْرِين، ويزيد على مصر في ذلك خصوصا الوَرْد حتى إنه يستقطر منه ماء الورد وينقل منه إلى سائر البُلْدان. قال في "مسالك الأبصار": وقد نُسِيَ به ما كان يذكر من ماء ورد جُورَ ونَصِيبين.

---

(١) أى بالشام وأنث باعتبار القطعة أو البلاد وقوله ويزيد عليه أى على مصر.

المقصد الخامس

(فى ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره)

أما مواشيه ففيه جميع ما تقدّم من مواشى مِصْرَ من الإبل والبَقَر والغَنَم والخَيْل والبِغَال والحَمِير، إلا أن أبقاره لاتبلغ فى العِظَم مبلَغَ أبقار مصر، وأغنامه لاتبلغ فى طيبة اللحم مبلَغَ أغنامها، وحميرُه لم تبلغ فى الفَرَاهة مبلغ حميرها .

وأما وحوشه ، ففيه الغِزْلَانُ والأرانب والأُسُودُ وكثير من أنواع الوُحُوش المختلفة ممـا لا يوجد مثله فى مِصْرَ .

وأما طيوره، ففيه الإِوَزُّ والدَّجَاج والحَمَام وأنواع طيور المـاء المختلفة الأنواع . قال فى "مسالك الأبصار": ولا تكون الفراريج فيها إلا بحَضَانة ولاتُجَعُ فيها المَعَامل التى تُعْمَلُ لإخراج الفراريج فى مصر. قال : ويذكر أن رجلا من أهل مصر عمل فيها مَعْمَلا فى حاضرة العقيبة فصعد له العمل فيه فى الصيف دون الخريف .

المقصد السادس

(فى ذكر النفيس من مطعوماتها)

فيها العَسَلُ بقدر متوسـط ، ويعمل فيهـا السُّكَّر الوسط والمكرر ، والشراب موجود فيها دون مصر، وأكثر حَلْوَاهَا من العَسَل والمَنّ .

الطَّـــرَف الرابع

(فى ذكر جهاته وكُوَره القديمة وقواعده المستقرّة وأعمالها، وفيه مقصدان)

المقصد الأوّل

(فى ذكر جهاته وكُوَره القديمة)

قد قسّم المتقدّمون الشام إلى خمسة أجناد ـ جمع جُنْد بضم الجيم وإسكان النون ودال مهملة فى الآخر كما ضبطه الجوهرىّ وغيره .

الأوّل ــ (جُنْدُ فِلَسْطِينَ) وفِلَسْطِينُ بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون اليـاء المثناة تحت ونون فى الآخر . قال الزجاجىّ : سميت بفِلَسْطِين بن كُلْثوم من ولد فلان بن نوح ، بلدة كانت قديمـا نسبت الكورة إليها . قال ٱبن حوقل : وهو أوّل الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رَفَح إلىٰ حدّ اللَّجُّون ، وعَرْضه من يافا إلىٰ أَرِيحَا نحو يومين . قال ٱبن الأثير : هى كُورَةٌ كبيرة تشتمل علىٰ بلاد المَقْدِس وغَزَّةَ وعَسْقَلَان . قال ٱبن حوقل : وهى أزكىٰ بلاد الشام .

الثـانى ــ (جُنْـدُ الأُرْدُنِّ) والأُرْدُنُّ بلدة قديمة من بلاد الغَوْر نسبت الكُورةُ إليها ، وقد مرّ ضبطها فى الكلام علىٰ نهر الأُرْدُنّ عند ذكر الأنهار ، وقد نسبت الكُورةُ إليها كما نسب إليها النهر المتقدّم ذكره . قال ٱبن حوقل : وديار قوم لُوط والبحيرةُ المُنْتِنَةُ وزُغَرُ إلىٰ بَيْسَانَ وإلىٰ طَبَرِيَّة تسمّى الغَوْرَ : لأنه بين جبلين ، وسائر بلاد الشام مرتفعةٌ عليه . قال : وبعضها من الأُرْدُنّ وبعضها من فِلَسْطِينَ .

الثالث ــ (جُنْد دِمَشْقَ) وسيأتى الكلام عليها فى قواعد الشام المستقرّة .

الرابع ــ (جند حِمْصَ) وسيأتى الكلام عليها فى الصفقة الشرقية من صَفَقات دِمَشْقَ .

الخامس ــ (جُنْد قِنَّسْرِينَ) . قال فى "اللُّبَاب" : بكسر القاف وفتح النون المشـدّدة وسكون السين وكسر الراء المهـملتين ثم ياء مثناة من تحتُ ساكنة ونون فى الآخر . قال الزجاجىّ : وقد روى أنها سميت برجل من قَيْس[1] يقال له ميسرة ، نزلها فمرّ به رجل فقال له : ما أشبه هذا الموضعَ بِقِنّ سِرِين ! فبنى منه ٱسم المكان فقيل : قِنَّسْرِينُ . وقيل : دعا أبو عُبَيْدَةَ مَيْسَرةَ بن مسروق القيسىّ[2] فوجهه فى ألف فارس

(١) فى معجم البلدان لياقوت : برجل من عبس .

(٢) « « « : العبسىّ .

فى أثر العدو فمر علىٰ قِنَّسْرِينَ فجعل ينظر إليها فقال : ماهذه؟ فسُمِّيت له بالرومية ، فقال : والله كأنها قِنَّسْرِينُ . قال : وهذا يدل علىٰ أن قِنَّسْرِينَ ٱسم مكان آخر عَرَفَه ميسرةُ فشَبَّه به هذا فسميت به .

قال ٱبن الأنبارىّ : وفى إعرابها قولان .

أحدهما — أنها تجرى مجرىٰ قولك الزيدون فتجعلها فى الرفع بالواو فيقول هذه قِنَّسْرُونَ وفى الخفض والنصب بالياء فتقول مررت بِقِنَّسْرِينَ ودخلت قِنسرِينَ .

القول الثانى — أن تجعلها بالياء علىٰ كل حال وتجعلَ الإعراب فى النون ولا تصرفها .

وهى قاعدة من قواعد الشأم القديمة علىٰ القرب من حَلَب ؛ كان الجُنْد ينزلهـا فى ٱبتداء الإسـلام ، ثم ضَعُفت بحلب وخَرِبت وصارت قرية علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ حلب إن شاء الله تعالىٰ .

قال ٱبن الأثير : وكل جُنْدٍ منها عَرْضُـه من ناحية الفُرَات إلىٰ ناحية فِلَسْطِينَ . وطوله من الشرق إلىٰ البحر ، وحكاه فى "التعريف" علىٰ وجه آخر فقال : للناس فى الشأم أقوالٌ ، فمنهم من لا يجعله إلا شاما واحدا [ومنهم من يجعله شامات ، فيجعلون بلاد فِلَسْطِينَ والأرض المقـدّسة إلىٰ الأُرْدُنِّ شاماً[1]] ويقولون الشام الأعلىٰ ؛ ويجعلون دِمَشْقَ وبلادها من الأُرْدُنِّ إلىٰ الجبال المعروفة بالطِّوال شاما ، ويقع علىٰ قرية النَّبْك وما هو علىٰ خطها ، ويجعلون سُورِيَا : وهى حِمْصُ وبلادها إلىٰ رَحْبة مالك بن طَوْق شاما ، ويجعلون حماة وشَيْزَر من مضافاتها . وثَمَّ من يجعل منها حماة دون شَيْزَر ، ويجعلون قِنَّسْرِينَ وبلادَها وحَلَبَ ممـا يدخل فى هـذا إلىٰ جبال الروم وبلاد العواصم والثُّغُور : وهى بلاد سِيس شامًا . ثم قال : أما عَكَّا وطَرَابُلُسُ وكل

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للؤلف ليستقيم الكلام .

ما هو على ساحل البحر فكلّ ما قابَلَ منه شيئا من الشامات حُسِب منه . قال : ونبهنا على ذلك كله ليعرف . ثم قال : أما ماهو فى زماننا وعليه قانون دبواننا فإنه إذا قال سلطاننا بلاد الشام ونائب الشام لا يريد به إلا دِمَشْقَ ونائبها . وسيأتى الكلام على حدود ولايته فى الكلام على نيابة دِمَشْقَ إن شاء الله تعالى .

المقصــــــد الثــانى

(فى ذكر قواعده المستقرّة وأعمالها ، وهى ستُّ قواعدَ ، كلُّ قاعدة منها تعدّ مملكة ، بل كانت كلُّ قاعدة منها مملكةً مستقلة بسلطان فى زمن بنى أيوب)

القاعدة الأولى

(دِمَشْقُ ، وفيها جملتان)

الجمـــــلة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون الشين المعجمة وقاف فى الآخر. وتسمى أيضا جِلَّقَ ـ بجيم مكسورة ولام مشدّدة مفتوحة وقاف فى الآخر . وبذلك ذكرها حَسَّانُ بن ثَابِتٍ رضى الله عنه فى مدحه لبنى غَسَّانَ : ملوكِ العرب بالشأم بقوله :

لِلهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُـــمْ ... يَوْمًا بِجِلَّقَ فى الزَّمَانِ الأَوَّلِ

وحكى فى "الروض المعطار" تسميتها جَيْرُونَ ـ بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر ـ وسماها فى موضع آخر العَذْرَاء ـ بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء المهملة وألف بعدها ـ وموقعها فى أواخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : وطولها ستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقد آختلف فى بانيها : فقيل بناها

نُوحٌ عليه السلام، وذلك أنه لما نزل من السفينة أشرف فرأى تلَّ حراف(١) بين نهرى حراف وديصاف(١)، فأتاه فبنى حراف، ثم سار فبنى دِمَشْقَ، ثم رجع الى بابِلَ فبناها . وقيل بناها جَيْرُونُ بن سعد بن عاد، وبه سميت جَيْرُون . ويقال إن جَيْرُون و بَرِيدا كانا أخَوَيْنِ وهما ابنا سعد بن لقمان بن عاد، وبهما يعرف باب جيرون وباب البريد من أبوابها . وقيل بناها العازر : غلام إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان حَبَشِيًّا وهبه له نُمْرُوذ بن كَنْعان حين خرج إبراهيم من النار، وكان اسمه دِمَشْق فسماها باسمه .

وفى "كتاب فضائل الفُرْس" لأبى عُبَيْد أن بيوراسب ملك الفُرْس بناها . وقيل إن الذى بناها ذو القَرْنين عند فراغه من السد ووَكَّلَ بعمارتها غلاما له اسمه دمشقش وسكنها دمشقش ومات فيها فسميت به . وهى مدينة عظيمة البناء ذات سور شاهقٍ ولها سبعة أبواب : باب كَيْسانَ، وبابُ شرقى، وباب تُوما، وباب الصغير، وباب الجابية، وباب الفَرَاديس، والباب المسدود .

وروى الحافظ بن عساكر عن أبى القاسم تَمَّام بن محمد : أن بانيها جعل كل باب من هذه لِكَوْكَبٍ من الكواكب السبعة، وصوّر عليه صُورتَه، فجعل باب كَيْسَانَ لِزُحَلَ، وباب شَرْقى للشمس، وباب تُوما للزُّهَرَة، وباب الصغير لِلْمُشْتَرِى، وباب الجابية لِلمِرِّيخ، وباب الفراديس لِعُطَارِدَ، والباب المسدود للقمر. وعلى كل حال فهى مدينة حسنة الترتيب، جليلة الأبنية، ذات حواجز بُنِيت من جهاتها الأربع، وغُوطتها أحد مستنزهات الدنيا العجيبة المفضلة على سائر مستنزهات الأرض، وكذلك الرَّبْوَة وهى كَهْفٌ فى فم واديها الغربى . عنده تنقسم مياهها ، يقال إن به مَهْدَ عيسى عليه السلام . وبها الجوامع والمدارس، والخَوَانق والرُّبط، والزوايا والأسواق المرتبة

(١) كذا فى الضوء أيضا ولم نعثر على هذين الاسمين .

والديار الجليلة المُذهبة السُّقُف المفروشة بالرخام المنوع ، ذاتُ البِرَك والمـاء الجارى . وربما جرىٰ المـاء فى الدار الواحدة فى أماكِنَ منها والماء مُحَكَّم عليها من جميع نواحيها باتقان محكم ؛ وهى فى وَطَاءة مستوية من الأرض بارزةٌ عن الوادى المنحطّ عن منتهىٰ ذيل الجبل ، مكشوفةُ الجوانب لمرّ الهواء إلا من الشَّمال فإنه محجوب بجبل قاسِيُونَ ، وبذلك تُعاب وتنسب إلىٰ الوَخَامة . قال فى " مسالك الأبصـار " : ولولا جبلها الغربىُّ الملَبَّس بالثلوج صيفا وشتاء ، لكان أمرها فى ذلك أشدَّ ، وحال سُكّانها أشقَّ ؛ ولكنه دِرْياق ذلك السم ، ودواء ذلك الداء . وهى مستديرة به من جميع نواحيه . قال فى " مسالك الأبصار " : وغالب بنائها بالحجر ودُورُها أصغر مقاديرَ من دُورِ مصر لكنها أكثر زَخْرَفَةً منها وإن كان الرخام بها أقل . وإنمـا هو أحسن أنواعا . قال : وعناية أهلها بالمَبَـانى كثيرةٌ ، ولهم فى بساتينهـم منهـا ماتفوق به وتحسن بأوضاعه ، وإن كانت حَلَبُ أجلَّ بناءً لعنايتهم بالحجر ، فدِمَشْقُ أَزْيَنُ وأكثر رونقا لتحكم الماء علىٰ مدينتها وتسليطه علىٰ جميع نواحيها ، ويستعمل فى عماراتها خَشَبُ الحَوْر ـ بالحاء والراء المهملتين ـ بدلا من خشب النخل إلا أنه لا يُغَشَّى بالبياض ويكتفى بحسن ظاهره . وأشرفُ دُورِها ماقَرُب ، وأجلُّ حاضرتها ماهو فى جانبيها : الغربىّ والشَّمالىّ .

فأما جانبها الغربىُّ ففيه قلعتها ، وهى قلعة حسنة مرجلة علىٰ الأرض ، تحيط بها وبالمدينة جميعها أسوارٌ عالية ، يحيط بها خَنْدَقٌ يطوف الماء منه بالقلعة . وإذا دعت الحاجة إليه أطلق علىٰ جميع الخندق المحيط بالمدينـة فيعمها ؛ وتحت القلعة ساحةٌ فسيحة بها سوق الخيل ، علىٰ جانب وادٍ ينتهى فيه مما يلى القلعة إلىٰ شرفين محيطين به فى جهتى القبلة والشَّمال ، فى ذيل كل منهما مَيْدَان مُمْرَج بالنجيل الأخضر ، والوادى يشق بينهما . وفى الميدان القبلىّ منهما القصرُ الأبلَقُ ـ وهو قصرٌ عظيم مبنىّ من أسفله

إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب ، وإحكام عجيب ؛ بناه الظاهر بيبرس البُنْدُقدارىّ فى سلطنته ، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبل بمصر ، وأمامَ هـذا القصر دركاه يُدخَلُ منهـا إلى دِهْليز القصر ، وهو دِهْليز فسيحٌ يشتمل على قاعات ملوكية مفروشة بالرُّخام الملوّن البديع الحُسْنِ ، مؤزَّر بالرخام المفصـل بالصَّـدَف والفَصِّ المُذْهَب إلى سُجُف السـقوف ، وبالدار الكبرى به إيوانان متقابلان تُطل شبابيك شرقيهما على الميدان الأخضر ، وغربيهما على شاطئ وادٍ أخضر يجرى فيه نهر ، وله رَفارِفُ عالية تناغى السُّحُبَ ، تُشْرِف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والغُوطة .

والوادى كامل المنافع بالبيوت الملوكية والإصطبلات السلطانية والحمّام وغير ذلك من سائر مايُحتاج إليه ؛ وبالدكاره التى أمام القصر المتقـدّم ذكرها جَسْرٌ معقود على جانب الوادى يُتَوصَّل منه إلى إيوان برانىّ يُطَلُّ منه على الميـدان القبلىّ ، آستجدّه أقوش الأفرم فى نيابتـه فى الأيام النـاصرية آبن قلاوون ، وتُجاهَ باب القصر بابٌ يُتوصّل من رحبته إلى الميدان الشمالىّ ؛ وعلى الشرفين المتقـدّم ذكرهما أبنيةٌ جليلةٌ من بيوت ومناظرَ ومساجدَ ومدارسَ ورُبُط وخَوَانِقَ وزَوايَا وحمّـامات ممتدّة على جانبين ممتدّين طول الوادى .

ولهذه القلعة نائبٌ بمفردها غير نائب دمَشْقَ يحفظها للسلطان ولا يُمَكِّنُ أحدا من طلوعها من النائب أو غيره . وإذا دخل السلطان دِمَشْقَ نزل بها . وبها تُحَتُ مُلْك لغيرها من ديار الملك .

وأما جانبها الشَّمالىّ ويسمّى العُقَيبة ، فهو مدينة مستقلة بذاتها ذاتُ أبنيةٍ جليلة عمائرَ ضَخْمة ، يسكنها كثير من الأمراء والجند ، وبازاء المدينة فى سفح جبل قاسيُونَ مدينة الصالحية) : وهى مدينة ممتدّة فى سَفْح الجبل بازاء المدينة فى طول مدًى يُشْرِف

علىٰ دِمَشْقَ وغُوطتها، ذاتُ بيوت ومدارس وربط وأسواق وبيوت جليلة، وبأعاليها مع ذيل الجبل مقابر دِمَشْقَ العامَّةُ . ولكل من دِمَشْقَ والصالحية البساتينُ الأَنِيقة تتَسَلْسُل جداولها وتَغَنّي دوحاتها، وبتمايل أغصانها وتغرُّد أطيارها، وفي بساتين النُّزهة بها العمائرُ الضَّخْمة، والجَوَاسِقُ العليّة، والبرك العميقة، والبحيرات الممتدّة، تتقابل بها الأواوين والمجالس . وتَحُفُّ بها الغِرَاس والنصوب المطرّزة بالسَّرْو المُلْتَفّ، والحُور المشوق القد والرياحين المتأرّجة الطيب، والفواكه الجَنِيَّة، والثمرات الشَّهِيَّة، والأشياء البديعة، التي تُغْنِي شهرتها عن الوصف . ويقوم الإيجاز فيها مقام الإطناب .

ومَسْقَىٰ دِمَشْقَ وبساتينها من نهر يسمّى بَرَدىٰ ـ بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملتين وبآخره ألف . أصل مخرجه من عينين: البعيدةُ منهما دون قرية تسمّى الزَّبَدانِيّ . ودونها عَيْنٌ بقرية تسمّى الفيجة . بذيل جبل يخرج الماء من صدع في نهاية سفله قد عقد علىٰ مخرج الماء منه عَقْدٌ روميُّ البناء، ثم تَرْفِده منابعُ في مجرىٰ النهر، ثم يقسم النهر علىٰ سبعة أنهر: أربعة غربية: وهي نهر دَارَيَّا، ونهر المِزَّة، ونهر القنوات، ونهر بَانَاس . واثنان شرقية وهما نهر يَزِيدَ، ونهر ثَوْرَا، ونهر بَرَدىٰ ممتد بينهما .

فأما نهر بَانَاس ونهر القَنَوات، فهما نهرا المدينة حاكمان عليها ومُسَلَّطان علىٰ ديارها، يدخل نهرُ باناس القلعةَ، ثم ينقسم قسمين: قسم للجامع وقسم للقلعة، ثم ينقسم كلُّ قسم منهما علىٰ أقسام كثيرة ويتفرّق في المدينة بأصابع مقدّرة معلومة، وكذلك ينقسم نهر القنوات في المدينة، ولا مدخل له في القلعة ولا الجامع، ويجري في قُنِيٍّ مدفونة في الأرض إلىٰ أن يصل إلىٰ مستحقاتها بالدور والأماكن علىٰ حسب

(١) لعله ذات مساجد .

التقسيم، ثم تنصبُّ فضلات المـاء والبِرَك ومجـارى الميضآت إلىٰ قُنِيٍّ معقودة تحت الأرض، ثم تجتمع وتتنهَّر وتخرج إلىٰ ظاهر المدينة لسقى البساتين .

وأما نهر يَزِيدَ، فإنه يجرى فى ذيل الصالحية المتقدّم ذكرها ويشقُّ فى بعض عمارتها .

وأما بقيـة الأنهار، فإنها تتصرف إلىٰ البساتين والغيطان لسقيها، وعليها القصورُ والبنيان خصوصا ثَوْرًا فإنه نيل دِمَشْقَ، عليه جلُّ مبانيها وبه أكثر تنزهات أهلها، مَنْ يخاله يراه زُمُرُّدَةً خضراء، لالتفاف الأشجار عليه من الجانبين .

وبها (جامع بنى أُمَيَّةَ) وهو جامع عظيم، بناه الوليد بن عبد الملك بن مَرْوانَ فى سنة ثمـان وثمـانين من الهجرة، وأنفق فيه أموالا جَمَّةً حتّى يقال إنه أنفق فيه أربعمائة صُنْدوق فى كل صُـنْدوق ثمـانية وعشرون ألف دينـار، وإنه اجتمع فى ترخيمه اثنا عشر ألف مُرَخِّم، قال فى "الروض المعطار" : وذَرْعه فى الطول من المشرق إلىٰ المغرب مائتا خُطْوة وهى ثلثمائة ذراع، وعرضه من القبـلة إلىٰ الشمال مائة خطوة وخمس وثلاثون خُطْوة وهى مائتا ذراع، وقد زُخْرِفَ بأنواع الزَّخْرَفَةِ من الفُصُوص المُذْهَبَة والمَرْمَرِ المصقول، وتحت نَسْرِه عمودان مجزَّعان بالحمرة لم يُرَ مثلهما، يقال إن الوليد اشتراهما بألف وخمسمائة دينار، وفى المحراب عمودان صغيران يقال إنهما كانا فى عرش بِلْقِيسَ، وعند مَنَارته الشرقية حجرٌ يقال إنه قطعةٌ من الحجر الذى ضربه موسىٰ عليه السلام فانفجرت منه اثنتا عشْرةَ عينا .

وقد ورد أن المسيح عليه السلام ينزل علىٰ المنارة الشرقية منه، ويقال إن القُبَّة التى فيها المحراب لم تزل مَعْبَدا لابتداء عمارتها وإلىٰ آخر وقت . بناها الصابئة متعبّدا لهم، ثم صارت إلىٰ اليونانيين فكانوا يُعظِّمون فيها دينهم، ثم انتقل إلىٰ اليهود فقُتِل يحيىٰ بن زكريا عليه السـلام، ونصب رأسـه علىٰ باب جَيْرُونَ من أبوابه فأصابته بركتُه، ثم صار إلىٰ النصارىٰ فجعلتها كنيسـة، ثم افتتح المسلمون دِمَشْقَ فاتخذوه

جامعها، وعلق رأسُ الحُسَيْنِ عليه السلام عند قتله فى المكان الذى علق عليه رأس يحيىٰ بن زكريا إلىٰ أن جدّده الوليد، ويقال إن رأس يحيىٰ عليه السلام، مدفون به، وبه مُصحف عثمانَ الذى وَجَّهَ به إلىٰ الشام .

قال فى "الروض المعطار" : ويقال إن أوّل من وضع جداره الأوّل هُودٌ عليه السلام . وقد ورد فى أثرٍ أنه يُعْبَد الله تعالىٰ فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة .

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها وما يدخل تحت حكم الولايات)

وقد ذكر فى "التعريف" أن ولايتها من لَدُن العريش : حدّ مصر إلىٰ آخر سَلَمْيَة مما هو شرق بشمال وإلىٰ الرَّحْبة مما هو شرق بجنوب . قال : وقد أضيف إليها فى زمن سلطاننا بلاد جَعْبَرٍ، وكان من حقها أن تكون مع حَلَب . وحينئذ فتكون ولايتُها مشتملةً علىٰ الشام الأعلىٰ المتقدّم ذكره وما يليه وما يلى ما يليه، وبعض الشام الأدنىٰ ، وليس يخرج عنه من ذلك إلا حماة وما خرج مع صَفَدَ وطَرَابُلُسَ والكَرَك . قال : ويكون فى نيابة نائبها نيابةُ غَزَّة ونيابةُ حِمْص وبعض شىء مما يقتضى الحقُّ أن يكون مع حلب .

وتشتمل علىٰ بَرٍّ وأربع صَفَقات .

فأما البَرُّ فالمراد به ضواحيها . قال فى "التعريف" : وحدّها من القبلة قرية الخِيَارَة المجاورة للكُسْوَةِ وماهو علىٰ سمتها طولا ، ومن الشرق الجبال الطِّوال إلىٰ النَّبْك وماعلىٰ سمتها من القرىٰ آخذاً علىٰ عَسَّالٍ[1] وما حولها من القُرىٰ إلىٰ الزَّبَدانى ، ومن الغرب ما هو من الزَّبَدانى إلىٰ قرىٰ القران المسامتة للخِيَارَة المقدّم ذكرها . قال : ويدخل فى ذلك مرج دمشق وغُوطتها .

---

(١) فى الأصل والضوء باللام [والتصحيح عن ياقوت] .

وأما صَفَقاتها، فأربع صَفَقات .

الصفقة الأولىٰ

(الساحليـــة والجبليـــة)

وهى الصَّفْقَةُ الغربية عن دمشق . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى عبارة عن بلاد غَزَّةَ وما جاورها سَهْلا ووعرا .

قال فى "التعريف": وهذه الصفقة هى الشام الأعلىٰ، ينتقص منه ماهو من نهر الأُردُن إلىٰ حدّ قاقُونَ . ثم هذه الصفقة لها جهتان .

الجهـــــة الأولى

(الساحلية، وهى التى بساحل بحر الروم المتقدم ذكره، وتشتمل علىٰ أربعة أعمال)

الأول ـ (عمل غَزَّة) ـ بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاى المعجمة أيضا وفى آخرها هاء ـ وهى مدينة من جُنْد فِلَسْطِينَ، فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وعشر دقائق ، وعَرْضها آثنتان وثلاثون درجة . وقال آبن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة، وهى علىٰ طَرَف الرمل بين مصر والشأم، آخذةٌ بين البر والبحر بجانبيها ، مبنيةٌ علىٰ نَشْز عالٍ علىٰ نحو ميل من البحر الرومى، متوسطة فى العِظَم، ذات جوامعَ، ومدارسَ، وزوايا، و بيمارستان، وأسواق، صحيحةُ الهواء، وشرب أهلها من الآبار، وبها أمكنة يجتمع بها المطر إلا أنه يُستثقَل فى الشرب فيعدل منه إلىٰ الآبار لخفّة مائها، و بساحلها البساتين الكثيرة . وأجلّ فاكهتها العِنَبُ والتِّينُ، وبها بعض النخيل ، وبَرُّها ممتدّ إلىٰ تِيه بنى إسرائيل من قبليها ، وهو موضع زَرْع

وماشية إلا أن أهل برها عُشْرَان[1] بعضهم أعداء بعض . ولولا خوف سطوة السلطنة لما أُغْمِدَ سيفُ الفتنة بينهم ولاّجتاحوا المدينة ومَنْ فيها .

قلت : والحال فيها مختلف : فأكثر الأحيان هي تقدمة عسكر مضافة إلى دِمَشْق ، يأتمر مقدّم العسكر فيها بأمر نائب السلطنة القائم بدِمَشْق ، ولا يُمْضِى أمرا دون مراجعته وإن كانت ولايته من الأبواب السلطانية ، وتارة تكون نيابةً مستقلّةً وتضاف إليها الصفقة الساحلية بكمالها فيكون لها حكم النيابات .

الثانى ـ (عمل الرَّمْلَةِ) . بفتح الراء المهملة وسكون الميم وفتح اللام و فى آخرها هاء ـ وهى مدينة من جند الأُرْدُنِّ ، موقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة وعشر دقائق . وقال فى "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وست وعشرون دقيقة ، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

وهى مدينة إسلامية بناها سليمان بنُ عبد الملك فى خلافة أبيه عبد الملك . قال فى "الروض المعطار" : وسميت الرَّمْلَة لغلبة الرمل عليها . وقال فى "مسالك الأبصار" : سميت بآمرأة آسمها رَمْلَةُ ، وجدها سليمانُ بن عبد الملك هناك فى بيتِ شَعَر حين نزل مكانها يرتاد بناءها ، فأكرمته وأحسنت نُزُلَه ، فسألها عن آسمها فقالت رَمْلَةُ ، فبنى البلد وسماها بآسمها . قال فى "العزيزى" : وهى قَصَبَة فِلَسْطِينَ ، وهى فى سهل من الأرض ، وبينها وبين القُدْس مسيرة يوم . قال فى "الروض المعطار" : وبينها وبين نَابُلُسَ يوم ، وبينها وبين قَيْسَارِيَّة مرحلة ، وكان عبدُ المَلك قد أجرى إليها قناة

(١) كذا فى الأصل مضبوطا .

ضعيفة للشرب منهـا ، وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريجَ يجتمع فيها ماء المطر، وهى مَقَرَّةُ الكاشف بتلك الناحية .

وميناها مدينة يَافَا ــ بفتح المثناة من تحت وألف وفاء ثم ألف فى الآخر ــ وهى مدينة صغيرة بالساحل، وهى فى الغرب عن الرملة و بينهما ستة أميال .

الثالث ــ (عمل لُدّ) ــ بضم اللام وتشديد الدال المهملة ــ وهى بلدة من جُنْد فِلَسْطِينَ واقعةٌ فى الإقليم الثالث شرقا بشمال عن الرملة ، و بينهما ثلاثة فراسخ ، ولم يتحرر لى طولها وعَرْضها . غير أنها نحو الرَّمْلَةِ فى ذلك : لقربها منها أو أطولُ وأعرضُ بقليل . وهى مدينة قديمةٌ كانت هى قصبةَ فِلَسْطِينَ فى الزمن الأوّل إلى أن بنيت الرَّمْلَةُ فتحوّل النـاس إليها وتركوا لُدّا ، وقد ثبت فى الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدَّجَّال ببابها .

الرابع ــ (عمل قَاقُونَ) ــ بفتح القاف و بعدها ألف ثم قاف ثانية مضمومة ــ وهى مدينة لطيفة غيرُ مُسَوَّرةٍ ، بها جامعٌ وحَمَّام وقلعة لطيفة ، وشربها من ماء الآبار ، ولم يتحرر لى طولها وعرضها ، إلا أن بينها و بين لُدّ مسيرة يوم فلتعتبر بها بالتقريب .

الجهة الثـانية

(الجَبَلِيَّة ، وبها ثلاثة أعمـال)

الأوّل ــ (عمل القُدُس) . والقُدُسُ بضم القاف والدال لفظ غلب على مدينة بيت المَقْدِس ــ بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة ــ وهو المسجد الأقصى ، وأصل التقديس التطهير ، والمراد المُطَهَّر من الأدناس . وهى مدينة من جُنْد فِلَسْطِينَ واقعةٌ فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال": طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان": والقياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة . وعرضها ثلاثون درجة .

وهى مبنية على جبل مستدير، وعرةُ المسلك ؛ وبناؤها بالحجر والكِلْس ؛ وغالب حجرها أسود ؛ وشُرْبُ أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الأقصى وعينٍ تجرى إليها عن بُعْد ، وكذلك عين سُلْوان وليس ماؤها بالكثير، وكان بها آثار قلعة قديمة خَرِبتْ لجدّدها الناصر "محمد بن قلاوون" فى سنة ستٍّ عشرةَ وسبعمائة ، وليس بها حَصَانَةٌ، وكانت المدينة كلُّها قد غلب عليها الخراب من حين آستيلاء الفرنج عليها، ثم تراجع أمرها للعمارة ، وصارت فى نهاية الحُسْن ؛ بها المدارس والرُّبُطُ والحمَّامات والأسواق وغيرها . والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التى تشدّ إليها الرحال ، وهو القبلة الأولى .

قال فى "الروض المعطار" : وأوّل من بنى بيتَ المقدس وأَرىَ موضعَه يعقوبُ عليه السلام ، وقيل داودُ . والذى ذكره فى "تقويم البُلْدان" أن الذى بناه سليمان آبن داود عليهما السلام وبقى حتّى خَرَّبه بُخْتَنَصَّر ، فبناه بعض ملوك الفُرْس وبقى حتّى خَرَّبه طيطوس ملك الروم، ثم بقى ورُمِّمَ؛ وبقى حتّى تنصر قُسْطَنْطِينُ ملك الروم وأُمُّهُ هيلانة وبنَتْ أُمُّه قُمَامة على القبر الذى يزعُمُ النصارى أن المسيح عليه السلام دُفن فيه ، وخَرَّبت البناء الذى كان على الصخرة وجعلتها مطرحا لقُمَامات البلد عِنَادا لليهود؛ وبقى الأمر على ذلك حتّى فتح أميرُالمؤمنين : عمرُ بنُ الخَطَّاب رضى الله عنه القُدُسَ فدُلَّ على الصخرة فنظَّف مكانها وبنى عليها مسجدا ، وبقى حتّى ولِىَ الوليد آبن عبدالملك الخلافةَ فبناه على ماهو عليه الآن . على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ماهو داخل السور، وعلى القرب من المسجد الصخرةُ التى ربط النبىّ صلى الله عليه وسلم بها البُراق ليلة الإسراء، وهى حجر مرتفع مثل الدكة آرتفاعها من الأرض نحو قامة ، وتحتها بيت طوله بَسْطة فى مثلها، ينزل إليها بسُلَّم وعليها قبة عالية ، بناها الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد الأقصى .

قال المهلَّبي فى كتابه "العزيزى" : ولما بناها الوليد بنىٰ هناك عِدّة قِباب وسمّى كل واحدة منها بآسم : وهى قُبَّة المعراج، وقبة الميزان، وقُبَّة السِّلْسلة، وقبة المَحْشَر.

قال فى "مسالك الأبصار" : وإلىٰ الصخرة المتقدّمة الذكر قِبْلَةُ اليهود الآن، وإليها حَجُّهم. وبه القُمامة التى تحجها النصارىٰ من أقطار الأرض، وبيتُ لَحْم الذى هو من أجلّ أماكن الزيارة عندهم، وكان به كنيسة للروم يقال إن بها قبر حَنَّةَ أمّ مريم بنت عمران عليها السلام ثم صارت فى الإسلام دارَ علم . فلما ملك الفرنجُ القُدُس فى سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة، فلما فتح السلطان صلاحُ الدين القُدُسَ بنىٰ بها مدرسة . وكان آسمها فى الزمن الأول إيليا . والأرض المقدّسة مشتملة علىٰ بيت المَقْدِس وما حوله، إلىٰ نهر الأُرْدُنّ المسمّىٰ بالشريعة، إلىٰ مدينة الرَّمْلَةِ طولا، ومن البحر الشامىّ إلىٰ مدائن لُوط عليه السلام، وغالبها جبال وأودية إلا ماهو فى جَنَباتها .

الثانى - (عمل بلد الخليل عليه السلام) . وآسمها بيت حَبْرُونَ بإضافة بيتٍ واحد البيوت إلىٰ حَبْرُونَ (بحاء مفتوحة وباء موحدة ساكنة وراء مهملة مضمومة بعدها واو ساكنة ونون) كذا ضبطه فى "تقويم البلدان" : وفى كلام صاحب "الروض المعطار" : ما يدل علىٰ إبدال الحاء بجيم والباء الموحدة بمثناة تحتُ، فإنه ذكرها فى حرف الجيم فى سياقة الكلام علىٰ تسمية دِمَشْقَ جَيْرُونَ . وهى بلدة من جُنْد فِلَسْطِينَ فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، طولها فى بعض الأزياج ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة[1]، وبها قبر إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ عليهم السلام ونسائهم، وهى إحدىٰ القرىٰ التى أقطعها النبىّ صلّى الله عليه وسلم لتميم الدارىّ كما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ المناشير إن شاء الله تعالىٰ .

(١) لم يذكر عرضها كما هى عادته .

الثالث ـ (عمل نَابُلُس) ـ بفتح النون وألف وضم الباء الموحدة واللام وسين مهملة في آخرها ـ مدينة من جُنْد الأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : طُولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة . وقال في "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وأربع وعشرون دقيقة ، وعرضها علىٰ ما تقدّم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة يُحْتاج إليها ولا تحتاج إلىٰ غيرها . قال ابن حوقل : وليس بِفلَسْطِينَ بلدةٌ فيها ماءٌ جارٍ سواها ، وباقي ذلك شرب أهله من المطر وزرعهم عليه . وبها البئر التي حفرها يعقوبُ عليه السلام؛ وهي مدينة السامرة ، وكانت السامرةُ في الزمن المتقدّم لا توجد إلا بها؛ وبها الجبل الذي يحج إليه السامرة ، وسيأتي الكلام علىٰ الموجِب لتعظيمه عندهم عند الكلام علىٰ تحليفهم في باب الأيمان إن شاء الله تعالىٰ .

الصفقة الثانية

(القبليـــة)

سميت بذلك لأنها قِبْلِيّ دِمَشْــقَ . قال في "مسالك الأبصار" : وتشتمل علىٰ بلاد حَوْرَانَ والغَوْرِ وما مع ذلك . قال في "التعريف" : وحدّها من القبلة جبال الغَوْرِ القبلية المجاورة لمَرْج بني عامر ، ومن الشرق البَرِّيَّةُ ، ومن الشَّمال حدود ولاية بَرّ دِمَشْقَ القِبْلِيّ ؛ ومن الغرب الأغوار إلىٰ بلاد الشَّقِيف . قال : والأغوار كلُّها داخلة في هــذه الصفقة خلا ما يختص بالكَرَك .

وتشتمل هذه الصفقة علىٰ عشرة أعمــال .

الأوّل ـ (عمل بَيْسَان) ـ بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الســين المهملة وألف ونون ـ مدينة من جُنْدِ الأُرْدُنِّ من الإقليم الثــالث . قال

فى "الأطوال" : طولها ثمـان وخمسون درجة، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولهـا سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضَها آثنتـان وثلاثون درجة وسبعٌ وعشرون دقيقة . وهى مدينـة صـغيرة بلا سُور، ذاتُ بساتينَ وأشجار وأنهار وأعين، كثيرةُ الخِصْب واسعة الرزق، ولهـا عين تشقُّ المدينة، وهى علىٰ الجانب الغربىّ من الغَوْر .

قال فى "التعريف" : وهى مدينة الغَور، وبها مقرّ الولاية . قال فى "مسالك الأبصار" : ولهـا قُلَيْعَةٌ من بناء الفِرنْج . قال فى "الروض المعطار" : ويقال إن طَالُوتَ قتل جَالُوتَ هنالك .

الثانى ـ (عمل بانِيَاس) ـ بباء موحدة وألف ونون وياء مثناة تحت وألف ثم سين مهملة ـ مدينة من جُنْد دِمَشْقَ واقعةٌ فى الإقليم الثالث . قال فى "تقويم البُلْدان" : طولهـا ثمـان وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة . قال : وهى علىٰ مرحلة ونصف من دِمَشْقَ من جهة الغرب بمَيْلة إلىٰ الجنوب . قال فى "العزيزى" : وهى فى لِحْف جبل الثلج، وهو مطلٌّ عليها والثلج علىٰ رأسـه كالعمامة لا يُعْدَمُ منه شتاءً ولا صـيفًا . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة الجَوْلان، وبها قلعة الصُّبَيْبَة (بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء فى الآخر) . قال فى "التعريف" : وهى من أجَلِّ القلاع وأمنعها .

الثالث ـ (عمل الشَّعْرَا) ـ بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الراء المهملة وبعـدها ألف ـ وهى عن بَانِيَـاسَ المتقدّمة الذكر شرق بجنوب، وطوله مابين بَانِيَاسَ إلىٰ جبل الثلج . قال فى "التعريف" : والولاية بها تكون تارة بقرية حان (بالحـاء المهملة) وتارة بقرية القُنَيْطِرَة تصـغير قنطرة، ولم يتحرّر لى طولها وعرضهما فلتعتبرا بمـا قاربهما من الأعمال .

الرابع - (عمل نَوىٰ) - بفتح النون والواو وألف في الآخر - وهي بلدة صغيرة، عن دِمَشْقَ في جهة الغرب إلىٰ الجنوب علىٰ نحو مرحلة ، وهي مدينةٌ قديمةٌ من أعمال دِمَشْقَ ، بها قبر أيوبَ النبيّ عليه السلام ، وإليها ينسب الشيخ مُحيي الدين النوويّ الشافعيّ رحمه الله ، ولم يتحرر لي طولها وعرضها فلتعتبر بما قاربها أيضا ، وهي عن يمين الشَّعْرَا المتقدّم ذكرها شرق بجنوب أيضا .

الخامس - (عمل أَذْرَعَاتَ) - بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء(١) والعين المهملتين وألف ثم تاء مثناة من فوق في الآخر - قال في "الروض المعطار": ويجوز فيها الصرف وعدمه . قال : والتاء في الحالين مكسورة . وقال الخليل بن أحمد : مَنْ كَسَرَ الألفَ لم يصرفْ ؛ وهذا صريح في حكاية كسر الألف في أوّلها . ويقال لها يَذْرَعَاتُ بياء مثناة تحتُ بدل الألف - وهي مدينة من أعمال دِمَشْقَ من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة - وهي مدينة البَثَنِيَّة ، وبينها وبين الصَّنَمين ثمانيةَ عشرَ ميلا . قال في "التعريف" : وبها ولاية الحاكم علىٰ مجموع الصَّفقة ، وقد كان قديما بغيرها .

السادس - (عمل عَجْلُونَ) - بفتح العين وسكون الجيم وضم اللام وسكون الواو ونون في آخره - قلعة من جُنْد الأُرْدُنِّ في الإقليم الثالث ، طولها ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق ، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق . مبنيةٌ علىٰ جبل يعرف بجبل عَوْف المتقدّم ذكره في جبال الشام المشهورة تُشْرِف علىٰ الغَوْرِ . وهي محدثة البناء بناها عزُّ الدين أُسَامة بن منقذ : أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسفَ ابن أيوبَ في سنة ثمانين وخمسمائة . قال في "مسالك الأبصار" : وكان مكانها [دير به]

(١) كذا في التقويم أيضا وفي المعجم [وكسر الراء] وفي القاموس [بكسر الراء وتفتح] .

راهب آسمه عَجْلُونُ فسميت به . قال فى "التعريف" : وهو حِصْن جليل علىٰ صِغَرِه ، وله حَصَانَةٌ ومَنَعَة منيعة . ومدينة هذه القلعة البَاعُونة (بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفى آخرها هاء) وهى علىٰ شوط فرس من عَجْلُونَ . قال فى " المسالك " : وكان مكانها دَيْرٌ أيضا به راهب آسمه بَاعُونَة فسميت المدينة به ، وهما شرقىّ بَيْسَانَ المتقدّم ذكرها

السابع — (عمل البَلْقَاء) . قال فى "الروض المعطار" : سميت بالبَلْقَاء بن سورية من بنى عَمَّان(١) بن لوط ، وهو الذى بناها . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى إحدىٰ كُوَرِ الشَّرَاة ، وهى عن أَرِيحا فى جهة الشرق علىٰ مرحلة ، ومدينة هذا العمل حُسْبَانُ (بضم الحاء وإسكان السين المهملتين وفتح الباء وبعدها ألف ونون) وهى بلدة صغيرة ولها واد وأشجارٌ وأرحيةٌ وبساتين وزروع .

قال فى " مسالك الأبصار " : ومن هـذا العمل (الصَّلْتُ) — وهى بألف ولام لازمين فى أوّله وفتح الصاد المهملة المشدّدة وسكون اللام وبعدها تاء مثناة — بلدة لطيفة من جُنْدِ الأُرْدُنِّ فى جبل الغَوْرِ الشرقىّ فى جنوب عَجْلُونَ علىٰ مرحلة منها ، وبها قلعة بناها المعظم عيسىٰ بنُ العادل أبى بكر بن أيوب ، وتحت القلعة عَيْنٌ واسعة يجرى ماؤها حتّى يدخل البلد ، وهى بلدة عامرة آهلة ذات بساتين وفواكه . قلت : وكلامه فى " التعريف " قد يخالف كلامه فى " مسالك الأبصار " فى جعل الصَّلْت من عمل حُسْبَانَ ، فإنه قال : وأوّلها من جهة القبلة البلقاء ومدينتها حُسْبَانُ ، ثم الصَّلْتُ ، ثم عَجْلُونُ ، وعَجْلُونُ عمل مستقلٌّ كما تقدّم ، ومقتضاه أن يكون الصَّلْتُ أيضا عملا مستقلا . وكذا رأيته فى " التذكرة الآمدية " نقلا عن شهاب الدين آبن الفارقىّ أحدِ كُتَّاب الإنشاء بدمشق فى الدولة الناصرية ابن قلاوون ، وأخبرنى بعض

(١) فى الأصل " عبيد " والتصحيح والضبط عن ياقوت فى معجم البلدان .

كُتَّاب الإنشاء أن المستَقَرّ الصَّلْت فقط والبَلْقاء مضافة إليها، وعليه يدل كلام القاضى تقىّ الدين بن ناظر الجيش فى "التثقيف" فإنه قال : وممن كُتِبَ إليه من الوُلاة بالممالك الشامية فى قديم الزمان ـ ولعله فى الأيام الشهيدية ـ والى الصَّلْت والبَلْقاء فيما نقل عن خط المرحوم نصر الدين بن النشائى كاتب الدست الشريف .

الثامن ـ (عمل صَرْخَدَ) ـ بفتح الصاد و إسكان الراء المهملتين وفتح الخاء المعجمة ودال مهملة فى آخره ـ بلدة صغيرة ذات بساتينَ وكُروم وليس بها ماء سوىٰ مايجتمع من ماء المطر فى الصهاريج والبِرَك . قال ٱبن سعيد : وليس وراءَ عملها من جهة الجنوب و إلىٰ الشرق إلا البَرِّيَّةُ، ومنها تسلك طريق تُعْرَف بالرصيف إلىٰ العراق يصل المسافرون منها إلىٰ بغداد فى نحو عشرة أيام . قال فى "التعريف" : وبها قلعة وكان بها ملك من المماليك المعظمية . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى محدَثة البناء بُدِئَتْ قبل نور الدين الشهيد بقليل، ولما وصلت عساكر هُولَاكُو ملك التتار إلىٰ الشأم هدموا شُرُفاتِها وبعض جُدْرانها فجدّدها الظاهر بيبرس ، وهى علىٰ ذلك إلىٰ الآن .

التاسع ـ (عمل بُصْرىٰ) ـ بضم الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وألف فى الآخر ـ هكذا هو مقيد بالشكل فى كتب اللغة والحديث والمسالك والممالك وجارٍ علىٰ الألسنة، ووقع فى "تقويم البُلْدان" ضبطه بفتح أوّله (1) فلا أدرى أهو سَبْقُ قلم أو غلط من النسخة أو أخذه من كلام غيره، وهى مدينة بحَوْرَان من أعمال دِمَشْقَ واقعةٌ فى الإقليم الثالث . قال فى "كتاب الأطوال" و"القانون" : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة .

(1) الذى فى "تقويم البلدان" طبع باريس سنة ١٨٤٠ م ضبطه بضم الباء الموحدة كما هو المشهور، فلعل نسخة التقويم كانت كذلك فأصلحها المصحح ولم ينبه .

قال فى " مسالك الأبصار " : وهى مدينة حَوْرَانَ السفلىٰ، بل حَوْرَانُ كلهـا، بل الصفقة جميعها ؛ وكلامه فى " التعريف " يوافقه ، وهى مدينة أزليَّة مبنية بالحجارة السود، ولها قلعة ذات بناء مَتِين شبيهٍ ببناء قلعة دِمَشْقَ . قال فى " التعريف " : وكانت دار مُلك لبنى أيوب ،وقد ثبت فى الصحيح من حديث الخَنْدق أنه (صلى الله عليه وسلم) . قال " ثم ضربتُ الضربةَ الثالثةَ فلاحَتْ لى منْها قُصُور بُصْرىٰ كأنها أنْيابُ الكِلَابِ " وهى التى وجد النبى صلى الله عليه وسلم بها بَحِيرا الراهب وآمن به حين قدم تاجرا لخديجة بنت خُوَيْلِد قبل البِعْثة ، وقبر بَحِيرَا هناك مشهور يزار، وقد تقدّم الكلام عليها فأغنىٰ عن إعادته هنا .

العـاشر ــ (عمل زُرَع) ــ بضم الزاى المعجمة وفتح الراء المهملة وعين مهملة فى الآخر ــ وهى بلدة من بلاد حَوْرَانَ لهـا عمـلٌ مسـتقلٌّ، ولم يتحرّر لى طولهـا وعرضها . قال فى " التعريف " : وقد يتصل عمل بُصْرىٰ بأذرَعَاتٍ لوقوع زُرَعَ متشـاملة .

الصفقة الثـالثة

(الشمالية)

سميت بذلك لأنها عن شَمَال دِمَشْقَ . قال فى " مسالك الأبصـار " : وهى سـاحليَّة وجبليَّـة . قال فى " التعريف " : وحدّها من القبـلة حدّ ولاية دِمَشْقَ الشمالىّ وبعضُ الغربىّ؛ وحدّها من الشرق قرية جُوسِـيَةَ التى بين القرية المعروفة بالقَصَب من عمل حمص وبين القرية المعروفة بالفيجة من عمـل بَعْلَبَكَّ ؛ وحدّها من الشمال مرج الأَسَل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمدّ العاصى بطَرَابُلُس، وكل ما تشامل عن جبل لُبْنَانَ إلىٰ البحر؛ وحدّها من المغرب ما هو علىٰ سمت البحر منحدرا عن صور إلىٰ حدّ ولاية بَرّدِمَشْقَ القبلىّ والغربىّ .

وتشتمل هذه الصفقة علىٰ خمسة أعمال .

الأول — (عمل بَعْلَبَكَّ) — بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفى آخرها كاف — هكذا ضبطه فى "تقويم البُلْدان" والجارى علىٰ ألسنة الناس فتح العين وإسكان اللام . قال فى "الروض المعطار" : وكان لأهلها صَنَمٌ يدعىٰ بَعْلًا ، فالبعل آسم للصنم ، وبَكّ آسم الموضع فسميت بعلبك لذلك . قال : وإليهم بُعث النبىّ إلْيَاسُ عليه السلام ، وكأنه يشير بذلك إلىٰ ماقصه الله تعالىٰ فى سورة الصافَّات بقوله : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ وكان فتحها فى سنة أربعَ عشرةَ من الهجرة ، وهى مدينة من أعمال دِمَشْقَ واقعةٌ فى الإقليم الرابع طولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهى مدينة شمالىّ دِمَشْقَ ، جليلة البناء ، نبيهة الشان ، قديمة البنيان ، يقال إنها من بناء سليمان عليه السلام . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مختصَرَة من دِمَشْقَ فى كمال محاسنها وحسن بنائها وترتيبها ، بها المساجد والمدارس والرُّبُط والخوانق والزوايا والبيمارستان والأسواق الحسنة ، والماء جار فى ديارها وأسواقها ، وفيها يُعمل الدهان الفائق من الماعون وغيره ويحمل منها إلىٰ غالب البُلْدان مع كونها واسعةَ الرزق رخيصة السِّعْر ، وكانت دار مُلْك قديم ، ومن عُشِّها درج "نجم الدين أيوبُ" والد الملوك الأيوبية رحمه الله ، وبها قلعةٌ حصينةٌ جليلة المقدار من أجلِّ البنيان وأعظمه ، وهى مرجلة علىٰ وجه الأرض كقلعة دِمَشْقَ . قال فى "التعريف" : بل إنما بنيت قلعة دمَشْقَ علىٰ مثالها ، وهَيْهَاتَ لا تعدّ من أمثالها ! وأين قلعة دِمَشْقَ منها وحجارتُها تلك الجبال الثوابت ، وعمدها تلك الصخور النوابت .

قَدْ يَبْعُدُ الشَّىْءُ مِنْ شَىْءٍ يشابِهُهُ * إنَّ السَّماءَ نَظيرُ المَاءِ فى الزَّرَقِ

وبهذه القلعة من عمـارة مَنْ نزل بهـا من الملوك الأيوبية آثارٌ ملوكية جليلة ، ويستدير بالمدينة والقلعة جميعا سُورٌ عظيم البناء مبنيٌّ بالحجارة العظيمة المقدار الشديدة الصَّلابة ، ويَحُف بذلك غُوطة عظيمة أنِيقَةٌ ذات بساتين مشتبكةِ الأشجار بها الثمار الفائقة ، والفواكه المختلفة . وبظاهرها عين ماء متسعة الدائر ماؤها في غاية الصفاء بين مروج وبساتين ، يمتدّ منها نهر يتكسّر على الحصباء في خلال تلك المروج إلى أن يدخل المدينة ، وينقسمَ في بيوتها وجهاتها . وعلى البعد منها عَيْنٌ أخرى تُعرَف بعين المحوج (؟) في طَرَف بساتينها ، منها فرع إلى الجانب الشمالىّ من المدينة ، ويصُب في قناة هناك ويدخل منه إلى القلعة ، وبخارجها جبل لُبْنَانَ المعروف بعُشّ الأولياء .

الثـانى ـ (عَمَلُ البِقَاعِ البَعْلَبَكّىّ) ـ بوصف البِقَاع ـ بكسر البـاء الموحدة وفتح القاف وبعدها ألف ثم عين مهملة ـ بالبعلبكىّ ، نسبة إلى بعلبك لقربه منها . قال في "التعريف" : وليس له مقر ولاية .

الثـالث ـ (عمل البِقاع العزيزىّ) ـ بوصف البقاع بالعزيزىّ نسبة إلى العزيز عكس الذليل ، وكأنه نسـبة إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله . قال في "التعريف" : ومَقَرُّ الولاية به كَرَكُ نوح عليه السلام . قال : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَعْلَبَـكَّ ، وهمـا مجموعتان لوالٍ جليل مفرد بذاته .

الرابع ـ (عمل بَيْرُوتَ) ـ بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وواو وتاء مثناة من فوق في آخرها ـ وهى مدينة من الإقليم الثالث بساحل دِمَشْقَ . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعَرْضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهى مدينة جليـلة على ضَفَّة البحر الرومىّ ، عليها سُوران من حجـارة ؛ وفيه كان يترل الأوزاعىّ الفقيه

المشهور، وبها جبل فيه مَعْدِن حديد، ولها غيضة من أشجار الصَّنَوْبر سعتها آثنا عشر ميلاً فى التكسير، تتصل إلىٰ تحت لُبْنَانَ المقدّم ذكره . قال فى "تقويم البُلْدان" : وشرب أهلها من قناة تجرى إليها . وقال فى "مسالك الأبصار" : شرب أهلها من الآبار . قال آبن سعيد : وهى فُرْضة دِمَشْق ولها مينا جليلة ، وفى شماليها علىٰ الساحل مدينة جُبَيْل تصغير جبل . قال فى "الروض المعطار" : بينهما ثمانية عشر ميلا . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين بَعْلَبَكّ علىٰ عَقَبة المُغيثة ستة وثلاثون ميلا .

الخامس — (عمل صَيْدَا) — بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وألف مقصورة فى الآخر — وهى مدينة بساحل البحر الرومى، واقعة فى الإقليم الثالث، ذاتُ حِصْنٍ حصين . قال آبن القَطّامى سميت بصَيْدُون بن صدقا بن كَنْعان آبن حام بن نوح عليه السلام ، وهو أوّل من عَمَرها وسكنها . وقال فى "الروض المعطار" : سميت بآمرأة . وشُرْب أهلها من ماء يجرى إليهم من قناة . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين دِمَشْقَ ستة وثلاثون ميلًا . قال فى "مسالك الأبصار" : وكُورَتُها كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار . قال فى "الروض المعطار" : وبها سَمَك صغار له أَيْدٍ وأرجل صغار إذا جُفِّفَ وسُحِق وشرب بالماء، أنعظ إنعاظا شديدا . قال فى "المسالك" : وهى ولاية جليلة واسعة العمل ممتدّة القُرىٰ، تشتمل علىٰ نيف وستمائة ضيعة .

الصفقة الرابعـــة

(الشرقية، وهى على ضربين)

الضرب الأوّل

(ماهو داخل فى حدود الشام، وهو غربىّ الفُرَات)

قال فى "التعريف" : وحدّها من القبلة قرية القَصَب المجاورة لقرية جُوسِيَة المقدّم ذكرها ، آخذا على النَّبْك إلى القَرْيتين ؛ وحدّها من الشرق السَّماوة إلى الفُرات وينتهى إلى مدينة سَلَمْيَة إلى الرَّسْتَن ؛ وحدّها من الغرب نهر الأُرُنْط وهو العاصى ، وتشتمل على خمسة أعمال أيضا .

الأوّل ـ (عمل حِمْص) ـ بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وصاد مهملة فى الآخر. قال فى "الروض المعطار" : ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هِنْد لأن هـذا آسم أعجمىّ . قال : وسميت برجل من العماليق آسمه حِمْص هو أوّل من بناها . قال الزجاجىّ : هو حمص بن المَهْر بن حاف[1] بن مكنف ، وقيل برجل من عاملةَ هو أوّل مَنْ نزلها ، وآسمها القديم سُورِيَا (بسين مهملة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة وياء مثناة تحت مفتوحة وألف فى الآخر) . وبه كانت تسميها الروم ، وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وهى مدينة جليلة ، وقاعدة من قواعد الشام العظام . قال فى "التعريف" : وكانت دارَ مُلْك للبيت الأسَدِىّ يعنى أسدَ الدين شيركوه عمّ السلطان صلاح الدين يوسف آبن أيوبَ . قال : ولم يزل لِمَلِكها فى الدولة الأيوبية سطوةٌ تُخَاف وبأس يُخشى ، وهى فى وَطَاءة من الأرض ممتدّة على القرب من النهر العاصى ، ومنه شرب أهلها ، ولها منه

(١) كذا فى الضوء أيضا وفى "معجم البلدان" آبن جان .

ماء مرفوعٌ يجرى إلىٰ دار النيابة بها و بعض مواضع بها. قال في "مسالك الأبصار": وبها القلعة المصفحة وليست بالمنيعة، ويحيط بها و بالبلد سُورٌ حصين هو أمنع من القلعة. قال في "العزيزيّ": وهي من أصحّ بلاد الشام هواءً، وبوسطها بُحَيرةٌ صافية الماء، ينقل السمك إليها من الفرات حتّى يتولد فيها، والطير مبثوث في نواحيها. قال ابن حَوْقَل: وليس بها عقارب ولا حَيَّات. وقد تقدّم في الكلام علىٰ خواصّ الشام وعجائبها أن بها قبّةً بالقرب من جامعها إذا ألصق بها طين من طينها وترك حتّى يسقط بنفسه ووضع في بيت أو ثياب لم يقربها عقربٌ. وإن ذُرّ منه علىٰ العقرب شيء أخذه مثل السُّكْور بما قتله؛ ولها من برّ بعلبكّ أنواع الفواكه وغيرها؛ وقُمَاشها يقارب قماش الإسْكَنْدَرِيَّة في الجَوْدَةِ والحُسْن، وإن لم يبلغ شأوه في ذلك. قال في "الروض المعطار": ويقال إن بقراط الحكيم منها. وإن أهلها أوّل من ابتدع الحساب؛ وبها قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه، ومقامه مشهور بها يزار.

الثاني — (عمل مِصْيَاف) بكسر الميم وسكون الصاد — وهي بلدة جليلة، ولها قلعة حصينة في لِحف جبل اللُّكَام الشرقيّ عن حماةَ وطَرَابُلُس، في جهة الشّمال عن بَارِينَ علىٰ مسافة فرسخ؛ وفي جهة الغرب عن حماةَ علىٰ مسيرة يوم، وبها أنهر صغار من أعيُن، وبها البساتين والأشجار. وهي قاعدة قلاع الدعوة الآتي ذكرها في أعمال طرابُلُس ودارُ ملكها، وكانت أوّلا مضافةً إلىٰ طَرَابُلُسَ ثم أُفردت عنها وأضيفت إلىٰ دِمَشْقَ.

الثالث — (عَمَلُ قَارَا) — بقاف مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة وألف ثانية. هكذا هو مكتوب في "التعريف" وغيره وهو الجاري علىٰ الألسنة. ورأيتها مكتوبة في "تقويم البُلْدان" بهاء في الآخر بدل الألف الأخيرة. وهي قرية كبيرة قبليّ حِمْصَ، بينها وبين دِمَشْقَ علىٰ نحو منتَصَف الطريق، تنزلها قوافل السفارة، وبينها وبين حِمْصَ مرحلةٌ ونصف، وبينها وبين دِمَشْقَ مرحلتان، وغالب أهلها نصارىٰ.

الرابع – (عمل سَلَمِيَّة) – بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وياء مثناة تحت[1] مشدّدة مفتوحة وهاء فى الآخر – وهى بلدة من عمل حمص من الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن يكون العرض أربعا وثلاثين ونصفا . قال أحمد الكاتب : بناها عبد الله بن صالح بن علىّ بن عبد الله ابن عبّاس بن عبد المطّلب وأسكن بها ولده . وهى بلدة على طرف البادية نَزِهَةٌ خِصْبة كثيرة المياه والشجر، ومياهها من قُنِيّ . قال فى "الروض المعطار" : وبينها وبين حمْص مرحلةٌ .

الخامس – (عمل تَدْمُر) – بفتح التاء المثناة فوق وسكون الدال المهملة وضم الميم وراء مهملة فى الآخر – كذا ضبطه السمعانىّ فى "الأنساب" : والجارى على ألسنة الناس ضم أولها . قال فى "التعريف" : وهى بين القَرْيَتَيْنِ والرَّحْبة، وهى معدودة من جزيرة العرب واقعةٌ فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : طولها آثنتان وستون درجة ، وعَرْضها أربع وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : وهى من أعمال حمْص من شرقيها، وغالب أرضها سِبَاخ، وبها نخيل وزيتون، وبها آثار عظيمة أزَلِيَّة من الأعمدة والصخور، ولها سورٌ وقلعة .

قال فى "الروض المعطار" : وهى فى الأصل مدينة قديمة بنتها الجنّ لسليمان عليه السلام، ولها حصون لاتُرام . قال : وسميت تَدْمُر بتدمُر بنت حَسَّان ابن أُذَينةَ ، وفيها قبرها . وإنما سكنها سليمان عليه السلام بعدها . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين دِمَشْق تسعة وخمسون ميلا ، وبينها وبين الرَّحْبة مائة مِيلٍ وميلان . قال صاحب حماة : وهى عن حِمْص على ثلاث مراحل .

(١) فى القاموس وياقوت "وسكون الميم" أى وتخفيف الياء

الضرب الثـانى

(من هذه الصفقة ماهو من بلاد الجزيرة ، بين الفُرات والدجلة على القرب من الفرات)

وهو مدينة الرَّحَبَة . قال فى "اللُّباب" : بفتح الراء والحاء[1] المهملتين والباء الموحدة وهاء فى الآخر ـ وهى مدينة على الفُرَاتِ بين الرَّقَّةِ وعَانَةَ ، واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعَرْضها ستٌّ وثلاثون درجة ، وتعرف برَحْبة مالك بن طَوْق ، وهو قائدٌ من قوّاد هارون الرشيد ، قيل إنه أوّل من عَمَرها فنسبت إليه . قال السلطان عماد الدين صاحب حمـاة : وقد خَرِبت الرَّحْبـة المذكورة وصارت قرية ، وبها آثار المدينة من المآذن الشواهق وغيرها ، وآستحدث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى صاحب حِمْص من جنوبيها الرحبةَ الجديدَة على نحو فَرْسخ من الفُرَاتِ ، وهى بلدة صغيرة ولهـا قلعة على تلّ تراب ، وشرب أهها من قناة من نهر سعيد ، الخارج من الفرات . قال : وهى اليوم محطُّ القوافل من الفُرَاتِ والشام ، وهى أحد الثغور الإسلامية فى زماننا .

قال فى "التعريف" : وبها قلعة نيابةٍ ، وفيها بحرية وخَيَّالة وكَشَّافة وطوائفُ من المستخدمين ، ولم تزل إمرتها طبلخاناه ، بمرسوم شريف من الأبواب الشريفـة من الأيام الناصرية آبن قلاوون إلى الآن .

تنبيه ـ قال فى "التعريف" : وممـا أُضيف إلى دِمَشْق فى زمن سلطاننا يعنى النـاصرَ بن قلاوون بلادُ جَعْبَر . قال : وحقها أن تكون مع حَلَب ، وهى مستمرّة على ذلك إلى زماننا ، وسيأتى الكلام عليها فى الأعمـال الحلبية إن شاء الله تعالى .

(١) كذا فى التقويم أيضا وضبطها فى المعجم بإسكان الحاء وهو مقتضى اطلاق القاموس .

وقد ذكر القاضى تقىّ الدين بن ناظر الجيش فى كتابه "التثقيف" : أنه كان قد آستقر بتَدْمُرَ وسَلَمِيّة والسُّخْنَة والقَرْيتَيْنِ نوابٌ، وآستقر الحال على أن مكاتبة كل منهم إن كان مقدّما نظيرُ النائب بالرَّحْبَة، يعنى "صدرت" و"العالى" وإن كان طبلخاناه فالاسم "والسامى" بالياء .

القاعدة الثـــانيـــــة

(من قواعد البلاد الشامية حَلَبُ، وفيها جملتان)

الجمـــــلة الأولى

(فى حاضرتهــا)

قال فى "اللُّبَــابِ" : هى بفتح الحاء المهــملة واللام وباء موحدة فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : وطولهــا آثنتان وستون درجة وعشرُ دقائق، وعَرْضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

وآختلف فى سبب تسميتها حَلَبَ على قولين حكاهما صاحب "الروض المعطار": أحدهما أنه كان مكان قلعتها رَبْوة، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يأْوِى إليها ويَحْلُب غَنَمَه ويتصدّق بلبنها فسميت حَلَبَ بذلك . الثـانى أنها سميت برجل من العماليق آسمه حَلَب . قال الزجاجىّ : حَلَبُ بن المَهْر من ولد جان[1] بن مكنّف .

قال فى "مسالك الأبصار": وهى مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة، وهى فى وطاءة حمراء ممتدّة، مبنيةٌ بالحجر الأصفر الذى ليس له نظير فى الآفاق، وبها المساكن الفائقة، والمنازل الأنيقة، والأسواق الواسعة، والقَيَاسر الحَسَنة، والحمامات البهجة . ذات جوامعَ ومساجدَ ومدارسَ وخوانقَ وزوَايَا وغير ذلك من سـائر وجوه البر ،

(١) فى الأصل "خان" وفى الضوء "حاف" والتصحيح من ياقوت .

وبها بيمارستان حَسَنٌ لعلاج المرضى . قال فى "مسالك الأبصار" : ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قُوَيْق، وهو نهرها القديم . والثانى يعرف بنهر الساجُور، وهو نهر مستحدَث، ساقه إليها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" فى سلطنته وحكمه عليها .

وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أن الملك الظاهر غازى بن العادل "أبى بكر بن أيوب" ساق إليها نهرا فى سنة خمس وستمائة، ولعله نهر قُوَيق المذكور.
قال فى "مسالك الأبصار" : ويجرى إلى داخلها فرع ماء يتشعَّب فى دُورها ومساكنها ولكنه لا يَبُلُّ صَدَاها ولا يَشْفى غُلَّتها ، وبها الصهاريج المملوءة من ماء المطر ، ومنها شُرْبُ أهلها ، ويدخل إليها الثلج من بلادها ، وليس لأهلها إليه كثير التفات لبرد هوائهم وقربِ اعتدال صيفهم وشتائهم، وبها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب إليها من نواحيها لقلّة البساتين بها، وبظاهرها المُرُوج الفِيحُ والبرّ الممتدّ حاضرة وبادية، وبها عسكر كثيف وأمم من طوائف العرب والأكراد والتُّرْكُمان .

قال فى "اللبـاب" : وكان الجُنْدُ فى ابتداء الإسـلام ينزلون قِنَّسْرِينَ ، وهى المدينة التى تُنْسَب الكورة إليها على ماتقدّم ذكره ولم يكن لحَلَب معها ذكر .

قال ابن سعيد : ثم ضَعُفَت بقوة حلب عليها، وهى الآن قرية صغيرة .

قال فى "مسالك الأبصار" : وكانت حَلَبُ قد عظُمت فى أيام بنى حَمْدان، وتاهت بهم شرفًا على كيوان . جاءت الدولة الأتابكية فزادت فَخَارا ، واتخذت لها من بروج السماء منْطَقةً وأُسوارا ، ولم تزل على هذا يُشَارُ إليها بالتعظيم ، ويأبى أهلها فى الفضل عليها لدمَشْقَ التسليم ، حتّى نزل هُولاكُو بحوافر خيله فهُدِمت أسوارها وخربت حواضرها ، ولم تزل خالية من الأسوار، عَرِيَّةً من الأبواب ، إلى أن كانت فتنة منْطاش فى سلطنة الظاهر بَرْقوق والنائب بها من قِبَلِه الأمير كشبغا ، فجدد أسوارها ، ورتّب أبوابها ، وهى

سبعة أبواب : باب قِنَّسْرِينَ من القبلة ، وباب المقام من القِبْلة أيضا ، وباب النَّيْرَب من الشرق ، وباب الأربعين من الشرق أيضا ، وباب النصر من بحريّهـا ، وباب الجِنَان من غربيها ، وباب أنْطاكِيَةَ من غربيها أيضا ؛ وهى الآن فى غاية ما يكون من العمارة وحُسْن الرونق والبهجة ؛ ولعلها قد فاقت أيام بنى حَمْـدان ؛ ولم يزل نائبها من أكابر الأمراء المقدّمين من الدولة الناصرية فما قبلها إلى الآن ، وقد زادت رتبته عما كان عليه فى الأيام الناصرية ؛ وهى ثانية دِمَشْقَ فى الرتبة ؛ ومعاملاتُها على ماتقدّم فى دِمَشْقَ من الدراهم والدنانير والفُلُوس وصنجة الذهب والفضة . غير أن الفلوس الجُدُد لم تَرُجْ بها بعدُ ، ورِطْلُها سبعمائة وعشرون درهما بالصَّنْجة الشامية (١) ، كلُّ أوقية ستون درهمـا ، ومعاملاتها معتـبرة بالمَكُّوك ، ولا تعرف فيها الغِرارة ، ولا فى شىء من أعمالهـا ؛ وتختلف بلادها فى المَكُّوك اختلافا متباينا فى الزيادة والنقص . قال فى "مسالك الأبصار" : والمعدّل فيها أن يكون كل مَكُّوكين ونصف غرارة ومابين ذلك وكل ذلك تقريبا .

قلت : وأخبرنى بعض أهلها أن المَكُّوك بنفس مدينة حَلَبَ معتبر بسبع وَيْبات بالكيل المصرى ، والذراع القماش ذراعٌ وسدسٌ بذراع القماش القاهرى ، ويزيد على ذراع دمشق بقيراطين ، وقياس دُورِ أرضها بذراع العَمَل المعروف بالديار المصرية .

الجملة الثـانية

(فى نواحيهـا وأعمالهـا)

قال فى "مسالك الأبصار" : هى أوسع الشام بلادا ، متصلةٌ ببلاد سِيسَ والرُّوم وديار بكر وبَرِّيَّة العِراق . قال فى "التعريف" : ويحدّها من القبلة المَعَرّة وما وقع

(١) وأواقيه اثنتا عشرة أوقية [كما سيأتى له فى حلب فى موضع آخر] .

علىٰ سَمْتها إلىٰ الدَّمْنة الخراب والسلسلة اروميسة ومجرىٰ القنـاة القديمة الواقع ذلك بين الحِيَار (يعنى بكسر الحاء المهملة والياء المثناة تحت وألف وراء مهملة) والقرية المعروفة بقُبَّة ملاعب ؛ ويحدّها من الشرق [البر] حيث يحدّ بَرّدىٰ آخذا علىٰ جبل الثلج ، ثم الجلَّاب علىٰ أطراف بَالِس إلىٰ الفُرَات دائرة بحدّها . قال : وبهذا التقسيم تكون بلاد جَعْبَر داخلة فى حدودها ؛ ويحدّها من الشَّمال بلاد الروم ممـا وراء بَهَسْنىٰ و بلاد الأرمن علىٰ البحر الشامىّ :

ثم أعمالها علىٰ ثلاثة أقسام .

القســـــم الأوّل

(ما هو داخل فى حدود بلاد الممـالك الشامية ، ولهـا بَرٌّ وأعمال)

فأما بَرُّها فهو ضواحيها علىٰ ما تقدّم فى دِمَشْق ، وهو كالعملِ المنفرد بنفسه .

وأما أعمالهـا ، فقد ذكر المَقَرُّ الشهابىّ بن فضـل الله فى كتابيـه " التعريف " و" مسالك الأبصار " بها ستَّةَ عشر[1] عملا علىٰ أكثرها[2] ، وربمـا انفرد أحد الكتابين عن الآخر بالبعض دون البعض .

الأوّل ـ (عمل قلعة المسلمين) ـ المسماة فى القديم بقلعة الروم وهى قلعةٌ من جُنْدِ قِنَّسْرِينَ فى البَرِّ الغربىّ الجنوبىّ من الفُرَات ، فى جهة الغرب الشمالىّ عن حَلَب علىٰ نحو خمس مراحل منها ، وفى الغرب عن البِيرَةِ علىٰ نحو مرحلة ، والفراتُ بذيلها . وموقعها فى الإقليم الرابع . قال بعض أصحاب الأزياج : وطولهـا اثنتان وسـتون درجة وعشرون دقيقـة ، وعَرْضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى من القِلاع الحصينة التى لاتُرَام ولا تُدْرَك ، ولهـا رَبَض وبساتين ، ويمرّ بها نهر يعرف بمَرْزُبانَ يصب فى الفُرَات . قال فى " التعريف " : وكان بها خليفة الأَرْمَن

---

(١) المعدود ستة وعشرون وفى الضوء "سبعة وعشرون" . (٢) لعله اتفقا على أكثرها .

ولا يزال بها طاغوت الكُفْر، فقصدها الملك الأشرف خليـل بن المنصور قلاوون فنزل عليها، ولم يزل بها حتّى فتحها، وسمـاها قلعـةَ المسلمين . قال : وهى من جلائل القِلاع .

الثانى ـ (عمل الكَخْتَا) ـ بفتح الكاف وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف فى الآخر، والألف واللام فيه غير لازمتين ـ وهى قلعة فى أقاصى الشأم من جهة الشَّمال بشرق من حَلَبَ، علىٰ نحو خمس مراحل منها؛ وموقعها فى الإقليم الرابع. قال بعض أصحاب الأزياج : طولها إحدىٰ وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. وهى قلعة عالية البناء لأُتّرام حصانةً، ولها بساتين ونهر، ومَلَطْيَـةُ عنها فى جهة الغرب علىٰ مسيرة يومين ؛ وكَرْكَر منها فى جهة الشرق، وكانت أحدَ ثغور الإسلام فى وجوه التتار عند قيامهم. قال فى "التعريف": وهى ذات عمل متسع، وعسكر تطوّع مجتمع .

الثالث ـ (عمل كَرْكَر) بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف مفتوحة ثانية بعدها راء مهملة ثانية أيضا ـ وهى قلعة من أقاصى الشأم فى الشَّمال عن حَلَبَ علىٰ نحو خمس مراحل أيضـا، وفى الغرب من الكَخْتَا المتقدمة الذكر علىٰ نحو يوم منها ؛ وموقِعُها فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولهـا إحدىٰ وستون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعـة حصينة شاهقـة فى الهواء يُرىٰ الفرات منها كالجدول الصغير، وهو بينها فى جهة الشرق ؛ وكانت من أعظم الثغور فى زمان التَّتار .

الرابع ـ (عمل بَهَسْنىٰ) ـ بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون السين المهملة ثم نون وألف ـ وهى قلعة فى شمالىّ حَلَبَ علىٰ نحو أربع مراحلَ منها، وموقعها فى الإقليم

الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولها إحدىٰ وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعَرْضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعة حصينة مرتفعة لا تُرام حصانةً ، بها بساتينُ ونهر صغير وأسواق ورُسْتاق متسع ، وبها مسجد جامع . ثم قال : وهى بلدة واسعة ، كثيرة الخير والخِصْب ، وهى فى الغرب والشَّمال عن عَيْنَتاب ، وبينهما نحو مسيرة يومين ، وبينها وبين سِيسَ نحو ستة أيام . قال فى "التعريف" : وهى الثغر المُتاخِم لبلاد الدُّرُوب ، والمشتعل فى جمرة الحروب ، وبها عسكر من التُّرْكُمَانِ والأكراد . ولا يزال لهم آثار فى الجهاد . قال : ولنائبها مكانة جليلة ، وإن كان لا يلتحق بنائب البِيرَةِ .

الخامس ـ (عمل عَيْنَتابَ) ـ بفتح العين وسكون الياء المثناة تحت والنون وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف وباء موحدة ـ وهى مدينة من جُنْد قِنَّسرِينَ شمالىَّ حَلَبَ علىٰ نحو مرحلتين منها ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولها آثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعَرْضها ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى مدينة حسنة ، واسعة الأرجاء ، كثيرة المياه والبساتين ، ذات أسواق جليلة مقصودة للتجار والمسافرين ، وبها قلعة حصينة منقوبة فى الصخر . وهى عن حَلَبَ فى الشَّمال علىٰ نحو ثلاث مراحل منها ، وعن قلعة الرُّوم فى الجَنُوب علىٰ نحو ثلاث مراحل أيضا ، وعن بَهَسْنىٰ فى جهة الشرق والجنوب علىٰ نحو ثلاث مراحل .

السادس ـ (عمل الرَّاوَنْدَانِ) ـ بألف ولام لازمتين وراء مهملة بعدها ألف ثم واومفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة ثم ألف ونون ـ وهى قلعة من جُنْد قِنَّسرِينَ واقعة فى الإقليم الرابع طولها آثنتان وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهى قلعة حصينة علىٰ جبل مرتفع أبيض ، ذاتُ أعيُنٍ وبساتين وفواكه ، وواد

حسن ؛ ونهرها من تحتها نهر عِفْرِين المتقـدّم ذكره آخذا من الشّمال إلىٰ الجنوب ، وهى فى الغرب والشّمال عن حلب ، وبينهما نحو مرحلتين ، وفى الشمال عن حارِم .

السابع — (عمل الدَّرْبَسَاك) — بفتح الدال المهملة وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف ، والألف واللام فيه غير لازمتين — وهى قلعة من جُنْد قِنَّسْرِينَ واقعةٌ فى الإقليم الرابع شمالىّ حلبَ علىٰ نحو ثلاث مراحل أو أربع منها . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن يكون طولها إحدىٰ وستين درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهى قلعة حصينة ذات أعين و بساتين ، وبها مسجد جامع ، ولهـا من شرقيّها مُرُوج متسعة ، حسنة المَنْظَرِ ، كثيرة العُشْب ، يمرّ بها النهر الأسود المتقدّم ذكره .

الثامن — (عمل بَغْرَاس) — بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وراء مهملة وألف ثم سين مهملة — كذا ضبطه السمعانىّ فى "الأنساب" ووقع فى "التعريف" و "مسـالك الأبصار" بالصاد المهـملة بدل السـين . والجارى علىٰ أَلْسِنَة الناس ضم أوّله ؛ وهى قلعةٌ من جُنْد قِنَّسْرِينَ ، واقعةٌ فى الإقليم الرابع شمالىّ حَلَبَ علىٰ نحو أربع مراحل منها . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولهـا ستون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث وخمسون دقيقة ، وهى فى الجبل المطلّ علىٰ عَمْقِ حارِم . قال ابن حوقل : وكان بها دار ضيافة لِزُبَيْـدَةَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى ذات أعيُن وبساتين وأشجار ، و بينهـا و بين الدَّرْبَسَاك نحو بعض مرحلة ، وهى فى جهـة الجنوب عن الدَّرْبَسَاك . قال فى "العزيزىّ" : وبينها وبين أَنْطَاكِيَةَ اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين إِسْكَنْدَرُونَةَ كذلك ، وبينها وبين حارِم نحو مرحلتين . وبَغْرَاسُ فى الجنوب عن دَرْبَسَاكَ وبينهما بعض مرحلة ، وحارِمٌ فى جهة الشرق عنها . قال فى "التعريف" : وكانت

هى الثَّغْرَ فى بحرالأَرْمَنِ حتّٰى آستضيفت الفتوحات الحاهانية . قال : وبها رُصَصُ وهىعضو منأعضائها وجزء منأجزائها . ورُصَصُ المذكورة براء مهملة مضمومة وصادين مهملتين الصاد الأولىٰ مفتوحة ، وهى بلدة علىٰ الساحل ، وقد مر ذكرها فى الكلام علىٰ بحر الروم علىٰ سواحل الأرمن .

التاسع ــ (عمل القُصَيْر) تصغير قصر . قال فى "مسالك الأبصار" : وهىقلعة غربىّ حَلَبَ علىٰ نحوأربع مراحل منهـا . قال فى "التعريف" : وهى لأنْطَاكِيَة ولم يتحرر لى طُولها وعَرْضها .

العــاشر ــ (عملالشُّغْرِ وبَكَاس) ــ آسمان لقلعتين بينهما رَمْيَةُ سَهْم .

فالشُّغْرُ ــ بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم راء مهملة .

وبَكَاسُ ــ بفتح الباء الموحدة والكاف ثم ألف وسين مهملة فىالآخر، وهما من جُنْد قِنَّسْرِينَ، وموقعهما فىالإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولهما إحدىٰ وستون درجة ، وعرضهما خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهما مبنيان علىٰ جبلٍ مســتطيل ، وتحتهما نهر يجرى ، وبهما بساتين وأشجــار وفواكه كثيرة ، ولهما رُسْــتاق ومسجد جامع . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهما فى الجنوب عن أَنْطَاكِيَةَ وبينهما الجبال .

الحادى عشر ــ (عملشَيْزَر) ــ بفتحالشينالمعجمة وسكون الياءالمثناةتحت وفتح الزاى المعجمة وفى آخرهــا راء مهملة . وهى مدينة من جُنْد حِمْص غربىّ حَلَبَ علىٰ نحو ثلاث مراحل منهـا ، واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أنطولها إحدىٰ وستون درجةً وعشر دقائق ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى مدينة ذات أشجار وبساتينَ وفواكهَ كثيرة وأكثرها الرمّان، ولها ذكر فى شعر آمرئ القيس مع حَمَاةَ . قال " فى العزيزىّ" : وبينها وبين حماة

تسعة أميال ، و بينها وبين حِمْص ثلاثة وثلاثون ميلا ، و بينها و بين أَنْطَاكِيَة ستة وثلاثون ميلا .

الثانى عشر ـ (عمل حَجَرِ شُغْلَانَ) بلفظ حَجَر واحد الحجارة وإضافته إلى شُغْلَانَ (بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم لام ألف ونون). وهى قلعة شمالىَّ حَلَب على نحو ثلاث مراحل منها. قال فى "مسالك الأبصار": وهى بالقُرْب من بَغْرَاس فى جهة الشَّمال على مسافة قريبة جدّا ، ولم يتحرّر لى طُولها وعَرْضها ولكنها تعتبر ببَغْرَاس المتقدّمة الذكر لقربها منها ـ وهى الآن خراب .

الثالث عشر ـ (عمل قلعة أَبِى قُبَيْس) ـ بهمزة مفتوحة و باء موحدة مكسورة بعدها ياء ساكنة ثم قاف مضمومة و باء موحدة مفتوحة وياء مثناة تحتُ ساكنة ثم سين مهملة فى الآخر وهى قلعة حصينة غربىّ حَلَبَ مما يلى الساحل ، على نحو ثلاث مراحل قصيرة من حَلَبَ ، كذا أخبرنى به بعض أهل البلاد ، ولم يتحرّر لى طولها وعرضها ، وسيأتى فى الكلام على ترتيب المملكة أنها استقرّت ولايةً ، و ربما أُضيفت إلى غيرها .

الرابع عشر ـ (عمل قلعة حَارِم) ـ بحاء مهملة مفتوحة وألف ثم راء مهملة مكسورة وميم فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان": والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى قلعة حصينة فى جهة الغَرْب من حَلَبَ على نحو مرحلتين منها ، ذاتُ بساتين وأشجار ، و بها نهر صغير و بينها وبين أَنْطَاكِيَة مرحلة ؛ ورَبَضها بلد صغير . قال ابن سعيد : وقد خُصَّتْ بالرُّمّان الذى يُرَى باطنه من ظاهره مع عدم العَجَم وكثرة الماء .

الخامس عشر ـ (عمل كَفْرِطَابَ) ـ بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهملة ثم طاء مهملة بعدها ألف و باء موحدة ـ على إضافة كَفْرٍ إلى طَابَ . هذا هو الجارى على

الألسنة وهو الصواب ، وأصله من الكَفْر بمعنىٰ التغطية ، والمراد مكان الزرع والحَرْث لتغطية الحَبّ بالزراعة كما فى قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ يريد الزُّرّاع ، ووقع فى كلام صاحب حماة بفتح الفاء (١) وهو وَهَمٌ .

وظاهر كلام صاحب "الروض المعطار" أن طَابَ فى معنىٰ الصفة لكَفْر فإنه قال : وسمى بذلك لأن حوله أرض كريمة ، قال : وأرضه صحيحة الهواء ومَنْ سَكَنَها لايكاد يَمْرَضُ، وقيل إنه منسوب إلىٰ رجل آسمه طاب ـ وهى بلدة صغيرة من جُنْد حِمْص غربىّ حَلَبَ ، علىٰ نحو ثلاث مراحل منها، واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها إحدىٰ وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها إحدىٰ وستون درجة وخمسَ عشرةَ دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة ـ وهى علىٰ الطريق بين المَعَرَّة وشَيْزَرَ . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين المَعَرَّة وشَيْزَرَ آثنا عشر ميلا .

السادس عشر ـ (عمل فامِيَة) ـ بفتح الفاء وألف بعدها ثم ميم مكسورة وياء مثناة تحتُ وهاء فى الآخر . قال فى "المشترك" : ويقال لها أَفَامِيَة بهمزة فى أولها يعنى مفتوحة . وهى مدينة من أعمال شَيْزَرَ، غربىّ حَلَبَ ، علىٰ نحو أربع مراحل منها واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها إحدىٰ وستون درجة وثلاث دقائق، وعرضها خمس وثلاثون درجة . قال فى "العزيزى" : وكُورَةُ فَامِيَةَ لها مدينة كانت عظيمة قديمة، علىٰ نَشْز من الأرض، ولها بُحَيرة حلوة يشقُّها النهر المقلوب .

---

(١) وكذا فى "معجم البلدان" بضبط القلم .

السابع عشر ـ (عمل سَرْمِينَ) ـ بفتح السين وسكون الراء المهملتين وكسر الميم ثم ياء مثناة تحتُ ساكنة ونون بعدها . وهى مدينة فى الغرب من حَلَبَ علىٰ نحو مرحلتين صغيرتين منها ، واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولهـا إحدىٰ وستون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وهى مدينة غير مسوّرة ؛ وبها أسواق ومسجد جامع ؛ وشرب أهلها من الماء المجتمع فى الصهاريج من الأمطار ، وهى كثيرة الخِصْب ، وبها الكثير من شجر التين والزيتون ، وهى فى جهة الجنوب عن حَلَبَ علىٰ مسيرة يوم منها وعملها متسع .

ومن مضافاتها مدينة الفُوعَةِ (بضم الفاء وفتح العين المهملة) . وهى مدينـة علىٰ القرب من سَرْمِينَ فى الغرب منها ، وتسمّى هذه الولاية الغَرْبِيَّات (بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المثناة تحت المشدّدة وألف ثم تاء مثناة فوق فى الآخر) . قال فى "التعريف" : وهى أجلُّ ولايات حَلَبَ .

الثـامن عشر ـ (عمل الجَبُّولِ) ـ بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشدّدة ثم واو ساكنة ولام فى الآخر ـ وهى بلدة شرقىّ حَلَبَ علىٰ نحو مرحلة كبيرة منهـا ، وهى بالقرب من الفُرَات ، ولم يتحرر لى طولهـا وعرضها . قال فى "تقويم البُلْدان" : ومنها ينقل المِلْحُ إلىٰ سائر أعمال حَلَبَ ؛ وقد أخبرنى بعض أهلها أن أصل هذا المِلْح نهرٌ يصل إليها يعرف بنهر الذَّهَب فيبقىٰ ماء فيما يمرّ عليه من البُلْدان حتّى ينتهى إليها فينعقد ملحا لوقته .

التاسع عشر ـ عمل (جَبَلِ سَمْعَانَ) ـ وضبطه معروف . وهى فى جهة الشّمال من حَلَبَ علىٰ [يوم](١) منها ، ولم يتحرر لى طولهـا وعرضها .

(١) فى الأصل ساعة وأبدل فى الهامش بلفظ "يوم" .

العشرون — (عمل عَزَاز) — بفتح العين المهملة والزاى المعجمة وألف ثم زاى ثانية مكسورة — كذا ضبطه فى "اللباب" والجارى على الألسنة أَعْزَازْ بهمزة مفتوحة فى أوّلها وسكون العين والزاى الأخيرة فى الوقف؛ وهى بلدة شمالىّ حلب بشرق على نحو مرحلة منها. قال فى "كتاب الأطوال": وطولها إحدى وستون درجة وخمس وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة. وهى فى شمالىّ حلب بمَيْلة إلى الغرب. قال ابن سعيد: ولأعزاز جهات فى نهاية الحسن والطِّيبة والخِصْب، وهى من أنزه الأماكن.

الحادى والعشرون — (عمل تَلّ باشِر) — بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام ثم فتح الباء الموحدة وألف بعدها شين معجمة مكسورة وراء مهملة فى الآخر — وهى حصن شمالىّ حَلَبَ على مرحلتين منها بالقُرْب من عَيْنتاب المتقدّم ذكرها. قال ابن سعيد: وهى ذات مياه وبساتين.

الثانى والعشرون — (عمل مَنْبَج)(١) — بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفى آخرها جيم — كذا ضبطه ابن الأثير فى "اللباب": وهى بلدة من جُنْد قِنَّسْرِينَ شرقىّ حَلَبَ على نحو مرحلتين منها واقعةٌ فى الإقليم الرابع. قال فى "تقويم البلدان": والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. قال ابن سعيد: بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشأم وسمّاها مَنْبِه فعربت مَنْبَج، وكان بها بيت نارٍ للفُرْس، وهى كثيرة القُنِىّ السارحة والبساتين، وغالب شجرها التوت، وأكثرها خراب.

---

(١) ضبطه فى القاموس كمجلس [أى بكسر اللام] وكذلك ضبطه صاحب "تقويم البلدان" عن اللباب فلعل ما هنا سبق قلم.

الثالث والعشرون ـ (عمل تِيزِينَ) ـ بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وكسر الزاى المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر ـ وهى بليــدة صغيرة من أعمال حلب فى جهة الغرب علىٰ نحو مرحلة منها .

الرابع والعشرون ـ (عمل البَابِ وبُزَاعَا) . وضبط الباب معروف، و بزاعا بضم البـاء الموحدة وفتح الزاى المعجمة وألف بعـدها عين مهملة وألف مقصورة فى الآخر . كذا ضبطه فى " تقويم البُلْدان " . والجارى علىٰ الألسنة إبدال الألف فى آخره بهاء . وهما بلدتان متقاربتان ، من جُنْـدِ قِنَّسْرِينَ علىٰ مرحلة من حَلَبَ فى الجهـة الشمالية الشرقية فى الإقليم الرابع . قال فى " تقويم البُلْدان " : والقياس أن طولهـا آثنتان وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

أما الباب : فَبُلَيْدة صغيرة . قال فى " تقويم البُلْدان " : بها مشهد به قبر عَقِيل ٱبن أبى طالب رضى الله عنه ، وبها أسواق وحمـام ومسجد جامع ، وبها البسـاتين الكثيرة والنزه .

وأما بُزَاعَا ـ فضيعة من أعمال الباب .

الخامس والعشرون ـ (عمل دَرْكُوشَ) ـ بفتح الدال وسكون الراء المهملتين وضم الكاف وسكون الواو وشين معجمة فى الآخر ـ وهى بلدة علىٰ النهر العاصى غربىّ حَلَبَ علىٰ نحو ثلاث مراحل منهـا ، وأكثر زرع أرضها العنب . أخبرنى بعض أهل تلك البـلاد أن حَبَّةَ العِنَب بها ربمـا بلغت فى الوزن عشرةَ دراهم ، وبها قلعة عاصية آستولىٰ هُولَاكو علىٰ قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها .

السادس والعشرون ـ (عمل أَنْطَاكِيَةَ) . قال فى " اللبـاب " : بفتح الهـمزة وسكون النون وفتح الطاء المهـملة . قال فى " تقويم البُلْدان " : ثم ألف وكاف

مكسورة ثم ياء مثناة تحت وهاء فى الآخر . قال آبن الجواليقى فى "المُعَرّب" : وياؤها مشددة . وخالف فى "الروض المعطار" : فذكر أنها مخففة الياء ــ وهى مدينة عظيمة غربىّ حلب بشمال يسير على نحو مرحلتين منها . قال فى "تقويم البلدان" : وهى قاعدة بلاد العواصم . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى مدينة عظيمة قديمة، على ساحل بحر الروم، بناها بَطْلَيْمُوس الثانى من ملوك اليونان، وقيل بناها مَلِكٌ يقال له أنطاكين فعرفت به ، ولها سُورٌ عظيم من صَخْر ليس له نظير فى الدنيا . قال فى "العزيزى" : مساحة دَوْره آثنا عشر ميلًا . قال فى "الروض المعطار" : عدد شُرُفاته أربع وعشرون ألفا، وعدد أبراجه مائة وستة وثلاثون بُرْجا . قال آبن حوقل : وهى أنزه بلاد الشام بعد دِمَشْق ، ويمر بظاهرها العاصى والنهر الأسودُ مجموعين ، وتجرى مياههما فى دُورها ومساكنها ومسجدها الجامع ، وماؤها يستحجر فى مجاريه حتّى لا يؤثر فيه الحديد، وشربه يحدث رياح القُولَنْج، والسلاحُ بها يُسْرِع إليه الصَّدأ ويذهب ريحُ الطِّيب بالمكث فيها، وهى أحد كراسىّ بَطَارِكة النصارى، ولها عندهم قدر عظيم . وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ مِن أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ آتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ إنها أنطاكيةُ وان ذلك الرجل "حبيب النَّجَّار" وقبره بها مشهور يزار . قلت : وحينئذ فتصير ولايتها[1] المذكورة فى "التعريف" و"مسالك الأبصار" : آثنتى عشرة ولاية .

ومينَا أنطاكِيَة المذكورة (السُّوَيْدِيَّة) بضم السين المشدّدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وكسر الدال المهملة وفتح الياء المثناة تحت المشدّدة وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وموضعُها حيث الطولُ ستون درجة وخمس وأربعون

(١) لعله ولاياتها . على أن هذه الفذلكة تحتاج إلى تأمل .

دقيقــة . وعندها مصبُّ النهر العاصى، وهناك ينعطف البحر الرومىّ ويأخذ غربا بشمال على سواحل بلاد الأرَمن .

القسم الثـانى

(من الأعمال الحَلَبيــة البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقـدّم ذكرها فى الأعمال الحلبية من الشّمال، وهى المعروفة ببلاد الأرْمَن)

قال فى "التعريف" فى مكاتبة متملك سِيسَ : وهـــذه البلاد منها بلادٌ تسمّى العواصمَ، ومنها بلادٌ كانت تسمّى قديما بالثُّغُورِ، سميت بذلك لمثاغرتها الروم، وإلى مثل ذلك أشار فى "تقويم البُلْدان" أيضا .

فالعَوَاصِمُ (بفتح العين المهملة والواو وكسر الصاد المهملة وميم فى الآخر) . قال آبن حوقل : وهى آسم للناحية وليست موضعا بعينه يسمّى العواصم . قال : وقصبتها أَنْطَاكِيَــةُ . قال : وعدّ آبن خرداذبه العواصمَ فكثَّرها وجعل منها كورة مَنْبِجَ، وكورة تِيزِينَ وبالس ورُصَافة هشام، وكُورَة جُومةَ وكذا شَيْزَر وأَفَامية، وإقليم مَعَرّة النُّعمان، وإقليم صُوران، وإقليم تلّ باشر وكَفَر طابَ، وإقليم سَلَمِيَّةَ، وإقليم جُوسِيَةَ، وإقليم لُبْنَانَ إلى أن بلغ إقليم قَسْطَل بين حِمْصَ ودِمَشْقَ .

قلت : وأوّل من سماها بذلك الرشيد هارون حين بنى بها مدينة طَرَسُوسَ الآتى ذكرها فى ســنة سبعين ومائة ، والذى يظهر أنها سميت بذلك لعصمتها مادُونَها من بلاد الإسلام من العدوّ، إذ كانت متاخمة لبلاد الكفر، واقعةً فى نَحْرِ العدوّ، وعساكرُ المسلمين حافظة لها .

والثُّغُور جمع ثَغْرٍ (بفتح الثاء المثلثة وسكون الغين المعجمة وفى آخره راء مهملة) . قال فى "المشترك" وهو آسم لكل موضع يكون فى وجه العدوّ، قال : وثغور الشام كانت أَذَنَةَ وطَرَسُوسَ وما معهما فآستولى عليها الأرمن .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه : أن الرشيد فى سنة سبعين ومائة عزل الثغور كلَّها من الجزيرة وقِنَّسْرِينَ وجعلها حَيِّزاً واحدا وسماها العواصم .

قلت : ومقتضى ذلك أن تكون الثغور والعواصم آسما على مسمًّى واحد ، وعليه ينطبق كلام المقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "التعريف". وقد حدّد فى "التعريف" هذه البلاد بجملتها فقال : وحدُّها من القبلة وآنحراف للجنوب بلاد بَغْرَاس وما يليها ؛ وحدّها من الشرق جبال الدَّرَ بَنْدات ؛ وحدّها من الشمال بلاد آبن قرمان ؛ وحدّها من الغرب سواحل الروم المفضيةُ إلى العَلَايا وأنْطاليَا . وسيأتى الكلام على أصل آستيلاء الأرمن على هـذه البلاد وآنتزاعها منهم وعودها إلى الإسلام فى الكلام على مكاتبة متملك سِيس ، على ما كان عليه الأمر قبل عودتها إلى الإسلام فى مكاتبات ملوك الكفر إن شاء الله تعالى .

ويشتمل على عدّة نِيَابات ، بعضها ذكره فى "التعريف" وبعضها آستجدّ بعد ذلك ، وهى على ضربين أيضا .

الضرب الأوّل

(الأعمال الكِبار ، وهى صفقتان : ساحلية وجَبَلية)

فأما الجبلية ، فثلاثة أعمال .

الأوّل ـ (عمل مَلَطِيَّة) ـ بفتح[(1)] الميم واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مثناة تحت مشدّدة مفتوحة وهاء فى الآخر . وهى مدينة شمالىّ حلب بمَيْلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال آبن سعيد : وهى قاعدة بلاد الثُّغور ، وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة ،

(١) ضبطها ياقوت والمجد بفتحتين ثم سكون وقال ياقوت : كسر الطاء وتشديد الياء من قول العامة .

وعرضها سبع وثلاثون درجة ، ووافقه فى "القانون" على الطول وجعل العَرْض ثمانيا وثلاثين درجة ، وقد عدّها ابن حوقل من جملة بلاد الشام وقال إنها من قرى بلاد الروم على مرحلة . قال صاحب حماة : والأليق عدّها من بلاد الروم . ثم قال : وعدّها بعضهم من الثُّغور الجزرية . قال فى "الروض المعطار" : وكانت قديمة نخربتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور يعنى ثانىَ خلفاء بنى العبّاس فى سنة تسع وثمانين[(١)] ومائة ، وجعل عليها سورا محكما — وهى بلدة ذات أشجار وفواكه وأنهار . وهى مسوّرة ، فى بسيط من الأرض والجبالُ محتفة بها من بُعْد ، ولها نهر صغير يمرّ بسورها ، ولها قُنِىّ تدخلها وتجرى فى دُورها إلا أنها شديدة البرد — وهى فى شمالىّ الجبل الدائر الذى بسِيسَ فى غربيّه ، فى الجنوب عن سِيوَاس ، وبينهما نحو ثلاث مراحل ، وفى الغرب عن تَكْنَا وبينهما نحو مرحلتين . وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" : أنها فتحت فى سنة خمس عشرة وسبعمائة .

الثانى — (عمل دَرَنْدَةَ) — بفتح الدال والراء المهملتين وسكون النون وفتح الدال الثانية وهاء فى الآخر — وهى مدينة فى جهة الغرب عن مَلَطْيَّةَ على نحو مرحلة ، ذاتُ بساتين وأنهار وعيون ماء تجرى ، وبينها وبين حَلَبَ نحو عشرة ايام .

الثالث — (عمل دَبْرَكِى) — بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وكسر الكاف وياء مثناة تحت فى الآخر . وقد يقال دَوْرَكِى بإبدال الباء واوا . وهى مدينة فى جهة الشمال والغرب من حَلَبَ ، على نحو عشر مراحل منها ، بها بساتينُ وأشجار ، وبينها وبين حَلَبَ نحو اثنى عشر يوما .

---

(١) لعله مصحف عن ثلاثين فان المنصور تولى الخلافة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة ، ونقل ياقوت أنه أرسل من بنى ملطية سنة أربعين ومائة .

وأما الساحلية، فإن بها خمسة أعمال .

الأول — (آياس) — بفتح الهمزة الممدودة والياء المثناة تحتُ ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها تسع وخمسون درجة ، وعَرْضها ست وثلاثون درجة ، وهي فُرْضة تلك البلاد، وبينها وبين بَغْرَاس المتقدّم ذكرها مرحلتان . قال في "التعريف": وقد جعلت نيابةً جليلة بحوصَن، وجُعِل أمرها إلى نائب الشام، ثم جعلت إلى نائب حَلَب، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية إضافة إلى نهر جاهان المجاور لها، وهو جيحان المتقدّم ذكره؛ وكانت ٱستعادتُها من الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ولذلك قال في "التعريف" : والعهد بفتحها قريب .

الثاني — (عمل طَرَسُوس) — بفتح الطاء والراء المهملتين جميعا وضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية — هكذا ضبطه في "اللباب" والجاري على الألسنة سكون رائها ، وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم شمالا بغرب عن حَلَب، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ثمان وخمسون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها ستٌّ وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة مسوّرة، بناها الرشيدُ في سنة سبعين ومائة وأكملها في سنة آثنتين وسبعين، ولها خمسة أبواب: باب الجهاد، وباب الصَّفْصاف، وباب الشام، وباب البحر، والباب المسدود . والنهر يشق في وسطها وعليه قنطرتان داخل البلد . قال آبن حوقل : وهي في غاية الخِصْب، وبينها وبين حدّ الروم جبال هي الحاجز بين الروم والمسلمين ، وبها دُفِن المأمون بن الرشيد ، وكانت آستعادتها من الأرمن في الدولة الناصرية حسن بن محمد بن قلاوون .

الثالث ــ (عمل أدنة)[(١)] ــ بهمزة ودال مهملة ونون مفتوحات وهاء فى الآخر . وهى مدينة من بلاد الأرمن واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقــة . قال أحمد آبن يعقوب الكاتب فى كتابه "المسالك والممالك" : وهى من بناء الرشــيد . قال آبن حوقل : وهى مدينة حصينة عامرة، وبينها وبين طَرَسُوس ثمانية عشر ميلا .

الرابع ــ (عمل سِرْفَنْدَكَارَ) ــ بكسر السين وسكون الراء المهملتين وفتح الفاء وسكون النون وفتح الدال المهملة والكاف ثم ألف وراء مهملة ــ هكذا ضــبطه صاحب حمــاة ، ثم قال : وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقــال سِرْوَنْدَكَارَ والموجود فى الدســاتير إِسْفَنْدَكَارُ بهــمزة فى الأوّل وســقوط الراء الأوّلة؛ وهى قلعة من بلاد الأرمن واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى قلعة حصينة فى واد على صخر، وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر، وهى على القرب من نهر جَيْحان من البر الجنوبى، فى الشرق عن تل حَمْدون على نحو أربعة أميال .

الخامس ــ (عمل سِيسَ) ــ بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت ثم سين مهملة ثانية ــ هذا هو المعروف فى زماننا، ووقع فى كلام الصاحب كمال الدين آبن العديم أن آسمها سِيسة باثبات هاء فى آخرها ، وكلامه فى "العزيزى" يوافقه . وهى قاعدة بلاد الأرمن ومَوْقِعها فى الإقليم الرابع . قال فى "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . وهى بلدة كبيرة ذات بساتين وأشجار، ولها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار على جبل مستطيل ، بناها بعض خدّام الرشيد وهو الذى سماها . قال آبن سعيد : وكانت قاعدة الثغور الشّمالية . قال فى "العزيزى" : وبينها

(١) الذى فى "تقويم البلدان" و"معجم البلدان" و"القاموس" أنها بالذال المعجمة .

وبين المَصِّيصة أربعة وعشرون ميلا، وكانت آستعادتها من الأرمن فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين. قلت : وقد كانت سِيسُ فى أعقاب الفتح نيابة مستقلة، ثم صارت تقدمةَ عسكر مضافة إلىٰ حَلَبَ كما يقع فى غَزّة فى كونها تارة تكون نيابة مستقلة، وتارة تقدمةَ عسكر مضافة إلىٰ دمشق علىٰ ما تقدّم ذكره .

الضرب الثانى
(من[1] الأعمال الصِّغار بلاد الأَرْمَن)

وهى ثلاثة عشر عملا لثلاث عشرة قلعة، لم تجر العادة بمكاتبة أحد من نوابها عن الأبواب السلطانية، ذكر بعضها فى "التعريف" وبعضها فى "التثقيف" وبعضها فى غيرهما من الدساتير .

الأوّل ـــ (عمل قلعة بَارِى كَرُوكَ) بفتح الباء الموحدة وألف بعدها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم كاف مفتوحة وراء مهملة وواو ساكنة ثم كاف فى الآخر. وهى قلعة علىٰ رأس جبل بالقرب من طَرَسُوسَ فى الشَّمال، علىٰ نحو نصف مرحلة قال فى "التثقيف" : آستجدّت فى سنة ستين سبعمائة . قلت : آفتتحها بيدمر الخوارزمىّ نائب سِيسَ فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون .

الثانى ـــ (عمل كَاوَرًّا) بفتح الكاف وبعدها ألف وواو وراء مفتوحة مشدّدة وألف فى الآخر . وهى قلعة فى الشمال عن آياس علىٰ جبل مطلٌّ علىٰ البحر الرومىّ علىٰ نحو ساعة . قال فى "التثقيف" : آستجدّت سنة تسع وستين وسبعمائة .

الثالث ـــ (عمل كَوْلَاكَ) بفتح الكاف وسكون الواو ولام ألف بعدها كاف ثانية . وهى قلعة مدوّرة علىٰ رأس جبل فى الشمال عن طَرَسُوسَ علىٰ نحو مرحلة، يسكنها طائفة من التُّرْكُمان .

(١) لعله الأعمال الصغار من بلاد الخ .

الرابع ـ (عمل كِرْزَالّ) بكاف مكسورة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وبعدها ألف ثم لام . وهى قلعة صغيرة علىٰ رأس جبل بالقرب من كَوْلَاكَ المتقدّم ذكرها علىٰ نحو مرحلة . قال فى "التثقيف" : آستجدّت فى سنة نَيِّف وسبعين وسبعمائة

الخامس ـ (عمل كُومِى) بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وياء مثناة تحتُ فى الآخر .

السادس ـ (عمل تَلّ حَمْدُونَ) بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام وفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر . وهى قلعة ببلاد الأرمن ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال آبن سعيد : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة ،وعرضها ست وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : كانت قبل أن يخرّبها المسلمون قلعةً حصينة حسنة البناء علىٰ تَلّ عال ، ولها سور مانع ورَبَض وبساتين ونهر يجرى ، وعلىٰ القرب من جَيْحان فى جهة الجنوب علىٰ نصف مرحلة ، وبينها وبين آياس نحو مرحلة ، وبينها وبين سِيس نحو مرحلتين .

السابع ـ (عمل الهَارُونِيَّتَيْنِ) ـ بفتح الهاء وألف بعدها ثم راء مهملة مضمومه ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحت مشدّدة مفتوحة ثم تاء مثناة فوق بعدها ألف[1] ونون . قال فى "التعريف" : وهما حِصْنان بناهما هارون الرشيد . وقال فى "المشترك" : الهارونيّة مدينة صغيرة آختطها هارون الرشيد بالثُّغور فى طَرَف جبل اللُّكَام . وقال فى "العزيزى" : الهارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية ، وبينها وبين الكنيسة السَّوْداء آثنا عشر ميلًا .

(١) أى أو ياء ونون تبعا لعوامل الاعراب .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

الثامن — (عمل قلعة نَجْمَة) بفتح النون وسكون الجيم وفتح الميم وهاء فى الآخر.[1] وهى قلعة على القرب من الفُرات بينها وبين جَسْر مَنْبِج خمسة وعشرون ميلا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهذه القلعة فى السحاب . قال : وكان يقال لذلك المكان حصن مَنْبِج فصارت تعرف بقلعة نَجْمَة . ثم قال : وهى من بناء السلطان محمود بن زنكى . قلت : وفى "التعريف" ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون .

التاسع — (عمل قلعة حيمص). وهى قلعة خراب صغيرة بالقُرْب من نهر جَيْحان .

العاشر — (عمل قلعة لُؤْلُؤَة) — وهى قلعة شمالىّ كَوْلَاك آستعادها آبن عثمان .

الحادى عشر — (عمل قلعة تامرون) شمالىّ طَرَسُوس، بيد عيسى بن ألاس البرسقى التركمانى .

الثانى عشر — (عمل سنياط كلا) شمالىّ طَرَسُوس. كانت داخل المملكة آستولى عليها آبن قرمان فى أيام المنصور بن الأشرف شعبان .

الثالث عشر — (عمل بسلوص) غربىّ طَرَسُوس على ساحل البحر، بيد حسن ابن قوسى البرسق التركمانى .

القسم الثالث

(من الأعمال الحلبية البلاد المجاورة للفُرَات من شرقيّه من بلاد الجزيرة الواقعة بين الفرات ودَجْلة؛ وهى ثلاثة أعمال)

الأول — (عمل الْبِيرَة) بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الراء المهملة وألف[2] فى الآخر. وهى قلعة فى البر الشرقىّ فى الشَّمال عن الفُرَات، فى الشرق

(١) فى المعجم بدون هاء وقال "بلفظ النجم من الكواكب" (٢) لعله وهاء فى الآخر، وهى غير البيرة التى ببلاد الأندلس فان تلك الهمزة فيها أصلية على وزن إخريطة وكبريتة فليتنبه .

عن قلعــة الروم المتقــدّم ذكرها علىٰ نحو مرحلة والفُرَاتُ بينهما . وقد عدّها في "تقويم البُلْدان": من جُنْد قِنَّسْرِينَ من أعمال الشام، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في بعض الأزياج : طولها ٱثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي قلعــة ذات ٱرتفاع وحصينةٌ لاتُرَام ؛ قال في "تقويم البُلْدان" : ولها سوق وعمل . قال ٱبن سعيد : وقلعتها علىٰ صخرة . قال في "التعريف" : ولها مَنَعة وعسكر .

الثاني ـ (عمل قلعة جَعْبَرٍ) ـ بفتح الجيم وسكون العين المهـملة وفتح الباء الموحدة وراء مهـملة في الآخر . وهي قلعة من ديار بَكْر في البر الشرقيّ الشماليّ من الفُرات أيضا ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ٱثنتان وستون درجة ، وعَرْضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال القاضي جمال الدين ٱبن واصل : وكانت هذه القلعة تعرف قديما بالدَّوْسَرِيَّة نسبة إلىٰ دَوْسَر : عبدالنعمان ٱبن المنذر، وهوالذي بناها أوّلا لما جعله النعمان علىٰ أفواه الشأم ، ثم تملّكها سابقُ الدين جعبر القشيريّ في أيام الملوك السَّلْجُوقية فعرفت به ، ثم ٱنتزعها منه السلطان ملكشاه السلجوقيّ . قال صاحب حماة : وهي في زماننا خراب ليس بها ديار . قلت : وذلك في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة الناصرية أو بعدها بقليل ، وقد أشار إلىٰ ذلك في "التعريف" : حين تعرّض لذكرها في آخر مضافات الشأم قبـل ذكر حَلَبَ بقوله : وهي مجدّدة البنيان ، مستجدّة الآن ، لأنها جُدّدت منذسنوات ، بعد أن طال عليها الأمَد ، وأخْنىٰ عليها الذي أخْنىٰ علىٰ لُبَد وكان قد ذكر قبل ذلك في الكلام علىٰ تقاسيم الشأم أنها مضافة إلىٰ دِمَشْــق ثم قال : وحقُّها أن تكون مع حَلَبَ ، وقد صارت الآن من مضافات حَلَبَ .

الثالث ـ (عمل الرُّهَا) ـ بضم الراء المهملة وفتح الهاء وألف في الآخر . وهي مدينة من ديار مُضَرَ في البر الشرقيّ الشماليّ عن الفُرَاتِ ، وموقعها في الإقليم الرابع بالقرب

من قلعة الروم . قال فى "الأطوال" : طولها آثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة عظيمة رومية، فيها آثار عجيبة . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة ذات عيون كثيرة تجرى منها الأنهار، وبها البساتين والأشجار الكثيرة، وعليها سُور من حجارة، ولها أربعة أبواب باب حَرّان، والباب الكبير، وباب سبع، وباب الماء . قال : وليس فى بلاد الجزيرة أحسنُ منتزهات منها ولا أكثر فواكه ؛ والفُرَاتُ منها فى ناحية الغرب علىٰ مسيرة يومين، وفى ناحية الشّمال علىٰ مسيرة يوم . قال فى "تقويم البُلْدان" : وكان بها كنيسة عظيمة، وفيها أكثر من ثلثمائة دَيْر للنصارىٰ . قال : وهى اليوم خراب يعنى فى أثناء الدولة الناصرية، ثم عمرت بعد ذلك . قلت : وهى اليوم عامرة آهلة، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

القاعدة الثالثة
(من قواعد المملكة الشامية حماة)

وقد ذكرها فى "مسالك الأبصار" بعد دِمَشْق ؛ وهو أليق لقربها منها، ولكنه قد ذكرها فى "التعريف" بعد حَلَبَ فتبعته علىٰ ذلك؛ وفيها جملتان :

الجملة الأولى
(فى حاضرتها)

وهى بفتح الحاء المهملة والميم وألف ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الرابع بين حِمْص وقِنَّسْرِينَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وطولها إحدىٰ وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهى مدينة قديمة أَزَلِيَّة . قال فى "تقويم البُلْدان" : ولها ذكر فى التوراة، وهى علىٰ ضَفَّة

العاصى مكينة البناء، ولهـا سُورٌ جليـل ، و بيوت ملوكها وشُرُفاتها مطلة على النهر العاصى ؛ وبها القصور الملوكية، والدور الأنيقة والجوامع والمساجد والمدارس والرُّبُط والزوايا والأسواقُ التى لا تَعْدَم نوعا من الأنواع ؛ وبها قلعة مبنية بالحجارة الملوّنة ؛ وغالبُ مبانيها العلية ، وآثار الخير والبِرِّ الباقية فيها من فواضل نِعَم الدولة الأيوبية ؛ وبها نواعيرُ مركّبة على العاصى ، تدور بجريان المـاء ، وترفع الماء إلى الدُّور السلطانية ودُور الأمراء والأكابر والبساتين ؛ وفى بساتينها الغِرَاسُ الفائق والثمار الغريبة ؛ ولم يكن لها فى القديم نَباهة ذِكْر ، وكان الصِّيتُ لحمص دُونَها ، ثم تنبه ذكرها فى الدولة الأتابكية زنكى ؛ فلما آلت إلى ملوك بنى أيوب مَصَّرُوها بالأبنية العظيمة ، والقصور الفائقة ، والمساكن الفاخرة ، وتأميرِ الأمراء ، وتجنيدِ الأجناد فيها ؛ وعَظَّموا أسواقها وزادوا فى غِرَاسها ، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كلَّ من فاق فى فَنِّه إلى أن كملت محاسنها ، وصارت معدودةً من أمهات البلاد وأحاسنِ الممالك ؛ وهى فى غاية رَفَاهة العيش إلا أنها شديدة الحرّ محجوبةُ الهواء ، ويَعرِضُ لهـا فى الخريف تغير تنسَب به إلى الوَخَامة ، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف كما يبقى فى بقيـة الشام ، وإنمـا يجلَب إليها ممـا يجاورها ؛ وحولها مروج فِيحٌ ممتـدّة يكثر فيها مصايد الطير والوحش ؛ وليس بالممالك الشامية بعد دِمَشْق لها نظير ، ولا يدانيها فى لُطْف ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد . قال فى "الروض المِعْطار" : و بينها و بين حِمْص أربعون ميلا ، ولم تزل بأيدى بقايا الملوك الأيوبية من جهة صاحب مصر ، يقيم ملوكهم فيها مَلِكا بعد ملك إلى أن كان بها منهم آخر الأيام الناصرية محمد بن قلاوون المتقدّم ذكره ، واستقرّ فيها بالأمير[1] طغيتمر الحموىّ : أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية نائبا ؛ واستمرّت بأيدى النوّاب يليها مقدّم ألف بعد مقدّم ألف إلى الآن .

---

(١) لعل الباء من زيادة الناسخ أى كان بها منهم فى تلك الأيام واستقر فيها الأمير الخ .

الجملـــة الثانية

(فى نواحيهـا وأعمالهـا)

قال فى "التعريف" : وحدُّها من القبلة مدينة الرُّسْتَن وماسامتها آخذا بين سَلَمْية وقبة ملاعب ، إلىٰ حيث مَجَرُّ النهر والآثار القديمة ؛ وحدّها من الشرق البَرُّ آخذا علىٰ سَلَمية إلىٰ ما آستفل عن قُبَّة ملاعب ؛ وحدّها من الشمال آخر حدّ المعرّة من العراما (١) ، وحدّها من الغرب مُضَافات مِصْياف وقلاع الدعوة ؛ وليس بها نوّاب قلاع البتةَ ، ولهـا ثلاثة أعمال .

الأوّل ـ (عمل بَرِّها) ـ وهو ظاهرها وما حولها كما تقدّم فى دمشق وحلب .

الثـانى ـ (عمل بَارِينَ) ـ بفتح الباء الموحدة وألف بعدها وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر ـ وهى بلدة علىٰ مرحلة من حماة فى الغرب عنها بميْلة يسيرة إلىٰ الجنوب ؛ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولهـا إحدىٰ وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة (٢) .

الثالث ـ (عمل المَعَرَّة) ـ بفتح الميم والعين المهملة ثم راء مهملة مشدّدة مفتوحة وهاء فى الآخر ـ وهى مدينة من جُنْد حِمْص واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولهـا إحدىٰ وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضُها خمس وثلاثون درجة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولهـا إحدىٰ وستون درجة وأربعون دقيقـة ، وعرضَها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وتعرف بمَعَرَّة النُّعْمَانِ . قال : البلاذرىّ إضافة إلىٰ النُّعمان بن بَشير الأنصارىّ رضى

(١) كذا فى الأصل بإهمال النقط وفى الضوء "من الغرب" .

(٢) لم يتكلم علىٰ العرض كعادته ولعله سقط من قلم الناسخ . ويستفاد من "التقويم" أن عرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة .

الله عنه . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة جليلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار والخصب، وشربُ أهلها من الآبار . قال فى "الروض المعطار" : ولها سبعة أبواب : باب حَلَبَ، والباب الكبير، وباب شيث، وباب الجنان ، وباب حمص، وباب كذا (١) . قال : ويُذْكَر أن قبر شيث بن آدم عليه السلام عند الباب المنسوب إليه فيها، وداخلها قبر يُوشَعَ بن نون عليه السلام، وعلىٰ مِيلٍ منها دَيْرُ سِمْعان الذى به قبر عمر بن عبدالعزيز . قال السمعانى : والنسبة إليها مَعَرّىٌّ . قال : وبالشام بلدة أخرىٰ تسمّى مَعَرَّة نَسْرِين بالنون والسين المهملة ، والنسبة إليها مَعَرْنَسِى . قال صاحب حماة : والمشهور فى الثانية أنها مَعَرَّة مَصْرِين بميم وصاد مهملة .

القـاعدة الرابعـــة

(من قواعد المملكة الشامية أَطْرَابُلُسُ، وفيها جملتان)

الجمـــلة الأولىٰ

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة ولام مضمومتين وسين مهملة فى الآخر . قال السمعانىّ : وقد تسقط الألف منها فرقا بينها وبين أَطْرَابُلُسَ التى فى الغرب، وأنكر يَاقُوتٌ فى "المشترك": سقوطَها وعاب علىٰ المتنبي حذفَها منها فى بعض شِعْره . قال فى "الروض المعطار": ومعنىٰ أَطْرَابُلُسَ فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهى مدينة من سواحل حِمْصَ واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها تسع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ، وكانت فى الأصل من بناء الروم فلما فتحها المسلمون فى سنة ثمان وثمانين وستمائة فى الأيام الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه

---

(١) هذا هو السادس وكنى عنه ولم يحله ولم يذكر السابع فليعلم .

الله، خَرَّبوها وعَمَروا مدينة علىٰ نحو ميل منها وسَمَّوْها باسمها ، وهى الموجودة الآن؛ ولما بنيت هذه المدينة الجديدة كانت وخيمة البقعة ، ذميمة السكن . فلما طالت مدّة سَكَنها وكثُر بها الناس والدوابُّ وصُرِّفت المياه الآسنة التى كانت حولها وعملت بساتين، ونُصبت بها النصوب والغُرُوس، خفَّ ثِقَلُها وقل وَخَمُها .

قال فى "مسالك الأبصار" : ولما وَلِىَ نيابتها أسـتدمر الكرجىّ كان لاينفك عن كونه وخما فشكا ذلك إلىٰ سليمان بن داود المتطبب، فأشار عليه أن يستكثر فيها من الإبل وسائر الدوابّ ففعل فخفَّ وَخَمُها . قال: وقد سألت عن علة ذلك الكثيرَ من الأطباء فلم يجيبوا فيه بشىء .

قلت : لا خفاء أن المعنىٰ فى الإبل ما أشار به النبىّ صلى الله عليه وسلم فى أمر العُرَنِيِّينَ حين آستَوْخَمُوا المدينة "أنهم يُقيمون فى إبل الصَّدَقة ويشرَبُون من ألبانها وأبوالها ففعلوا ذلك فَصَحُّوا" فكأنّ ذلك من خاصة الإبل . ولعل التأثير فى ذلك للإبل خاصةً دون سائر الدواب . وهى الآن مدينـة متمدنة كثيرة الزحام؛ وبها مساجد، ومدارس ، وزوايا ، وبيمارستان، وأسواق جليلة، وحمامات حسان ؛ وجميع بنـائها بالحجر والكِلْس مبيضا ظاهرا وباطنا ، وغُوطَتها محيطة بها، وتحيط بغُوطتها مزدرعاتها ؛ وهى بديعة المشترَف؛ ولها نهر يحكم علىٰ ديارها وطباقها يتخرق المـاءُ فى مواضع من أعالى بيوتها التى لا يُرقىٰ إليها إلا بالدرج العلية؛ وحولها جبال شاهقـة ، صحيحة الهواء ، خفيفة المـاء ، ذاتُ أشجار وكروم ومروج ومواش ؛ وميناها مِينا جليلة ، تهوِى إليهـا وُفُود البحر الرومىّ وترسُو بها مراكبهم ، وتُبَاع بها بضائعهم . وهى بلدة مَتْجر وزرع، كثيرةُ الفائدة . وقد تقدّم فى الكلام علىٰ عجائب الشام أن داخل البحر بالقرب منها علىٰ نحو رَمْية حجر عن البر عينًا فوّارة عَذْبة المـاء تَطفُو علىٰ وجه المـاء قدر ذراع أو أكثر، يتبين ذلك عند سكون الريح .

الجمـــلة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها)

قال فى "التعريف" : وحدّها من القبلة جبـل لُبْنَانَ ممتدّا على مايليه من مَرْج الأسد، حيث يمتدّ النهر العاصى، وحدّها من الشّمال قِلَاع الدّعْوة، وحدّها من الغرب البحر الرومىّ . وأعمالها على قسمين :

القســم الأوّل

(الأعمال الكِبَار التى يكاتَبُ نوابها عن الأبواب السلطانية، وهى على ضربين)

الضرب الأوّل

(مضافاتها نفسها ، وهى ست نيابات)

الأوّل ـ (عمل حِصْن الأكْرَاد) ـ بإضافة حِصْن واحد الحُصُون إلى الأكراد الطائفة المشهورة ؛ وهى قلعة من جُنْدِ حِمْص ، موقعها فى الاقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهى قلعة حصينة مقابلَ حمص من غربيها ، على الجبل المتصل بجبل لُبْنَانَ نحو مرحلة من حمص . قال فى "التعريف" : وهى حصن جليل وقلعة شمّاء ، لاتبعد منها السماء . قال : وكانت محل النيابة ومقرّ العسكر قبل فتح طَرَابُلُس .

الثانى ـ (عمل حِصْن عَكّار) ـ بإضافة حصن إلى عَكّار ـ بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وبعدها ألف ثم راء مهملة ـ وهى قلعة على مرحلة من طرابلُس فى جهة الشرق بوسط جبل لُبْنَانَ فى وادٍ والجبل محيط بها ، وشرب أهلها من عين تجرى إليها من ذيل لُبْنَانَ المذكور، ولها رَبَض ليس بالكبير .

الثالث ـ (عمل بَلَاطُنُس) ـ بفتح الباء الموحدة وبعدها لام ألف ثم طاء مهملة ونون مضمومتان وسين مهملة فى الآخر ـ وهى قلعة بالقرب من مدينة مِصياف فى جهة الغرب منها علىٰ نصف مرحلة، وفى جهة الشمال من طَرَابُلُس علىٰ نحو مرحلتين .

الرابع ـ (عمل صَهْيُونَ)(١) ـ بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم الياء المثناة تحتُ وسكون الواو ثم نون فى الآخر ـ وهى قلعة من جُنْد قِنَّسْرِينَ فى الإقليم الرابع . قال فى "الزيج" : طولها ستون درجة وعشر دقائق، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهى من القلاع المشهورة، ذاتُ حَصَانة ومَنَعة، مبنيةٌ علىٰ صخر أصمّ، فى ذيل جبل يظهر من اللاذقية وبينهما نحو مرحلة ، وهى فى الشرق عن اللاذقية بميلة إلىٰ الجنوب، وبها المياه الكثيرة حاصلةٌ من الأمطار .

الخامس ـ (عَمَلُ اللَّاذِقِيَّةِ) ـ بألف ولام لازمتين وذال معجمة وقاف مكسورتين وياء مثناة تحت مشدّدة مفتوحة وهاء فى آخرها . وهى مدينة من سواحل الشأم واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" : طولها ستون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وعدّها فى "العزيزى" من أعمال حِمْص ثم قال : وهى مدينة جليلة بل هى أجلُّ مدينة بالساحل مَنَعةً وعِمارةً، ولها مِينا حسنة ، ومنها إلىٰ أَنْطَاكِيَة ثمانية وأربعون ميلا ، وقد عدّها فى "التعريف" : فى جملة ولايات طَرَابُلُس علىٰ ما كانت عليه إذ ذاك، ثم ٱستقرّت بعد ذلك نيابة، وهى الآن أعظم نيابات طَرَابُلُس .

السادس ـ (عمل المَرْقَب) ـ بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وباء موحدة فى الآخر . وهى قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومىّ ، وموقعها فى الإقليم

(١) ضبطها ياقوت والمجد بكسر الصاد وفتح الياء المثناة من تحت .

الرابع . قال فى "الزيج" : طولهــا ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وهى قلعة حصينة حسنة البناء مشرفة علىٰ البحر وعلىٰ نحو فرسخ منها مدينة (بِلِنْيَاسَ)(١) بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون وياء مثناة تحت وألف وسين مهملة ــ وفى الغالب تضاف إليها فيقال المَرْقَبُ وبِلِنْيَاسُ ، وهى مدينة حسنة علىٰ الساحل ، ذاتُ مياه وأعين تجرى وفواكه كثيرة . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين أَنْطَرْطُوسَ آثنا عَشَر ميلا ؛ ولم يتعرض لذكر المَرْقَب فى "التعريف" ولا فى "مسالك الأبصار" .

الضرب الثــانى
(قِلَاع الدَّعوة ، بفتح الدال)

سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشِّــيعة المنتسبين إلىٰ إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهاديّة ؛ وهؤلاء هم المعروفون فى ديوان الإنشاء بالقُصَّاد ، وبين العــامّة بالفداوية ؛ وسيأتى الكلام علىٰ معتقدهم فى الكلام علىٰ القُصَّــاد ، ثم فى الكلام علىٰ تحليف أهــل البِدَع فى باب الأيمــان إن شاء الله تعالىٰ ــ وهى سبع قلاع ، عظيمةُ الشأن ، رفيعة المقدار ، لاتُسَامىٰ مَنَعَةً ولا تُرَام حصانةً ، وكانت أوّلا كلها مضافة إلىٰ طَرَابُلُسَ ثم نقلت مِصْيافُ منها إلىٰ دِمَشْقَ علىٰ ما تقــدّم ذكره ، والبقية علىٰ ما كانت عليه من إضافتها إلىٰ طرابُلُس .

وهى ستة أعمال .

الأوّل ــ (عمل الرصافَة) ــ بألف ولام لازمتين فى أوّلها وراء مهملة مضمومة وصاد مفتوحة بعدها آلف ثم فاء وهاء ــ وهى قلعة بالقرب من مِصْياف ؛ وبالشأم

---

(١) فى المعجم بضم الباء واللام .

بلدة أخرى يقال لهـا الرُّصَافَةُ أيضا وتعرف برُصَافَةِ هشام، على أقلّ من مسافة يوم من الجانب الغربىّ من الفُرَاتِ .

الثـانى ـ عمل (الخَوَابِى) ـ بفتح الخاء المعجمة والواو ثم ألف وباء موحدة مكسورة وياء فى الآخر ـ وهى قلعة فى جهة الشّمال من طَرَابُلُس على نحو مرحلتين، وقد تقدّم فى الكلام على خواصّ الشأم أن بسُورها مكانا لاينظُره ملسوع أو رسوله إلا بَرَأ ذلك الملسوع ولم يضره السم .

الثالث ـ (عمل القَدَمُوس) ـ بفتح القاف والدال المهملة وضم الميم وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر ـ وهى قلعة بالقرب من الخَوَابِى المقدّمة الذكر، وقد تقدّم فى الكلام على خواصّ الشأم أن بها حَمَّامًا يظهر منـه أنواع من الحيَّات وتمشى بين الناس ولا تضر أحدا البتة .

الرابع ـ (عمل الكَهْف) ـ بفتح الكاف وسكون الهاء وفاء فى الآخر . وهى قلعة بالقرب من القَدَمُوس على نحو ساعة على نَشَز جبل مرتفع عال يُرى على بعد .

الخـامس ـ (عمل المَيْنَقَة) ـ بفتح الميم وسكون الياء المثناة تحت وفتح النون والقاف وهاء فى الآخر ـ وهى قلعة بالقرب من الكَهْف على نحو ساعة على جبـل مرتفع أيضا .

السادس ـ (عمل العُلَّيْقَة) ـ بضم العين المهملة وفتح اللام المشدّدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح القاف وهاء فى الآخر ـ وهى قلعـة على الجبـل المذكور على نحو ساعة من المَيْنَقَة .

القسم الثـانى

(من أعمال طَرَابُلُس الأعمال الصغار، وهى ستة أعمال)

قال فى "التعريف" : سوى ما نقل فى تلك القلاع ممـا له ولاية .

الأوّل ــ (عمل أَنْطَرْطُوس) . قال فى "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . قال فى "كتاب الأطوال" : وموضعها حيث الطول ستون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهى بلدة بالساحل . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى ثَغْرٌ لأهل حِمص فتحها المسلمون وخَرَّبوا أسوارها ، وهى الآن آهلة . قال : وكان بها مُصْحَفُ عثمان بن عَفَّان رضى الله عنه .

الثانى ــ عمل جُبَّةِ المُنَيْظَرَةِ بإضافة جُبَّةٍ (بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وتاء التأنيث) إلى المُنَيْظَرَة (بضم الميم وفتح النون وسكون الياء المثناة تحت وفتح الظاء[1] المعجمة والراء المهملة وهاء فى الآخر) .

الثالث ــ (عمل الظَّنِّيِّينَ) ــ بألف ولام لازمتين وظاء معجمة مفتوحة مشددة ونون مشدّدة مكسورة وياء مثناة تحت مكسورة بعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون ــ وهى كُورة بين مصياف وفَامِيَةَ ، وليس بها مقر ولاية .

الرابع ــ (عمل بُشَرِّيه) ــ بضم الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملة المشدّدة وسكون الياء المثناة تحت وهاء فى الآخر ــ هكذا مكتوب فى "التعريف" : والجارى على الألسنة بشراى بابدال الهاء ياء مثناة تحت .

الخامس ــ (عمل جَبَلَةَ) ــ بفتح الجيم والباء الموحدة واللام ثم هاء فى الآخر ــ وهى بلدة صغيرة بساحل البحر الرومىّ من الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "العزيزى" : ولها أعمال واسعة ،

(١) أوردها فى "معجم البلدان" ونص على اهمال الظاء وأنها بصيغة التصغير .

وبينها وبين اللاذِقيّة آثنا عشر ميلا ، وبينها وبين أنطَاكِيَةَ ثمانية وأربعون ميلا ، وبها مقام إبراهيم بن أدهم رحمه الله .

السادس — (عمل أَنَفَة) — بفتح الهمزة المقصورة والنون والفاء وبهاء فى الآخر — وهى بلدة على البحر الرومىّ تردها المراكب بِقلّة .

القاعدة الخامسة

(من قواعد المملكة الشامية صَفَدُ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الصاد المهملة والفاء وتاء مثناة فوقُ فى آخرها . هكذا ضبطه فى "تقويم البُلْدان" . ثم قال : والمشهور على ألسنة الناس أن مكان التاء دالا مهملة ؛ وهى مدينة من جُنْد الأُرْدُنِّ، واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الزيج" . طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها آثنان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلدة متوسطة بين الكِبَر والصِّغَر، وذكر العثمانىّ فى "تاريخ صفد" : أنه كان مكانها أوّلا قرية وأصل الصَّفَت فى لغتهم العطية، سميت بذلك لأن الفرنج أعطتْها للطائفة الدموية منهم لا يشاركهم فيها أحد . قال : وقد تكون سميت بذلك أخذا من الصَّفَد، وهو الغُل لأن صاحب الغل يمتنع من الحركة ويلزم موضعه ، وكذلك هذا البلد لأنها فى جبل عال لا يتمكن ساكنه من الحركة فى كل وقت، إن ركب تعب وإن مشى على قدمه آختلط لحمه بدمه لصعود الربوة وهبوط الوهدة، فيستقرّ فى مكانها ويقنع بالنظر، ورَبَضُها منتشر العمارة على ثلاثة أجبل، وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادى لقلة

الماء بها وسوء بناء حمّاماتها، وبساتينها تحتها فى الوادى إلىٰ جهة بحيرة طَبَرِيَّةَ، وكل مايوجد فى دِمَشْقَ يوجد فيها: إما من بلادها، وإما مجلوب إليها من دِمَشْقَ؛ ونيابتها نيابة جليـلة ونائبها من أكبر الأمراء المقدّمين؛ ولها قلعة حصينة ذات بساتين تُشْرِف علىٰ بحيرة طَبَرِيَّةَ، يَحُفُّ بها جبال وأودية. قال ٱبن الواسطى: بنتها الفرنج سنة خمس وتسعين وأربعمائة. ولـما فتحها الظاهر بيبرس رحمه الله عظم شأنها ورفع مقدارها. قال فى "مسالك الأبصـار": وهى جديرة بالتعظيم فقلَّ أن يُوجَد لهـا شبيه، ولا يعلم لهـا نظير. ولهذه القلعة نائب مستقلٌّ من قِبَـلِ السلطان يولّى من الأبواب الشريفة بمرسوم شريف؛ وعادته أن يكون من أمراء الطبلخاناه، ولا حكم لنائب السلطنة بالبلد عليه بل هو مستقل بنفسه كما فى نائب قلعتى دِمَشْقَ وحَلَبَ.

الجملة الثـانية

(فى نواحيهـا وأعمالهـا)

قال فى "التعريف": وحدّها من القبلة الغَوْرُ حيث جَسْر الصِّنَّبْرة من وراء طَبَرِيَّةَ؛ وحدّها من المشرق المَلَّاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حُولَة بانياس؛ وحدّها من الشمال نهـر ليطا؛ وحدّها من الغرب البحر. وليس فى أعمالهـا نيابة أصلا. وقد ذكر لهـا فى "مسالك الأبصار": أحد عشر عملا.

الأوّل — (عمل برّها) — كما فى دِمَشْقَ وحَلَبَ وغيرهما من القواعد المتقدّمة.

الثـانى — (عمل النَّاصِرَة) — بالألف واللام اللازمتين ونون مفتوحة بعدها ألف ثم صاد مهملة مكسـورة وراء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر — وهى بليدة صـغيرة قال فى "الروض المعطار": علىٰ ثلاثة عشر ميـلا من طَبَرِيَّةَ. قال: ويقال: إن المسيح عليه السـلام ولد بها، وأهل القُدُس ينكرون ذلك ويذكرون أنها ولدته

بالقُـدْس ، والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر إلىٰ الشأم وعمره يومئذ آثنتا عشرة سنة نزلت به القرية المذكورة ، وهي اليوم منبع الطائفة النصيرية . والذى ذكره العثمانيّ فى "تاريخ صَفَد" : أن أهل هذه البلاد منسوبون إلىٰ الدين .

الثالث — (عمل طَبَرِيَّةَ) — بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وكسر الراء المهملة وفتح اليـاء المثناة تحت وتشـديدها وهاء فى الآخر — وهى مدينة من جُنْد الأُرْدُنِّ بناها طبريون(١) أحد ملوك اليونان البطالسـة فعُرِفت به ثم عربت طبرية ، والنسـبة إليها طبرانيّ للفرق بينها وبين طَبَرِسْتَانَ من نواحى بلاد الشرق حيث ينسب إليها طَبَرِىٌّ ، وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : وطولها ثمـان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقـة ، وعَرْضها آثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال فى "رسم المعمور" : طولهـا سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة ، وتبعـه آبن سـعيد علىٰ ذلك . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القيـاس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهى فى الغَوْر فى سـفح جبل علىٰ بحيرتهـا المتقدّمة الذكر فى بُحَـيرات الشام . قال فى "مسالك الأبصار" : ومن عملها قَدَسُ . قال : وكان معها قديما السَّوادُ وبَيْسانُ ثم خرجا عنها . قال العثمانيّ فى "تاريخ صفد" : ومن ولايتها البَطيحة وكَفْر عاقب .

الرابع — (عمل تِبْنِينَ وهُونِينَ) — بعطف الثانى علىٰ الأوّل .

فأما تِبْنِينُ ، فبتاء مثنـاة فوقُ مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مكسورة وياء مثناة تحتُ ساكنة ونون فى الآخر .

---

(١) فى معجم البلدان "طباريا" .

وأما هُونِينُ ، فبهاء مضمومة وواو ساكنة ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحتُ ساكنة ونون فى الآخر . قال فى "مسالك الأبصار" : وهما حصنان بُنِيَا بعد الخمسمائة بين صُورَ وبانياس بجبل عاملةَ المتقدّم ذكره فى جبال الشام المشهورة ، وجعل العثمانىّ فى "تاريخ صَفَد" قلعة هُونِينَ من عمل الشَّقِيف ، وأهل هذا العمل شيعةٌ رافضة .

الخامس — (عمل عَثْلِيثَ) — بفتح العين المهملة وإسكان الثاء المثلثة وكسر اللام وسكون الياء المثناة تحت وثاء مثلثة فى الآخر — وهى كورة بين قاقُونَ وعَكَّا ، فيها قُرًى متسعة وليس بها مقرّ ولاية معلوم . قال العثمانىّ فى "تاريخ صَفَد" : وفى آخر هذا العمل بلاد قاقُونَ وهو آخر الأعمال الصفَدِيَّة .

السادس — (عمل عَكَّا) — بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وألف فى الآخر — وهى مدينة من سواحل الشام . قال العثمانىّ فى "تاريخ صَفَد" : بَنَاها عبد الملك بن مَرْوان ، ثم غلبت عليها الفرنج ، ثم آنتزعها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم غلبوا عليها ثانيا ، ثم آستُرْجِعت . وهى واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال فى " تقويم البُلْدان " : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وقيل غير ذلك ؛ وقد خَرِبت بعد أن آسترجعها المسلمون من الفرنج فى سنة تسعين وستمائة فى الدولة الأشرفية "خليل بن قلاوون" ؛ وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام ؛ وبينها وبين طَبَرِيَّةَ أربعة وعشرون ميلا ؛ وكانت هى قاعدةَ هذا الساحل قبل صَفَدَ . فلما خربت أقيمت صَفَدُ مقامها وصارت هى ولاية .

السابع ـ (عمل صُورَ) ـ بضم الصاد المهملة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر ـ وهي مدينة قديمة بساحل دِمَشْق، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة وثنتان وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمس دقائق . وبناؤها من أعظم أبنية الدنيا ؛ وكانت من أحصن الحصون التي على ساحل البحر ؛ فلما فتحها المسلمون في سنة تسعين وستمائة مع عكّا خَرَّبُوها خوفا أن يتحصن بها العدوّ، وهي خراب إلى الآن . ويقال إنها أقدم بلد بالساحل ، وإن عامة حكماء اليونان منها . قال الشريف الإدريسيّ : وكان بها مَرْسًى ، يدخل إليه من تحت قنطرة عليها سِلْسِلة تمنع المراكب من الدخول . قال في "التعريف" : وبصُورَ كنيسةٌ يقصِدها ملوك من البحر عند تمليكهم فيُمَلَّكون ملوكَهم بها ، إذ لا يصح تمليكهم إلا منها . قال : وشرطهم أن يدخلوها عنوة ، ولذلك لا يزال عليها الرِّقْبَةُ، ومع ذلك يأتونها مباغتة فيقضون أرَبَهم منها ثم ينصرفون ؛ وسُكّان هذا العمل رافضة لا يشهدون جمعةً ولا جماعة .

الثامن ـ (عمل الشَّاغُورِ) ـ بألف ولام لازمتين وشين معجمة مشدّدة مفتوحة بعدها ألف ثم غين معجمة مضمومة بعدها واو ساكنة وراء مهملة في الآخر ـ وهي كُورَةٌ بين عَكّا وصَفَد والناصرة؛ بها قرى متسعة ، وليس بها مقرّ ولاية معروف، وعدّها[1] العثمانيّ في "تاريخ صَفَد" شاغورين .

أحدهما ـ شاغور النعمة[2] . وهو جبل به قُرًى عامرة . قال : وبالنعمة[2] دير به مصطبة إذا بات عليها مَنْ به جنون شُفِي بإذن الله .

---

(١) في الضوء "وجعلها" وهي أوضح .

(٢) كذا في الأصل بإهمال حروفها ـ وفي الضوء "النعبة" ولم نجدها بعد البحث .

والثانى ـ شاغور غرابة، وفيه عدّة قرى، وبه مقام أولاد يعقوب عليه السلام، وهو من المَزَارات المشهورة .

التاسع ـ (عمل الإقْليم) ـ بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر ـ وهى كورة بين دِمَشْق والشُّغْر والخُرْبة، بها قرى متسعة وليس بها مقر ولاية .

العاشر ـ (عمل الشَّقِيف) ـ بفتح الشين المعجمة وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحت ثم فاء ـ ويُعرف بشَقِيف أَرْنُونَ (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو ثم نون فى الآخر) . قال فى "المشترك" : وهو اسم رجل أضيف الشقيفُ إليه ، ويُعرف أيضا بالشَّقِيف الكبير . وهو حصن بين دِمَشْق والساحل، بعضه مَغَارة منحوتة فى الصخر، وبعضه له سُور . وهو فى غاية الحَصَانة وعلى القرب منه شَقِيف آخرُ يعرف بشقيف تِيرُونَ (بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحتُ وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر) وهى قلعة حصينة من جُنْد الأُرْدُنِّ على مسيرة يوم من صَفَدَ فى سَمْت الشمال . قال فى "مسالك الأبصار": وليست من بلاد صَفَد، وأهل هذا العمل رافضة .

الحادى عشر ـ (عمل جِينِينَ) ـ بجيم مكسورة وياء مثناة تحتُ ساكنة ونون مكسورة ومثناة تحتُ ثانية ساكنة ونون فى الآخر ـ وهى بلدة قديمة متسعة ، وهى مُرَكَّبة على كتفَ واد لطيف به نهر ماء يجرى ؛ وهى فى الشمال عن قاقُونَ على نحو مرحلة ، فى رأس مَرْج بنى عامر ، وبها مقام دِحْيَةَ الكلبىّ : صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم !

ومن أعمالها (اللَّجُّونُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح اللام المشدّدة وضم الجيم المشدّدة . وهى قرية قديمة فى جهة الغرب عن بَيْسَانَ، على نصف مرحلة منها .

قال فى "كتاب الأطوال" : موضعها حيث الطول سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرضُ آثنتان وثلاثون درجة. وبالّجُون مقام الخليل عليه السلام، وبها ينزل الملوك علىٰ مصطبة هناك معدّة لذلك . قال فى "مسالك الأبصار" : ومن عملها (قَدَس). وكان معها قديما (السَّوادُ وبَيْسانُ) وخرجا عنهما، ثم قال : ومما يذكر فيها (حَيْفَا). وهى خراب علىٰ الساحل، و (قلعة كَوْكب). وهى التى يقول فيها العماد الأصفهانى : راسية راسخة، شمّاء شامخة . وقلعة (الطور) وهى مفردة علىٰ جبل الطُّور، بناها العادل أبو بكر بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها .

قلت : وآقتصر فى "التعريف" : علىٰ ولاية بَرْصَفَد وولاية الشَّقِيف، وولاية جِينِين، وولاية عَكَّا، وولاية النَّاصِرَة، وولاية صُورَ، من غير زيادة علىٰ ذلك .

القاعدة السادسة

(من قواعد المملكة الشامية الكَرَكُ، وفيها جملتان)

الجملة الأولىٰ

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الكاف والراء المهملة ثم كاف ثانية، والألف واللام فى أولها غير لازمتين . وتعرف بكَرَك الشَّوْبَكِ لمقاربتها لها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من البَلْقاء وَهْما، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال آبن سعيد : وطولها سبع وخمسون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة وخمس دقائق . وهى مدينة محدَثة البناء كانت دَيْرا يتديّره رُهْبان، ثم كثُروا فكبّروا بناءه وأوىٰ إليهم من يجاورهم من النصارىٰ، فقامت

لهم به أسواق ودرّت لهم فيــه معايش، وأوت إليه الفرنج فأداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة، ثم بنَوْا به قلعة حصينة من أجلّ المعاقل وأحصنها، وبقى الفرنج مستولين عليه حتى فتحه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" رحمه الله على يد أخيه العادل أبى بكر.

قال فى "التعريف" : وكانوا قد عملوا فيــه مراكب ونقلوها إلى بحر القُلْزُم لقصد الحجـاز الشريف لأمور سوّلتها لهم أنفسهم، فأوقع الله تعـالى بهـم العزائم الصلاحية، والهمم العادلية، فأُخذُوا، وأمر بهم السلطانُ صلاح الدين فحملوا إلى منى ونحِروا بها على جَمْرة العقبة حيث تُنحَر البُدْنُ بها، واستمرّت بأيدى المسلمين من يومئذ واتخذها ملوك الإسلام حِرْزا، ولأموالهم كَنْزا، ولم يزل الملوك يستخلفون بها أولادهم ويُعِدّونها لمخاوفهم، وهو بلد خِصْب، بِواديه حَمّام وبساتين كثيرة وفواكه مفضّلة. قال البلاذرىّ فى "فتوح البُلْدان" : وكانت مدينة هذه الكُورة فى القديم الغُرُنْدُلَ .

الجملة الثانيـــــة

(فى نواحيهـا وأعمالهـا)

قال فى "التعريف" : وحدّها من القِبْلة عَقَبة الصَّوّان، وحدّها من الشرق بلاد البلقاء، وحدّها من الشِّمال بحيرة سَدُوم المتقدّم ذكرها، وحدّها من الغرب تِيهُ بنى إسرائيل . ولها أربعة أعمال .

الأوّل — (عمل بَرّها) المختص ببلادها كما فى غيرها من القواعد المتقدّمة .

الثانى — (عمل الشَّوْبَكِ) — بألف ولام لازمتين وفتح الشين المعجمة المشدّدة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وكاف فى الآخر. قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من جبل الشَّراة، وموقعها فى الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : طولها ست وخمسون

درجة، وعَرْضُها إحدىٰ وثلاثون درجة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ثمانٍ وخمسون درجة ، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة . وهى بلدة صغيرة أكثر دخولا فى البر من الكَرَك، ذاتُ عيون وجداولَ تجرى ، وبساتينَ وأشجار وفواكه مختلفة . قال فى"العزيزى" : ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض علىٰ تَلٍّ مرتفع أبيض مطلٍّ علىٰ الغَوْرِ من شرقيه . قال فى "تقويم البُلْدان": ويَنْبُعُ من تحت قلعتها عينان : إحداهما عن يمينها والأخرىٰ عن يسارها كالعينين للوجه يجريان للبلد ، ومنهما شرب أهلها وبساتينها . قال : وكانت بأيدى الفرنج مع الكَرَك وفتحت بفتحها ، وأقطعها السلطان صلاح الدين مع الكَرَك لأخيه العادل فأعطاهما لابنه المعظَّم عيسىٰ ، فاعتنىٰ بأمرهما وجلب إلىٰ الشَّوْبَكِ غرائبَ الأشجار حتّٰى تركها تُضاهِي دِمَشْقَ فى بساتينها وتَدَفُّقِ أنهارها وتزيد بطيب مائها .

قلت : وذكر فى " مسالك الأبصار" : لها عملين آخرين .

الثالث — (عمل زُغَرَ) — بضم الزاى وفتح الغين المعجمتين وفى آخرها راء مهملة — وهى مدينة قديمة متصلة بالبادية سميت بِزُغَرَ بنت لوط عليه السلام . قال فى " تقويم البلدان " : وهى حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثلاثون درجة وكسر .

الرابع — (عمل مُعَانَ)(1) بضم الميم وفتح العين المهملة وألف ثم نون . قال ابن حوقل : وهى مدينة صغيرة كان يسكنها بنو أميّة ومواليهم . قال فى " مسالك الأبصار" : وقد خربت هى وعملها ولم يبق بها أحد ، وتعرف بمُعَانِ بن لوط عليه السلام . قال فى "كتاب الأطوال" : وهى حيث الطول سبع وخمسون درجة والعرض ثلاثون درجة . قال فى " تقويم البُلْدان" : وبينها وبين الشَّوْبَك مرحلة .

---

(1) ضبطها ياقوت بالفتح ثم قال "والمحدثون يروونه بالضم" .

الطَّـــرَف الثــانى

(من الفصل الثانى، من الباب الثالث، من المقالة الثانية، فيمن ملك البلاد الشامية ؛ وملوكُها علىٰ قسمين)

القســـــم الأوّل

(ملوكها قبل الإسلام)

ولم يزل مجموعا قبل الإسلام لملك واحد : إما بمفرده وإما مع غيره .

وملوكه فى الجاهلية علىٰ أربع[1] طَبَقات .

الطبقـــة الأولى

(ملوكها من الكَنْعَانِيِّيــنَ)

وهم بنو كَنْعَان بن مازيع بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل هم من ولد سام ابن نوح . وكان كَنْعَانُ قد نزل الشام بجهة فِلَسْطِينَ عند تبلبل الألسنة بعد الطُّوفان ، وتوارثها بَنُوه بعد ذلك ، وكان كل مَنْ ملك منهم يلقب بجالُوتَ إلىٰ أن انتهىٰ المُلْكُ إلىٰ رجل منهم اسمه كلياذ ، وهو جالوتُ الذى قتله داود عليه السلام ، وبقتله تفرّق بنو كَنْعانَ وبادَ مُلْكُهم وزال . وكان فى خلال ذلك بَتَيْاءَ من أطراف الشام ملوك من العَمَالقة ، وهم بنو عِمْلِيق بن لاوَذ بن سام[2] بن نوح عليه السلام ، انتقلوا إليه من الحجاز ، وهم الذين قاتلهم موسىٰ عليه السلام ؛ وكان آخِرَ من ملك منهم الشامَ والحجازَ الأرقمُ بن الأرقم الذى قتله بنو إسرائيل حين وجَّهَهم موسىٰ عليه السلام فى آخر عمره إلىٰ الحجاز علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ ملوك المدينة إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) المعدود خمس .

(٢) فى القاموس "لاوذ بن إرم بن سام" .

الطبقة الثانيـــــة

(ملوكها من بنى إسرائيـــل)

وأولهم (طالوتُ) الذى ذكره الله تعالىٰ فى القرءان بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ وآسمه شاول (١) بن قيس، ولم يكن لهم قبل ذلك مَلِك بل حُكّام وقُضَاة يحكمون؛ وبقِىَ حتّى قتل فى قتال الفِلَسْطِينِيّينَ .

وملك بعده (داودُ عليه السلام) وكانت دارُ ملكه بالقُدْس؛ وفتح فتوحات كثيرة من أرض فِلَسْطِين وعُمَـانَ ومآرِب وحَلَبَ ونَصِيبِينَ وغير ذلك، فأقام فى الملك أربعين سنة .

وتولّى ذلك بعده آبنه (سُلَيْمَانُ عليه السلام) وعمره آثنتا عشرة سـنة، وعَمَر بيت المَقْدِس وفَرَغ منه فى سبع سنين، وتُوُفِّىَ لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده آبنه (رُحُبْعُم) علىٰ سِبْطَيْنِ من بنى إسرائيل خاصّةً، وخرج عنه عشرة أسباط فملّكوا عليهم غيره، وبقِى فى الملك سبعَ عشرةَ سنة .

[وملك بعده آبنه (أثيا) وهلك لثلاث سنين] (٢) .

وملك بعده آبنه (أَسَا) إحدىٰ وأربعين سنة وتوفى .

فملك بعده آبنه (يَهُوشا فاط) خمسا وعشرين سنة وتوفى .

فملك بعده آبنه (يَهُورام) ثمـان سنين وتوفى .

فملك بعده آبنه (أَحُزْيَاهُو) ستين سنة، وتُوُفِّى فبقِى المُلْك شاغِرًا فحكَمَتْ فيه آمرأة ساحرة آسمها غثليا (٣) فأقامت فى الملك سبع سنين .

(١) كذا فى حاشية الجمل أيضا وفى "مروج الذهب" "ساود بن بشر" وهو تصحيف .
(٢) الزيادة عن آبن خلدون فى العبر (ج ٢ ص ١٠١) .
(٣) أفاد فى العبر أنها أم أحز ياهو .

ثم ملك بعدها (يُوَاش) فأقام فى الملك أربعين سنة ومات .

فملك بعده ابنه (أَمَصْياهُو) تسعا وعشرين سنة وتوفى .

فملك بعده (عُزِّيَاهُو) اثنتين وخمسين سنة وتوفى .

فملك بعده ابنه (يؤثم)(١) ستَّ عشرةَ سنة ؛ ويقال إن يونس عليه السلام كان فى زمنه .

ثم ملك بعده ابنه (آحَاز) ستَّ عشرة سنة أيضا ، وكانت الحرب بينه وبين ملك دِمَشْقَ ؛ وفى زمنه كان شُعَيْبٌ عليه السلام ، وتوفى .

فملك بعده ابنه (هُوحِزْقِيَّا) وانقاد له بقيةُ الأسباط فملك جميعَهُم ، وأقام فى الملك تسعا وعشرين سنة ثم توفى .

فملك بعده ابنه (مَنَشَّا) خمسا وخمسين سنة ثم توفى .

فملك بعده ابنه (أَمُون) سنتين [وقيل ثنتى عشرة](٢) سنة وتوفى .

فملك بعده ابنه (يُوشِيَا) إحدى وثلاثين سنة ، وجدّد عمارة بيت المقدس ، ثم توفى .

فملك بعده ابنه (يهوياجور) ثلاثة أشهر ، وغزاه فرعون مصر فأخذه أسيرا .

وملك بعــده أخوه (يهوياقيم) إحدى عشرة سنة ودخل تحت طاعة بُخْتَ نَصَّرَ ، ثم استخلف بُخْتَ نَصَّر مكانه ابنَه (يُخْنيُو) بن يهوياقيم فأقام مائة يوم .

ثم استخلف مكانه عَمَّه صِدْقِيا) إحدى عشرة ســنة ، فأقام على طاعة بختَ نَصَّر تسع سنين ، ثم عصى عليه فجهز إليه جيشا ففتح المَقْدِس بالسيف وحرّقه وهدَمَ بيت المَقْدِس الذى بناه سليمان عليــه السلام وأخذ صدقيا المذكورَ أسيرا ، وهو آخر من ملك منهم . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فإذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَـا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية .

---

(١) فى العبر "يؤاب" . (٢) الزيادة عن ابن خلدون فى "العبر" .

الطبقة الثالثـــــة

(ملوكها من الفُرْس)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ ملوك مصر أن بُخْتَ نَصَّر كان نائبا لبهراسف ملك الفُرْس إلىٰ حين غلبته علىٰ الشام فآستقرّ الشأم فى مملكة الفُرْس مع مصر من لدن بهراسف المذكور إلىٰ غلبة الإسْكَنْدَر علىٰ دَارَا ملكِ الفُرْس علىٰ ما تقدّم فى الكلام علىٰ ملوك مصر، وفى خلال ذلك عُمِر بيت المَقْدِس بعد أن بقى سبعين سنةً خرابا من تخريب بُخْتَ نَصَّر . وآختلف فيمن عَمَره، فقيل أردشير، وقيل آبنه دارا ؛ واليهود تسمّى الذى عَمَره من الفُرْس كِيرش ويقال كُورش .

الطبقة الرابعـــــة

(ملوكها من اليونان)

وأوّل من ملك الشَّأْمَ منهم الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس حين ظهر علىٰ ملوك الفُرْس مضافا إلىٰ مصر، وبقى علىٰ ذلك حتّى مات، فملك بعضَ الشام مع العراق انطياخس، وملك بعضَــه مع مصر البَطَالسـةُ من ملوك اليونان من ولد بطليموس المنطيقى إلىٰ حين آنقراضهم بقتـل أغشطش ملك الروم قُلُوبطرا آخر ملوكهم بمصر علىٰ ما تقـدّم ذكره فى الكلام علىٰ ملوك الديار المصرية .

الطبقة الخامســـة

(ملوكها من الروم)

وأوّل من ملكها منهم أغشطش المقدّم ذكره حين غلب علىٰ قلوبطرا آخر ملوكهم، وبقى بأيدى الرُّوم إلىٰ حين الفتح الإسلامىّ، يتداولونه مع مصر مَلِكا بعد ملك علىٰ ما تقدّم فى الكلام علىٰ ملوك الديار المصرية .

القســـم الثـانى

(من ملوك الشام ملوكه[1] فى الإسلام، وهم علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(عُمَّال الصحابة رضوان الله عليهم فَمَنْ بعدهم من نُوَّاب الخلفاء
إلىٰ حين آستيلاء الملوك عليه)

وأوّل من وليه فى الإسلام (أبوعُبَيْدَةَ بْنُ الجرّاح) رضى الله عنه، عند فتحه فى خلافة أمير المؤمنين: عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه، ثم صُرِف عنه ووليه (مُعاويةُ بن أبى سفيان) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا، فبقِىَ إلىٰ أن سلَّم الحسنُ إليه الأمرَ ونزل له عن الخلافة فى سنة إحدىٰ وأربعين من الهجرة، وتوالَتْ عليه خلفاء بنى أُمَيَّةَ، وآختاروه دارا لخلافتهم من لدن معاوية وإلىٰ آنقراض دولتهم بقتل (مَرْوَانَ بن محمد) آخر خلفائهم علىٰ ما تقدّم ذكره فى الكلام علىٰ مَنْ ولى الخلافة .

ثم كانت دولة بنى العباس فوَلِيَهـا فى خلافة السَّفَّاح عَمُّه (عبـد الله بن علىّ بن عبد الله بن عبـاس) فى سنة آثنتين وثلاثين ومائة، فبقِىَ أيامَ السفَّاح وبعضَ أيام المنصور بعده، ثم صرفه المنصور بولاية (أبى مسلم الخراسانى) الشامَ ومصرَ فى سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم قتله المنصور بعد ذلك فى السنة المذكورة . وتوالى عليه بعد ذلك عُمَّال خلفاء بنى العباس إلىٰ أن وليها (عبد الصمد) بن علىّ، ثم عزله الرشـيد وولّى مكانه (إبراهيمَ بن صالح بن علىّ) ثم توالت عليـه العُمَّال إلىٰ أن غلب عليه (أحمد بن طولون) مع مصر علىٰ ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) سلك فى التعبير عن الشأم سبيلى التأنيث والتذكير، والأمر واضح .

الضرب الثانى
(من وليها ملكا)

قد تقدّم أن القواعد العظام بالشأم ستّ قواعد : وهى دِمَشْق، وحَلَب، وحَمَاة، وأَطْرَابُلُس، وصَفَد، والكَرَك . وكل قاعدة من القواعد الست تشتمل على مملكة .

فأما (دِمَشْق) فأوّل ملوكها (أحمد بن طُولُون) صاحب مصر بعد موت مُقْطَعها أماجور فى سنة أربع وستين ومائتين؛ وذلك أوّل آجتماع مصر والشأم لملك واحد فى الإسلام؛ ثم ملكها بعده مع مصر آبنه (خُمَارَوَيْه)(١)؛ ثم (هارون بن خمارويه)، وكان طغج بن جف نائبا عنهما بها ، وفى أيام هارونَ تغلبت القرامطةُ على دِمَشْق؛ ثم آنتزعها منهم (المكتفى بالله) خليفةُ بَغْدادَ فى سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وأقام عليها (أحمد بن كيغلغ) أميرا ، فبقى بها بقية أيام المكتفى ، ثم أيام المقتدر ، ثم أيام الظاهر . فلما وَلِىَ الراضى الخلافةَ ، عزله عنها فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، وولّى عليها (الأخشيد) وهو محمد بن طغج بن جف ، وذلك قبل أن يلىَ مصر فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فآستناب على دِمَشْق بدرا الأخشيدىّ ، فانتزعها منه (محمد بن رائق) فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، وآستخلف عليها (أبا الحسين أحمد بن علىّ بن مقاتل) فى سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ثم آنتزعها منه (الأخشيد) المقدّم ذكره بعد ذلك وبقيت معه حتّى مات فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، فوليها بعده آبنه (أُنُوجُور) وهو صغير ، وقام بتدبير دولته كافور الأخشيدىّ الخادم ، ثم آنتزعها منه (سيف الدولة بن حَمْدَان) صاحبُ حَلَبَ الآتى ذكره ، ثم آنتزعها منه (كافور الأخشيدىّ) المقدّم ذكره وولّى عليها بدرا الأخشيدىّ الذى كان بها أوّلا ، فأقام بها سنة ؛ ثم وليها (أبو المظفّر

(١) لعله سقط قبله "جيش بن خمارويه" فان ابن طغج كان نائبا عن جيش وهارون كما يؤخذ مما سيأتى له فى الكلام على حلب .

آبن طغج)، ثم لمـا مات أنوجور بن طغج، ملكها مع مصر أخوه (علىّ بن طغج) ثم (كافور) بعده، ثم (أحمد بن علىّ بن الأخشيد) بعده، وهو آخر مَنْ ملك منهم على ما تقدّم فى الكلام على ملوك مصر .

***

ثم كانت الدولة الفاطمية بمصر: فملكها (جوهرٌ) قائد المُعزّ الفاطمىّ وخطب بها لمولاه المُعز وأذَّن بحىَّ على خير العمل فى سـنة تسع وخمسين وثلثمائة ، وقطعت الخطبة العبّاسية منها، وأقام بها جعفر بن فلاح نائبا، ثم تغلبت القرامطةُ عليها فى سنة ستين وثلثمائة، ثم اقتلعها منهم (المُعزّ) وولّى عليها رَيّان الخادم، ثم غلب عليها (افتكين) مولى معز الدولة بن بويه الدّيلمىّ ، وقطع الخطبة منهـا للمُعزّ الفاطمىّ ، وخطب الخليفة بغداد فى سـنة أربع وستين وثلثمائة ، ثم آنتزعها (المعز الفاطمىّ) بعد ذلك وقبض عليـه، وأحضره معه إلى مصر، ثم بعد موت المعز وولاية آبنه العزيز تغلب عليها شخص آسمه (قسام) إلا أنه كان يخطب فيها للعزيز، ثم آنتزعها منه (العزيز) وقرر فيها (بكتكين) فى سنة آثنتين وسبعين وثلثمائة، ثم آنتزعها منه (بكجور) مولى قَرْعويه صاحبُ حَلَبَ بأمر العزيز الفاطمىّ صاحب مصر فى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ، ثم انتزعها منه وقرر فيها (منيرا الخادم) فى سنة سبع وسبعين وثلثمائة ، ثم آستعمل الحـاكم بن العزيز الفاطمىّ عليها (أبا محمد الأسود) فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، ثم آنتزعها منه (أنوش تكين) الدِّزْبِرىّ[1] بأمر المستنصر الفاطمىّ فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم أمرَ[2] بالخروج عن طاعته فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، فخرج عنها وفسد أمرها بذلك، ثم تغلب عليها (أتسز بن أرتق) الخوارزمىّ أحد أمراء السلطان

(١) الضبط عن أبى الفداء، ونسبه الى دزبر بن رويتم الديلمى .

(٢) أى أمرَ المستنصر أهل دمشق بالخروج عن طاعة الدزبرى .

ملكشاه السَّلْجُوقيّ في سنة ثمان وستين وأربعمائة، وقطع الخطبةَ بها للمستنصر الفاطميّ وخطب للمقتدى العباسيّ، ومنع من الأذان بحيّ على خير العمل، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين، ثم غلب عليها (تُتُش بن ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق. وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوفي؛ فملكها بعده ابنه (دقاق) وأشرك معه في الخطبة أخاه رضوان صاحب حَلَب مقدّما لرضوان في الذكر في الخطبة بعد حربٍ جرت بينهما، وتوفي دقاق سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فخطب طغتكين أتابك دولتــه لابن دقاق، وهو طفل عمره سنة واحدة، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتــاش بن تُتُش، ثم قطع الخطبــة لبلتاش وأعاد الخطبة للطفل، وهو آخر من خطب له بدِمَشْقَ من بني سلجوق؛ ثم استقر (طغتكين) المقدّم ذكره في ملك دِمَشْقَ بنفســه، وبقي حتّى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعــده ابنه (تاج الملوك توري) بعهد من أبيه، وتوفي ســنة ست وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده ابنه (شمس الملوك إسماعيل) بعهد من أبيه.

ثم ملك بعــده أخوه (شهاب الدين محمود بن توري) فبقي حتّى قتل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وملك بعــده ابنه (مجير الدين أرتق) وفي أيامه تغلبت الفرنج على ناحية دِمَشْقَ.

ثم انتزعها منهم الملك العادل (نورالدين محمود بن زنكي) المعروف بنورالدين الشهيد وملكها في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، واجتمع له ملكُ سائر الشام معها، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل كدِمَشْقَ وحَمَاةَ وحِمْصَ وحَلَبَ وشَــيْزَرَ وبَعْلَبَكّ وغيرها؛ وتوفي فملك بعده ابنه (الملك الصالح إسماعيل) وعمره إحدى عشرة سنة، وبقي بها حتّى انتزعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) صاحبُ مصر في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها أخاه سيفَ الإسلام طغتكين بن أيوب؛

ثم آستخلف عليها السلطان صلاح الدين بعد ذلك آبن أخيه عزّ الدين (فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) فى ســنة ست وسبعين وخمسمائة ؛ ثم صرفه عنها وقرّر فيها آبنه الملك الأفضــل (نورَ الدين عليا) ؛ وهو الذى وُزِّر له الوزير ضــياء الدين بن الأثير صاحب "المثل السائر" .

ثم آنتزعها منه أخوه الملك العزيز (عثمان آبن السلطان صلاح الدين) صاحب مصر بعد وفاة أبيه بمعاضدة عمه العادل أبى بكر فى سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة ، والخليفةُ يومئذ ببغداد الناصرُ لدين الله . وكان يميل إلىٰ التشيُّع ، فكتب إليه الأفضل علىٌّ يستجيشه علىٰ أخيه العزيز عثمانَ وعمه العادل أبى بكر، من شعره :

مَوْلَاىَ ! إنّ أبا بَكْرٍ وصَاحِبَه * عُثْمَانَ قد غَصَبَا بالسَّيْفِ حَقَّ عَلِي !
فانْظُرْ إلىٰ حَظِّ هذا الآسْمِ كَيْفَ لَقِي * من الأوَاخِرِ ما لَاقىٰ منَ الأُوَل !

فكتب إليه الناصر لدين الله فى جوابه :

غَصَبُوا عَلِيًّا حَقَّهُ إذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النبيِّ له بيَــثْرِبَ نَاصِرُ
فاصْبِرْ فإنّ غدًا عليك حِسَابُهُمْ * وآبْشِرْ فَنَاصِرُكَ الإمَامُ النَّاصِرُ !

ولكنه لم يجاوز القولَ إلىٰ الفعل ؛ ثم سلمها العزيز بعد ذلك لعمه (العادل أبى بكر) فقرّر فيها آبنه الملك المعظم عيسىٰ مضافة إلىٰ ما بيده من الكَرَك والشَّوْبَك ، وكان يخطب فيهــا لأبيه العادل ، ثم لأخيه الكامل محمد صاحبِ مِصْرَ ، وبقى حتّى توفى فى سنة أربع وعشرين وستمائة ، وملك بعده آبنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) ، وهو صغير .

ثم آنتزعها منه الملك الناصر (محمد بن العادل أبى بكر) صاحب مصر وآستخلف فيها أخاه الملك الأشرف مظفر الدين موسىٰ بن العادل أبى بكر ، فبقى حتّى توفى فى سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وملكها بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبى بكر) بعهد منه [فانتزعها منه الملك الكامل بن العادل أبى بكر] (١) فى جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة وتوفى (٢) فى السنة المذكورة .

فملك بعده الملك الجواد (يونس بن مودود) (٣) بن العادل أبى بكر .

ثم انتزعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن العادل أبى بكر فى سنة ست وثلاثين وستمائة ، ثم أقام فيها الملكَ المغيثَ فتحَ الدين عمر نائبا عنه .

ثم انتزعها منه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبى بكر) صاحب بَعْلَبَكَّ فى سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم انتزعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل محمد صاحب مصر وتسلمها له (معين الدين بن الشيخ) فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة وتوفى قبل أن يتسلمها فتسلَّمها له حسامُ الدين بن أبى علىّ فى السنة المذكورة ، ولم تزل بيد نوّاب الصالح أيوب حتّى مات فى سنة سبع وأربعين وستمائة .

ثم ملكها بعد وفاته (الملك الناصر يوسف) بن العزيز محمد صاحب حَلَبَ فى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فبقى بها إلى أن غلب عليها هُولاكُو فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ؛ وكان آخر أمر الناصر المذكور أنه لحق بهُولاكو المذكور فأقام عنده مدّة ثم قتله .

* * *

ثم كانت الدولة التركية فملكها منهم (الملك المظَفَّر قُطُز) صاحب مصر حين غلبته التتّار على عين جالوت ، ثم توالى عليها نُوّاب ملوك الترك من لدن المظفر قُطُز وإلى

(١) الزيادة عن أبى الفداء ليستقيم الكلام .

(٢) أى الملك الكامل .

(٣) أى نائبا عن العادل بن الكامل .

سلطنة (النـاصر فرج) بن الظاهر برقوق فى زماننا على ما تقدّم ذكره فى الكلام على ملوك الديار المصرية ؛ ولم أقف على أسمـاء نُوّابها لطول المدّة وقلة آعتناء المؤرّخين بذكر أسمائهم .

* * *

وأما حَلَبُ فقد تقدّم أن منزلَ الجند فى آبتداء الإسلام كان بقِنَّسْرِينَ، ثم طرأت عليها حلب بعد ذلك وأضعفتها . ولعل آبتداء أمرها كان فى آبتداء الدولة الطُّولونية، وقد كان أحمد بن طولون آستولى عليها حين آستيلائه على دِمَشْقَ وصارت فى ملكه تَبَعا للديار المصرية كدِمَشْقَ . وكان بها نوابه ثم نواب آبنه خُمَارَوَيْه، ثم نواب جيش آبن خمـارويه، ثم هارون بن خمارويه فى نيـابة طغج بن جفّ عن هارون وجيش المذكورين؛ ثم كانت مع دِمَشْقَ فى نيابة أحمد بن كيغلغ، ثم فى نيابة الأخشيد محمد آبن طغج بن جف قبـل أن يلىَ مصر، ثم فى نيابة بدر الأخشيدى على ما تقـدّم فى الكلام على مملكة دِمَشْقَ .

ثم آنتزعها من بدر الأخشيدى (سيفُ الدولة بن حمدون) التغلبىّ الربعىّ؛ وملكها فى سنة ثلاث وثلثمائة، وبقى بها حتّى توفى فى سنة ست وخمسين وثلثمائة؛ وملكها بعده آبنه (سعد الدولة أبو المعالى شريف) .

ثم آنتزعها منه (قرعويه) غلام أبيه فى سنة ثمـان وخمسين وثلثمائة، ثم غلب عليها (بكجور) غلام قرعويه المذكور بعد ذلك وآقتلعها منه .

ثم آنتزعها منه (سعد الدولة) المقدّم ذكره، ثم تقلد بها أبو علىّ بن مروان من الخليفة الفاطمىّ يومئذ بمصر فى سنة ثمـانين وثلثمائة ولم يدخلها، وبقيت بيد سعد الدولة المذكور حتّى توفى بالفالج فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

ثم ملك بعده آبنه (أبو الفضل) مكانه .

ثم آنتزعها منه (أبو نصر بن لؤلؤ) وخطب بها للحاكم الفاطمىّ، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى نوابه بها فتسلموها منه وآستقرّت بأيديهم حتّى آنتهت إلى نائب من نوابه آسمه (عزيز الملك) فبقِىَ بها بقية أيام الحاكم وبعض أيام آبنه الظاهر، ثم وليها عن الظاهر رجل يقال له (آبن شعبان) ثم تغلب عليها (صالح بن مرداس) أمير بنى كلاب فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة، ثم قتل فى أيام الظاهر الفاطمىّ فملكها بعده (شبل الدولة نصر بن صالح).

ثم آنتزعها منه (أنوش تكين الدِّزْبِرِىّ) بأمر المستنصر العَلَوىّ فى شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وبقى حتى توفى فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وملكها بعده (معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس) ثم ملك قلعتها بعد ذلك فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ثم تسلمها منه مكين الدولة (الحسن بن علىّ بن ملهم) فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك.

ثم آنتزعها منه (محمود بن شبل الدولة) بن صالح المقدّم ذكره، وملك قلعتها فى سنة آثنتين وخمسين وأربعمائة.

ثم آنتزعها منه (معز الدولة ثمال بن صالح) فى ربيع الأوّل سنة آثنتين وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتّى توفى فى ذى القَعْدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

وملكها بعده أخوه (عطية بن صالح) فى السنة المذكورة.

ثم آنتزعها منه آبن أخيه (محمود بن شبل الدولة) المقدّم ذكره فى رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتّى توفى فى ذى الحِجّة سنة ثمان وستين وأربعمائة.

وملكها بعده آبنه (نصر بن محمود) ثم قتله التُّرْكُمان.

وملكها بعده أخوه (سابق بن محمود).

ثم آنتزعها منه شرف الدولة (مسلم بن قريش) صاحب المَوْصِل، وقتل فى صفر سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (إبراهيم بن قريش) .

ثم آنتزعها منه (تُتُش بن ألب أرسلان) السَّلْجُوقىّ صاحب دِمَشْقَ فى السنة المذكورة .

ثم آنتزعها منه (السلطان ملكشاه السلجوقىّ) وسلمها إلى قسيم الدولة آقسنقر، ثم آستعادها (تُتُش بن ألب أرسلان) المقدّم ذكره بعد موت ملكشاه وآستضافها إلى دِمَشْقَ، وآنبسط ملكُه حتّى ملك بعد ذلك أذْرَبِيجان، وبقى حتّى قتل فى صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملكها بعده آبنه (رِضْوان) فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وبقى حتّى توفى فى سنة سبع وخمسمائة .

وملكها بعده آبنه (سلطان شاه بن رِضْوان) .

ثم آنتزعها منه (ايلغازى بن أُرْتُق) صاحب مارِدِينَ وسلمها إلى ولده حسام الدين تمرتاش، ثم غلب عليها (سليمان بن أرتق) وعصى بها على أبيه فآنتزعها أبوه منه وسلّمها إلى آبن أخيه (سليمان بن عبدالجبّار بن أرتق) فى رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة .

ثم آنتزعها منه عمه (بلك بن بهرام بن أُرْتُق)، وبقى بها حتّى قتل فى سنة سبع عشرة وخمسمائة، وملكها بعده آبن عمه (تمرتاش بن ايلغازى) فى ربيع الأوّل من السنة المذكورة، ثم حاصرها الفرنج، وهى فى يده فخلصها منهم آقْسُنقر البُرْسُقىّ صاحب الموصل، وملّكها مع مارِدِينَ فى السنة المذكورة، وبقى حتّى قتلته الباطنية فى سنة عشرين وخمسمائة .

وملكها بعده آبنه (عز الدين مسعود) وآستخلف بها أميرا من أمرائه آسمه قايماز، ثم آستخلف عليها بعده رجلا آسمه كيغلغ .

ثم آنتزعها منه (سليمان بن عبد الجبار) بن أُرْتُق المقدّم ذكره .

ثم آنتزعها منه (عماد الدين زنكى): صاحب المَوْصِل فى المحرّم سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة ، وملك معها حماةَ وحِمْص و بَعْلَبَكّ، و بقى حتّى قتله غلمانُه فى ربيع الأوّل سنة إحدىٰ وأربعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده آبنه الملك العادل (نور الدين محمود) و بقى إلىٰ أن توفّى .

وملك بعده آبنه (الصالح إسماعيل) فبقى بها بعد ملك السلطان صلاح الدين يوسف آبن أيوب دِمَشْقَ حتّى توفّى بها فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وملكها بعده بوصية منه آبن عمه (عز الدين مسعود) بن مَوْدُود بن زنكى بن مودود فى السنة المذكورة .

ثم آنتزعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقرّر فيها آبنه الظاهر غياثَ الدين غازى .

ثم آنتزعها منه وسلمها لأخيه (العادل أبى بكر بن أيوب) فى السنة المذكورة، ثم أعاد إليها آبنه الظاهر غازى المقدّم ذكره فى سنة آثنتين وثمانين وخمسمائة، فبقى بها حتّى توفّى فى جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وملكها بعده آبنه (الملك العزيز محمد) فبقى بها حتّى توفّى فى ربيع الأوّل سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ثم ملكها بعده آبنه الملك (الناصر يوسف) وعمره سبع سنين ولم تزل بيده حتّى آستولت عليها التتار فى سنة ثمان وخمسين وستمائة .

*
* *

ثم كانت الدولة التركية . فكان أول من ملكها من ملوك الترك (المظفَّر قُطُز) حين كسر التتار علىٰ عين جالوت علىٰ ما تقدّم ذكره فى الكلام علىٰ مملكة دِمَشْق ؛ ثم توالى عليها نوّاب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلىٰ زماننا فى سلطنة النـاصر فرج بن الظاهر برقوق علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ مملكة الديار المصرية .

*
* *

وأما حماة . فقد تقدّم فى الكلام علىٰ قواعد الشام أن الذكر فى القديم إنمـا كان لِحمْص، وإنما تنبّهت حماة فى الذكر فى الدولة الأتابكية: عمادالدين زنكى . وذلك أن حماة كانت تَبَعًا لغيرها من المـمالك ، تارة تضاف إلىٰ دِمَشْـق، وتارة إلىٰ حَلَب .

فكانت مع دِمَشْق بيد (طُغْتِكين) أتابك دولة رضوان بن تُتُش السلجوقىّ فى سنة تسع وخمسمائة .

ثم آنتزعها منه السلطان (محمد بن ملكشاه السلجوقىّ) فى السنة المذكورة، وسلمها للأمير (فيرخان بن قراجا) .

ثم ملكها (تورى بن طُغْتِكين) وقرر بها آبنه سونج فبقيت بيده حتّى آنتزعها منه عماد الدين زنكى فى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

ثم آنتزعها منه بعد ذلك (تاج الملوك إسماعيل بن تورى) بن طُغْتِكين السلجوقىّ فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

ثم ملكها (العادل نور الدين محمود بن زنكى) مع دِمَشْق وحَلَب وغيرهما فى سنة إحدىٰ وأربعين وخمسمائة؛ ثم صـارت بعده مع غيرها من البلاد الشـامية إلىٰ آبنه (الصالح إسمـاعيل) فبقيت بيده حتى آنتزعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف

آبن أيوب) فى سنة سبعين وخمسمائة، وقرّر فيها خاله شهاب الدين الحارمى، ثم قرّر فيها أخاه تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة، فبقيت بيده حتّٰى توفّى فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فوليها بعده آبنه الملك المنصور (ناصر الدين محمد) فبقى بها حتّٰى آنتزعها منه أخوه (الملك المظفر محمود) فى سنة ست وعشرين وستمائة، فبقى بها حتّٰى توفى فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

ووليها بعده آبنه (الملك المنصور محمد) فبقى حتّٰى غلب عليها هُولاكُو ملك التتار مع دِمَشْقَ وحَلَبَ وغيرهما، فقرّر(١) بها المظفر قطز صاحب مصر بعد هزيمة التتار، فبقى بها حتّٰى توفى فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

فوليها بعده آبنه (المظفر شادى) عن المنصور قلاوون صاحب مصر بعهد منه، وبقى بها حتّٰى توفى فى سنة ثمان وتسعين وستمائة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون فى سلطنته الثانية .

فولّى الملك الناصر مكانه (قراسنقر) أحد أمرائه نائبا عليها، وكان العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة قد آستقرّ نائبا بصَرْخَدَ فنقله الملك الناصر محمد بن قلاوون إليها بعد هزيمة غازان ملك التتار، وجعله نائبا بها فى سنة آثنتين وسبعمائة، ومات بعد ذلك .

فولّى الملك الناصر مكانه فى نيابتها (قبجق) أحد أمرائه ثم صرفه عنها .

وولّى مكانه (أستدمر الكرجى) ثم صرفه عنها بعد عوده من الكَرَك .

وولّى فيها الملك المؤيد (عماد الدين إسماعيل) بن الأفضل علىّ، بن المظفر عمر سلطنةً علىٰ عادة من تقدّمه فيها من الملوك الأيوبية، وكتب له بذلك عهدا عنه، فبقى بها إلىٰ أن توفّى فى سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة .

(١) الاولى "ثم قرره بها المظفر الخ" .

فولى السلطان الملك النـاصر مكانه آبنه (الملك الأفضل محمد) وكتب له بذلك عهدا أيضا، فبقى بها حتّى أزاله قُوصُون أتابك العساكر فى سلطنة المنصور أبى بكر آبن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة إحدىٰ وأربعين وسبعمائة .

وولّى مكانه الأمير (طقزدمر) نائبا بها، وآستقرّت نيابةً إلىٰ الآن، يتوالىٰ عليها نوّاب ملوك مصر نائبا بعد نائب إلىٰ زماننا كغيرها من المـمالك الشامية، وآنقطعت مملكة بنى أيوبَ من الشام بذلك .

✤

وأما أَطْرَابُلُسُ، فكان قد تغلب عليها قاضيها أبو علىّ بن عَمَّـار وملكها وطالت مدّته فيهـا .

ثم آنتزعها منه (المستنصر الفاطمىّ) خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية، فبقيت بيده حتّى غلب عليهـا القُومص فملكها فى سـنة ثلاث وخمسمائة ، فبقيت فى أيدى الفرنج من حينئذ إلىٰ أن فتحها "الملك المنصور قلاوون" أحد ملوك الديار المصرية فى سنة ثمان وثمـانين وستمائة بعد أن مضى عليها فى يد الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأعجز فَتْحُها مَنْ مضى من ملوك بنى أيوب فَمَنْ بعدهم. ومن حين فتحها جعلت نيابة، وتوالىٰ عليها نوّاب ملوك مصر من لدنه إلىٰ زماننا .

✤

وأما صَفَد، فقد تقدّم فى الكلام علىٰ قواعد المـمالك الشامية أنها كانت فى القديم قريةً وأن الفرنج الدَّوِيّة بنتها وآستحدثت حِصْنها فى سنة خمس وسبعين وأربعمائة .

ثم فتحها (الظاهر بيبرس) بعد ذلك فى رابع عشر شوّال سنة أربع وستين وستمائة، وقرّر بها الأمير كيغلدى العلائىّ نائبا، وتوالىٰ عليها بعـد ذلك نوّاب ملوك مصر من لدن الظاهر بيبرس وإلىٰ زماننا فى سلطنة الملك النّاصر فرج بن الظاهر برقوق .

*
* *

وأما الكَرَك، فقد تقدّم أن قلعتها كانت ديرًا لرهبان، وكانت بيد الفرنج، وأن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة فتحها، وقرّر فيها أخاه (الملكَ العادلَ أبا بكر بن أيوب) فبقيت بيده إلىٰ أن مات السلطان صلاح الدين، فقرّر فيها ٱبنه (الملك المعظم عيسىٰ) فبقيت فى يده إلىٰ أن ٱستضاف إليها دمَشْقَ، وتوفِّى فى سنة أربع وعشرين وستمائة .

وملكها بعده ٱبنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) فى سنة ست وعشرين وستمائة، وبقى إلىٰ سنة سبع وأربعين وستمائة، فٱستخلف عليها ٱبنه (الملك المعظم عيسىٰ) بعد أن أخذ منه غالب بلاده وفرّ بنفسه .

ثم ٱنتزع (الصالح نجم الدين أيوب) الكَرَك من المعظم عيسىٰ بن الناصر داود فى السنة المذكورة، وأقام بها بدر الدين الصوابى نائبا عنه، وبقى الناصر داود بعد ذلك مُشَرَّدا فى البلاد إلىٰ أن مات فى سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان من أهل العلم والورع، وله شعر رائق، منه :

أَلَا لَيْتَ أُمِّى أَيِّمٌ طُولَ دَهْرِهَا * ولم يَقْضِها رَبِّى لِمَوْلًى وَلَا بَعْلِ!
وَيَا لَيْتَهَا لمَّا قَضَاهَا لسَيِّدٍ * لَبِيبٍ أَرِيبٍ طَيِّبِ الفَرْعِ والأَصْلِ،
قَضَاهَا مِنَ اللَّاتِى خُلِقْنَ عَوَاقِرًا * ولا بُشِّرَتْ يَوْمًا بأُنْثَىٰ وَلَا فَحْلِ
ويا لَيْتَهَا لمَّا غَدَتْ بِىَ حَامِلًا * أُصِيبَ مَنِ ٱحْتَفَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الحَمْلِ
وياليتنى لمَّا وُلِدْتُ وأَصْبَحَتْ * تُشَدُّ إلىَ الشَّدْقَمِيَّاتُ بالرَّحْلِ،
لَحِقْتُ بِأَسْلَافِى فَكُنْتُ ضَجِيعَهُمْ * وَلَمْ أَرَ فى الإِسْلَامِ مَا فِيهِ مِنْ ثُكْلِ

وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب معتقلا بالشَّوْبَك، فأخرجه الصوابى نائب الملك الصالح وملَّكه الكَرَك فبقى بها حتّىٰ قبض عليه الملك الظاهر بيبرس وقتله فى سنة إحدىٰ وسبعين وستمائة، وهو آخر مَنْ ملكها من بنى أيوبَ .

قلت : وأما غير هـذه الممالك كحِمْص وبَعْلَبَكّ فإنما كانت فى الغالب تبعا لغيرها حتّىٰ إن حِمْص وبَعْلَبَكّ حين آستولت التتار علىٰ الشام فى آخر الدولة الأيوبية كانتا مضافتين إلىٰ دِمَشْق .

وآعلم أن غالب أطراف البلاد الشامية ومضافاتها كانت بأيدى ملوك متفرقة من قديم الزمان وبعضها حدَثَ آنفراده، ثم تنقلت بها الأحوال حتّىٰ آستولىٰ علىٰ كثير منها أهلُ الكُفْر، وصارت بأيديهم إلىٰ أن قَيَّضَ الله تعالىٰ لها مَنْ فتحها؛ ثم آستعاد أهلُ الكفر منها ما آستعادوا، ثم فُتِح ثانيا علىٰ ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ .

من ذلك القُدْسُ ـ كانت بيد تُتُش بن ألب أرسلان السَّلْجُوقىّ صاحب دِمَشْقَ المتقدّم ذكره . كان قد أقطعها للأمير أُرْتُق جدّ ملوك مارِدِينَ الآن . فلما تُوفِّى أرتق المذكور صار القُدُسُ لولديه ايلغازى وسُقْمان، وبقى بيديهما إلىٰ أن آنتزعه منهما (المستنصر الفاطمىّ) فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، وبقى بيده إلىٰ أن ملكه الفرنج منه فى سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة، بعد أن بذَلُوا السيف فى المسلمين نحوَ سبعة أيام وقتلوا فى المسجد الأقصىٰ ما يزيد علىٰ تسعين ألفَ نفس، وبقى بيديهم حتّىٰ فتحه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ثم آستعاده الفرنج من الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بمهادَنة جرتْ بينهم فى سنة ست وعشرين وستمائة .

ثم آنتزعه منهم (الملك الناصر داود) صاحب الكَرَكَ فى سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم سلمه (الصالح إسماعيل) صاحب دِمَشْق (والناصر داود) صاحب الكَرَك المتقدّم ذكره للفرنج بعد ذلك ليكونوا عونا لها على الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر فى سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتحه الصالح (نجم الدين أيوبُ) صاحب مصر وآقتلعه من أيديهم فى سنة آثنتين وأربعين وستمائة ، فآستمر بأيدى المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك بلاد السواحل الشامية كانت بأيدى أُناس متفرّقة .

فأما أَطْرَابُلُس وصَفَدُ، فقد تقدّم الكلام عليهما فى الكلام على ملوك الممالك الشامية . وأما غيرهما من بلاد السواحل وما والاها ، فإن غالبها كان بيد الفاطميين خلفاءِ مصر إلى أن ضَعُفَت دولتهم فى أيام المستنصر أحدِ خلفائهم ، فقصدت الفرنج هذه السواحلَ من كل جهة وآستوَلَوْا على بلادها شيئا فشيئا .

فآستولوا على عَكَّا وجُبَيْل فى سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وعلى صَيْدَا فى سنة أربع وخمسمائة ، وآستشرى فسادُهم حتّى ملكوا بَيْرُوتَ وعَسْقَلانَ وصُورَ وأَنْطَرسُوسَ والمَرْقَبَ وأَرْسُوفَ واللاذقِيَّةَ ولُدًّا والرملةَ ويَافَا ونَابُلُسَ وغَزَّةَ وبَيْتَ لَحْم وبَيْتَ جبريلَ ، وغيرَ ذلك من بلاد السواحل وما جاورها ، فبقيت فى أيديهم حتّى فتحها السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" فيما بين الثلاث والثمانين والخمسمائة إلى الثمان والثمانين والخمسمائة .

ثم عقد الهُدْنة بينه وبين الفرنج فى سنة ثمان وثمانين على أن تكون يافَا وأَرْسُوف وعَكَّا وقَيْسَارِيّة وأعمالها بيد الفرنج ، وأن تكون لُدٌّ والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين .

ثم آستولَوْا على بَيْرُوتَ فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ؛ ثم وقعت الهدنة بعد ذلك بين الفرنج وبين العادل أبى بكر بن أيوب فى سلطنته فى سنة إحدى وستمائة على أن تستقرّ بيد الفرنج يَافَا وتترك لهم مناصفةً لُدٌّ والرملة .

ثم ٱستعاد الفرنج عَكّا فى سنة أربع عشرة وستمائة فى أيام العادل أبى بكر المذكور .

ثم ٱستولَوْا علىٰ صَـيْدَا وما معها فى أيام ٱبنه الكامل محمد فى سنة ست وعشرين وستمائة قبل تسليمه القدس لهم .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل صاحبُ دِمَشْق صَـفَد والشَّقِيف علىٰ أن يعاونوه علىٰ الصالح أيوب صاحب مصر فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل المذكور والناصر داود صاحب الكَرَك عَسْقَلانَ وطَبَرِيَّةَ حين سلماهم القدسَ فى سنة إحدىٰ وأربعين وستمائة .

ثم فتح "الصالح أيوب" صاحبُ مصر غَزَّة وٱستولىٰ عليها فى سنة ٱثنتين وأربعين وستمــائة .

ثم فتح (الظاهر بيبرس) فى سنة ٱثنتين وستين وستمائة قَيْسَارِيَّةَ وأَرْسُوفَ، وصَفَد ويافَا فى سنة أربع وستين وستمائة . وفتح صَهْيُونَ فى سـنة ست وستين وستمائة ، وأطْرَابُلُسَ فى سنة ثمان وثمانين .

ثم فتح ٱبنُه (الأشرفُ خليلٌ) عَكّا فى سنة تسعين وستمائة، وتتابعت فتوحه ففتح صَـيْدَا وبَيْرُوتَ وعَثْلِيثَ فى الســنة المذكورة . وبفتوحه تكاملت بلاد السواحل بأجمعها . ولمـا فُتِحتْ هُدِمت جميعُها خوفا أن يملكها الفرنج ثانيـا وبقيت بأيدى المسلمين إلىٰ الآن .

ومن ذلك أنْطَاكِيَةُ ـــ التى هى قاعدة العواصم . فإنها كانت بيد باغى سيان بن محمد ٱبن ألب أرسلان السلجوقى إلىٰ أنْ غلب عليهـا الفرنج فى سنة إحدىٰ وتسعين وأربعمائة، وقتلوا باغى سيان المذكور، وقتــل فيها ما يزيد علىٰ مائة ألف نفس بعد حصار تسعة أشهر ، وملكوا معها كَفْر طَابَ، وصَهْيُونَ، والشُّغْرَ وبَكَاس، وسَرْمِينَ

والدَّرْبَسَاكَ وغيرها من بلاد حَلَبَ ، و بالغوا حتّى جاوزوا الفرات إلىٰ بلاد الجزيرة ، وملكوا الرُّهَا وسَرُوج وغيرهما من بلادها حتّى فتح السلطان صلاح الدين يوسف آبن أيوب الشُّغْر و بَكَاس وسَرْمِينَ وغيرها فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

ثم آستعادتها الفرنج بعد فتحه ، ثم فتح أنْطَاكِيَةَ "الظاهرُ بيبرس" فى سنة ست وستين وستمائة ، فبقيت فى أيدى المسلمين إلىٰ الآن .

ومن ذلك ــ باقى بلاد الثُّغُور والعواصم كآياسَ وأَذَنَةَ والمَصِّيصةِ وطَرَسوسَ وبَغْراس وبَهَسْنىٰ والدَّرْبَسَاك وسِيسَ وغيرها من بلاد الثغور . فإن الأرمنَ وثَبُوا عليها قبل الأربعمائة وآستولَوْا علىٰ نواحيها ومنعوا ما كانوا يؤدّونه من الإتاوة للسلمين ، وآستضافوا إلىٰ ذلك قلعةَ الروم وما قاربها . فبقيت فى أيديهم حتّى فتح الظاهر بيبرس بَغْرَاسَ وبَهَسْنىٰ والدَّرْبَسَاك وغيرها ، وآنتزعها من الأرمن فى سنة ثمان وستين وستمائة .

وفتح الأشرف "خليل بن المنصور قلاوون" قلعةَ الرُّوم ، وآنتزعها من يد خليفتهم فى سنة إحدىٰ وتسعين وستمائة ، وسمّاها قلعة المسلمين علىٰ ما تقدّم فى الكلام علىٰ الأعمال الحلبية .

وفتح " الناصر محمد بن قلاوون " فى سلطنته الثالثة آياس[1] ، وما والاها فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وفتح "الأشرف شعبان بن حسين" بن الناصر محمد بن قلاوون سِيسَ وسائر بلاد الأرمن علىٰ يد قشتمر المنصورى نائب حَلَبَ .

ومن ذلك ــ قِلَاع الدعوة ، التى هى الآن من أعمال طَرَابُلُسَ : وهى مِصْياف والْعُلَيْقة والمنيقة والكهف والقُدْمُوس والخَوَابِى . فإنها كانت بأيدى الإسماعيلية

(١) ضبطها صاحب "القاموس" كسحاب ونص على مد الهمزة صاحب "التقويم" .

لمعروفين الآن بالفِداوية، قبل دخولهم فى طاعة ملوك الديار المصرية، فبقيت بأيديهم حتى آنتزعها منهم الملك "الظاهر بيبرس" فى سنة ثمان وستين وستمائة، وآنتزع منهم العُلَّيقة فى سنة تسع وستين .

ثم آنتُزِعت منهم باقى القلاع فى سـنة إحدىٰ وسبعين ودخلوا تحت طاعة ملوك مصر من حينئذ، وصاروا شِـيعةً لهم .

وهذا آخر مايحتمله الكِتَاب ممـا يحتاج إلىٰ معرفته .

الطَّـــرَف الثالث

(من الفصل الثانى، من الباب الثالث، من المقالة الثانية فى ذكر أحوال المملكة الشـامية ؛ وفيه مقصدان)

المقْصِد الأوّل

(فى ترتيب نياباتها علىٰ ماهى مستقرّة عليه)

قد تقدّم أن المـالك المعتبرَة بالبلاد الشامية ستُّ ممالك فى ست قواعد، وكلُّ مملكة منها قد صارت نيابةَ سلطنة مضاهيةً للملكة المستقلة .

النيابة الأولىٰ

(نيـابة دِمَشْق[1]؛ وفيها جملتان)

الجمـــلة الأُولىٰ

(فى ذكر أحوالها فى المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامل بها فيها، فعلىٰ ماتقدّم فى الكلام علىٰ معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها وَزْنًا، والدنانير الافرنتية عَدًّا، والدراهم النُّقْرَة وزنا

(١) قد عدّ ثلاث جمل فتنبه .

لاتختلف النقود فى ذلك، إلا أن الصَّنْجة فى أوزان الذهب بالديار المصرية تخالف الصنجة الشامية فى ذلك، فتنقُص الصنجة الشاميةُ عن المصرية كل مائة مثقال مثقالٌ وربع مثقال؛ وتنقص صنجة الدراهم الشامية عن الصَّنجة المصرية كل مائة درهم درهمٌ؛ والمعاملة فيها بفلوس صِغار، وكان يُتَعامل بها فى الديار المصرية فى الزمن الأوّل قبل ضرب الفلوس الجُدُد، حسابا عن كل درهم أربعة وستون فَلْسًا، وكل أربعة فلوس منها يُعبَّر عنها عندهم بحبة، ثم راجت الفلوس الجُدُد عندهم بعد سنة ثنتين وثمانمائة . إلا أن كلّ [1] بدرهم بخلاف ما تقدّم فى الديار المصرية من أن كل أربعة وعشرين فَلْسا منها بدرهم .

وأما رِطْلها الذى يعتبر به موزوناتها فستمائة درهم بدرهمهم المتقدّم تقديره، وأواقيّه اثنتا عشرة أوقية، كلُّ أوقية خمسون درهما .

وأما كَيْلها الذى يعتبر به مَكيلاتها فبالغِرَارة، وهى اثنا عشر كيلا، كلُّ كيل ستة أمداد، ينقص قليلا عن رُبُع الوَيْبة المصرىّ، ونسبة الإردب من الغِرارة أن كل غِرَارة ومدّ ونصف ثلاثةُ أرادب بالكيل المصرىّ تحريرا على الدمَشْقىّ . ثم قال [2] : لكن كيل دِمَشْقَ ورطلها هو المعتبر وإليه المَرْجِع .

وأما قياس قُماشها فبذراع يزيد على ذراع القماش بالقاهرة بنصف سدس ذراع وهو قيراطان .

وأما قياس أرض الدُّور بها وما فى معناها، فإنه يعتبر بذراع العمل المتقدّم الذكر فى الديار المصرية .

---

(١) بياض فى الأصل بقدر كلمة .

(٢) لم يقدم لنا ما يعود عليه الضمير ولعله صاحب "المسالك"

وأما سعرها فقـال فى "مسالك الأبصار" : سـعر اللحم بها أرخص من مصر والدجاج والإوز أغلى من مصر، وكذلك السُّكَّر، ولم يتعرّض لغـير ذلك . ولا خفاء فى أن الفاكهة فيها أرخص من مصر بالقدر الكبير، والقمح والشـعير والباقلاء نحو من سـعر مصر، وذلك كله عنـد آعتدال الأسعار. أما حالة الغلاء فيختلف الحال بحسبه .

الجـــملة الثانية

(فى ترتيب مملكتها، وهو ضربان)

الضرب الأوّل

(فى ترتيب حاضرتهـا)

أما جُيُوشها ، فعلى ما تقـدّم فى الديار المصرية فى آجتماعها من الترك والجركس والروم والروس والآص ، وغير ذلك من الأجناس المضاهية للترك فى الزِّىّ ، ويزيد بها التُّرْكُمان المتميزون عن صـفة الترك وزِيِّهم، وجندها ينقسمون إلى ما تقدّم فى الديار المصرية : من الأمراء المقدّمين والطبلخانات والعشرات، ومَنْ بين المقدّمين والطبلخانات : كأمراء السبعين والخمسين، وما بين العشرات والطبلخانات كالعِشْرينات ونحوهم ، وكذلك مقدّمو الحَلْقة وجندُها ، ولا وجود فيها للماليك السلطانية لأنهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان . وقد أخبرنى من له خِبْرة بحال مملكتها أن الأمراء المقدّمين بها كانوا فى الأيام النـاصرية محمد بن قلاوون عشرةً غير النائب بها ، وربمـا نقصوا الآن عن ذلك، وأن أمراء الطبلخانات بهـا كانوا إذ ذاك أربعـين وأنهم الآن نَيِّف وخمسون ، وأن أمراء العشرات كانوا بها ألفين ومائة وخمسين بما فيهم من البحرية .

وأما إقطاعاتها ــ فقال فى "مسالك الأبصار" : إن إقطاعاتها لاتقارب إقطاعات مصر، بل تكون على الثلثين منها ، إلا فى أكابر الأمراء المقربين بحضرة السلطان، فإن إقطاعاتهم خارجةٌ عن العادة فلا يُعتَدّ بها . قال : ولا أعرف بالشأم ما يقارب ذلك إلا ماهو لنائب دِمَشْق .

وأما بيوتاتها السلطانية ــ فقال فى "مسالك الأبصار" : بها خِزانة تخرج منها الإنعامات والخِلع، وخزائن سلاح، وزَرَدْخاناه، وبيوت تشتمل على حاشية سلطانية مختَصَرة، حتّى لو جهز السلطان إليها جريدةً(١) وجد بها من كل الوظائف القائمة بدولته. قال : وكل أمير أُمّر فيها أو فى غيرها من الشام أو رُبّ وظيفة وُلّى وظيفةً من عادة متوليها لُبْس خِلْعة أو خدم أحدٌ خدمة فى مهم من المهمات أو أمر من الأمور يستوجب خِلْعة أو إنعاما ولم يُخْلَع عليه من مصر كان من دِمَشْق خِلْعتُه وإنعامه ، ومنها تخرج أعلام الإمرة وطلائعهن وشعار الطبلخاناه . وفى خزائن السلاح بها تُعْمَل المجانيق والسلاح، ويحمل إلى جميع الشام وتعمر به البلاد والقلاع ، ومن قلعتها تجرّد الرجال وأرباب الصنائع إلى جميع قلاع الشام، وتنتدب فى التجاريد والمهمات .

قلت : أما باقى البيوت كالفرّاش‌خاناه والإصطبلات السلطانية وما شاكلها ، فلا وجود لها فيها مما ينسب إلى السلطان، بل يكون ذلك للنائب قائما مقام السلطان لأنه فى الحقيقة السلطان الحاضر، وكان بها مطابخُ السكّر السلطانية فأضيفت إلى من يتحدّث فى الأغوار من النائب أو غيره من الأمراء الأكابر.

---

(١) لعله منها تجريدة

الضرب الثـانى

(فى بيان أرباب الوظائف بدِمَشْق علىٰ تبايُنِ مراتبهم؛ ووظائفُها المعتبرةُ علىٰ خمسة أصناف)

الصنف الأوّل

(وظائف أرباب السيوف)

وهى مضاهيـة لوظائف أرباب السُّيُوف بالحضرة السـلطانية فى كثير منهـا؛ وهى عدّة وظائف .

(منها) نيابة السلطنة بها ـ وهى أجلُّ نيابات المملكة الشامية وأرفعها فى الرتبة، ونائبها يضاهى النائب الكافلَ بالحضرة السلطانية فى الرتبة والألقاب والمكاتَبة، ويعبَّر عنه فى المكاتبات السلطانية وغيرها "بكافل السلطنة الشريفـة بالشـام المحروس" ويكتب له من الأبواب السـلطانية تقليدٌ شريفٌ من ديوان الإنشاء الشريف؛ وهو قائم بدمشق مَقامَ السـلطان فى أكثر الأمور المتعلقة بنيابته، ويُكتب عنـه التواقيع الكريمة، ويُكتب عنه المربَّعات بتعيين إقطاعات الجُنْد، وتجهَّز إلىٰ الأبواب الشريفة فيشملها الخطُّ الشريف السلطانىّ، ويترتب حكمُ المربعات المصرية والمناشير علىٰ حكمها كما سيأتى فى الكلام علىٰ المناشير فى موضعها إن شاء الله تعالىٰ؛ وهو يكتب علىٰ كل مايتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد؛ ومعه يكون نظر البيمارسـتان النُّورى بدمَشْقَ كما يكون نظر البيمارسـتان المنصورى بالقاهـرة مع اتابك العساكر؛ وكذلك يكون معه نظر الجامع الأُمَوِىّ بها .

(ومنها) نيابة القلعة بها ـ وهى نيابة منفردة عن نيابة السلطنة، ليس لنائب السلطنة عليها حديث، وولايتها من الأبواب السـلطانية بمرسوم شريف يكتب من ديوان

الإنشاء الشريف . قال فى "التثقيف" : وكان عادة نائبها فى الأيام المتقدّمة مقدمَ ألف ، ثم آستقرّت بعد ذلك طبلخاناه ، وهى علىٰ ذلك إلىٰ الآن . ومن شأنه حفظ القلعة وصونُها ، ولا يسلِّم مفتاحها لأحد إلا لمن يتولاها مكانَه أولمن يأمره السلطان بتسليمه له . ولنائبها أجناد بحريّة مقيمون فى القلعة لخدمته ، ولا يحضر هو ولا أحدٌ منهم دارَ النيابة بالمدينة ، ولا يركبون فى الغالب . وقد أخبرنى بعض أهل المملكة أن بالقلعة طبلا مرتَّبا لآستعلام أوقات الليـل إذا أُذِّن للعشاء الآخرة ضرب عليه عند مضىّ كل أربع درج ضربة واحدة إلىٰ أن ينقضى ثلثُ الليـل الأوّل . فإذا دخل الثلث الثـانى ضُرب عليه عنـد مضىّ كل أربع درج ضربتين إلىٰ آنقضاء الثلث الثـانى . فإذا دخل الثلث الثالث ضرب عليه عنـد مضىّ كل أربع درج ثلاث ضربات إلىٰ أن يؤذَّن للصبح . قال : وهكذا شأن سائر القلاع بالممالك الشامية .

(ومنها) الحجوبيـة — وكان بهـا فى الأيام الناصرية آبن قلاوون فيما يقال ثلاثةُ حُجّاب ، أحدهم حاجب الحُجّاب ، ويعبر عنه فى ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بأمير حاجب ، وعادته أن يكون مقدّمَ ألف من الزمن القديم وهلُمَّ جرًّا ، وهو الرتبة الثانية من النائب ، ومن شأنه الجلوسُ بدار العدل ، ولا يقف كما يقف حاجبُ الحُجّـاب بين يدى السلطان بالديار المصرية ، وإذا خَرج النائب عن دِمَشْقَ فى مُهِمٍّ أو غيره ، كان هو نائب الغَيْبة عنه . وإذا برز مرسوم السـلطان بالقبض علىٰ نائب السلطنة بها ، كان هو الذى يقبض عليه ويفعـل فيه مايؤمَرُ به من سجن أو غيره ، ويقوم بأمر البلد إلىٰ أن يُقام نائب آخر . والحاجبان الآخران طبلخانتان أو طبلخاناه وعشرة ، وربما كانوا أربعة : حاجبُ الحُجّاب وثلاث طبلخانات أو طبلخانتان وعشرون أوعشرة أوغير ذلك ، ورُتبهم فى المواكب أن يكون حاجب الحُجّاب والذى يليه فى الرتبة ميمنةً والثانى ميسرة . ثم صاروا فى الأيام الظاهرية برقوق خمسة أوستة .

ولم تجر العادة بأن يُكتب لأحد منهم مرسومٌ شريف من الأبواب الشريفة عنـــد ولايته، ولا مَدْخَلَ للنائب بها في كتابة مايوقع لأحد منهم .

(ومنهـا) شدّ المُهمّات ـ وهي رتبـه جليـلة ، وموضوعها التحدّث في أمور الاحتياجات السلطانية، وتارة لنائب السلطنة بدمشق، وتارة لحاجب الحجاب، وتارة لبعض الأمراء من المقدّمين والطبلخانات بحسب مايقتضيه رأى السلطان .

(ومنها) نِقَابة القلعة بهـا ـ وهي إمرة عشرة بمرسوم شريف ، يكتب له من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نِقَابة النُّقَباء ـ وهما نقيبان : نقيبٌ لليمنة ونقيبٌ لليسرة .

(ومنها) الخِزِنْدارِيّة ـ وموضوعها التحدّث على الخِلَع والتشاريف الســلطانية بالقلعة وعادتها أربعة طواشيةٌ خِصْيَانٌ بعضهم أعلى رتبةً من بعض، أحدهم في رتبة أمير طبلخاناه أو أمير عشرين، والثـانى دونَه، والثالث دونَه، والرابع دونَه، وكل منهم له توقيع كريم من نائب السلطنة بِدمَشْقَ على قدر رتبته .

(ومنها) نِقَابة الجيش ـ وفيها ثلاثةٌ نَفَر، أكبرهم يعبر عنه بنقيب النقباء ، تارة يكون امير طبلخاناه، وفي غالب الأوقات أمير عشرة، ودونَه آثنان من جند الحَلْقة . ويكتب لكل منهم توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) شدّ الدواوين ـ وموضوعُها التحدّث في آستخراج الأموال السلطانية رفيقـا للوزير كما في الديار المصرية ، وكانت في الأيام المتقـدّمة إمرة طبلخاناه ، ثم آستقرت إمرة عشرة . وهي الآن جنديّ من أجنـاد الحلقة ، ويُكتب لمتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ الأوقاف ـ وموضوعُها التحدّث على أوقاف المســلمين بِدمَشْقَ، وعادتها إمرة عشرة. وربما كانت طبلخاناه، ويكتب لمتوليها توقيع كريم عن النائب.

(ومنها) شدّ الخاصّ — وعادته طبلخاناه أو عشرة أيضا .

(ومنها) شَــدّ الزكاة — وموضوعها التحدّث على مَتْجَر الكارم ونحوه ، وكانت فى الزمن المتقدّم إمرةَ عشرة ، وهى الآن جندىّ ، ويكتب لمتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شــدّ العُشْر — وموضوعها التحدّث فى واصل الفرنج ، وكانت إمرة عشرة ، وهى الآن جندىّ ، ويكتب لمتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ دار الطُّعْم — وهى بمثابة الوَكالة بالديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وعادتها إمرة عشرة أو مقدّم حَلْقة أو جندىّ ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) ولَاية المدينة — وموضوعها التحدّث فى أمر الشُّرْطة كما فى سائر الولايات ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما وليها جندىّ ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) المِهْمندارِيّة — وموضوعها تلقى الرُّسُل الواردين ، فى أمور أخرى كما فى الديار المصرية . وقد أخبرنى بعض أهل المملكة أنه كان بها فى الأيام الناصرية ابن قلاوون فى نيابة الأمير تنكز مهمندارٌ واحدٌ مقدّمُ ألف ، ثم استقرت فى الدولة الأشرفية " شعبان بن حسين " نفرين ، وهى على ذلك إلى زماننا ، وهما الآن أمير عشرة ، وجندىّ ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) أميراخورية البريد — وموضوعها التحدّث على خيول البريد بدِمَشْــق ونواحيها . وأخبرنى بعض أهل هذه المملكة أنه لم يزل بها أمير عشرة من الأيام الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن .

(ومنها) تَقْــدمة البريد — وموضوعها التحدّث على جماعة البريدية بدِمَشْــق . وأخبرنى بعض أهــل المملكة أنها كانت فى الأيام النــاصرية ابن قلاوون منحصرةً

فى واحد من جملة البريدية، ثم آستقرّ فيها الآن آثنان إما إمرة عشرة و إمرة خمسة، أو إمرة خمسة وجندىّ، أو نحو ذلك؛ ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته .

(ومنها) شُدُود صغار متعدّدة، يولّى بها أجناد بتواقيعَ لهم عن النائب : كشدّ دار البِطِّيخ والفاكهة ، وشدّ المَسَابك من الحديد والنُّحاس والزُّجاج وغير ذلك ، وشدّ المواريث الحَشْرية ونحو ذلك . وكان لمطابخ السُّكَّر شدٌّ مفرد يولّى بتوقيع كريم عن النائب، ثم آستقرّ ذلك مضافا لمن يتحدّث على الأغوار من النائب أو غيره .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف من الأمراء المستقرّ مثلهم بالحضرة السلطانية : كرأس نوبة، وأمير مجلس ، وأمير سلاح ، وأمير اخور ، وأمير جاندار ، وأستادار المباشرة، وأستادار الصحبة ، وشادّ الشراب خاناه ، والجاشنكير ، ومقدّم المماليك ونحوهم ، فلا وجود لهم هناك . وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء .

الصـــنف الثـانى

(الوظائف الدِّيوانية ، وهى عشر وظائف)

(منها) الوِزارة — وهى تارة تعلو رتبةُ صاحبها بأن يكون جليلَ القدر، كما إذا كان قد تقدّمت له ولاية وزارة بالديار المصرية أو نحو ذلك فيصرَّح له بالوزارة ، وتارة تقصُر رتبته عن ذلك فيطلق عليه ناظر المملكة الشامية ، ولا يُسْمح له من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية باسم الوزارة ، وإن كان الجارى على ألسنة العامّة إطلاقَ لفظ الوزير عليه . وكيفما كان فإنما يوليه السلطان من الأبواب الشريفة . إن كان وزيرا كتب له تقليد، وإن كان ناظرَ المملكة كتب له مرسوم . قلت : وقلّ أن

يليها أرباب السيوف، فإن وقع ذلك آحتاج معه إلى ناظر مملكة كما يكون ناظرُ الدولة مع الوزير ربِّ السيف بالديار المصرية .

(ومنها) كتابة السِّرِّ – ويعبر عن متوليها فى ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس، ولا يقال فيه : صاحب دواوين الإنشاء كما فى الديار المصرية . على أنها تضاهى كتابة السر بالديار المصرية فى الرياسة ورفْعة القدر . وموضوعها على نحو ماتقدّم فى الديار المصرية . وكيفما كان فإنما يولّى من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، ويحترز السلطان فيها على أن يكون كاتب السر من خاصته الموثوق بهم ليطالعه بخفيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يُخفيه عن السلطان . وبديوانه كُتّاب الدَّسْت وكُتّاب الدَّرْج كما بالديار المصرية، ويقال إنه كان عِدّةُ كُتّاب الدست فى الأيام الناصرية آبن قلاوون نفرين وكُتّاب الدَّرْج جماعة يسيرة ، ثم زاد الأمر كما فى الديار المصرية . وولاياتُ كُتّاب الدَّست وكُتّاب الدَّرج بتواقيع كريمة عن النائب دون الأبواب الشريفة .

وأخبرنى بعض أهل دِمَشْقَ العارفين بأحوال المملكة أن كاتب السّر فى الزمن المتقدّم لم يكن يحضُر دار العدل مع النائب، وإنما كان يحضر كُتّابُ الدست فقط فيوقّعون بما يحتاج إليه فى المجلس وينصرفون إلى كاتب السر فيخبرونه بما آتفق، وكاتب السرّ يجتمع بالنائب فى أوقات مخصوصة فيما يتعلق بالأمور السلطانية فقط ، وكان كاتب السرّ ربما داخله عليه الموقّعون فيما يقع بدار العدل فيلحقه بعض الخَلَل . فلما وَلِىَ كتابة السرّ القاضى ... ...(١) سمىُّ السمى العظيم حتى أُذِن له فى الحضور بدار العدل والتوقيع فيه، وآستمرّ ذلك إلى الآن .

---

(١) بياض فى الأصل .

(ومنها) نظر الجيش ــ وموضوعه التحدّثُ في الإقطاعات : إما في كتابة مربَّعات تُكْتَب بما يعينه النائب من الإقطاعات المتوفِّرة عن أربابها بالموت ونحوها وتكميلها بخطوط ديوانه، ويجهزها النائب إلى الأبواب الشريفة ليشملها الخطُّ الشريفُ السلطانيّ ، وتحمل إلى ديوان الجيوش بالديار المصرية فتجعل شاهدا مخلّدا فيه ، وتكتبُ منه مربَّعة، بمقتضاها يخرج المنشور على نظيرها كما تقدّمت الإشارة إليه . وإما في إثبات المناشير الشريفة التي تصدر إليه من الأبواب السلطانية بديوانه حفظا لحسبانات المقطَعين . وليس بالشام كتابة مناشير أصلا ، بل ذلك مختص بالأبواب السلطانية ، فإن كان فيه كتابة الدست وَقَّع بدار العدل في جملة الموقعين وإلا فلا . وإذا كان موقعا جلس مجْلِسَ ناظر الجيش وإن كان متأخرا في القُدْمَة عن غيره من الموقِّعين ، وولاية هذا الناظر من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف . وبديوانه عدّة مباشِرين من صاحب ديوان وكُتّاب وشهود، ولِايتهم عن النائب بتواقيع كريمة . وناظر الجيش هو الذى يحكم في المحاكمات الديوانية كما يحكم فيها مستوفِي المرتَجع بالديار المصرية .

(ومنها) نظر المهمّات الشريفة ــ وهي وظيفة جليلة يكون متوليها من أرباب الأقلام رفيقا لشادّ المهمات المتقدّم ذكره من أرباب السيوف : من النائب أو حاجب الحُجّاب أو غيرهما . وهي تارة تضاف إلى الوزارة ، وتارة تفْرَد عنها بحسب مايراه السلطان . وولايتها من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف . وبهذا الديوان عدّة مباشرين من كُتّاب وشهود، فيوليهم النائب بتواقيع كريمة

(ومنها) نظر الخاص ــ وموضوعه هناك التحدّثُ فيما يتعلق بالمستأجَرات السلطانية وغيرها من الأغوار وما يجرى مجراها ، وربما أضيف نظرُها للوزير .

(ومنها) نظر الخِزانة، ويعبر عنها بالخزانة العالية . ومتوليها يكون رفيقا للخازندارية من الطواشيَّة المتقدّم ذكرهم . فيكون متحدّثا فى أمر التشاريف والخِلَع وما معها، وهى وظيفةٌ جليلةٌ يوليها النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيمارستان النُّورِىّ — وقد صار النظر عليه مَعْدُوقاً بالنائب، يُفَوِّض التحدّث فيه إلىٰ من يختاره من أرباب الأقلام .

(ومنها) نظر الجامع الأُمَوِىّ — وفى الغالب يكون مع قاضى القضاة الشافعىّ .

(ومنها) نظر خزائن السِّلاح — وموضوعها كما فى الديار المصرية ، وولايتها عن لنائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيوت — وموضوعها علىٰ ما تقـدّم فى الديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وأخبرنى بعض الدِّمَشْقِيِّينَ أن هذه الوظيفة آسم علىٰ غير مسمّى لا حقيقة لهـا ولا مباشرة، لعدم البيوت السلطانية هناك .

(ومنها) نظر بيت المـال — وحكمها كما فى الديار المصريه .

(ومنها) نظر ديوان الأَسْرىٰ — وهو التحدّث فى الأوقاف التى تُفدىٰ بها الأسرىٰ .

(ومنها) نظر الأسواق — وموضوعها كما تقـدّم فى الديار المصرية من التحدّث علىٰ سوق الرقيق والخيل ونحوها، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر مراكز البَرِيد — ومتوليهـا يكون رفيقا لأميراخور البريد المتقـدّم ذكره، وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الحوطات — وهو علىٰ نحو مر آستيفاء المرتَجَع بالديار المصرية فى تحصيل الأموال السلطانية .

أما الحكم فى المحاكمات الديوانية، فيختص بناظر الجيش كما تقدم ذكره .

(ومنها) نظر المَسَابك — ومتوليه يكون رفيقا لشادّ المسابك المتقـدّم ذكره فى أرباب السيوف، وولايته عن النائب بتوقيع كريم . قلت : ويضم إلىٰ كل نظر من هذه الأنظار مباشِرُون : من شهود وغيرهم، يكتب لذوى الصوب منهم تواقيع كريمة عن النائب بوظائفهم ، فى أنظار أخرىٰ لا يسع آستيفاؤها : كنظر المواريث الحَشْرية وغيرها . ومما أهمل من الأنظار بها نظر مطابخ السُّكَّر كما أهمل شدّها لإضافتها إلىٰ المتحدّث فى الأغوار علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ وظائف أرباب السيوف .

الصـــــنف الثـالث

(من الوظائف بدِمَشْقَ الوظائف الدينية، وهى عدّة وظائف أيضا)

(منها) قضاء القضاة — وبها أربع قُضاة من المذاهب الأربعة علىٰ الترتيب المتقدّم فى الديار المصرية . فأعلاهم الشافعىّ وهو المتحدّث علىٰ الموازع الحكمية والأوقاف وأكثر الوظائف، ويختص بتولية النوّاب فى النواحى والأعمال بجميع أعمال دِمَشْقَ حتّى فى غَزَّة، ويليه فى الرتبة الحنفىّ، ثم المالكىّ، ثم الحنبلىّ. وكان آستقرار القضاة الأربعة بها بعد حدوث ذلك بالديار المصرية، لكن لم تستقرّ الأربعة دَفْعة واحدة كما وقع فى الديار المصرية فى الدولة الظاهرية بيبرس، بل علىٰ التدريج . وأقدمهم فيها الشافعىّ، وولاية الأربعة من الأبواب الشريفة بتواقيع شريفة .

(ومنها) قضاء العسكر — وموضوعه كما تقدّم فى الديار المصرية ، وبها قاضيا عسكر شافعىّ ، وحنفىّ ؛ وليس بها مالكىّ، ولا حنبلىّ ؛ وولايتهما من الأبواب الشريفة السلطانية بتواقيع شريفة .

(ومنها) إفتاء دار العدل — وهى علىٰ ماتقدّم فى الديار المصرية أيضا، وبها مفتيان شافعىّ وحنفىّ ؛ كما فى قضاء العسكر، وولايتهما عن النائب بتواقيع كريمة .

(ومنها) وَكالة بيت المـال ـ وموضوعها ماتقـدم فى الديار المصرية ، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ووكالته مثبوتة[1] على الحكام مُنَفَّذَة . ولكن لاجلوس له بدار العدل كما يجلس وكيل بيت المـال بالديار المصرية، إلا أن يكون كاتبَ دست فيجلس بواسطتها فى جملة الموقِّعين لا بالوكالة .

(ومنها) نِقَابة الأشراف ـ والأمر فيها كما فى الديار المصرية، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وقد تقدّم فى الكلام عليها فى الديار المصرية أنه كان من حقها أن تُورَد فى جملة وظائف أرباب السيوف إذ يكتب فى توقيع متوليها "الأميرى" وإن كان متعمما، وإنمـا التغليب العرفىّ اقتضى ذكرها فى جملة وظائف أرباب الأقلام .

(ومنها) مَشْيَخة الشيوخ ـ وموضوعها كما فى الديار المصرية : من التحدّث على جميع الخوانق والفقراء بدِمَشْقَ وأعمالهـا ، والعادة أن يكون متوليها شيخَ الخـانقاه الشُّمَيْصاتية بدِمَشْقَ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) الحِسْبة ـ وهى كما تقدّم فى الديار المصرية من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . ولا مجلسَ لمتوليها بدار العدل كما يجلس محتسب القاهرة بدار العدل فى الديار المصرية ، وإليه ولاية نوّاب الحِسْـبة بجميع أعمـال دِمَشْقَ .

(ومنها) الخَطَابات المعدوقة بنظر النائب ـ فيولى فيها بتواقيع كريمة حتّى إنه ربما كتب عنه التواقيع بخطابة الجـامع الأموىّ ، وإن كان الغالب أنها لاتولّى إلا من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف، وقد صارت مضافة لقاضى القضاة الشافعىّ .

(ومنها) التداريس ـ وتختلف باختلاف حال من يتولاها فى الرِّفْعـة وغيرها ، وولاياتها عن النائب بتواقيع كريمة غالبا والله أعلم .

---

(١) الأولى ثابتة ، وقد جارى فى التعبير العرف العامىّ .

الصــــنف الرابع

(من الوظائف بدمَشْق وظائف أرباب الصِّناعات)

(فمنها) رياسة الطِّبِّ، ورياسة الكَحَّالين، ورياسة الجرائحية ـ وكلُّها على نحو ما تقــدّم فى الديار المصرية؛ وولاية كل منها بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت وما فى معناها ، فهنالك تختص بالنائب لقيامه مقــام الســلطان وآختصاص البيوت به .

الصــــنف الخامس

(وظائف زعمــاء أهل الذمة بهــا)

وفيهــا بطرك النصارى اليَعَاقِبــة ، وبَطْرَكُ النصارى المَلْكانية ، ورئيس اليهود القرَّايين والربَّانيــين ، ورئيس السامرة ، ولكنه مقيم بمدينة نَابُلُسَ التى هى مدينتهم المعظمة عندهم ، وإلى طُورها حَجُّهُم ، وله نائب مقيم بدِمَشْقَ . قلت : وربما كتب عن السلطان من الأبواب الشريفة بتواقيع ومراسيم بالحَلِّ(١) على ما تصدُر ولايته عن النائب ، وربمــا كتب به عنه آبتداء .

الجملة الثــالثة

(فى ترتيب النيابة بهــا)

وتوافق ترتيب السلطنة فى الديار المصرية فى بعض الأمور، وتخالفها فى بعض . وكان عادة النائب بها فى المواكب أن يركب فى العسكر من الأمراء ومقــدّمى الحَلْقة وأجنادها فى كل يوم آثنين وخميس، ويخرجون إلى سُوق الخيل تحت القلعة فيسَيِّرون

(١) المراد بتثبيت ما يصدر عن النائب كما تفيده البقية .

خيولهم ، وتعوض عليهم خيول المناداة وغيرها من آلات السلاح ونحوها ، وينادى بينهم على العَقار من الدور والضِّياع وغيرها ، ولا يتعدّون سوقَ الخيل إلى غيره .
أما الآن فإنهم قد رفضوا التسيير بسوق الخيل ، وصار النائب يخرج بالعسكر إما إلى ميدان ابن أتابك ، وإما إلى قبة يلبغا : قبليّ دِمَشْق ، وإما إلى المِزّة غربيّ دِمَشْق ، وإما إلى القابُون شمالىّ دِمَشْق على حسب ما يختاره ، فيسيّرون هناك بدلا من تسييرهم بسوق الخيل ، ولا يسيّرون بسوق الخيل إلا فى يوم مُهِمّ من حضور رُسُل من بعض الملوك الغرباء ونحو ذلك . فإذا فرغوا من التسيير عند ارتفاع النهار، عاد النائب فى مَوْكبه حتّى يأتى باب الحديد من ابواب القلعة ، ويقف الأمراء على ترتيب منازلهم ، وينادى بينهم على العقار والدّور وغيرها ، وكذلك الخيول والسلاح .
ثم يسير النائب إلى دار النيابة ، فإن كان فى الموكب سِمَاط تقدّم الأمراء فى خدمته ، ويترجل مماليكه من سوق الخيل ، ثم الأمراء على القرب من دار النيابة على ترتيب منازلهم حتّى يكون ترجل المقدّمين على باب دار النيابة ، ويبقى النائب راكبا وحده حتّى ينتهى إلى قاعة عظيمة معدّة للجلوس فى المواكب بمثابة الإيوان الذى يجلس فيه السلطان بقلعة الجبل بالديار المصرية ، ويُصَدَّر بها كرسى من خشب مغشّى بغشاء من الحرير الأطلس الأصفر، وعليه سيف نمجاه، مسند إلى صدره، فيجلس النائب بصدر القاعة على مَقْعَد مختصّ به ، لايشاركه أحد فى الجلوس عليه ، وخلفه بشتميخ منصوب وراء ظهره كعادة الأمراء ، ويكون الكرسىّ المذكور على شماله على نحو ثلاثة أذرع منه ، ويجلس قاضى القضاة الشافعىّ عن يمين النائب على نحو ثلاثة أذرع منه ، مسندا ظهره إلى جدار صدر القاعة ، ويجلس قاضى القضاة الحنفىّ عن يمينه ، وقاضى القضاة المالكىّ عن يمين الحنفىّ ، وقاضى القضاة الحنبلىّ عن يمين المالكىّ ؛ وقاضى العسكر الشافعىّ عن يمين قاضى القضاة الحنبلىّ ، وقاضى العسكر

الحنفىّ عن يمين قاضى العسكر الشافعىّ، صَفًّا مساويا للنائب فى صدر القاعة؛ ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقا لمقْعده الذى هو جالس عليه، جاعلا يمينه إلىٰ جدار صــدر القاعة وظهره إلىٰ جهة الكرسىّ بانحراف قليــل لمواجهة النائب؛ وكُتَّاب الدست بالميسرة تحته بالتدريج علىٰ حسب القُدْمَة صفًّا ممتدا من كاتب السر إلىٰ جهة باب القاعة؛ ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر علىٰ سمت يمين قاضى القضاة الحنبلىّ؛ ويجلس ناظر الجيش تحته، وكُتَّابُ الدست بالميمنة تحت ناظر الجيش علىٰ الترتيب بالقُدْمَة أيضا، آخذا من الوزير إلىٰ جهــة باب القــاعة، فيصير كاتب السر والوزيرُ ومَنْ يسامتهما صــفين متقابلين؛ ويجلس أتابكُ العساكر من الأمراء فى رأس الميمنة خلف الوزير علىٰ بُعْد، وبقيــة الأمراء المقدّمين تحتــه علىٰ الترتيب بحسب القُدْمَة، وأمراء الطبلخاناه بالميمنة تحتهم كذلك حتّى يصــيروا صــفًّا آخر كصف الوزير ومَنْ معــه؛ ويجلس المقدّمون من أمراء الميسرة خلف كاتب السر ومَنْ معــه وتحتهم الطبلخاناه علىٰ الترتيب المتقدّم صــفًّا آخر مقابلا لصف الميمنة، بحيث يكون أوّله خارجا عن يســار الكرسىّ. ويكون بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة أذرع، وبينه وبين رأس الميسرة نحو عشرة أذرع، وتقف طائفةٌ من أمراء العشرات والخمسات ومقدّمى الحلقة بالميمنة صَــفًّا مستقيما خلف الأتابك والأمراء الجلوس فى صــفّه علىٰ ترتيب منــازلهم، ويقف ممــاليك النائب عن يسار الكرسىّ صفا آخذا من خلف أوّل مقدّمى الميسرة بانحراف فيه إلىٰ خلف، وطائفةٌ من مقدّمى الحَلْقة خلف الأمراء الجالسين فى الفرجة الواقعة بينهم وبين ممــاليك النائب؛ ويجلس حاجب الحُجّاب أمام النائب فى آخر صفى الموقعــين الممتدّين من كاتب السر والوزير بميلة إلىٰ صف الميمنة؛ ويقف بقيــة الحجاب خلفه، ونُقَباء الجيش خلفهم. وتُرفع القِصَص فيتناولها نقباء الجيش ويوصلونها إلىٰ

حاجب الحُجّاب فيتناولها ويقوم فيوَصِّلها إلىٰ كاتب السر فيفرّقها علىٰ الموقّعين ، ويبتدئ هو بالقراءة فيقرأ ما بيده من القصص ويوقّع عليها بما يرسُمُ به النائب ، ثم يقرأ الذى يليه ،ثم الذى يليه إلىٰ آخر صفه . فإذا فرغ ذلك الصف من القراءة، قرأ مَنْ هو أوّل الصف الذى فى جانب الوزير، ثم الذى يليه، ثم الذى يليه إلىٰ آخر الصف . فإذا آنتهت القراءة،قام القضاة ومَنْ فى صَفهم وكاتبُ السر والوزيرُ وناظرُ الجيش وسائرُ أرباب الأقلام فينصرفون . فإذا آنقضى المجلسُ وآنصرف القضاةُ ومَنْ معهم ، مُدّ السِّماط ،ويجلس النائب علىٰ رأس السماط والأمراء ومقدّمو الحلقة علىٰ ترتيب منازلهم فيأكلون ، ثم يرفع السماط ويتحوّل النائب إلىٰ طَرَف الإيوان فيجلس فيه، ويجلس قدّامه كاتبُ السر وناظرُ الجيش وتأتى المحاكمات فيفصلها، ويقرأ عليه كاتب السر ما يُرْفَع فى ذلك المجلس من القصص، ويتكلم مع ناظر الجيش فيما يتعلق بأمر الجيش والإقطاعات ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف كاتبُ السر وناظر الجيش .

قال فى "مسالك الأبصار" : وتزيد عساكر الشام علىٰ غيرها ركوب يوم السبت . قلت : وهو ركوبٌ مجرّدٌ ليس فيه دار عدل ولا سِمَاط . علىٰ أنه ربما أهمل حضور دار العدل ومدُّ السماط فى يومى الآثنين والخميس أيضا كما فى الديار المصرية .

المقصــــد الثـانى

(فى ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دِمَشْقَ؛ وهو علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(ماهو خارج عن حاضرتها من النِّيابات والولايات)

قد تقدّم أن لدِمَشْقَ أربعَ صفَقات : غربية (وهى الساحلية) . وقبلية . وشمالية . وشرقية . ففى الصفقة الأولىٰ وهى الغربية نيابتان وخمس ولايات .

فأما النيابتان :

فالأولىٰ ـ (نيابة غَزَّة) أو تقدمة العسكر بها علىٰ ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالىٰ .

ومعاملاتها بالدنانير و بالدراهم النُّقْرة ، وصَنْجتها فى الذهب والفضة كصَنْجة الديار المصرية . وكان بها فلوس كل ثمانين منها بدرهم، و يعبَّر عن كل أربعة منها بحَبَّة، ثم راجت بها الفلوس الجُدُد فى أوائل الدولة الناصرية "فرج بن برقوق" ولكن كل ستة وثلاثين فَلْسا منها بدرهم ، ورِطْلها سبعمائة وعشرون درهما بالدرهم المصرى، وأواقيه آثنتا عشرة أوقية ، كل أوقية ستون درهما . ومَكيلاتها معتبرة بالغِرَارة . وكل غِرارة من غرائرها ثلاثة أرادبّ بالمصرى؛ وقياس قُماشها بالذراع المصرى؛ وأرضُها معتبرة بالفدّان الإسلامى والفدّان الرومى علىٰ ما تقدّم فى دِمَشْقَ ؛ وجيوشها مجتمعة من الترك ومَنْ فى معنـاهم ومن العرب والتُّرْكُمان؛ و بها من الوظائف النيابة؛ ثم تارة يصرح لنائبها بنيابة السلطنة . و بكل حال فنائبهـا أو مقدّم العسكر بها لا يكون إلا مقدّم ألف ؛ و بها أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومَنْ فى معناهم؛ وفيها من وظائف أرباب السيوف الحجوبيـة ، وحاجبها أمير طبلخاناه ، وولاية المدينـة ووِلَاية البر، وشدّ الدواوين، والمِهمندارية ، ونِقابة النقباء وغير ذلك .

و بها من الوظائف الديوانية كاتب دَرْج ، وناظر جيش ، وناظر مال ، وولايتهم من الأبواب السلطانية ؛

ومن الوظائف الدينية قاض شـافعى ، وولايته من قِبَـل قاضى دِمَشْقَ إذا كانت غزة تَقْـدمة عسكر و إلا فهى من الأبواب السـلطانية ، وقاض حنفى قد آستُحْدث ، وولايته من الأبواب السلطانية؛ و بها المحتسب ، ووكيل بيت المـال ومَنْ فى معناهم ، وكلهم نوّاب لأرباب هذه الوظائف بدِمَشْقَ كما فى القاضى الشافعى . وليس بها قضاء عسكر ولا إفتاء دار عدل .

الثانية ـ (نيابة القُدُس) ـ وقد تقدّم أنها كانت فى الزمن المتقدّم ولايةً صغيرة وأن النيابة آستُحدِثت فيها فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة، ونيابتها إمرة طبلخاناه، وقد جرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام؛ ومعاملتها بالذهب والفضة والفلوس على ماتقدّم فى معاملة دِمَشْقَ؛ ورطلها (١) وكيلها يعتبر بالغرارة، وغِرارتها (١) وقياس قماشها بذراع (١) ؛وبها من الوظائف غير النيابة ولايةُ قلعة القُدُس، وواليها جندىّ،وكذلك ولاية المدينة، وكانت توليتها أوّلا من جهة نائب السلطنة بدِمَشْقَ، ثم أخبرنى بعض أهل المملكة الشامية أن ولاية والى القلعة وولاية البلد صارتا إلى نائب القُدُس من حين آستقرّ نيابة، وكذلك ولاية بلد الخليل عليه السلام. وبها قاضٍ شافعىّ ومحتسب نائبان عن قاضى دِمَشْقَ ومحتسبها، وكذلك جميع الوظائف بها نيابات عن أرباب الوظائف بدِمَشْقَ .

وأما الولايات :

فالأولى ـ (ولاية الرَّمْلة) ـ وكانت فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون من الولايات الصِّغار بها جندىّ ، ثم آستقرّ بها فى دولة الظاهر برقوق كاشفٌ أمير طبلخاناه ، ثم حدثت مكاتبته عن الأبواب السلطانية بعد ذلك .

الثانية ـ (ولاية لُدّ) ـ وقد كانت فى الأيام الناصرية آبن قلاوون ولايةً صغيرة بها جُنْدِىّ، ثم أضيفت إلى الرملة حين آستقرّ بها الكاشف المقدّم ذكره .

الثالثة ـ (ولاية قَاقُونَ) ـ وكان بها فى الأيام الناصرية جُنْدِىّ،ثم أضيفت إلى كاشف الرملة عند آستقراره .

الرابعة ـ (ولاية بلد الخليل عليه السلام) ـ وكان فى الأيام الناصرية بها جندىّ، ثم أضيفت إلى القُدُس حين آستقرّ النائب به .

---

(١) بياض بالأصل فى هذه المواضع ولعلها مثل الذى تقدّم فى غزة لتقارب الأمكنة .

الخامسة ـ (ولاية نابُلُس) ـ وهى باقية علىٰ حالها فى الآنفراد بالولاية ، وواليها تارة يكون أمير طبلخاناه، وتارة أمير عشرين، وتارة أمير عشرة .

وأما الصفقة الثانية وهى القبلية، فيها نيابتان وثمانُ[1] ولايات .

فأما النيابتان :

فالأولىٰ منهما (نيابة قلعة صَرْخَد) ـ قال فى "التعريف" : قد يجعل فيها من يَحطُّ عن رتبة السلطنة أو تكونُ نيابة معظمة، وذكر نحوه فى "مسالك الأبصار" وكأنه يشير إلىٰ ما كانت عليه فى زمانه، فإنه من جملة مَنْ كان نائبا بها العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة، ثم آنتقل منها إلىٰ نيابة حماة . وآعلم أن بِصَرْخَدَ المذكورة قلعةً لها والٍ خاصٌ . قال فى "التثقيف" : وهى من القلاع التى يستقل نائب الشأم بالتولية فيها .

الثانية ـ (نيابة عَجْلُونَ) ـ وقد أشار فى "التثقيف" إلىٰ أنها نيابة حيث قال : وعَجْلُونُ إن كانت نيابة فإن نائب الشأم يستقل بالتولية فيها ، ولم تجر له عادة بمكاتبة من الأبواب الشريفة .

وأما الولايات :

فالأولىٰ ـ (ولاية بَيْسَانَ) ـ وواليها جُنْدِيٌ .

الثانية ـ (ولاية بَانِيَاسَ) ـ وواليها جُنْدِيٌ تارة، وتارة إمرة عشرة .

الثالثة ـ (ولاية قلعة الصُّبَيْبَة) ـ وكانت ولاية صغيرة وبها جندىٌ ثم أضيفت إلىٰ بَانِيَاسَ .

الرابعة ـ (ولاية الشَّعْرا) ـ وكانت فى الأيام الناصرية مضافة إلىٰ بانياسَ . وهى الآن ولاية مفردة، وواليها جُنْدِىٌ .

(١) أى ان جعلت الصلت ولاية منفردة وإلا فسبعة .

الخامسة ــ (ولاية أَذْرِعَاتَ) ــ قال فى "التعريف" : وبها مقرّ ولاية الحاكم علىٰ جميع الصفقة؛ ثم الحاكم علىٰ جميع الصفقة تارة يكون طبلخاناه وتكون ولايته عن نائب الشأم، وتارة يكون مقدّم ألف فتكون ولايته من الأبواب السلطانية . أخبرنى بعض كُتَّاب دَسْت دِمَشْق أنه إن كان مقدّم ألف، سُمِّىَ كاشف الكُشَّاف وإن كان طبلخاناه سُمِّىَ والى الولاة وهو الغالب .

السادسة ــ (ولاية حُسْبانَ والصَّلْتِ) ــ من البلقاء. أخبرنى القاضى ناصر الدين آبن أبى الطيب كاتبُ السر بدِمَشْقَ أنهما إن جمعا لوال واحد كان أمير طبلخاناه أو أمير عشرة، وإن أفرد كل منهما لوالٍ كان جُنْديا .

السابعة ــ (ولاية بُصْرىٰ) ــ وواليها جُنْدىّ أيضا .

الصفقة الثالثة الشمالية . وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات .

فأما النيابة (فنيابة بَعْلَبَكَّ) ــ وقد كانت فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون إمرة عشرة، ثم صارت الآن إمرة طبلخاناه، وبكل حال فنائب الشأم هو الذى يستقل بولايتها، وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال فى "التعريف" : ولها ولاية خاصة يعنى غير ولاية المدينة؛ وقد كانت فى الدولة الأيوبية مفردة فى الغالب بملك بمفردها .

وأما الولايات :

فالأولىٰ ــ منها (ولاية البِقَاع البَعْلَبَكِّى)[1] ــ قال فى "التعريف": وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَعْلَبَكَّ، وهما مجموعتان لوال واحد جليل مفرد بذاته؛ وهما علىٰ ماذكره من جمعهما لوال واحد إلىٰ الآن، إلا أنه تارة يليهما مقدّم حَلْقة وتارة جندىّ .

(١) أى ولاية "البقاع البعلبكى" و"البقاع العزيزى" فكان المناسب أن يذكر البقاع العزيزى أيضا كما سبق له ذكرهما فى الأعمال وعقبهما بعبارة التعريف هذه فتنبه .

الثـانية ـ (ولاية بَيْرُوتَ) ـ وولايتها الآن إمرة طبلخاناه .

الثـالثة ـ (ولاية صَيْدَا) ـ قال فى "مسالك الأبصار" : وهى ولاية جليلة ؛ وهى على ماذكره إلى زماننا، تارة يليها أمير طبلخاناه، وتارة أمير عشرة .

الصفقة الرابعة الشرقية . وبها ثلاث نيابات وأربع ولايات .

فأما النيابات :

فالأولى ـ (نيابة حِمْص) ـ وهى نيابة جليلة، وقد كانت فى الأيام الناصرية فما بعدها تقدمةَ ألف . قال فى "التثقيف" : ثم آستقرت طبلخاناه بعد ذلك . قال : ونائب قلعتها من المماليك السلطانية . وقد تقدّم أن الذِّكْر فى الزمن القديم كان لها دون حَماة، وقد كانت فى الدولة الأيوبية مملكة منفردة تارة، وتضاف إلى غيرها أخرى .

الثـانية ـ (نيابة مِصْياف) ـ وقد تقدم أنها كانت أوّلا من مضافات أَطْرَابُلُسَ فى جملة قِلَاع الدعوة ، ثم أضيفت بعد ذلك إلى دِمَشْقَ ، وآستمرّت على ذلك إلى الآن . ونيابتها تارة تكون إمرة طبلخاناه، وتارة تكون إمرة عشرة ، وبكل حال فتوليتها من الأبواب السلطانيـة . ونائبها لايكتتب له إلا فى المهمّات دون خلاص الحقوق أيضا .

الثالثة ـ (ولاية صَيْدا)(1) ـ والغـالب فى نيابتها أن تكون تقدمة ألف، وأشار فى "التثقيف" إلى أنها قد تكون طبلخاناه . قال فى "التعريف" : وبقلعتها بحرية وخَيَّالة وكَشَّافة وطوائف من المستخدمين .

---

(1) تقدمت فى "الصفقة الثالثة الشمالية" . على أنه لم يتكلم على الولايات الأربع التى ذكرها فى ترجمة هذه الصفقة ، وقد ذكر فى التعريف الجملة التى نقلها عنه فى الكلام على الرحبة التى عدّها من الصفقة الرابعة وجعل ولاياتها أربعا ولاية حمص ، وولاية سلمية ، وولاية قارا ، وولاية تدمر . وبالجملة فهذا الموضع يحتاج إلى تحرير .

الضرب الثانى
(من الخارج عن حاضرة دمشق العُرْبانُ، والإمرة بها فى بطون من العرب)

البطن الأولى
(آل ربيعة من طَيِّء من كَهْلَانَ من القَحْطانية)

وهم بنو ربيعة بن حازم، بن علىّ، بن مفرج، بن دَغْفَلَ، بن جراح؛ وقد تقدّم نسبه مستوفًى مع ذكر الآختلاف فيه فى الكلام على ما يحتاج إليه الكاتبُ فى المقالة الأولى. قال فى "العبر": وكانت الرياسة عليهم فى زمن الفاطميين: خلفاءِ مصر لبنى جراح، وكان كبيرهم مفرج بن دَغْفَلَ بن جراح، وكان من إقطاعه الرملةُ. ومن ولده حَسَّان وعلىّ ومحمود وحرار، وولى حَسَّان بعده فعظم أمره وعلا صِيتُه، وهو الذى مدحه الرِّيَاشِىّ الشاعر فى شعره. قال الحمدانىّ: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ فى أيام الأتابك زنكى صاحب المَوْصل، وكان أميرَ عرب الشام أيام طُغْتُكين السَّلْجوقىّ صاحب دِمَشْقَ ووفد على السلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فأكرمه وشادَ بذكره. قال: وكان له أربعة أولاد، وهم فَضْل، ومرا، وثابت، ودَغْفَلٌ. ووقع فى كلام المسبحىّ أنه كان له ولد آسمه بدر. قال الحمدانىّ: وفى آل ربيعة جماعة كثيرة أعيانٌ لهم مكانة وأُبَّهَةٌ، أول من رأيتُ منهم مانع بن حديثة وغنام بن الطاهر، على أيام المَلك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب. قال: ثم حضر بعد ذلك منهم إلى الأبواب السلطانية فى دولة المعز أيبك وإلى أيام المنصور قلاوون زامل آبن علىّ بن حديثة، وأخوه أبو بكر بن علىّ، وأحمد بن حجى وأولاده وإخوته، وعيسى آبن مُهَنَّا وأولاده وأخوه؛ وكلهم رؤساءُ أكابر وسادات العرب ووجوهُها. ولهم عند السلاطين حُرْمة كبيرة وصِيتٌ عظيم، إلى رونق فى بيوتهم ومنازلهم.

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ: لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ * مثلُ النُّجوم التى يَسْرِى بها السَّارِى

ثم قال : إلا أنهم مع بُعْدِ صِيتِهم قليلٌ عددُهم . قال فى "مسالك الأبصار" : لكنهم كما قيل :

تُعَـيِّرُنَا أنَّا قَليـلٌ عَدِيدُنَا * فقلتُ لها : إنّ الكرام قَلِيلُ

وماضَرَّنَا أنَّا قَليـلٌ وجَارُنَا * عَزِيزٌ وجَارُ الأكْثَرِينَ ذَلِيلُ

ولم يزل لهم عنـد الملوك المَكَانَةُ العليـة والدرجة الرفيعة، يُحِلُّونَهُمْ فوق كِيوَانَ، ويُنَوِّعون لهم أجناس الإحسان . قال الحمدانى : وَفَدَ فرج بن حيَّة على المعز أيبك فأنزله بدار الضيافة وأقام أياما، فكان مقدارُ ماوصل إليه من عَيْنٍ وقماش وإقامة له ولمن معه ستةً وثلاثين ألف دينار. قال : واجتمع أيام "الظاهر بيبرس" جماعةٌ من آل ربيعةَ وغيرهم فحصل لهم من الضيافة خاصةً فى المدّة اليسيرة أكثرُ من هذا المقـدار، وما يَعْلَمُ ما صُرِف على يدىَ من بيوت الأموال والخزائن والغِلاَل للعرب خاصّةً إلا الله تعالى .

واعلم أن آل ربيعة قد انقسموا إلى ثلاثة أفخاذ، هم المشهورون منهم ومَنْ عداهم أتباعٌ لهم وداخلون فى عَدَدهم. ولكل من الثلاثة أمير مختص به .

الفخذ الأوّل ـ (آلُ فَضْل) ـ وهو فضل بن ربيعة المقدّم ذكره ؛ وهم رأس الكل وأعلاهم درجةً وأرفعهم مكانةً . قال فى "مسالك الأبصار" : وديارُهم من حِمْص إلى قلعة جَعْبَر، إلى الرَّحْبة، آخذين على شِقّ الفرات وأطراف العراق حتى ينتهىَ حدّهم قِبْـلةً بشرق إلى الوَشْم، آخذين يسارا إلى البَصْرة ، ولهم ميـاه كثيرة ومناهلُ موروودة :

ولَهَـا مَنْهَلٌ على كلِّ ماءٍ * وعلى كُلِّ دِمْنَـةٍ آثارُ

وقد ذكر في " مسالك الأبصار " : نقلا عن محمود بن عرام ، من بني ثابت بن ربيعة : أن آل فَضْل تشعَّبوا شُعَبا كثيرة ، منهم آل عيسى ، وآل فرج ، وآل سميط ، وآل مسلم ، وآل عليّ . قال : وأما مَنْ ينضاف إليهم ويدخل فيهم ، فرعب ، والحريث ، وبنو كلب ، وبعض بني كِلَاب ، وآل بَشَّار ، وخالد حمص ، وطائفة من سِنْبِس وسعيدة ، وطائفة من بربر وخالد الحجاز ، وبنو عقيل من كدر ، وبنو رميم ، وبنو حيّ ، وقران ، والسراجون . ويأتيهم من البرية من عربه غالب ، وآل أجود ، والبطنين ، وساعدة ، ومن بني خالد آل جناح ، والصبيات من ميـاس ، والحبور ، والدغم ، والقرسة ، وآل منيحة ، وآل بيوت ، والعامرة ، والعلجات من خالد ، وآل يزيد من عابد ، والدوامر ، إلى غير هؤلاء ممن يخالفهم في بعض الأحيان . قال المقرّ الشهابيّ بن فضل الله : على أني لا أعلم في وقتنا من لا يُؤْثِرُ صحبتَهم ويُظْهِر محبَّتَهم . وسيأتي ذكر قبائلِ أكثرِ هذه العُرْبان التي تنضاف إليهم في مواضعها إن شاء الله تعالى .

قال في "مسالك الأبصار" : وأسعدُ بيت في وقتنا آل عيسى ، وقد صاروا بيوتا : بيت مُهَنَّا بن عيسى ، وبيت فَضْل بن عيسى ، وبيت حارث بن عيسى ، وأولاد محمد ابن عيسى ، وأولاد حديثة بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى . قال : وهؤلاء آل عيسى في وقتنا هم ملوك البر فيما بَعُدَ واقترب ، وساداتُ الناس ولا تصلُح إلا عليهم العرب .

وأما الإمرة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولّى من الأبواب السلطانية ، ويُكتَب له تقليدٌ شريف بذلك ، ويلبس تشريفا أطلسَ أُسْوة النوّاب إن كان حاضرا ، أو يُجَهَّزُ إليه إن كان غائبا ، ويكون لكل طائفة منهم كبيرٌ قائم مقام أمير عليهم ، وتصدر إليه المكاتَبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليدٌ ولا مرسوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولم يصرِّح لأحد منهم بإمرة على العرب

بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر : أخي السلطان صلاح الدين يوسف آبن أيوب ، أمّر منهم حديثة يعني آبن عُقْبة[(١)] بن فضل بن ربيعة ، والذي ذكره قاضي القضاة وليّ الدين بن خلدون في تاريخه أن الإمرة عليهم في أيام العادل أبي بكر بن أيوب كانت لعيسى بن محمد بن ربيعة ، ثم كان بعده ماتع بن حديثة آبن عقبة[(١)] بن فضل ، وتوفي سنة ثلاثين وستمائة ، وولّى عليهم بعده آبنه مهنا ، وحضر مع المظفر قطز قتال هولاكو ملك التتار وآنتزع سَلَمِيَّة من المنصور بن المظفر صاحب حماة وأقطعها له ؛ ثم ولّى الظاهر بيبرس عند مسيره إلى دِمَشْق لتشييع الخليفة المستعصم إلى بغداد عيسى بن مهنا بن ماتع ووفّر له الإقطاعات على حفظ السابلة وبقي حتّى توفّي سنة أربع وثمانين وستمائة ؛ فولّى المنصورُ قلاوونُ مكانه آبنه مهنا بن عيسى ، ثم سافر الأشرف "خليل بن قلاوون" إلى الشام فوفد عليه مهنا آبن عيسى في جماعة من قومه فقبض عليهم ، وبعث بهم إلى قلعة الجبل بمصر فآعتُقِلوا بها وبقوا في السجن حتّى أفرج عنهم العادل كتبغا عند جلوسه على التخت سنة أربع وتسعين وستمائة ورجع إلى إمارته ؛ ثم كان له في أيام الناصر بن قلاوون نُصْرَةٌ وآستقامة تارة وتارة ، وميلٌ إلى التتر بالعراق ، ولم يحضر شيئا من وقائع غازان ؛ ووفد أخوه فَضْل بن عيسى على السلطان الملك الناصر سنة آثنتي عشرة وسبعمائة فولاه مكانه وبقي مهنا مشرّدا ، ثم لحق سنة ست عشرة بخدابندا ملك التتار بالعراق فأكرمه وأقطعه بالعراق وهلك خدابندا في تلك السنة فرجع مهنا إلى الشام ، وبعث آبنيه محمدا وموسى وأخاه محمد بن عيسى إلى الملك الناصر ، فأكرمهم وأحسن إليهم ، وردّ مهنا إلى إمارته وإقطاعه ؛ ثم رجع إلى موالاة التتر فطرد السلطانُ الملكُ الناصر آل فَضْل بأجمعهم من الشام وجعل مكانهم آل عليّ ، وولّى منهم على أحياء العرب محمدَ

(١) في الأصل هنا غضبة ، والذي في الجزء الأوّل (ص ٣٢٥) عقبة ، فليتنبه .

آبن أبى بكر بن علىّ ، وصرف إقطاع مهنا وأولاده إليه و إلىٰ أولاده ، وأقام الحاسب علىٰ ذلك مدّة . ثم وفد مهنا علىٰ السلطان الملك النـاصر صحبةَ الأفضـل بن المؤيد صاحب حماة فرضى عنه السـلطان وأعاد إمرته إليه و رجع إلىٰ أهله ، فتوفى سـنة أربع وثلاثين وسبعمائة ؛ وَوَلِيَ مكانه أخوه سليمان[1] فبقى حتّى توفّى سنة أربع وأربعين وسبعمائة عقب موت الملك الناصر ، ووَلِيَ مكانه أخوه سَيْفُ بن فضـل فبقى حتّى عزله السلطان الملك الكامل "شعبان بن قلاوون" سنة ست وأربعين ، وولّى مكانه أحمد بن مهنا بن عيسىٰ فبقى حتّى توفّى فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة فى سلطنة الناصر "حسن بن محمد بن قلاوون" المرة الأولىٰ ؛ ووَلِيَ مكانه أخوه فَيَّاض فبقى حتّى مات سنة ستين وسبعمائة ، وولى مكانه أخوه جبار من جهة الناصر حسن فى سلطته الثانية ، ثم حصلت منه نفرة فى سنة خمس وستين وسبعمائة وأقام علىٰ ذلك سنتين إلىٰ أن تكلم بسببه مع السلطان نائبُ حماة يومئذ فأعيد إلىٰ إمارته ؛ ثم حصل منه نُفْرة ثانية سنة سبعين فى الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" فولّى مكانه آبن عمه زامل آبن موسىٰ بن عيسىٰ فكانت بينهم حروبٌ ، قتل فى بعضها قشتمر المنصورىّ نائب حلب فصرفه الأشرف و ولّى مكانه آبن عمه مُعَيقلَ بن فضـل بن عيسىٰ ، ثم بعث معيقلٌ فى سـنة إحدىٰ وسبعين يستأمن لجبار المتقدّم ذكره من السلطان الملك الأشرف فأمنه ، ووفد جبار علىٰ السلطان فى سـنة خمس وسبعين فرضِيَ عنه وأعاده إلىٰ إمرته فبقى حتّى توفّى سنة سبع وسبعين ، فولّى مكانه أخوه قنارة ، وبقى حتّى مات سنة إحدىٰ وثمانين ، فولّى مكانه معيقلُ بن فضل بن عيسىٰ وزامل بن موسىٰ آبن عيسىٰ المتقدّم ذكرهما شريكين فى الإمارة ؛ ثم عُزِلا فى سنتهما وولّى مكانهما

(١) ذكر فى العبر بين هذا والذى قبـله مظفر الدين موسى ووفاته فى ٤٢ وذكر أن سليمان توفى فى ٤٣ و بعده شرف الدين عيسى بن فضل ووفاته فى ٤٤ .

محمد بن جبـار بن مُهَنّا وهو نُعَير ، ثم وقعت منه نُفْرة فى الدولة الظاهرية برقوق ، فولى مكانه بعض آل زامل ، ثم أعيد نعير المذكور إلى إمرته وهو باق على ذلك إلى الآن[1] ، وهو محمد بن جبار بن مهنا بن عيسىٰ بن مهنا بن ماتع بن حديثة بن عقبة آبن فضل بن ربيعة .

وقد ذكر المقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أمراء آل فضل فى زمانه ، فذكر أن أميرَ آل عيسىٰ وسائرآل فَضْلٍ أحمدُ بن مهنا ، وأميرَ بيت فضل آبن عيسىٰ سيفُ بن فضل ، وأمير بيت حارث بن عيسىٰ قناة بن حارث . ثم قال : أما أولاد محمد بن عيسىٰ ، وأولاد حديثة بن عيسىٰ ، وآل هبة بن عيسىٰ فأتباعٌ .

وذكر القاضى تقىّ الدين بن ناظر الجيش فى "التثقيف" : أنهم صاروا بيتين : وهما بيت مهنا بن عيسىٰ وفضـل بن عيسى . وذكر من أكابرهم عَسّاف بن مهنا وأخاه عنقا ، وزامل بن موسىٰ بن مهنا ، ومحمد بن جبار وهو نُعَير قبل الإمرة ، وعوّاد آبن سليمان بن مهنا ، وعلىّ بن سليمان بن مهنا ؛ وأما بنو فضـل بن عيسىٰ فذكر منهم فضل بن عيسىٰ ، ومُعَيْقَلَ بن فضل ، وقال : كان قبلهما سيف وأبو بكر . ثم قال : وممن لم يكاتَبْ أولاد فَيَّاض وبقية أولاد جبار ورقيبة بن عمر بن موسىٰ ونحوهم .

الفخذ الثانى ـ (من آل ربيعة آلُ مرا) ـ نسبة إلى مرا بن ربيعة ، وهو أخو فضل المتقدّم ذكره . قال فى "التعريف" : ومنازلهم حَوْرَانُ . وقال فى "مسالك الأبصار" : ديارهم من بلاد الجَيْدُور والجَوْلان إلى الزرقاء والضليل إلى بُصْرىٰ ، ومُشرِّقًا إلى الحَرّة المعروفة بحَرّة كشت قريبـا من مكّةَ المعظمة إلى شَعْباء إلى نيران مَزْيَد إلى الهَضْب المعروف بهضب الراقى ، وربمـا طاب لهم البر وآمتدّ بهم المَرْعىٰ أوانَ خِصْبِ الشتاء فتوسعوا فى الأرض وأطالوا عدد الأيام والليالى حتّى تعودَ مكّةُ

(١) فى العبر عصية .

المعظمة وراءَ ظهورهم، ويكاد سهيلٌ يصير شامَهُم، ويصيرون مستقبلين بوجوههم الشام . وقد تشعب آل مرا أيضا شُعَبا كثيرة ، وهم آل أحمد بن حجى وفيهم الإمرة، وآل مسخر، وآل نمىّ، وآل بقرة، وآل شمّاء .

وممن ينضاف إليهم ويدخل فى إمرة أمرائهم حارثةُ، والخاص، ولامٌ، وسعيدة، ومُذْحِجٌ، وقرير، وبنو صخر، وزبيد حَوْرَانَ: وهم زبيد صَرْخَدَ، وبنو غَنِىّ، وبنو عمر قال؛ ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير، والمَفَارجة ، وآل سلطان، وآل غزىّ، وآل برجس ، والحرسان، وآل المغيرة، وآل أبى فضيل ، والزرّاق، وبنو حسين الشرفاء، ومطين، وخثعم، وعدوان، وعنزة . قال: وآل مرا أبطال مَنَاجيد، ورجال صناديد ، وأقيال قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أو حَدِيدًا ، لا يعدّ منهم عَنْتَرَةُ العَبْسِىّ، ولا عَرَابَةُ الأَوْسِىّ، إلا أن الحظ يحظ بنى عمهم [بأكثر] مما يحظهم، ولم تزل بينهم نُوَب الحَرب، ولهم فى أكثرها الغَلَب . قال الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبىّ رحمه الله : كنت فى نوبة حمص فى واقعة التتار جالسا على سَطْح باب الإصطبل السلطانىّ بدمشق إذ أقبل آل مرا زُهاءَ أربعة آلاف فارس شاكين فى السلاح على الخيل المسوّمة ، والجياد المطهمة ، وعليهم الكزغندات الحمر الأطلس المعدنىّ ، والديباج الرومىّ، وعلى رءوسهم البَيْض، مقلَّدين بالسيوف، وبأيديهم الرماح كأنهم صُقُور على صُقُور، وأمامهم العبيد تميل على الركائب، ويرقصون بتراقص المهارى، وبأيديهم الجنائب؛ التى إليها عيون الملوك صَوْرا ؛ ووراءهم الظعائن والحمول، ومعهم مغنّية لهم تعرف بالحضرمية طائرة السُّمعة، سافرة من الهودج وهى تغنى :

وكُنَّا حَسِبْنَا كلَّ بيضاءَ شحْمَةً * لَيَالِىَ لاقينا جُذَاماً وحِمْيَرَا
ولَمَّا لَقِينَا عُصْبَةً تَغْلِبِيَّةً * يقودون جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ ضُمَّرَا
فلما قَرَعْنا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بَعْضَهُ * ببعض أَبَتْ عِيدَانُه أن تَكَسَّرَا
سَقَيْنَاهُمُ كَأْسًا سَقَوْنَا بمِثْلِه * ولَكِنَّهم كانُوا على الموت أَصْبَرَا

وكان الأمر كذلك ، فإن الكسرة أوّلا كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكَرَّة على التتار، فسبحان منطق الألسنة ومُصَرِّف الأقدار .

الفخذ الثالث — من آل ربيعة (آلُ علىّ) — وهم فِرْقة من آل فضل المقدّم ذكرهم ينتسبون إلى علىّ بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . قال فى "مسالك الأبصار" : وديارهم مرج دِمَشْقَ وغُوطتُها ، بين إخوتهم آل فضل وبنى عمهم آل مرا ، ومنتهاهم إلى الحوف والجَبَابنة ، إلى السكة ، إلى البرادع . قال فى "التعريف" : وإنما نزلوا غُوطةَ دِمَشْقَ حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مُهَنّا وبقى جار الفرات فى تلابيب التتار . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت عظيم الشأن مشهور السادات ، إلى أموال جمة ونعم ضخمة ومكانة فى الدول علية . وأما الإمرة عليهم فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أنه كان أميرهم فى زمانه رَمْلَةَ بن جماز بن محمد بن أبى بكر بن علىّ بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ثم قال : وقد كان جدّه أميرا ثم أبوه . قلد الملكُ الأشرفُ "خليل بن قلاوون" جدّه محمد بن أبى بكر إمرة آل فضل ، حين أمسك مهنا بن عيسى . ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه أيضا حين طرد مهنا وسائر إخوته وأهله . قال : ولما أُمِّر رملةُ كان حَدَثَ السنّ فحسده أعمامه بنو محمد بن أبى بكر ، وقدموا على السلطان بتقادِمِهم وترامَوْا على الأمراء ، وخواصّ السلطان ، وذوى الوظائف فلم يُحضِرهم السلطان إلى عنده ولا أَدْنَى أحدا منهم ، فرجعوا بعد معاينة الحَيْن ، بخُفَّىْ حُنَيْن ؛ ثم لم يزالوا يتربصون به الدوائر وينصبُون له الحبائل والله تعالى يقيه سيئات ما مكروا حتّى صار سيدَ قومه ، وفَرْقَدَ دهره ، والمُسَوَّدَ فى عشيرته ، المبَيِّض لوجوه الأيام بسيرته . وله إخوة مَيَامِينُ كبرا ، هم أمراء آل فضل وآل مرا . وقد ذكر القاضى تقىّ الدين بن ناظر الجيش فى "التثقيف" : أن الأمير عليهم فى زمانه فى الدولة الظاهرية برقوق كان عيسى بن زيد بن جماز .

البطن الثانيـــة

جَرْم (بفتح الجيم وسكون الراء المهملة) . قال الحمدانىّ : وآسمه ثعلبة وجرم آسم أمه ، وقد تقدّم ذكر نسبه فى الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب فى المقالة الأولى . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم ببلاد غَزَّةَ والدَّارُوم ممـا يلى الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليـه السلام . قال الحمـدانىّ : وجَرْمٌ المذكورة شَمَجان ، وقمران ، وجَيَّان . قال : والمشهور منهم الآن جذيمةُ، ويقال إن لهم نسبا فى قريش ، وزعم بعضهم أنهـا ترجع إلى مخزوم . وقال آخرون : بل من جَذِيمة بن مالك بن حنبل ابن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر . ثم قال : وجذيمة هذه هم آل عَوْسَجةَ، وآل أحمد، وآل محمود، وكلهم فى إمارة شاور بن سنان ثم فى بنيه، وكان لسنان المذكور أخوان فيهما سُودَدٌ : وهما غانم وخضر . ومن جذيمة جابع (؟) الرايديين وبنو أَسْلَمَ، ويقال إن أَسْلَمَ من جُذَام لا من جذيمة ولكنها آختلطت بها ؛ ومن جذيمة أيضا شبل ، ورضيعة جَرْم ونيفور، والقذرة ، والأحامدة ، والرفئة وكور جرم ، وموقع . وكان كبيرهم مالك الموقعىّ؛ وكان مقدّما عنـد السلطان صـلاح الدين بن أيوب وأخيه العادل؛ ومنهم بنو غَوْر، ويقـال إنهم من جرم بن جرمز من سنبس؛ ومن هؤلاء العاجلة، والصمان، والعبادلة ، وبنو تمام ، وبنو جميل؛ ومن بنى جميل بنو مقدام؛ ومن بنى غور آل نادر؛ ومن بنى غوث بنو بها ، وبنو خَوْلة ، وبنو هِرْماس . وبنو عيسى، وبنو سُهَيل . وأرضهم الدَّارُوم، وكانوا سفراء بين الملوك ، وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببنى فهيد ثم آختلطوا بهـم . قال الحمدانىّ : فهـذه جرم الشام وحلفاؤهم ، ومن جاورهم ولاذ بهم .

وأما الإمرة عليهم . فقـد ذكر فى "التعريف" : أن الإمرة على عرب غَزَّة فى زمانه كانت لفضل بن حجى؛ وعرب غزة هم جَرْمٌ المذكورون، والمعروف أن

جَرْمًا يكون لهم مقــدّم لا أمــير . وعليه جرىٰ القــاضى تقىّ الدين بن ناظر الجيش فى "التثقيف" وذكر أن مقدّمهم فى زمانه فى الدولة الظاهرية برقوق كان علىّ آبن فضل .

البطن الثالثـــــة

ثَعْلَبَة من طيئ أيضا . قال فى "مسالك الأبصار" : وديارهم ممــا يلى مصر إلىٰ الخَرُّوبة . وقد تقدّم فى سياقة الكلام علىٰ جَرْم أن ثعلبة هذه من بقايا ثَعْلبةَ المنتقلين إلىٰ مصر، وتقدّم فى الكلام علىٰ عرب الديار المصرية أن ثعلبة الذى يُنْسَبون إليه ثَعْلبةُ آبن سَلَامان ، وأن سَــلَامان بطن من بطون طيِّئٍ ، وأن ثعلبة المذكورين بطنان : وهما دَرْمَا وزُرَيْقٌ آبنا عوف بن ثعلبة وقيل آبنا ثعلبة لصُلْبه ، وأن آسم دَرْمَا عَمْرو، ودَرْمَا آسم أمه فغلب عليه ، وأن من دَرْمَا الجَوَاهرة والحَنَابلة والصُّبَيْحيين . قال الحمدانىّ : وثعلبة الشام من دَرْمَا آل غياث الجواهرة ومن الحنابلة ومن بنى وَهْم من الصُّبَيْحيين ، ومن أحْلافهم فرقةٌ من النعيميين ومن العار والجمــان ؛ وتقــدّم فى الكلام علىٰ ثعلبة مصر أيضا أن بكل من ثعلبة مصر والشام قوما من خِنْدِف وقيس ومُراد ويمن .

قلت : ولم يكن فى "التعريف" ولا "التثقيف" لثعلبة المذكورين ذِكْرٌ لعدم مَنْ يكاتَب منهم إذ لم يكونوا فى معنىٰ من تقدّم .

البطن الرابعـــــة

بنو مَهْدِىّ (بفتح الميم وسكون الهاء والدال المهملة) قد تقــدّم فى الكلام علىٰ عرب الديار المصرية أنهم أخو لخم وهو جُذَام بن عدىّ بن عمرو بن سبإٍ من العرب العاربة ، إما من عمرو بن سبإٍ من القَحْطانية كما يقتضيه كلام " مسالك الأبصار"

وإما من عُذْرَة من قُضَاعَة من حِمْيَر بن سبإ من القحطانية أيضا كما صرح به في "التعريف". قال في "التعريف": ومنازلهم البَلْقاء. وقال في "مسالك الأبصار": منازلهم البَلْقاء إلى ناس[1] إلى الصنوان، إلى عَلَم أعفر. قال الحمداني: ومن بني مَهْدِيّ المَشَابطة الذين منهم أولاد عسكر، والعناترة، والنترات، واليَعَاقبة، والمطارنة، والعفير، والرُّويم، والقَطَّاربة، وأولاد الطائية وبنو دوس، وآل يسار، والمحابرة، والسماعة، والعَجَّارمة من بني طريف، وبنو خالد والسلمان والقرانسة والدرالات والحمالات والمساهرة والمعاورة، وبنو عطا، وبنو مَيَّاد وآل شبل، وآل رويم، وهم غير الرويم المتقدّم ذكرهم، والمحارقة وبنو عِياض؛ ومنهم طائفة حول الكَرَك يأتي ذكرهم في الكلام على عرب الكَرَك. قال الحمداني: ويجاورهم بالبلقاء طائفة من حارثة ولهم نسب بقُرى بني عُقْبة.

وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "التعريف" أن إمرتهم مقسومة في أربعة منهم، لكل واحد منهم الربع، ولم يسم أمراء زمانه منهم. وذكر في "التثقيف" مثل ذلك، وسمّى أمراءهم في زمانه. فقال: وهم بدر بن ذئب بن محفوظ العَنْبسي، وسعيدُ بن بحرى بن حسن العنبسي، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنبسي، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسري.

البطن الخامسة

زُبَيْدٌ (بضم الزاي). قال في "مسالك الأبصار": وهم فرقٌ شتّى. وذكر مَن بالشام وغيره ولم يتعرض لنسبهم في أيّ أحياء العرب. وذكر الجوهريُّ أن زُبَيْدًا اسم قبيلة، ولم يزد على ذلك. قلت: والموجود في كتب التاريخ عدّ زُبَيْد من

---

(١) كذا في الاصل بالإهمال.

بطون سعد العَشِيرة من مَذْحِج بن كَهْلان بن سبإ من العرب العاربة، وهم عرب اليمن على ما تقدّم ذكره . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن بالشام منهم فِرْقَةً بصَرْخَدَ، وفرقةً بغُوطة دِمَشْق . وذكر في "التعريف" : منهم زُبَيْد المَرْج وزُبَيْد حَوْرَانَ وزُبَيْد الأحلاف . وذكر مثله في " التثقيف " : ومقتضى الجمع بين كلامه في "المسالك" و "التعريف" : أن تكون زُبَيْدٌ خمسَ فِرَق : زُبيد المرج، وزُبيد الغوطة، وزُبيد صَرْخَد، وزُبيد حَوْرانَ، وزُبيد الأحلاف وليس كذلك، بل زُبيد الغوطة وزُبيد المرج واحدة، فإن المراد غوطةُ دِمَشْق ومَرْجُها، وهما متصلان والنازلون فيهما كالفرقة الواحدة، وزُبيد صَرْخَدَ هي زُبَيْدُ حَوْرَانَ كما صرح به في موضع آخر من "مسالك الأبصار" : إذ صَرْخَدُ من جملة بلاد حَوْرَانَ . أما زُبَيد الأحلاف فديارهم بالقرب من الرَّحْبة بجوار آل فَضْل . قال الحمدانيّ : والذين بصَرْخَدَ منهم آل مَيّاس، وآل صيفي، وآل برة، وآل محسن، وآل جحش، وآل رجاء . والذين بالمَرْج والغوطة آل رجاء، وآل بدال، والدوس، والحريث، وهم في عداد آل ربيعة المتقدّم ذكرهم وذكر معهم المشارقة جيرانهم . ثم قال : وإمرة زُبَيْد هؤلاء في نَوْفَل، وليس للمشارقة إمرة، ولكن لهم شيوخ منهم؛ وأمر الفريقين إلى نوّاب الشأم ليس لأحد من أمراء العرب عليهم إمرة؛ وديارهم متصلة من المرج والغوطة إلى أُمِّ أوْعال إلى الدريشدان؛ وعليهم الدَّرك وحفظ الأطراف .

⁂

وأما العرب المستعربة، (وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ! على ما تقدّم بيانه في الكلام على عرب الديار المصرية)، فالمشهور بأعمال دِمَشْقَ منهم قبيلة واحدة، وهم بنو خالد عَرَبُ حِمْصَ . قال الحمدانيّ : وهم يَدَّعُون النسب إلى خالد

آبن الوليد رضى الله عنه ، وقد أجمع أهل العلم بالنسب على آنقراض عقبه . قال في "مسالك الأبصار" : ولعلهم من ذوى قرابته من مخزوم ، وكفاهم ذلك فخارا أن يكونوا من قريش . وقد تقدّم ذكر نسب مخزوم فى قريش فى الكلام على بنى خالد فى جملة عرب الديار المصرية فأغنى عن إعادته هنا .

قلت : ومن جملة من عدّه في "التعريف" من عرب الشام غَزِيَّة ، ولم يتحرّر لى هل هى من العرب العاربة أو العرب المستعربة فلذلك ذكرتها بمفردها . وقد ذكر الحمدانى أنهم متفرّقون فى الشأم والحجاز وبغداد ، وفيما بين العراق والحجاز ، ولم يذكر واحد منهما منازلهم من الشأم ، بل ذكر الحمدانى منازلهم بالبَرِّيَّة والعراق خاصّة . وقال : هم بطون وأفخاذ ، ولهم مشايخُ منهم مَنْ وَفَدَ على السلاطين فى زماننا ، وأشار في "التعريف" إلى أن الغالب عليهم عدمُ الطاعة ، ومنهم أحْلاف لآل فضل قد تقدّم ذكرهم وهم غالبٌ وآل أجود والبطنين ، وسأذكرها ببطونها ومنازلها ومياهها من البَرِّيَّة فى جملة عرب الحجاز .

النِّيَابة الثانية

(من نيابات السلطنة بالممالك الشامية ، نيابةُ حلب ؛ وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى ذكر أحوالها فى المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامَلُ بها من الدنانير والدراهم والصَّنْجة ، فعلى ماتقدّم فى دِمَشْق من غير فرق ، ولم تَرُج الفلوس الجُدُد فيها إلى الآن وإنما يُتعامل فيها بالفلوس القديمة ، ورِطْلها سبعمائة وعشرون درهما ، وأواقيُّه آثنتا عشرة أوقيّة ، كل أوقية ستون درهما ، وفى أعمالها ربما زاد الرطل على ذلك ، وتعتبر مَكِيلاتها بالمَكُّوك

فى حاضرتها وسائر أعمالها ، والمكّوك المعتبر فى حاضرتها سبع ويبات بالكيل المصرىّ ، وأما فى نواحيهـا وبلادها ، فيختلف آختلافا متباينـا فى الزيادة والنقص . قال فى "مسالك الأبصار" (١) : والمعتـدل منها أن يكون كل مكّوكين ونصـف غرارةً ، وما بين ذلك كل ذلك تقريبا ، ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش المصرىّ سُـدُس ذراع ، وهو أربعة قراريط ، وتعتبر أرض دورها بذراع العمل كما فى الديار المصرية وأرض زراعتها بالفدّان الإسلامىّ والفدّان الرومىّ كما فى دِمَشْق ، وخراج أرض الزراعة بها كما فى دِمَشْق ، وأسعارها على نحو سعر دِمَشْق إلا فى الفواكه فإنها فى دِمَشْق أرخص لكثرتها بها .

الجمـــــلة الثـانية
(فى ترتيب مملكتها ، وهى على ضربين)

الضرب الاوّل
(ترتيب حاضرتهـا)

أما جيوشها فعلى ما تقـدّم فى دِمَشْق من آشتمـال عسكرها على التُّرْك والجركس والروم والروس وغير ذلك مـن الأجناس المشابهة للترك ، وآنقسامها إلى الأمراء المقدّمين والطبلخانات والعشرات ومَنْ فى معناهم من العشرينات والخمسات ، وكذلك أجناد الحَلْقة ومقدّموها ، وإقطاعاتها على نحو ما تقدّم فى دِمَشْق فى المقدار ، وربمـا زاد إقطاع الحَلْقة بها على إقطاع الحلقـة بالديار المصرية بخلاف إقطاعات الأمراء بها فإنها لا تساوى إقطاعات الأمراء بالديار المصرية .

وأما وظائفها فعلى أربعة أصناف .

(١) تقدم ذلك فى (ص ١١٨) من هذا الجزء فأنظره .

الصنـــف الأول

(وظائف أرباب السيوف؛ وهى عدّة وظائف)

(منها) نيابة السلطنة ـ وهى نيابة جليلة فى الرتبة الثانية من نيابة دِمَشْقَ . ويعبر عنها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنائب السلطنة الشريفة ، ولا يقال فيه كافل السلطنة كما يقال لنائب دمَشْق، ويُكْتَب عن نائبها التواقيع الكريمة بأكثر وظائف حَلَبَ وأعمالها ، وكذلك يُكْتَب عنه المَربَّعات الجيشية بالديار المصرية ، والمناشير الإقطاعية على حكمها كما تقدّم فى دمشق ، وكذلك يكتب على كل مايتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد ، ويزيد على نائب دِمَشْق بسَرْحتَيْن يسرحهما للصيد ، الأولى منهما يسَرحها فى بلاد حَلَبَ من جانب الفُرات الغربىّ يتصيد فيها الغِزلان ، يقيم فيها نحو عشرة أيام ؛ والثانية وهى العظمى يَعْبُرُ فيها الفُرَاتَ إلى بر الجزيرة شرقىّ الفرات ، ويتنقّل فى نواحيها مما هو داخل فى مملكة الديار المصرية وما حولها ، يتصيد فيها الغِزْلان وغيرها من سائر الوحوش ، ويقيم فيها نحو شهر .

(ومنهـا) نيابة القلعة بحَلَبَ ـ وهى نيابة منفردة عن نيابة السلطنة بها ، وليس لنائب السلطنة على القلعـة ولا على نائبها حكم كما تقدّم فى قلعة دِمَشْقَ ، وعادة نائبها أن يكون أمير طبلخاناه ، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف ، وفيها من الأجناد البحرية المُعَدّين لحراستها نحوُ أربعين نفسا ، مقيمون بها لا يفطعَنُون عنها بسفر ولا غيره ، يجلس منهم فى كل نوبة عِدّة فى الباب الثانى منها من حين فتح الباب فى أول النهار وإلى حين قفله فى آخر النهار ، وبهـا الحَرَس فى الليل ، وضرب الطُّبْلة على مضىّ كل أربع دَرَج كما تقدّم فى قلعة دمشق .

(ومنها) الحُجُوبية — والعادة أن يكون بها أربعة حُجّاب. أحدهم مقدّم ألف: وهو حاجب الحُجّاب، ويعبر عنه فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة فى المكاتبات وغيرها بأمير حاجب بحلب كحاجب الحُجّاب بدمَشْق، وهو ثانى نائب السلطنة فى الرتبة ولا يدخل أحد دارَ النيابة راكبا غير النائب وغيرَه، وهو نائب الغَيْبة إذا خرج نائب السلطنة فى مهمّ أو متصيَّد أو غير ذلك، وإليه تَرِدُ المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطنة إذا أراد السلطان القبضَ عليه، ويكون هو المتصدّىَ لحال البلد إلى أن يُقام لها نائبٌ، والثلاثة الباقون إما ثلاث طبلخانات، أو طبلخانتان وعشرة، أو ما فى معنى ذلك، وولاية حاجب الحُجّاب والحاجب الثانى من الأبواب الشريفة السلطانية بغير تقليد ولا مرسوم، ومَنْ عداهما ولايته عن نائب حلب، وفيها آثنان واحد بالمَيْمنة وواحد بالمَيْسرة، فالذى فى الميمنة فى الغالب يكون أمير عشرة وربما كان أمير خمسة، والذى بالميسرة جندىٌّ من أجناد الحَلْقة، وولايتهما عن النائب كل منهما بتوقيع كريم.

(ومنها) شدّ الأوقاف — وهى بها رتبةٌ جليلة أعلى من شدّ الأوقاف بدمَشْق، وعادتها تقدمة ألف أو طبلخاناه، تُوَلّى من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف. كذا أخبرنى بعض أهلها، ومتوليها يتحدّث على سائر أوقاف المملكة الحلبية.

(ومنها) المِهْمنْدَارِيّة — وموضوعها على ما تقدّم فى الديار المصرية ودِمَشْق، وبها آثنان: فأحدهما تارة يكون أمير طبلخاناه وتارة يكون أمير عشرة، والآخر جندىٌّ حَلْقة، وولاية كل منهما بكل حال عن النائب بتوقيع كريم.

(ومنها) شَدّ الدَّواوين — وموضوعها كما تقدّم فى الديار المصرية ودِمَشْق، وعادته إمرة عشرة، وربما وليها جُنْدىٌّ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم.

(ومنها) شــدّ مراكز البريد ـ وموضوعها كما تقــدّم فى دِمَشْق، وعادتها إمرة عشرة، وربمــا كان مقدّمَ حَلْقة أو جنديا، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) ولاية المدينــة ـ وموضوعها التحدّث فى الشُّرْطَة كما تقــدّم فى الديار المصرية ودِمَشْق ، وعادتها إمرة عشرة، وربمــا وليها مقــدّم حَلْقة ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شــدّ الأقواد ـ وموضوعها التحدّث على الأموال التى تُسَاق قَوَدًا من المملكة فى كل سنة ، وعادتها إمرة عشرة ، وربمــا وليها مقدّم حَلْقة ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

قلت : وسائر وظائف الأمراء أربابِ السيوف المستقرّ مثلُهم بالحضرة السلطانية كرأس نَوْبة وأمير مجلس ومَنْ فى معناهمــا ممن يجرى هذا المَجْرى المختص بالنائب يكون له مثلُها من أجناده لقيامه مقام السلطان هناك كما تقدّم فى دِمشق .

وأما الوظائف الديوانية بها لأرباب الأقلام .

(فمنها) الوِزَارة ـ ويعبَّر عنها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفــة بنظر المملكة ليس إلا ، ولا يصرّح له بآسم الوزارة بحال ، وإن كان الجارى على ألســنة العامة تلقيبَ متوليها بالوزير، ولم تجر العادة بأن يتولاها إلا أرباب الأقلام، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ،ولديوان هذا النظر عدّة مباشرين أتباعٌ لناظرها كصاحب الديوان والمستوفِى والكُتَّاب والشهود وسائر فروع الوزارة،والنائب يولّى كُلًّا من هؤلاء المباشرين بتواقيع كريمة .

(ومنها) كتابة السرّ ـ ويعبَّر عن متوليها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بصاحب ديوان المكاتبات بحلب ، ولا يُسْــمَح له بصاحب ديوان الإنشاء بحلب

كما فى دِمَشْق؛ وولايتــه من الأبواب الشريفــة بتوقيع شريف ؛ وبديوانه كُتَّاب الدَّست وكُتَّاب الدَّرج كما فى دِمَشْق والديار المصرية .

(ومنها) نظر الجيش ــ والحكم فيه كما تقدّم فى دِمَشْق من كتابة المرَبَّعات بمـا يُعيِّنـه النائب من الإقطاعات وتجهيزها للأبواب الشريفة لتُشمَل بالخط الشريف وتخلَّد شاهـدا بديوان الجيوش بالديار المصرية ، وكذلك إثبات مايصــدر إليه من المناشير من الأبواب الشريفة؛ وولايته من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نظر المال ــ وهو بمعنىٰ الوزارة كما فى دِمَشْق إلا أنه لايطلق علىٰ متوليه وزير البتة ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ولديوانه كُتَّاب أتباعٌ له : كصاحب الديوان والكُتَّاب والشهود وغيرهم؛وولاية كل منهم عن النائب بتواقيع لهم كما فى دِمَشْق .

(ومنها) نظر الأوقاف ــ وحكمها التحدّث علىٰ الأوقاف بمدينة حَلَب وأعمالها كما فى دمَشْق؛ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الجامع الكبير ــ ومتوليها يكون رفيقا للنائب فى التحدّث فيه؛ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيمارستان ــ وقد تقدّم فى الكلام علىٰ مدينة حَلَب أن بها بيمارستانين أحدهما يعرف بالعتيق والآخر بالجديد، ولكل منهما ناظر يخُصُّه؛ وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الأقواد ــ ومتوليها يكون رفيقا لشادّ الأقواد المتقدّم ذكره فى أرباب السيوف؛ وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

الصنف الثانى
(الوظائف الدينيـــة)

(فمنها) القضاء ـ وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة كما فى دِمَشق ، إلا أن آستقرار الأربعـة بها كان بعـد آستقرارها بدِمَشْق ، وولاية كل منهم من الأبواب الشريفـة بتوقيع شريف . ويختص الشافعىّ منهم بعموم توليـة النوّاب بالمدينة وجميع أعمالها ، ويقتصر مَنْ عداه على التولية فى المدينـة خاصة كما تقدّم فى دِمَشق والديار المصرية .

(ومنها) قضاء العسكر ـ وبها قاضيا عسكر: شافعىّ وحنفىّ كما فى دِمَشْق ، وولايتهما من الأبواب الشريفة ، ويُكْتب لكل منهما توقيع شريف .

(ومنها) إفتاء دار العدل ـ وبها آثنان أيضا : شافعىّ وحنفىّ كما فى دِمَشْق ؛ وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) وَكالة بيت المـال ـ وولايتها من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، ووكالته عن السلطان بمصر مثبوتة[1] فتنفُذ بالمملكة كما تقدّم فى دمشق .

(ومنها) نِقابة الأشراف ـ والأمر فيها على ماتقدّم فى دِمَشْق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) مَشْيخة الشُّيوخ ـ والحكم فيها كما فى دِمَشْق ؛ وعادتها أن يكون متوليها هو شيخ الخانقاه المعروفة بالقديم ؛ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وربمـا كانت من الباب الشريف .

(ومنها) الحِسْبة ـ وهى على ماتقدّم فى دِمَشْق والديار المصرية ؛ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ؛ ومتوليها يولّى نوّاب الحِسْبة بسائر الأعمال الحلبية .

---

(١) لعله "مثبتة" .

(ومنها) الخَطَابة بالجامع الكبير ــ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم

(ومنها) التداريس والتَّصادير المعدوقة بنظر النائب ــ وولايتها عنه بتواقيع كريمة علىٰ قدر مراتب أصحابها .

الصنف الثـالث

(وظائف أرباب الصـــناعات)

(فمنها) رِيَاســة الطب ، ورياسة الكَحَّالين ، ورياســة الجرائحية كما فى دِمَشْق والديار المصرية ؛ وولاية كل منهــم بتوقيع كريم عن النائب . أما مِهْتاريَّة البيوت ومَنْ فى معناهم فمفقودون هنــاك لفقد البيوت الســلطانية ، وإنمــا مِهْتاريَّة البيوت بها للنائب خاصةً لقيامه مقام السلطان بها كما فى دِمَشْق .

وأما ترتيب النيابة بها فعلىٰ نحو ما تقــدّم فى دِمَشْق ؛ وعادة النائب بها أن يركب فى المواكب فى يومى الآثنين والخميس من دار النيابة ، ويخرج من بابٍ يقال له باب القَوْس ، فى وسط البلد علىٰ القرب من القلعة ، ويمر منه إلىٰ سوق الخيل ، ويخرج من سور البلد من باب النَّيْرَب ، ويتوجه إلىٰ مكان يعرف بالمَيْدان ويعرف بالقُبَّة أيضا علىٰ القرب من المدينة بطريق القرية المعروفة بِجِبْرِيل ، فى جهة الجنوب عن المدينة ، ثم يعود من حيثُ ذهب ، وقد وقف الأمراء فى آنتظاره بسُوق الخيل ، وآخر خيولهم إلىٰ القلعة ورءوس خيولهم إلىٰ الجهة التى يعود منها أمراء الخمسات ، ثم أمراء العشرات ومَن فى معناهم علىٰ ترتيب منــازلهم ، ثم أمراء الطبلخانات ، ثم الأمراء المقدّمون . فإذا حاذىٰ النائب فى عوده أمراءَ الخمسات والعشرات فى طريقة ، سلم وهو سائر فيسلّمون عليه ، وهم وقوف فى أمكنتهم لا يتحرّكون ولا يبْرَحون عنها . فإذا حاذىٰ أمراءَ الطبلخانات ، سلم عليهم فيتقدّمون بخيولهم إليه نحو قَصبتى قياس فيسلمون

عليه ثم يعودون إلىٰ أمكنتهم فيقفون فيها . فإذا حاذىٰ الأمراء المقدّمين سلم عليهم فيفعلون كما فعــل أمراء الطبلخانات من التقــدّم اليه والســلام عليه ثم يعودون إلىٰ أمكنتهم ، ويمرّ النائب حتّى ينتهى إلىٰ آخر سوق الخيل فيعطف رأس فرسه ويقف مستقبلا للجهة التى عاد منها فى الجُنُوب والعسكر ، واقفون علىٰ حالهم ، وينادىٰ بينهم علىٰ العقارات من الأملاك والضيــاع وكذلك الخيول والســلاح قدر خمس درج ، ثم يمرّ إلىٰ دار النيابة : فإن كان ذلك الموكب فيه سِمَــاط ، سار فى خدمته إلىٰ دار النيابة من كان معه فى رُكُوب المَوْكب من الأمراء الأكابر والأصاغر من الحُجّــاب وغيرهم ؛ ويمرّ بباب القلعة وقد نزل نائب القلعة إلىٰ بابها فوقف فيه مماليكُ فى خدمته من الأجناد البحرية المقيـمين بالقلعة ، فاذا مرّ بهم النائب ، سلّم علىٰ نائب القلعة فيسلم عليه ، ويطلُع نائب القلعة إلىٰ قاعته ، ويمرّ النائب فى طريقه إلىٰ دار النيابة ، ويكون مــاليك النائب قد ترجلوا عن خيولهم ، ويترجل أمراءُ الخمسات والعشرات بعدهم ، ثم يترجل الطبلخانات علىٰ القرب من دار النيابة ، ثم الأمراء المقدّمون علىٰ باب دار النيابة ، كلٌّ منهم علىٰ قدر منزلته ؛ ويستمرّ النائب راكبا حتّى يأتىَ المَقْعَد المذكور[1] ، وهو مَقْعد مربّع مرتفع عن الأرض عليه قبة مرتفعة ودرابزينٌ من خَشَب دائر ، وفيه دكة من خشب صــغيرةٌ فى جانبه مرتفعةٌ عن المقعد قدر ذراع ، تَسَعُ جالسا فقط معدّةٌ لجلوس النائب ؛ فينزل النائب علىٰ باب من أبواب المقعد الثلاثة مخصوص به ، ويجلس حاجب الحُجّاب علىٰ مصطبةٍ لطيفة أعلىٰ السُّلَّم خارجَ الدرابزين معدّةٍ لجلوسه عن يمين النائب ، ويكون القضاة الأربعة وقاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وكاتبُ السر وكُتّاب الدَّسْت وناظر الجيش قد حضروا قبل حضور النائب وحاجبِ الحُجّاب وطلعوا من سُلَّم مخصوص بهم وأخذوا مجالسهم وجلسوا فى آنتظار النائب ، فإذا حضر قاموا

(١) أى فى غير هذه النيابة .

وجلسوا بجلوسه ، ويكون جلوسهم بترتيب خاصّ يوافق دِمَشْقَ فى بعض الأمور ويخالف فى بعضها : فيجلس عن يسار النائب قاضى القضاة الشافعىّ ، ويليه قاضى القضاة الحنفىّ ، ويليه قاضى القضاة المالكىّ ، ويليه قاضى القضاة الحنبلىّ ، ويليه قاضى العسكر الشافعىّ ، ويليه قاضى العسكر الحنفىّ ، ويليه مفتى دار العدل الشافعىّ ، ويليه مفتى دار العدل الحنفىّ ، ويليه الوزير، صفًّا مستقيما ؛ ويجلس كاتب السر أمام النـائب على القرب منـه ، ويليه عن يمينه ناظر الجيش ، ويليه كُتّاب الدَّسْت على ترتيب منازلهم حتّى يساوُوا فى المقابلة الصفَّ الذى فيـه قُضاة القضاة ومَنْ معهم ، ويجلس باقى الموقّعين بين الصـفين مقابلَ حاجب الحُجّـاب حتّى يصلوهما فيصيرون كالحَلْقَة المستديرة ، ويُقف الحجّاب الصغار أسفل السُّلَّم الذى يَصْعَدَ منه ، وحاجب الحجـاب ونُقَباء الجيش خلفهم ، والولاةُ خلف نقبـاء الجيش . فإن كان الأمراء قد حضروا لأجل السِّماط ، جلس المقـدّمون والطبلخاناه على مصاطبَ معـدّة لهم على القرب من المقعد الذى يجلس فيه النائب ومَنْ معه من أرباب الأقلام المتقدّم ذكرهم ، وتُرْفَع القِصَصُ فيتناولها نقباءُ الجيش ويناولونها الحُجّابَ فيناولونها لحاجب الحجاب فيُنَاولهـا لكاتب السر فيفرّقها على الموقّعين ويُبقِى بعضها معه ، فيقرأ ما معه ثم يقرأ مَنْ بعـده على الترتيب إلى آخر الموقعين . فإذا ٱنقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومَنْ فى معناهم وكُتّاب الدست فٱنصرفوا . فإذا ٱنقضى المجلس ، فإن كان فى الموكب سِماط قام النائب والأمراء من أماكن جلوسهم فدخلوا إلى قاعة عظيمة قد وضع بصدرها كرسىُّ سلطنة مغشًّى بالحرير الأطلس الأصفر وعليه نمجاه مسندة إلى صدره كما تقدّم فى دِمَشْقَ ، وقد مدّ السماط السلطانىّ فيجلس النـائب على رأس السماط والأمراء على ترتيب منازلهم فى الإمرة والقِـدْمَة ويأكلون ويرفع السِّماط ؛ ثم يقوم الأمراء فينصرفون ؛ ويقوم النائب ومعه كاتب السر وناظر الجيش

فيدخل إلى قاعة صغيرة فيها شُبَّاك مطلٌّ على دوار بإصطبل النائب، فيجلس فى ذلك الشباك، ويجلس كاتب السر وناظر الجيش فينصرفان[(١)].

قلت: ويخالف دمشق فى أمور:

أحدها — أن كرسىَّ السلطنة ليس بدار العدل حيث يجلس النائب والمتعمِّمون كما فى دِمَشْق بل فى مكان آخر.

الثانى — أن الأمراء لا يجلسون مع النائب بدار العدل كما فى دِمَشْق بل فى مكان منفرد.

الثالث — أن النائب يجلس على دكة مرتفعة عن جلسائه بخلاف دمَشْق، فإنه يجلس مساويا لهم، وكأن المعنى فيه عدم جلوس الأمراء فى مجلس النائب بحلب بخلاف دمَشْق.

الرابع — أن الوزير بحلب يجلس فى آخر صف القضاة ومَنْ فى معناهم تحت مفتِيَىْ دار العدل، وبدِمَشْق يجلس فى رأس صف يقابل كاتب السر، وكأنّ المعنى فيه أن كاتب السر بحَلَبَ يجلس أمام النائب فلو جلس الوزير فوقه لخالف قاعدة جلوس كاتب السر، أو جلس تحته لكان نقصا فى رتبته، ولا شك أنه يجلس فوقه القضاة ومن فى معناهم لرفعة رتبة الشرع.

الخامس — أن السماط بحَلَبَ لا يمد بدار العدل كما فى دِمَشْق بل فى مكان آخر مخصوص.

السادس — أن النائب بحَلَبَ له موضع مخصوص يجلس فيه للحكامات ومد السماط، وفى دمشق يجلس على طرف الإيوان بدار العدل بعد رفع السماط منه.

---

(١) لعله ثم ينصرفان.

الجمـــلة الثانية

(فى ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ، وهو ثلاثة أنواع[1])

النـــوع الأوّل

(ولاة الأمور من أرباب السيوف ، وهو ثلاثة أصناف)

الصـــنف الأوّل

(النـــوّاب ، وهم علىٰ ضربيـــن)

الضرب الأوّل

(ما هو داخل فى حدود البلاد الشامية ، وهى إحدىٰ عشرة نيابة)

الأولىٰ - (نيابة قلعة المسلمين المسمّاة فى القديم بقلعة الروم) - وعادة نائبها أن يكون مقدّم ألف يولّى من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثانيـــة - (نيابة الكَخْتا) - ونيابتها تارة تكون طبلخاناه وتارة عشرة ، وتوليتها من نائب حلب .

الثالثـــة - (نيـــابة كَرْكَر) - ونيابتها تارة طبلخاناه وتارة عشرة ، وتوليتها من نائب حلب .

الرابعـــة - (نيابة بَهَسْنىٰ) - وقد ذكر فى " التثقيف " ما يقتضى أن نيابتها طبلخاناه ، لكن أخبرنى بعض كُتّاب السر بحَلَب أنها ربما كانت تقدمة ألف . وقد ذكر فى " التعريف " ما يقتضى ذلك فقال : ولنائبها مكانة جليلة ، وإن كان لا يلتحق بنائب البِيرَة ، وبكل حال فتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة عَيْنتَاب) - وقد أوردها فى " التثقيف " فى جملة أمراء العشرات وذكر أنه رأىٰ بخط ابن النشائى مايقتضى أنها كانت طبلخاناه . وقد أخبرنى

---

(١) كذا ولم يذكر الا نوعين فتنبه .

بعض كُتّاب سر حلب أنها آستقرت تقدمة ألف فى أواخر الدولة الظاهرية برقوق، وآستقرت توليتها من الأبواب السلطانية .

السادسة — (نيابة الرَّاوَنْدان) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة نيابات العشرات . وقد أخبرنى بعض كُتّاب السر بحَلَبَ أنها آستقرّ بها آخرا جندىّ؛ وتوليتها من نائب حلب .

السابعة — (نيابة الدَّرْبَسَاك) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة العشرات ، وأخبرنى بعض كُتّاب سر حَلَبَ أنها ربما أضيفت لنائب بَغْراس الآتى ذكرها وأنها الآن بيد آبن صاحب الباز التُّركمانى؛ وتوليتها من نائب حلب .

الثامنة — (نيابة بَغْرَاس) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة العشرات؛ وولايتها من نائب حلب . وهى بيد أولاد داود الشيبانى التركمانى من تقادُم السنين؛ وولايتها من نائب حَلَبَ .

التاسعة — (نيابة القُصَيْر) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة العشرات . وأخبرنى بعض كُتّاب سر حلب أن بها الآن جنديًّا .

العاشرة — (نيابة الشُّغْر وبَكَّاس) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة العشرات، وقد أخبرت أنها آستقرّ بها آخرا جندىّ، وتوليتها من نائب حلب .

الحادية عشرة — (نيابة شَيْزَر) — كانت فى الزمن المتقدّم إمرةَ عشرة يستقل نائب حَلَبَ بتوليتها فلما تسلطت عليها العُرْبان بعد وقعة مِنْطاش والناصرى آستقرّت تقدمةً بولاية من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الضرب الثـانى

(النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية، وهى قسمان)

القســـم الأوّل

(بلاد الثغور والعواصم وما والاها، والمعتبر فيها ثمـان نيابات)

الأولى - (نيابة مَلَطِيَّة) - ونيابتها طبلخاناه، وتوليتها من الأبواب السلطانية

الثانيــة - (نيابة دَبْرَكِى) - وقد ذكر فى "التثقيف" أنها تارة تكون طبلخاناه وتارة تكون عشرة، وبكل حال فولايتها من نائب حلب .

الثالثــة - (دَرَنْدة) - ونيابتها فى الغالب إمرة عشرة، وربمـا كانت طبلخاناه، وولايتها فى الحالتين من نائب حلب .

الرابعــة - (نيابة الأَبُلُسْتَيْن) - ونيابتها تقدمةُ ألف من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة آياسَ) - وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية - ونيابتها تقدمةُ ألف، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السادسة - (نيابة طَرَسُوسَ) - ونيابتها تقدمة ألف، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السابعة - (نيابة أَذَنَةَ) - ونيابتها تقدمة ألف، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثامنة - (نيابة سِرْفَنْدَكَار) - ونيابتها إمرة عشرة، ووقع فى "التثقيف" نقلا عن ابن النشائى ما يقتضى أنهـا كانت أوّلا طبلخاناه، وبكل حال فولايتها من نائب حَلَبَ .

التاسعة ـ (نيابة سِيس)[1] ـ وقد تقدّم أن فتحها قريب فى الدولة الأشرفية "شعبان ابن حسين" ولم تزل نيابتها منذ فتحت تقدمة ألف ، وكانت قد جعلت نيابةً مستقلةً عند الفتح ثم جعلت بعد ذلك تقدمة عسكر كغَزَّة إلا أن مقدّم العسكر بها لا يُكاتَب فى خلاص الحقوق بخلاف مقدّم العسكر بغَزَّة .

قلت : وبعد ذلك نيابات صغار يولّى بها نائب حَلَب أجنادا ، ولا مكاتبة لها من الأبواب السلطانية : وهى نيابة قلعة بَارِى كُرُوكَ ، ونيابة كَاوَرًا ، ونيابة كَوْلَاكَ ، ونيابة كِرْزال ، ونيابة كُومِى ، ونيابة تَلّ حَمْدُونَ ، ونيابة الهارونِيَّتين ، ونيابة قلعة نَجْمة ، ونيابة حيمص ، ونيابة قلعة لُؤلؤة .

القسم الثانى

(ماهو فى حدود بلاد الجزيرة شرقىّ الفُرات ، والمعتبر فيها ثلاث نيابات)

الأولى ـ (نيابة الْبِيرَة) ـ ونيابتها تقدمة ألف ، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثانية ـ (نيابه قلعة جَعْبَر) ـ ونيابتها طبلخاناه ، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثالثة ـ (نيابة الرُّهَا) ـ قال فى "التثقيف" : وقد جرت العادة أن تكون نيابتها طبلخاناه ، ثم آستقر بها فى الدولة المنصورية فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة مقدّم ألف .

---

[1] زادها على المعتبر فتنبه .

الصـــنف الثـانى

(من أرباب السيوف بخارج حَلَب الوُلَاة، وولاية جميعها من نائب حلب بتواقيع كريمة ، والمشهور منها اثنتا عشرة ولاية)

الأولى - (ولاية بَرّ حَلَبَ كما فى دِمَشْقَ) - إلا أن والى بر حلب هو والى الوُلَاة.

الثـانية - (ولاية كَفْرِ طَابَ) - وواليها جندىّ .

الثـالثة - (ولاية سَرْمِينَ) - وواليها فى الغالب جُنْدىٌّ، وربما كان أمير عشرة.

الرابعـة - (ولاية الجَبُّول) - وواليها جندىّ .

الخامسة - (ولاية جَبَل سِمْعان) - وواليها جندىٌّ، وهو مقيم بمدينة حلب، يحضر المواكب مع والى المدينة ووالى البرّ : لقربه منها .

السادسة - (ولاية عَزَاز) - وواليها جندىٌّ، وربمـا كان أمير عشرة .

السـابعة - (ولاية تَلِّ باشِر) - وكان لها والٍ بمفردها جندىّ، ثم أضيفت آخرا لَعَيْنتَـابَ .

الثامنـة - (ولاية مَنْبِج) - وواليها جندىٌّ .

التاسعة - (ولاية تِيزِين) - وهى تارة تفرد بوالٍ يكون جُنْديا ، وتارة تضاف إلى حارِم، ويقال والى حارم وتِيزِينَ .

العاشرة - (ولاية البابِ وبُزَاعَا) - وواليها جندىٌّ .

الحادية عشرةَ - (ولاية دَرْكُوش) - وواليها جندىٌّ .

الثانيـةَ عشرةَ - (ولاية أَنْطَاكِيَة) - وواليها تارة يكون جنديا وتارة أميرَ عشرة، وأخبرنى بعض كُتَّاب السر بحَلَبَ أنها ربمـا أضيفت إلى نائب القُصَيْر .

قلت : ووراء ذلك ولايات أُخَرُ ببلاد الأرمن ونحوها لم يتحرر لى حالُها. والظاهر أن ولاية جميعها أجناد .

النـــــوع الثـانى
(ممـا هو خارج عن حاضرة حلب العُرْبان)

واعلم أنه قد تقدّم فى الكلام علىٰ آل فَضْل من عُرْبان دِمَشْق أن منازلهم ممتدّة بأراضى الشام إلىٰ الرَّحْبـة وجَعْبَر فى جانب الفُرَات ، وتقدّم فى الكلام علىٰ قواعد الشام المستقرة نقلا عن المقرّ الشهابىّ آبن فضل الله فى "التعريف" أن جَعْبر كانت فى زمانه من مضافات دِمَشْق ، وأن الواجب أن تكون من مضافات حَلَبَ ، فإنها أضيفت بعـده إلىٰ حَلَبَ ، وحينئذ فيكون فى بلادْ حلب بعضُ عرب آل فضـل المتقدّم ذكرهم هناك .

والمختصّ بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان .

القبيلة الأولىٰ ـ (بَنُو كِلَاب) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم عربُ أطراف حَلَبَ والرومِ ، ولهم غَزَوات عظيمة معلومة وغاراتٌ لاتعدّ ، ولا تزال تُبـاع بناتُ الروم وأبناؤهم من سباياهم ؛ ويتكلمون بالتركيـة ويركبون الأَكَادِيش ، وهم عرب غَزْو ، ورجالُ حروب ، وأبطال جيوش ، وهم من أشدّ العرب باسا ، وأكثرهم ناسا . قال : ولإفراط نِكَايتهم فى الرُّوم صُنّفت السيرة المعروفة "بدلهمة والبَطَّال"[1] منسوبة اليهم بمـا فيها من مُلَح الحديث ولُمَح الأباطيل ؛ ولكنهم لا يدينون لأمير منهم يجمع كلمتهم ، ولو آنقادوا لأمير واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقةٌ .

---

(١) هى السـيرة المشهورة الآن " بذات الهمة " وقد طبعت أخيرا بالمطبعة " الحسـينية " وآنتشرت فى [illegible] العامة وهى فى بابها لابأس بها .

قال الحمدانى : وكان بنو كلاب قد ظهروا على آل ربيعة ، وذلك أن الملك الكامل كان طلب من مانع بن حَديثة وغَنّام بن الطاهر جِمالًا يحمل عليها غلالًا إلى خِلَاط يقوّتها بها ، فاحتج بغَيْبة جِماله فى البرية ، وكان بعض بنى كلاب حاضرا فتكفّل له بحاجته من الجمال ووفى له بذلك ، فحقد بها الملك الكامل على مانع بن حديثة وغنام بن الطاهر وآستوحشا منه ثم أتياه عند أخذه آمِدَ ، فوبّخهما فخرجا خائفين منه إلى أن فتح دِمَشْق فأتياه بأنواع التّقادم وتقرّبا إليه بالخدمة . قال : وكانت بنو كلاب تخدُم الملك الأشرف موسى وتصحبه لمتاخمة بلاد الروم .

قال فى "مسالك الأبصار" : وكان سلطاننا يعنى الناصرَ محمدَ بن قلاوون لا يزال ملتفتا إلى تألُّف بنى كلاب هؤلاء ، وكان أحمد بن نصير المعروف بالتّترىّ قد عاث فى البلاد والأطراف وآشتدّ فى قطع الطريق ، فأمّنه وخلع عليه وأقطعه فآنقادت بنو كلاب للطاعة ، وكان الملك الناصر قد أمّر عليهم سليمان بن مُهَنَّا وجعل عليه حفظ جَعْبَر وما جاورها .

القبيلة الثانية ـ (آل بَشَّار) ـ قال فى "مسالك الأبصار" : وديارهم الجزيرة والأَحَصّ[1] ببلاد حلب . قال : والأحلافُ منهم حالهم فى عدم الآنقياد لأمير واحد حالُ بنى كِلَاب . ولو آجتمعوا لما أُمِن بأسهم نَقِيمٌ على تفرّق كلمتهم ، وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وَجَل ، وطالما باتُوا وقلوبهم منهم ملأى من الحَذَر ، وعيونهم وَسْنَى من السهر ، وبينهم دماء ، وهم وبنو ربيعة وبنو عِجْل جِيران ، وديارهم من سِنْجار وما يُدانيها إلى البارِزَة أو قريب الجزيرة العُمَرية إلى أطراف بغداد .

(١) هو بهذا الضبط موضع . أنظر معجم البلدان (ج ١ ص ١٤٩ ـ ١٥٣) .

النيابة الثالثة
(نيابة أطْرَابُلُس ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى
(فى ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فبالدنانير والدراهم النُّقْرة علىٰ ماس فى الديار المصرية ودِمَشْق وحَلَب ؛ وصَنْجتها كصَنْجة دِمَشْق فى الذهب والفضة ؛ وبها الفلوس العُتُق (١) فلسا بدرهم ؛ ورِطْلها ستمائة درهم كما فى دِمَشْق ، وأواقيُّه آثنتا عشرة أوقية كل أوقية خمسون درهما . وتعتبر مَكِيلاتها بالمَكُّوك كما فى حَلَب ؛ ويقاس القُماش بها بذراع كلُّ عشرة آذرع منه إحدىٰ عشرة ذراعا بالمصرىّ ؛ وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما فى الديار المصرية وغيرها من البلاد الشامية ؛ وتعتبر أرض زراعتها بالفدّان الإسلامىّ والفَدّان الرومىّ كما فى دمشق وغيرها من البلاد الشامية ؛ وخراجها علىٰ ماتقدّم فى دِمَشْق وغيرها من بلاد الشام .

وأما جيوشها فمن الترك ومَنْ فى معناهم علىٰ ماتقدّم فى غيرها من الممالك الشامية ، وبها أمير واحد مقدّمُ ألف غير النائب ، وباقى أمرائها طبلخاناه وعشرات وخمسات ومَنْ فى معناهم من العشرينات وغيرها ؛ وبها من وظائف أرباب السيوف نيابة السلطنة : وهى نيابة جليلة ، نائبها من أكبر مقدّمى الألوف ، وهو فى الرتبة الثانية من حَلَب كما فى حماة ؛ وليس بها قلعة يكون لها نائب بل نائب السلطنة هو المتسلم لجميعها والمتصرف فيما لديها من أمر العسكر وغيره .

ومنها الحجوبية ، وبها ثلاثة حُجّاب أكبرهم طبلخاناه وهو حاجب الحُجّاب ، والحاجبان الآخَران كل منهما أمير عشرة .

---

(١) بياض فى الأصل .

ومنهـا المِهْمِنْدارية، وشدّ الدواوين، وشدّ الخاص، وشدّ مراكز البريد، وشدّ المينا، ونقابة النقباء، وأميراخوريّة، وشدّ الأوقاف، وتقدمة البريدية، وأميراخورية البريد، وولاية المدينة، وتقدمة التُّركمان وغير ذلك، وكلها يوليها النائب بها .

وبهـا من أرباب الوظائف الديوانيـة ناظر المملكة، وناظر الجيش، وصاحب ديوان المكاتَبات؛ وولاية الثلاثة من الأبواب السلطانية بتواقيعَ شريفة، وكُتَّاب دَسْت، وكُتَّاب دَرْج، ولايتهم من نائبها .

وبها من الوظائف الدينية قضاء القُضاة من المذاهب الأربعة، وقاضيًا عسكرٍ شافعيّ وحنفيّ، ومفتيًا دار عدل كذلك، ومحتسبٌ، ووكيل بيت المـال . إلىٰ غير أولئك من أرباب الوظائف .

وأما ترتيب النيابة بها فإن النـائب يركب فى يومى الاثنين والخميس من دار النيابة، ويخرج فى مَوْكِبه من الأمراء والأجناد حتّى يأتىَ ساحل البحر، ثم يعود إلىٰ دار النيابة ومعه جميع الأمراء والأجناد، خلا الأمير المقدّم فإنه لايحضُر معه إلىٰ دار النيابة . وإذا حضر النـائب إلىٰ دار النيابة جلس فى دار العدل بصدر الإيوان وليس بها كرسىُّ سلطنةٍ، ويجلس قاضيان: شافعىّ وحنفىّ عن يمينه، ومالكىّ وحنبلىّ عن يساره، ووكيلُ بيت المـال تحت القاضى المـالكىّ، ويجلس كاتب السر أمامه علىٰ القرب من يساره وكُتَّاب الدَّسْت خلفَه، وحاجب الحُجَّـاب جالس أمام النائب علىٰ القُرْب منـه، ويأخذ الحُجَّاب الصِّغار القِصَص ويناولونهـا إلىٰ حاجب الحُجَّاب فيدفعها لكاتب السر، ويفصل المحاكمات، ثم ينفض المجلس ويمدّ السِّماطُ فيأكلون وينصرفون كما فى غيرها .

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضربين)

الضرب الأوّل

(النوّاب ، وهم على قسمين)

القسم الأوّل

النيابات بمضافات نفس أَطْرَابُلُس، وبها خمس نيابات كلُّهم يكاتَبُون عن الأبواب السلطانية فى المهمات ونحوها، دون خَلَاص الحقوق . فإنه يختص بنائب السلطنة بها .

الأولى ـ (نيابة حِصْن الأكراد) ـ ونيابته إمرة عشرة .

الثانية ـ (نيابة حِصْن عَكّار) ـ ونيابته إمرة عشرة .

الثالثة ـ (نيابة بَلَاطُنُس) ـ ونيابتها إمرة عشرة .

الرابعة ـ (نيابة صَهْيُون) ـ ونيابتها إمرة عشرة .

الخامسة ـ (نيابة اللَّاذِقِيَّة) ـ ونيابتها إمرة عشرة .

القسم الثانى

(نيابات قِلَاع الدعوة، وهى ستُّ نيابات خارجا عن مِصْياف حيث أضيفت إلى دمَشْق)

الأولى ـ (نيابة الرُّصَافَة) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

الثانية ـ (نيابة الخَوَابِى) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

الثالثة ـ (نيابة القُدْمُوس) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

الرابعــة ـ (نيابة الكَهْف) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

الخامسة ـ (نيـابة المَنِيقة) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

السادسة ـ (نيـابة القَلْعة) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

قلت : وقد أخبرنى بعض كُتَّاب المملكة أن هذه النيابات كلَّها آستقر فيها أجناد، وبالجملة فإنمـا يولّى فيها نائب طَرَابُلُس بكل حال .

الضرب الثـانى

(الوُلاة)

وبها ولاياتٌ ست ، ووُلاة جميعها أجناد، عن نائب طَرَابُلُس .

الأولى ـ ولاية أَنْطَرْطُوس .

الثـانية ـ ولاية جُبَّة المُنَيْطِرَة .

الثـالثة ـ ولاية الظَّنِّيِّين .

الرابعــة ـ ولاية بُشَرِّيه .

الخامسة ـ ولاية جَبَلَة .

السادسة ـ ولاية أَنَفَة .

النيـابة الرابعـــة

(نيابة حماة، وفيهـا جملتانـــ)

الجمـــلة الأولى

(فى ذكر أحوالهـا ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدّم فى غيرها من الممـالك الشامية مر‍ــ المعاملة بالدنانير والدراهم ، وصَنْجتها كصَنْجة دمَشْق وحَلَب وطَرَابُلُس، تنقص عن الصَّنْجة المصرية

كل مائة مثقال مثقالٌ وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ؛ ورِطْلُها سبعمائة وعشرون درهمـا بصَنْجتها ؛ ومكيلاتها معتبرة بالمَكُّوك كما فى حَلَب وبلادها ، ومَكُّوكها مقدّر كل مكوكين وربع مكوك غِرارة بالدِّمَشْقِىّ ؛ وقياس قماشها بذراع (١)
وقياس أرضها بذراع العمل المعروف .

الجمـــلة الثـانية

(فى ترتيب نيابتها ، وهى علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(ما بحاضرتها)

اما جيوشها فمن التُّرْك ومَنْ فى معناهم ، وبها عدّة من أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقدّمى الحَلْقة وأجنادها ، وليس بها مقدّمُ ألف . وقد تقدّم فى الكلام علىٰ قواعد الشأم المستقرة أنها كانت بيد بقَـايَا الملوك الأيوبيـة إلىٰ آخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" فى سلطنته الأخيرة . قال فى "مسالك الأبصار" : إن صاحبها كان يستقل فيها بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتوليـة القضاة والوزراء وكُتّاب السر وسائر الوظائف بها ، وتُكْتب المناشيرُ والتواقيعُ من جهته ولكنه لايُمْضى أمرا كبيرا فى مثـل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتّى يشـاور صاحب مصر ، وهو لا يجيبه إلا بأن الرأى ما تراه ومن هـذا ومثله ، وربمـا كتب له مرسومٌ شريفٌ بالتصرف فى مملكته . قال فى "مسالك الأبصـار" : ومع ذلك فصاحب مصر متصرف فى ولاية صاحبها وعزله ، من شاء ولّاه ومن شاء عزله ، ولم يزل الأمر علىٰ ذلك إلىٰ أن خُلِـع الأفضلُ محمد بن المؤيد المتقدّم ذكره من سلطنتها ، بعد موت (٢)

(١) بياض فى الأصل .

(٢) أى وأسندت نيابتها فى ذلك الحين إلىٰ مملوك أبيه "سيف الدين طقزتمر" كذا فى تاريخ أبى الفداء .

السلطان الملك النـاصر وملك آبنه أبى بكر ؛ ونائبها من أكابر الأمراء المقـدّمين ، ولكنه فى الرتبة دون نائب طَرَابُلُس وإن كان مساويا له فى المكاتبة من الأبواب السلطانية ؛ ويظهر ذلك فى كتابة المطلقات الكبار حيث يذكر نائب طَرَابُلُس قبله .

وبها من وظائف أرباب السيوف المجوبيةُ ؛ وبها حاجبان : الكبير منهما طبلخاناه والثانى عشرة ؛ والمِهْمندارية ، وبها آثنان وهما جنديّان ؛ وشدّ مراكز البريد ، وبه جندىّ ؛ وأميراخورية البريد ، ومتوليها جندىّ ؛ وولايةُ المدينة ، وواليها جندىّ ؛ ونِقابةُ العساكر ، وبها آثنان وهما جنديان أحدهما أكبر من الآخر . وجميع أرباب الوظائف يوليهم النائب بها بتواقيع كريمة ، وليس بها قلعةٌ لهـا نائب .

وبهـا من الوظائف الدينيــة من أرباب الأقلام أربعــةُ قضــاة من المذاهب الأربعة ، وولايتُهم من الأبواب السلطانية بتواقيعَ شريفة ، وقاضى عسكر حنفىّ ، وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثـلاثة الأُخَر ولا مفتُو دار عدل ؛ وبها وكيل بيت المـال ، وولايتــه من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووَكَالة شرعيــة ؛ ومحتسب بولايةٍ عن النائب بتوقيع كريم .

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأقلام كاتبُ سر ، ويعبَّر عنه فى ديوان الإنشاء بصاحب ديوان المكاتبات بحماةَ المحروسة ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتبـاع من كُتَّاب الدست وكُتَّاب الدَّرْج وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كُتَّاب وشهود ، وولايتُهم عن النائب بتواقيع كريمة . إلىٰ غير ذلك من وظائفَ صغارٍ يوليها النائب بتواقيع كريمة .

وترتيب المَوْكب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة فى يومى الخميس والآثنين بصحبته العسكر من الأمراء وأجناد الحَلْقة ، ويخرج إلىٰ خارج المدينة من قِبْليها

ويسير فى المَوْكب إلىٰ ضيعة تسمّى بقَرين علىٰ القرب من حماة ، ثم يعود فى مَوْكبه حتّىٰ يقف بسُوق الخيل بمكان خارجَ المدينـة يعرف بالمَوْقف ، وينادىٰ بينهم علىٰ الخيول ، وربمـا نودِىَ علىٰ بعض العقارات ، ثم تصيح الجاويشية ، وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، ويأتى دارَ النيابة ويدخل أوّلُ العسكر من داخل باب يعرف بباب العُشْرة[(١)] ، ثم يترجل الناس علىٰ الترتيب علىٰ قدر منازلهم حتّىٰ لا يبقىٰ راكب سوىٰ النائب بمفرده ، ولا يزال راكبا حتّىٰ يترجل بشُبّاك بدار النيابة معدّ للحكم فيجلس فيه ويجلس عنـده داخل الشُبّاك القضاةُ الأربعةُ : الشافعىّ والحنفىّ عن يمينه ، والمـالكىّ عن يساره والحنبلىّ يليه ؛ ويجلس الأمراء علىٰ قدر منازلهم ، وكاتبُ السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشُـبّاك ، ويقف هناك الحاجبان والمهمندار ونقيب النقباء ، وتُرفَع القصص فيقرؤها كاتب السر عليه ويرسُم فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلىٰ قُبّة معـدّة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والأمراءُ فيفصل بقية أموره ممـا يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السِّماط بعد ذلك فيأكلون وينصرفون .

الضرب الثـانى

(ماهو خارج عن حاضرتها)

وليس بخارجها نيابات ، بل يقتصر فيه علىٰ ثلاث ولايات ، ولاتُها أجناد يوليهم النائب بها .

الأولىٰ ـ ولاية بَرِّها كما فى دِمَشْق وحَلَب .

الثـانية ـ ولاية بارِينَ .

الثـالثة ـ ولاية المَعَرّة . وليس بها عرب ولا تُرْكُمان تنسب إليها .

---

(١) فى الضوء "بباب العزة" .

النيابة الخـامسة
(نيابة صَفَد، وفيها جملتان)

الجمـــــلة الأولىٰ
(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فكما فى دِمَشْق وغيرها من البلاد الشاميـة؛ وصنجتها كصنجتها ورطلها ... ...[1] وأواقيه اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ... ...[1] وتعتبر مكيلاتها ... ..[1]

وتقـاس أرض دورها بذراع العمل كما فى غيرها، وتعتـبر أرض زراعتها بالفـدّان الإسلامىّ والفدّان الرومىّ كما فى غيرها من البلاد الشامية .

وأما جيوشها ووظائفها الديوانية ووظائفها الدينية، فكما فى طَرَابُلُس . وأما ترتيب النيابة بها ... ...[1]

الجمـــــلة الثـانية
(فيما هو خارج عن حاضرتها)

وليس بأعمالها نيابة بل كلها ولايات، يليها أجناد من قبل نائب صَفَد، وهى إحدىٰ عشرة ولاية .

الأولىٰ - ولاية بَرِّها كما فى غيرها من الممالك المتقدّمة .

الثـانية - ولاية الناصرة .

الثـالثة - ولاية طَبَرِيَّة .

الرابعـة - ولاية تِبْنِين وهُونِين .

الخامسة - ولاية عَثْلِيث .

---

(١) بياض فى الأصل فى المواضع الأربعة .

السادسة ــ ولاية عكّا .

السابعة ــ ولاية صُور .

الثامنة ــ ولاية الشاغُور .

التاسعة ــ ولاية الإقليم .

العاشرة ــ ولاية الشّقِيف .

الحاديةَ عشرةَ ــ ولاية جِينِينَ .

النيابة السادسة

(نيابة الكَرَك ، وفيها جملتان)

الجملة الأولىٰ

(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فكما فى غيرها : من المعاملة بالدنانير والدراهم ، وصنجتها (١) ورطلها (١) وأواقيُّه آثنتا عشرة أوقية كل أوقية (١) ويقاس قماشها بذراع (١) وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما فى غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدّان الإسلامىّ والفدّان الرومىّ كما فى غيرها من بلاد الشام ، وكذلك خراج أرضها .

وأما جيوشها فعلىٰ ما تقدّم فى غيرها من الممالك من آجتماعها من الترك ومَنْ فى معناهم ؛ وبها من الأمراء الطبلخانات والعشرات والخمسات ومَنْ فى معناهم ، وليس بها مقدّم ألف غير النائب كما تقدّم والجوبية والمهمندارية وتقدمة البريد ، وولاية القلعة ؛ وبها من الوظائف الديوانية ناظر المال وناظر الجيش وكاتب دَرْج ؛ وولاية هؤلاء الثلاثة من الأبواب السلطانية .

(١) بياض فى الأصل .

وأما ترتيب المَوْكب بها ..[١]

الجمـــــلة الثـانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضربين)

الضرب الأوّل

(الولايات، وفيها أربع ولايات)

الأولى ـ ولاية بَرّها كما فى غيرها .

الثـانية ـ ولاية الشَّوْبَك .

الثـالثة ـ ولاية زُغَر .

الرابعة ـ ولاية مُعَانَ .

الضرب الثـانى

(العـــرب)

وعرب الكَرَك فيما ذكره فى "مسالك الأبصار" : بنو عُقْبة، وعُقْبة من جُذَام .
قال فى "مسالك الأبصار" : وكان آخر أمرائهم شطى بن عتبة (؟) وكان سلطاننا

(١) بياض بالأصل بقدر ستة أسطر .

الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحلَّه فوق السِّما كَيْن وألحقه بأمراء آل فضل وأمراء آل مرا ، وأقطعه الإقطاعات الجليلة ، وألبسه التشريف الكبير، وأجزل له الحِبَاء ، وعمّر له ولأهله البيت والخباء . وكذلك ممن ينسب إلىٰ عرب الكَرَك بنو زُهَير عربُ الشَّوْبك ، وآل عجبون ، والعطويون ، والصونيون وغيرهم .

الفصـــل الثـالث

من الباب الثـالث من المقالة الثانية
(فى المملكة الحجـازية ، وفيه ســبعة أطراف)

الطَّـــرَف الأوّل
(فى فضل الحجاز وخواصّه وعجائبه)

أما فضله ففى "صحيح مسلم" من حديث جابر بن عبدالله الأنصارىّ رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ! قال : " غِلَظُ القلوبِ والجَفَاءُ فى المَشْرِق ، والإيمـانُ فى أهْلِ الحِجَاز " .

قلت : وفى ذلك دليـل صريح لفضل الحجـاز نفسـه ، وذلك أن هواء كل بلد يؤثِّر فى أهله بحسب ما يقتضيه الهواء ، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفاتٍ وأحوالا تخصهم ، وقد أخبر صلى الله عليه وسـلم عن أهل الحجـاز بالرقّة كما أخبر عن أهل المشرق بالغِلْظة والجَفَاء ، وناهيك بفضـل الحجـاز وشرفه أن به مَهْبَطَ الوحى ومَنْبَع الرسالة ، وبه مكةَ والمدينةَ اللتين هما أشرف بلاد الله تعالىٰ وأجلُّ بقاع الأرض ، ولكل منهما فضل يخصه يأتى الكلام عليه عند ذكره فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

وأما خواصه فيختص من جهة الشرع بأمرين :

أحدهمـا ــ أنه لا يستوطنه مشرك من ذمىّ ولا معاهَد، وإن دخله لم يمكّن من الإقامة فى موضع منه أكثَرَ من ثلاثة أيام ثم يُصْرَف إلىٰ غيره، فإن أقام بموضع أكثر من ثلاثة أيام، عُزِّر إن لم يكن له عُذْر . قال أصحابنا الشافعية : ولو عقـد الإمام عقدًا لكافر علىٰ الإقامة بالحجاز علىٰ مسمًّى بطل العقد ووجب المسمّٰى .

الثانى ــ أنه لاتُدْفَن فيه موتاهم وإن دفن أحد منهم فيه نقل إلىٰ غيره .

وأما عجائبه فمنها مَقَام إبراهيم عليه السـلام، وهو الحَجَر الذى كان يقوم عليه لبناء البيت فأثَّرتْ فيه قدماه وصار أثرهما فيه ظاهرا كما أخبر الله تعالىٰ عن ذلك بقوله : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وهو باق علىٰ ذلك أمام البيت من جهـة الباب إلىٰ الآن .

(ومنها) ماذكره فى "الروض المعطار" من أن أثر قدم إسمـاعيل عليه السـلام بمسجدِ بمِنىٰ فى حَجَر فيه أثر عَقِبه حين رَفَس إبليسَ برجله عند اعتراضه له فى ذَهَابه مع أبيه للذَّبح .

(ومنها) حَصَى الجِمَار، وهو أنه فى كل سنة يَرْمِى الحُجَّاج عند الجَمَرات الثلاث فى أيام مِنىٰ ما تحصَّل منه التلالُ العظيمة علىٰ طول المَدىٰ، ومع ذلك لم يكن موجودا بمنىٰ منها إلا الشىء القليل علىٰ تطاوُل السنين، يقال إن مهما تُقُبِّل منها رفع والباقى منها مالم يتقبل .

الطـــرف الثـانى

(فى ذكر حدوده، وابتداء عِمارته، وتسميته حجازا)

أما حدوده فاعلم أن الحجاز عبارة عن مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها علىٰ خلاف فى بعض ذلك، يأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ، وهو بجملته قطعةٌ من جزيرة العرب، وهى ما بين بحر القُلْزُم وبحر الهند وبحر فارس والفُرَات وبعض بادية الشام .

قال المدائنى: جزيرة العرب خمسة أقسام : تِهَامَةُ، ونَجْدٌ، والحِجَازُ، والعَرُوضُ، واليَمَنُ . وزاد ابن حوقل فى أقسامها باديةَ العراق وباديةَ الجزيرة فيما بين دِجْلَةَ والفُرَاتِ وباديةَ الشام، وفيها خلاف يطول ذكره .

قال النووىّ فى "تهـذيب الأسمـاء واللُّغات" : وسميت جزيرة العرب جزيرةً لانجزار المـاء عنها حيث لم يمدّ عليها وإن كان مُطيفا بها . والحجاز عندهم عبارة عن جبل السَّراة ـ بالسين والراء المهملتين ـ على ما أورده فى "الروض المعطار"، وضُبِط فى "تقويم البُـلْدان" فى الكلام على البَلْقاء من الشأم بالشين المعجمة، وهو جبل يُقْبِل من اليمن حتّى يتصل ببادية الشأم، وهو أعظم جبال العرب . وحدّه من الجنوب تِهَامَةُ : وهى ما بينه وبين بحر الهند فى غربىّ بلاد اليمن؛ وحدّه من الشرق بلاد اليَمَن وهى بينه وبين فارس؛ وحدّه من الشّمال نَجْدٌ، وهو ما بينه وبين العراق؛ وحدّه من الغرب بحر القُلْزُم وما فى جنوبيه من بادية الشام .

الطرف الثـالث
(فى ابتداء عمـارته وتسميته حجازا)

أما ابتـداء عمارته فإنه لـما انبثّ أولاد سام بن نوح عليـه السلام وهم العَرب فى أقطار هذه الجزيرة حين قَسَم نوح الأرض بين بنيه ، نزل الحجازَ منهم من العرب البادية طَسْمٌ وجَدِيس [ومنزلهم] اليَمَامة ومنزلة جرهم على القرب من مكة فكان ذلك أوّل عمارة الحجاز بعد الطُّوفان؛ ثم بادت هذه العرب وهلكوا عن آخرهم، ودَرَست أخبارهم وانقطعت آثارهم . وعمر الحجـازَ بعدهم جُرْهُمُ الثانيـة، وهم بنو جُرْهُم بن قَحْطان بن عَابَر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذَ بن سام بن نوح عليه السلام . ولـما أسكن إبراهيم الخليل عليه السلام ولده إسماعيل بمكة كما أخبر تعالى عنه بقوله : ﴿رَبَّنَا إِنِّى

أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ كانت جرهُـمُ الثانيـة نازلين بالقرب من مكة فاتصلوا بإسمـاعيل عليه السلام، وتزوج منهم وكثُر ولده وتناسلوا فعَمَروا الحجاز إلىٰ الآن .

وأما تسميته حجازا، فقال الأصمعيّ : سمى بذلك لأنه حجز بين نَجْدٍ وتِهَـامَةَ ولامتداده بينهـما علىٰ ما تقـدّم . وقال آبن الكلبيّ : سمّى بذلك لمـا آحتجز به من الجبـال . قلت : ووَهِم فى "الروض المعطار" فقـال : سمى حِجَـازا لأنه حجز بين الغَوْرِ والشام، وقيـل لأنه حجز بين نَجْدٍ والسَّراة ، وما أعلم ما الذى أوقعه فى ذلك .

الطَّرَف الرابع

(فى ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة)

أما مياهه وعيونه، فقال المتكلمون فى المسالك والممـالك: ليس بالحجاز بل بجزيرة العرب جملةً نهرٌ يجرى فيه مَرْكَب ، وإنمـا فيه العيون الكثيرة المتفجرةُ من الجبال المعتضِدةُ بالسيول والأمطار ، الممتدّة من وَادٍ إلىٰ وادٍ ، وعليها قُرَاهم وحدائقهم وبساتينهم مما لايحصىٰ ذلك كثرةً ، كما فى الطائف وبطن مَرٍّ، وبطن نَخْل ، وعُسْفان وبَدْرٍ وغير ذلك .

وأما جباله المشهورة، فاعلم أن جميع أرض الحجاز جبال وأوديةٌ ليس فيها بسـيط من الأرض، وجباله أكثر من أن تدخل تحتَ العـدّ أو يأخذها الحصر، وقد ذكر الأزرقيّ فى "تاريخ مكة" أن لمكّة(1) آثنى عشر ألف جبل لكل جبل منها آسم يخصه ولكن قد شهرت جبال مكة والمدينة واليَنْبُع .

---

(1) لعله لحجاز .

فمن جبال مكة المشهورة (جبل أبي قُبَيس) وهو الجبل الذى فى جنوبىّ مكة ممتدّا على شرقيها ، قال الأزرقىّ : وهو أوّل جبل وُضع بالأرض ولذلك كان أقرب الجبال إلى البيت .

(ومنها) جبل قَيْنُقَاع[1] ــ بقاف مفتوحة وياء مثناة تحتُ ساكنة ونون مضمومة وقاف ثانية مفتوحة بعدها ألف وعين مهملة ــ وهو الجبل الذى غربىّ مكة، سمى بذلك لمكان سلاح تُبَّع منه ، والقعقعة صوت السلاح ، كما سمى جِيَاد جيادا لمكان خيله منها .

(ومنها) جبل حِرَاء ــ بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف ــ وهو جبل يُشْرِف على مكة من شرقيها يرى البيت من أعلاه ، وفيه الغار الذى كان يتعبَّد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم! وفيه جاءه جبريل عليه السلام فى أول النبوّة .

(ومنها) جبل ثَوْر ــ بفتح الثاء المثلثة وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر ــ وهو جبل مشرف على مكة من جنوبيها ، وفيه الغار الذى آختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ومعه أبو بكر الصدّيقُ رضى الله عنه .

(ومنها) جبل تَبِير[2] ــ بفتح التاء المثناة فوق وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وراء مهملة فى الآخر ــ وهو جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة .

الطَّـــرَف الخامس

(فى زُرُوعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطيوره)

أما زروعه ففيه من الحبوب المزدرعة البُرّ والشعيرُ والذُّرَةُ والسُّلْت ، وجميعها تُزْرَع على المطر ، وربما زُرِع بعضها على ماء العيون ، والشعير والذرة أكثر الحبوب

(١) صوابه قُعَيْقِعَان . أنظر معجم البلدان ومعجم ياقوت . (٢) صوابه ثَبير بالثاء المثلثة .

وجودا ، ويُزْرَع فيه على العيون البِطِّيخُ : الأخضر والأصفر ، والقِثّاء ، والبَاذِنجَان ، والدُّبَّاءُ ، والملوخيا ، والهِندبا ، والفُجْل ، والكُرّاث ، والبَصَل ، والثُّومُ .

وأما فواكهه ففيــه الرُّطَبُ ، والعِنَبُ ، والمَوْزُ ، والتُّفَّاحُ ، والسَّفَرْجَلُ ، واللَّيْمُونُ وغير ذلك .

وأما رياحينه ففيه التامرحِنَّاء ، ويسمّى عندهم الفَاغِيَة : بالفاء وغين معجمة وياء مثناة تحتُ وهاء فى الآخر .

وأما مواشيه ففيه الإبِلُ ، والضَّأْنُ ، والمَعَزُ بكثرة ، والبقر بقِلّة . وبه من الخيل ما يفوق الوصف حسْنُه ، ويُعجز البرقَ إدراكُه .

وأما وحوشه ففيــه الغِزْلَانُ ، وحُمُرُ الوحش ، والذِّئاب ، والضِّباع ، والثعالب ، والأرانب وغيرها .

وأما طيوره ففيه الحمام ، والدجاج ، والحِدَأَةُ ، والرَّخَم .

الطرف السادس

(فى قواعده وأعمــاله ؛ وفيه ثلاث قواعِد)

القــاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وفيها جملتان)

الجمـــلة الأولى

(فى حاضرتها)

وقد ذكر العلماء رحمهم الله لها ستة عشر اسما . " مَكَّة " بفتح الميم وتشديد الكاف المفتوحة وهاء فى الآخر، كما نطق به القرءان الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ ، سميت بذلك لقلة مائها أخذا من

قولهم آمْتَكَّ الفصيلُ ضَرْع أمه إذا آمتصه ، وقيل لأنها تَمُكُّ الذنوب بمعنى أنها تَذْهَب بها، ويقال لها أيضا (بَكَّة) بإبدال الميم باء موحدة ، وبه نطق القرءان أيضا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ قال الليث : سميت بذلك لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة أي تدقُّها والبك الدّق؛ وقيل بالميم الحرم كلُّه وبَكَّةُ المسجد خاصة ، حكاه الماورديّ عن الزهريّ وزيد بن أسْلَم؛ وقيل بالباء آسم لموضع الطواف،سمي بذلك لازدحام الناس فيه والبَكُّ الازدحام . ومن أسمائها أيضا (أُمّ القُرى) و (البَلَد الأمين) و(أمّ رُحْم) بضم الراء وإسكان الحاء المهملتين لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادَعُون؛و(صَلاحِ) مبنيّ على الكسر كقَطامِ ونحوه؛و (البَاسَّة) لأنها تَبُسّ الظالم أي تحطمه؛و(الناسَّة) بالنون لأنها تَنُسّ الملحد فيها أي تطرده؛و(النَّسَّاسة) لذلك أيضا؛ و(الحاطِمَة) لأنها تحطِم الظالم كما تقدّم؛و(الرأس) و(كُوثَى) بضم الكاف وفتح المثلثة؛و(القُدُس) و (القادس) و (المقَدَّسة) . قال النوويّ : وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى،ولذلك كثرت أسماء الله تعالى وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم!

وقد تقدّم انها من جملة الحجاز . وحكى آبن حوقل عن بعض العلماء أنها من تِهَامَةَ ورجحه في "تقويم البُلْدان" . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في "كتاب الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وثلاثَ عشرةَ دقيقة، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "القانون" : طولها سبع وستون درجة فقط، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها سبع وستون درجة ، وعرضها إحدى وعشرون . وقال كوشيا وطولها سبع وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال آبن سعيد : طولها سبع وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهي مدينة في بطن واد والجبال

محتفّة بهـا ، فأبو قُبَيْس مشرف عليها من شرقيّها وأَجْيَادٌ بفتح الهمزة مشرفٌ عليهـا من غربيها . قال الجوهرىّ : سمى بذلك لموضع خيل تُبَّع منه . قال فى "الروض المعطار" : وسَعَتها من الشمال إلىٰ الجنوب نحو ميلين، ومن أسـفل أَجْيَادٍ إلىٰ ظهر جبل قُعَيْقِعَانَ مثـل ذلك . قال الكلبىّ : ولم يكن بها منازل مبنية فى بدء الأمر ؛ وكانت جُرْهُم والعَمَالقة حين وِلَايتهم علىٰ الحرم ينتجعُون جبالها وأوديتها ينزلون بهـا ؛ ثم جاءت قريش بعدهم فمشوا علىٰ ذلك إلىٰ أن صارت الرياسة فى قريش لقُصَىّ بن كلاب فبنىٰ بها دار النَّدْوَة، يحكم فيها بين قريش ؛ ثم صارت لمشاوَرَتهم وعقد الألوية فى حروبهم ؛ ثم تتابع الناس فى البناء : فبنَوْا دُورا وسكنوها ،وتزايد البنـاء فيها حتّى صارت إلىٰ ماصارت. وبنـاؤها بالحجر وعليها سُورٌ قديم قد هُـدِم أكثره وبقى أثره والمسـجد فى وسْطَهَا . وقد ذكر الأزرقىّ فى "تاريخ مكة" أن الكعبة كانت قبل أن تُدْحىٰ الأرض رابيـةً حمراء مشرفة علىٰ وجه المـاء ، ولمـا أهبط الله آدم عليـه السلام وجاء إلىٰ مكة،آستوحش فأنزل الله تعالىٰ إليه قُبّـةً من الجنة من دُرّة بيضاء لهـا بابان فوُضعت مكان البيت فكان يتأنّس بها ، وجعل حولها ملائكة يحفَظُونها من أن يقع بصر الشياطين عليها . قال فى "الروض المعطار" : وكان الحجر الأسود كرسيًّا يجلس عليه. قال: وطوله ذراع. والذى ذكره المَـاوَرْدِىُّ وغيره أنّ الملائكة لمـا قالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لاذُوا بالعرش خوفا من غضب الله تعالىٰ فطافوا حوله سـبعا فرَضِىَ عنهم وقال : آبنُوا فى الأرض بيتا يَعُوذ به من تَسخطْت عليه من بنى آدم فبنَوْا هذا البيت، وهو أوّل بنائه؛ثم بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما أخبر الله تعالىٰ بقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ قال فى "الروض المعطار" : ولم يجعل لهـا سَقْفا. قال : ثم آنهدمت الكعبة فبنتها العَمَالقة ،ثم آنهدمت فبنتها جُرْهُم ،ثم آنهدمت فبناها قُصَىّ بن كلاب وسَقَفها بخشب

الدَّوْمِ وجريد النخل ، وجعل ٱرتفاعها خمسا وعشرين ذراعا ، ثم ٱستَهْدمت وكانت فوق القامة فأرادت قُرَيْشٌ تعليتها فهدمَتْها وبنتها ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم عمره خمس وعشرون سنة ، وشهد بناءها معهم ، وكان بابها بالأرض فقال أبو حذيفة ٱبن المغيرة : ياقوم ٱرفعُوا بابَ الكعبة حتى لايدخل إلا مسلم (١) ففعلوا ذلك وسَقَفُوها بخشب سفينة ألقاها البحر إلىٰ جُدَّة

قال فى "الروض المعطار" : وكان طولها ثمانى عشرة ذراعا ، ثم ٱحترق البيت حين حُوصِر ٱبن الزُّبَيْرِ بمكة وتأثّرت حجارته بالنار، فهدمه ٱبن الزبير وأدخل فيه ستة أذرع من الحِجْرِ، وقيل سبعة ، وجعل له بابين ملصقين بالأرض : شرقيا وغربيا يُدْخَلُ من أحدهما ويُخْرَجُ من الآخر، وجعل علىٰ بابها صفائحَ الذهب ، وجعل مفاتيحه من ذهب . قال فى "الروض المعطار" : وبلغ بها فى العلو سبعا وعشرين ذراعا . فلما قتل ٱبن الزبير كتب عبد الملك بن مَرْوَانَ إلىٰ الحَجَّاج يأمره بإعادته علىٰ ما كان عليه فى زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم من بناء قريش فهدم جانب الحِجْر وأعاده إلىٰ ذلك ، وسدّ الباب الغربيّ ورفع الشرقيّ عن الأرض إلىٰ حدّه الذى هو عليه الآن ، وكان عبد الملك بن مروان بعد ذلك يقول : "وَدِدت أنى كنْتُ حَمَّلت ٱبن الزبير من بناء الكعبة ماتحمَّل" .

ثم جدّد المتوكل رُخَام الكعبة فأزّرها بفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب ، وهو علىٰ ذلك إلىٰ الآن . وهو مبنيّ بالحجر الأسود مستطيل البناء علىٰ التربيع ، فى ٱرتفاع خمسة وعشرين ذراعا .

وله أربعة أركان .

الأوّل — ركن الحَجَر الأسودِ . وهومابين الشرق والجنوب ، ومنه يبتدأ الطواف .

(١) عبارة ياقوت "ورفعوا بابها مخافة السيل وأن لايدخل فيها إلا من أحبوا" .

الثـانى ـ الشامىّ . وهو مابين الشرق والشمال، سمى بذلك لمسامتته بعض بلاد الشام، وداخله باب المَطْلَع إلىٰ سطح الكعبة .

الثالث ـ الغربىّ . وهو ما بين الشَّمال والغرب، سمى بذلك لمسامتته بلاد المغرب، ولو سُمى بالمصرىّ لكان جديرا به لمسامتته بلاد مصر .

الرابع ـ اليمانِىُ . وهو ما بين الغرب والجنوب، سمى بذلك لمسامتته بلاد اليمن ولذلك خففت الياء فى آخره نسبة إلىٰ اليمن . وقال آبن قتيبة : سمى بذلك لأنه بناه رجل من اليمن يقال له آبن أبى سالم، وقد يُطْلَق عليه وعلىٰ ركن الحجر الأسـود اليمـانيَان، وعلىٰ الشامىّ والغربىّ الشاميَّان تغليبا .

ثم بين ركن الحجر الأسود وبين الركن الشامىّ أربعة وعشرون ذراعا ، وبالقرب من الركن الأسود فى هـذا الجدَار باب الكعبة علىٰ أربعة أذرع وشىء من الأرض يُرقىٰ إليـه بدَرَج من خشب توضع عنـد فتح الباب ؛ والمُلْـتَزَمُ بين الركن الأسود والباب الشرقىّ؛ وبالقرب من الركن الشامىّ منه مصلىّٰ آدم عليه السلام .

وهذا الجدار مقسوم ثلاث جهات .

الأولىٰ ـ من الركن الأسـود إلىٰ باب الكعبة . وهى فى جهة القبلة لأهـل البَصْرَةِ، والأهواز، وفارس، وأصبْهَانَ ، وكِرْمَانَ ، وسِجِسْتانَ، وشِمالِ بلاد الصِّينِ وما علىٰ سمت ذلك .

الثانية ـ من الباب إلىٰ مصلىّٰ آدم عليه السلام . وهى جهة القبلة لأهل الكوفة، وبغداد، وحُلْوَانَ، والقادِسِـيَّة، وهَمَذَان ، والرَّىّ، ونَيْسَابُورَ، ومَرْو، وخُوَارَزْم، وبُخَارا، ونَسَا، وفرْغَانة، والشاش، وخُرَاسَانُ، وما علىٰ سمت ذلك .

الثالثة ـ من مصلىّٰ آدم عليه السـلام إلىٰ الركن الشامىّ . وهى جهة القبـلة لأهل الرُّهَا، والمَوْصِلِ، ومَلَطِيَّةَ، وشِمْشاط، والحِيرَةِ، وسِنْجَار، وديارِبَكْرٍ، وأَرْمِينِيَةَ إلىٰ باب الأبواب، وما علىٰ سمت ذلك .

وبين الركن الشامىّ والركن الغربىّ أحدٌ وعشرون ذراعا ، وبأعلى هــذا الجدار المِيزَابُ فى الوسط منه وخارجه الحِجْرُ (بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم) مستديرا به على سمت الركنين، يفصل بينه وبين البيت فُرْجتان .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا .

الأولى ـــ من الركن الشامىّ إلى دون المِيزاب . وهى جهة القبلة لدِمَشْق ، وحَماة ، وسَلَمِيَّة ، وحَلَب ، ومَنْبِج ، ومَيَّافارِقِينَ ، وماسامت ذلك .

الثانية ـــ وسط الجدار من الميزاب وما إلى جانبــه . وهى جهة القبــلة للدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) وجانب الشام الغربىّ ، وغَزَّة ، والرَّمْلَة ، وبَيْت المَقْدِس ، وَفِلَسْطِين ، وعَكَّا ، وصَيْدَا .

الثالثة ـــ ما يلى هذه الجهة إلى الركن الغربىّ . وهى جهة القبلة لِمصْر بأسرها من أَسْوَان إلى دِمْيَاط ، والإسْكَنْدَرِيَّة ، وبَرْقَة ، وكذلك طَرَابُلُس الغرب ، وصِقِلِّية ، وسواحل الغرب ، والأَنْدَلُس وما على سمت ذلك . وبين الركن الغربىّ والركن اليمانى فى هذا الجدار الباب المسدود تُجاه الباب المفتوح .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا.

الأولى ـــ من الركن الغربىّ إلى ثلث الجدار . وهى جهة القبلة لأهل الشَّمال من بلاد البُجَاوة ، والنُّوبَة ، وأوسط الغرب من جَنُوب الواحات إلى بلاد الجريد إلى البحر المحيط وما على سمت : ذلك من عَيْذاب ، وسواكن ، وجنوب أَسْوان ، وجُدَّة ، ونحو ذلك .

الثــانية ـــ من ثلث الجدار إلى دون الباب المسدود . وهى جهة القبلة لأهل الجنوب من بلاد البُجَاوة ودَهْلَك وسَواكن والنُّوبَة والتَّكْرُور ، وما وراء ذلك وعلى سمته .

الثـالثة ـ من دون الباب المسدود إلىٰ الركن اليمانى . وهى جهة القبلة لأهل الحَبَشَـةِ ، والزِّنْج ، والزَّيْلَع ، وأكثر بلاد السودان وما والاها من البلاد أو كان علىٰ سمتها .

وبين الركن اليمانى وركن الحجر الأسود عشرون ذراعا ، أنقص من مقابله بذراع ؛ وبالقرب من ركن الحجر الأسود من هـذا الجدار مصلّٰى النبىّ صلى الله عليه وسلم ! قبل الهِجْرة .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات .

الأولىٰ ـ الركن اليمانى إلىٰ سبعة أذرع من الجدار . وهى جهة القبلة لتَدْمُرَ ، وحَضْرَمَوْتَ ، وعَدَنَ ، وصَنْعَاءَ ، وعُمَـانَ ، وصَعْدَة ، والشِّحْرِ ، وسَـبَإ ، وزَبِيدَ وما والاها أو كان علىٰ سمتها .

الثـانية ـ من حدّ الجهة المتقدّمة إلىٰ دونِ مصلّٰى النبىّ صلى الله عليه وسـلم ! قبل الهجرة . وهى جهة القبلة لجنوب بلاد الصِّينِ ، والسِّنْد ، والتَّهَائِم ، والبحرين ، وما سامت ذلك .

الثالثة ـ من مصلّٰى النبىّ صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة إلىٰ ركن الحجر الأسود . وهى جهة القبلة لأهل واسِطَ ، وبلاد الصِّينِ ، والهِنْدِ ، والْمَرجَانِ ، وكَابُل ، والقُنْدُهَار . والمَعْبَر ، وما والاها من البلاد أو كان علىٰ سمتها .

ويقابل الجدار الشرقىّ من البيت مما يلى ركن الحجر الأسود زَمْزَمُ وسِقَايَةُ العبَّاس ، ويقابله ممـا يلى الركن الشامىّ مَقَـامُ إبراهيم عليه السلام . وقد تقدّم الكلام عليه فى عجائب الحجاز فيما مرّ ؛ ويسمّٰى ما بين الكعبة وزَمْزَمَ والمقام الحَطِيمَ (بالحاء والطاء المهملتين) . قال فى "الروض المعطار" : سمى بذلك لأنه كان من لم يجد من الأعراب

ثوبا من ثياب أهل مكة يطوف فيه رمىٰ ثيابه هناك وطاف عريانا . وخارج المسجد الصَّفَا والمَرْوة اللذان يقع السعى بينهما .

الجملة الثانية
(فى نواحيها وأعمالها ، وهى علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل
(الحَرَم ومَشَاعر الحج الخارجةُ عن مكة)

أما الحرم فهو ما يُطيف بمكة مما يَحْرُم صيده وقَطْع شجره وحشيشه ونحو ذلك ، وقد تقدّم أن الله تعالىٰ جعل ملائكة يَحْرُسون القُبَّة التى أنزلها الله تعالىٰ إلىٰ آدم من الجنة ووُضعت له مكانَ الكعبة وجعلت الملائكة حَرَسا لها كى لايقع عليها بصر الشياطين ، فكانت مواقف الملائكة هى حُدُود الحرم . قال آبن حوقل : وليس بمكة والحرم شجر يُثْمِر إلا شجر البادية ، أمّا خارج الحرم ففيه عيون وثِمَار .

وآعلم أن مقادير جهات الحرم تتفاوت فى القُرْب والبُعْد عن مكة ، وعلىٰ حدوده أعلام منصوبة فى كل جهة تُدُلُّ عليه . قال فى "الروض المعطار" : قال الزبير : وأوّل من وضع علامات الحرم ونَصَبَ العُمُدَ عليه عَدْنَانُ بن أُدٍّ ، خوفا من أن تندرس معالِمُ الحرم أو تتغير . قال : وحدُّه من التنعيم علىٰ طريق سَرِف إلىٰ مَرّ الظَّهْرَانِ خمسةُ أميال ، وذكر فى موضع آخر أنها ستة أميال ، وحدّه من طريق جُدَّة عشرة أميال ، ومن طريق اليَمَن ستة أميال ، ودَوْرُه سبعمائة وثلاثة وثلاثون ميلا .

ثم بحدود هذا الحرم أماكنُ مشهورة ، يَخْرُج إليها من مكة مَنْ أراد أن يُهِلَّ بعمرة فيُحْرِم منها .

أحدها ـ (التَّنْعِيم) ـ بألف ولام لازمتين وفتح التاء المثناة فوق وسكون النون وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم في الآخر ـ وهو موضع على حدّ الحرم على طريق السالك من بَطْن مَرّ وإلى مكة. قال في "الروض المعطار": وسمّي التنعيم لأن الجبل الذى عن يمينه آسمه نُعَيم والذى عن يساره آسمه ناعِمٌ والوادى الذى هو فيه آسمه نَعْمان؛ ومنه آعتمرت عائشةُ رضى الله عنها مع عبد الرحمن بن أبى بكر، وهناك مسجدٌ يعرف بمسجد عائشة إلى الآن .

الثانى ـ (الحُدَيْبِيَةُ) ـ بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون الياء المثناة تحت وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المشدّدة وفى آخرها تاء ـ ونقل فى "الروض المعطار" عن الأصمعىّ تخفيفَ الياء الثانيـة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو موضع بعضه فى الحِلّ وبعضه فى الحرم ، وفيه صَـدَّ المشركون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن البيت؛ وهى أبعد أطراف الحرم عن البيت؛ وهى على مسـيرة يوم؛ وهى فى مثل زاوية للحرم . وذكر فى "الروض المعطار" أن الحديبيـة آسم لبئر فى ذلك المكان، ومذهبُ الشافعىّ أن العمرة منه أفضل من التنعيم .

الثالث ـ (الجِعِرّانَة) ـ بكسر الجيم والعين المهملة وفتح الراء المهملة المشـدّدة بعـدها ألف ونون مفتوحة وهاء فى الآخر ـ ونقل فى "الروض المعطار" عن الأصمعىّ سكون العين وتخفيف الراء . قال : وهو مكان بين مكة والطائف ولكنه إلى مكة أقربُ ، ومنه أحرم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة فى وجهته تلك[1]، ومذهب الشافعىّ أن العمرة منه أفضل من الحُدَيْبِيَة .

وأما مَشَاعر الحج الخارجة عن مكة فثلاثة .

---

(١) أى مرجعه من غزاة حنين وقسم فيها غنائم هوازن . أنظر "معجم البلدان" .

أحدها ــ مِنًى بكسر الميم وفتح النون وألف مقصورة ــ سميت بذلك لما يُمنىٰ فيها من الدماء أى يراق . قال فى "المشترك" : و بينها و بين مكة ثلاثة أميال ــ وهى تشبه القَرْية مبنيةٌ علىٰ ضفتى الوادى . و بها مسجد الخَيْف ــ بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفى آخره فاء ــ وهو مسجد عظيم متَّسِع الأرجاء بغير سقف .

الثانى ــ (المُزْدَلِفَةُ) ــ بضم الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وكسر اللام وفتح الفاء وآخرها هاء ــ وهى موضع علىٰ يَسْرة الذاهب من مِنًى إلىٰ عرفة . قال النووىّ : سميت بذلك من التزلف والازدلاف وهو التقرب ، لأن الحجاج إذا أفاضوا من عَرَفَاتٍ ٱزدَلَفُوا إليها أى تقربوا ومضَوْا إليها ، وتسمى جَمْعًا أيضا بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة ــ لأنه يجمع بها بين المغرب والعشاء ، وبها مسجد متسع . قال فى "الروض المعطار" : طوله ثلاثة وستون ذراعا ، وعرضه خمسون ذراعا ، وٱرتفاع جداره عشرة أذرع .

الثالث ــ (عَرَفَةُ) ــ بفتح العين والراء المهملتين والفاء وهاء فى الآخر ــ ويقال فيه أيضا عَرَفَاتٌ علىٰ الجمع ، وبه جاء القرءان فى قوله تعالىٰ : ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ وهو موقف الحج ، وسمى عرفات لتعارف آدم عليه السلام وحَوَّاءَ به . قال كعب الأحبار : أُهبط آدم عليه السلام بالهند ، وحواءُ بِعَرَفَةَ ، وإبليسُ بجُدَّةَ ، والحَيَّة بأَصْبَهَانَ ، وأمر الله تعالىٰ آدم بحج البيت فحج ، فكان حيث وضع قدمه تتفجر الأنهار وتبنىٰ المساجد . فلما وصل إلىٰ عرفة ، وجد بها حواءَ فتعارفا بها .

الضرب الثانى
(قُــراها ومَخَـاليفها)

وٱعلم أن أكثر جبال مكة وأوديتها مسكونة معمورة إلا أنه ليس بها قرية مُقْرَاة إلا جيش المياه والعيون الجارية والحدائق المحدَّقة ، والمشهور من ذلك عشرة أماكن .

الأوّل ـ (جُدَّةُ) ـ بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء ـ وهى فُرْضَةُ مكة على ساحل بحر القُلْزُم ، وموقعها فى أوّل الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة ، وهى فى الغرب عن مكة بميلة إلى الشمال . قال فى "الأطوال" : طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . ووافقه على ذلك فى "القانون". وقال فى "رسم المعمور": طولها خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها على ماتقدّم . وهى مينا عظيمة محلُّ حَطٍّ وإقلاع ، إليها تنتهى المراكب من مصر واليمن وغيرهما ، وعنها تصدر من مكة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من مكة على مرحلتين . وقال الإدريسى : بينهما أربعون ميلاً ، وهى ميقات من قطع البحر من جهة عَيْذَابَ إليها .

الثانى ـ (بَطْنُ نَخْلٍ) ـ وضبطه معروف ، ويقال فيه أيضا وادى نَخْلَةَ على التوحيد ونخلة بإسقاط لفظ وادى . قال الجوهرىّ : وبه كانت العُزَّى التى هى أحد طواغيت قُرَيْش ، وبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم إليها خالد بن الوليد فهدمها ، وهى الآن بيد هُذَيْلٍ ، وهى قُرًى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدَرَع . أخبرنى بعض أهل الحجاز أن بها نحو أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وغالب فواكه مكة وقَطَانِيِّها وبُقُولها منها ، ومنها يصب الماء إلى بطن مَرّ الآتى ذكره .

الثالث ـ (الطَّائِف) ـ بألف ولام لازمتين فطاء مهملة مشدّدة مفتوحة بعدها ألف وياء مثناة تحت مكسورة ثم فاء ـ وهو بلد شرقىّ بطن نخل المتقدّم ذكرها ، وبطن نخل بينه وبين مكة . قيل سميت الطائف لأنها فى طُوفان نوح انقطعت من الشام وحملها الماء وطافت بالأرض حتّى أرسَتْ فى هذا الموضع . وقال فى "الروض المعطار" : اسمها القديم وَجٌّ يعنى بواو مفتوحة وجيم مشدّدة ـ سميت برجل من العمالقة ، ثم سكنها ثقيف فبنوا عليها حائطا مُطِيفا بها فسميت الطائف .

قال : وهى إحدىٰ القريتين المذكورتين فى قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْءانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من الحجاز تقريبـا ، وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى . وقال آبن سعيد : طولها ثمـان وستون درجة وإحدىٰ وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدىٰ وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، وهو بلد خَصِيب كثير الفواكه المختلفة ممـا يشابه فواكه الشام وغيرها ، وهى طَيِّبة الهواء إلا أنها شديدة البرد حتّى إنه ربما جَمَد المـاء بها لشدّة بردها .

الرابع ـ (بَطْنُ مَرٍّ) ـ بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة ونون بعدها ثم ميم مفتوحة وراء مهملة مشـدّدة ـ وهو واد من أودية الحجاز فى الشَّمَال عن مكة علىٰ مرحلة منها علىٰ طريق حُجَّاج مصر والشام . قال فى "الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وعرضها إحدىٰ وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بُقْعة بهـا عدّة عيون ومياه تجرى ونخيل كثير، والنخل والمزدَرَع متصـل من وادى نخلة إليها . وذكر غيره أن بها نحوَ أربعة وعشرين نهرا علىٰ كل نهر قرية ، ومنها تُحْمَـل الفواكه والبُقُولات إلىٰ مكة كما تحمل من نَخْلَةَ والطائف ، وهى بيد بنى حَسَن أمراء مكة .

الخامس ـ (الهَدَهْ) ـ بألف ولام ثم هاء ودال مهملة مفتوحتين وهاء ساكنة فى الآخر ـ وهو واد علىٰ القرب من بطن مَرّ ، علىٰ مرحلة ونصف من مكة ، به أربعة عشر نهرا علىٰ كل نهر قرية ، وهى بيد بنى جابر .

السادس ـ (عُسْفَانُ) ـ بضم العين وسكون السين المهملتين وفتح الفاء ثم ألف ونون ـ وهو وادٍ معروف علىٰ طريق حُجّاج مصر ، علىٰ ثلاث مراحل من مكة ، كان بها حدائق ومياه تنصب إليها من الهَدَه المذكورة ، وهى الآن خراب ليس بها عمارة .

السابع ـ (البَرَزَة) ـ بألف ولام ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهـملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وهاء فى الآخر ـ وهى واد بالقرب من عُسْفَانَ على مرحلتين من مكة؛ به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية؛ وهى الآن بيد بنى سَلُولَ وبنى مُعَبِّدٍ بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة .

الثـامن ـ (خُلَيْصٌ) ـ بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وإسكان اليـاء المثناة تحت والصاد المهـملة ـ وهو واد على طريق حُجَّـاج مصر على أربع مراحل من مكة؛ به نحو تسعة أنهر على كل نهر قرية .

التاسع ـ (وادى كُلَيَّة) ـ بضم الكاف وفتح اللام وتشديد اليـاء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر ـ وهو واد بالقرب من خُلَيْص به نحو سبعة أنهر على كل نهر قرية، وكان بيد سُلَيم، وقد خرب من مدّة قريبة بعد الثمانين والسبعمائة .

العاشر ـ (مَرُّ الظَّهْرَان) ـ بفتح الميم وتشديد الراء المهملة ثم ألف ولام وظاء معجمة مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف ونون ـ وهو موضع بينه وبين مكة نحو ستةَ عشرَ ميلا ، وهو الذى نزل به رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ! عند صُلْحه مع قريش، كان به ضِيَاع كثيرة وهو الآن خراب . قال فى "الروض المعطار" : وبه حصن كبير، كان يسكنه شُكْر بن الحسن بن علىّ بن جعفر الحسنى يعنى أميرَ مكة الآتى ذكره فى جملة أمرائها .

الطرف السابع
(فى ذكر ملوك مكة ، وهم علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل
(ملوكها قبل الإسلام)

اعلم أن مكة بعد الطُّوفان كان مُلْكها فى عاد، وكان بها منهم معاوية بن بكر بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكان مع معاوية بن بكر (وهو عادٌ الآخرة فيما يقال) يَعْرُب ثم غلبهم العمالقة عليها. فلما غلب آبن قَحْطان بن عابَر بن شالَخ آبن أرفَخْشَذ بن سام بن نوح عادا علىٰ اليمن وفرّق مُلْك اليمن فى إخوته، آستولىٰ علىٰ الحجاز وأخرج العمالقة منه وولّى أخاه جُرْهُمَ بن قحطان علىٰ الحجاز، فبقِىَ به حتّى مات. فملك بعده آبنه عبدُ ياليلَ . ثم ملك من بعده آبنه جُرْهُم؛ ثم ملك بعده آبنه عبد المَدَان؛ ثم ملك بعده آبنه بُقَيْلَةُ؛ ثم ملك بعده آبنه عبدُ المسيح؛ ثم ملك بعده آبنه مُضَاضُ؛ ثم ملك بعده آبنه الحْرث؛ ثم ملك بعده آبنه عمرو؛ ثم ملك بعده أخوه بِشْر بن الحْرث ، ثم ملك بعده مُضَاضُ بن عمرو بن مُضَاض .

قال آبن سعيد : وجُرْهُمُ هذه هم الذين بُعث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوّج فيهم، وكانت قبلهم جُرْهُمُ أخرىٰ مع عَادٍ . قال فى "الروض المعطار" : وفى ذلك يقول عمرو بن الحرث بن مُضَاض، وهو التاسع من ملوك جُرْهُمَ المتقدّم ذكرهم :

وَصَاهَرَنَا مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ وَالِدًا * فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا ونَحْنُ الأَصَاهِرُ!

قال صاحب حماةَ فى "تاريخه" : وقد آختلف المؤرّخون فى أمر المُلْك علىٰ الحجاز بين جُرْهُمَ وبين إسماعيل، فبعضهم يقول: كان المُلْك فى جرهم، ومفاتيح الكعبة وسِدَانتها فى يد ولد إسماعيل، وبعضهم يقول : إن قَيْدار بن إسماعيل توجّته أخواله من جُرْهُمَ وعقدوا له المُلْك عليهم بالحجاز .

وأما سِدَانَةُ البيت ومفاتيحه فكانت مع بنى إسماعيل بلا خلاف حتّٰى آنتهىٰ ذلك إلىٰ نَابِتٍ من ولد إسمـاعيل ، فصارت السِّـدَانَةُ بعده لجُرْهُمَ ، ويدل علىٰ ذلك قول عمرو بن الحرث :

وكُنَّا وُلَاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْـدِ نَابِتٍ * نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ وَالأَمْرُ ظَاهِرُ !

وذكر فى " الروض المعطار " : أنه كان مع جُرْهُمَ بمكة قَطُورا[1] ، وجُرْهُم وقَطُورا أخوان ، وكان منزل جرهم أعلىٰ مكة بقُعَيْقِعَانَ فمـا حاز ، ومنزل قَطُورا أسفلَ مكة بأجياد فما حاز ، وآنتهت رياسة قَطُورًا فى زمن مُضَاض بن عبد المسيح المتقدم ذكره إلىٰ السَّمَيْدَع ، وكان مُضَاض يُعَشِّر مَنْ دخل مكة من أعلاها ، والسَّـمَيْدَعُ يعشر من دخلها من أسـفلها ، ثم بغىٰ بعضهم علىٰ بعض وتنـافسوا الملكَ وآقتتلوا فقُتِـل السميدع ، وآسـتقلّ مضاضٌ بالأمر ، وبقيت جُرْهُمُ ولاةَ البيت نحو ثلثمائة سـنة فأكلوا مال الكعبة الذى يهدىٰ إليها وآستحلُّوا حرمها ، وبلغ من أمرهم أن الرجل إذا لم يجد مكانا يزنى فيه [2] الكعبة فزنىٰ فيها ، ولم يتناهَوْا حتّٰى يقال إن إسافَ آبن سهيل زنىٰ بنائلة بنت عمرو بن ذؤيب فى جوف الكعبة فمسخا حجرين ، ونضب ماءُ زمزم لكثرة البَغْىِ ودَرَست معالمها ؛ ثم جاء عمرو بن لُحَىّ فغيَّر دين إبراهيم عليه السـلام وبدّله وبعث العربَ علىٰ عبادة التمـاثيل ، وعُمِّر ثلثمائة سـنة وخمسا وأربعين سنة ، وبلغ من الولد وولد الولد ألفين .

ثم صارت سِدَانة البيت ومفاتيحُه إلىٰ خُزَاعةَ بن الأزْد من بنى كَهْلَانَ بن سَبَإٍ من العرب العاربة ؛ وكانت منازلهم من حين تفرّق عربُ اليمن بسبب سَيْل العَرِم ببطن مَرّ علىٰ القرب من مكة ؛ وصارت لهم الرياسة بسِدَانة البيت ، وبقيت السِّدانة بيدهم

(١) فى "السبائك" و"العبر" بدون ألف .

(٢) بياض بالأصل ، ولعل أصله "دخل" كما هو ظاهر .

إلىٰ أن آنتهت إلىٰ أبى غُبْشَان: سليمان بن عمرو الخُزَاعىّ فى زمن بَهْرام‌جور بن يَزْدجِرْد من ملوك الفُرْس، ورئيسُ قريش يومئذ قُصَىُّ بن كِلَاب، فآجتمع قُصَىٌّ مع أبى غُبْشَان علىٰ شراب بالطائف، فلما سكر أبو غُبْشَان آشترىٰ قُصَىٌّ سِدَانَةَ البيت منه بِزِقِّ خمر وتسلم مفاتيحه وأشهد عليه بذلك، وأرسل آبنَه عبدَ الدار بها إلىٰ البيت فرفع صوته وقال: يامعشَرَ قريش! هذه المفاتيح: مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، قد ردّها الله عليكم من غير عارٍ[1] ولا ظُلْم. فلما صحَا أبو غُبْشَان ندم حيثُ لاينفعه النَّدَمُ. ويقال "أخسَرُ من صَفْقة أبى غُبْشَان" وأكثر الشعراءُ القولَ فى ذلك حتّٰى قال بعضهم:

بَاعَتْ خُزَاعَةُ بَيْتَ اللهِ إذْسَكِرَتْ * بِزِقِّ خَمْرٍ، فَبِئْسَتْ صَفْقَةُ البَادِى

بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بالنَّزْرِ وآنْصَرَفَتْ * عَنِ المَقَامِ وظِلِّ البَيْتِ وَالنَّادِى

ولما وقع ذلك عَدَتْ خزاعة علىٰ قصىّ فظهر عليهم وأجلاهم عن مكة، وكان بمكة عرب يجيزون الحجيجَ إلىٰ الموقف، وكان لهم بذلك رياسة فأجلاهم قُصَىٌّ عن مَكَّةَ أيضا وآنفرد بالرياسة. قال العسكرىّ فى "الأوائل": وكان أوّل من نال المُلْك من ولد النَّضْر بن كِنَانَةَ.

ولما تم لقُصَىٍّ ذلك بنىٰ دارَ النَّدْوة بمكة، فكانت قريش تقضى فيها أمورَها فلا تُنْكِح ولا تتشاور فى أمر حرب ولا غيره إلا فيها، ولم تزل الرياسة فيه وفى بنيه بعد ذلك. فوُلِد له من الولد عَبْدُ مَنَاف وعبدُ الدّار وعبدُ العُزّىٰ.

ثم آنتقلت الرياسة العظمىٰ بعد ذلك لبنى عبد مَنَاف، وكان له من الولد هاشمٌ وعبدُ شَمْس والمُطَّلِبُ ونَوْفَلٌ، وكان هاشم أرفعَهم قدرا وأعظمهم شأنا، وإليه آنتهت سيادةُ قومه، وكانت إليه الرِّفادة وسِقَاية الحجيج بمكة، وكانت قريش تُجّارا، وكانت تجارتهم لا تعدُو مكة وما حولها فخرج هاشم إلىٰ الشأم حتّى نزل بقَيْصَرَ

(١) لعله غارة أو غدر.

ملك الروم فسأله كتابةَ أمَانٍ لتُجّار قريش ، فكتب له كتابا لكل مَنْ مَرَّ عليه ، فخرج هاشم فكلّما مَرَّ بحيّ من العرب أخذ من أشرافهم أمانا لقومه حتّى قَدِم مكة ، فأتاهم بأعظم شيء أُتُوا به قَطّ بَرَكةً ، فخرجوا بتجـارة عظيمة وخرج معهـم حتّى أوردهم الشام ؛ وخرج أخوه المطلب إلىٰ اليَمَن فأخذ لهم أمانا من مَلِكه ؛ وخرج أخوهمـا عبد شمس إلىٰ مَلِك الحبشة فأخذ لهم أمانا كذلك ؛ وخرج أخوهم نَوْفَلٌ إلىٰ كِسْرىٰ ملِك الفرس فأخذ لهم منه أمانا . وكانت قريش يرحلون فى الشتاء للشام وفى الصيف لليمن ، وآتسعت معايشهم بسبب ذلك ، وكثرت أموالهم حتّى آمتن الله عليهم بذلك بقوله : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ والإيلاف الأمان .

ثم وُلِد لهـاشم عبد المطلب وبقيت الرياسـة فيـه ؛ وكانت بئر زمزم قد آنطمّت ونَضَب ماؤها فحفرها عبد المطلب ، حتّى أكمل الله تعـالىٰ بنبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ! .

وأما سِـدَانة البيت ومفاتيحه ، فبقيت بيد بنى عبد الدار بن قُصَيّ المتقدّم ذكره من حين تسلَّمَها عبـدُ الدار عند أخذها من أبى غُبْشَان الخزاعىّ حتى صارت لبنى شَيْبَةَ من بنى عبد الدار ، وآنتهت فى زمن النبىّ صلّى الله عليه وسـلم إلىٰ عثمانَ بن طلحةَ بنِ عبد الدار . فلما دخل النبىّ صـلى الله عليه وسـلم مكة يوم الفتح ، أغلق عثمانُ بابَ الكعبة وصَعِد السطح وأبىٰ أن يدفع المفتاح إليه ، وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فلوىٰ علىّ بن أبى طالب يَدَه وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلّى الله عليه وسـلم الكعبة فصلّى ركعتيـن ، فلما خرج سأله العبّاس أن يعطيَه المفتاحَ ويجمع له السِّقاية والسِّدانة فنزل قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسـلم عليا أن يردّ المفتاح إلىٰ

عثمان ويعتذرَ إليه، فقال عثمان : أكْرَهْتَ وآذيت ثم جئت تَرْفُق ؟ فقال له علىّ : لقد أنزل الله تعــالىٰ فى شأنك قرءانا وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فهبَطَ جبريل عليه السلام علىٰ النبىّ صلّى الله عليه وسلم فأخبره أن السِّدانة فى أولاد عثمان أبدًا، فهى باقية فيهم إلىٰ الآن .

الضرب الثــانى
(ملوكها فى الإسلام ، وهم علىٰ طبقات)

الطبقة الثالثـــة(1)
(عمال النبىّ صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين)

هاجر منها النبىّ صلّى الله عليه وسلم إلىٰ المدينة قبل وفاته، وحَجّ حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة، وتوفِّى سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة وعلىٰ مكة عثمانُ بن أُسَيد، وتوالت عليها عُمّــال الخلفاء بعــده إلىٰ آخر أيام الحسن بن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

الطبقة الرابعـــة
(عمال بنى أُمَيَّة من لدن معاوية رضى الله عنه إلىٰ آنقراضهم)

ثم ولّى عليها معاويةُ بن أبى سُفْيَانَ فى خلافته فى سنة آثنتين وأربعين من الهجرة (خالدَ بن العاص بن هشام) ثم أضيفت إلىٰ عُمّال المدينة إلىٰ أيام الوليد بن عبد الملك فكان من وليها منهم (الوليدُ بن عتبة) ثم (عمرو بن سعيد الأشْدَق) ثم (الوليد بن عتبة)

(١) هكذا فى الأصل بهذا العنوان وصوابه الأولىٰ والذى يظهر أن هــذا من الناسخ فان المقام لا يحتمل السقط . ومن جهة أخرىٰ لم يترك فى الأصل بياض حتى كان يخيل أن المؤلف ترك الكلام عليه للعود إليه لحق ما هنا "الطبقة الأولى" وما بعدها "الطبقة الثانية" وهكذا حتى تتسلسل الطبقات .

ثانيا، ثم (مُصْعَب بن الزبير) من جهة أخيه عبد الله بن الزبير لما بويع له بالخلافة، ثم (جابرُ بنُ الأسود) ثم (طلحة بن عبد الله بن عوف) ثم (طارق بن عمرو بن عثمان) ثم (الحجّاج بن يوسف الثقفىّ) ثم (أَبانُ بن عثمان) ثم (هشام بن إسماعيل المخزومىّ) ثم (عُمَرُ[١] بن عبد العزيز).

ثم أفردها الوليد بن عبد الملك عن المدينة وولى عليها (خالدَ بن عبد الله القَسْرى) بعد عمر[١] بن عبد العزيز؛ ثم وليها (عبد العزيز بن خالد بن أَسِيْد) أيام سليمان آبن عبد الملك، ثم عزله يزيدُ سنة ثلاث ومائة وأضافها مع المدينة إلىٰ (عبد الرحمن آبن الضحّاك)، ثم عزله عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانَهُ (عبدَ الواحد النضرىّ)، ثم عزله هشام بن عبد الملك فى خلافته وولّى مكانه علىٰ مكة والمدينة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل) ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة وولّى مكانه علىٰ مكة والطائف دون المدينة (محمدَ بن هشام المخزومىّ)؛ ثم ولّى الوليدُ بنُ يزيد فى خلافته خالَهُ (يوسفَ بن محمد الثقفىّ) علىٰ مكة مع سائر أعمال الحجاز؛ ثم ولّى مروانُ علىٰ مكة وبرّ الحجاز (عبدَ العزيز بن عمر، بن عبد العزيز) ثم عزله فى سنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه علىٰ مكة والحجاز (عبدَ الواحد) ثم توالت عليها عُمّال بنى أمية إلىٰ أن آنقرضت دولتهم.

الطبقة الخامسة
(عُمّال بنى العبّاس)

وأوّلهم أبو العباس السَّفّاح، فولّى عليها وعلىٰ المدينة وسائر الحجاز عمَّه (داود) ثم توفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة؛ فولّى مكانه فى جميع ذلك (زيادَ بن عبد الله بن عبد الدار الحارثىّ).

---

(١) فى الأصل عمرو.

ثم ولّى السَّفّاحُ علىٰ ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة (السَّرِىَّ بن عبدَ الله ٱبن الحارث بن العبّاس).

ثم عزله أبوجعفر المنصور سنة ست وأربعين ومائة وولّى مكانه عمه (عبدالصمد ٱبن علىّ) ثم عزله عنها سنة تسع وأربعين ومائة وولّى مكانه (محمد بن إبراهيم الإمام) ثم عزله وولّى مكانه (إبراهيم ٱبن أخيه) ثم ولّى علىٰ مكة وسائر الحجاز واليمامة (جعفرَ بن سليمان)، ثم توالت عليها العمال إلىٰ أن ولّى الرشيدُ فى خلافته علىٰ مكة واليمن (حمادا اليزيدى[1]) سنة أربع وثمانين ومائة.

ثم وليها فى زمان الأمين (داودُ بن عيسىٰ).

ثم وليها (محمد بن عيسىٰ) ثم عزله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وولى مكانه ٱبنه (المنتصر) بن المتوكل.

ثم وليها (علىّ بن عيسىٰ بن جعفر بن المنصور) ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين وولّى مكانه (عبد الله بن محمد بن داود بن عيسىٰ بن موسىٰ) ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين وولّى مكانه (عبدَ الصمد بن موسىٰ بن محمد بن إبراهيم الإمام) ثم توالت عليها العمال من قِبَل خلفاء بنى العبّاس إلىٰ أن غلب عليها السُّلَيْمَانِيُّون الآتى ذكرهم آنفا.

الطبقة السادسة

(السليمانيون من بنى الحَسَن)

نسبة إلىٰ سليمان بن داود بن الحسن المثنّى بن الحسن السِّبْط.

وكان سليمان هذا فى أيام المأمون بالمدينة وحدثَت الرياسة فيها لبنيه بعد أيام، وكان كبيرهم آخِرَ المائة الثالثة محمد بن سليمان الربذىّ.

(١) فى الكامل لابن الأثير "البربرى".

قال البيهقىّ : خلع طاعة العبّاسيين وخطب لنفسه بالإمامة فى سنة إحدىٰ وثلثمائة فى خلافة المقتدر، ثم اعترضه أبو طاهر القرمطىّ فى سنة ثنتى عشرة وثلثمائة . فانقطع حجيج العراق بسبب ذلك .

ثم أنفذ المقتـدر الحجيج من العراق فى سـنة سبع عشرة وثلثمائة فوافاهم القرمطىّ بمكة فنهبهم ، وخطب لعبيد الله المهـدىّ صاحب إفريقية وقلع الحجرَ الأسودَ وبابَ الكعبة وحملهما إلىٰ الأحْسَاء ، وتعطل الحج من العراق إلىٰ أن ولى الخـلافةَ القاهرُ فى سنة عشرين وثلثمائة فحجّ بالناس أميرُه فى تلك السنة .

ثم انقطع الحج من العراق بعدها إلىٰ أن صُولحت القرامطة علىٰ مال يؤديه الحجيج إليهم ، فحجوا فى سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، وخُطب بمكة للراضى بن المقتدر ، وفى سنة تسع وعشرين لأخيه المُتَّقِى من بعده .

ثم انقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلىٰ سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، فخرج ركب العراق بمهـادنة القرامطة فى خلافة المسـتكفى ؛ ثم خُطب بمكة لمعز الدولة ابن بُوَيه مع المقتدر فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ؛ ثم تعطل الحج بسبب القرامطة ؛ ثم برز أمر المنصور الفاطمىّ صاحب إفْرِيقِيَّةَ لأحمد بن أبى سعيد أمير القرامطة بعد موت أبى طاهر بإعادة الحجر الأسود إلىٰ مكانه فأعاده فى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة .

وفى سـنة ثنتيـن وأربعين وثلثمائة حاول أمير الرَّكْب المصرىّ الخطبـةَ لابن الأخشيد صاحب مصر فلم يتأتَّ له ذلك وخُطب لابن بُوَيه ، واتصلت وفود الحج من يومئذ .

وفى سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطىّ بمكة مع المُطِيع .

وفى سنة ست وخمسين وثلثمائة خطب بمكة لبختيار بن مُعِزّ الدولة بعد موت أبيه

ثم فى سنة ستين وثلثمائة جهز المُعِزُّ الفاطمىّ عسكرا من إفْرِيقيَّةَ لإقامة الخطبة له بمكة وعاضدهم بنو الحُسَين أهل المدينة فمنعهم بنو الحسن أهل مكة من ذلك وآستولَوْا على مكة .

فلما ملك مصرَ المُعِزُّ كان الحسن بن جعفر بن الحسن بن سليمان بالمدينة فبادر فملك مكة ودعا للمعِزّ وكتب له المُعِزُّ بالولاية، ثم مات الحسن فولِّى مكانَه أخوه عيسى .

ثم وُلِّى بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبى هاشم، ثم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود سنة أربع وثمانين وثلثمائة، ثم جاءت عساكر عضد الدولة بن بويه ففرّ الحسن وترك مكة . ولما مات المعز وولِى آبنه العزيز، بعث إلى مكة أميرا عَلَويًّا فخطب له بالحرمين وآستمرّت الخطبة بمكة للعلويين إلى سنة سبع وستين وثلثمائة .

وفى سنة ثمان وستين خُطِب لعضد الدولة بن بُوَيه، ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين بمصر، ثم كتب الحاكم سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة إلى عُمَّاله بالبراءة من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فأنكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة وحمله ذلك على أن آستبدّ بالأمر فى مكة وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله، وقطع الحاكم المِيرة عن الحرمين فرجع أبو الفتوح إلى طاعته فأعاده إلى إمارته بمكة .

وفى سنة ثنتى عشرة وأربعمائة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم، ثم خطب بمكة سنة سبع وعشرين وأربعمائة للمستنصر بن الظاهر، ثم توفى أبو الفتوح أمير مكة المتقدّم ذكره سنة ثلاثين وأربعمائة لِستٍّ وأربعين سنة من إمارته .

وولى بعده إمارة مكة آبنه شُكْر وملك معها المدينة وآستضافها لمكة، وجمع بين الحرمين كلّه[1] ثلاثا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . قال آبن حزم : وكانت وفاته عن غير ولد وآنقرضت بموته دولة بنى سليمان بمكة .

(١) لعله كليهما .

الطبقــــة السابعة

(الهَوَاشِـــم)

نسـبة إلىٰ أبى هاشم : محمد بن الحسن بن محمد بن موسىٰ بن عبد الله أبى الكرام ٱبن موسىٰ الجَوْن بن عبد الله بن حسن بن الحسن السِّبْط .

كان رئيسُ الهواشم لما مات شكر آخرُأمراء السليمانيين (محمدَ بن جعفر) بن أبى هاشم المذكور فٱستولىٰ علىٰ إمارة مكة فى سـنة أربع وخمسين وأربعمائة بعـد موت شكر، وخطب للمستنصر الفاطمىّ صاحبِ مِصْرَ، ثم خطب لبنى العبّاس فى سـنة ثمـان وخمسين وأربعمائة فقُطعت ميرة مصر عن مكة فعَذَلَه أهلُه علىٰ ذلك فأعاد الخطبة للمستنصر الفاطمىّ . ثم ٱستمـاله القائم العباسىّ وبذل له الأموالَ فخطب له سـنة ثنتين وستين بالموسم فقطْ ، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر إليه . ثم بعث إليه السلطان ألْب أرسلان السَّلْجُوقىّ بأموال كثيرة فى سنة ثلاث وستين فخطب له بنفسه .

ثم جمع محمدُ بن جعفر المتقدّم ذكره وزحف إلىٰ المدينة فأخرج منها بنى الحسين وملكها وجمع بين الحرمين .

ثم مات القائم وٱنقطع ما كان يصل إلىٰ أمير مكة منه فقطع الخطبةَ للعباسيين .

ثم أرســل المقتدى بالله العباسىّ بمـال فأعاد الخطبة للعباسيين فاستمرت الخطبة لهم إلىٰ أن مات السلطان ملكشاه السلجوقىّ سـنة ست(١) وثمانين وأربعمائة فٱنقطعت الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحـاجُّ من العراق ، ومات المقتدى وبويع ٱبنه المستظهر . ومات المستنصر العُبَيْدىّ بمصر وبويع ٱبنه المستعلى فخطب له بمكة .

---

(١) لعله خمس كما يؤخذ من تاريخ أبى الفدا .

ثم مات محمد بن جعفر أمير مكة المتقدّم ذكره سنة سبع وثمانين وأربعمائة لثلاث وثلاثين سنة من إمارته ، وولى بعده ٱبنه (قاسم) فكثر ٱضطرابه ، ثم توفى سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من إمارته .

وولى بعده ٱبنه أبو فُلَيتة فٱفتتح بالخطبة العباسية وحَسُن الثناء عليه ، ثم مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة لعشر سنين من إمارته وولى بعده ٱبنه قاسم والخطبة مستمرّة للعباسيين .

ثم صنع المقتفى بابا للكعبة وأرسله إليها فى سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وحمل الباب العتيق إليه فٱتخذه تابوتا يدفن فيه ، وٱتصلت الخطبة لبنى العبّاس إلى سنة خمس وخمسين ، وبويع المستنجد فخُطِب له كما كان يُخْطَب لأبيه المقتفى .

ثم قتل قاسم بن أبى فليتة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وولى بعده ٱبنه (عيسى) فى أيام العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، وتوفى المستنجد وبعث المستضىء بالركب العراقى وٱنقضت دولة الفاطميين بمصر ، ووليها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فخُطِب له بالحرمين الشريفين .

والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" أن عيسى عَمَّ قاسم سيَّر الحاجَّ فى سنة ست وخمسين وخمسمائة وقام مكان ٱبن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فملك مكة ، ثم هرب وعاد عمه عيسى فملكها وهرب قاسم إلى جبل أبى قُبَيْس فوقع عن فرسه فأمسكه عيسى وقتله .

ثم مات المستضىء وبويع ٱبنه الناصر وخُطِب له بالحرمين ، وحجت أمه وعادت فأنهت إليه من أحوال عيسى بن قاسم أمير مكة ما عزله به ، وولّى مكانه أخاه (مكثر بن قاسم) وكان جليل القدر ، وهو الذى بنى القلعة على جبل أبى قُبَيْس ، ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، و بموته ٱنقرضت دولة الهواشم بمكة .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" أن أمير حاج العراق فى سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة توجه من عنــد الخليفة بعزله ، فجرىٰ بينهما حرب آنتهىٰ الأمر فيها إلىٰ آنهزام مُكْثِر المذكور ، وأقيم أخوه داود مكانه . وما زالت الإمرة فيه تارة ، وفى أخيه مكثر تارة حتّى مات داود فى ســنة تسع وثمــانين وخمسمائة . وقال : إنه داود بن عيسىٰ بن محمد بن أبى هاشم .

الطبقـــــة الثــامنة

(بنـــو قَتَادَة)

نســبة إلىٰ قتادة بن إدريس بن مُطَاعن بن عبــد الكريم بن موسىٰ بن عيسىٰ بن عبد الله أبى الكرام بن موسىٰ الجَوْن بن عبــد الله بن حسن بن الحسن الســبْط بن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وكان السبب فى ولايتــه مكة أنها لمــا كانت مع الهواشم كان بنو حسن مقيمين بنهر العلقمية من وادى يَنْبُعَ ، فجمع قتــادة قومه بنى مُطَــاعن وأسالفَ بنى أحمد وبنى إبراهيم وتأمر عليهم وملك يَنْبُعَ ، ثم ملك الصفراء ، وسار إلىٰ مكة فآنتزعها من الهواشم المتقدّم ذكرهم وملكها ، وخطب للناصر لدين الله العباسىّ : خليفة بَغْدَادَ ، وتعاظم أمره حتّى ملك مع مكة واليَنْبُع أطرافَ اليمن وبعضَ أعمال المدينــة وبلادَ نجد ، ولم يَفِدْ علىٰ أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، وتوفى سنة بسبع عشرة وستمائة ، وولّى مكانه آبنه الحسن فآمتعض لذلك أخوه راجح بن قتادة ، ثم قدم الملك المسعود أقسز بن الكامل صاحب اليمن ســنة عشرين وستمائة من اليمن إلىٰ مكة وملك مكة وقتل جماعة من الأشراف ونصب رايتــه وأزال راية أمير الركب الذى من جهــة الخليفة ، فكتب الخليفة من بغداد إلىٰ أبيه الكامل يعاتبه فى ذلك ، فكتب الكامل

إلىٰ آبنـه أقسز برئتُ ياأقسز من ظهر العادل إن لم أقطع يمينَك ! فقد نبذتَ وراء ظهرك دنيـاك ودينك ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ! ، وذهب حسن آبن قتادة إلىٰ بغداد صريخا فمات بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، ومات أقسز بمكة سنة ست وعشرين ودفن بالمَعْلىٰ ، وبقى علىٰ مكة قائده فخر الدين بن الشيخ ، وقصد راجح بن قتـادة مكة مع عسـاكر عمر بن رسول فملكها من يد فخر الدين بن الشـيخ سنة تسع وعشرين وستمائة .

ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل فملكوا مكةَ وهرب راجح إلىٰ اليمن ، ثم عاد ومعـه عمر بن رسول صاحب اليمن بنفسـه فهربت عساكر مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد الخليفة المستنصر .

ثم غلب علىٰ مكة سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعد الحسـنُ بن عليّ بن قتادة ولَحِق راجحٌ باليمن ، وسار جَمَّاز بن حسن بن قتادة سنة إحدىٰ وخمسين وستمائة إلىٰ النـاصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب بدِمَشْقَ مستجيشا علىٰ أبى سـعد أن يقطع ذكر صاحب اليمن ، فجهزله عسكرا وسـار إلىٰ مكة فقتل أبا سـعد فى الحرم وملك مكة ، ثم وصـل راجح من اليمن إلىٰ مكة وهو شيخ كبير السن وأخرج منها جمازَ بن حسن فلحق باليَنْبُع .

ثم دار أمر مكة بين أبى نمى محمد بن أبىسعد عليّ بن قتادة وبين غالب بن راجح آبن قتادة ، ثم آستبدّ أبو نمى بإمرة مكة ونفىٰ قبيلة أبيه أبى سعد إلىٰ اليَنْبُع ؛

ولما هلك أبو نمى قام بأمر مكة من بعده آبناه رميثة وحميضة ونازعهما أخواهما عُطَيفة وأبو الغيث فآعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل المملكة المصرية فى الأيام الناصرية فأطلق عُطَيفـة وأبا الغيث وولاهما ، وأمسـك رميثة وحميضة وبعث بهما إلىٰ مصر ، ثم ردّ السـلطان رميثة وحميضة إلىٰ إمارتهما بمكة

مع عسكره وبعثا إليـه بعطيفة وأبى الغيث. وبقىَ التنازع بينهم، وهم يتعاقبون في إمرة مكة مرة بعد أخرىٰ وهلك أبو الغيث فى بعض حروبهم ببطن مَرّ .

ثم تنازع حميضة ورميثة وسار رميثـة إلىٰ الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر سنة خمس عشرة وسبعمائة فأمدّه بعساكر وجّه بها إلىٰ مكة وآصطلحوا .

ثم خالفهم عطيفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ووصل إلىٰ السلطان فأمدّه بالعساكر فملك مكة وقبض علىٰ رميثة فسجن ثم أطلق سنة عشرين وأقام بمصر، وبقىَ حميضة مشرّدا إلىٰ أن آسـتأمن السلطانَ فأمنه ، ثم وثب بحميضة مماليكُ كانوا معه وقتلوه ، وأطلق رميثة من السجن وآستقر شريكا لأخيه عطيفة فى إمارتها .

ثم مات عُطَيفة وأقام أخوه رميثة بعده مستقلا بإمارة مكة إلىٰ أن كَبِر وهَرِم . وإلىٰ ذلك أشار فى "التعريف" بقوله : وأوّل[1] إمرة فى رميثة وهو آخر من بقى من بيته ، وعليه كان النص من أبيه دون البقية مع تداولهم لها ، وكان آبناه بقية وعجلان قد آقتسما معه إمارة مكة برضاه ، ثم أراد الرجوع فلم يوافقاه عليه وآستمرا معه فى الولاية .

ولـما مات رميثة تنازع ولداه : بقية وعجلان ، وخرج بقية وبقىَ عجلان بمكة ، ثم غلبه عليها بقيّـة ؛ ثم آجتمعا بمصر سـنة ست وخمسين وسـبعمائة فولّى السلطان عجلان ، وفرّ بقية إلىٰ الحجـاز فأقام هناك منازعا لعجلان من غير ولاية . وعجلان هو المستبدّ بهـا مع سلوك سـيرة العدل والإنصاف والتجافى عن أموال الرعية والتعرض للمجاورين إلىٰ أن توفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

ووُلّى بعده آبنه أحمد ، وكان قد فوّض إليه الأمر فى حياته وقاسمه فى أمره ، فقام أحمد بأمر مكة جاريا علىٰ سَنَن أبيه فى العدل وحسن السيرة ، ومات فى رمضان سنة ثمـان وثمانين وسبعمائة فى الدولة الظاهرية برقوق .

---

(١) عبارة التعريف "وهى الآن فى رميثة وهو الخ ."

فولّى مكانه ابنُه محمد، وكان صغيرا فى كفالة عمه كبيش بن عجلان فبقى حتّى وثب عليه فداوىّ عنـد ملاقاة المحمل فقتله ؛ ودخل أمير الركب إلى مكة فولّى عنان ابن مُغامس بن رميثة مكانه .

ثم لحق علىّ بن عجلان بالأبواب السلطانية بمصر فولاه الظاهر برقوق سنة تسع وثمانين وسبعمائة شريكا لعنان، وسار مع أمير الركب إلى مكة فهرب عِنانٌ ودخل علىّ بن عجلان مكة فاستقل بإمارتها ؛ ثم وفد علىّ بن عجلان على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فأفرده بالإمارة وأنزل عنان بن مغامس عنده وأحسن إليه، ثم اعتقله بعد ذلك وبقى علىّ بن عجلان فى إمارة مكة حتّى قتل ببطن مَرٍّ فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

فولّى السلطان ابن أخيه حسنَ بن أحمد مكانه واستبدّ بإمرة مكة وهو بها إلى هذا العهد . وهو حسن، بن أحمد، بن عجلان، بن رميثة، بن أبى نمىّ محمد، بن أبى سعد علىّ، بن أبى عزيز قتادة، بن إدريس، بن مطاعن، بن عبد الكريم، بن موسى، ابن عيسى، بن سليمان، بن عبد الله، بن أبى الكرام، بن موسى الجَوْن، بن عبد الله، ابن حسن، بن الحسن السِّـبْط، بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

الطـــــرف السابع
(فى ترتيب مكة المشرفة، وفيه جملتان)

الجمـــــلة الأولى
(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدّم فى الديار المصرية والبلاد الشامية من المعاملة بالدنانير والدراهم النُّقرة ؛ وصَنْجتها فى ذلك كصَنْجة الديار المصرية ، ويعبَّر عن الدرهم النُّقْرة فيها بالكاملىّ ، نسبةً إلى الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب صاحب مصر،

وعندهم درهم آخر من فضة خالصة، مربعُ الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، يعبرون عنه بالمسعودى نسبة إلىٰ الملك المسعود صاحب اليَمن، وهو فى المعاملة بثلثى درهم كاملى،

ولم يكن بها فى الزمن المتقدّم فلوس يُتعامل بها ثم راجت الفلوس الجُدُد بها فى أيام الموسم فيما قبل الدولة الظاهرية برقوق . ثم راجت فى سائر الأوقات آخرا، إلا أن كل درهم بها ثمانية وأربعون فَلْسًا علىٰ الضّعف من الديار المصرية، حيث كلُّ درهم فيها أربعة وعشرون فلسا؛ ويعبر عن كل خمسة قراريط من الدرهم الكاملى فيها بجائز، وعن الربع والسدس منه بجائزين، وتعتبر أوزانها بالمن : وهو مائتان وستون درهما، وأواقيه عشرة، كل أوقية عشرة دراهم؛ وكيلها بالغِرارة، وكل غِرارة من غرائرها (١) وقياس قماشها بالذراع المصرى؛ وأسعارها فى الغالب مرتفعة عن سعر مصر والشام.

وأما إمرتها فإنها إمرة أعرابيــة يمشى أميرها فى إمرته علىٰ قاعدة أمراء العرب دون عادة الملوك فى المواكب وغيرها، وأتباعه عَرَب، وأكثرهم من بنى الحسن أشراف مكة، ويعبرّ عن أكابرهم بالقُوّاد، وهم بمثابة الأمراء للملوك، وربما آستخدم المماليك الترك ومَنْ فى معناهم .

وأكثر متحصّله مما يؤخذ من التجار الواردين إلىٰ مكة من الهند واليمن وغيرهما .

وأما تجهيز ركب الحجيج إليها ففى كل سنة يجهز إليها المَحْملُ من الديار المصرية بكُسْوة البيت مع أمير الركب ويكسىٰ البيتُ بالكُسْوَة المجهزة مع المَحْمِل، ويأخذ سَدَنَةُ البيت الكسوةَ التى كانت علىٰ البيت، فيُهادُون بها الملوك وأشرافَ الناس، وداخل البيت كسوة أخرىٰ من حرير منقوش لا تحتــاج إلىٰ التغيير إلا فى الســنين المتطاولة لعدم وصول الشمس ولمس الأيدى إليها .

(١) بياض فى الأصل .

ومن عادة أمير مكة أنه إذا وصل المَحْمِلُ إلىٰ ظاهر مكة خرج لملاقاته، فإذا وافاه ترجل عن فرسه وأتى الجمل الحامل للمَحْمِل فقلب خُفَّ يده اليمنىٰ وقبّله خدمةً لصاحب مصر . وقد روىٰ ٱبن النجار فى تاريخ المدينة النبوية من طريق الحافظ أبى نعيم إلىٰ حسَين بن مُصْعَب أنه أدرك كسوة الكعبة يؤتىٰ بها المدينة قبل أن تصل إلىٰ مكة فتنشر علىٰ الرَّضْراض فى مؤخَّر المسجد، ثم يُخْرَجُ بها إلىٰ مكة . وذلك فى سنة إحدىٰ وثلاثين أو ٱثنتين وثلاثين ومائة .

وٱعلم أن كسوة الكعبة لها حالان :

الحال الأولىٰ — ما كان الأمر عليه فى الجاهلية . قد روىٰ الأزرقىّ فى "أخبار مكة" : بسنده إلىٰ أبى هريرة رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ! "نهىٰ عن سَبِّ أسْعَدَ الحِمْيَرِىّ وهو تُبَّعٌ" وكان أوّل من كَسَا الكعبة . وذكر ٱبن إسحاق عن غير واحد من أهل العلم أن أوّل من كسا الكعبة كُسْوَةً كاملة تُبَّعٌ وهو أسعدُ أُرِىَ فى منامه أن يكسوها فكساها الأنطاع ، ثم أرى أن ٱكْسُها فكساها الوصائل ثيابٌ حِبَرَة من عَصْبِ اليمن؛ وعن ٱبن جريج نحوه .

وعن ٱبن أبى مليكة أنه قال : بلغنى أن الكعبة كانت تكسىٰ فى الجاهلية كُسًى شتّى . كانت البُدْن تُجَلَّل الحِبَرَ والبرود والأكسية وغير ذلك من عَصْب اليمن، وكان يُهْدىٰ للكعبة هدايًا من كُسًى شتّى سوىٰ جِلَال البُدْن : حِبَرٍ وخَزٍّ وأنماط فتكسىٰ منه الكعبة، ويجعل ما بقى فى خزانة الكعبة . فإذا بَلِىَ منها شىء أخلف عليها مكانَهُ ثوب آخر، ولا يُنْزَع مما عليها شىء .

وعن عبد الجبار بن الورد قال : سمعت ٱبن أبى مليكة يقول : كانت قريش فى الجاهلية تَرَافَدُ فى كسوة الكعبة، فيضربون ذلك علىٰ القبائل بقدر ٱحتمالها، من عهد قُصَىٍّ بن كلاب حتّى نشأ أبو ربيعة بنُ المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان

يختلف إلى اليمن يتّجر فيها فأثرىٰ فى المال، فقال لقريش : أنا أكسُو الكعبةَ وحدى سنةً وجميع قُريش سنة، فكان يفعل ذلك حتّى مات: يأتى بالحِبَرِ الجَنَدِية من الجَنَد فيكسو الكعبة ، فسمته قريش العِدْلَ لأنه عدل فعله بفعل قريش .

وروىٰ الواقدىّ عن النَّوَارِ بنت مالك أم زيد بن ثابت رضى الله عنه أنها قالت : رأيت قبل أن ألِدَ زيدَ بن ثابت علىٰ الكعبة مَطَارِفَ خَزٍّ أخضر وأصفر، وكِرَارَ وأكسيةَ الأعراب وشِقَاق شعر .

وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى إنما كانت تكسىٰ يوم عاشوراء إذا ذهب آخِرُ الحاج، حتّى كان بنو هاشم فكانوا يعلّقون القميص يوم التروية من الديباج لأن يرىٰ الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء علّقوا عليها الإزار .

وعن عطاء بن يسار عن عُمَر بن الحكم قال : نذرت أُمّى بَدَنَةً تنحرها عند البيت وجللتها شُقّتين من شعر وو بر فنحرت البدنة وسيّرتْ للكعبة بالشُّقّتين، والنبىّ صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر، فنظرتُ إلىٰ البيت يومئذ وعليه كُسًى شتّى من وصائل وأنطاع وكِرَارٍ وخَزٍّ ونَمَارِقَ عراقية، كل هذا قد رأيته عليه .

قلت : حاصلُ الأمر أن الذى كُسِيَتْه الكعبة الأنطاعُ وحِبَرَاتُ اليمن والبرودُ والكِرارُ والأنماط والنمارق ومَطَارِفُ الخَزِّ الأخضر والأصفر والأكسية وشِقَاق الشعر والوبر وغير ذلك .

الحال الثانية ــ ما كان الأمر عليه فى صدر الإسلام وهلم جرا إلىٰ زماننا .

أما فى صدر الإسلام فقد روىٰ الواقدىّ عن إبراهيم بن أبى حبيبة عن أبيه أن البيت كان فى الجاهلية يُكسىٰ الأنطاع فكساه النبىّ صلى الله عليه وسلم الثيابَ اليمانِيَةَ، ثم كساه عمرُ وعثمان رضى الله عنهما القَبَاطىّ . وعن ابن أبى نجيح أن عمر

ٱبن الخطاب رضى الله عنه كسا الكعبة القَبَاطىّ من بيت المال ، كان يكتب فيها إلىٰ مصر، ثم عثمانُ من بعده . فلما كان معاوية بن أبى سُفْيَانَ كساها كسوتين : كسوة عُمَرَ القَبَاطىّ وكسوةَ دِيبـاج ، وكانت تكسىٰ الدِّيباج يوم عاشوراء ، وتكسىٰ القباطىّ فى آخر شهر رمضان .

وروىٰ الأزرقىّ عن نافع قال : كان ٱبن عمر يكسو بُدْنَهَ إذا أراد أن يحرم القَبَاطِىّ والحِبَر ، وفى رواية الأنماط ، فإذا كان يومُ عرفة ألبسها إياها وإذا كان يومُ النحر نزعها عنها ثم أرسل بها إلىٰ شيبةَ بن عثمان الحَجَبِىّ فناطها علىٰ الكعبة .

وروىٰ الواقدىّ عن إسحاق بن عبد الله أن الناس كانوا ينـذُرُون كُسْوة الكعبة ويُهْدون إليها البُدْنَ عليها الحِبَرَاتُ ، فيبعَثُ بالحِبَرَات إلىٰ البيت كسوة . فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج الخُسْرُوانىّ ، فلما كان ٱبن الزبير ٱتبعه علىٰ ذلك ، فكان يبعث إلىٰ أخيه مُصْعَبِ بن الزبير يبعث بالكسوة كل سنة وكانت تكسىٰ يوم عاشوراء .

قال الأزرقىّ : وقد قيل إن ابن الزبير أوّل مَنْ كساه الديباج . قال أبو هلال العسكرىّ فى كتابه "الأوائل" : وهو الصحيح .

وذكر الواقدىّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مَرْوان كان يبعث فى كل سنة بالدِّيباج من الشام فيُمَرّ به علىٰ المدينة فيُنْشَر يوما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ الأساطين هاهنا وهاهنا ، ثم يطوىٰ ويبعث به إلىٰ مكة . وقد قيل إن عبد الملك أوّل من كسا الكعبة الديباجَ . قال الماوردىّ : وكساه بنو أمية فى بعض أيامهم الحُلَل التى كانت علىٰ أهل نجران فى جزيتهم ، والديباج من فوقها .

قال الأزرقىّ : ولما حجّ المهدىّ فى سنة ستين ومائتين(1) ، رُفع إليه أن ثياب الكعبة قد أثقلتها ويخاف علىٰ جُدْرانها من ثِقَل الكسوة ، فجرّدها حتّى لم يبق عليها شىء من

(1) صوابه ومائة .

الكسوة ، ثم أفرغ عليها ثلاث كُسًى : قباطيّ وخز وديبـاج . ولمـا غلب حسـينُ ابن حسن الطالبيّ على مكة فى سنة مائتين ، وجد ثيابها قد ثقُلت عليها أيضا فجرّدها فى أول يوم من المحرّم وكساها كسوتين من قزّ رقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء مكتوب بينهما .

"بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلّى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار." "أمر أبو السّرايا الأصغر بن الأصغر راعيةُ آل محمد صلوات الله عليه وسلامه بعمل" "هذه الكسوة لبيت الله الحرام" .

وذكر الأزرقيّ عن جدّه أن الكعبة كانت تكسى فى كل سـنة كسوة ديباج يعنى أحمر وكسوة قبَـاطيّ . فأما الديباج فتكساه يوم التروية ، فيعلّق القميص ويدلّى ولا يخاط . وإذا صدر الناس من منى خيط القميصُ وترك الإزار حتّى يذهب الحاج لئلا يخرقوه . فإذا كان يوم عاشوراء علق عليها الإزارُ يوصل بالقميص ، وكأن المراد بالإزار ما تدركه الأيدى فى الطواف وبالقميص ما فوق ذلك إلى أعلى الكعبـة ، فلا تزال هـذه الكسوة الديباجُ عليها حتّى يوم سبع وعشرين مـن شهر رمضان فتكسى القباطيّ القطن .

فلمـا كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يبلى ويتخرق قبل أن يبلغ الفطر ، فسأل المأمونُ صاحبَ بريد مكة فى أىّ الكسوة الكعبةُ أحسنُ ؟ فقـال له : فى البياض ، فأمر بكسوة من ديباج أبيض ، عملت سنة ست ومائتين وبُعث بها إلى الكعبة ، فصارت الكعبة تكسى ثلاث كسى : تكسى الديباجَ الأحمر يوم التّروية ، وتكسى القباطيّ يوم هلال رجب ، وتكسى الديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر .

ثم رفع إلىٰ المأمون أيضا أن إزار الديباج الأبيض يتخرق ويَبْلىٰ فى أيام الحج من مسّ الحاج قبل أن يُخَاط عليها إزار الديباج الأحمر فى عاشوراء ، فزادها إزارَ ديباج أبيض تُكْسَاه يوم التَّرْوِيَة ، فيستر به ما تخرق من الإزار الذى كسيته .

ثم رفع إلىٰ المتوكل فى سنة أربعين ومائتين أن إزار الديباج الأحمر يَبْلىٰ قبل هلال رجب من مسّ الناس ومسحهم بالكعبة ، فزادها إزارين مع الإزار الأول ، فأذال قميصَها الديباجَ الأحمرَ وأسباله حتى بلغ الأرض ، ثم جعل الإزار فوقه ، فى كل شهرين إزار ، ثم نظر الحَجَبَةُ فإذا الإزار الثانى لايُحتاج إليه ، فوضع فى تابوت الكعبة وكتبوا إلىٰ المتوكل أنْ إزارا واحدا مع ماأذيل من قميصها ، فصار يبعث بإزار واحد فتكسىٰ بعد ثلاثة أشهر ، فيكون الذيل ثلاثة أشهر .

ثم فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين أمر المتوكل بإذالة القميص القَبَاطىّ حتى بلغ الشاذَرْوان الذى تحت الكسوة . قال الماوردىّ : ثم كسا المتوكل أساطينه الديباجَ .

وقد حكىٰ المؤيد صاحب حماة فى "تاريخه" أن الفاطميين خلفاء مصر فى إمارة أبى الحسن جعفر من السليمانيين علىٰ مكة فى سنة إحدىٰ وثمانين وثلثمائة كَسَوْا الكعبة البياض .

قلت : ثم رفع الأمر[1] فى خلفاء بنى العبّاس ببغداد إلى شعارهم من السواد . فألبسوا الكعبة الدِّيباج الأسود ، ثم جرىٰ ملوك مصر عند آستيلائهم علىٰ الحجاز علىٰ إلباسها السواد .

والذى جرىٰ عليه الحال فى زماننا إلىٰ آخر الدولة الظاهرية برقوق وأوائل الدولة الناصرية ولده أن الكعبة تُكْسىٰ الديباجَ الأسودَ كسوة مسبلة من أعلىٰ

(١) لعله ثم رجع الأمر .

الكعبة إلىٰ أسـفلها مرقوما بأعاليها طراز رقم بالبياض من أصـل النسج مكتوب فيه ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ الآيات، وعلىٰ البـاب بُرْقُع من نسبة ذلك مرقوم فيه بالبياض ... ...[1] ثم فى سنة ... ...[1] وثمانمائة فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق غير الطِّراز من لون البياض إلىٰ لون الصُّفْرة، فصار الرقم فى السواد بحرير أصفر مُقَصَّب بالذهب، ولا يخفىٰ أنه أنفَسُ من الأوّل والثـانى[2] أبهج منه لشـدّة مضادّة مابين البياض والسواد، ثم جعـل بعض جوانب الكسوة ديبـاجا أسودَ علىٰ العادة، وبعضها كمخا أسود بجامات مرقوم فيها بالبياض " لاإله إلا الله محمد رسول الله ". ثم جعـل بعـد ذلك برقعَ البيت من حرير أسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسة بالذهب فزاد نفاسة وعلا قيمة . ثم فى سنة أربع عشرة وثمـانمائة جعل واجهة الباب من الكسوة كمخا أزرق بجامات مكتوب فيها ... ...[3] والله العـالم ما كان وما يكون .

قلت : وحاصل ماتقدّم أن الذى آشتملت عليه أصناف الكسوة فى الإسلام الثياب اليمانيَة، والقباطىّ المصرية، والحِبَرُ والأنماط والحُلَلُ النَّجْرَانية، والديباج الأبيض، والديباج الأحمر، والديباج الأخضر، والديباج الأصفر، والديباج الأسود، والديباج الأزرق .

وأما تجريد الكعبة من ثيابها، فقد ذكر الأزرقىّ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينزع كسوة البيت فى كل سـنة فيقسمها علىٰ الحاج . وعن آبن أبى مليكة أنه قال : كانت علىٰ الكعبة كُسًى كثيرةٌ من كسوة أهل الجـاهلية : من الأنطاع والأكسـية والكِرار والأنمـاط، فكانت رُكَامًا بعضُها فوق بعض .

(١) فى الأصل بياض بهذا المقدار.
(٢) لعله وإن كان أبهج منه لشدّة الخ تأمل .
(٣) فى الأصل بياض بهذا المقدار.

فلما كسيت فى الإسلام من بيت المال، كان يخفف عنها الشىء بعد الشىء إلى أن كانت أيامُ معاوية فكتب إليه شيبةُ بن عثمان الحجبيُّ يرغب إليه فى تخفيفها من كسى الجاهلية حتّى لا يكون عليها شىء مما مسته أيديهم لنجاستهم، فكتب إليه معاوية أنْ جَرِّدْهَا، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطى وحِبَرَة، فجرّدها شيبةُ حتّى لم يبق عليها شىءٌ، وكساها الكسوة التى بعث بها معاوية، وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة؛ وكان آبن عباس حاضرا فى المسجد وهم يجرّدونها فلم ينكر ذلك ولا كرهه .

وروى أن عائشة رضى الله عنها أنكرت على شيبة ذلك ، وقالت له بِعْها وآجعل ثمنها فى سبيل الله، وكذلك آبن عبّاس .

وروى الواقدىّ عن أم سَلَمَةَ رضى الله عنها أنها قالت : إذا نزعت عن الكعبة ثيابُها فلا يضرها من لبسها من الناس من حائض أو جنب. وقد تقدّم أن المهدىّ جردها حين حج فى سنة ستين ومائتين(1)، وحُسَيْنٌ الطالبىّ جرّدها فى سنة مائتين.

قلت : والذى آستقر عليه الحال فى زماننا أنها لا تُلْبَس فى كل سنة غير كسوة واحدة على ماتقدّم بيانه، وذلك أن الكسوة تعمل بمصر على النَّمَط المتقدّم، ثم تُحْمَلُ صحبة الرَّكْب إلى مكة فيُقْطَع ذيل الكسوة القديمة على قدر قامة من جدار الكعبة ويظهر من الجدار ما كان تحته، ويبقى أعلاها معلقا حتّى يكون يوم(2) ... ... فتخلع الكسوة العتيقة وتعلّق الجديدة مكانها ، ويُكسى المَقَام من نسبة كسوة الكعبة، ويأخذ بنو شيبة الحَجَبَةُ الكسوةَ العتيقة فيُهْدونها للحُجّاج ولأهل الآفاق . وقد زاد رِفْدهم فيها من حين حصلت المغالاة فى كسوة الكعبة وبرقعها على ماتقدّم . "اللّهمّ زِدْ هذا البيتَ تشريفا وتعظيما، وتكريما ومهابة" .

---

(1) صوابه ومائة . أنظر تاريخ خلافة المهدى .

(2) بياض فى الأصل .

واعلم أن جدار الكعبة كان عزيز الرؤية حين كانت الكسوة تتراكم عليها ولا يجرد عنها شيء، حتى إن الأزرقي حكى عن جده أنه تبجح برؤية جدارها حين جردت في سنة ثلاث وستين ومائتين ، وأنه رأى جدار الباب المسدود الذي كان عمله ابن الزبير في ظهرها وسده الحجاج، وشبه لون جدارها بالعنبر الأشهب .

الجمـــلة الثـانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

أكثر من هو ببادیتها وأوديتها القريبة منها بنو الحسن الأشراف . وقد ذكر في "التعريف" من عرب الحجاز لامٌ، وخالد، والمنتفق، والعايد، وزاد في "مسالك الأبصار": ذكر زُبَيد، وبنو عمرو، والمَضَارجة، والمساعيد، والزراق، وآل عيسى، وآل دعم، وآل جناح، والحبور. ثم قال : وديارهم يتلو بعضها بعضا . قال الحمداني : وشرقي مكة حليجة، وبنو هزر ومنازلهم بيشة .

ومنهم من خثعم بنو مُنَبه، وبنو فصيلة، ومعاوية، وآل مهدي، وبنو نصر، وبنو حاتم، والموركة، وآل زياد، وآل الصعافير، والشماوبلوس . ثم قال: ومنازلهم غير متباعدة .

أما العُربان بالدرب المصري إلى مكة ، فمن بِركة الحُجاج إلى عَقَبة أَيْلَة للعائد من عرب الشرقيــة ، ومن العَقَبة إلى الدأماء دون عُيُون القَصَب لبنى عُقْبَة ، ومن الدأماء إلى أكدى لِبَلِيٍّ، ومن أكدى إلى آخر الوعرات لِجُهَيْنَة، ومن آخر الوعرات إلى نهـاية بدر وإلى نهاية الصـفراء، ونَقْب علي لبني حسَن أصحاب اليَنْبع، ويليهم من أقاربهم من بني حسن أصحـاب بدر إلى رملة عالج في طَرَف قاع البزوة[1] ، ومن

(١) لعلها البَزْواء .

الصفراء إلى الجحفة و رابغ لزُبَيْد، ومن الجحفة على قُدَيد وما حولها إلى الثَّنِيَّة المعروفة بعقبة السَّوِيق لِسُلَيْم، ومن الثَّنِيَّة على خُلَيص إلى الثَّنِيَّة المشرفة على عُسْفان إلى الفَجّ المسمّى بالحاطب لبنى جابر؛ وهم فى طاعة صاحب مكة. ومن الحاطب إلى مكة المعظمة لصاحب مكة و بنى الحسن .

القاعدة الثانية

(المدينة الشريفة النبوية، على ساكنها أشرف الخلق محمد أفضلُ الصلاة والسلام والتحية والإكرام؛ وفيها ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

المدينة ضبطُها معروف، وهو آسم غلب عليها، و به نطق القرءان الكريم فى قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ . وقوله : ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ . وآسمها القديم يَثْرِبُ و به نطق القرءان فى قوله تعالى : ﴿يَـٰأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ .

قال الزجاجى : وهو يثربُ، بن قانيةَ، بن مهلائيل، بن إرمَ، بن عَبِيل، بن عَوْص، أبن إرم، بن سام، بن نوح؛ هو الذى بناها، وورد ذكره فى الحديث أيضا . قال الشيخ عماد الدين بن كثير فى "تفسيره" وحديث النهى عن تسميتها بذلك ضعيف؛ وسمّاها الله تعالى الدار بقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. وسماها النبى صلى الله عليه وسلم طَيْبَةَ (بفتح الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بعدها هاء) وطَابَةَ بإبدال الياء بعد الطاء بألف . قال النووى : وهما من الطيب وهو الرائحة الحسنة، وقيل من الطيب خلاف الردىء، وقيل من الطيب بمعنى

الطاهِرِ، وقيل من طِيبِ العَيْش . وزاد السهيلىّ فى أسمـائها الجَابِرَة بالجيم والبـاء الموحدة، والمُحَبَّة، والمَحْبُوبة، والقاصمةَ، والمَجْبورة، والعَـذْراء، والمَرْحُومة،وكانت تدعىٰ فى الجاهلية غَلَبَة لأن اليهود غَلَبوا عليها العماليق، والأوسَ والخزرجَ غلبوا عليها اليهود . قال صاحب حماة : وهى من الحجاز، وقيـل من نَجْد،وموقعها قريب من وسط الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى كتاب "الأطوال" : وطولها خمس وسـتون درجة وثلث،وعرضها إحدىٰ وعشرون درجة . وقال فى "القانون" : طولها سبع وستون درجة ونصف، وعرضها إحدىٰ وعشرون درجة وثلث . وقال ٱبن سـعيد : طولهـا خمس وستون درجة وثلث، وعرضها خمس وعشرون درجة وإحدىٰ وثلاثون دقيقة . وقال فى "رسم المعمور" : طولهـا خمس وستون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها خمس وعشرون درجة .

وقد ذكر صاحب "الهَنَاء الدائم، بمولد أبى القاسم" أن أوّل من بنـاها تُبَّعٌ الأوّل، وذكر أنه مرّ بمكانها وهى يومئذ منزلة بها أعين ماء، فأخبره أربعمائة عالم من علماء أهل الكتاب لهم عالم يرجعون إليه أن هـذا موضع مُهَاجَرِ نبىّ يخرج فى آخر الزمان من مكة ٱسمه محمد ! وهو إمامُ الحق؛ فآمن بالنبىّ صلى الله عليه وسـلم ! وبنىٰ المدينة، وأنزلهم بها وأعطىٰ كلا منهم مالًا يكفيه وكتب كتابا فيه :

"أما بعـــد يامحمدُ فإنّى آمنتُ بك وبربّك، وبكل ماجاء من ربك"
"من شرائع الإسلام والإيمـان، وإنى قلتُ ذلك فإن أدركْتُك فبها"
"ونِعْمَتْ، وإن لم أُدْرِكْك فٱشفعْ لى يوم القيامة، ولا تَنْسَنِى فإنى من"
"أمتك الأوّلين، وتابعتُك قبل مجيئك، وقبل أن يرسلَك اللهُ، وأنا علىٰ"
"ملة أبيك إبراهيم ! "

وختم الكتاب ونقش عليه : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ .

وكتب عنوانه .

"إلىٰ محمد بن عبدالله خَاتَمِ المرسلين، ورسول رب العالمين، صلىٰ الله"
"عليه وسلم! من تُبَّع الأول حِمْيَر، أمانةُ الله فى يد من وقع إليه أن يدفعه"
"إلىٰ صاحبه"

ودفع الكتاب إلىٰ رئيس العلماء المذكورين، وتداوله بَنُوه بعده إلىٰ أن هاجر النبيّ صلى الله عليه وسلم ! إلىٰ المدينة فتلقاه به بعض أولاد ذلك العالم بين مكّةَ والمدينة، وتاريخ الكتاب يومئذ ألف سنة بغير زيادة ولا نقص . وقيل فى بنائها غير ذلك ، وهى مدينة متوسطة فى مستو من الأرض ، والغالب علىٰ أرضها السباخ، وفى شماليّها جبل أُحُد ، وفى جنوبها جبل عَيْر . وكان عليها سور قديم وبخارجها خَنْدَقٌ محفور، وهو الذى حفره النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب .

وفى سنة ست وثلاثين ومائتين بنىٰ عليها إسحاق بن محمد الجَعْدىّ سورا منيعا ، وجدّده عضدُ الدولة بن بُوَيه الديلمىّ فى سنة آثنتين وسبعين وثلثمائة، وهو باق عليها إلىٰ الآن، ولها أربعة أبواب: بابٌ فى الشرق يُخْرَج منه إلىٰ البَقيع، وباب فى الغَرْب يُخْرَج منه إلىٰ العَقِيق وقُبَاء ، وبين يدىْ هذا الباب جداولُ ماء جارية ، وبوسطها مسجدُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ! وهو مسجد متسع إلا أنه لم يبلغ فى القَدْر مبلغَ مسجد مكة .

قال آبن قتيبة فى "كتاب المعارف": وكان علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! مبنيا باللَّبِن وسقفُه الجريد وعَمَدُهُ النخل، ولم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عُمَر ،

ثم غيَّره عثمان و زاد فيه عثمان زيادة كبيرة ، و بنىٰ جدارَه بالحجارة المنقوشة وبالقَصَّة ، وجعل عَمَدَهُ من حجارة منقوشة ؛ ووسعه المهدى سنة ستين ومائة ؛ وزاد فيه المأمون زيادة كبيرة فى سنة آثنتين ومائتين ؛ ولم تزل الملوك تتداوله بالعِمَارة إلىٰ زماننا .

وبه الحُجْرة الشريفة التى بها قَبْر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما . بحجرته الشريفة دائرٌ عليه مقصورةٌ مرتفعة إلىٰ نحو السقف ، عليه ستر من حرير أسود ؛ وخارجَ المقصورة بين القبر والمنبر الروضةُ التى أخبر صلى الله عليه وسلم ! أنها روضةٌ من رِيَاض الجنة .

وقد ذكر أهل الأثر : أن المِنْبر كان فى زمن النبىّ صلى الله عليه وسلم ! ثلاثَ درجات بالمَقْعَد ، وآرتفاعه ذراعان وثلاث أصابع ، وعرضُه ذراع راجح ، وآرتفاع صدره وهو الذى يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ذراع ، وآرتفاع رُمّانتيه اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم ! بيديه الكريمتين إذا جلس شبرٌ وأصبعان ، وفيه خمســة أعواد من جوانبه الثلاثة ؛ وبقىَ علىٰ ذلك إلىٰ أيام معاوية فكتب إلىٰ مَرْوَانَ : عامِله علىٰ المدينة أن آرفَعْه عن الأرض فزاد من أسفله ست درجات ورفعه عليها فصار له تسعُ درجات بالمجلِس . قيل : وصار طوله أربعة أذرع وشبرا .

ولــا حج المهدىّ بن المنصور العباسىّ سنة إحدىٰ وستين ومائة ، أراد أن يعيده إلىٰ ما كان عليه فأشار عليه الإمام مالك بتركه خشـيةَ التهافُتِ فتركه ؛ ويقال : إن المنبر الذى صنعه معاويةُ ورَفَع منبر النبىّ صلى الله عليه وسلم عليه ، تهافت علىٰ طول الزمان ، وجدّده بعض خلفاء بنى العباس وآتخــذ من بقايا أعواد منبر النبىّ صلى الله عليه وسلم أمشاطا للتبرك ، ثم آحترق هذا المنبر لما آحترق المسجد فى مستَهَلّ رمضان ســنة أربع وخمسـين وستمائة أيام المستعصم بالله ، وشُغل المستعصم عن عمارته بقتال

التتار ، فعمل المُظَفَّرُ صاحب اليمن المِنْبَر ، وبعث به إلىٰ المدينة سنة ست وخمسين وستمائة ، فنصب فى موضع مِنْبَر النبيّ صلى الله عليه وسلم ! فبقى إلىٰ سنة ست وستين وستمائة ، فأرسل الملك الظاهر بيبرس صاحبُ مصر المنبرَ الموجود الآن فأُزيل ذاك ووضع هذا وطوله أربعــة أذرع ، ومن رأسه إلىٰ عتبته ســبعةُ أذرع تزيد قليلا ، ودرجاته سبع بالمقعد والأمر علىٰ ذلك إلىٰ الآن .

الجمـــــلة الثانية

(فى نواحيها وأعمالهــا ، وهى علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(حِمَــاهَــا ومرافقُهــا)

وٱعلم أن للمدينــة الشريفة حِمًى ، حماه النبيّ صلى الله عليه وســلم وحرّمه كما حرّم إبراهيم عليه الســلام مكةَ . قال فى "الروض المعطار" : حِمَاها ٱثنا عشر ميــلا ؛ وخارجَ بابها الشرقىّ البَقِيعُ المتقدّم ذكره ، وهو مَدْفَن أكثر أمواتها ، وهو بالباء الموحدة فى أوّله ، ويسمى بَقِيعَ الغَرْقَد ـ بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح القاف ودال مهملة فى الآخر . قال "الأصمعى" : سمى بذلك لأنه قُطِع مابه من شجر الغَرْقَد يوم مات عثمان رضى الله عنه . وبه قبر إبراهيم بن النبيّ صلى الله عليه وسلم ! من مارية القِبْطية ، وقَبْر الحسن بن علىّ بن أبى طالب ؛ وإلىٰ جانبه قبر العبّاس : عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقبر عثمان بن عَفَّان رضى الله عنه فى قبة دونهما ، وقبر مالك بن أنس إمام المذهب المعروف ؛ وحول المدينة حدائق النخل الأنيقةُ ؛ وثمرها من أطيب الثمر وأحسنه ، وغالب قوت أهلها منه .

الضرب الثـانى

(فى مخاليفها وقُرَاها ، والمشهور منها ثمـانية أماكِنَ)

الأوّل – (قُبَاءُ) – بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف فى الآخر – و يروىٰ بالمدّ والقصر والمدّ أشهر . قال فى "الروض المعطار" : ومن العرب من يذكِّره فيصرفه ، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه . قال : وسميت قُبَـاءَ ببئر كانت بدار توبة بن الحسن آبن السائب بن أبى لبابة يقال لها قُبَاء ، وهى قرية غربىّ المدينة علىٰ مِيلَيْن منها ، وبها مسجد التَّقْوىٰ الذى أخبر الله تعالىٰ عنه بقوله : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَىٰ ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم كان يأتى قُبَاء كل يوم سبت راكبا وماشيا ، ومُصَلَّاه بها مشهور .

الثـانى – (خيبر) – بفتح الخاء المعجمة وسكون اليـاء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء مهملة فى الآخر – قال الزجاجىّ : سميت بِخَيْبَرَ بن قانية وهو أوّل من نزلها ، وهى بلدة بالقرب من المدينة الشريفة . قال آبن سعيد : طولها أربع وستون درجة وست وخمسون دقيقة ، وعرضها سـبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهى بلدة عامرة آهلة ذاتُ نخيل وحدائقَ ومياهٍ تجرى . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلدة بنى عنزة من اليهود ، والخَيْبَرُ فى لغـة اليهود الحِصْن ، وهى فى جهة الشَّمال والشرق عن المدينة علىٰ نحو ست مراحل وقيل أربع مراحل . قال الإدريسىّ : وهى ذات نخيـل وزرع ، وكانت فى صـدر الإسلام دارا لبنى قُرَيْظَةَ والنَّضِـيرِ ، وبها كان السَّمَوْءَل بن عاديَا الشاعر المشهور .

الثالث – (فَدَك) – بفتح الفاء والدال المهملة وكاف فى الآخر – قال الزجاجىّ : سميت بفَدَك بن حام ، وقيل : سميت بفَيْد بن حام ، وهو أوّل من نزلها . قال

فى "الروض المعطار" : وبينها وبين المدينة يومان، وحصنها يقال له الشمروخ على القرب من خيبر، وكان أهلها قد صالحوا النبيّ صلى الله عليه وسلم! على النصف من ثمارها فى سنة أربع من الهجرة، ولم يُوجِف عليها المسلمون بخيل ولا رِكاب فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصةً؛ وكان معاوية بن أبى سفيان قد وهبها لمَرْوان بن الحكم، ثم ٱرتجعها منه لمَوْجِدة وجدها عليه . فلما ولى عمرُ بن عبد العزيز الخلافة، ردّها إلى ما كانت عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تُغِلُّ فى أيام إمرته عشرةَ آلاف دينار، يتجافى عنها .

الرابع ـ (الصَّفْراء) ـ مؤنث أصفر ـ وهو واد على ستّ مراحل من المدينة كثيرُ المزارع والمياه والحدائق . أخبرنى بعض أهل الحجاز أن به أربعة وعشرين نهراً على كل نهر قرية، وعيونُه تصب فضلها إلى يَنْبُعَ؛ وهو بيد بنى حَسن الشرفاء .

الخامس ـ (وَدَّانُ) ـ بفتح الواو وتشديد الدال المفتوحة وألفٌ ثم نون ـ وهو واد به قُرًى خراب لا تحصى كثرة .

السادس ـ (الفُرُعُ) ـ بضم الفاء وسكون الراء المهملة وبالعين المهملة ـ وهو واد فى جنوبىّ المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عدّة قُرًى آهلة، أخبرنى بعض أهل الحجاز أن به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وماؤها يصب فى رابغ حيث يُحْرِم حُجّاج مصر، وعليها طريق المُشَاة من مكة إلى المدينة . قال فى "الروض المعطار" : ويقال إنها أوّل قرية مارَتْ إسماعيل عليه السلام التمر بمكة، وهى الآن بيد بنى حَرْب .

السابع ـ (الجارُ) ـ قال فى "اللباب" : بفتح الجيم وألف وراء مهملة ـ وهى فُرْضة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها . قال ٱبن حوقل : وبينها وبين ساحل الجُحْفَةِ نحو ثلاث مراحل، منه عن أَيْلَةَ على نحو عشرين مرحلة .

الثامن ـ (وَادِى القُرىٰ) ـ بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف فى الآخر جمع قرية . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون، وبها ناس من وَلَد جَعْفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهم الغالبون عليها، وتُعْرف بالوَادِيَيْنِ، والذى أخبرنى به بعض أهـل الحجاز أنه كان بهـا عيون كثيرة عليها عدّة قُرًى فخربت لاختلاف العرب ، وهى الآن خراب لا عامر بهـا ولو عمرت أغنت أهلَ الحجاز عن الميرة من غيرها .

قلت : وبالغ الإدريسىّ فى "نزهة المشتاق" فعدّ من مخاليفها تَيْمَاءَ ودُومَةَ الجندل، ومَدْيَنَ، والتحقيق خلاف ذلك .

فأمّا تَيْمَـاء ـ بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الياء المثناة من تحت وميم ثم ألف فى الآخر ـ فقد عدّها فى "تقويم البُلْدان" : من بادية الشأم تقريبا . قال فى "العزيزىّ" : وهى حاضرة طيئ وبها الحصن المعروف بالأبلق المنسوبُ إلىٰ السَّمَوْءل بن عَادِيَا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى الآن أعمر من تَبُوكَ، وبها نخيل قائمة .

وأما دُومة الجندل فقال فى "تقويم البُلْدان" : هو موضع فاصل بين الشأم والعراق علىٰ سبع مراحل من دِمَشْقَ، وبينه وبين المدينة الشريفة ثلاث عشرة مرحلة .

وأما مَدْيَنُ فقد تقـدّم ذكرها فى الكلام علىٰ كُوَرِ مصر القديمة ، ووقع الكلام عليها هناك وإن كان الحق أنها من ساحل الحجاز .

الجملة الثالثة

(فى ذكر ملوك المدينة وأمرائها، وهم علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(مَنْ قبل الإسلام، وهم ثلاث طَبَقات)

الطبقة الأولىٰ

(التَّبَابِعة)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ بنائها نقلا عن صاحب "الهَنَاء الدائم" : أن تُبَّعا الأوّل هو الذى بناها وأسكنها جماعةً من علماء أهل الكتاب، وكتب كتابا[1] وأودعه عندهم ليوصِّله مَنْ أدركه من أبنائهم إليه، وبقِيَ الكتاب عندهم يتوارثونه حتّى هاجر النبيّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ المدينة فتلقاه من صار إليه الكتابُ منهم وأوصل الكتابَ إليه . وحينئذ فيكون أوّل من ملكها التبابعة .

الطبقة الثانية

(العمالقة من ملوك الشام)

قال السهيلى: وأوّل من نزلها منهم يَثْرِب، بن عَبِيل، بن مهلائيل، بن عَوْص، آبن عِمْلاق، بن لاوَذ، بن إرَمَ، بن سام، بن نوح عليه السلام فسميت به . قال فى "الروض المعطار" : وكانت هذه الأمة من العماليق يقال لها جاسِم، وكانوا قد آستولَوْا علىٰ مكة وسائر الحجاز، وكانت قاعدة ملكهم تَيْمَاء، وكان آخرُ ملوكهم الأرقَمَ بن أبى الأرقم .

---

(١) أى إلى النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدّم قريبا .

الطبقة الثـالثة

(ملوكها من بنى إسرائيل ومَنْ آنضم إليهم من الأَوْس والخَزْرَج)

قال فى "الروض المعطار": لمـا ظهر موسىٰ عليه السلام علىٰ فِرْعون، بعث بَعْثًا من بنى إسرائيل إلىٰ الحجاز وأمرهم أن لايستَبْقُوا منها[1] أحدا بلغ الحُلُم، فقتلوهم حتّىٰ آنتَهَوْا إلىٰ ملكهم الأرقم بتَيْماءَ فقتلوه وأبقَوْا له آبنا[2] صغيرا ليرىٰ موسىٰ عليـه السلام فيه رأيه . فلما رجعوا به إلىٰ الشأم وجدوا موسىٰ عليه السلام قد تُوُفِّىَ ، فقال لهم الناس : عصَيْتم وخالفتم أمر نبيكم، وحالُوا بينهم و بين الشام، فقال بعضهم لبعض : خَيْرٌ من بلدكم البلَدُ الذى خرجتم منه، فعادوا إلىٰ الحجاز فنزلوه، فكان ذلك أوّل سُكْنىٰ اليهود الحجاز، فنزل جمهورهم بمكان يقـال له يَثْرِبُ بمجتمع السيول وآتخذوا الآطام والمنازل، ونزل معهم جماعةٌ من أحياء العرب من بَلِىّ وجُهَيْنة .

وكانت يثرب أمّ قرىٰ المدينة وهى ما بين طرف قُبَاءَ إلىٰ الجُرْف، ثم لمـا كان من سـيل العَرِم باليمن ما كان ، تفرّق أهل مأرِبَ ، فأتىٰ الأوسُ والخزرجُ يثرب لليهود فحـاربوهم ، وكان آخر الأمر أن عقدوا بينهم و بينهم جِوَارا وآشـتركوا وتحالفوا ، فلم يزالوا علىٰ ذلك زمانا طويلا ، فصارت للأوس والخزرج ثروةٌ ومال وعز جانبهم فخافهم اليهود، فقطعوا الحِلف، وخافهم الأوس والخزرج فبعثوا إلىٰ مَنْ لهم بالشام فأعانوهم حتّىٰ أذلوا اليهودَ وغلبوهم عليهـا ، وبقيت بأيديهم حتّىٰ جاء الإسلام وهاجر النبىّ صلّىٰ الله عليه وسلم إليها وهم رؤساؤها وحُكّامها .

---

(١) أى من العماليق والأوضح منهم .

(٢) فى المعجم "آبنا شابا جميلا" وهو الأنسب .

الضرب الثانى

(من فى زمن الإسلام، وهم أربع طبقات)

الطبقة الأولىٰ

(من كان بها فى صدر الإسلام)

كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ أن توفِّى فى سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة. ثم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه إلىٰ أن توفِّى سنة آثنتى عشرة من الهجرة. ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلىٰ أن قتل فى سنة ثلاث وعشرين. ثم عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه إلىٰ أن قتل فى سنة خمس وثلاثين . ثم علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه إلىٰ أن قتل سنة أربعين . ثم الحسن بن علىّ بن أبى طالب إلىٰ أن سلَّم الأمر لمعاوية سنة إحدىٰ وأربعين من الهجرة النبوية .

الطبقة الثانية

(عُمَّال الخلفاء من بنى أُمَيَّةَ)

ولِّى عليها معاوية سنة آثنتين وأربعين من الهجرة (مروانَ بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وأربعين وولِّى مكانه (سعيدَ بن العاص) . ثم عزله سنة أربع وخمسين وردَّ إليها (مروان بن الحكم). ثم عزله سنة تسع وخمسين وولِّى مكانه (الوليدَ بن عُتْبَةَ آبن أبى سفيان) .

ثم عزله يزيد بن معاوية عن المدينة والحجاز وولِّى مكانه (عمرَو بن سعيد الأشدق) ثم عزله سنة إحدىٰ وستين وأعاد (الوليدَ بن عتبة) .

ثم آستعمل آبن الزبير عند غَلَبته على المدينة أخاه (مُصْعَبًا) سنة خمس وستين؛ ثم نقله إلى البصرة وولّى مكانه (جابرَ بن الأسود) بن عوف الزهرى؛ ثم ولّى مكانه (طلحةَ بن عبد الله) بن عوف .

ثم غَلَب عبد الملك بنُ مروان على الخلافة فبعث على المدينة (طارقَ بن عَمْرو) فغلب عليها طلحةَ بن عبد الله وآنتزعها منه . ثم آنفرد عبد الملك بالخلافة وولّى على المدينة والحجاز واليَمَن واليمامة (الحَجّاجَ بن يوسف) وعزل طارقا عن المدينة وجعله من جُنْده . ثم ولّى عليها سنة سبع وسبعين (أَبَانَ بن عثمانَ) . ثم عزله فى سنة آثنتين وثمانين وولّى مكانه (هشامَ بن إسماعيل المخزومىّ) .

ثم كانت خلافة الوليد بن عبد الملك فعزل هشام بن إسماعيل وولّى مكانه (عثمان آبن حَيَّانَ) .

ثم تولّى عليها (أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم) أيام سليمان بن عبد الملك .

ثم آستعمل عليها عمرُ بن عبد العزيز فى خلافته (عبدَ العزيز بنَ أرطاة) . ثم عزله يزيدُ بن عبد الملك سنة ثلاث ومائة وولّى مكانه (عبدَ الرحمن بنَ الضحّاك) وأضاف إليه مكة؛ ثم عزله لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانه على مكة والمدينة (عبدَ الواحد النَّضْرىّ) .

ثم عزله هشامُ بن عبد الملك وولّى عليها وعلى مكة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ) . ثم عزله هشام سنة أربعَ عشرةَ ومائة وولّى مكانه بالمدينة خاصةً (خالدَ آبن عبد الملك بن الحرث بن الحكم) . ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة وولّى مكانه (محمد بن هشام بن إسماعيل) .

ثم ولّى الوليدُ بن يزيدَ فى خلافته خالَه (يوسفَ بن محمد بن يوسف الثقفىّ) على المدينة وسائر الحجاز فى سنة أربع وعشرين ومائة . ثم عزله يزيدُ فى خلافته فى سنة

ست وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبـد العزيز بن عمرو بن عثمان). ثم ولّى مروانُ[(١)] علىٰ المدينة وسائر الحجاز. ثم عزله فى سنة سبع وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبدَ العزيز ٱبن عمر بن عبد العزيز). ثم عزله فى سـنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه علىٰ المدينة وسائر الحجاز (عبدَ الواحد).

الطبقة الثـالثة

(عُمّالها فى زمن خلفاء بنى العبّاس)

لمـا وَلِىَ السفّاح الخلافةَ ولّى علىٰ المدينة والحجاز واليمن واليمـامة عمّه (داودَ). ثم توفّى داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولّى مكانَه فى جميع ذلك (زيادَ بن عبد الله ٱبن عبد المَدَان الحارثىّ). ثم ولّى سنة ثلاث وأربعين ومائة علىٰ المدينة (محمدَ بنَ خالد ٱبن عبد الله القَسْرىّ). ثم ٱتهمه فى أمر فعزله وولّى مكانه (رِيَاح بن عثمان المرّىّ) فقتله أصحاب محمد المهدىّ؛ فولى مكانه (عبيدَ الله بن الربيع الحارثىّ).

ثم عزله المنصور سنة ست وأربعين ومائة وولّى مكانه علىٰ المدينة (جعفرَ بن سليمان). ثم عزله فى سنة خمسين ومائة وولّى مكانه (الحسنَ بن زيد بن الحسن). ثم عزله المنصور فى سنة خمس وخمسين ومائة وولّى مكانه عمّه (عبدالصمد بن علىّ).

ثم عزله المهدى فى خلافته سنة تسع وخمسين ومائة وولّى مكانه (محمدَ بن عبدالله الكثيرىّ)[(٢)]. ثم عزله وولّى مكانه (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان). ثم عزله وولّى مكانه (زفر بن عاصم). ثم تولّى علىٰ المدينة والحجـاز (جعفرُ ٱبن سليمان). ثم كان بها (محمد بن عيسىٰ) بعد مدّة،

(١) لم يذكر من ولاه ولعل الصواب ثم ولاه مروان [أى أقره] على المدينة الخ وٱنظر الكلام علىٰ مكة فيما سبق. (٢) فى الكامل "محمد بن عبيد الله الخ".

وعزله المتوكل وولّى مكانه (المستنصر بن المتوكل) . وتوالى عليها عُمَّال بنى العباس إلىٰ عشر الستين والمـائة .

الطبقة الرابعـــة
(أُمراء الأشراف من بنى حُسَين الذين منهم الأمراء المستقرّون فى إمارتها إلىٰ الآن)

كانت الرياسة بالمدينة آخرا لبنى الحسن بن علىّ .

وكان منهم أبو جعفر عبد الله ، بن الحسين الأصغر ، بن علىّ زين العابدين ، آبن الحسين السِّبْط ، بن علىّ ، بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكان من جملة ولده جعفرٌ حجة الله ، ومن ولده الحسن ، ومن ولد الحسن يحيىٰ الفقيــه النَّسَّابة ، كانت له وَجَاهة عظيمة ونخر ظاهر ، وتوفى سنة ست وسـبعين ومائتين ؛ ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيىٰ ، ساد أهلَ عصره وبنىٰ دارا بالعقيق ونزلها ، وتوفِّى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة .

وكان من ولده الحسن بن طاهر رحل إلىٰ الأخشيد بمصر ، وهو يومئذ مَلِكُها ، فأقام عنده وأقطعه الأخشيد ما يُغِلّ فى كل سنة مائة ألف دينار وآستقرّ بمصر ؛ وكان له من الولد طاهر بن الحسن ، وتوفى سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وخلف آبنه محمدا الملقب بمسلم ، وكان صديقا لكافور الأخشيدى صاحب مصر ، ولم يكن فى زمنه بمصر أوجهُ منه . ولما آختل أمر الأخشيدية دعا مسلم هذا للعز صاحب إفريقية يومئذ . ولمـا قدم المعز إلىٰ الديار المصرية بعد فتح جوهر القائد لهـا ، تلقاه مسـلم بالجمال بأطراف بَرْقَةَ من جهة الديار المصرية ، فأكرمه وأركبه معدلا له وآختص به ؛ ثم توفى سنة ست وستين وثلثمائة فصلى عليه المعز ، وكانت له جنازة عظيمة .

وكان من ولد مسلم هـذا طاهر أبو الحسين فلحق طاهرٌ بالمدينة الشريفة فقدّمه بنو الحسين على أنفسهم وآستقلّ بإمارتها سنين، وكان يلقب بالمليح ، وتوفى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ؛ وولى بعده آبنه (الحسين بن طاهر) وكنيته أبو محمد . قال العُتْبيّ : وكان موجودا فى سنة سبع وتسعين وثلثمائة وغلبه على إمارتها بنوعم أبيه أبى أحمد القاسم بن عبيدالله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر حجة الله وآستقلوا بها .

وكان لأبى أحمد القاسم من الولد داودُ ويكنى أبا هاشم . وقال العتبي : الذى وَلِى بعد طاهر بن مسلم صهرُه وآبن عمه داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر، وكناه أبا علىّ .

وقال آبن سعيد : ملك أبو الفتوح الحسنُ بن جعفر من بنى سليمان إمرة مكة والمدينة سنة تسعين وثلثمائة بأمر الحاكم العبيدى وأزال إمرة بنى الحسين منها ، وحاول الحاكمُ نقل الجسد الشريف النبوىّ إلى مصر ليلا فهاجت بهم ريحٌ عظيمة أظلم منها الجو، وكادت تقتلع المبانىَ من أصلها ، فردّهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد إلى مكة ورجع أمراء المدينة إليها .

وكان لداود بن القاسم من الولد مُهَنّا وهانئ والحسن . قال العتبىّ : ولى هانئ ومهنا وكان الحسن زاهدا .

وذكر الشريف الحرّانىّ النسابة هنا أميرا آخر منهم وهو أبو عمارة مدّةً كان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة . قال : وخلّف الحسن بن داود آبنه هاشما وولى المدينة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من قِبَل المستنصر .

قال : وخلف مهنا بن داود عبيد الله والحسين وعمارة فولى بعده آبنه عبيد الله وكان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة وقتله موالى الهاشميين بالبصرة، ثم ولى الحسين و بعده آبنه مهنا بن الحسين .

قال الشريف الحرّانى : وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله وقاسم فولى الحسين المدينة وقتل عبد الله فى وقعة نخلة . وذكر صاحب حماة من أمرائها منصور بن عمـارة الحسينىّ وأنه مات فى سـنة خمس وتسعين وأربعمائة وقام ولده مقامه ولم يسمه ، ثم قال وهم من ولد مهنا . [وذكر منهم أيضا القاسم بن مهنا[1]] حضر مع صلاح الدين بن أيوب فتح أَنْطَاكِيَةَ سنة أربع وثمـانين وخمسمائة .

وذكر آبن سعيد عن بعض مؤرّخى الحجاز أنه عدّ من جملة ملوكها قاسم بن مهنا وأنه ولاه المستضىء فأقام خمسا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وولى آبنه سالم بن قاسم .

قال السـلطان عماد الدين صاحب حمـاة فى "تاريخه" : وكان[2] مع السـلطان صـلاح الدين يوسف بن أيوب فى فتوحاته يتبرّك به ويتيمن بصحبته ويرجع إلىٰ قوله . وبقى[3] إلىٰ أن حضر إلىٰ مصر للشكوىٰ من قتادة فمات فى الطريق قبل وصوله إلىٰ المدينة . وولى بعده آبنه شيحة وقتل سنة سبع وأربعين وستمائة ، وولى آبنه عيسىٰ مكانه . ثم قبض عليه أخوه جمّـاز سـنة تسع وأربعين وستمائة وملك مكانه ، وهو الذى ذكر المقر الشهابىّ بن فضل الله فى "التعريف": أن الإمرة فى بيته إلىٰ زمانه . قال آبن سـعيد : وفى سـنة إحدىٰ وخمسين وستمائة ، كان بالمدينة أبو الحسين بن شيحة بن سالم . وقال : غيره كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمـائة .

وولى أخوه جَمَّاز فطال عمره وعمى ومات سنة أربع أو خمس بعد السبعمائة .

وولى بعده آبنه منصور بن جَمَّاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جماز علىٰ الظاهر بيبرس بمصر ، فأشرك بينهما فى الإمرة والإقطاع ، ثم غاب منصور عن المدينة وآستخلف آبنه

---

(١) أى المكنى بأبى فليتة ، والزيادة عن آبن خلدون ليستقيم الكلام . (٢) أى قاسم المكنى أبا فليتة .
(٣) أى سالم بن قاسم .

كبيشة فهجم عليه مقبل وملكها من يده ولحق كُبَيْشَةُ بأحياء العرب فآستجاشهم وهجم المدينة على عمه مقبل فقتله سنة تسع وسبعمائة، ورجع منصور إلى إمارته؛ وبقي ماجدُ آبن مقبل يستجيش العرب على عمه منصور بالمدينة ويخالفه إلى المدينة كلما خرج منها، ثم زحف ماجدٌ سنة سبع عشرة وسبعمائة، وملكها من يد عمه منصور، فآستصرخ منصور بالملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فأنجده بالعساكر وحاصروا ماجدا بالمدينة ففرّ عنها وملكها منصور، ثم سخط عليه السلطان الملك الناصر فعزله؛ وولّى أخاه ودِيّ بن جَمّاز أياما ، ثم أعاد منصورا إلى ولايته ، ثم هلك منصور سنة خمس وعشرين وسبعمائة؛ فولّى آبنه كبيشة مكانه فقتله عسكر آبن عمه وَدِيّ وعاد وديّ إلى الإمرة، ثم توفى وديّ ؛ فولّى طُفَيل بن منصور بن جماز وآنفرد بإمرتها، وهو الذي ذكر المقر الشهابيّ في "التعريف" : أنه كان أميرها في زمانه، وبقي إلى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فوقع النهب في الركب ، فقبض عليه الأمير طاز أمير الركب؛ وولّى مكانه سيفا من عقب جَمّاز، ثم وَلِيَ بعده فضل من عقب جماز أيضا ، ثم ولي بعد فضل مانع من عقب جماز ، ثم ولي جماز بن منصور ، ثم قتل بيد الفداوية أيام الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون؛ وآتفق أمراء الركب على تولية آبنه هِبة إلى حين يرد عليهم من السلطان مايعتمدونه؛ ثم ورد أمر السلطان بتولية هِبةَ من عقب وديّ(1) فعزل ودِي وولى مكانه، ثم ولى بعده عطية بن منصور بن جماز، فأقام سنين، ثم عزل وولى هبة بن جماز، ثم عزل وأعيد عطية، ثم توفي عطية وهبة وولى جماز بن هبة بن جماز؛ ثم عزل وولى نُعَيْر بن منصور بن جماز، ثم قتل، فوثب جماز بن هبة على إمارة المدينة وآستولى عليها، فعزله السلطان؛ وولّى ثابت بن نُعَير، وهو بها إلى الآن في سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وهو ثابت،

(1) لعله زائد من قلم الناسخ .

آبن جماز، بن هبة، بن جماز، بن منصور، بن جماز، بن شيحة، بن سالم، بن قاسم،
آبن جمـاز، بن قاسم، بن مهنا، بن الحسين، بن مهنا، بن داود، بن القاسم،
آبن عبيد الله، بن طاهر، بن يحيىٰ، بن الحسن، بن جعفر حجة الله، بن عبد الله،
آبن الحسين الأصغر، بن علىّ زين العابدين، بن الحسين السِّبْط، بن علىّ بن أبى
طالب كرم الله وجهه .

وإمرتها الآن متداولة بين بنى عطيـة وبين بنى جَمَّـاز، وهم جميعا علىٰ مذهب
الإمامية الرافضة يقولون بإمامة الآثنى عشر إماما وغير ذلك من معتقدات الإمامية،
وأمراء مكة الزيدية أخف فى هذا الباب شأنا منهم .

الجمـــلة الثـالثة

(فى ترتيب المـدينة النبوية)

أما معاملاتها فعلىٰ ماتقدّم فى الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدراهم، والأمر
فى الفلوس علىٰ ماتقدّم فى مكة، ويعتبر وزنها فى المبيعات بالمَنّ وهو مائتان وستون درهما
علىٰ ماتقدّم فى مكة؛ ويعتبر كيلها بالمدّ، وقياس قماشها بالذراع الشامىّ؛ وأسعارها
نحو أسعار مكة، بل ربما كانت مكة أرخىٰ سعرا منها لقربها من ساحل البحر بُجُدَّةَ .

وأما إمارتها فإمارة أعرابية كما فى مكة من غير فرق .

وأما وفود الحجيج عليها، فقد جرت العـادة أن كل من قصد السـبق فى العَوْد إلىٰ
الديار المصرية من الجند وغيرهم يزور النبىّ صلى الله عليه وسلم عند ذَهَاب الركب
إلىٰ مكة ثم يعود بعد الحج إلىٰ مصر من غير تعريج علىٰ المدينة ، وباقى الحجيج وأميرُ
الركب لايأتونها للزيارة إلا بعد آنقضاء الحج .

وآعلم أن كسوة الحُجْرة الشريفة ليست مما يجدّد فى كل سنة كما فى كسوة الكعبة، بل كلّما بَلِيتْ كسوة جدّدت أخرىٰ، ويقع ذلك فى كل نحو سبع سنين أو ما قاربها، وذلك أنها مَصُونة عن الشمس، بخلاف كسوة الكعبة فإنها بارزة للشمس فيسرع بَلَاؤها .

وقد حكىٰ آبن النجار فى "تاريخ المدينة" أن أوّل من كسا الحُجْرة الشريفة الثيابَ الحسينُ بنُ أبى الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير العاضد، والعاضدُ آخر الخلفاء الفاطميين، عمل لها ستارة من الدبيقىّ الأبيض عليها الطرز والجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر، مكتوب عليها سورة يٓس بأسرها، والخليفة العباسىّ يومئذ المستضىء بأمر الله .

ولما جهزها إلىٰ المدينة، آمتنع قاسم بن مهنا أمير المدينة يومئذ من تعليقها حتّىٰ يأذن فيه المستضىءُ فنَفَّذ الحسينُ بنُ أبى الهيجاء قاصدا إلىٰ بغداد فى آستئذانه فى ذلك فأذن فيه، فعلقت الستارة علىٰ الحُجْرة الشريفة نحو سنتين. ثم بعث المستضىء ستارةً من الإبريسم البَنَفْسَجىّ عليها الطرز والجامات البيضُ المرقومة، وعلىٰ دَوْر جاماتها مرقومٌ "أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلىّ" وعلىٰ طرازها آسم الإمام المستضىء بالله، فقلعت الأولىٰ ونفذت إلىٰ مشهد أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه بالكُوفة، وعلقت ستارة المستضىء مكانَهَا . ثم عَمِل الناصرُ لدين الله فى خلافته ستارةً أخرىٰ من الإبريسم الأسود فعُلِّقت فوق تلك . ثم عملت أمّ الخليفة الناصر بعد حجها ستارةً علىٰ شكل ستارة آبنها المتقدّمة الذكر فعلقت فوق الستارتين السابق ذكرهما .

قال آبن النجار : ولم يزل الخلفاء فى كل سنة يُرْسِلون ثوبا من الحرير الأسود عليه عَلَم ذهب يكسىٰ به المِنْبر . قال : ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستورا

علىٰ أبواب الحَرَم ، ولم يزل الأمر علىٰ ذلك إلىٰ حين آنقراض الخلافة من بغداد ، فتولى ملوكُ الديار المصرية ذلك كما تولّوْا كسوةَ الكعبة علىٰ ما تقدّم ذكره .

قلت : والســتارة الآن من حرير أسود عليها طرز مرقوم بحرير أبيض ، وآخِرُ مَنْ عملها فى العشر الأوّل من الثمانمائة السلطانُ الملك الظاهر برقوق .

وقد ذكر آبن النجار فى "تاريخ المدينة" أيضا أن الناصر لدين الله العباسىّ كان يُرْسِل فى كل سنة أربعة آلاف دينار للصدقة وألفا وخمسمائة ذراع قطن لتكفين من يموت من الفقراء، خارجا عما يجهزه للعمارة ، وما يُعِدّه من القناديل والشيرج والشَّمَع والندّ والغالية المركَّبة والعود : لأجل تبخير المسجد .

وذكر عن يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يُحمل من الشام حتّى آنقطع فى ولاية جعفر بن سـليمان الأخيرة علىٰ المدينة فجعله علىٰ سوق المدينة . ثم لـما ولى داود بن عيسىٰ فى سنة ثمـان وسبعين ومائة، أخرجه من بيت المـال، ثم ذكر أنه كان فى زمانه فى خلافة الناصر لدين الله يصـل الزيت من مصر من أوقاف بها سبعة وعشرين قنطارا ، كل قنطار مائة وثلاثون رِطْلا بالمصرىّ ، ومائة وستون شمعة ما بين كبيرة وصغيرة ، وعُلْبَةٌ فيها مائة مثقال ندّ .

الباب الرابع

من المقالة الثانية

(فى الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية ؛ وفيه أربعة فصول)

الفصل الأوّل

(فى الممالك والبلدان الشرقية عنها ؛ وما ينخرط فى سلكها من شمال أو جنوب ؛ وفيه أربعة مقاصد)

المقصد الأوّل

(فى الممالك الصائرة إلى بيت جنكزخان ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى التعريف باسم جنكزخان ومصير الملك إليه ، وما كان له من الأولاد ، وتقسيمه الملك فيهم)

أما آسمه فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : عن الشيخ شمس الدين الأصفهانىّ أن آسمه فى الأصل تمرجين ، وأنه لما عظم شأنه سمى جنكزخان . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن بعضهم : أن الصواب فى النطق به جنكصخان بالصاد بدل الزاى .

وأما نسبه فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أيضا أنه جنكزخان ، بن بيسوكى ، بن بهادر ، بن تومان ، بن برتيل خان ، بن تومنيه ، بن بادسنقر ، بن تيدوان ديوم ، بن بغا ، آبن بودنجه ، بن ألانقوا ، وألانقوا هذه آمرأة من قبيلة من الترتسمّى قبات من أعظم قبائلهم شهرة ، كانت متزوّجة بزوج أولدها ولدين آسم أحدهما بكتوت ، والآخر

بلكتوت ؛ ومن عقبهما الطائفة المعروفة فى قبائل التتر بالدلوكة إلىٰ الآن ؛ ثم مات زوج ألانقوا أبو هـذين الآثنين وبقيت ألانقوا أيمًا فحملت فأُنكر عليها الحمل، وحُمِلَتْ إلىٰ وليّ أمرهم حينئذ فسألها ممن حملت؟ فقالت: إنى كنت جالسة وفرجى مكشوف، فنزل نور ودخل فى فرجى ثلاث مرات فحملت منه هـذا الحمل، وأنا حامل بثلاثة ذكور، كل مرة من دخول ذلك النور بذَكَر، فأمْهِلونى حتّٰى أضع . فإن وضعت ثلاثة ذكور فآعلموا صـدقى، وإلا فدونكم وما تَرَوْنَ ؛ فأمْهَلُوها حتّٰى ولدت فأتت بثلاثة ذكور، فسَمَّتْ أحدَهم يوقن قوتاغى[(1)]، والثـانى بوسن ساغى، والثالث بودنجر، وهو جدّ جنكزخان . وأولاد هذه الثلاثة يعرفون بين التتر بالنورانيين نسبة إلىٰ النور الذى زعمت أنه دخل فرجها فحملت منه . قال فى "مسالك الأبصار" : "وهذه أكذوبة قبيحة، وأحدوثة غير صحيحة ؛ وإن صحت عن المرأة فلعلها كانت قد سمعت بقصة مريم البتول عليها السلام، فآحتالت لسلامة نفسها بالتشبه بشأنها".

وأما مصير الملك إليه فقد آختلف فيه علىٰ مذهبين .

أحدهما — ما حكاه فى "مسالك الأبصار" عن الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوينى : أنه كان يملك الترك ملِك من عظماء الملوك يدعىٰ أزبك خان، فتردّد إليـه جنكزخان فى حال صغره وخَدَمَه، فتوسم فيه النجابة فقرّبه وأدناه وزاده فى الآرتقاء علىٰ أقاربه، فحسدوه فوشَوْا به إلىٰ الملك حتّٰى غيروه عليـه فأضمر له المكايد ؛ وكان بالقرب من أزبك خان ملكهم صغيران يخدُمانه فآطلعا علىٰ ما أضمره الملك لجنكزخان وعَرَّفاه ما أضمره الملك له وحَذَّراه ؛ وكان جنكزخان قد لَفّ لفيفا عظيما لجمع لفيفه من قبائل التتر وقصد ذلك الملك فى جيوشه، وكان من أعظم القبائل المجيبة لدعوته قبيلتان : إحداهما تدعىٰ إديرات والأخرىٰ فيقورات مع قبيلته قبات المقدّم ذكرها،

(1) وجد فى العبر (ج ٥ ص ٥٢٥) فرق فى الأسماء ولم نعلم الصواب لعجمتها فليتنبه .

بجرّد العساكر لأزبك‌خان وجرت الحرب بينهما فقتــل أزبك‌خان وملك جنكزخان وقرب كلًّا من الصــغيرين وجعل كلًّا منهما ترخانا، وكتب لها بفراغهما من جميع المُؤَن والكُلَف إلىٰ سبعة أبطن من أولادهما .

والثانى ــ ماحكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : عن محمد بن أحمد بن علىٰ المنشئ : كاتب إنشاء السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه : أن مملكة الصِّين كانت منقسمةً من قديم الزمان إلىٰ ستة أجزاء كل جزء منها مسيرةُ شهر، يتولّى أمر كل جزء منها خان نيابةً عن خانهم الأعظم بطمغاج (١) قاعدة الصين . إلىٰ أن كان خانُهم الأكبرُ فى زمان السلطان خوارزم شاه يسمّى الطرخان، وكان من جملة الخانات الســتة الذين ينوبون عنــه شخصٌ يسمّى دوشى‌خان ، وكان متزوجا بعمة جنكزخان فمــات دوشى‌خان زوج عمة جنكزخان ، فحضر جنكزخان إلىٰ عمته مُعَزِّيا ، وكان يجاور دوشى‌خان خانٌ من الخانات الســتة يسمّى أحدهما كشلوخان والآخر قلان ، فأرسلت زوجة دوشى‌خان إليهــما بنعى زوجها إليهــما وتلاطفانهما فى آســتقرار جنكزخان آبن أخيها مكانه فى الخانية علىٰ أن يكونا معاضدين له ، فأجاباها إلىٰ ذلك . فآســتقر جنكزخان فى الخانية مكان دوشى خان زوج عمتــه ، فبلغ ذلك الخــانَ الأعظم الطرخان فأنكر ذلك علىٰ كشلوخان وقلان المذكورين ، فاتصل ذلك بهما فآجتمعا هــا وجنكزخان وخلعوا طاعة الطرخان ، ثم مات أحد الخانين وخلف آبنــا آسمه كشلوخان فغلب جنكزخان علىٰ ملكه ، ثم مات الخان الآخر وآستقل جنكزخان بالملك ، ثم غلب علىٰ خوارزم شاه ، ثم علىٰ آبنه جلال الدين وآستقل بمــا وراء النهر .

---

(١) فى تاريخ أبى الفدا "بطوغاغ وهى واسطة الصين" .

وأما أولاد جنكزخان فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : عن الصاحب علاء الدين الجُوَيْنى المقدّم ذكره أنه كان له عدّة أولاد ذكور وإناث من الخواتين والسرارى ، وكان أعظم نسائه أو بولى ، من تيكى ، ومن رسم المغل تعظيم الولد بنسب والدته ، وكان له من هذه أربعة أولاد معدّين للأولاد(١) الخطيرة ، هم لتخت ملكه بمنزلة أربع قوائم ؛ وهم توشى وجغطاى ، وهو أصغرهم ، وأوكداى ، وأوتكين نويان ، وأنه جعل موضعه نقطة دائرة ملكه وبنيه حوله كمحيط الدائرة ، فجعل آبنه أوكداى ولىّ عهده ورتّبَهُ لما يتعلق بالعقل والرأى والتدبير والولاية والعزل وآختيار الرجال والأعمال وعرض الجيوش وتجهيزها ، وكان موضعه فى حياة أبيه حدود ايمك وقراباق . فلما جلس بعد أبيه علىٰ تخت الملك ، آنتقل إلىٰ الموضع الأصلى بين الخطا وبلاد الايغور ، وأعطىٰ ذلك الموضع لولده كيوك . وجعل لآبنه أوتكين حدود بلاد الخطا ؛ وعين لآبنه الكبير توشى حدود قيالق (؟) إلىٰ أقصىٰ سفسفين (؟) وبلغار ، ورتبه علىٰ الصيد والقنص ؛ وجعل لآبنه جغطاى حدود بلاد الأيغور إلىٰ سَمَرْقَنْد وبُخَارَا ، ورتبه لتنفيذ الناشبات والأمور والمقابلات وما أشبه ذلك . قال آبن عطاء ملك : وكانت أولاده وأحفاده تزيد علىٰ عشرة آلاف .

وذُكر عن الشيخ شمس الدين الاصفهانى أن جنكزخان أولد أربعة أولاد ، وهم جوجى : وهو أكبرهم ، وكداى ، وطولى ، وأوكداى ، فقتل جوجى فى حياة أبيه وخلف أولادا . قال آبن الحكيم الطيارى : وهم باتو ويقال : باطو ، وأورده ، وبركه ، وتولى ، وحمتى . قال الشيخ شمس الدين المذكور : والمشهور باتو وبركه ، وأوصىٰ بأن يكون تختُه لولده الصغير أوكداى وأن تكون مملكة ما وراء النهر وما معه لولده الآخر كداى ؛ وجعل لآبنه جوجى دشت القبجاق وما معه وأضاف إليه إيران وتبريز وهَمَذان

(١) لعله معدّون للأحوال .

ومراغة، ولم يحصل لطولى شيء . فلما مات جنكزخان آستقل أوكداى بتخت أبيه، وآستقل جوجى بدشت القبجاق وما معه، وآستقل باتو بن جوجى فيما جعله جدّه جنكزخان لأبيه جوجى من إيران وتبريز وما مع ذلك، ولم يتمكن كداى من مملكة ماوراء النهر، ثم مات أوكداى مالك التخت وملك بعده ولده كيوك، وكان جبارا قوىّ النفس فحكم على بنى أبيه فقهرهم وآنتزع ما بيد باتو بن جوجى من إيران وسائر ما معها، وأقام بها أميرا آسمه الجكراى . ثم جرى بينهم آختلاف كان آخر الأمر فيه أن أُمْسك الجكراى وقتل وحمل إلى باتو بن جوجى وطبخه وأكله، فبلغ ذلك كيوك صاحب التخت فشق عليه وجمع ستمائة ألف فارس، وجمع باتو للقائه وسار كل منهما لمحاربة الآخر حتّى كان بينهما عشرة أيام مات كيوك فكتب خواتينه إلى باتو يعلمونه بموته ويسألونه فى أن يكون عوضه على تخت جنكزخان، فلم يرض ذلك وميزله منكوتان بن تولى بن جوجى بن جنكزخان، وجهز معه إخوته قبلاى خان وهولاكو : ولدا تولى، ووجَّه معهم باتو أخاه بركة بن جوجى فى مائة ألف فارس للجلسة على التخت ثم يعود، فتوجه بركة بمنكوتان فأجلسه على التخت، ثم عاد فمرّ فى طريقه بخارا، فآجتمع فيها بالشيخ شمس الدين الباخرزىّ من أصحاب شيخ الطريقة نجم الدين كيزى وحادثه فحسُن موقع كلامه منه فأسلم على يده، وهو أوّل من أسلم من بيت جنكزخان، وأشار الباخرزى على بركة بموالاة المستعصم خليفة بنى العباس ببغداد يومئذ، فكاتبه وهاداه وتردّدت الرسل والمكاتبات بينهما. ثم إن منكوتان بعد آستقلاله بتخت جدّه جنكزخان ملّك أولاد جغطاى مملكة ماوراء النهر تنفيذا لما كان جنكزخان أوصى به لأبيهم جغطاى كما تقدّم ومات دونه، وعلت كلمة منكوتان صاحب التخت ووصلت إليه كتب أهل قزْوين وبلاد الجبال يشكون من سوء مجاورة الملاحدة : وهم الإسماعيلية فجهز إليهم منكوتان أخاه مكوقان[1] لقتال

(١) لعله هولاكو كما يؤخذ من بقية الكلام .

الملاحدة وأخذ قلاعهم ، وأن يضم إلىٰ ذلك بلاد الخليفة المستعصم فبلغ ذلك بركة آبن جوجى فشق عليــه لصداقته مع الخليفة ، وكلم أخاه باتو فى ذلك فكتب باتو إلىٰ هُولاكُو يمنعــه من التعرّض لمــالك الخليفة ، فوافاه الكتّاب قبــل أن يعبُر نهر جيحون ، فأقام هناك سنتين حتّى مات باتو وتسلطن أخوه بركة بعده فكتب هولاكو إلىٰ أخيــه منكوتان يستأذنه فى إنفاذ ما كان عزم عليــه من أخذ ممــالك الخليفة وحَسَّنَ له ذلك فلم يأذن له فيه فأصرّ هولاكو علىٰ عزمه فأوقع بالمَلَاحدة وقتل جماعة آتهمهم بممالأة بركة ، وآشتد فى البلاد وقصــد دشت القبجاق بلاد بركة فدهمه بركة بعساكره فكانت الدائرة علىٰ هولاكو فكر راجعا ودخل بلاد الخليفــة وقبض عليــه وقتله وملك بلاده . وكان أمر الله قدرا مقدورا !

الجمـــــلة الثانية

(فى عقيدة جنكزخان وأتباعه فى الديانة إلىٰ أن أسلم مَن أسلم منهم وما جرت عليه عادتهم فى الآداب وحالهم فى طاعة ملوكهم)

أما عقيدتهم فقد قال الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجُوَيْنى : إن الظاهر من عموم مذاهبهــم الإدانة بوحدانية الله تعالىٰ ، وأنه خلق السموات والأرض ، وأنه يُحْيِي ويُمِيت ، ويغنى ويفقر ، ويعطى ويمنع ، وأنه علىٰ كل شيء قدير ، وأن منهم من دان باليهودية ، ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من آطَّرح الجميع ، ومنهم من تقرّب بالأصنام . قال : ومن عادة بنى جنكزخان أن كل من آنتحل منهم مذهبا لم ينكره الآخَرُ عليه ، ثم الذى كان عليه جنكزخان فى التديُّن وجرىٰ عليه أعقابه بعده الجرىُ علىٰ منهاج ياسة التى قررها ، وهى قوانين خمنها من عقله وقرّرها من ذهنه ، رتب فيها أحكاما وحدّد فيها حدودا ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثرها مخالف

لذلك سماها الياسـة الكبرىٰ، وقد آكتتبها وأمر أن تجعل فى خزانته تُتَوارث عنـه فى أعقابه وأن يتعلمها صغارُ أهل بيته .

منهـا أن من زنىٰ قتـل ، ومن أعان أحد خصمين علىٰ الآخر قتل ، ومن بال فى الماء قتل، ومن أُعطِى بضاعة فخسر ثم أعطى ثانيا فخسر ثم أعطى ثالثا فخسر قتل، ومن وقع حملُه أوقوسه فمرّ عليه غيره ولم ينزل لمساعدته قُتِل، ومن وجد أسيرا أوهاربا أوعبدا ولم يردّه قُتِل، ومن أطعم أسير قوم أو سقاه أوكساه بغير إذنهم قتل، إلىٰ غير ذلك من الأمور التى رتبها مماهم دائنون به إلىٰ الآن، وربمـا دان به من تحلّى بحلية الإسلام من ملوكهم . ومن معتقدهم فى ذبح الحيوان أن تُلَفّ قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلىٰ قلبـه فيمرسه بيـده حتّى يموت أو يخرج قلبه . ومن ذبح ذبحة المسلمين ذبح .

وأما عاداتهم فى الأدب فكان من طريق جنكزخان أن يعظم رؤساء كلّ ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة إلىٰ الله تعالىٰ؛ ومن حال التتر فى الجملة إسقاط المؤن والكُلَف عن العَلَويين وعن الفقهاء والفقراء والزهـاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم علىٰ آختلافهم ومن جرىٰ هذا المجرىٰ .

ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاما حتّى يأكل المُطْعِمُ منه ولو كان المُطْعِمُ أميرا والآكل أسـيرا، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه، ولا يمتاز أمير بالشِّبَع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية، ولا يخطو أحدٌ مَوْقِدَ نار ولا طبقا رآه[1]، ومن آجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن. وأن لا يُدْخِل أحدٌ يده فى المـاء بل يأخذ منـه ملء فيه

(١) فى الخطط للقريزى (ص ٢٢٠ ج ٢) ما نصه "ولا يتخطى أحد نارا ولا مائدة ولا الطبق الذى يؤكل عليه" .

ويغسل يديه ووجهه، ولا يبول أحدٌ علىٰ الرّمَادِ[١] . ويقــال إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة، ولا يميزون بين طاهر ونجس .

ومن طرائقهم أنهم لا يتعصبون لمذهب، وأن لا يتعرّضوا لمـالِ ميت أصـلاً، ولو ترك مِلْءَ الأرض، ولا يدخلونه خِزَانة السلطان .

ومن عاداتهم أنهم لا يُفَخِّمون الألفاظ، ولا يعظّمون فى الألقاب حتّى يقال فى مراسيم السلطان "القان بكذا" من غير مزيد ألقاب .

وأما حالهم فى طاعة ملكهم فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم، لا لمـال ولا لجاه بل ذلك دأب لهم حتّى إنه إذا كان أمير فى غاية من القوة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب متى أذنب ذنبا يوجب عقوبة وبعث السلطان إليه من أخس أصحابه مَنْ يأخذه بمـا يجب عليه ألقىٰ نفســه بين يدى الرسول ذليلا ليأخذه بموجب ذنبه، ولو كان فيه القتل .

ومن طريق أمرائهم أنه لا يتردّد أمير إلىٰ باب أمير آخر، ولا يتغير عن موضعه المعين له . فإن فعل ذلك عوقب أو قتل، وإذا عرضوا آلات الحرب علىٰ أمرائهم وَفَّوْا فى العرض حتّى بالخيط والإبرة، ورعاياهم قائمون بمـا يُلْزَمون به من جهة السلطان طَيِّبَةً به نفوسهم، وإن غاب أحد من الرجال قام النساء بمـا عليهم .

---

(١) عبارة الخطط "وألزمهم أن لا يدخل أحدهم يده فى المـاء ولكنه يتناول المـاء بشىء يغترفه به".

المهيع الثانى[1]

(فى ذكر ممالك بنى جنكزخان علىٰ التفصيل، وهى مملكتان)

المملكة الأولىٰ

(مملكة أيران)

بفتح الهمزة[2] وسكون الياء المثناة تحت والراء المهملة وألف ثم نون . وهى مملكة الفرس، وتعرف بأيران بن أشور بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أوّل من ملكها وأضيفت إليه وعرفت به . قال فى "التعريف" : وهى مملكة الأكاسرة . ثم قال : وهى من الفرات إلىٰ نهر جيحون حيث بَلْخ، ومن البحر الفارسىّ وما صاقبه من البحر الهندىّ إلىٰ البحر المسمّى بالقُلْزُم بحر طَبَرِسْتَان، وهى المملكة الصائرة إلىٰ بيت هُولاكُو . قال : وقد دخل فيها مملكة الهَيَاطلة، وهى مملكة مازَنْدَران وما يليها إلىٰ آخر كِيلان، وطَبَرِسْتَانُ واقعة بين مازَنْدَران وكِيلان، ومازَنْدَران الآخذة شرقا، وكيلان الآخذة غربا .

وقال فى "مسالك الأبصار" : هذه المملكة طولا من نهر جَيْحُون المحيط بآخر خُرَاسَانَ إلىٰ الفُرَاتِ القاطع بينها وبين الشام، وعرضها من كَرْمَانَ المتصل بالبحر الفارسىّ المنقسم من البحر الهندىّ، إلىٰ نهاية ما كان بيد بقايا الملوك السَّلْجُوقية بالروم علىٰ نهاية حدود العَلَايا وأنطاليا من البحر الرومىّ . قال : ويَفْصِلُ فى الجانب الشَّمالىّ بين هذه المملكة وبين بلاد القَبْجَاقِ النهرُ المجاور لباب الحديد المسمّى باللغة التركية دقرقبو، وبحر طَبَرِسْتَانَ المسمّى بحر الخَزَر . ثم قال : وأخبرنى الفاضل نظام الدين أبو الفضل يحيىٰ بن الحكيم الطيارىّ أن هذه المملكة تكاد تكون مُرَبَّعة، فيكون

(١) لعله المقصد الثانى فإن التقسيم كان بالمقاصد .

(٢) ضبطه ياقوت بالكسر .

طولهـا بالسير المعتاد أربعة أشهر ، وعرضها أربعة أشهر . وهى من أجلّ ممـالك الأرض ، وأوسطها فى الطول والعرض ، متوسطة فى الطول والعرض . وإذا أُنْصِفت كانت هى قلب الدنيـا علىٰ الحقيقة ، ذاتُ أقاليم كثيرة ومدن كبيرة ، مشتملة علىٰ رساتيقَ وأعمال وخِطَط وجهات ، وهى ممتدّة من بلاد الشأم وماعلىٰ سمتها إلىٰ بلاد السِّنْد والهِنْد وما والاهما .

ولهـا جانبان : جنوبىّ وشمـالىّ .

الجانب الأوّل
(الجنوبىّ)

ويشـــتمل علىٰ ســـتة أقاليم :

الإقليم الأوّل
(الجـزيرة الفراتيـــة)

وهى أقرب أقطار هذه المملكة لمملكة الديار المصرية والشامية لمجاورتها بلاد الشام . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط بهـا الفُرَات من حدود بلاد الروم ، وهو طَرَف الحدّ الغربىّ الجنوبىّ للجزيرة . فيمتدّ الحدّ الجنوبىّ الغربىّ مع الفرات إلىٰ مَلَطْيَةَ ، إلىٰ شمشَاط ، إلىٰ قلعة الروم ، إلىٰ البِيرَةِ ، إلىٰ قُبَالَة مَنْبِج ، إلىٰ السِّنّ ، إلىٰ الرَّقَّة ، إلىٰ قَرْقِيسْيَا ، إلىٰ الرَّحْبة ، إلىٰ هِيتَ ، إلىٰ الأنبار . ثم يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة ويعطف الحدّ من الأنبار إلىٰ تَكْرِيت ، وهى علىٰ نهر دَجْلَةَ ، إلىٰ بَالِس ، إلىٰ الحَدِيثَة علىٰ دجلة إلىٰ المَوْصِلِ . ثم يعطف من الموصل إلىٰ جزيرة ابن عُمَر ، إلىٰ آمِد . ثم يصير الحدّ غربيا ممتدا بعد أن يتجاوز آمدَ علىٰ حدود إِرْمِينِيَةَ ، إلىٰ حدود بلاد الروم ، إلىٰ الفُرَاتِ عند مَلَطْيَةَ من حيث وقع الابتداء . قال : فعلىٰ هـذا يكون بعض إِرْمِينِيَةَ وبعض الروم غربىّ الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيّها ، والعراق شرقيّها ، وبعض

إرْمِينِيَّة شماليها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وتشتمل الجزيرة علىٰ ديار ربيعة وديار مُضَر (يعنى بالضاد المعجمة) وبعض ديار بكر ، وهم القبائل الذين كانوا ينزلونها فى القديم علىٰ ما تقدّم ذكره فى الكلام علىٰ أحوال العرب فى المقالة الأولىٰ .

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه الجزيرة بمجموعها مملكة جليلة باقية بذاتها فى الدولة الأتابكية يعنى دولة الأتابك زنكى صاحب المَوْصِل والد نُور الدين الشهيد صاحب دِمَشْق ، وقاعدتها (المَوْصِلُ) . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة ولام فى الآخر ــ وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبعٌ وثلاثون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى علىٰ دِجْلَة من الجانب الغربىّ ، ويقابلها من الجانب الشرقىّ مدينة نَيْنَوىٰ التى بُعث يونس عليه السلام إلىٰ أهلها . وهى الآن خراب . وفى جنوبىّ الموصل مَصَبُّ الزَّابِ الأصغر فى دِجْلَة ، وهى فى مستوٍ من الأرض ، ولها سوران قد خرب بعضهما ، وسورها أكبر من سور دِمَشْق . قال المؤيد صاحب حماة : والعامر منها فى زماننا نحو ثلثيها ، ولها قلعة قد صارت فى جملة الخراب . قال قاضى القضاة ولىّ الدين بن خلدون : وهى قاعدة ملك قديم يُعْرف قديما بمملكة الجَرَامقة ، وكانت قد صارت إلىٰ عماد الدين زنكى : والد نور الدين الشهيد ، ثم آتفق بها الحال إلىٰ أن دخلت فى مملكة التتر من بنى هُولاكُو . قال آبن خرداذبه فى كتابه فى المسالك والممالك : ومن أقام بها سنة ثم ... ...(١) عقله وجده قد نقص ، وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكرها فى "التثقيف" وذكر أنه كان بها الأمير أردبغا قبل أن يحصل عليها من بيرم خواجا ثم أبو القان أويس .

(١) بياض فى الأصل . وآنظر معجم البلدان فانه يؤخذ منه أن من أقام بها سنة تبين فى بدنه فضل قوة .

ثم بها عدّة مُدُن وقلاع مشهورة .

(منها) مَارِدِين . قال فى "اللباب": بفتح الميم وسكون الألف وكسر الراء والدال المهملتين ثم ياء مثناة من تحتها ونون — وهى قلعة بديار ربيعة من هذه الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال فى " الأطوال " : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان" : وهى على جبل عال ، من الأرض إلى ذِرْوَته نحو فرسخين . قال ابن حوقل : وهى قلعة منيعة لايستطاع فتحها عنوة ، وبجبلها جواهر الزجاج ، و به حَيَّات تفوق غيرها بسرعة القتل .

وآعلم أن ماردين هذه بيد ملوكها من بنى أُرْتُق ، لها بيدهم الأَمَدُ الطويل ، لم تَزُل أيديهم عنها مذ ملكوها . قال القاضى ولىّ الدين بن خلدون فى " تاريخه " : وأوّل من ملكها منهم ياقوتى بن أُرْتُق بعد السبع والأربعمائة ؛ تملكها من يد مَغَنٍّ كان ملكشا ابن ألب أرسلان السلجوقى أقطعها له ، ثم ملكها بعد ياقوتى المذكور أخوه علىّ . ثم عمه سُقْمان ، ثم أخوه إيلغازى ، ثم آبنه حُسَام الدين تمرتاش ، ثم آبنه قطب الدين ألبِى ، ثم آبنه نظام الدين إيلغازى ، ثم آبنه حسام الدين بولق أرسلان ، ثم أخو ناصر الدين أُرْتُق أرسلان بن إيلغازى ، ثم آبنه نجم الدين غازى ، ثم أخو قرا أرسلان ، ثم آبنه شمس الدين داود ، ثم أخوه نجم الدين غازى ، وتلقب بالمنصور . وهو أوّل من تلقب بألقاب السلطنة منهم ، ثم آبنه شمس الدين صالح وتلقب بالصالح ، ثم آبنه أحمد وتلقب بالمنصور ، ثم آبنه محمود وتلقب بالصالح ، ثم آبنه فخر الدين داود ، وتلقب بالمظفر ، ثم آبنه نور الدين عيسى ، وتلقب بالظاهر ، وهو القائم بملكها إلى الآن ، وهو الظاهر عيسى ، بن المظفَّر داود ، بن الصالح [محمود ، بن المنصور أحمد ، بن الصالح][1] صالح ، بن المنصور غازى ، بن المظفر قرا أرسلان ، بن المنصور أرتق أرسلان [ابن بولق أرسلان][1] بن إيلغازى ، بن ألبِى ، بن تمرتاش ، بن إيلغازى ، بن أرتق .

(١) الزيادة عن تاريخ آبن خلدون (ص ٢٢٠ ج ٥) .

ولما ملك هولاكو بغداد وأعمالها كان القائم بملك ماردين يومئذ المُظَفَّر قرا أرسلان فأعطاه الطاعة وخطب له فى جميع أعماله ، وتبعه علىٰ ذلك مَنْ بعده من ملوكها إلىٰ حين موت القان أبى سعيد من بقايا الملوك الهولاكوية ، فقطع الخطبة لصاحب بغداد وما معها وخطب لنفسه ، والأمر علىٰ ذلك إلىٰ الآن ، وملوكها مُوَادّون لملوك الديار المصرية والمكاتبات بينهم متواصلة .

(ومنها) حِصْنُ كَيْفا . قال فى "تقويم البُلْدان" : بحاء وصاد مهملتين ثم نون ثم كاف وياء مثناة من تحت وفاء وألف ـ وهى مدينة من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" : حيث الطولُ أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعَرْض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى من ديار بكر . قال فى "المشترك" : وهى علىٰ دجلة بين جزيرة آبن عمر وبين مَيًّا فَارِقِينَ . قال فى "اللباب" : والنسبة إليها حَصْكَفِيٌّ ـ بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح الكاف وفاء ثم ياء النسب . قال فى "التعريف" : وملكها من بقايا الملوك الأيوبية وممن يَنْظُر إليه ملوك مصر بعين الإجلال ، لمكان ولائهم القديم لهم ، وآستمرار الوداد الآن . قال فى "التثقيف" : وأخبرنى المقر السيفى منجك كافل الممالك الشريفة أن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان يعظم سَلَفَه فإنه كان أستاذ قلاوون والده . قال فى "التعريف" : وكان آخر وقت منهم الملك الصالح قصد الأبواب السلطانية . فلما أتىٰ دِمَشْقَ عقبته الأخبارُ بأن أخاه قد ساوَرَ سريرَه ، وقصد بسلطته سلطانه . فكر راجعا ولم يُعَقِّبْ ، فما لبثت الأخبار أن جاءت بأنه حين صعد قلعته ، وكَرَّ نحوَ سريره رَجْعَتَه ، وثب عليه أخوه المتوثب فقتله وسفكَ دمَه ، ثم أظهر عليه ندمه . وكتب إلىٰ السلطان فأجيب بأجوبة دالة علىٰ عدم القبول لأعذاره والسرائر مُكَدَّرَة ، والخواطر بعضها من بعض منفّرة . وذكر فى "التثقيف" أن الذى آتّضح له

آخرا فى رمضان ســنة ست وسبعين وسبعمائة أن صاحبها الملكُ الصالح سيف الدين أبو بكر، آبن الملك العادل شهاب الدين غازى ، آبن الملك العادل مجد الدين محمد ، آبن الملك الكامل سيف الدين أبى بكر، آبن الملك الموحد تقىّ الدين عبد الله ، آبن الملك المعظم سيف الدين توران شاه ، آبن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، آبن الملك الكامل ناصر الدين محمد ، بن العادل أبى بكر بن أيوب . ثم قال : وما يبعد أن الصالح المذكور هو آبن عم العادل مجد الدين محمد ، وأن العادل غازى لاحقيقة له . ثم قال : وهو غلط لأن المستقرّ إلى آخر سـنة ثنتين وستين وسـبعمائة وما بعدها بمدّة هو العـادل مجد الدين ، وكتبتُ إليه فى هذه المدّة بهذا الآسم واللقب ، ولم يبلغنا أنه آستقرّ بعده سوى ولده ، ثم نقل أنه الصالح ونقل الناقل أنه آبن العادل وهو صحيح لكنه قال : إن آسمه شهاب الدين غازى بن العادل مجد الدين وفيه بُعْدٌ : كون الولد يلقب بلقب والده الملوكى . آنتهى كلامه .

قلت : والذى أخبرنى به بعض قُصّاد صاحبها فى سـنة تسع وتسعين وسـبعمائة أن الملك القائم بها يومئذ آسمه سليمان بن داود ، وذكر لى لقبه الملوكىّ فنسيته ، وذكر انه يقول الشعر ، وأحضر معه بيتا مفردا من نظمه وهو :

وجَارِيَةٍ تُعِـيرُ البَدْرَ نُوراً * وَلَوْلَا نُورُهَا عَادَ الظَّلَامُ !

فنظمت له أبياتا وبعثت بها إليه صحبة قاصده أوّلها :

سُـلَيْمَانُ الزَّمَانِ بِحِصْنِ كَيْفَا * لَهُ فى المُلْكِ آثَارٌ كِـرَامُ
زَكَا أَصْلاً فطَابَ الفَرْعُ مِنْهُ * وطَابَ الغُصْنُ إذ طَابَ الكِمَامُ
بَنُو أيُّوبَ أَبْقَوْا منـه ذُخْرًا * ونِعْمَ الذُّخْرُ والقَيْـلُ الهُمَامُ

وأثبت البيت الذى قاله فى آخر هذه .

(ومنها) حَرّانُ . قال في "المشترك" : بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وفي آخرها نون بعد الألف ــ وهي مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطول ثلاث وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وكانت حَرّانُ مدينةً عظيمة أما اليوم فخراب . قال ابن حوقل : وهي مدينة الصابئين ، وبها سَدَنتهم السبعة عشر ، وبها تَلٌّ عليه مصلًّى للصابئين يعظِّمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام ، وهي قليلة الماء والشجر . قال في "العزيزي" : والجبل منها في سَمْت الجنوب والشرق على فرسخين ، وتربتها حمراء ، وشرب أهلها من قناة تجرى من العيون خارجَ المدينة ومن الآبار ، وحاكمها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتي في المكاتبات إن شاء الله تعالى .

(ومنها) شِمْشَاط . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وفتح الشين الثانية ثم ألف فطاء مهملة ــ وهي بلدة من ديار مُضَرَ ، وقيل من ديار بكر من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "رسم المعمور" حيث الطول اثنتان وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي بلدة الثُّغور الجزرية بين آمد وبين خَرْتَ بِرْتَ . وقال ابن حوقل : هي بَحْر[1] الجزيرة ، وبها حاكمٌ يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حِيزَانُ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الزاي المعجمة وألف ونون ــ وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها خمس وستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كثيرة

(١) في التقويم . هي ثغر .

الأشجار خصوصا شجر البُنْدُق . قال : وهي بين جبال، ولها مياه سارحة، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكر فى "التثقيف" أنه كان آسمه فى زمانه عز الدين، ثم آستقر بعده آبنه أسد الدين .

(ومنها) رَأْسُ عَيْن . قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح الراء المهملة ثم سين وعين مفتوحة مهملتان ومثناة تحت ونون فى الآخر - وتسمَّى عين وَرْدة أيضا ، وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة فى مستوٍ من الأرض . قال آبن حوقل : يخرج منها فوق ثلثمائة عين كلُّها صافية ، ويصير من هذه الأعين نهرُ الخابُور ، ووَهِم السمعانىّ بجعلها منبع دِجلة . قال فى "العزيزىّ" : وهى أوّل مُدُن ديار ربيعة من جهة ديار مُضَر ، وذكر السمعانىّ أنها من ديار بكر، وأنكره آبن الأثير وقال : ليست من ديار بكر [بل هى] من الجزيرة . قال فى " اللباب " : وهى على يومين من حَرَّان . النسبة إليها رَسْعَنِىٌّ ، وإليها ينسب الرَّسْعَنِىُّ المُفَسِّر .

(ومنها) مَيَّافَارِقِينَ . قال فى " اللبـاب " : بفتح الميم وتشديد المثناة من تحتها وسكون الألفين بينهما فاء مفتوحة وبعدهما راء مهملة ثم قاف وياء آخر الحروف ونون . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول خمس وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال آبن سعيد : وهى قاعدة ديار بكر . وقال آبن حوقل : هى بين الجزيرة وبين إرْمِينِيَةَ . قال فى " اللبـاب " : وعليها سورُ حَجَرٍ دائرٌ ، وهى دون حماة فى القدر ، وهى فى ذيل جبل ، فى شماليّها وهى فى ذيله . قال فى " اللباب " : والمياه والبساتين محدقة بها ، ولها نهر صغير على شوط فرس منها ، من عين تسمَّى عين حَنْبُوص بين الغرب والشمال ، تخرق دُورَها

وتسق بساتينها، و بينها وبين المَوْصِـلِ علىٰ حِصْن كَيْفا نحو ستة أيام وعلىٰ ماردِ ينَ نحو ثمـانية أيام، والنسبة إليها فَارِقِيٌّ . قال فى "اللباب" : أسقطوا بعضها لكثرة حروفها، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قَرْقِيسْيَا . قال فى "تقويم البُلْدان" : المشهور بفتح القاف الأولىٰ وكسر الثانية وبينهما راء مهملة ساكنة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم سين مهملة ثم ياء ثانية وألف ــ وهى مدينــة من ديار مُضَرَ من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال فى "اللبـاب" : وهى علىٰ الفُرَات والخابور،علىٰ القرب من الرَّقَّة . قال فى "العزيزى" : وهى شرقىّ الفرات والخابورُ الخارجُ من رأس عين فيصب فى الفرات علىٰ القرب منهـا . قال : وهى مدينة الزَّبَّاء صاحبة جَذِيمَةَ الأبرش، يعنى التى قتلته . قال فى "اللباب" : وبها مات جَرِيرُ بن عبد الله البَجَلِىّ الصحابىّ رضى الله عنه . قال : والنسـبة إليها قَرْقِيسْيَانِىّ وقد تحذف النون وتجعل الياء عوضها .

(ومنها) مَا كِسِينُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الكاف والسـين المهملة وسكون المثناة من تحت ونون فى الآخر ــ وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "اللباب" : وهى علىٰ الخابور . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين قَرْقِيسْيَا سبعةُ فراسخ ، وبينها وبين سِنْجار آثنان وعشرون فرسخا .

(ومنها) نَصِيبِينُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح النون وكسر الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها ثم باء موحدة وياء ثانية ونون ــ وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال آبن سعيد : وهى قاعدة ديار ربيعة . قال

وهى مخصوصة بالوَرْد الأبيض لايوجد فيها وردةٌ حمراء ، وفى شمـاليها جبل عظيم يقال إنه الجُودِىّ الذى ٱستقرّت عليه سفينةُ نوح عليه السلام، منه ينزل نَهْرُها حتّى يمرّ علىٰ سُورها وعليه بساتينها، ونهرها يسمّى الهِرْماس، وبها عقاربُ قتّالة .

(ومنها) جزيرة ٱبن عُمَر ـ وضبطها معروف ـ وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : حيث الطولُ ست وستون درجة وعشر دقائق ، والعرضُ سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة صغيرة علىٰ دجلة من غربيها ذاتُ بساتين كثيرة . وقال فى "المشترك" : هى فى شمالىّ الموصل ودجلة محيطة بها مثل الهلال ، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) سِنْجَارُ . قال فى "اللبـاب" : بكسر السين المهـملة وسكون النون وفتح الجيم وألف وراء مهملة ـ وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطول ست وستون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ٱبن سـعيد : وهى فى جَنُوبىّ نَصيبِينَ ـ وهى من أحسن المُدُن وجَبَلُهـا من أخصب الجبـال . قال ٱبن حوقل : وهى فى وسط بَرِّيَّة ديار ربيعـة بالقرب من الجبـل والجبلُ فى عاليها، وليس بالجزيرة بلد فيـه نخيل سواها . وهى فى جهة الغرب عن المَوْصِـلِ علىٰ ثلاث مراحل عنها ، وهى علىٰ قدر المَعَرَّة من البلاد الشامية ، ولهـا قلعة وبساتين كثيرة ، وشربها من القُنِىّ ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) تَلُّ أَعْفَرَ ـ وضبط التل معروف ، وأَعْفَرُ بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الفاء وراء مهـملة فى الآخر ـ وهى من الجزيرة من الإقليم الرابع من

الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "المشترك": وتَلُّ أَعْفَرَ قلعةٌ بين سِنْجَار وبين المَوْصِل . وذكر فى "تقويم البُلْدان" عن بعض أهلها أنها غربىّ المَوْصِل فيما بينها وبين سِنْجَار، وربما تكون إلى سِنْجَارَ أقربَ . وذكر فى "العزيزى" أن بينها وبين سِنْجَارَ خمسةَ فراسخ، ولها أشجار كثيرة؛ وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) الحَدِيثَةُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين ثم مثناة من تحت وثاء مثلثة وهاء فى الآخر وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى فى وَسَط الفُرَات والماء محيطٌ بها، وتعرف بحديثة النُّورة . وهى غير حديثة المَوْصِل : بليدة صغيرة إلا أن لها ذكرا فى القديم . قال فى "المشترك" : وهى على فراسخَ من الأنبار، وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) عَانَة . قال فى "اللباب" : بفتح العين المهملة وألف ونون وهاء فى الآخر وهى بلدة من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة وثلاثون دقيقة، والعَرْض أربع وثلاثون درجة . وهى بلدة صغيرة على جزيرة فى وَسَط الفرات . قال فى "اللباب" : وهى تقارب الحَدِيثَة . وقال آبن حوقل : يطوف بها خليج من الفرات . قال آبن سعيد : وخمرها مذكور فى الأشعار، وآستشهد بقول بعض الشعراء :

* وَمِنْ عَانَةٍ أَمْ مِنْ مَرَاشِفِكِ الْخَمْرُ؟ *

وكثيرا ما تُقْرن فى الذكر مع الحديثة لقربها فيقال عانةُ والحَديثة ، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) آمِدُ . قال فى "اللباب" : بمدّ الألف وكسر الميم وفى آخرها دال مهملة . وهى مدينة من ديار بكر، من الجزيرة، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرضُ سبع وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة أزَلِيَّة علىٰ الدجلة . قال آبن حوقل : وعليها سُورٌ فى غاية الحَصَانة . قال فى "العزيزى" : وسُورها من الحجارة السُّود التى لا يَعْمل فيها الحديد، ولا تضرُّ بها النار، وهو مشتمل عليها وعلىٰ عيون ماء، ولها بساتين ومزارع كثيرة . قال آبن حوقل : وهى كثيرة الخِصْب .

(ومنها) سِعِرْتُ . قال فى "تقويم البُلْدان" نقلا عن صالح : بكسر السين والعين وسكون الراء المهملات وفى آخرها مثناة من فوقُ ، وقيل إِسْعِرْد بكسر الهمزة وسكون السين وكسر العين وسكون الراء المهملات ودال مهملة فى الآخر ــ وهى مدينة من ديار ربيعة، من الجزيرة، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مبنية علىٰ جبل تحيط بها الوَطَاة، علىٰ القرب من شَطّ دجلة من جهة الشَّمال والشرق ، وهى فى المقدار أكبر من المَعَرّة ، وبها الأشجار الكثيرة من التين والرمّان والكروم، جميع ذلك عِذْىٌ لا يُسقىٰ، وشرب أهلها من بئار قريبة من وجه الأرض ؛ وهى عن مَيَّافَارِقِين علىٰ مسيرة يوم ونصف فى جهة الجنوب ، وعن آمِدَ علىٰ مسيرة أربعة أيام فى جهة الشَّمال منها، وعن المَوْصل علىٰ خمسة أيام فى جهة الشرق والشمال عنها .

(ومنها) تِكْرِيتُ . قال فى "اللباب" : بكسر[1] المثناة من فوق وسكون الكاف وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة من تحت فى آخرها تاء مثناة من فوقُ ــ وهى مدينة

(١) ضبطها المجد بالفتح وكذا ياقوت وقال : وكسرها العامة .

من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : حيث الطول تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وآثنتا عشرة دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى آخر مُدُن الجزيرة مما يلى العراق علىٰ غربىّ دِجْلَة فى برّ المَوْصِل . قال فى "اللباب" : وسميت تِكْرِيتُ بتِكْرِيتَ بنت وائل أخت بكر بن وائل .

أما قلعتها فبناها سابور بن أردشير بن بَابَك ،وهى الآن خراب . قال آبن سعيد : وفى جنوبيها وشرقيها النهر الإسحاقىّ ، حفره إسحاق بن إبراهيم صاحب شُرْطَةِ المتوكل ، وهو أوّل حدود سَوَاد العراق ، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) بَرْقَعِيدُ ــ بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وكسر العين المهملة وسكون المثناة من تحتها ودال مهملة فى الآخر . قال فى "العزيزىّ" : وهى [مدينة] لها سور وأسواق كثيرة .

(ومنها) العِمَادِيَّة ــ بكسر العين المهملة وفتح الميم وبعدها ألف ثم دال مهملة مكسورة وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعة عامرة علىٰ ثلاث مراحل من المَوْصِل فى الشرق والشمال ، وهى علىٰ جبل من الصخر ، وتحتها مياهٌ جارية وبساتينُ ، وهى فى جهة الشَّمال عن إرْبِل ، بناها عماد الدين زنكى صاحب المَوْصِل فنسبت إليه ؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة كُشَّاف . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الكاف وبالشين المعجمة ثم ألف وفاء فى الآخر ــ وهى قلعة عامرة بين الزَّاب والشَّطِّ ، قريبة من مصبه فى الشط [وهى فى الشرق] والجنوب عن الموصل . قلت : وقد ذكرها فى "تقويم البلدان" أوّلا

فى جملة بلاد الجزيرة ووصفها بهذا الوصف ولم يضبطها ، ثم ذكرها فى بلاد الجبل المعروفة بعراق العجم بهذا الوصـف أيضا وضبّطها علىٰ ما تقدّم ، والظاهر أنها من بلاد الجزيرة ؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة فَنَك . قال فى "تقويم البُلْدان" : نقلا عن أبى المجد فى "كتاب التمييز" : بفتح الفاء والنون ــ وهى قلعة حصينة فُوَيق جزيرة ٱبن عمر .

(ومنها) الشُّوش . قال فى "المشـترك" : بضم الشـين المعجمة وسكون الواو ثم شين ثانية . قال : وهى قلعة مشهورة من أعمـال المَوْصِل فى الجبال شرقىّ دجلة ، وإليها ينسب حب الرمّان الشُّوشىّ .

(ومنها) عَقْرُ الحُمَيْدية . قال فى "المشـترك" : بفتح العين المهملة وسكون القاف ثم راء مهملة ــ وهى قلعـة حصينة مشهورة ، والحُمَيديّة قبيـلة من الأكراد بتلك البلاد .

(ومنها) الهَتَّاخ . قال فى "مُزِيل الارتياب" : بفتح الهـاء وتشديد التاء المثناة من فوقهـا وفتحها وبعـد الألف خاء معجمة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعة حصينة .

(ومنها) حَانِى . قال فى "اللباب" : علىٰ وزن داعى ، يعنى بفتح الحاء المهملة وبعـدها ألف ثم نون مكسورة وياء مثناة تحت فى الآخر . قال : هذا ما تُعْرَف به الآن ، ولكن السـمعانىّ قد قال فيها حَنَا ، بفتح الحاء المهملة والنون ؛ وهى مدينة من ديار بكر من الجزيرة [من الإقليم الرابع] من الأقاليم السبعة ، وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية معدود فى الأكراد .

وٱعلم أن هـذه الجزيرة مجاورة لمملكة الديار المصرية من حيث ٱتصالهـا بالبلاد الشاميـة من الجهة الشرقية ، وقد تقـدّم أن بعض بلادها داخلة فى أعمـال حَلَبَ

من ممالك الديار المصرية كالرُّهَا وقلعة جَعْبَر وما والاهما ، والمسافة ما بين حلب والرُّهَا معلومة ، ومن الرُّهَا إلىٰ حَرّان يوم واحد ، ومن حَرّان إلىٰ رأس عين ثلاثة أيام ، ومن رأس عين إلىٰ نَصيبين ثلاث مراحل ، ومن نَصيبينَ إلىٰ المَوْصِل أربع مراحل . وقد تقدّم أن المَوْصِلَ هى قاعدة الجزيرة فى القديم ، ومن الموصل إلىٰ تِكْرِيتَ سبعة أيام ، وقد تقدّم أن تكريت هى آخر مُدُن الجزيرة مما يلى العراق ، ومن الموصل أيضا إلىٰ آمِدَ أربعة أيام ، ومن آمِدَ إلىٰ شِمْشَاط ثلاثة أيام .

الإقليم الثانى
(العِــرَاقُ)

قال فى "اللباب" : بكسر العين وفتح الراء المهملتين ثم ألف وقاف . قال الجوهرىّ : وهو يذكَّر ويؤنَّث . قال أبو المجد إسماعيل الموصلىّ فى كتابه المسمّى "بالتمييز والفصل" : وإنما سمى عراقا لأنه سَفَل عن نَجْدٍ ودَنَا من البحر . أخذا من عِراق القِرْبة ، وهو الخَرْزُ الذى فى أسفلها ؛ ويعرف بعراق العرب لأن العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط به من جهة الغرب الجزيرة والبادية ؛ ومن الجنوب البادية وبحر فارس وحدود خُوزستان ؛ ومن الشرق حدود بلاد الجبال إلىٰ حُلْوان ؛ ومن الشّمال من حلوان إلىٰ الجزيرة من حيث وقع الابتداء .

قال : والعراق علىٰ ضَفَّتى دجلة مثل ما بلاد مصر علىٰ ضَفَّتى النيل ، ويجرى دجلة من الشمال بميلة إلىٰ الغرب ، إلىٰ الجنوب بميلة إلىٰ الشرق . وآمتداد العراق طولا وشمالا وجنوبا من الحَدِيثَة علىٰ دجلة إلىٰ عَبَّادَانَ علىٰ مصبّ دجلة فى بحر فارس ، وآمتداده غربا وشرقا من القادسيَّة إلىٰ حُلْوان . فالحَدِيثة فى وسط الحدّ الشمالىّ

بميــلة إلىٰ الغَرْب ، والقادسِـيَّة فى وسط الحدّ الغربىّ بمَيْلة إلىٰ الجنوب ، وعَبَّادَانُ فى وسط الحدّ الجنوبىّ بميــلة إلىٰ الشرق ، وحُلْوانُ فى وسط الحدّ الشرقىّ بميلة إلىٰ الشَّمال ، ووســط العراق الذى من القادسية إلىٰ حلوان هو أعرض ما فى العراق . وأمّا رأس العراق الذى عنــد عَبَّادَانَ ، فيَدِق عن ذلك . ثم قال : والذى يســتدير علىٰ العراق ــ يعنى والعراق علىٰ شمــاله ــ إذا آبتدأ من تَكْرِيت من بلاد الجزيرة المتقدّمة ، يمر منها إلىٰ حدود شَهْرزُورَ؛ وهى بين الشرق والشمال عن العراق ، ثم إلىٰ السِّــيْرَوَان ، وهى فى الشرق ، إلىٰ حدود جُبًّا ، وهى فى الشرق والجنوب ، ثم إلىٰ البحر يعنى بحر فارس ، وهو فى الجنوب عن العراق . وفى هــذا الحدّ من تكريت إلىٰ البحر تقويسٌ ، ثم من البحر إلىٰ البَصْرَة ، وهى فى الجنوب عن العراق ، ثم من البصرة إلىٰ البــادية علىٰ سَوَاد البصرة ، ثم إلىٰ بَطَائح البصرة ، ثم إلىٰ واسط ، ثم إلىٰ سَوَاد الكُوفة وبطائحها ، ثم علىٰ ظهر الفرات إلىٰ الأنبار ، ثم من الأنبار إلىٰ تَكْرِيتَ حيث وقع الآبتداء .

ثم للمدن(1) قواعد ومدن .

القــاعدة الأولىٰ

(بابِـــل)

بفتح الباء الموحدة ثم ألف وباء موحدة ثانيــة مكسورة ولام فى الآخر ــ وهى مدينة واقعــة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة ، والعرض آثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال آبن حوقل : وهى أقدم أبنية العِراق ، وإليها ينسب إقليم بابل لقِدَمها ، وكانت ملوك الكَنْعَانِيِّينَ

(1) لعل الصواب "ثم للعراق قواعد ومدن" .

وغيرهم يقيمون بها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبها آثار أبنية أحْسَبها أن تكون فى قديم الأيام مصرا عظيما، ويقال إنها من بناء الضحَّاك : أحد ملوك الفرس الذى ملك الأقاليم السبعة . قال : وفيها أُلْقِىَ إبراهيم الخليل عليه السلام فى النار، وقد أخبر الله تعالىٰ فى كتابه العزيز أن بهما هَارُوتَ ومَارُوتَ المَلَكَيْن اللذين يعلمان النَّاسَ السِّحر، ويقال إنهما بها فى بِئْرٍ وإن البئر ظاهرة بها إلىٰ الآن . قال صاحب حماة : وهى اليوم مدينة خراب، وقد صار فى موضعها قرية صغيرة .

القاعدة الثانية

(المَدَائن)

جمع مدينة وضبطُها معروف . قال فى "تقويم البُلْدان" : وٱسمها بالفارسية طَيْسَفُونُ ـ بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح السين المهملة وضم الفاء وبعدها واو ونون ـ ثم قال : وكل ذلك سماعا وقد تبدل الفاء باء . وهى واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى علىٰ دجلة من شرقيها تحت بغداد علىٰ مرحلة منها . قال فى "العزيزىّ" : والمدائن فى جنوبىّ بغداد، وكان بالمدينة الكبرىٰ منها إيوانُ كِسْرىٰ فى شرقىّ دجلة ٱرتفاعه ثمانون ذراعا . ونقل فى "تقويم البُلْدان" عن بعض الثقات فى سَعَته من ركنه إلىٰ ركنه خمسة وتسعون ذراعا . وكانت هى قاعدة ملوك الفرس ، فلما وُلِد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ٱنشق هذا الإيوان ثم خرب هو وسائر المدائن فى الإسلام .

القـاعدة الثـالثة

(بَغْـــدَاذ)

قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وفى آخرها ذال معجمة . وموقعها فى آخر الإقليم الثـالث . قال فى " القانون" : حيث الطول سبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان" : وسميت بغداذ بهـذا الآسم لأن كسرىٰ أُهْدِى إليـه خصِى من المشرق فأقطعه بغداذ ، وكان له صنم يعبده بالمشرق يقال له البَغْ فقال ذلك الخصى بغ داذ يعنى أعطانى الصنمُ ، وكان عبد الله بن المبـارك يكره أن يقال لهـا بغداذ بالذال المعجمة فى آخرها ، فإن بغ شيطان وداذ عطية فمعناه عطية الشيطان وهو شرك . قال : وإنما يقال بغداد بالدالين المهملتين . وقد قال بعضهم : إن بغ بالفارسية البُستان وداذ بإهمال الأولىٰ وإعجام الثانية آسم رجل ومعناه بستان داذ، ويقال فيها أيضا بَغْدان بإبدال الدال الأخيرة نونا، ومَغْدان بابدال الباء الأولىٰ ميما . وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادى السَّلام . وبغداذ علىٰ جانبى دجلة من الشرق والغرب، والجانب الغربىّ منها يسمَّى الكَرْخَ ، وبه كان سكنىٰ أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العبـاس ، والجانب الشرقىّ منها بناه المهدىّ بن المنصور المقدّم ذكره وسكنه بعسكره فسمى عَسْكر المهدى ، ثم بنىٰ فيه الرشيدُ بن المهدى قصرا سماه الرُّصَافَةَ فأطلق علىٰ الجانب كله الرُّصَافَةَ ، ويسمَّى جانب الطاق أيضا نسـبة إلىٰ رأس الطاق ، وهو موضـع السوق الأعظم منهـا . وبهـذا الجانب مَحَلَّةٌ تسمَّى (الحَرِيمَ) يعنى حريم دار الخلافة . قال فى "المشترك" : بفتح الحـاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفى آخره ميم . قال : وهى قريب من ثلث الجانب الشرقىّ ،وعليه سور آبتداؤه من دجلة وآنتهاؤه إليها أيضا

كهيئة الهلال أو كنصف دائرة، وله أبواب أولها باب الغَرَبة، وهو علىٰ دجلة، ثم يليه باب سوق التمر، وهو باب شاهق ولكنه أُغلق فى خلافة الناصر لدين الله، ثم آستمر غَلْقه، ثم باب البَدْرِيَّة، ثم باب النوبى. وفيه العَتَبة التى كانت تقبلها الملوك والرُّسُل، ثم باب العامّة، ويقال له أيضا باب عَمُّورِيَّة. ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنظرة التى تنحر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميتَىْ سهم.

وبهذا الحريم محالٌّ وأسواق ودُور كثيرة للرعيَّة وهو كأكبر مدينة تكون. قال: وبين دُور الرعيَّة التى داخلَ هذا السُّور وبين دجلة سورٌ آخر، وداخل السور الثانى دُورُ الخلافة لا يدخلها شىء من دور العامّة. قال فى "مسالك الأبصار": وبين الجانبين جِسْران منصوبان علىٰ دجلة شرقا بغرب علىٰ سُفُن وزوارقَ أوقفت فى الماء ومدّت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقال، وفوقها الخشب الممدود، وعليها التراب يمُرُّ عليها أهل كل جانب إلىٰ الآخر بالحمر والجمال والحمول؛ وعلىٰ ضَفَّتَىْ دجلة قُصُور الخلافة والمدارسُ والأبنيةُ العليـة بالشبابيك والطاقات المطلة علىٰ دجلة، وبناؤها بالآجُرّ.

ومن بيوتها ماهو مفروش بالآجُرّ أيضا ملصق بالقِير وهو الزِّفْتُ، ولهم الصنائع العجيبة فى التزويق بالآجُرّ؛ وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخَوَانق والرُّبُط والبيمارستانات والصدقاتِ الجارية ووجوه المَعُونة. وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقرَّ ملوك الأرض. ومنها قلائد الأعناق، وترابها لمَىٰ القُبَل وإثمِدُ الأحداق.

قال فى "مسالك الأبصار": قال الحكيم نظام الدين بن الطيارى: وأوقافها جارية فى مجاريها، لم تعترضها أيدى العُدْوان فى دولة هُولاكُو ولا فيما بعدها، بل

كل وقف مستمرٌ بيد متوليه، ومَن له الولاية عليه، وإنما نقصت الأوقاف من سوء وُلاة أمورها لا من سواها . وبها البساتين المونّقة، والحدائق المحدّقه؛ وبها تَمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتّمر، وبها أنواع الرّياحين والخَضْراوات والغِلال؛ وسعرها متوسط فى الغالب لا يكاد يَرْخُص . قال المقرّ الشهابىّ بن فضل الله : سألت الصدر مجدَ الدين بن الدورىّ عن السبب فى قلة الغِلال ببلاد العراق مع آمتداد سَوَادها، فقال : قلة الزرع مع ما آستهلكه القتل زمن هولاكو وحيزه(١) للعراق وما جاوره من البلاد .

قلت : وبغداد وإن كانت أمَّ الممالك ودار الخلافة، فقد أغفل ملوك التتر الالتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تِبْريز والسُّلْطانية وصيروهما قاعدتين لهذه المملكة على ما سيأتى ذكره فى الكلام على إقليم أَذْرَبِيجَانَ فيما بعد إن شاء الله تعالى

القاعدة الرابعة

(سُرَّمَنْ رأى)

من السرور والرؤية، ثم خففها الناس فقالوا سَامَرَّا . قال فى "اللباب" : بفتح السين المهملة وسكون الألف وفتح الميم وفى آخرها راء مهملة مشدّدة — وهى مدينة واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى " القانون " حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال فى " العزيزىّ " : وهى على شاطئ الدجلة من الشرق . قال آبن سعيد : بناها المُعْتَصِمُ، وأضاف إليها الواثقُ المدينةَ الهارونيّة، والمتوكلُ المدينة الجعفريّةَ فعظم قدرها . قال فى "اللباب" : ثم خربت عن قريب من عمارتها . قال فى "العزيزىّ" : ولم يبق فيها عامر سوى مقدار يسير كالقَرْية .

---

(١) بمعنى حوزه وامتلاكه ، لغة نقلها الفيومى فى مصباحه .

وأما المُدُن التى بالعراق :

(فمنها) هِيتُ . قال فى "المشترك" : بكسر الهاء وسكون المثناة تحتُ وتاء مثناة من فوق فى الآخر - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى من حدود العِراق . قال ٱبن سعيد : وإليها ينتهى حدّ الجزيرة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى علىٰ شمالىّ الفرات ، ووَهِم فى "العزيزى" فجعلها غربىّ الفرات . قال فى "المشترك" : وهى من أعمال بغداذ . قال فى "اللباب" : وهى فوق الأنبار. قال صاحب "التهذيب" : وسُمِّيت هيت لكونها فى هُوَة من الأرض . قال فى "اللباب" : وبها قبر عبد الله بن المبارَك رحمه الله ؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حِيرَةُ . قال فى "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة وهاء فى الآخر- وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة، والعرض ٱثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . [والحِيرة مدينة جاهلية كثيرة الأنهار، وهى عن الكُوفة علىٰ نحو فرسخ . وقال فى "العزيزى" : مدينة قديمة علىٰ ثلاثة أميال من الكوفة ؛ وكانت منازلَ آل النُّعمان بن المنذر، وبها تنصر المنذر بن ٱمرئ القيس و بنىٰ بها الكنائس العظيمة . والحِيرة علىٰ موضع يقال له النَّجَفُ ، زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصلُ به ؛ و بينهما اليوم مسافة بعيدة . قال فى "اللباب" : والحِيرة مدينة قديمة عند الكوفة، وبها الخَوَرْنق . قال فى "الترتيب" : إن تُبَّعا لما سار من اليمن إلىٰ خُرَاسان وٱنتهىٰ إلىٰ موضعها ليلا فتحير ونزل وأمر ببنائها فسميت الحيرة .

(ومنها) الأنبـار . قال فى "المشـترك" : بفتح الهـمزة وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة بعد الألف - وهى من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السـبعة . طولها تسع وسـتون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمـان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال فى "المشـترك" : والأنبار عن بغداد[1]] على عشر فراسخ منها . قال فى "المشـترك" : وهى من نواحى بغداذ على شاطئ الفُرات . قال ابن حوقل : وهى أوّل بلاد العـراق ، وبها كان مُقام السَّفّاح : أوّل خلفاء بنى العباس حتّى مات ، ويقال إن أوّل ما نقلت الكتابة العربية إلى مكة من الأنبار على ما تقدّم فى المقالة الأولى فى الكلام على الخط .

(ومنها) الكُوفَةُ . قال فى "اللباب" : بضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وهاء - وهى مدينة إسـلامية بُنِيت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واقعةٌ فى الإقليم الثالث من الأقاليم السـبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهى على ذِرَاع[2] من الفرات خارج منه جهة الجنوب والمغرب . قال فى "الترتيب" : وسميت كُوفة لاستدارتها ، أخذا من قول العرب رأيت كُوفانا إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيـل لاجتماع الناس ، أخذا من قولهم تَكَوّف الرملُ إذا ركب بعضـه بعضا . وهى واقعـة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى قدرُ نصـف بَغْدَاذ ، وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين على كرم الله وجهه حيث دُفِن ، يقصده الناس من أقطار الأرض .

(١) وقع فى الأصل سقط من الناسخ فى أثناء الكلام على الحيرة والأنبـار . وقد استوفيناه من كتاب تقويم البلدان ، وأثبتناه بين دائرتين مربعتين هكذا [ ] .

(٢) فى معجم البلدان "شعبة" وهى المراد بالذراع .

(ومنها) البَصْرَةُ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد وفتح الراء المهملتين ــ وهى مدينة إسلامية بنيت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا ، واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول أربع وستون درجة[1]، والعرض إحدى وثلاثون درجة ، وسميت بالبَصْرة أخذا من البَصْرَة ، وهى الحجارة السود ، وفى جنوبيّها وغربيّها البَرِّيَّةُ ، وليس فى بَرِّيَّتها ماء ، يزرع على المطر . قال فى "المشترك" : وبالبصرة مَحَلَّةٌ يقال لها المِرْبَدُ ــ بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح البـاء الموحدة ثم دال مهملة ــ وهى محلة عظيمة من جهة البرية كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون .

(ومنها) واسِطُ . قال السمعانىّ فى "الأنساب" : بفتح الواو وسكون الألف وكسر السين المهملة وطاء فى الآخر ــ وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : سميت واسط لتوسطها بين مُدُن العراق إذ منها إلى البَصْرَة خمسون فرسخا ، ومنها إلى الكُوفة خمسون فرسخا ، ومنها إلى الأهواز خمسون فرسخا ، ومنها إلى بغداذ خمسون فرسخا . وهى نصفان على جانبى دجلة بينهما جَسْرٌ من السُّفُن كما تقدّم فى بغداذ . قال فى "المشترك" : وهى من بناء الحجّاج اختطها بين الكوفة والبصرة فى سنة أربع وسبعين من الهجرة ، وفرغ منها فى سنة ست وسبعين .

(ومنها) حُلْوانُ . قال فى "المشترك" : بضم الحاء المهملة وسكون اللام . قال فى "اللباب" ثم ألف وواو ونون ــ وهى مدينة من أوّل الإقليم الرابع . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض أربع وثلاثون

(١) فى تقويم البلدان ومعجم البلدان : أربع وسبعون .

درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى آخر مُدُن العراق، ومنها يُصْعَد إلىٰ الجبال، وقيل هى من الجبـال ، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبـل غيرها . قال ٱبن حوقل : وبها شجر النخل والتين الموصوف، وأكثر ثمارها التين، والثلج يسقط على جبلها دائمـا، وهو منها علىٰ مرحلة، وبينها وبين بغداذ خمس مراحل .

(ومنها) الحِلَّة . قال فى "المشترك" : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام — وهى واقعة فى الإقليم الثـالث . قال فى "تقويم البُلْدان" حيث الطول ثمـان وستون درجة ، والعرض ٱثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ياقوت الحموىّ : وتعرف بحِلَّة بنى مَزْيَد . وأوّل من ٱختط بها المنازل وعَمَرَها سيفُ الدوله صدقةُ بن دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الأسدىّ فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وكان موضعها قبل ذلك يسمّى بالجامعين .

(ومنها) النَّهْرَوَانُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح النون وسكون الهـاء وضم الراء المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون . وهى مدينة فى آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة علىٰ ضفَّتَىْ نهر . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ٱبن حوقل : النَّهْروان ٱسم للمدينة والنهرِ الذى يشقها ،وهى مدينة صغيرة علىٰ أربعة فراسخ من بغداذ. قال فى "اللبـاب" : ولهـا عدّة [نوَاحٍ] خرب أكثرها . وقال السمعانى فى "الأنساب" : هى علىٰ أربعة فراسخ من دجلة، والنَّهْرُوان هـذه هى التى ٱنحاز إليها الخوارج عند فراقهم لعلىّ بعـد وقعة صِفِّينَ علىٰ ما تقدّم ذكره فى الكلام على النِّحَلِ والمِلَلِ فى المقالة الأولىٰ .

(ومنها) الأُبُلَة . قال فى "تقويم البُلْدان": بضم الهمزة والبـاء الموحدة وتشديد اللام وهاء فى الآخر — وهى مدينة فى فُوَّهتها نهر طوله اربعة فراسخ بينها وبين البصرة

علىٰ جانبيه قصور و بساتين ومُدُن علىٰ خط واحد كأنها بُستان واحد ، وهو أحد متنزّهات الدنيا .

(ومنها) القادِسيَّة — بفتح القاف ثم ألف ودال مهملة مكسورة و ياء مثناة من تحت ثم هاء . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثمانٍ وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض إحدىٰ وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه ، وهى علىٰ حَافَةِ البادية وحَافَةِ سَوَاد العراق ، البادية من جهة الغرب والسواد من جهة الشرق . قال فى " المشترك " : و بينها و بين الكُوفة خمسة عشر فرسخا فى طريق الحاج . قال فى " تقويم البُلْدان " : وسميت القادسية لنزول أهل قادس بها ، وقادِسُ قرية بمَرْو الرُّوذ ؛ وعليها كانت الوقعة المعروفة بوقعة القادِسيَّة .

(ومنها) عَبَّادَانُ — بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة ثم دال مهملة بين ألفين وفى آخرها نون — وهى بلدة من آخر العراق من الإقليم الثالث . قال فى "الزيج" : حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض إحدىٰ وثلاثون درجة . قال ابن سعيد . وعَبَّادَانُ علىٰ بحر فارس ، وهو محيط بها لا يبقىٰ منها فى البر إلا القليل ، وعندها مَصَبُّ دِجْلَةَ فى جنوبىّ عَبَّادَانَ وشرقيها ، وهى عن البصرة علىٰ مرحلة ونصف ، وفى جنوبيها وشرقيها علاماتٌ للمراكب ببحر فارس لا تتجاوزها المراكب ، وهى خُشُبٌ منصوبة حيث يكون البَحْر عند الجَزْر فى بعض البحر . قال فى " العزيزىّ " : فى طريق العراق من الغرب القادسيةُ وهِيتُ ، ومن الشرق حُلْوَانُ ، ومن الشَّمال سُرَّ مَنْ رَأىٰ ، ومن الجنوب الأُبُلَّةُ .

الإقليم الثـالث
(خُوزُسْتَانُ والأهْوَاز)

بضم الخاء وسكون الواو وضم الزاى المعجمة وسكون الســين المهملة وفتح التاء المثناة فوقُ وألف ثم نون . قال فى "المشترك" : ويقال لها أيضا الخُوزُ بضم الخاء المعجمة ثم واو وزاى معجمة . قال : وخُوزُسْـتانُ إقليم واسع بين البصرة وفارس يشـتمل علىٰ مُدُن كثيرة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والذى يُحيط به من الغرب رُسْـتاقُ واسطَ ودُور الراسـبِيّ ، ومن جهة الجَنُوب من عَبَّادان علىٰ البحر إلىٰ مَهْرُوبانَ ، إلىٰ الدَّوْرَق ، إلىٰ حدود فارس ؛ ومن الجهة الشرقية التى إلىٰ جهة الجنوب حدودُ فارس ؛ ومن الجهة الشرقيــة التى إلىٰ جهة الشَّمال حدود أصــفَهان وبلاد الجبل ، ومن جهة الشَّمال حدودُ الصَّيْمَر ، والكرجة ، وجبال اللُّور ، وبلاد الجَبَل إلىٰ أصفَهان . قال : وخُوزُسـتان فى مستوٍ من الأرض ليس بها جبال ، وهى كثيرة المياه الجارية ، وتجتمع مياهه وتعرُض وتتصل ببحر فارس عند حصن مَهْدِىٍّ .

وقاعدتها علىٰ ماذكره صاحب حماةَ فى "تاريخه" (تُسْتَر) . قال فى "اللباب" : بضم المثناة من فوق وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وفى آخرها راء مهملة ، والعامة تسميها شُسْتر بإبدال التاء الأولىٰ شينا — وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعَرْض إحدىٰ وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وجعلها فى "تقويم البُلْدان" من الأهواز ، ولها نهر معروف بها ؛ بنىٰ فيه سابور : أحد ملوك الفرس بناء عظيما حتّى آرتفع المـاء إلىٰ المدينة ، علىٰ مرتفع من الأرض ؛ ويقال إنه ليس علىٰ وجه الأرض مدينة أقدمُ منها . قال فى "اللباب" : وبها قبر البَرَاء بن مالك الصحابىّ رضى الله عنه .

وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" : بخوزستان عدّة مُدُن .

(منها) السُّوسُ . قال فى "المشترك" : بضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية . قال أبو الرَّيْحان : وهى بالفارسية معجمة . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض آثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى بلدة قديمة ، قال : وبها قبردانيَال النبىّ عليه السلام . قال فى "تقويم البُلْدان" : ولها بساتين وفيها تُرُنْجٌ كالأصابع .

(ومنها) الطِّيبُ . قال فى "المشترك" : بكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفى آخرها باء موحدة ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى بلدة بين واسِطَ و بين الأَهْواز . ثم قال : وفيها عجائبُ ولم يذكر ما هى ؛ وإلى الطِّيب هذه ينسبُ الطِّيبِىُّ صاحبُ الحواشى على "كَشَّاف الزمخشرىّ" .

(ومنها) جُبَّى[1] . قال فى "المشترك" : بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وياء آخر الحروف فى الآخر - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم العُرْفية . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى كثيرة النخل . قال : وإليها ينسب أبو علىّ الجُبَّائى[2] المعتزلىّ .

(ومنها) مَهْرُوبَانُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء المهملة وسكون الواو ثم باء موحدة وألف ونون . وعدّها آبن حوقل وآبن

(١) فى معجم البلدان "بالضم ثم التشديد والقصر" .

(٢) أى على غير قياس والقياس جُبِّىّ .

سعيد من فارس؛ وهى مدينة من فَارِسَ صغيرة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ست وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة . وهى فرضة أَرْجَانَ وما والاها . قال فى " العزيزى " : وهى على البحر .

(ومنها) أَرْجَانُ . قال فى " اللباب " : بفتح الألف وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وفى آخرها نون بعد الألف . وقال ابن الجواليقىّ فى المُعَرَّب من العجمية للعربية : إنها بتشديد الراء . وقال ابن حوقل : هى من آخر فارس من جهة خُوزُستان . وقال فى " العزيزى " : هى أوّل مُدُن فارس ـ وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير، وبها النخل والزيتون بكثرة، بَرِّيَّةٌ بحرية، سُهْلِيَّة جَبَلِيَّة، على مرحلة من البحر. قال فى " العزيزى " : وهى مدينة جليلة لها كورة وأعمال نفيسة؛ وإليها ينسب القاضى الأَرَّجانِىّ الأديب الشاعر .

***

وأما الأهواز . فقال فى " اللباب " : هى بفتح الألف وسكون الهاء وفى آخرها زاى معجمة . وهى كورة من كُوَر خُوزُستان المقدّم ذكرها كما ذكره فى " تقويم البُلْدان " وإن كان قد ذكر فى أوّل الكلام على إقليم فارس أن خُوزُستان هى الأهواز إلا أنها غلب ذكرها فصارت كالإقليم المنفرد بذاته .

ولها عدّة مُدُن تعرف بها .

(منها) سُوق الأهواز ـ وهى مدينتها، فقد قال فى " المشترك " : وسوق الأهواز هى مدينة الأهواز، وذكر مثله فى " العزيزى " . قال فى " المشترك " : وقد خرب أكثرها . قال فى " العزيزى " : ومنها إلى أصفَهان ثمانون فرسخا .

(ومنها) قُرْقُوبُ . قال فى " اللباب " : بضم القافين وبينهما راء مهملة ثم واو وفى الآخر باء — وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث ، قال فى " القانون " حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعَرْض ثلاث وثلاثون درجة . وهى مدينة مشهورة . قال فى " اللباب " قريبة من الطِّيبِ قال فى " العزيزى " وبينهما سبعة فراسخ ومنها إلىٰ مدينة السُّوس عشرة فراسخ .

(ومنها) جُنْدَىْ سَابُورَ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس دقائق ، والعرض إحدىٰ وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى مدينة خِصْبَةٌ كثيرة الخير . قال ابن حوقل : وبها نخيل وزروع كثيرة ومياه . قال فى " العزيزى " : منها إلىٰ تُسْتَر ثمانية فراسخ، ومنها إلى السُّوس ستة فراسخ .

(ومنها) عَسْكَرُ مُكْرَمٍ . قال فى "اللباب" : بفتح العين وسكون السين المهملتين وفتح الكاف وفى آخرها راء مهملة . قال فى " تقويم البلدان " : عن الثقات أن مكرم بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة ثم ميم — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ست وسبعون درجة وثمان دقائق ، والعرض إحدىٰ وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى " العزيزى " : وهى مدينة مُحْدَثة ، وكانت قرية ينزلها مكرم بن الفُزر أحد بنى جَعْونة بعسكر كان قد أنفذه به الحجاج لمحاربة خُرْداذ بن بارس، فأقام بها مدّة وابتنىٰ بها البنايات فسميت عَسْكَرَ مُكْرَم . قال : وليس بالأهواز مدينة محدَثة سواها ، وبها عقارب صغار مشهورة بالقتل .

(ومنهـا) رَامَهُرْمُز . قال فى "اللباب" : بفتح الراء المهملة والميم وضم الهـاء وسكون الراء المهملة وضم الميم الثانية وفى آخرها زاى معجمة ـ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى كُورة من كُوَر الأهواز . قال ويقال إن سَلْمان الفارسىّ رضى الله عنه منهـا . قال المهلّبىّ : وبينها وبين سُوق الأهواز تسعة عشر فرسخا .

(ومنهـا) الدَّوْرَقُ . قال فى "المشترك" : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وفى آخرها قاف ـ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة . قال فى "العزيزى" : ومنها إلى أَرَّجَانَ ثمـانيةَ عشرَ فرسخا .

(ومنهـا) حِصْنُ مَهْدِىٍّ . وضبطه معروف ، وموقعه فى الإقليم الثـالث . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقـة ، والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهو حِصْن تجتمع فيه مياه خُوزُستان ثم تصير نهرا وتصب فى بحر فارس ، وبينه وبين البصرة خمسةَ عشرَ فرسخا .

(ومنها) جُرْخَانُ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وخاء معجمة ثم ألف ونون . قال : وهى بلدة بقرب السُّوس .

(ومنها) جِبَال اللُّور . قال فى "اللبـاب" : بضم اللام وسكون الواو وفى آخرها راء مهملة . قال : وبها جبال يقال لهـا لُورُستان من بلاد خُوزُستان . وقال ابن حوقل : غالبُ بلاد اللُّور جبال وكانت قديمـا من خُوزُسـتان . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلاد خِصْبَةٌ والغالب عليها الجبال ، وهى متصلة بخوزستان ولكن

أُفردت عنها . قال فى "الأطوال" : وهى بين تُسْتَر وأصْبَهَان، وآمتدادها طولا نحو ستة أيام، وفيها خَلْق عظيم من الأكراد . قال : وهى حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض آثنتان وثلاثون درجة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم طائفة كثيرة العدد ومنهم فِرَق مفرَّقة فى البلاد، وفيهم مُلْك وإمارة، ولهم خِفَّة فى الحركات يقف الرجل منهم إلىٰ جانب البناء المرتفع ويُلْصِق بطنه باحدىٰ زواياه القائمة ثم يصعد فيه إلىٰ أن يرتقى صَهْوته العُلْيا .

ومما يحكىٰ أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حضره رجل منهم وصَعِد فى جدار كذلك، فأنعم عليه الإنعـامَ الجزيلَ وأمره أن يُحْضِر كل من قدر عليه من أصحابه فأحضر منهم جماعة، وهو يُحْسِن إليهـم إلىٰ أن لم يبقَ منهم أحدٌ فقتلهم عن آخرهم خشـيةً ممـا لهم من قوة التسور؛ ومن هؤلاء طوائف بمصر والشأم يُعْرَفون بالنَّوَرَة، يجالس أحدهم الرجل فيَسْرِق ماله وهو لا يدرى، ويمشون علىٰ الحبال المرتفعة ولنسائهم فى ركوب الخيل الفُرُوسيةُ العظيمة .

الإقليم الرابـــع

(فارس)

بفاء مفتوحة بعـدها ألف ثم راء مهملة مكسورة وسين مهملة فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط ببلاد فارس من جهة الغرب حدَودُ خُوزُسْتَانَ، وتمام الحدّ الغربى إلىٰ جهة الشَّمال حدودُ أصْفَهَان والجبال؛ ويحيط بها من جهة الجنوب بحر فارس، ومن جهة الشرق حدود كَرْمَانَ، ومن جهة الشَّمال المَفَازة التى بين فارس وخُرَاسان، وتمـام الحدّ الشَّمالىّ حدود أصْفَهَان وبلاد الجبال؛ قال فى "العزيزى" : وعلىٰ نهاية فارس الشرقية ناحية يَزْد، وعلىٰ نهايتها من الجنوب سِيرَاف والبحر، وحدُّها

من الشمال الرّيّ . قال ٱبن حوقل : وقاعدتها فيما ذكره صاحب حماة فى تاريخه : (شيراز) . قال فى "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفى آخرها زاى معجمـة بعـد الألف ـ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعَرْض ثمان وعشرون درجة وست وثلاثون دقيقة . قال ٱبن حوقل : وهى مدينةٌ إسلامية مُحْدَثة ، بناها محمد بن القاسم بن أبى عقيل الثّقفىّ[1] ، وهو ٱبن عم الحجاج بن يوسف . قال : وسميت بشيراز تشبيها بجوف الأسد لأن عامّة المِيرة بتلك النواحى تُحْمَل إلى شيراز ولا يحمل منهـا شىء إلى غيرها . قال المهلّبى : وهى مدينة واسـعة سرية كثيرة المياه ، وشربهم من عيون تخترق البلد وتجرى فى دُورهم ، وليس تكاد تخلو دار بها من بُستان حسن ومياه تجرى ، وأسواقها عامرة جليلة ، وإليها ينسب الشيخ أبو إسحاق الشـيرازىّ صاحب "التنبيه" رحمه الله ، وبهـا قبر سيبويه النحوىّ ، وبينها وبين أصبهان ٱثنان وسبعون فرسخا ، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنهـا) جُورُ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم ثم واو وراء مهملة ـ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ٱبن سعيد حيث الطول ثمـان وسبعون درجة ، والعَرْض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" . وهى من قواعد فارس . قال ٱبن حوقل : وعليها سور من طين وخنـدقٌ ، ولهـا أربعة أبواب وفيها المياه جارية ـ وهى مدينة نَزِهَةٌ كثيرة البساتين جدًّا ويرتفع منها ماء ورد يعُمُّ البلاد ، وهى فى ذلك كدمَشْقَ . قال "العزيزىّ" : ومنهـا إلى شيرازَ أربعة وعشرون فرسخا ، وقال فى موضع آخر عشرون فرسخا .

(١) كذا فى التقويم أيضا وفى معجم البلدان ٱبن عقيل .

(ومنها) كَازَرُونُ . قال فى "اللباب" : بفتح الكاف وسكون الألف وفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة وواو ساكنة وفى آخرها نون — وهى مدينة من كُورة سابورَ واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى أعظم مدينة فى كُورة سابورَ . وقال المهلّبىّ : هى مدينة لطيفة صالحة العمارة . قال ابن حوقل : وهى صحيحة التُّربة والهواء وماؤها من الآبار. قال فى "اللباب" : وخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) فَيْرُوزَاباذ . قال فى "المشترك" : بفتح الفاء وكسرها وسكون المثناة من تحت وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وزاى معجمة ثم ألف وباء موحدة وألف ثانية وذال(1) — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال فى "المشترك" : وكانت تسمّى فى القديم جُور ثم غُيِّرَ اسمها ، وهى بلدة مشهورة على القرب من شيرازَ ، وهى أصل بلد الشيخ أبى إسحاق الشيرازىّ المقدّم ذكره فى شيراز .

(ومنها) سِيرَافُ . قال فى "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفاء فى الآخر — وهى بلدة على البحر واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى أعظم فُرْضَةٍ لفارس ، وليس لها زرع ولا ضرع بل هى مدينة حَطّ وإقلاع للمراكب ؛ وهى مدينة آهلة ، ولهم عناية بالبُنْيان حتّى إن الرجل من التجار ينفق فى عمارة داره ثلاثين ألف

(1) أى معجمة كما فى التقويم والمعجم .

دينار، وليس حولها بساتينُ ولا أشجــار، وبناؤهم بالساج والخشب . يحمل اليهم من بلاد الزِّنْج؛ وهى شديدة الحرّ .

(ومنهــا) البَيْضَاء ــ بفتح الموحدة وسكون اليـاء المثناة من تحت وفتح الضاد المعجمة وألف فى الآخر . وهى مدينــة من عمل إِصْطَخْرَ واقعــةٌ فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : حيث الطول ثمــان وسبعون درجة وأربعون دقيقــة، والعرض ثلاثون درجة . قال ٱبن حوقل : وهى من أكبر مُدُن كورة إِصْطَخْرَ . قال : وسميت البيضاء لأن لهـا قلعة بيضاء ترىٰ من بُعْد، وٱسمها بالفارسية نشانك، ويقال إن الحسين الحَلَّاج منها، وإليها ينسب القاضى ناصر الدين البيضاوى صاحب "المنهـاج" فى أصول الفقه، و"الطوالع" فى علم الكلام وغير ذلك . قال المهلبىّ : وبينها وبين شِيرَازَ ثمــانية فراسخ .

(ومنهــا) إصْطَخْرُ . قال فى "اللباب" : بكسر الألف وسكون الصــاد وفتح الطاء المهــملتين وفى آخرها راء مهملة قبلها خاء معجمة ــ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم الســبعة . قال ٱبن ســعيد حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وٱثنتان وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان": وهى من أقدم مُدُن فارس، وبها كان سرير المُلْك فى القديم؛ وبها آثار عظيمة من الأبنِيَة حتّى يقال إنها من عمل الجنّ كما يقال عن تَدْمُرَ وبَعْلَبَكَّ مــن بلاد الشام . قال فى "العزيزىّ" : وبينها وبين شيرازَ ٱثنــا عشر فرسخا . قال [وينسب اليها][1] أبو سعيد الإصطخرىّ أحد أصحابنا الشافعية .

(ومنهــا) بَسَا . قال فى "اللباب": بفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف ــ وهى مدينة من كورة دَارَا بجِرْد واقعة فى الإقليم الثالث مــن الأقاليم السبعة . قال

(١) الزائد مأخوذ بالمعنىٰ من "معجم البلدان" .

فى " الأطوال " حيث الطول ثمان وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة . قال ٱبن حوقل : وهى تقارب شيراز فى الكِبَر وأكثر خشب أبنيتها السَّرْو، ويجتمع فيها الثَّلْج (؟) والرُّطَبُ والجوز والأُتْرُجُّ، وإليها ينسب البَسَاسيرىّ الذى خطب لخلفاء مصر فى بغداد .

(ومنها) يَزْد . قال السمعانىّ فى "الأنساب" : بفتح المثناة التحتية وسكون الزاى المعجمة وفى آخرها دال مهملة ــ وهى مدينة من كورة إصْطَخْرَ . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض ٱثنتان وثلاثون درجة . خرج منها جماعة من العلماء وإليها ينسب القُمَاش اليَزْدِىّ .

ومنها ــ (دَارَا بْجِرْد) . قال فى "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون الألفين بينهما راء ثم باء موحدة وجيم مكسورة وراء مهملة ساكنة وفى آخرها دال مهملة ــ وهى مدينة من فارس واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى " القانون " حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض ٱثنتان وثلاثون درجة . قال ٱبن حوقل : ومعنى دارابجرد عَمَل دارا، وهى مدينة لها سور وخَنْدَقٌ تتولد المياه فيه، وفيه حشيش يلتف على السابح فيه حتى لا يكاد يسلم من الغَرَق، وفى وسط المدينة جبلٌ كالقُبَّة ليس له ٱتصال بشىء من الجبال، وبنواحيها جبال من المِلْح الأبيض والأسود والأصفر والأحمر والأخضر، ينحت منه ويحمل منها إلى البلاد . قال فى "المشترك" : وعملها من أجَلّ كُوَر فارس . قال فى " العزيزىّ " : وبأعمالها معدن مُومِيَا ومعدن زئبق .

الإقلـــيم الخـامس
(كَرْمانَ)

كما قاله فى "مسالك الأبصـار" : قال فى "المشترك" : بفتح الكاف، ومنهم من يكسرها . قال : وهو صُقْع كبير بين فارس وسِجِسْتَانَ ومَكْرَانَ من بلاد الهند . ويحيط به من جهة الغرب حدود فارس، ومن جهة الجنوب بحر فارس، ومن جهة الشرق أرض مكْران من وراء البَلُوص إلىٰ البحر، ومن الشمال المَفَازة التى هى فيما بين فارس وكَرْمانَ و بين خُرَاسان . قال فى "تقويم البُـلْدان" : وأرض كَرْمَانَ داخلة فى البحّر، وللبحر ساعدان قد اعتنقا أرض كرمان ، فالبحر علىٰ ساحل كَرْمَانَ قطعة قوس من دائرة . وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة فى "تاريخه" السِّيرَجان . قال فى "اللبـاب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها والراء المهـملة وفتح الجيم و بعـد الألف نون ـ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السـبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة، والعَرْض آثنتان وثلاثون درجة . قال آبن حوقل : وهى أكبر مدينة بكَرْمَانَ، وأبنيتها أقباءٌ لقلة الخشب بها وداخلها قُنِيّ الماء . قال فى "اللباب" : وهى ممـا يلى فارس .

وتشتمل كرمان علىٰ عدّة مُدُن .

(منهـا) جِيْرُفْتُ[1] . قال فى "اللباب" : بكسر الجيم وسكون المثناة تحتُ وضم الراء المهملة وسكون الفاء وفى آخرها تاء مثناة من فوق ـ وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وثمانون درجة، والعرض آثنتان وثلاثون درجة . قال آبن حوقل : وهى مدينة مجمع للتجار الواصلين من خُرَاسَانَ وسِجِسْتَانَ،

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء .

وهى حَصِينة للغاية . قال المهلبىّ : وهى من أعظم مدينة بكِرْمان كثيرةُ النخل والأُتْرُجّ وبينها وبين السِّيرجان مرحلتان .

(ومنها) زَرَنْدُ . قال فى "المشترك" : بفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وسكون النون وفى آخرها دال مهملة ـ وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة مشهورة . قال "المهلّبىّ" : وبينها وبين مدينة السيرجان تسعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) بَمُّ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وتشديد الميم ـ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "العزيزىّ" : وهى من كبار مُدُن كِرْمَانَ ، وهى مصر من الأمصار . قال ابن حوقل : وهى أكبر من جيرُفْتَ ، وبها ثلاثة جوامع .

(ومنها) هُرْمُزُ . قال فى "المشترك" : بضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم وفى آخرها زاى معجمة ـ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى فُرضة كِرْمَانَ . قال فى "المشترك" : تدخل إليها المراكب من بحر الهند فى خليج . قال صاحب حماة : وهى مدينة كثيرة النخل شديدة الحرّ . ثم قال : أخبرنى من رآها فى زماننا يعنى فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون أن هُرْمُزَ العتيقة خربت من غارات التَّتَر وأن أهلها انتقلوا عنها إلى جزيرة فى البحر تسمّى زَرُونَ ـ بفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة ثم واو وفى الآخر نون ـ وهى جزيرة قريبة من البر غربىّ هُرْمُزَ العتيقة ،

ولم يبق بهرمز العتيقة إلا قليـــل من أطراف الناس ؛ ومنها إلىٰ أول حدود فارس نحو سبع مراحل .

قلت : وفى سنة ثلاثَ عشرةَ وثمانمائة كُتِب إلىٰ صاحبها عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية فى الدولة الناصرية أبى السعادات فرج بن السلطان الشهيد الظاهر برقوق، وسيأتى الكلام علىٰ صورة المكاتبة إليه فى المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالىٰ .

الإقلـــــيم السادس
(سِجِسْتان والرُّخَّج)

أما سِجِسْتَانُ فقال فى " المشــترك " : بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون السين الثانية ثم مثناة من فوقها وألف ونون . قال : وسِجِسْتَانُ إقليم عظيم بين خُرَاسَانَ وبين مُكْرَانَ والسند وبين كَرْمَانَ . قال ابن حوقل : ويحيط بسِجِسْتَانَ من جهة الغرب خُراسان، ومن جهة الجنوب المفازة التى بين سجستان وفارس وكَرْمَانَ، ومن جهة الشرق مَفَازة بين سجستان وبين مُكْران، وهى المفازة الواصـلة بين مُكْران والهند، وتمام الحدّ الشرقىّ فى شيء من عمل المُلْتان من الهند[1]، ومن جهــة الشَّمال أرض الهند، وفيما يلى خراســان والغُور والهند تقويس . وقال فى " العزيزى " : سجســتان شرقىّ كَرْمَانَ إلىٰ الشمال . قال ابن حوقل : وأراضى سِجِســتان بها الرمال والنخيل، وهى أرض سَهْلة لا يُرىٰ فيها جبل، وتشتدّ بها الريح وتدوم، وبها أرحية تطحن بالريح ، والرياحُ تنقل رمالهم من مكان إلىٰ مكان ، وإذا أرادوا نقل الرمل عن مكانٍ، عملوا هنــاك حائطا من خشب أو غيره وجعلوا فى أســفله طوقا وأبوابا

---

(١) فى "تقويم البلدان" والسند وهو الصواب بدليل ماسيأتى .

فتدخل فيهـا الريح من تلك الأبواب وتطيِّر الرمل وترميه بعيدا ؛ وسجستان خِصْبَةٌ كثيرة الطعام والتمر والأعناب وأهلها ظاهرو اليسار . وقال فى "اللباب" : والنسبة إلىٰ سجستان سِجْزِىٌّ بكسر السين المهملة وسكون الجيم ثم زاى معجمة علىٰ غير قياس . قال : وينسب إليها سِجِسْتَانِىّ أيضا يعنى علىٰ الأصل .

وقاعدتها (زَرَنْجُ) . قال فى "اللباب": بفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وسكون النون وجيم فى الآخر ــ وهى مدينة كبيرة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول سبع وثمـانون درجة، والعرض ٱثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقـة . قال ٱبن حوقل : وقد يطلق علىٰ زَرَنْجَ نفسها سِجِسْتَانُ . قال فى " المشترك " : بل أُنْسِى ٱسم زرنج وأطلق ٱسم الإقليم وهو سجسـتان علىٰ المدينة . وجعل فى"اللباب" : زَرَنْج ناحية بسجستان . قال ٱبن حوقل : ولهـا سُورٌ وخَنْدَقٌ يَنْبُعُ فيه المـاء، وأبنيتها عقود لأن الخشب فيها يُسَوِّس ولا يثْبُت . وفيها مياه تجرى فى البيوت والأزِقَّة وأرضها سـبخة . قال فى " اللباب " : وخرج منها جماعة من العلماء منهم محمد بن كَرَّام الزَّرَنْجِىّ صاحب المذهب المشهور .

ولهـا مُدُن .

(منها) حِصْن الطاق ــ وضبطه معروف . قال ٱبن سعيد : وهو حصن واقع فى الإقليم الثالث من الأقاليم السـبعة . قال فى " القـانون " حيث الطول ثمـان وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، علىٰ جبل عنـد ٱلتواء النهر فى غاية المَنَعَة لا يرام بحِصـار . قال وبه يعتصم ملوك هـذه البلاد ويجعلون فيه خزائنهم . أما الطاقُ المضاف إليها فمدينة صغيرة لهـا رُسْـتاق، وبها أعناب كثيرة يتسع بها أهل سِجِستان .

(ومنها) سَرْوَانُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : قال بعض الثِّقَاتِ ـ بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الواو ثم ألف ونون ـ وهى مدينة من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة صغيرة بها فواكه كثيرة ونخيل وأعناب .

(ومنها) بُسْتُ . قال فى "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفى آخرها تاء مثناة من فوقها ـ وهى مدينة على شط نهر الهِنْدَمَنْد . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وثمان وثلاثون دقيقة ، والعرضُ اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة خِصْبَةٌ كثيرة النخل والأعناب . وقال فى "اللباب" : هى مدينة حَسَنة كثيرة المياه والخُضْرة . وقال فى "العزيزىّ" : مدينة جليلة بها عدّة منابر ورِبَاطات كثيرة عظيمة . وذكر فى "اللباب" : أنها من بلاد كابُل بين هراةَ وغَزْنة . قال ابن حوقل : وبينها وبين غَزْنة نحو أربعَ عشرةَ مرحلة .

وأما (الرُّخَّج) فقال فى "اللباب" : بضم الراء المهملة وفتح الخاء المعجمة المشدّدة وفى آخرها جيم . قال ابن حوقل : وهو إقليم عظيم متصل بسِجِسْتان فيه عدّة مُدُن وهى على غاية الخِصْبِ والسَّعَة . قال : ومن مدنها بنجوان (؟) ولم يزد على ذلك .

الجانب الثانى

(من مملكة إيران الشّمالىّ)

ويشتمل على عدّة أقاليم من الأقاليم العرفية .

الإقلـــيم الأوّل
(إرْمينِيَــةُ)

قال ياقوت : بكسر الهـمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون اليـاء آخر الحروف وكسر النون ثم ياء ثانية مخففة وقد تشدّد ـ وضـبطها فى " اللبـاب " : بفتح الهمزة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وقد جمع أرباب المسالك والممالك إرمينية وأرّان وأَذْرَبِيجَـانَ لعُسْر إفراد إحداها عن الأخرىٰ . قال : ويحيط بهـا علىٰ سبيل الإجمال من الغرب حدودُ بلاد الروم وشيء من حدود الجزيرة؛ ومن جهة الجَنُوب بعض حدود الجزيرة وحدود العِراق؛ومن جهة الشرق بلاد الجِيل والدَّيلم ، إلىٰ بحر الخَزَر؛ومن جهة الشمال بلاد القَبْتَق؛ثم أفرد أذْرَبِيجان بحدود تخصها فقال : يحدّها من جهة الشرق بلاد الجيل وتمام الحدّ الشرقىّ بلاد الدَّيْلَم؛ويحدّها من جهة الجنوب العراقُ عند ظهر حُلْوان وشيء من حدود الجزيرة . وذكر فى " مســالك الأبصار " نحوه إلا أنه ذكر أن حدّها الغربىّ إلىٰ بلاد الأرمن . قال آبن حوقل : والغـالب علىٰ إرمينية الجبال .

وقاعدتها (الدَّبِيل) فيما ذكره آبن حوقل والمهلَّبى . قال فى " المشترك " : وهى بفتح الدال المهـملة وكسر الباء الموحدة ثم مثناة من تحتها ساكنة وفى آخرها لام ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول آثنتان وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال آبن حوقل : وهى مدينـة كبيرة والنصارىٰ فيها كثيرة ، وبهـا جامع للسلمين إلىٰ جانب كنيســة النصارىٰ . قال فى "العزيزى" : وهى من أجَلِّ البلاد وأنفَسِها وهى مستقَرُّ سلطانها .

وبها عدّة مدن .

(منها) أَرْزَنْجَانُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الجيم ثم ألف ونون، ويقال بالكاف أيضا عوضا عن الجيم - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثلاث وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى بين سيواس وبين أَرْزَن الروم؛ وبينها وبين كل واحدة منهما أربعون فرسخا ، وما بينها وبين أَرْزَن كلّه مروج ومرعًى، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) أَرْزَنُ . قال فى "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى المعجمة ثم نون فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من أطراف إرمينية - وموقعها فى الإقليم الخامس[1] من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى غير أَرْزَن الروم، وهى عن خِلَاط على ثلاثة أيام . قال : ووَهِم فى "اللباب" فجعلها من ديار بكر من الجزيرة ، والصحيح ما تقدّم . وصاحبها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ما سيأتى ذكره فى الكلام على المكاتَبات فى المقالة الثانية فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(ومنها) بِدْلِيسُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر الباء الموحدة ثم دال مهملة ساكنة ولام وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة . قال : وعن بعضهم أنها بفتح الباء الموحدة - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة

(١) الذى فى "تقويم البلدان" أنها من آخر الرابع .

وخمس وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البُلْدان" : وعن بعض أهل تلك البلاد أنها بين ميّا فَارِقِينَ وبين خِلَاط . قال : وهي مدينــة مسوّرة ـ وقد خرب نصف سورها ؛ والمياه تخترق المدينة من عيون في ظاهرها ؛ ولهــا بساتين في وادٍ وهي بين جبال تَحُفُّ بها . قال وهي دون حمــاة في القدر . وقال آبن حوقل : بلد صــغير عامر خِصْبٌ كثير الخير ؛ وهي شــديدة البرد كثيرة الثُّلوج ، وصاحبها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانيــة بالديار المصرية علىٰ ما ســيأتي ذكره في الكلام علىٰ المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالىٰ .

(ومنها) أَخْلَاطُ . قال في "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام ثم ألف وطاء مهــملة ، ويقال فيها خَلَاطُ[1] بفتح الخــاء من غير همــز ـ وموقعها في الإقليم الخــامس . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وســتون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البُلْدان" : عن بعض أهلها إنها في مستو من الأرض ، ولها بساتين كثيرة ، وبها عِدّة أنهــار علىٰ شِبْه أنهار دِمَشْقَ ، وليس يدخل المدينة منها إلا الشيء اليسير ، ولها سور خراب ، وهي قدرُ دِمَشْقَ ، والجبال عنها علىٰ أكثرَ من مسيرة يوم ، وبردها شديد . قال آبن سعيد : وهي أجل مدينة بإرمينية ، وذكرها جليل الشهرة . وقال آبن حوقل : وهي بلدة صغيرة عامرة كثيرة الخير . قال في "العزيزي" : وبينها وبين بَدْلِيس سبعة فراسخ .

(ومنها) خِرْت بِرْت ـ بكسر الخــاء المعجمة وسكون الراء وتاء مثناة فوق ثم باء موحدة مكســورة بعدها راء مهملة ساكنة وتاء مثنــاة فوق في الآخر ، وتعرف

(١) ضبطها ياقوت بالكسر .

بحِصْن زِيَاد . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلدة بإرمينية على القرب من خِلَاط، وحاكمها يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الإقلـــيم الثـانى
(أَذربيجان)

قال آبن الجواليقىّ فى "المعرّب من العُجْمة إلى العربية" بقصر الألف وإسكان الذال المعجمة . قال آبن حوقل : الغالب عليها الجبال أيضا . قال فى "مسالك الأبصـار" : وهى أجلّ الأقاليم الثـلاثة ، وهى كانت قَرارَ ملوك بنى جنكزخان . وبها ثلاث قواعد .

القـاعدة الأولى
(أَرْدُبِيـــلُ)

قال فى "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون الراء وضمّ[1] الدال المهملتين وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت ولام فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمسون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال فى "اللباب" : لعله بناها أردبيل بن أردمينى بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال فى "العزيزىّ" : وهى فى الجهـة الشمالية من أذْرَبيجان . قال : وهى مدينة كثيرة الخِصْب، وعلى فرسخين منها جبل عظيم الآرتفاع لايفارقه الثلج . قال المهلّبىّ : وأهلها غليظو الطبع شَرِسُو الأخلاق . قال : وبينها وبين تبريز خمســة وعشرون فرسخا . قال فى "مسالك الأبصار" : وأعمالها تكون ثلاثين فرسخا . قال : وبها كانت دار الإمارة فى صدر الإسلام .

---

(١) كذا فى التقويم أيضا وضبطه ياقوت بفتح الدال وهو المشهور .

القاعدة الثانيــــة
(تِــبْرِيزُ)

قال فى "اللباب": بكسر المثناة من فوقُ وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم مثناة من تحتُ وفى آخرها زاى معجمة . والجارى على ألسنة العامّة توريز بالواو بدل الموحدة — وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى قاعدة أذربيجان فى عصرنا . قال فى "اللباب" : وهى أشهر بلدة بأَذْربيجانَ ؛ وبها كان كرسىّ بيت هُولَاكو من التتر ، ثم انتقل بعد ذلك إلى السُّلْطانية الآتى ذكرها . ومبانيها بالقاشانىّ والجِصّ والكِلْس ، وبها مدارس حسنة ولها غُوطة رائقة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة أَعْرقت فى السعادة أنسابُها ، وثبتت فى النِّعْمة قواعدها . قال : وهى مدينة غير كبيرة المقدار ، والماء منساق إليها ؛ وبها أنواع الفواكه لكن ليست بغاية الكثرة ، وأهلها من أكبر النــاس حِشْمه ، وأكثرهم تظاهرا بنِعْمه ، ولهم الأموال المَديدة ، والنعم الوافرة ، والنفوس الأبيَّة ؛ ولهم التجمل فى زِيِّهم : من المأكول والمشروب ، والملبوس والمركوب ؛ وما منهم إلا من يأنَفُ أن يذكُر الدرهمَ فى معاملته ، بل لا معاملة بينهم إلا بالدينار . وسيأتى ذكر مقدار دينارهم فى الكلام على معاملة هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى — وهى اليوم أمّ إيران جميعا لتوجُّه المقاصد من كل جهة إليها ، وبها مَحَطُّ رحال التُّجّار والسُّفَّار ، وبها دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحبين لسلطانها لقربها من أرْجان محلِّ مَشْتاهم . قال : ويشتدّ البرد بتوريز كثيرا ، وتتوالى الثلوج بها حتّى إن سَرَوَات أهلها يحتدون فى آدُرِهم ، ليس فيها فرجة ولا يدخلها ضوء إلا ما يَرَوْنه من طاقات حيطانها من وراء الزجاج المركب عليها .

القاعدة الثالثـــة
(السُّـلطانيّة)

نسبة إلىٰ السلطان ، وآسمها قُنغُرْلان . قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطولُ ست وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال : وهى عن توريز فى سمت المشرق بمَيْلة يسيرة إلىٰ الجنوب علىٰ مسيرة ثمانية أيام منها ـ وهى مدينة مُحْدَثة ، بناها خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، علىٰ القرب من جبال كيلان ، علىٰ مسيرة يوم منها ، وجعلها كرسىّ مملكته ، وهى فى مستو من الأرض ، ومياهها قُنِىّ ، قليلة البساتين والفواكه ، وإنما تجلب إليها الفواكه من البلاد المُصاقِبة لها . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة قد رُفِع بناؤها ، وآتسع فِنَاؤها ، وأُتْقِنت قسمتها فى الخطط والأسواق ، وجَلَبَ إليها بانيها الناسَ من أقطار مملكته ، وآستجلبهم إليها بما بسط لسُكّانها من العدل والإحسان . قال : وهى الآن عامرة آهلة كأنما مر عليها مئون سنين لكثرة من آستوطنها وتأهّل بها وأولد من الولد فيها ، وقد مضتْ عليها مدّة بنوها مَبَالغ الرجال[1] ، وفيهم من جاز إلىٰ الاكتهال .

وبها عدّةُ مدُن غير هذه القواعد .

(منها) سَلَمَاس . قال فى "اللباب" : بفتح السين المهملة واللام والميم وفى آخرها سين مهملة ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال المهلّبىّ : وهى علىٰ آخر حدود أذربيجان من الغرب ، وهى مصرٌ من الأمصار جليل والمتاجر بها وإليها متصلة .

---

(١) لعله "حتى بلغ بنوها" أو نحو ذلك .

(ومنها) خُوَيّ . قال فى "اللبـاب" : بضم الخاء وفتح الواو وتشـديد المثناة من تحت ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول تسع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى " اللباب " : وهى آخر مُدُن أذْرَبيجان، و بينها و بين سَلَمَاس أحد وعشرون ميلا .

(ومنها) أُرْمِيَة . قال فى " اللبـاب " : بضم الألف وسكون الراء المهملة والميم فى آخرها هاء بعد ياء مثناة من تحتهـا . قال ابن الجواليقىّ فى " المعرّب " : و يجوز فى قياس العربية تخفيف الياء منها وتشديدها ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال المهلّبىّ : وهى آخر حدود أذربيجان، وهى مدينة جليلة . قال : و يقال إن زَرَادشت نبىّ المجوس منها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة وُسْطَى عامرة ،وهى فى أوّل الجبال وآخر الوطاة[1]، فى الغربب عن سَلَمَاس على ستة عشر فرسخا منها ، و بينها و بين الموصل قاعدة الجزيرة أربعون فرسخا، والموصل فى سمت الغَرْب عنها ، ولأُرْمِيَة قلعة على جبل تسمّى قلعة تلا فى غاية الحَصَانة ، كان هولاكو قد جعل أمواله فيها لحصانتها والنسبة إلى أُرْمِيَة أُرْمَوِىّ .

(ومنها) مَرَاغَة . قال فى "المشترك" : بفتح الميم والراء المهملة وألف وغين معجمة وهاء ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال المهلّبىّ : وهى مدينة مُحْدَثة كانت قرية ، فنزل بها مَرْوَان بن محمد وكان

(١) الذى فى " تقويم البلدان " وهى فى آخر الجبال وأوّل الوطاة التى خلف جبال العجم .

هنالك سِرْجِينٌ فمرّغ الناسُ فيه دوابهم فبناها مدينة فسميت مراغة . قال ابن حوقل : وهى من قواعد أذربيجان، وهى حصينة، (١) نزهة كثيرة البساتين والرساتيق .

(ومنها) مَيَانِجُ . قال فى "المشترك": بفتح الميم والمثناة من تحتها وسكون الألف وكسر النون وفى آخرها جيم ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى "القانون" حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال فى " المشـترك " : وهى مدينة كبيرة على مسيرة يومين من مَرَاغةَ . وسمـاها فى " اللباب " : مَيَانه بفتح الميم والمثناة من تحتها وألف ونون وهاء . وقال : خرج منها جماعةٌ من العلماء .

(ومنها) مَرَنْدُ . قال فى "اللباب": بفتح الميم والراء المهملة وسكون النون وفى آخرها دال مهملة ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال فى "اللباب" : وهى قرية من تِبْرِيزَ فى جهة الشرق عنها بميـلة يسـيرة إلى الشَّمال . وقال المهلبىّ : هى عن تَدْمر على أربعة عشر فرسخا . قال فى " تقويم البُلْدان " : وذكر مَنْ رءاها أنها بلدة صغيرة ذاتُ أنهار وأشجار .

الإقلـــيم الثـالث

(أرّان)

قال فى " المشترك " : بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة ثم ألف ونون . ولها قاعدتان .

---

(١) فى " تقويم البلدان " عن ابن حوقل " خصبة " .

القاعدة الأولىٰ

(بَرْدَعَة)

قال فى " اللباب " : بفتح البـاء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم عين مهملة وهاء فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الخـامس من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ثلاث وسـبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى قاعدة مَمْلَكة أرّان . وقال فى " اللباب " : هى من أقاصى أذْرَبيجان . قال آبن حوقل : وهى مدينة كبيرة كثيرة الخِصْب نَزِهة . قال : وعلىٰ أقل من فرسخ منها موضع [يسمّى الأندراب يكون][1] مسيرة يوم فى يوم بساتينُ مشتبكة كلها فواكه . قال المؤيد صاحب حماة : هذا ما كانت عليه فى زمان آبن حوقل ، أما فى زماننا فأخبرنى من رءاها أنها خَرِبت ولم يبق منها معمور إلا دون المَعَرَّة فى القدر ، وهى فى مستوٍ من الأرض ، ذاتُ بساتين ومياه ، وهى علىٰ القرب من نهر الكُرّ .

القـاعدة الثانيـة

(تَفْلِيس)

قال فى " اللبـاب " : بفتح المثناة فوق وسكون الفاء وكسر اللام وسكون المثناة التحتية وفى آخرها سين مهملة ـ وموقعها فى آخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون" : وهى قَصَبة كرجستان . وقال فى " اللباب " : هى آخر بلدة من أذْرَبيجـان . قال آبن حوقل : وهى مدينـة مسوّرة عليها سُوران ، ولهـا ثلاثة أبواب ، وبها حَمّـامات مثـل حَمّامات طَبَرِيّة ماؤها ينبُعُ سخنا بغير نار ، وهى كثيرة

(١) الزيادة عن " تقويم البلدان " .

الخِصْب . قال آبن سعيد : وكان المسلمون قد فتحوها وسكنوها مدّة طويلة ، وخرج منها جماعة من العلماء ، ثم آسترجعها الكُرْج وهم نصارىٰ ، وهي بأيدى الكُرْج إلىٰ الآن ، وملك الكُرْج صاحبها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ المكاتبات فى المقالة الرابعة فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

وبها عِدّة مدن .

(منها) نَشْوىٰ . قال السمعانىّ فى " الأنساب " : بفتح النون والشين المعجمة وفى آخرها واو ثم ياء آخر الحروف[1] . وسماها آبن سعيد نَقْجَوَان ـ بفتح النون وسكون القاف وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطولُ إحدىٰ وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال آبن سعيد : وهى من المدن المذكورة فى شرقىّ أرّان . " قال السمعانىّ " : وهى بلدة متصلة بإرمينية وأذْرَبيجان . قال آبن سعيد : وهى فى شمالىّ نهر الكُرِّ . قال فى " الأنساب " : وبينها وبين تِبْريز ستة فراسخ . قال آبن سعيد : وقد خَرَّبها التتر وقتلوا جميع أهلها .

(ومنها) مُوقَان . قال فى " اللباب " : بضم الميم وسكون الواو وفتح القاف وسكون الألف وفى آخرها نون . والعامّة تُبْدل القاف غينا معجمة فيقولون مُوغان . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال السمعانىّ : وهى بدَرْبَنْد فيما أظن ، وقال المهلَّبىّ : هى من عمل أرْدُبيل . وقال المهلبىّ : مُوقَانُ فى نهاية بلاد كِيلَانَ فى جهة الغرب . قال آبن حوقل : وبينها وبين باب الأبواب يومان . قال فى "تقويم البُلْدان" : لم يبق لمدينة مُوقَان فى هذا الزمان شهرة بل المشهور أراضى مُوقَان . وهى أراضٍ كثيرةُ المياه والأقصاب والمَرَاعى

(١) أى فى الرسم وإلا فهى مقصورة .

فى ساحل بحر طَبَرِسْتَانَ على القرب من البحر، وهى فى سَمْت الشَّمال والغرب، عن تِبْرِيز على نحو عشر مراحل منها، وبها يشتى أُرْدو التتر فى غالب السنين .

(ومنها) شَمْكُورُ . قال فى "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وضم الكاف وسكون الواو وفى آخرها راء مهملة – وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهو حصن من أعمال أرّان . قال فى " تقويم البُلْدان " : وشَمْكُورُ بقُرْب بَرْذَعة، وبها منارة فى غاية الآرتفاع والشُّهوق .

(ومنها) البَيْلَقَان . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت وفتح اللام والقاف ثم ألف ونون . قال فى " القانون " حيث الطول أربع وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى عند شَرْوان . قال : ولعلها بناها بَيْلَقَان بن أرمينى بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال فى "اللباب" : وهى مدينة من دَرْبَنْدِ خَزْران . قال فى " المشترك " : وهى من مشاهير البُلْدان . قال ٱبن حوقل : وهى كثيرة الخَيْر .

(ومنها) كَنْجَة . قال فى " تقويم البُلْدان" : بفتح الكاف وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء ساكنة – وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطولُ أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وعشر دقائق . قال فى " المشترك " : وهى من مشاهير بلاد أرّان . قال المؤيد صاحب حماة : وأخبرنى مَنْ أقام هناك أنها على مرحلتين من بَرْذَعَةَ، وبردعة عنها فى جهة الغرب بمَيْلة يسيرة إلى الشمال، وهى قصبة تلك الناحية، وهى فى مستو من الأرض وفيها بساتين كثيرة، وبها التين الكثير. وقد شهر أن من أكل من ذلك التين حُمّ

(ومنهـا) شَرْوان . قال فى "اللبـاب" : بفتح الشـين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الواو ثم ألف ونون فى الآخر ـ وهى واقعـة فى الإقليم الخـامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سـعيد حيث الطول ثمان وستونـ درجة وست وخمسون دقيقـة ، والعرض إحدىٰ وأربعون درجة وثلاث وأربعون دقيقة . قال فى "اللبـاب" : بناها أنو شَرْوان فأسـقطوا أنو للتخفيف وبقى شَرْوان . قال ابن سعيد : وهى من أرّان ، وكانت قاعدةً لبلادها، ثم صارت مملكتها مضافة إلىٰ أذْرَبيجان . قال : وبشَرْوانَ الدَّرْبَنْد المشهور. قال السلطان عمـاد الدين صاحب حماة : وهو المعروف فى زماننا بدَرْبَنْد باب الحديد . قال ابن الأثير: وقد خرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) باب الأبواب . قال فى "تقويم البُلْدان" : بإضافة الباب المفرد الذى يُدْخَل منه إلىٰ جمعه . قال فى "القانون": ويعرف باب الأبواب بدَرْبَنْد خَزْران . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويعرف هذا المكان فى زماننا بباب الحديد بإضافة الذى يغلق إلىٰ الذى يتطرق. قال ابن حوقل : وهى علىٰ بحر طَبَرِسْتَانَ، وتكون فى القدر أصغر من أرْدُبِيل . قال : ولهم الزرع الكثير وثمـار قليلة تحمل إليهم من النواحى . قال : وهى فُرْضَـة الخَزَر والسَّرير وسائر بلاد الكفر، وهى أيضـا فُرْضَـة جُرْجان والدَّيْلَم وطَبَرِسْتَانَ، ويجلب إليهـا الرقيق من سائر الأجناس . قال فى "تقويم البلدان": وهذه الصفات التى ذكرها ابن حوقل علىٰ ما كانت فى زمانه ، أمّا اليوم فعن بعض المسافرين أن باب الحديد بُلَيدة هى بالقُرىٰ أشـبه ، علىٰ بحر الخَزَر وهى كالحدّ بين التتر الشماليين المعروفين ببيت بَركة وبين التتر الجنوبيين المعروفين ببيت هُولاكُو، وبهـا حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالىٰ .

الإقلـــيم الرابع
(بلاد الجَبَـــل)

بفتح الجيم والباء الموحدة ولام فى الآخر، وصاحب "مسالك الأبصار" يسميها بلاد الجبال على الجمع، والعامة تسميها عِرَاق العجم . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط بها من جهة الغرب أذْرَبيجان، ومن جهة الجنوب شىء من بلاد العراق وخُوزُسْتان، ومن جهة الشرق مفازة خُرَاسان وفارس، ومن جهة الشَّمال بلاد الدَّيْلَم وقَزْوين والرَّى عنـد من يخرجهما عن بلاد الجبل و يضمهما إلى الدَّيْلَم من حيث إن جبال الديلم تَحُفُّ بهما .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة فى "تاريخه" (أصْبَهَان) . قال فى "اللباب": بكسر الألف وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وألف ثم نون فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وقد تبدل البـاء فاء . قال السمعانى : وسمعتُ من بعضهم أنها تسمَّى بالعجمية سباهان . قال وسبا العسكر، وهان الجمع، وذلك أن عسـاكر الأكاسرة كانوا إذا وقع لهم بيكار يجتمعون بها فعربت فقيـل أصفَهَان ـ وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطولُ سبع وسبعون درجة وخمسون دقيقة . والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقـة . قال ابن حوقل : وهى فى نهاية الجبال من جهة الجنوب . قال : وهى مدينتان وإحداهمـا تعرف باليهوديَّة، وهى من أخصب البلاد وأوسعها خِطَّة، وبها معدن الكُحْل الذى لايسامى، مصاقبا لفارس، وإلى أصْبَهَان ينسب الليث بن سعد الإمامُ الكبير .

قلت : وقد تقدّم فى الكلام على أعمال الديار المصرية من أول هذه المقالة عند ذكر الأعمـال القليوبية أنه ينسب إلى بلدتنا قَلْقَشَنْدَة أيضا وأنه كان له دار بهـا،

فيحتمل أنه كان أوّلا بأصبهان، ثم لما رحل عنها إلىٰ مصر نزل قَلْقَشَنْدَة فنسب إليها علىٰ عادة من ينتقل من بلد إلىٰ آخر .

ولها عدّة مدن .

(منها) إِرْبِلُ . قال فى "المشـترك" : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة ولام فى الآخر . قال فى "تقويم البلدان" : وهى قاعدة بلاد شَهْرَزُور، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال ابن سـعيد حيث الطولُ سـبعون درجةً وعشرون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهى مدينة مُحْدَثة . قال فى "المشترك" : بين الزّابَيْن، فيما بين المشرق والجنوب عن المَوْصِل، علىٰ مسيرة يومين خفيفين . قال فى "تقويم البُلْدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة كبيرة قد خَرِب غالبُها، ولها قلعة علىٰ تلٍّ عالٍ داخل السور مع جانب المدينة فى مستوٍ من الأرض، والجبال منها علىٰ أكثر من مسيرة يوم، ولها قُنِيٌّ تدخل منها اثنتان إلىٰ المدينة لجامع ودار السلطان؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) شَهْرُزُور . قال فى "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضم الراء[1] المهملة والزاى المعجمة وسكون الواو وفى الآخر راء مهملة — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى بلدة بين المَوْصِل وبين هَمَـذَانَ بناها زُورُ بن الضَّحَّاك فقيل شهر زور، يعنى مدينة شهر[2] . قال ابن حوقل : وهى مدينة صغيرة . قال فى "العزيزى" : وهى خِصْبة كثيرة المتاجر فى عُزْلَةٍ إلا أن فى أهلها غِلْظَةً وجفاء . قال : وبينها وبين المَرَاغة ست مراحل .

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء وهو المشهور. (٢) فى تقويم البلدان "مدينة زور" وهو الصواب .

(ومنها) الدِّينَوَرُ . قال فى "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون المثناة من تحت،وفتح النون والواو ثم راء مهملة فى الآخر- وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطولُ ست وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى غربىّ هَمَذان بميلة إلى الشَّمال، وهى مدينة كثيرة المياهِ والمنازهِ كثيرةُ الثمار خِصْبة . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين المَوْصِل أربعون فرسخا، وبينها وبين مراغة كذلك .

(ومنها) مَاسَبَذَانُ - بفتح الميم وبعد الألف سين مهملة وباء موحدة وذال معجمة بفتح الجميع وبعد الألف نون. وهى مدينة من سِيرَوَانَ - بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وواو وألف ونون . كورة من كُوَرِ عراق العجم . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وهى مدينة قديمة بين جبال وشِعَاب . قال : وهى فى ذلك تشبه مكة شرفها الله تعالى وعَظَّمَها ، وفيها عيون ماء تجرى فى وسطها . قال ابن خِلِّكانَ : وكان المهدىّ العباسىّ يسكنها وبها مات ودفن .

(ومنها) قصر شِيرِين - بإضافة قصر إلى شِيرِين - بكسر الشين المعجمة ثم ياء آخر الحروف وراء مهملة ثم ياء ثانية بعدها ونون فى الآخر- وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهو قصر شِيرِينَ حَظِيَّة كسرى أبْرَويز . وقال الإدريسىّ : شِيرِين امرأة كسرى . قال : وبهذا الموضع آثارٌ لملوك الفُرْس عجيبة، ومنه إلى شَهْرَزور عشرون فرسخا، ومنه إلى حُلْوان من بلاد العراق خمسة فراسخ .

(ومنها) الصَّيْمَرَةُ . قال فى "المشترك" : بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الميم والراء المهملة وهاء فى الآخر- وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "القانون" :

حيث الطول إحدى وسبعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال آبن حوقل : وهي مدينة صغيرة نَزِهة ذات زروع وأشجار، والمياه تجرى فى دُورها ومحالِّهـا . قال أحمد بن يعقوب : وهى فى مَرْج أفْيَح ، فيه عيون وأنهار .

(ومنهـا) قِرْمِيسِينُ ، قال فى " اللبـاب " : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون المثناة من تحتها وكسر السين المهملة ومثناة تحتية ثانية ونون فى الآخر . قال فى " تقويم البُلْدان " : ووجدناها فى كثير من الكتب بإبدال اليـاء الأولى ألفا . قال فى "اللباب": وهى مدينة بجبال العراق ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسـبعون درجه ، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى " اللباب " : ويقال لهـ كِرْمانشاه . قال فى "العزيزى" : وهى من أجلّ مُدُن الجبل وأعظمها خطرا ، وهى عامرة غاصَّة بالناس . قال : وينبت بها الزعفران .

(ومنها) سُهْرَوَرْدُ . قال فى " اللباب " : بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الراء الثانية وفى آخرها دال مهملة . قال فى " تقويم البُلْدان " : كذا ضـبطها ولم يذكر الراء الأولى ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال آبن حوقل : وهى مدينة صغيرة ، والغالب عليها الأكراد .

(ومنهـا) زَنْجانُ . قال فى " اللبـاب " : بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الجيم وألف ونون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسـبعون درجة وأربعون دقيقـة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقـة . قال آبن حوقل : وهى أقصى مُدُن الجبال

فى الشمال . قال فى " اللبـاب " : وهى على حدّ أذْرَبيجان من بلاد الجبل، ينسب إليها جماعةٌ من أهل العلم .

(ومنها) نُهَاوَنْدُ[1] . قال فى " اللباب " : بضم النون وفتح الهـاء وسكون الألف وفتح الواو وسكون النون وبعدها دال مهـملة ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرضَ أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ٱبن حوقل : وهى مدينة على جبل، ولهـا أنهار وبساتينُ، وهى كثيرة الفواكه، وفواكهها تحمل إلى العراق لجودتها . قال فى " اللباب " : ويقال إنها من بناء نوح عليه السـلام ، وإنه كان ٱسمها نوح أو ند، فأبدلوا الحاء هاء .

(ومنها) هَمَذَانُ . قال فى " الأنساب " : بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وبعد الألف نون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ٱبن حوقل : وهى وسط بلاد الجبال، ومنها إلى حُلْوَانَ : أوّل بلاد العراق سبعةٌ وستون فرسخا . قال : وهى مدينة كبيرة ، ولهـا أربعة أبواب، ولهـا مياه وبساتين وزروع كثيرة . قال فى " الأنساب " : وهى على طريق الحاجّ والقوافل .

(ومنها) أَبْهَرُ . قال فى " المشترك " : بفتح الهـمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء ثم راء مهملة ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول أربع وسـبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى " المشترك " : وهى مدينة بين قَزْوين وزَنْجان . قال ٱبن خرداذبه : ومنها إلى زَنْجان خمسة عشر فرسخا .

(١) قال ياقوت : "بفتح النون الأولى وتكسر" .

(ومنها) سَاوَة . قال فى "اللباب" : بفتح السين المهملة وبعــدها ألف ثم واو وهاء ــ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال "المهلّبىّ" : وهى مدينة جليلة علىٰ جادّة حُجّاج خُرَاسَانَ، وبها الأسواق الحسنة، وبها المنازل الحسنة .

(ومنها) قَزْوِينُ . قال فى "اللباب" : بفتح القاف وسكون الزاى المعجمة وكسر الواو وسكون المثناة من تحت وفى آخرهــا نون ــ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "القــانون" و"رسم المعــمور" حيث الطول خمس وســبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة لهــا حِصْن وماؤها من السماء والآبار، ولهــا قَنَاة صغيرة للشرب فقط . وهى مدينة حصينة، وبها أشجار وكروم كلُّها عِذْىٌ لاتسقىٰ، وليس بها ماء جار سوىٰ مايشرب ويجرى إلىٰ المسجد . قال ابن حوقل : وماء قناتها وَبِىء .

(ومنها) آبَة . قال فى "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الألف ثم باء موحدة وهاء ــ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال : والعامّة تسميها آوة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وســبعون درجة وعشر دقائق، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال المهلّبىّ : وهى مدينة فى الشرق بانحراف إلىٰ الشّمال عن هَمَذَان، وبينهما سبعة وعشرون فرسخا . قال فى "المشترك" : وبينها وبين ساوة خمسة أميــال .

(ومنها) قُمُّ . قال فى "اللباب" : بضم القاف وتشديد الميم ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم الســبعة . قال فى "رسم المعــمور" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقــة، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وكان بناؤها فى سنة ثلاث وثمانين للهجرة، بناها عبد الله بن سعد

والأحوص وإسحاق ونعيم وعبد الرحمن بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعرىّ من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند آنهزامهم من الحجّاج، وكان مكانها سبع قرى فأهلكوا أهلها وبنوها مدينة، كل قرية محلة من محلات المدينة . قال آبن حوقل : وهى مدينة غير مسوّرة حصينة البناء، وماؤها من الآبار، وبها البساتين على السوانى، وبها شجر الفستق والبندق، وأهلها شيعة . قال المهلّبىّ : وهى فى مرج تقدير سَعَته عشرة فراسخ فى مثلها ثم تفضى إلى جبالها، وبها من الفستق ماليس بغيرها .

(ومنها) الطَّالَقَان . قال فى "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال فى "اللباب" : بتسكين اللام ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "المشترك" : وهو مدينة وكُورة بين توريز وأبهر[1] . قال آبن حوقل : وهى أقرب إلى الدَّيْلَم من قَزْوين . وقد أوردها فى "كتاب الأطوال" المنسوب للفرس مع بلاد الدَّيْلَم . قال أحمد الكاتب : وهى بين جبلين عظيمين ، وهى تمس[2] الطالقان بلاد خُرَاسان .

(ومنها) قَاشَانُ . قال فى "اللباب" : بفتح القاف وسكون الألف وبالشين المعجمة وبعد الألف نون . قال : ويقال بالسين المهملة أيضا ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال المهلبىّ : وهى مدينة لطيفة . قال آبن حوقل : هى أصغر من قُمّ وغالب بنائها بالطين، وهى خِصْبَةٌ، وقد خرج منها جماعة من العلماء . قال فى "اللباب" : وأهلها شِيعَةٌ .

(١) فى تقويم البلدان، بين قزوين وأبهر .
(٢) كذا فى الأصل بالاهمال، ولعله وهى غير الطالقان ببلاد الخ .

(ومنها) الرَّىّ . قال فى "اللباب" : بفتح الراء وتشديد اليـاء آخر الحروف .
قال فى " القانون " حيث الطول ثمـانٌ وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون
درجة وخمس وثلاثون دقيقـة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة ، قدرُ عمارتها
فرسخ ونصف فى مثـله ، وفيها نهران يجريان ، وبهـا قنىّ تجرى غير ذلك . وعدّها
فى " اللباب " من الدَّيْلَم ، ويخرج منها قُطْنٌ كثير للعراق ، وبها قبر محمد بن الحسن
صاحب الإمام أبى حنيفة ، والكسائىّ أحد القرّاء السبعة ، والنسبة إليها رازىّ على
غير قياس ، وإليها ينسب الإمام فخر الدين الرازىّ الإمام المشهور .

(ومنها) الكَرَجُ . قال فى " المشترك " : بفتح الكاف والراء المهملة وفى آخرها
جيم ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول
ست وسـبعون درجة وأربعون دقيقـة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال ابن
حوقل : وهى مدينة متفرقة البناء ليس لهـا اجتماع المُدُن ، وتعرف بكَرَج أبى
دُلَف . قال فى "المشترك" : لأن أوّل من مَصَّرَهَا أبودُلَف القاسمُ بن عيسىٰ العِجْلىّ
وقصـده الشعراء . قال ابن حوقل : ولها زروع ومواشٍ ، ولكن ليس لها بساتين
ولا متنزّهات ، والفواكه تجلب إليها .

(ومنها) خُوَارُ . قال فى "المشترك" : بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو وسكون
الألف وراء مهـملة فى الآخر ــ وموقعها فى الإقليم الخـامس من الأقاليم السبعة .
قال فى " القانون " حيث الطول ثمـانٌ وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض
خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى " المشترك " : وهى مدينة من
نواحى الرَّىّ تخترقها القوافل . قال فى "القانون" : وقلّما يذكر إلا منسوبا إلى الرىّ
فيقال خُوارُ الرَّىّ .

(ومنها) جبال الأكراد . قال في "مسالك الأبصار" : والمراد بهذه الجبال الجبال الحاجزة بين ديار العرب وديار العجم ، دون أماكن مَنْ توغل من الأكراد في بلاد العجم . قال : وٱبتداؤها جبال هَمَذان وشَهْرُزُور، وٱنتهاؤها صَيَاصِي الكَفَرة من بلاد التكفور، وهي مملكة سِيس وما هو مضاف إليها مما بأيدى بيت لاون ، ثم ذكر منها عشرين مكانا في كل مكان منها طائفةٌ من الأكراد .

الأول — (دياوشت) . من جبال هَمَذان وشَهْرُزُور، وهو مُقَامُ طائفة من الأكراد ولهم أمير يخصهم .

الثاني — (درانتك) . وهو مُقَام طائفة ثانية من الكورانية أيضا ، ولهم أمير يخصّهم . قال في "مسالك الأبصار" : والطائفتان جميعا لا تزيد عدّتهم على خمسة آلاف رجل .

الثالث — دانترك ونهاوند إلى قرب شَهْرُزُور . وهي مُقَام طائفة منهم تعرف بالكلاليه . يعرفون بجماعة سيف ، عدتهم ألف رجل مقاتلة ، ولهم أمير يخصهم ، وهو يحكم على مَنْ جاورهم من الأكراد .

الرابع — مكان بجوار ديار الكلالية المقدّم ذكرهم بجبال هَمَذان . وهو مُقَام طائفة من الأكراد يقال لهم زنكلية ، وعدّتهم نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة ، ولهم أمير يخصهم ، يحكم على بلاد كيكور وما جاورها من البقاع والكُوَر .

الخامس — نواحى شَهْرزور . قال في "مسالك الأبصار" : كان يسكنها طوائفُ[1] من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لهااللوسة والأخرى يقال لها الباسرية ، رجالُ حَرْب ، وأقيالُ طعنٍ وضرب ، نزحوا عنها بعد واقعة بغداد ، ووفدوا إلى مصر والشام ، وسكن في أماكنهم قومٌ يقال لهم الحوسة ليسوا من صميم الأكراد .

---

(١) لعل هذا اللفظ زائد من الناسخ .

السادس ــ مكان بين شهرزور وبين أُشْنُه من أذَرْبيجان، به طائفة من الأكراد يقال لهم السولية، يبلغ عددهم نحو ألفى رجل، وهم ذوو شجاعة وحَمِيَّة، وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يخصّهم .

السابع ــ بلاد بسقاد ــ وهى مُقَام طائفة من الأكراد يقال لهم القرياوية وبيدهم من بلاد أزبك أماكنُ أخر، قال : وعددهم يزيد علىٰ أربعة آلاف، ولهم أمير يخصّهم .

الثامن ــ بلاد الكركار ــ وهى مُقَام طائفة منهم يقال لها الحسنانية، وهم علىٰ ثلاثة أبطن : أحدها طائفة عيسىٰ بن شهاب الدين، ولهم خفر قلعة برى والحامى، وثانيها طائفة تعرف بالتلية، وثالثها طائفة تعرف بالحاكية . وجميعهم نحو الألف رجل، ولكل طائفة منهم أمير يخصّهم .

التاسع ــ دَرْبَنْد قراير ــ وهو مُقَام الطائفة القرياوية، ولهم خفارة الدَّرْبَنْد المذكور، وصاحبه يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وقد ذكر فى "التثقيف" أن صاحبه كان سيف الدين بن سير الحسنانى .

العاشر ــ بلاد الكرخين ودقوق الناقة ــ وبه طائفة منهم عدّتهم تزيد علىٰ سبعمائة ولهم أمير يخصهم .

الحادى عشر ــ بين الجبلين، من أعمال إربل . قال فى "مسالك الأبصار": وبها قوم كانوا يُدارُون التتر وملوكَ الديار المصرية . ففى الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة، وفى الصيف يعينون سرايا الشام فى المجاملة . قال : وعددهم كعدد الكلالية، ولهم أمير يخصّهم . وذكر أنه كان لهم فى الدولة المنصورية قلاوون أميرٌ يسمّى الخضر ابن سليمان، كاتب شجاع، وأنه وفد إلىٰ الديار المصرية فاخترمته المنية قبل عوده، وكان معه أربعة أولاد فعادوا بعد موته فى الدولة الزينية كتبغا .

الثـانى عشر ـ مازنجان ، و بيروه ، وسحمة ، والبلاد البرانية ـ وهى مُقَام طائفة منهم يقال لها المـازنجانية لا تزيد عدّتهم علىٰ خمسمائة ، وهم طائفة ينتسبون إلىٰ المحمدية ، والمـازنجانيـة هم طائفة المبارزكَكْ الموجود آسمه ورسم المكاتبة إليه فى دساتير المكاتبات القديمة . وقد أضيف إليهم الحُمَيدية ، وهم طائفة من الأكراد لا تنقُص عدّتهم عن ألف مقاتل ، لأن أميرهم مبارز الدين كك ، كان من أمراء الخلافة فى الدولة العباسية ، ومن ديوان الخلافة لُقِّبَ بمبـارز الدين ، وكك آسمه . قال : وكان يَدَّعى الصلاحَ وتنـذر له النذور ، فإذا حملت إليه قبلها وأضـاف إليها مثلَها من عنده وتصدّق بهما معا . وذكر نحوه فى "التعريف" . ثم كان له فى الدولة الهُولاكُويَّة المكانةُ العلية ، وآستنابوه فى إربل وأعمالهـا ، وأقطعوه عقرشوش بكمالها وأضافوا إليه هراة وتل حفتون وقدّموه علىٰ خمسمائة فارس ، وتولّى الإمرة وقوانين(؟) نحو عشرين سنة ، و بقى حتّى جاوز التسعين وهمته همة الشُّبَّان ، ثم مات وخَلَفه ولده عز الدين ، فكان من أبيه نِعْمَ الخلفُ ، وجرىٰ علىٰ نَهْج أبيه فى ترتيب المملكة وعلت رتبتُه عند ملوك التتر وملوك الديار المصرية ، ثم خلفه أخوه نجم الدين خضر فجرىٰ علىٰ سمت أبيه وأخيه . ثم قال : وكانت ترِدُ علىٰ الأبواب السلطانيـة بمصر ونوّاب الشام كتب تتهلّل بمـاء الفصّاحة كالسُّحُب ، وتسرح من أجنابهـا الأبكار العُرُب . ثم خلفه ولده بجرىٰ علىٰ سَنَنِه وبقيت الإمارة فى بنيه . والأمير القائم منهم هو المعبر عنه فى الدساتير بصاحب عقرشوش ، وله مكاتبـة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالث عشر ـ بلاد شعلاباد إلىٰ خُفْتيان ، وما بين ذلك من الدشت والدَّرْبند الكبير ـ وهو مُقَام طائفة منهم تعرف بالشهرية معروبون باللصوصـية ، وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفا وجبالهم عاصـية ، ودَرْبندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب

الكبير . قال فى " مســالك الأبصار " : وعليه ثلاث قناطر : آثنتان منهــا بالحجر والطين ، والوسطىٰ مضفورة من الخشب كالحصير، علوّها عن وجه المــاء مائة ذراع فى الهواء ، وطولهــا بين الجبلين خمسون ذراعا فى عرض ذراعين ، تمرّ عليها الدوابُّ بأحمالها، والخيل برجالهــا . وهى ترتفع وتنخفض ؛ يخاطر المجتاز عليها بنَفْسه ؛ وهم يأخذون الخِفَارة عندها ؛ وهم أهل غَدْر وخديعة لا يستطيع المسافر مدافعتهم ؛ ولهم أمير يخصّهم ؛ ولصاحبها مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الرابع عشر ـ ماذكرد والرســتاق ، ومرت ، وجبل جنجرين المشرق علىٰ أُشْنُه من ذات اليمين ـ وهو مُقَام طائفــة منهم يقال لهم الزرزارية ، ويقال إنهم ممن تكرَّد من العجم ، ولهم عدد جَمٌّ ، يكاد يبلغ خمسة آلاف مابين أمراءَ وأغنياء وفقراء وأكَّارين وغيرهم ، وجبلهم فى غاية العلوّ والشُّهُوق فى الهواء ، شديد البرد ، بأعلاه ثلاثة أحجار طول كل حجر منها عشرةُ أشبار فى عرض دون الثلاثة ، متخذة من الحجر الأخضر الماتع ، وعلىٰ كل منها كتابة قد آضمحلت لطول السنين ، يقال إنهــا نُصِبت لمعنىٰ الإنذار والإخبار عمن أهلكه الثلج والبَرَدُ هناك فى الصــيف ؛ وهم يأخذون الخِفَارة تحته . قال فى " مسالك الأبصار " : وكان لهم أمير جامع لكلمتهم آسمه نجم الدين باشاك ، ثم تولاهم من بعده آبنُه جيدة ، ثم آبنه عبد الله . قال : وكان لهم أمراءُ آخرون منهم الحُسَام شير الصغير، وآبنه باشاك وغيرهم . قال : وينضم إلىٰ الزرزارية شرذمة قليلة تســمّى باسم قريتها بالكان نحو ثلثمائة رجل منفردين بمكان مشرف علىٰ عقبة الخان يأخذون عليها الخِفَارة ؛ ولصاحب ما ذكرد مكاتبة عن الأبواب السلطانيــة بالديار المصرية . ثم قال فى " التثقيف " : وهو حنش بن إسماعيل .

الخامس عشر ـ جولمرك ـ وهو مُقَام طائفة تسمّى الجولمركية ، وهم قوم نسبوا إلىٰ مكانهم ذلك فعرفوا به ، ويقال : إنهم طائفة من العرب من بنى اميّةَ آعتصموا

بهذه الجبال عند غَلَبة بنى العبّاس عليهم ، وأقاموا بها بين الأكراد فانخرطوا فى سِلْكهم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم الآن فى عَدَد كثير، يزيدون على ثلاثة آلاف، كان ملكهم فى أوائل دولة التتر أسد بن مكلان، ثم خلفه آبنه عماد الدين، ثم آبنه أسد الدين . وببلاده معدن الزَّرْنيخين : الأحمر والأصفر، ومنها ينقل إلى سائر الأقطار. قال : وكان قد ظهر عنده معدن لازَوَرْد فأخفاه لئلا يسمع به ملوك التتر فيطلبونه، ومَعْقِله من أمنع المعاقل، على جبل مقطوع بذاته، والزابُ الكبير مُحْدِق به، لا تحطّ للجيش عليه، ولا وصول للسهام إليه، وسطحه متسع للزراعة، وفى كل ضِلَع من أضلاعه كَهْفٌ مرتفع يأوى إليه مَنْ أراد الامتناع، وأعلاه مغمور بالثَّلج، والصعودُ إليه فى بعض الطريق يستدعى العبورَ على أوتاد مضروبة . ومَن لا يستطيع التسلقَ جُرَّ بالحبال، وكذلك بغال الطواحين . وملكهم معتَمَد عند الأكراد، وهو يأخذ الخِفَارة من جميع الطرقات من تبريز إلى خُوَىّ ونَقْجوان، وهذا هو المعبر عنه فى " التعريف " وغيره من الدساتير فى المكاتبات بصاحب جولمرك، وهو يكاتَبُ من الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

السادس عشر – بلاد مركوان . على القرب من الجولمركية، كثيرة الثلوج والأمطار، بلاد زرع وضرع – وهى متاخمة لأُرْمِيَة من بلاد أذْرَبيجان، وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدّتهم ثلاثة آلاف، وهم أحلاف للجولمركية .

السابع عشر – بلاد كواردات – وهى بلاد مجاورة لبلاد الجولمركية من جهة بلاد الروم، وهى بلاد خِصْبة، وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها لا إلى قبيلة، وعدّتهم نحو ثلاثة آلاف، ولهم أمير يخصهم .

الثامن عشر – بلاد الدِّينار – وهى بلاد تلى بلاد الجولمركية، وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم، وعددهم نحو خمسمائة، ولهم سوق وبلد،

وكان لهم أميرانْ ، أحدهما الأمير إبراهيم بن الأمير محمد ، كان له وجه عند الخلفاء ، والثانى الشهاب بن بدر الدين ، توفى أبوه وخلّفه كبيرا نخلفه فى إمرته ، وكان بينهم و بين المـازنجانية حروب .

التاسع عشر ـ بلاد العِمَادية وقلعة هارون . وهى بالقرب من بلاد الجولمركية ، وبهـا طائفة منهم يقال لهم الهَكّارية يزيد عددهم علىٰ أربعـة آلاف مقاتل ، ولهم إمارة تخصهم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم يأخذون الخِفَارة فى أماكنَ كثيرة من بخارا إلىٰ بلد الجزيرة . وصـاحب هارون يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

العشرون ـ القمرانية وكهف داود ـ وبهـا طائفة منهم يقـال لهم التنبكية . قال فى "مسالك الأبصار" : وقليلٌ ما هم لكنهم حُمَاةٌ رُمَاةٌ وطعامهم مبذول علىٰ خَصَاصة .

وتَمَّ أنه بعد أن ذكر فى "مسالك الأبصار" ما تقدّم ذكره عَقَّبَ ذلك بذكر جمـاعة من الأكراد تفرّقوا فى الأقطار بعـد آجتماع ، منهم التحتية ، وهم قوم كانوا يضاهون الحُمَيْدية كان لهم أعيان وأمراء وأكابر ، فهلك أمراؤهم ونسيت كبراؤهم ، ولم يبق منهم إلّا شرذمة قليلة تفرّقت بين القبائل والشعوب . ثم قال : وشُـعَبهم كثيرة : منهم السندية وهم أكثر شُعَبهم عددا ، وأوفرهم مَدَدا ؛ كانوا يبلغون ثلاثين ألف مقاتل . ومنهم المحمدية ، وكان لهم أمير لا يزيد جمعه علىٰ ستمائة رجل . ومنهم الراسنية ، كانوا أوفىٰ عدد وعُدَد ، وجَمْع ومَدَد ؛ ثم تشتت شملهم ، وتفرّق جمعهم ؛ وعادت عدّتهم فى بلد الموصل لا تزيد علىٰ ألف رجل ؛ وكان لهم أمير يقال له علاء الدين كورك بن إبراهيم فى بلد العَقْر ، ولا ينقص عن خمسمائة ؛ ومنهم الدنيكية ، وهم متفرّقون فى البلاد لا يزيد عددهم علىٰ ألف رجل .

قلت : وقد ذكر فى "التثقيف" عدّة أماكن من بلاد وقلاع يكاتَبُ أصحابها من الأكراد سوىٰ من تقدّم ذكره، وهى خمسة وعشرون موضعا .

إحداها ـ برجو . الثانية ـ البلهيثة . الثالثة ـ كرم ليس . الرابعة ـ اندشت . الخامسة ـ حردقيل . السادسة ـ سكراك . السابعة ـ قبليس . الثامنة ـ جرموك . التاسعة ـ شنكوس . العاشرة ـ بهرمان . الحادية عشرة ـ حصن أرّان وهو حصن الملك . الثانية عشرة ـ ..... (١) الثالثة عشرة ـ سُونج . الرابعة عشرة ـ اكريسا . الخامسة عشرة ـ يزاركرد . السادسة عشرة ـ الزّاب . السابعة عشرة ـ الزيتية . الثامنة عشرة ـ الدَّرْبَنْدات العرابلية . التاسعة عشرة ـ قلعة الجبلين . العشرون ـ سيدكان . الحادية والعشرون ـ صاحب رمادان . الثانية والعشرون ـ الشَّعْبانية . الثالثة والعشرون ـ نمرية . الرابعة والعشرون ـ المحمدية . الخامسة والعشرون ـ كزليك .

الإقليم الخامس

(بلاد الدَّيْلَم)

بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم فى الآخر . وهم جِيلٌ من الأعاجم سكَنُوا هذه البلادَ فعُرِفت بهم ، وبعض الناس يزعم أنهم من العرب من بنى ضَبَّةَ ، ومنهم كان بنو بُوَيْهِ القائمون علىٰ خُلَفَاءِ بنى العبّاس ببغداد . قال ابن حوقل : وهى جبال متسعة إلىٰ الغاية ، وبها غِيَاض ومياه مشتبكة فى الوجه الذى يقابل طَبَرِسْتَانَ والبحر ، وبين ذيل الجبل وبين البحر مسيرة يوم ، وربما نقص عن ذلك ، وربما زاد حتّى بلغ يومين .

---

(١) بياض بالأصل .

وقاعدتها (رُوذَبَار) . قال فى "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح الذال المعجمة والبـاء الموحدة ثم ألف وراء مهملة فى الآخر ــ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وسـبعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض ستٌّ وثلاثون درجة وإحدىٰ وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وبه مُقَام ملوكهم .

ومن بلادها (كَلَار) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكاف ولام وألف وفى الآخر راء ــ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "القـانون" حيث الطولْ سبع وسبعون درجة ،والعرضُ ست وثلاثون درجة . قال المهلّبىّ : وهى مدينة الديلم،وهى فى جهة الشرق والجنوب عن لَاهِجَان من بلاد كِيلَان .

الإقليم الســادس

(الجيـــلُ)

قال فى "المشـترك" : بكسر الجيم وسكون المثناة من تحت ثم لام ــ وهو اسم لصُـقْع واسع مجاورٍ لبلاد الدَّيْلَم، ليس فيه قرى كثيرة، وليس فيه مدينة عظيمة . وقال فى "اللباب" : الجِيلُ اسم لبلاد متفرقة وراء طَبَرِسْتَانَ . قال : ويقال لهـا أيضا كِيلَان وكِيل ، فلما عُرِّبت قيل جِيلَان وجِيل ، ومنها كُوشِيار الحكيم الجيلىّ فيما ذكره ياقوت، وإليها ينسب الشيخ عبد القادر الكِيلَانِى، وبالجملة فهما صُقْعان متلاصقان يعسر تمييز أحدهما عن الآخر . قال فى "مسالك الأبصار" عن الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد الجيلىّ : إن بلاد كِيلَان فى وطاة من الأرض، وإنه يحيط بها أربعة حدود ؛ من الشرق إقليم مَازَنْدَرَان، ومن الغرب مُوقَانُ، ومن الجنوب عِراق العجم، يفصل بينهما جبل يعرف باشـناده، ومن الشَّمال بحر

القُلْزُم يعني بحرَ طَبَرِسْتَانَ . قال : وطول مجموع كيلان مما بأيدى ملوكها، وهو شرق بغرب نحو عشرة أيام ، وعرضها وهو جنوب بشمال نحو ثلاثة أيام تزيد وتنقص، وهي شديدة الأمطار، كثيرة الأنهار، كثيرة الفواكه خلا النخلَ والمَوْز وقصب السُّكّر والمشمش، ويجلب إليها المحمضات من مازَنْدَران. قال : ومُدُن كيلان غير مسوّرة، ولملوكهم قصور علية، وجميع مبانيها بالآجُرّ مفروشة به أيضا كما في بغداد، مسقّفة بالخشب، و بعضها معقودة أقباءً وعليها قَشٌّ مضفور، وفى غالب ديارها آبار قريبة المستقى نحو ذراعين أو ثلاثة أو أقل ، والأنهار حاكمة على مُدُنها ، وبها حَمّامَاتٌ يجرى إليها الماء من الأنهار، وبها المساجد والمدارس وتسمّى بها الخوانق ، وغالب أقواتهم الأَرُزُّ يعمل منه الخبز والرُّقَاق مع تيسر القمح والشعير عندهم ، والبقر والغنم عندهم بكثرة، وأسعارُهم متوسطة إلى الرُّخص، وبها الحرير الكثير، ولها حصون في نواحي مازَنْدرانَ وجزائرُ في بحر طَبَرِسْتان، بها الرمان والبلوط والفواكه، وفيها تَحَصُّنُهم عند مغالبة العدو لهم، ولباسهم الأقبية الإسلامية الضَّيِّقَةُ الأكمام وتخافيف صغار على رءوسهم، و يشدّون المَنَاطق والبُنُود، وخيلهم براذين، وفي سروجهم المحلّى بالفضة وغيره، ولملوكهم زيّ جميل على ضيق بلادهم وقلة متحصّلها، و يركب الملك بالرَّقَبة السلطانية والحُجّاب والسِّلاحدارية والجمدارية والجنائب المجرورة، ويُتَّخَذ بظواهر قصور ملوكهم ميادينُ خُضْرٌ، في أوساطها قصورٌ صغار من الخشب فيها جلوسهم للخِدَم والمظالم . ولا يزال بين ملوكهم الخُلْف، فإذا قصدهم عدو خارجيٌّ عنهم تألفوا واجتمعوا عليه، حتّى إن هُولاكو جهز إليهم جيشا عِدّته سبعون ألفا صحبة نائبه قَطْلُوشاه فلم ينل منهم قصدا ، وكان آخرَ الأمر أن قُتِل قطلوشاه وهلك جُلُّ مَنْ معه . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بها ثمانَ قواعد بكل قاعدة منها مَلِكٌ، بعضهم أكبر من بعض، وموقع جميعها في الإقليم الرابع .

فأما الكبار فأربع[1] قواعد .

القـاعدة الأولىٰ

(بُومِن)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الباء الموحدة التى بين الفاء والباء الموحدة وسكون الواو وكسر الميم ثم نون فى الآخر . قال : وهى قريبة من البحر، وبها فيما يحاذيها مَعْدِن حديد، وبهـا من معمولات القماش . قال فى "مسالك الأبصار" : وصاحبها شافعىّ المذهب دون غيره من ملوك الجيل، مذهب نشأ عليه ملوكها . قال : وعسكره يزيد علىٰ ألف فارس، وبلاده قليلة ولكن غالب دخله من التُّجَّار، والحرير بها كثير . قال : وصاحبها يَدَّعِى النسـبةَ إلىٰ بيت الشرف، وله ٱعتناء بأهل العـلم والفضل؛ ولباس الملك والجند بها نوع من لباس التَّتَر، ولباس غِلْمـانها قريب من زىّ التجار، ولهم عَذَبات كالصوفية قدّامهم؛ وعامة أهلها كغيرهم ممن جاورهم .

القـاعدة الثـانية

(تُولِمُ)

قال فى " تقويم البُـلْدان " : بضم المثناة الفوقية وواو ولام وميم، وصـاحب " مسالك الأبصار " يثبت فيها ياء مثناة تحتيـة بين اللام والميم — وهى قريبة من البحر أيضا . قال فى "مسالك الأبصار" : وأمر صاحبها قريب من صاحب بُومِنَ ولكن لاحريرَ فى بلاده؛ وهو حَنْبَلِىّ المذهب، وعدّة عسـكره نحو ألف فارس وهم أفرس إخوانهم، ولهم علىٰ ملوك الجيل ٱستظهار لما ظهر من نِكايتهم فى عسكر التتر. قال : وزِيُّها كزِىِّ بُومِن .

(١) لم يذكر إلا ثلاثا . ولعل الرابعة دولاب .

القاعدة الثالثة

(كُسْكَرُ)

قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح الكافين وسكون السين المهملة بينهما وراء مهملة فى الآخر. وقد ذكر أنها دُولَابُ - بضم الدال المهملة وسكون الواو ولام ألف وباء موحدة فى الآخر. قال : وعن السمعانيّ فتح الدال وأنه أفصح وأنها من حدود الدَّيْلَم . وذكر فى "اللباب" أنها قرية من أعمال الرَّىّ . قال فى "مسالك الأبصار" : وصاحبها له صَوْلَةٌ فى ملوك تولَم، وجيشه أكثر عددا من غيره من ملوك الجيل ، وبلاده أوسع، وأرضه أخْصَبُ وأكثر حَبًّا وفاكهةً وأغناما وأبقارا مما حولها؛ وهى كثيرة السمك والطير . ومنها الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلانى قدّس الله رُوحَه .

وأما الصِّغار فأربع أيضا .

القاعدة الأولى

(لَاهَجَانُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح اللام وبعدها ألف وهاء وجيم مفتوحتان ثم ألف بعدها نون، ثم قال : وهى من الدَّيْلَم أو كِيلان . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة قال فى "تقويم البُلْدان" : ومنها يجلب الحرير المشهور إلى البلاد . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى فى حال الحرير كما فى يومن بخلاف غيرهما من سائر بلاد الجيل .

القاعدة الثانية - (سخام) .

القاعدة الثالثة - (مَرَسْت) .

القاعدة الرابعة - (تنفس) .

ولهـا عدة مُدُن غير القواعد .

(منها) كُوتُم . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الكاف (١) وواو ساكنة ثم تاء مثناة فوقية مضمومة ثم ميم فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القـانون " حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : قال من رآها إنهـا مدينة لها بساتين ، وهى ناقلة عن البحر مسيرة يوم . قال المهلبىّ : وهى مدينة كبيرة للجيل .

(ومنهـا) سالُوسُ . قال فى " تقويم البُلْدان " : المشهور بالسين المهملة وألف ولام مضمومة وواو ساكنة ثم سين ثانية ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ٱبن حوقل : وهى على البحر ولها مَنَعَةٌ وهى صعبة المسلك . قال المهلبىّ : وهى آخر حدّ طَبَرِسْتَانَ من جهة العرب .

الإقليم السـابع

(طَبَرَسْتَانُ)

بفتح الطاء المهملة والبـاء الموحدة والراء المهملة (٢) وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال فى " تقويم البُـلْدان " : وهى فى جهة الشرق عن بلاد الديلم وكيلان . قال : وإنمـا سميت طَبَرَسْتَانَ لأن طَبَر بالفارسية الفَأْسُ ، وهى من كثرة ٱشتباك أشجارها لا يسلك فيها الجَيْشُ إلا بعد أن تقطع الأشجـارُ بالطَّبَرِ من بين أيديهم ، وآسـتان بالفارسـية الناحية ، فسميت طَبَرَسْتَان أى ناحية

(١) ضبطها ياقوت بفتح الكاف والتاء .

(٢) ضبطه ياقوت بكسر الراء ، وقد تابعناه فى ضبط ما تقدم .

الطَّبَر . قال فى "العزيزى" : وهى فى غاية المَنَعَة والحصانة بالجبال المنيعة المحيطة بها من كل جانب، وفى وسط الجبال الأراضى السهلة، وفيها من كثرة المياه والغياض ما لا يساويها فيه بلد آخر، وهى عن قَزْوِينَ فى الشرق بانحراف إلى الشمال . قال ابن حوقل : وهى بلاد كثيرة المياه والأشجار والغالبُ عليها الغِيَاض، وأبنيتها بالخشب والقَصَب، وهى بلاد كثيرة الأمطار . ويرتفع منها حرير يعمُّ الآفاق، وغالب خُبْزهم الأُرْزُ . قال : وليس بجميع طَبَرَستان نهرٌ تجرى فيه السفن، إلا أن البحر قريب منهم على أقلَّ من يوم . قال ابن خلِّكَانَ : والنسبة إليها طَبَرِىٌّ .

وقاعدتها (آمُل). قال فى "المشترك": بهمزة مفتوحة بعدها ألف ثم ميم مضمومة ولام فى الآخر — وهى مدينة من طَبَرَسْتَانَ واقعةٌ فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "القانون" : وهى قَصَبة طَبَرَسْتَانَ، وهى أكبر من قَزْوِينَ، مشتبكةٌ بالعمارة لا يعلم على قدرها أعمر منها فى تلك النواحى . قال أحمد الكاتب : وهى على بحر الدَّيْلَم . وقال فى "المشترك" : هى أكبر مدينة بطَبَرَسْتَانَ . ومنها أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبَرِىّ الإمام الكبير المشهور .

ولها عدّة مدن .

(منها) رُويَانُ . قال فى "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو ثم ياء مثناة من تحت وألف ونون — وهى مدينة من طَبَرَسْتَانَ واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول ست وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة كبيرة فى جبال طَبَرَسْتَانَ، ولها كورة عظيمة وعمل . قال فى "اللباب" : وخرج منها جماعة كثيرة من العلماء .

(ومنها) مَامَطِيرُ . قال فى "اللباب" : بفتح الميمين وكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة فى الآخر . قال فى " اللبـــاب "[1] : وهى بلدة من عمل آمُلَ ، خرج منها جماعةٌ من العلماء .

(ومنها) دِهِسْتَانُ . قال فى " اللباب " : بكسر الدال المهملة والهـاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة من فوق ثم ألف ونون . قال ابن حوقل : وهى مدينة من طَبَرَسْـــتَانَ ، وقيل هى من خُرَاسَانَ - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول إحدىٰ وثمـانون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثمـان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان" : وهى مدينة مشهورة عنـد مَازَنْدَرَانَ ، بناها عبد الله بن طاهر ، ومعناها بالفارسية موضع القُرىٰ . وهى آخر حدّ طَبَرَسْتَانَ بين جُرْجَانَ وخُوَارَزْمَ .

الإقليم الثـامن
(مَازَنْدَرَانُ)

بفتح الميم وبعـدها ألف وفتح الزاى المعجمة وسـكون النون وفتح الدال والراء المهملتين وألف ثم نون ، وهو إقليم علىٰ القرب من طَبَرَسْتَانَ وقاعدتها (جُرْجَانُ) . قال فى "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وجيم ثانية وألف وفى آخرها نون . قال فى " المشـترك " : والعجم تسميها گُرْكَانَ بضم الكاف وسكون الراء المهملة . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال "المهلّبىّ" : وهى

(١) المقام للاضمار .

مدينة جليلة بين خُرَاسَانَ و بين طَبَرِسْتَانَ . فَخُوَارَزْمُ منها فى جهة الشرق وطَبَرِسْتَانُ منها فى جهة الغرب . قال : وهى بلدة كثيرة الأمطار، متصلة الشتاء، وفى وسطها نهر يجرى ، وهى قريبة من بحر الخَزَر، والجبالُ مُحْتَفَّةٌ بها فهى سُهْلِيَّة جَبَلِيَّة، يجتمع فيها فواكه الغَوْر والنَّجْد . قال : وبها من خشب الخَلَنْج ما ليس فى بلد آخر مثله .

ولهـا مُدُن أخرىٰ .

(منها) سَارِيَةُ . قال فى "اللباب" : بفتح السين المهملة وألف وراء مهملة ومثناة من تحتها وهاء . قال فى "اللباب" : وهى مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقال ابن سعيد : من طَبَرِسْتَانَ ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . وفى شرقيها خُوَار الرَّى، و بينهما نحو ثمانين ميلًا .

(ومنها) أَسْتَرَابَاذ . قال فى "المشترك" : بفتح الهمزة . وقال فى "اللباب" : بفتح الهمزة[1] وسكون السين المهملة وكسر[2] المثناة من فوق وفتح الراء المهملة و بالباء الموحدة بين ألفين وفى آخرها ذال معجمة . قال فى "اللباب" : وقد يلحقون فيها ألفا أخرىٰ بين التاء والراء . قال فى "المشترك" : أستر اسم رجل واباذ اسم عمارة ، فكأنه قال عمارة أستر . وهى مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقيل من خُرَاسَانَ ، وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول تسع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس دقائق . قال فى "العزيزى" : وهى علىٰ حدّ طَبَرِسْتَانَ، و بينها و بين آمُلَ : قصبة طَبَرِسْتَانَ تسعة وثلاثون فرسخا .

---

(١) الذى فى تقويم البلدان عن اللباب بكسر الألف

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح .

(ومنها) آبُسْكُونُ . قال فى "اللباب"(١) : بفتح الألف الممدودة وضم الباء الموحدة وسكون السـين المهملة وضم الكاف وفى آخرها نون ـ وهى بلدة على ساحل بحر الخَزَر واقعةٌ فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسع وسـبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال فى "القانون" : وهى فُرْضة جُرْجَانَ . قال آبن حوقل : وإليها ينسب بحر آبُسْكُون، ومنها يركب إلى الخَزَر وإلى باب الأبواب والجيل والدَّيْلم وغير ذلك .

الإقليم التـاسع
(قُومَسُ)

قال فى "اللبـاب"(٢) : بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم وفى آخرها سين مهملة . قال : ويقال لهـا بالفارسية كُومَس بإبدال القاف كافا . قال : وهى من بَسْطَامَ إلى سِمْنَان، وهما من قُومَس بين خُرَاسَانَ وبين الجبال، أولها من ناحية الغرب سِمْنان. قال أحمد الكاتب : وقُومَسُ بلدٌ واسع جليل القدر. وقال فى"المشترك": قُومَسُ موضع كبير فيه بلاد كثيرة وقُرًى ـ وقاعدتها (سِمْنَانُ). قال فى "المشترك" : بكسر الشين المهملة وسكون الميم ونونين بينهما ألف . قال فى "القـانون" حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس عشرةَ دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهو بلد مشهور بين الرَّىّ والدَّامَغَان.

وبها مُدُن أيضا .

(منهـا) الدَّامَغَانُ . قال فى "اللبـاب": بفتح الدال المهملة وألف وفتح الميم والغين المعجمة وألف ثانية ثم نون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "القانون"

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء . (٢) ضبطها ياقوت بكسر الميم .

حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

(ومنها) بَسْطَامُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وفي الآخر ميم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "اللباب" : وهي بلدة مشهورة . قال ابن حوقل : ولها البساتين الكثيرة، وهي كثيرة الفواكه، وإليها ينسب أَبُو يَزِيدَ البَسْطَامِيّ الزاهد .

الإقليم العاشر
(خُرَاسَانُ)

قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون - وهي بلاد كثيرة . قال : وأهل العراق يقولون إنها من الرَّيّ إلى مَطْلَعِ الشمس، وبعضهم يقول من حُلْوَانَ إلى مَطْلَعِ الشمس، ومعنى خرَ اسم للشمس، واسان موضعُ الشيء ومكانُه، وقيل معنى خُرَاسَان كُلْ بالرَّفَاهِيَةِ . قال في "تقويم البُلْدان": ويحيط بها من جهة الغرب المَفَازة التي بينها وبين بلاد الجيل وجُرْجَانَ، ومن جهة الجنوب مفازة فاصلة بينها وبين فَارِسَ وقُومَسَ، ومن الشرق نواحي سِجِسْتَانَ وبلاد الهند، ومن جهة الشمال بلاد ماوراء النهر وشيءٌ من تُرْكُسْتانَ . قال : وخُرَاسَانُ تشتمل على عدّة كُوَر كل كُورَةٍ منها نحو إقليم .

ومن كورها المشهورة (جُوَيْنُ) بضم الجيم وفتح الواو وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر . (وقُوهَسْتان) بضم القاف وسكون الواو وفتح الهاء[1] وسكون السين المهملة وفتح المثناة فوق وألف ثم نون . و(بَغْشُورُ) بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة

(١) ضبطها ياقوت بكسر الهاء .

الساكنة ثم شين معجمة وواو وراء مهملة فى الآخر. و(مَرْوُ) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو فى الآخر. و(طُوسُ) بضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر. و(بَيْهَقُ) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح الهاء وقاف فى الآخر. و (بَاخَرْزُ) بفتح الباء الموحدة ثم ألف وخاء معجمة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة، وإليها ينسب البَاخَرْزِىّ الذى أسلم على يديه بَرَكَةُ .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة فى تاريخه (نَيْسَابُورُ) . قال فى "اللباب": بفتح النون وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وسكون الألف وضم الباء الموحدة وبعدها واو وراء مهملة . قال فى "اللباب" : وسميت نَيْسَابُورَ لأن سابور الملك لما رءاها ، قال : يصلح أن يكون هاهنا مدينةٌ ، وكانت قَصَبا فأمر بقطع القَصَب وأن تبنى مدينة ، فقيل نيسابور والنّىْ هو القَصَبُ . قال ٱبن سعيد : والعجم تسميها نَشَاور . قال فى "تقويم البُلْدان" : وٱسمها الآن نَشَاوَرُ، يعنى بفتح النون والشين المعجمة وألف وفتح الواو وراء مهملة فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ٱبن حوقل : وهى مدينة مشهورة فى أرض سَهْلة ، وهى مفترشة البناء مقدار فرسخ فى فرسخ ، وبها قُنِىّ ماء ، وهى صحيحة الهواء . قال فى "اللبـاب" : وهى أحسن مُدُن خُرَاسان وأجمعها للخير . قال أحمد بن يعقوبَ الكاتب : وبينها وبين كلٍّ من مَرْوَ ومن هَرَاةَ ومن جُرْجَانَ ومن الدَّامَغَانِ عشر مراحل .

وبها مدن عديدة .

(منها) الطَّابَرَانُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وبعـد الألف نون . قال فى "القانون" : وهى قصبة طُوسَ من كُوَرِ

خُرَاسَانَ - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى من أَجَلّ مدن خُرَاسَانَ .

(ومنها) نَوْقَانُ . قال فى "اللباب" : بفتح[1] النون وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون - وهى مدينة من أعمال طُوسَ من خُرَاسَانَ، موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول اثنتان وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال المهلّبى : وهى من أَجَلّ مدن خُرَاسَانَ وأعمرها ، وبظاهرها قبر الإمام علىّ بن موسى بن جعفر الصادق، وقبر هارون الرشيد الخليفة العباسىّ؛ وبها معدن الفَيْرُوزَج والدَّهْنَج .

(ومنها) إِسْفَرَايِنُ . قال فى "اللباب" : بكسر[2] الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر المثناة التحتية ونون فى الآخر - وهى بلدة بنواحى نَيْسَابُورَ من خُرَاسَانَ - موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وتسمى المِهْرَجَانَ أيضا بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الراء المهملة والجيم وألف ونون فى الآخر . يقال إن كسرى سماها بذلك تشبيها بالمِهْرَجَانِ أحد أعياد الفُرْس : لأن المِهْرَجَانَ أطيب أوقات الفصول، شبهها بذلك لخُضْرتها ونَضَارتها، وإليها ينسب الأستاذ أبو إسحاق الإسْفَرَايِنىّ الإمام الكبير المشهور .

(ومنها) خُسْرَوْجِرْدُ . قال فى "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وسكون السين وفتح الراء المهملتين وسكون الواو وكسر الجيم ثم راء ودال مهملتان - وموقعها

(١) ضبطها ياقوت بالضم .
(٢) ضبطها ياقوت بالفتح ، ثم قال : وياء مكسورة وياء أخرى ساكنة .

فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول إحدى وثمانون درجة وخمس دقائق، والعرض ست وثلاثون درجة . قال فى "المشترك": وهى قَصَبة ناحية بَيْهَق من خُرَاسَانَ . وقال فى "اللباب" : كانت قصبتَها ثم صارت القصبة سبزوار .

(ومنهـا) نَسَا . قال فى " المشـترك " : بفتح النون والسين المهملة وألف مقصورة ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال آبن سـعيد حيث الطولُ آثنتان وثمانون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهى مدينـة من خُرَاسَانَ بين أَبِيوَرْدَ وسَرَخْسَ . قال آبن حوقل : وهى مدينـة خِصْبة، ومنها الإمام أحمد النسائىّ صاحب السُّنَن .

(ومنهـا) أَزَاذْوَار . قال فى "تقويم البُلْدان" : بالهمزة والزاى المعجمة ثم ألف وذال معجمة وواو مفتوحتين وألف وراء مهملة فى الآخر . وهى قَصَـبة جُوَيْنَ من خُرَاسَانَ . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة؛ ومنها إمام الحرمين الإمام الشافعىّ المشهور .

(ومنها) قَايِنُ . قال فى " اللبـاب " : بفتح القاف وبعد الألف ياء مثناة تحتية مكسورة ثم نون . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس وثلاثون دقيقة [والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة] (1) . قال آبن حوقل : وهى قَصَبَة قُوهَسْتَانَ، من خُرَاسَانَ على مفازة . قال : وهى مثل سَرَخْسَ فى الكِبَر، وماؤها من القُنِىّ، وبساتينها قليلة، وقراها متفرّقة . قال فى "اللباب" : وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(1) الزيادة عن تقويم البلدان نقلا عن القانون .

(ومنها) سَرَخْس . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح السين والراء المهملتين ثم خاء معجمة ساكنة وسين مهملة ساكنة ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال آبن حوقل : وهى مدينة بين نَيْسَابُورَ و بين مَرْوَ فى أرض سهلة ، وليس لها ماء جار إلا نهر يجرى فى بعض السنة ، وهو فضلة مياه هَرَاةَ ؛ والغالب علىٰ نواحيها المراعى ؛ ومعظم مال أهلها الجِمَال ، وماؤهم من الآبار ، وأرحيتهم علىٰ الدوابّ . قال المهلبىّ : والرمال مُحْتَفّةٌ بها .

(ومنها) بُوشَنْجُ . قال فى "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وجيم فى الآخر . قال فى "اللباب" : ويقال لها أيضا فُوشَنْج بالفاء بدل الباء . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويقال لها أيضا بُوشَنْكُ بالكاف بدل الجيم . قال آبن حوقل : وهى مدينة علىٰ نحو النصف من هَرَاة فى مستوٍ من الأرض ، ولها مياه وأشجار كثيرة ، وماؤها من نهر بِهَرَاةَ ، وهو يجرى من هراة إلىٰ بُوشَنْجَ إلىٰ سَرَخْسَ .

(ومنها) هَرَاةُ . قال فى "اللباب" : بفتح الهاء والراء المهملة ثم ألف وهاء فى الآخر . قال فى "التعريف" : ولا يسمع عجمىّ يقول إلاهرىٰ ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال آبن حوقل : وهى من خُرَاسَانَ ، ولها أعمال ، وداخلها مياه جارية ، والجبل منها علىٰ نحو فرسخين ، ومنه تعمل حجارة الأرحية وغيرها ، وليس به محتطَب ولا مَرْعًى ، وعلىٰ رأسه بيت نار كان للفُرْس ، وخارج هَرَاةَ المياهُ والبساتين . قال فى "المشترك" : وكانت مدينة عظيمة خرّبها التَّتَرُ . قال فى "اللباب" : وكان فَتْحُها فى خلافة أمير المؤمنين

عثمان رضى الله عنه. قال : والنسبة إليهـا هَرَوِىٌّ . قال فى "مسالك الأبصار" : ومن الناس من يعُدّ هَرَاة مفردة بذاتها عن خُرَاسَانَ، وصاحبها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنهـا) مَرْوُ الرُّوذِ . قال فى " المشـترك " : بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفى آخرها واو . وقال فى " اللبـاب " بفتح الواو وألف ولام وضم الراء الثانيـة وسكون الواو وذال معجمة ، والرُّوذُ بالعجمية النهر ، ومعناه مَرْوُ النهر . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال آبن حوقل : وهى أكبر من بُوشَنْجَ، ولها نهر كبير وعليه البساتين، وهى طيّبة التربة والهواء، والجبل عنها فى جهة الغرب علىٰ ثلاثة فراسخ . قال فى " اللباب " : وهى من أشهر مُدُن خُرَاسَانَ، والنسبة إليها مَرْوَرُّوذِىٌّ ومَرُّوذِىٌّ أيضا .

(ومنهـا) مَرْوُ الشَّاهِجَانَ . قال فى " المشترك " : بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو فى الآخر، وهو مضاف إلىٰ الشَّاهجان بفتح الشين وألف بعدها هاء ثم جيم وألف ونون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال فى " المشـترك" : ومَرْوُ الشَّاهِجَانِ معناه رُوح الملك . قال فى " الأطوال " حيث الطول سبع وثمانون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال آبن حوقل : وهى مدينة قديمة يقال إنها من بناء طهمورث : أحد ملوك الفُرْس. قال فى "مسالك الأبصار" : ويقال إنها من بناء ذى القَرْنين . قال : وهى فى أرض مستوية بعيدة عن الجبال لا يُرىٰ منها الجبل، وأرضها كثيرة الرمل وفيها سُبُوخة ، ويجرى علىٰ بابها نهرٌ يدخل منه المـاء إلىٰ حياض المدينة، ومنه شرب أهلها؛ ولها ثلاثة أنهار أُخَر؛ وبها الفواكه الحسنة تقدّد وتحمل إلىٰ البلاد؛ وبها الزبيب الذى لا نظير له؛ ولها من

النظافة وحسن الترتيب وتقسيم الأبنية والغُرُوس على الأنهار، وتمييز كل سُوقٍ عن غيره ماليس لغيرها من البلاد . قال فى "المشترك" : والنسبة إليها مَرْوَزِىٌّ . قال فى "تقويم البلدان" : وبها كان مُقَام المأمون لما كان بخُرَاسَانَ، وبها قُتِل يَزْدَجِرْدُ آخرُ ملوك الفُرْس، ومنها ظهرت دولة بنى العباس، وبها صُبِغ أوّل سواد لبسته المسوِّدة، ومنها يرتفع الحرير الكثير والقطنُ . قال فى "المشترك" : وبينها وبين كلٍّ من نَيْسَابُورَ وهَرَاةَ وبَلْخَ وبُخَارا مسيرة اثنى عشر يوما .

(ومنها) الطَّالَقَانُ . قال فى "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال فى "اللباب" : بتسكين اللام — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وثمانون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة نحو مَرْوِ الرُّوذ فى الكِبَر، ولها مياه جارية وبساتين قليلة، وهى فى جبل، ولها رُسْتاق فى الجبل، وهى غير الطَّالَقَانِ المقدّم ذكرها فى عراق العجم .

(ومنها) بَلْخُ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفى آخرها خاء معجمة — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" و "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة فى مستوٍ من الأرض، بينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ، والمدينة نصف فرسخ فى مثله، ولها نهر يسمّى الدهاش(1) يجرى فى ربضها، وهو نهر يدير عَشْر أرحية، والبساتين تحتف بها من جميع جهاتها، وبها الأُتْرُجُّ وقَصَبُ السُّكَّر، وتقع فى نواحيها الثلوج . قال فى "اللباب" :

(1) وقع فى التقويم بإهمال السين، ولم نعثر عليه فى المعجم ولا فى القاموس .

فتحها الأَحْنَفُ بن قَيْس التميمىّ فى خلافة عثمان رضى الله عنــه ، وخَرج منها مالا يحصٰى من الأئمة والعلمــاء والصلحاء .

(ومنها) شَهْرَسْتَانُ . قال فى " اللبــاب " : بفتح الشين المعجمة وسكون الهــاء وفتح الراء وسكون الســين المهملتين وفتح التاء المثناة من فوقُ وبعد الألف نون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم الســبعة قال فى " الأطوال " و " القــانون " حيث الطول إحدىٰ وتسعونــ درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدىٰ وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : شَهْر بلغة الفرس المدينة ، واستان الناحية ، فمعنىٰ آسمها مدينة الناحية . قال : وهى مدينة مشهورة بين نَيْسَابُورَ وخُوَارَزْمَ فى آخر حدود خُرَاسَانَ وأوّل حدود رمال خُوَارَزْمَ .

الإقليم الحــادى عشر
(زَابُلُسْتَانُ)

بفتح الزاى المعجمة ثم ألف بعــدها باء موحدة ولام مضمومتان وســين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوقُ مفتوحة ثم ألف ونون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول آثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمسَ عشرةَ دقيقة . قال آبن حوقل : وهى مدينة لهــا بلاد وأعمال ، وهى عن بَلْخ علىٰ عشر مراحل ، وعندها نهر كبير يجرى ، وليس لها بساتين بل هىٰ مدينة علىٰ جبل ، والفواكه تأتيها مجلوبة . قال فى " اللباب " : وبها قلعة حصينة .

ولها مدن غيرها .

(منهــا) غَزْنَةُ . قال فى" اللباب " : بفتح الغين وسكون الزاى المعجمتين وفتح

النون ـ وموقعها فى آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " و " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ٱبن حوقل : هى من عمل البامِيَان؛ وقد تقدّم أن البَامِيان من زَابُلُسْتَانَ . وقال فى " اللبـاب " : هى من أوّل بلاد الهند . وقال فى "مزيل الآرتيـاب" : هى فى طرف خُرَاسَانَ وأوّل بلاد الهنـد، وهى كالحدّ بينهما . قال ٱبن حوقل : وهى فُرْضة الهند وموطن التجار، ولها دَرْبَنْد مشهور .

(ومنها) بَنْجِهِيرُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح البـاء الموحدة وسكون النون وفتح الجيم وكسر الهاء وسكون المثناة تحتُ وراء مهملة فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ٱبن حوقل: وهى مدينة من أعمال البامِيَان علىٰ جبل، والغالب علىٰ أهلها العَيْثُ والفَسَاد . قال فى "اللباب" : وبها جبل الفضة، والدراهم بها كثيرة، لايشترون ولو بَاقَةَ بَقْلٍ بأقلَّ من درهم، وقد جعلوا السُّوق كهيئة الغِرْبَالِ لكثرة الحُفَر . قال : وإنما يتبعون عروقا يجدونها تُفْضِى إلىٰ الفِضَّة، فإذا وجدوا عِرْقًا حفروا أبدا إلىٰ أن يصيروا إلىٰ الفضة، والرجل منهم يُنْفِق الأموال الكثيرة فى الحَفْر، وربمـا خرج له من الفضـة مايستغنى به هو وعَقِبُه، وربمـا خاب عمله لقلة المـال وغير ذلك، وربمـا وقف رجل علىٰ العِرْق ووقف آخر عليه فى موضع آخر فيأخذان جميعا فى الحَفْر؛ والعادة عندهم أن من سبق فاعترض علىٰ صاحبه فقد ٱستحق .

الإقليم الثـانى عشر
(الغُـــورُ)

قال فى " اللباب " : بضم الغين المعجمة وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر . قال : وهى بلاد فى الجبال بخُرَاسَانَ قريبةٌ من هَرَاةَ ، وهى مملكة كبيرة ، وغالبها جبال عامرة ذات عيون وبساتينَ وأنهـار ، وهى بلاد حصينة منيعة ، وتحيط بها خُرَاسَانُ من ثلاث جهات ولذلك حُسِبت من خراسان ، والحدّ الرابع لها قِبَلَ سِجِسْتَانَ .

• قاعدتها فيما قاله فى " تقويم البُـلْدان " (بِيرُوزْكُوه) . قال فى " المشـترك " : بكسر البـاء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاى معجمة وضم الكاف وواو وهـاء ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى " المشترك " : معنىٰ بِيرُوزْكُوه الجبـل الأزرق ؛ وهى قلعة حصينة دار مملكة جبال الغُورِ . قال : وبها كان مستقرّا بنو سامان (1) ملوك الغُورِ .

قلت : وبلاد الغُور وغَزْنَةُ وما والاها وإن عدّها فى " مسالك الأبصار " من مملكة النورانيين ، فإنها ليست من أصـل مملكة تُورانَ ، وإنمـا تغلب ملوكها عليها من مملكة إيران ، فلذلك أثبتُّها فى مملكة إيران ؛ وما غلب عليه بنو هُولاكُو من مملكة الروم ، وهو قُونِيَـة وما معها ليس من مملكة إيران بل هو مملكة مسـتقلة بذاتها كما سيأتى ، ولذلك لم أثبتها فى مملكة إيران والله أعلم .

———

(1) كذا فى الأصل على هذه الصورة ، والذى فى التقويم "بها كان مستقر آل سام الخ" وفى معجم البلدان "بناها بنو سام ملوك الغورية" .

الجملة الثالثة

(فى الأنهار المشهورة)

واعلم أن بهذه المملكة عدّة أنهار، والمشهور منها ثلاثةَ عشرَ نهرا :

الأوّل — الفُرات وما يصب فيها[(١)] ويخرج منها[(١)] . فأما نهر الفرات فأوله من شَمَالىّ مدينــة أَرْزَنِ الروم وشرقيها ، وأَرْزَنُ هذه آخر حدّ بلاد الروم من جهة الشرق، ثم يأخذ إلىٰ قرب مَلَطْيَةَ ثم إلىٰ شِمْشَاط، ثم يأخذ مشرّقا ويتجاوز قلعــة الرُّوم ويمرّ مع جانبها من شماليها وشرقيها، ثم يسير إلىٰ الْبِيرَةِ، ويمرّ من جنوبيها، ثم يمرّ مشرّقا حتّى يتجاوز بالِسَ وقلعة جَعْبَرَ ويتجاوزها إلىٰ الرَّقَّةِ، ثم يمرّ مشرّقا ويتجاوز الرَّحْبَةَ من شماليها ويسير إلىٰ عانةَ ثم إلىٰ هِيتَ، ثم يسير إلىٰ الكُوفَةِ . فإذا جاوز نهر كُوثىٰ بستة فراسخ آنقسم نصفين، ومرّ الجنوبىّ منهما إلىٰ الكوفة ويجاوزها ويصبُّ فى البطائح . ويمرّ القسم الآخر وهو أعظمهما ويعرف بنهر سُورا، ويمرّ بإزاء قصر آبن هُبَيْرَةَ، ويتجاوزه إلىٰ مدينة بابل القديمة ، ويتفرّع منه عدّة أنهر ويمرّ عمودُه إلىٰ النيل ويسمّى من بعد النيل نهر الصَّراة، ثم يتجاوز النيل ويصب فى دِجْلَةَ .

وأما الأنهار التى تصب فيه، فمنها نهر شِمْشَاط ، ونهر البَلِيخ ، ونهر الخابُور، ونهر الهِرْماس، وغيرُها .

وأما الأنهار التى تخرج من الفرات ، فمنها نهر عيسىٰ، ونهر صَرصر، ونهر المَلِك ، ونهر كُوثىٰ وغيرُ ذلك .

الثانى — دِجْلَةُ ومايصب إليها ويخرج منها . فأما دِجْلة فقال فى "المشترك": بكسر الدال المهملة وسكون الجيم . قال : وهى نهر عظيم مشهور مَخْرَجه من بلاد

(١) كذا فى التقويم أيضا بالتأنيث والأولى التذكير.

الرُّوم؛ ثم يمرّ علىٰ آمِدَ، وحِصْنِ كَيْفا، وجزيرة آبن عُمَر، والمَوْصل، وتكْرِيتَ، وبَغْدادَ، ووَاسِطَ، والبَصْرَة؛ ثم يصبّ فى بحر فَارِسَ . وذكر فى "العزيزى" : أن رأس دِجْلَةَ شمالىّ مَيَّافَارِقِينَ من تحت حِصْنٍ يعرف بحِصْن ذى القَرْنين . ويجرى من الشمال والغرب إلىٰ جهة الجنوب والشرق؛ ثم يشرّق ويرجع إلىٰ جهة الشَّمال؛ ثم يغرِّب بميلة إلىٰ الجنوب إلىٰ مدينة آمِدَ؛ ثم يأخذ جنوبا إلىٰ جزيرة آبن عُمَر؛ ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلىٰ مدينة بَلَد؛ ثم يشرق إلىٰ المَوْصِل، ثم يسير مشرقا إلىٰ تِكْرِيتَ؛ ثم يأخذ مشرقا نصبا إلىٰ سُرَّ مَنْ رَأىٰ؛ ثم يأخذ جنوبا علىٰ عُكْبَرىٰ؛ ثم يأخذ مشرقا إلىٰ البَرَدَانِ، ثم يأخذ جنوبا بميلة إلىٰ الشرق إلىٰ بَغْدادَ؛ ثم يسير جنوبا إلىٰ كَلْوَاذَا، ويأخذ إلىٰ المدائن ويتجاوز إلىٰ دير العَاقُول؛ ثم يسير مشرقا إلىٰ النُّعْمَانيَّة؛ ثم يسير جنوبا ومشرقا إلىٰ فَمِ الصِّلْح؛ ثم يسير مغرِّبا إلىٰ وَاسِطَ؛ ثم يشرِّق إلىٰ بطائح وَاسِطَ؛ ثم يخرج من البطائح ويسير بين الشرق والجنوب حتّى يتجاوز البَصْرَة، ويمرّ علىٰ فُوَّهة الأُبُلَّة، ثم يسير إلىٰ عَبَّادَانَ ويصبُّ فى بحر فَارِسَ .

وأما الأنهار التى تصب فى دِجْلَةَ : فمنها نهر أَرْزَنَ، ونهرُ الثَّرْثار، ونهرُ الفُرَات الأعلىٰ وهو الأكبر، ونهر الزَّابِ الأصغر، وغيرها .

وأما الأنهار التى تخرج من دِجلةَ فعدّة أنهار؛ من أشهرها نهر الأُبُلَّة، ونهر مَعْقِل المقدّم ذكرهما فى الكلام علىٰ متنزهات هذه المملكة .

الثالث — دِجْلةُ الأهواز . وهو نهر ينبعث من الأهواز، ويمرّ فى جهة الغرب إلىٰ عَسْكَرِ مُكْرَم؛ وهو قرب دِجْلة بغداد فى المقدار؛ وعليه مَزَارِعُ عظيمة من قصب السُّكَّر وغيره .

الرابع — نهر شيرين، وهو نهر يخرج من جبل دينار من ناحية بازرع[1] ويخترق بلاد فارس ويقع فى بحر فارس عند جنّابة، من بلاد فارس.

الخامس — نهر المَسْرُقان، وهو نهر عظيم فى بلاد خُوزُستان، يجرى من ناحية تُسْتَر، ويمرّ على عَسْكَرِ مُكْرَم، ويسقى بجميع مائه النخل والزرع وقَصَب السكر، ولا يضيع شيء من مائه.

السادس — نهر تُسْتَر، وهو نهر يخرج من وراء عسكر مُكْرَم، ويمرّ على الأهواز، ثم ينتهى إلى نهر السِّدرة إلى حصن مهدىّ، ويصب فى بحر فارس.

السابع — نهر طَابَ، ومَخْرَجه من جبال أصفهان من قرب المَرْج، وينضم إليه نهر آخر ويسير حتى يمرّ على باب أَرَّجان، ويقع فى بحر فارس عند شينير.

الثامن — نهر سَكَّان، وهو نهر يخرج من رُسْتاق الرونجان[2] من قرية تدعى ساركرى[2]، ويسقى شيئا كثيرا من كُوَرِ فارس، ثم يصب فى بحر فارس، وعليه من العمارة ما ليس على غيره.

التاسع — نهر زَنْدَوَرْذ، بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة والواو ثم راء مهملة ساكنة وذال معجمة فى الآخر، وهو نهر كبير على باب أصفهان.

العاشر — نهر الهِنْدَمَنْد. قال ابن حوقل: وهو أعظم أنهار سِجِسْتَان، ويخرج من ظهر الغُورِ، ويمرّ على حدود الرُّخّج، ثم يعطف ويمرّ على بُسْت، حتى يصير على مرحلة من سِجِسْتَانَ، ثم يصب فى بحيرة زَرَه، وإذا تجاوز بُسْتَ يتشعب منه أنهار كثيرة، وعلى باب مدينة بُسْتَ على هذا النهر جِسْرٌ من السفن كما فى دِجْلَة.

---

(١) فى التقويم "نازريح" ولم نعثر فى المعجم على كلا اللفظين.

(٢) فى التقويم "الرويحان ... ... ساذفرى".

الحادى عشر — نهر الرَّسّ . وهو نهر يخرج من جبال قاليقلا ، و يمرّ إلىٰ وَرْثان ، ثم يلتقى مع نهر الكُرّ الآتى ذكره بالقرب من بحر الخَزَر فيصيران نهرا واحدا و يصبّان فى بحر الخَزَر المذكور . قال فى "تقويم البُلْدان" : وخلف نهر الرَّسّ فيما يقال ثلثمائة وستون مدينة خراب ، يقال إنها المراد فى القرءان بقوله تعالىٰ ﴿ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ ﴾ .

الثانى عشر — نهر الكُرّ . وهو نهر فاصل بين أرّانَ وأذْرَبيجَانَ كالحدّ بينهما ، وأوله عند جبل بابِ الأبواب ، و يخترق بلاد أرّانَ و يصب فى بحر الخَزَر . وذكر آبن حوقل أن نهر الكُرّ يمرّ علىٰ ثلاثة فراسخ من بَرْدَعَةَ . و بفَارِسَ أيضا نهر يقال له نهر الكُرّ إلا أنه دون هذا فى القدر والشهرة .

الثالث عشر — نهر جُرْجَانَ . ومخرجه من جبل جرجان ، ويسير غربا بجنوب إلىٰ آبَسْكُونَ ثم يفترق من آبَسْكُونَ نهرين و يصب فى بحر الدَّيْلَم .

الجملة الرابعـــة

(فى الطرق الموصلة إلىٰ قواعد هذه المملكة ، وذكر شىء من المسافات بين بلادها)

وآعلم أن آخر المملكة المضافة إلىٰ الديار المصرية من جهة الشرق مملكة حَلَب ، فتعين الآبتداء منها . ونحن نورد ذلك علىٰ مايقتضيه كلام عبيد الله بن عبد الله آبن خرداذبة فى كتابه "المسالك والممالك" مقتصرا علىٰ ذكر مشاهير البلاد .

(الطريق من حَلَبَ إلىٰ المَوْصِلِ) — من حَلَبَ إلىٰ مَنْبِجَ ، ومن مَنْبِجَ إلىٰ الرُّسْتَنِ ، ومن الرستن إلىٰ الرَّقَّة إلىٰ رأس عين سبعة عشر فرسخا ، ومن رأس عين إلىٰ كَفَرْتُوثا سبعة فراسخ ، ومن كَفَرْتُوثَا إلىٰ دارَا خمسة فراسخ ، ومن دارا إلىٰ نَصِيبِينَ أربعة فراسخ ، ثم إلىٰ بَلَد ثلاثون فرسخا ، ثم إلىٰ الموصل سبعة فراسخ .

(الطريق من المَوْصِل إلى بَغْدَادَ) ــ من الموصل إلى الحَدِيثة أحد وعشرون فرسخا، ثم إلى السِّنّ خمسة فراسخ، ثم إلى سُرَّ مَنْ رَأَى ثلاثة فراسخ، ثم إلى القادِسيَّة تسعة فراسخ، ثم إلى عُكْبَرى ثمانية فراسخ، ثم إلى البَرَدَان أربعة فراسخ، ثم إلى بَغْدَاد [خمسة فراسخ] (١). وأخبرنى بعض أهل تلك البلاد أن الطريق من حَلَب إلى البيرة يومان، ومن البِيرَة إلى الرُّهَا يومان، ومن الرُّها إلى مارِدِينَ أربعة أيام، ثم من مَارِدِينَ إلى جزيرة ابن عُمَرَ ثلاثة أيام، ثم من جزيرة ابن عُمَرَ إلى المَوْصِل يومان، ومن الموصل إلى تِكْرِيتَ يومان، ومن تِكْرِيتَ إلى خُوَيَّ يومان، ومن خُوَيَّ إلى بَغْدَادَ يومان.

(الطريق إلى نَيْسَابُورَ: قاعدة خُرَاسَانَ) ــ من بغداد إلى النَّهْرُوَان أربعة فراسخ. ثم إلى الدَّسْكَرَة اثنا عشر فرسخا، ثم إلى جَلُولاء سبعة فراسخ، ثم إلى خَانِقِينَ سبعة فراسخ، ثم إلى قصر شِيرِينَ ستة فراسخ، ثم إلى حُلْوَانَ خمسة فراسخ، ثم إلى مَرْج القلعة عشرة فراسخ، ثم إلى قصر يَزِيدَ أربعة فراسخ، ثم إلى قصر عَمْرو ثلاثة عشر فرسخا، ثم إلى قصر اللُّصُوص سبعة عشر فرسخا، ثم إلى قرية العَسَل ثلاثة فراسخ، ثم إلى هَمَذَانَ خمسة فراسخ، ثم إلى الأَسَاوِرة اثنان وعشرون فرسخا، ثم إلى سَاوَةَ خمسة عشر فرسخا، ثم إلى الرَّيِّ أربعة وعشرون فرسخا، ثم إلى قصر المِلْح أحد وثلاثون فرسخا، ثم إلى رأس الكَلْب سبعة فراسخ، ثم إلى سِمْنَانَ ثمانية فراسخ، ثم إلى يُومَنَ سبعة عشر فرسخا، ثم إلى أَسَدَابَاذَ أربعون فرسخا، ثم إلى خُسْرَوْجِرْدَ اثنا عشر فرسخا، ثم إلى نَيْسَابُورَ خمسة عشر فرسخا.

(الطريق من نَيْسَابُورَ إلى بَلْخ ثم إلى نهر جَيْحُونَ) ــ من نَيْسَابُورَ إلى طُوس ثلاثة عشر فرسخا، ثم إلى مَرْو الرُّوذ أحد عشر فرسخا، ثم إلى سَرَخْسَ، ثم إلى قَصْر النّجار ثلاثة فراسخ، ثم إلى مَرْو الشَّاهِجَان سبعة وعشرون فرسخا، ثم إلى القَرْيَتَين خمسة

(١) الزيادة عن تقويم البلدان.

وعشرون فرسخا، ثم إلى أَسَدَاباذَ على النهر سبعة فراسخ، ثم إلى قَصْر الأحْنف على النهر عشرة فراسخ، ثم إلى مَرْو الرُّوذ خمسة فراسخ، ثم إلى الطَّالَقَانِ ثلاثة وعشرون فرسخا، ثم إلى ارعين تسعة فراسخ، ثم إلى العاديات عشرة فراسخ، ثم إلى السِّدرة من عمل بَلْخ أربعة وعشرون فرسخا، ثم إلى الغُور تسعة فراسخ، ثم إلى بَلْخ ثلاثة فراسخ، ثم إلى شطّ جَيْحُونَ آثنا عشر فرسخا . فذات اليمين كورة خُتَّل ونهر الضِّرْغام، وذات اليَسَار خُوَارَزْمُ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على مملكة تُوران فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(الطريق إلى شيرازَ قاعدة فارس) ــ قد تقدّم الطريق من حَلَبَ من مضافات الديار المصرية إلى بغداد، ومن بغداد إلى واسطَ خمسة وعشرون سكّة، ومن واسط إلى الأهواز عشرون سكة، ثم إلى النُّوبَنْدَجان تسع عشرة سكة، ثم إلى شيرازَ آثنتا عشرة سكة .

(الطريق من شيراز إلى السِّيرجَان: قاعدةِ كِرْمَانَ) ــ من شيراز إلى إصْطَخْرَ خمس سكك، ثم من إصْطَخْرَ إلى البحيرة ثلاثة عشر فرسخا، ثم إلى شَاهَكَ الكبرى سبعة عشر فرسخا، ثم إلى قرية المِلْح تسعة فراسخ، ثم إلى مَرْزُبانه ثمانية فراسخ، ثم إلى اروان ثلاثة فراسخ، ثم إلى المرمان وهو آخر عمل فارس إلى السِّيرجَان ستة عشر فرسخا .

(الطريق إلى أَصْبَهَانَ) ــ من يُومَن المقدّم ذكرها إلى الرِّباط ثلاثة عشر فرسخا، ثم إلى أَصْبَهَانَ أربعة عشر فرسخا .

(الطريق إلى البصرة) ــ قد تقدّم الطريق من حَلَبَ إلى بَغْدَادَ، ثم إلى واسط، ثم إلى الفاروث، ثم إلى دير العمال، ثم إلى الحوانيت، ثم يسير فى البطائح، ثم إلى نهر أبى الأسد، ثم فى دِجْلة العورا، ثم فى نهر مَعْقِل، ثم يمضى إلى البصرة .

(الطريق إلى تَبْرِيز)[١] ـ قد تقدّم الطريق من حَلَبَ إلى مَارِدِينَ، ثم من ماردين إلى حِصْن كَيْفَا يومان، ومن الحصن إلى سِعِرْتَ يومان، ومن سِعِرْتَ إلى وان يومان، ومن وان إلى وَسْطَانَ ثلاثة أيام، ومن وَسْطَانَ إلى سَلْمَاس يومان، ومن سَلْمَاس إلى تَبْرِيزَ أربعة أيام؛ فيكون بين حَلَبَ وتَبْرِيزَ ثلاثةٌ وعشرون يوما .

(الطريق إلى السُّلْطَانِيَّة) ـ من تَبْرِيزَ إليها سبعة أيام؛ فيكون من حَلَبَ إلى السُّلْطَانِيَّة ثلاثون يوما .

الجملة الخامسة

(فى بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة)

(بعض مسافات بلاد الجزيرة) ـ من الأَنْبَارِ إلى تِكْرِيتَ مرحلتان، ومن تِكْرِيتَ إلى المَوْصِلِ ستة أيام، ومن المَوْصِلِ إلى آمِدَ أربعة أيام، ومن آمدَ إلى سُمَيْسَاط ثلاثة أيام، ومن المَوْصِل إلى نَصِيبِينَ أربع مراحل، ومن نَصِيبِينَ إلى رأس عين ثلاثُ مراحل، ومن رأس عين إلى الرَّقَّةِ أربعة أيام، ومن رأس عين إلى حَرَّانَ ثلاثة أيام، ومن حَرَّانَ إلى الرُّهَا يوم واحد .

(بعض مسافات خُوزِسْتَانَ) ـ من عَسْكَرِ مُكْرَمٍ إلى الأَهْوَازِ مرحلة، ومن الأهواز إلى الدَّوْرَق أربع مراحل، [وكذلك من عسكر مكرم إلى الدَّوْرَقِ][٢] ومن عَسْكَرِ مُكْرَمٍ إلى سُوقِ الأربعاء مرحلة، ومن سوق الأربعاء إلى حصن مهدىّ مرحلة، ومن السُّوس إلى بَصِنَّى مرحلة خفيفة، ومن السُّوس إلى مَتُّوث مرحلة .

(بعض مسافات فارس) ـ قال ابن حوقل : من شِيرَازَ إلى سِيرَافَ نحو ستين فرسخا، ومن شِيرَازَ إلى إصْطَخْرَ نحو اثنىْ عشر فرسخا، ومن شِيرَازَ إلى كَازَرُونَ

---

(١) فى القاموس " تبريز وقد تكسر ... ... " .

(٢) الزيادة عن "تقويم البلدان" ليتم البيان .

نحو عشرين فرسخا ، ومن كَازَرُونَ إلىٰ جَنَّابَةَ أربعــة وأربعون فرسخا ، ومن شِيرَازَ إلىٰ أَصْبَهَانَ ٱثنــان وســبعون فرسخا ، ومن شِيرَازَ مُغَرِّبا إلىٰ أول حدود خُوزُسْتَانَ ستون فرسخا ، ومن شِيرَازَ إلىٰ بَسَا ســبعة وعشرون فرسخا ، ومن شِيرَازَ إلى البَيْضَاء ثمـانية فراسخ ، ومن شِيراز إلىٰ دارابجِرْدَ خمسون فرسخا ، ومن مَهْرُوبان إلىٰ حصن آبن عمارة نحو مائة وستين فرسخا .

(بعض مسافات كَرْمان) ـ من السِّيرجَان إلىٰ المفازة مرحلتان ، ومن الســيرجَان إلىٰ جِيرُفْتَ مرحلتان ، ومن السِّيرجَان إلىٰ مدينة الزَّرَنْد تسعة وعشرون فرسخا .

(بعض مسافات إرْمِينِيَةَ وأرَّانَ وأذْرَبِيجَان) ـ قال آبن حوقل : من بَرْدَعَةَ إلىٰ شَمْكُورَ أربعة عشر فرسخا ، ومن بَرْدَعَةَ إلىٰ تَفْلِيسَ ثلاثة وأربعون فرسخـا ، ومن أرْدُبِيل إلىٰ المَرَاغَة أربعون فرسخـا ، ومن المَرَاغَة إلىٰ أُرْمِيــةَ أربعُ مراحل ، ومن أُرْمِيــةَ إلىٰ سَلَمَاسَ مرحلتان ، ومن سَلَمَاسَ إلى خُوَيّ سبعة فراسخ ، ومن خُوَيّ إلىٰ بَرْكَرِي ثلاثون فرسخـا ، ومن بَرْكَرِي إلىٰ أرْجيش يومان ، ومن أرجيش إلىٰ خِلَاطَ ثلاثة أيام ، ومن خلَاط إلىٰ بِدْلِيسَ ثلاثة أيام ، ومن بِدْلِيسَ إلىٰ ميَّا فارِقِينَ أربعة أيام .

[ذكر الطريق من المراغة إلىٰ أردبيل : من مَرَاغة إلىٰ أرمية ثلاثون فرسخا](١) ، ومن أُرْمِيةَ إلىٰ سَلَمَاسَ أربعــة عشر فرسخا ، ومن خُوَيّ إلىٰ نَشْوىٰ [ثلاثة أيام ، ومن نشوىٰ](١) إلىٰ دَبِيلَ أربعُ مراحل ، ومن المَرَاغَة إلىٰ الدِّينَوَر ستون فرسخا ، ومن خُونَجَ إلىٰ مراغة [ثلاثة عشر فرسخا](١) ، ومن بَرْدَعَةَ إلىٰ وَرْثان ســبعة فراسخ ، ومن وَرْثان إلىٰ بَيْلَقَانَ سبعة فراسخ ، ومن شَرْوَانَ إلىٰ باب الأبواب نحو سبعة أيام ، ومن بَرْدَعَةَ إلىٰ تَفْلِيسَ نحو آثنين وستين فرسخا .

---

(١) الزائد من تقويم البُلْدان عن آبن حوقل ليستقيم الكلام .

(بعض مسافات عِراق العجم) ـ من هَمَذَانَ إلىٰ الدِّينَوَرِ ما ينيف علىٰ عشرين فرسخا ، ومن هَمَذَانَ إلىٰ سَاوَةَ ثلاثون فرسخا ، ومن سَاوةَ إلىٰ الرَّيّ ثلاثون فرسخا أيضا ، ومن هَمَذَان إلىٰ زَنْجَانَ علىٰ شَهْرزُورَ ثلاثون فرسخا ، ومن هَمَذَانَ إلىٰ أَصْبَهَانَ ثمانون فرسخا ، ومن هَمَذَانَ إلىٰ أول خُرَاسَانَ نحو سبعين فرسخا ، ومن سَاوةَ إلىٰ قُمّ نحو آثنى عشر فرسخا ، ومن قُمّ إلىٰ قَاشَانَ نحو آثنى عشر فرسخا أيضا ، ومن الرَّيّ إلىٰ قَزْوِينَ ثلاثون فرسخا ، ومن الدِّينَوَرِ إلىٰ شَهْرزُورَ أربع مراحل ، ومن أَصْبَهَانَ إلىٰ قَاشَانَ ثلاث مراحل .

(بعض مسافات طَبَرِسْتَانَ ومَازَنْدَرَانَ وقُومَسَ) ـ قال آبن حوقل : بين آمُلَ وسَارِيَةَ مرحلتان ، ومن سارِيةَ إلىٰ إِسْتَرَابَاذ نحو أربع مراحل ، ومن إِسْتَرَابَاذَ إلىٰ جُرْجَانَ نحو مرحلتين ، ومن آمُلَ إلىٰ مَامَطِيرَ مرحلة ، ومن مَامَطِيرَ إلىٰ سَارِيَةَ مرحلة ، ومن جُرْجَانَ إلىٰ بَسْطَامَ مرحلتان .

(بعض مسافات خُرَاسَانَ) ـ قال فى "تقويم البُلْدان" : من أول أعمال نَيْسَابُورَ إلىٰ وادى جَيْحُونَ ثلاث وعشرون مرحلة ، ومن سَرَخْسَ إلىٰ نَسَا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن هَرَاةَ إلىٰ نَيْسَابُورَ أحد عشر يوما ، ومن هَرَاةَ إلىٰ مَرْوَ كذلك ، ومن هَرَاةَ إلىٰ سِجِسْتَانَ كذلك ، ومن مَرْو الرُّوذ إلىٰ مَرْو الشَّاهِجَانِ أربعة أيام ، ومن بَلْخ إلىٰ فَرْغَانَةَ ثلاثون مرحلة مشرقا ، ومن بَلْخ إلىٰ الرَّيّ ثلاثون مرحلة مغرّبا ، ومن بلخ إلىٰ سِجِسْتَانَ ثلاثون مرحلة جنوبا ، ومن بَلْخ إلىٰ كَرْمَانَ ثلاثون مرحلة ، ومن بَلْخ إلىٰ خُوَارَزْم ثلاثون مَرْحلة .

الجمـــــلة السادسة

(فيا بهذه المملكة من النفائس العليّة القدر، والعجائب الغريبة الذكر، والمتنزهات المرتفعة الصيت)

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : بها عدّة نفائس وعجائب .

أما النفائس فإن بهـا مَغَاص اللؤلؤ بحر فارس بجزيرة كِيش وعُمـانَ ، وهما من أحسن المغاصات وأشرفها وأعلاها قدرا فى حسن اللؤلؤ علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ الأحجار النفيسة فيا يحتاج الكاتب إلىٰ معرفته فى المقالة الأولىٰ .

وبالدَّامَغَان فى جبلها معدن ذهب . قال الشيخ شمس الدين الأصفهانىّ : وهو قليل المتحصّل لكثرة ما يحتـاج إليه من الكُلَف حتّى يُستخرَج وببذخشان[1] شرقىّ عراق العجم البـازهر الحيوانىّ الذى لا يبـاريه شىء فى دفع السُّمُوم يوجد فى الأيابيل التى هناك ، وقد مرّ ذكره فى الكلام علىٰ ما يحتاج الكاتب إلىٰ معرفته فى المقالة الأولىٰ .

وبها الإثمد الأصْفَهانىّ الذى لايُساوىٰ رتبة ، وقد مرّ ذكره فى الكلام علىٰ مايحتاج الكاتب إلىٰ معرفته فى المقالة الأولىٰ ، ولكنه قد عَزَّ الآن حتّى لايكاد يوجد قال المقرّ الشهابىّ بن فضل الله : سألت الشيخ شمس الدين الأصْفَهانىّ عن سبب قلّته ، فقال : لانقطاع عِرْقه فما بقى يوجد منه إلا مالا يرىٰ . قال فى "مسالك الأبصار" : وبهذه المملكة مستعملات القماش الفاخر من النخ ، والمخمل ، والكمخا ، والعتابى ، والنصافى ، والصوف الأبيض الماردينىّ ؛ وتعمل بها البسط الفاخرة فى عدّة مواضع مثل شِيرَازَ وأَقْصَرَا وتَوْرِيز إلىٰ غيرذلك من الاشياء النفيسة التى لايضاهيها غيرها فيها .

---

(١) هذه الكلمة غير واضحة فى الأصل .

* * *

وأما العجائب، فقد ذكر الشيخ شمس الدين الأصفهانى أن بمدينة قشمير على ثلاثة أيام عن أصفهان عينَ ماء سارحة يسمّى ماؤها بماء الجراد، إذا حمل ماؤها فى إناء وعلق فى تلك الأرض على عال، أتاها طير يقال له سار فأكل ما فيها من الجراد حتّى لايدع منه شيئا بشرط أن لايوضع على الأرض حتّى يؤتى به إلى مكان الجراد فيعلّق. وحكى محمّد بن حيدر الشيرازىّ فى مصنّف له: أن بين الدّامغان وأستراباذ من خراسان عينا ظاهرة إذا ألقيت فيها نجاسة فار ماؤها وأزبدت شيئا تتبعته دودة طول أنملة الإنسان حتّى لو حمل الماء تسعة وكان معهم عاشر لم يحمل الماء(1)، تبع كلّ واحد ممن حمل الماء دودة، ولم يتبع الآخر منها شيء، فلو قتل واحدٌ منهم تلك الدودة آستحال الماء مرا لوقته، وكذلك ماء كلّ مَنْ هو وراءه، ولا يستحيل ماء من هو إلى جانبه مُراً. قال آبن حوقل: وبكورة سَابُورَ من بلاد فارس جبلٌ فيه صورة كل مَلِك وكلّ مَرْزُبَان معروف للعجم وكل مذكور من سَدَنَة النّيران. وفى كورة أرّجان فى قرية يقال لها طبريان [بئرٌ](2) يذكر أهلُها أنهم آمتحنوا قعرها بالمثقلات فلم يلحقوا لها قعرا، ويفور منها ماء بقدر ما يدير رحًى تسقى أرض تلك القرية. قال: وفى كورة رُسْتاق [بئر](2) تعرف بالهنديجان بين جبلين يخرج منها دخان لا يستطيع أحد أن يقربها، وإذا طار عليها طائر سقط فيها وآحترق. وبناحية ذاذين نهر ماء عذب يعرف بنهر أَخْشين، يشرب منه الناس وتُسقى به الأرض، وإذا غسلت به الثياب خرجت خُضْرًا.

---

(1) لعله ولو حمل واحد من ماءها شيئا الخ..

(2) الزيادة عن تقويم البلدان ليستقيم الكلام.

* * *

وأما المنتزهات فبها نهر الأُبُلَّةِ وشِعْب بَوَّانَ ـ وهمـا نصف مُنتزهات الدنيا الأربعة : وهى نهر الأُبُلَّةِ وشِعْب بَوَّانَ المذكوران وصُغْد سَمَرْقَنْد وغُوطة دِمَشْق .

وقد تقدّم أن نهر الأُبُلَّةِ نهرٌ شقَّه زيادٌ مقابَلةَ نهر مَعْقِل ، و بينهما البساتين والقصور العالية والمبانى البديعة ، يتسلسل مجراه ، وتتهلل بُكَرُهُ وعشاياه ، ويُظله الشجر وتغنّى به زمر الطير . وفيه يقول القاضي التنوخيّ من أبيات :

وإذا نَظَرْتَ إلىٰ الأُبُلَّةِ خِلْتَهَـا * من جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ حِينَ تُخَيَّلُ !

كَمْ مَـنْزِلٍ فى نَهْرِها آلىٰ السُّرُو * رُ بأنَّهُ فى غَيْرِها لا يَـنْزِلُ !

وكأنَّمـا تلكَ القُصُورُ عَرَائِسٌ * والرَّوْضُ حَلْيٌ وهى فيه تَرْفُلُ !

وشِعْب بَوَّانَ ـ وهو عدّة قُرًى مجتمعة ومياه متصلة ، والأشجار قد غطَّتْ تلك القرىٰ فلا يراها الإنسان حتّى يدخلها ، وهو بظاهر هَمَذان يشرف عليها من جبل ، وهو فى سفح الجبل والأنهار تنحطُّ عليه من أعلىٰ الجبل ، وهو من أبدع بقاع الأرض مَنْظَرًا . قال المبرد : أشرفت علىٰ شِعْب بَوَّانَ فنظرت فإذا بماء ينحدر كأنه سلاسلُ فضة ، وتربةٍ كالكافور ، وثريّةٍ كالثوب الموشّى ، وأشجار متهادلة ، وأطيار متجاوبة . وفيه يقول أبو الطَّيِّب المتنبي حين مرّ به :

مَغَانِى الشِّـعْبِ طِيبًا فى المَغَانِى * بمنزلةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ !

ولَـٰكِنَّ الفـتىٰ العَرَبِيَّ فيهـا * غَرِيبُ الوَجْهِ واليَدِ واللِّسَانِ !

الجمـــــــلة السابعة

(فى ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاما)

وهم علىٰ ضربين :

الضرب الأوّل

(ملوكها قبل الإســـلام)

وآعلم أن هذه المملكة لم تزل بيد ملوك الفُرْس لآبتداء الأمر وإلىٰ حين آنقراض دولتهم بالإســـلام علىٰ ماسيأتى ذكره . قال المؤيد صاحب حماة : وهم أعظم ملوك الأرض من قديم الزمان ، ودولتهم وترتيبهم لا يمـاثلهم فى ذلك أحد .

وهم علىٰ أربع طبقات :

الطبقـــــة الأولىٰ

(الفيشداذية)

سُمُّوا بذلك لأنه كان يقال لكل من ملك منهم فيشداذ ومعناه سيرة العدل .

وأوّل من ملك منهم (أوشهنج) وهو أوّل من عُقِد علىٰ رأسه التـاج وجلس علىٰ السرير ورَتَّب الملك ونَظَّم الأعمال ووضع الخَرَاج . وكان ملكه بعد الطُّوفان بمـائة[1] سنة ، وهو الذى بنىٰ مدينتى بَابِلَ والسُّوسِ ، وكان محمودَ السيرة ، حسن السياسة .

ثم مَلك بعـده (طهمورث) وهو من عقب أوشهنج المقدّم ذكره ، وبينهما عدّة آباء ، وسلك سِيرة جدّه ، وهو أوّل من كتب بالفارسية .

ثم ملك بعده أخوه (جَمْشِيذ) ومعناه شُعَاع القمر ، وسار سَـيْرة من تَقَدَّمه وزاد عليها ، وملك الأقاليم السبعة ، ورتب طبقاتِ الحُجَّابِ والكُتَّاب ونحوهم ، وهو الذى أحدث النَّيْرُوزَ وجعله عيدا ، ثم حاد عن سيرة العدل فقتله الفُرْس .

---

(١) فى تاريخ أبى الفدا (بمـائتى) بالتثنية .

وملك بعده (بيوراسب) ويعرف بالدَّهَّاك[1]، ومعناه عشر آفات، والعامة تسميه الضحاك؛ ومَلَكَ جميع الأرض فسار بالجَوْر والعَسْف، وبسط يده بالقتل، وأحدث المُكُوس والعُشور، وآتخذ المغنِّين والملاهى. وسيأتى خبر هلاكه مع كابى الخارج عليه فى الكلام على النِّحَل والملل، ويقال إنه هو ومن قبله كانوا قبل الطُّوفان.

ثم ملك بعده (إفريدون) ويقال إنه التاسع من ولد "جَمْشيذ" المقـدّم ذكره، وفى أوّل ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنَيْنِ المذكورُ فى القرءان علىٰ أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضا وقسمها بين بَنِيه ومات.

فملك بعده آبنه (إيراج) بعهد من أبيه، ثم ملك بعده أخوه (شرم) و(طوج) ثم غلبهما علىٰ المُلْك (مَنُوجِهْر بن إيراج) وفى أيامه ظهر موسىٰ عليه السلام. ويقال إن فرعون موسىٰ كان عاملا له علىٰ مصرَ داخلا تحت أمره.

ثم تغلب علىٰ المملكة (فراسـياب بن طوج) فأفســد وخرَّب؛ ثم غلبه عليهـا (زو بن طهماسب) من أولاد مَنُوجِهْر، فأحسن السيرة وعَمَر البلاد، وشقّ نهر الزَّاب وبنىٰ مدينة علىٰ جانبه.

ثم ملك بعده (كرشاسف) من أولاد طوج بن إفريدون، وهو آخر ملوك هذه الطبقة.

الطبقـــــة الثـانية

(الكِيَانيـــة)

سُمُّوا بذلك لأن فى أوّل آسم كل واحد منهم لفظة كى، ومعناه الرُّوحاني وقيل الجبَّار.

وأوّل من ملك منهم بعـد كرشاسف المقدّم ذكره (كيقباذ) بن زو، فسار سَيْرة أبيه فى العدل ومات؛ فملك بعده (كيكاؤوس) بن كينيه بن كيقباذ ومات؛ فملك

(١) كذا فى المختصر أيضا وفى العـبر "الازدهاك بصاد بين السين والزاى وحاء قريبة من الهاء وكاف قريبة من القاف" وفى المسعودى "الده آك".

بعده آبنه (كيخسرو بن سياووس بن كيكاؤوس) بولاية من جدّه، ثم أعرض عن الملك .

وملك بعده (كيهراسف بن أخى كيكاؤوس) وآتخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجوهر، كان يجلس عليه، وبنىٰ مدينة بَلْخ بأرض خُرَاسَانَ وسكنها لقتال الترك، وفى زمنه كان بُخْتَنَصَّر بجعله نائبا له ثم مات .

وملك بعده (كيبشتاسف) وبنىٰ مدينة نَسَا، وفى أيامه ظهر زَرَادُشْت صاحب "كتاب المجوس" الآتى ذكره فى الكلام علىٰ النِّحل والملل، وتبعه كيبشتاسف علىٰ دينه ثم فُقِد .

وملك بعده (أردشير بهمن) ومعنىٰ بهمن الحسن البنية آبن إسفنديار بن كيبشتاسف، وآسمه بالعبرانية كورش؛ وملك الأقاليم السبعة، وهو الذى أمر بعمارة البيت المقدّس بعد ان خربه بُخْتَنَصَّر .

ثم ملك بعده آبنه (دارا بن أردشير) وفى زمنه ملك (الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس) وغلب دَارًا علىٰ مُلْكِ فَارِسَ، وآستناب به عشرين رجلا، وهم المُسَمَّوْنَ بملوك الطوائف، فأقاموا علىٰ ذلك خمسمائة وآثنتى عشرة سنة، ثم بطل حكم ذلك .

الطبقة الثالثة

(الإشغانية[1]، يقال لكل منهم اشغا)

وأوّل من ملك منهم بعد ملوك الطوائف (اشغا بن اشغان) . ثم ملك بعده آبنه[2] (سابور بن اشغان) عشر سنين. ثم ملك بعده (بسين بن اشغا) ستين سنة . ثم ملك بعده (جور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (بيرن الاشغانى) إحدىٰ وعشرين

(١) فى العبر "الاشكانية وكأنها أقرب إلىٰ الغين" فتنبه .

(٢) هنا مخالفة لما فى كتابى مختصر أبى الفداء والعبر فراجعهما .

سنة ومات . فملك بعده (جوذرز الاشـغانى) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (نرسى الاشـغانىّ) أربعين سنة ومات . فملك بعده (هرمز الاشغانى) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (اردوان الاشغانى) آثنتى عشرة سـنة ومات . فملك بعده (خسرو الاشغانى) أربعين سنة ومات . فملك بعده (بلاش الاشغانى) أربعاوعشرين سنة ومات . فملك بعده (اردوان الأصغر) وهو آخر ملوكهم من هذه الطبقة .

الطبقـــة الرابعة
(الأكاسرة)

وأول من ملك منهم (أردشير بن بابك) من عقب ساسان بن "أردشير بهمن" قتل "اردوان" وآستولىٰ علىٰ ملكه ، فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وكتب عهدا بالمُلْك فى عقبه ومات . فملك بعده آبنه (سابور) إحدىٰ وثلاثين سنة وستة أشهر، وفى أيامه ظهر "مانى الزنديق" وآدّعىٰ النبوّة ، وآعتنىٰ بنقل كتب الفلسفة من اللغة اليونانية إلىٰ اللغة الفارسـية ، ويقال إن العُودَ الذى يُتغنّى به حَدَث فى أيامه ومات . فملك بعده آبنه (هُرْمُز) سنة واحدة وستة أشهر ومات . فملك بعده آبنه (بَهْرام) ثلاث سنين وثلاثة أشهر ومات ، فملك بعده آبنه (بهرام بن بهرام) سبع عشرة سنة ومات . فملك بعده آبنه (بهرام بن بهرام بن بهرام) أربع سنين ثم مات . فملك بعده أخوه (نرسى بن بهرام) تسع سنين ثم مات . وملك بعده آبنه (هُرْمُز) تسع سنين أيضا ومات . فملك بعـده آبنه (سابور) وهو الذى عمل الجَسْر الثانى لدِجْلة ليكون أحدُ الجَسْرين للذاهبين ، والآخر للآتيين[1] . وفى زمنه كان قُسْطَنْطِينُ ملك الروم ومات . فملك بعده أخوه[2] (أردشير) بوصية منه ، ثم مات . فملك بعده آبنه (سابور

(١) قال فى العبر "ضبطه الدارقطنى بالراء المهملة" .

(٢) صوابه آبن أخيه .

ٱبن سابور) ثم ملك بعــده أخوه (بهرام بن سابور) ثم ملك بعــده ٱبنه (يزدجرد) المعروف بالأثيم؛ ثم ملك بعده (كسرىٰ) من ولد "أردشير" [ثم ملك بعده (بهرام جور بن يزدجرد الأثيم) وكانت مدة ملكه[1]] ثلاثا وعشرين سنة ومات . فملك بعــده ٱبنه (يزدجرد) ثمــانيا وعشرين سنة ومات . فملك بعــده ٱبنه (هُرْمُز) ثم مات . فملك بعــده أخوه (فيروز) سبعا وعشرين ســنة ، وظهر فى أيامه غلاء شديد . ثم ملك بعده ٱبنه (بلاش) أربع سنين ومات . فملك بعده أخوه (قُبَاذ) ثلاثا وأربعين سنة "وفى أيامه ظهر مردك الزِّنْديق وادّعىٰ النبوّة" ثم خلع . وملك بعده أخوه (جاماسف) [ثم تغلب عليه قباذ واستمر فى الملك[2]] ثم مات . وملك بعده (أنوشِرْوان) ثمانيا وأربعين سنة ، وقتل مزدك الزِّنديق وأتباعه وجماعةً من المــانَوِيَّة ، وغلب علىٰ اليمن وٱنتزعها من الحبشة . وفى زمانه وُلِد عبدالله أبو النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم ! ثم وُلِد النبيّ صلى الله عليه وسلم ! فى آخر أيامه ؛ ثم مات . وملك بعده ٱبنه (هرمز) نحو ثلاثَ عشرةَ سنة ونصف . ثم ملك (أبرويز بن هرمز) ؛ ثم غلبه علىٰ الملك (بَهْرام چوبين) من غير أهل بيت الملك ؛ ثم عاد أبرويز إلىٰ الملك وملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وتزوج شِيرِينَ المغنيةَ وبنىٰ لهــا القصر المعروف بقصر شيرينَ . ثم ملك بعده ٱبنه (شيرويه) تغلُّبا علىٰ أبيه ثمــانية أشهر . ثم ملك بعده ٱبنه (أردشير) سنة وستة أشهر . ثم ملك بعده (شهريَان) من غير بيت الملك ثم قتل . وملك بعده (بُورانُ) بنت أبرويز سنة وأربعة أشهر . ثم ملك بعدها (خشنشده) من بنى عم أبرويز أقلّ مِن شهر . ثم ملك بعــده (أزرميدخت) بنت أبرويز أخت بُوران . ثم قتلت ؛ وملك بعدها (كسرىٰ بن مهر خشنش) ؛ ثم قتلوه بعــد أيام ؛ ثم ملك بعــده

---

(١) الزيادة من تاريخ أبى الفداء ليتم الكلام ويستقيم .

(٢) » » » بالمعنى لتتميم الكلام .

فرخ زادخسرو [من أولاد أنو شروان وملك ستة أشهر[1] وقتلوه؛ ثم ملك] (يزدجرد) وهو آخرهم .

الضرب الثانى

(ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقـــة الأولى

(عُمّال الخلفاء)

قد تقدّم أن فتحها كان فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فتوالت عليها عُمّال الخلفاء فى بقية خلافة عمر؛ ثم فى خلافة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه، ومُقَامهما يومئذ بالمدينة النبوية؛ ثم لما بويع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالخلافة بعد قتل عثمان، جعل إقامته بالعراق؛ ثم كان بعده ابنه الحسن السِّبْط رضى الله عنه، فأقام بالعراق إلى أن سلّم الأمر إلى (مُعَاوِيَةَ بن أبى سُفْيَانَ)، فصارت الخلافة إلى بنى أُمَيَّةَ، وجعلوا دار إقامتهم بالشأم وتوالت على هذه المملكة نوابهم فى خلافة معاوية؛ ثم (ابنه يزيد)؛ ثم (ابنه معاوية بن يزيد) ؛ ثم (مَرْوانَ بن الحكم)؛ ثم (عبد المَلِك بن مَرْوَانَ)؛ ثم (الوليد ابن عبد المَلِك) ؛ ثم (سليمان بن عبد المَلِك) ؛ ثم (عُمَرَ بن عبد العزيز) ؛ ثم (يزيدَ ابن عبد المَلِك) ؛ ثم (هشام بن عبد المَلِك) ؛ ثم (الوليد بن يزيد بن عبد المَلِك) ؛ ثم (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) ؛ ثم (إبراهيم بن الوليد) ؛ ثم (مَرْوَانَ بن محمد ابن مروان بن الحكم) وهو آخرهم .

---

(١) أى ابن شهريار . وبقية نسبه فى تاريخ أبى الفداء والزيادة منه ليتم الكلام .

الطبقـــة الثـانية

(خلفاء بنى العَبَّاس)

وقد تقدّم فى أوّل هــذه [المقالة] أن دار مُقَامهم كانت بالعراق ، وأن أوّل من وَلِيَ منهم الخلافة (أبو العَبّاس السَّفَّاحُ) ، فبنىٰ المدينة الهاشمية ونزلها ، ثم ٱنتقل منها إلىٰ الأنْبَار فكانت دار مُقَامه إلىٰ أن مات ؛ ثم كان بعده أخوه (أبو جعفر المنصورُ) فبنىٰ بغداد وسكنها ؛ ثم سكنها بعده ٱبنه (المهدىّ) بن المنصور ؛ [ثم ٱبنه (الهادى)](١) ؛ ثم أخوه (هارون الرشيد) بن المهدىّ ؛ ثم ٱبنه (الأمين) ؛ ثم أخوه (المأمون) ؛ ثم أخوه (المعتصم) بن الرشيد ؛ ثم (الواثق) بن المعتصم ؛ ثم أخوه (المتوكل) ؛ ثم ٱبنه (المنتصر) ؛ ثم (المستعين بن المعتصم) ؛ ثم (المعتز بن المتوكل) ؛ ثم (المهتدى) ٱبن الواثق ؛ ثم (المعتمد بن المتوكل) ؛ ثم (المعتضد بن الموفق طلحة) بن المتوكل ؛ ثم ٱبنه (المكتفى) بن المعتضد ؛ ثم أخوه (المقتدر) ؛ ثم (المرتضى) بن المعتز ؛ ثم أخوه (القاهر) ؛ ثم (المقتدر) المقدّم ذكره ؛ ثم أخوه (القاهر) المقدّم ذكره ؛ ثم ٱبن أخيه (الراضى) ؛ ثم أخوه (المتقى) ؛ ثم ٱبن عمه (المستكفى) ؛ ثم ٱبن عمه (المطيع) ؛ ثم ٱبنه (الطائع) ؛ ثم (القادر) ؛ ثم ٱبنه (القائم) ؛ ثم ٱبن ٱبنه (المقتدى) ؛ ثم ٱبنه (المستظهر) ثم ٱبنه (المسترشد) ؛ ثم ٱبنه (الراشد) ؛ ثم (المقتفى) بن المستظهر ؛ ثم ٱبنه (المستنجد) ؛ ثم ٱبنه (المستضىء) ؛ ثم ٱبنه (الناصر) ؛ ثم ٱبنه (الظاهر) ؛ ثم ٱبنه (المستنصر) ؛ ثم ٱبنه (المستعصم) وقتله هُولَاكُو ملكُ التتار الآتى ذكره ، فى العشرين من المحرّم سنة ست وخمسين وستمائة ، وهو آخرهم ببغداد .

وٱعلم أن أمر الخلافة كان قد وهىٰ وضَعُف ، وتناهَتْ فى الضعف أيامَ الراضى ، وتغلب عُمَّـال الأطراف عليهـا ، فاستولىٰ محمد بنُ رائق من الفرات علىٰ البصرة ،

(١) سقط من قلم الناسخ فأثبتناه ليتم الكلام و ينتظم .

والبريدىُّ على خُوزُسْتَانَ، وعمـادُ الدولة بن بُوَيه على فَارِسَ، ومحمد بن الياس على كَرْمَانَ، ورُكْنُ الدولة بن بُوَيه على الرَّىّ وأصْفَهَانَ، وبنو حَمْدَانَ على المَوْصِلِ وديارِ بَكْرٍ وديارِ مُضَرَ وديارِ رَبِيعَةَ، وغير أقطار هذه المملكة مع ملوك أخر. ولم يبق للخليفة غيرُ بَغْدَادَ وأعمالهـا، وآستولى آبن رائق على جميع الأمور وخطب باسمه على المنابر، وأقام سنة وعشرة أشهر، ثم صار الأمر بعده إلى (يحكم) مملوك وزير (ماكان) بن كاكى الديلمىّ وآستمرّ أيام الراضى فقتـل، وآستقرّ (البريدىّ) بعـده فى أيام المتقى وأيام المستكفى. وضُربت ألقابه على الدنانير والدراهم، وخُطب بآسمه على المنابر، وآستمرّ ذلك لذويه من بعده، ثم ملك بعده (بختيار)، ثم آبن عمه[1] (عضد الدولة) بن ركن الدولة حسن بن بويه، ثم آبنه (صمصام الدولة) بن عضد الدولة، ثم أخوه (شرف الدولة شيرزيك) بن عضد الدولة، ثم أخوه (بهاء الدولة أبو نصر) بن عضد الدولة، ثم آبنه (سلطان الدولة أبو شجاع)، ثم آبنه (بهـاء الدولة)[2]، ثم أخوه (مشرف الدولة آبن بهاء الدولة)، ثم أخوه (جلال الدولة) أبو الطاهر بن بهاء الدولة، ثم آبن أخيه (أبوكاليجار) بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة، ثم آبنه الملك الرحيم (خسرو فيروز) آبن كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة آبن بُوَيْه. وبنو بويه هؤلاء ينسبون إلى يَزْدَجِرد ملك الفرس.

ثم كانت دولة السَّلْجوقية. وهى من أعظم الدول الإسلامية، ونسبتهم إلى سلجوق بن دقاق أحد مقـدّمى الأتراك، وبهم زالت دولة بنى بويه عن بغـداد وأعمـال الخلافة.

وأوّل من ملك منهم (طُغْرلبك) بن ميكائيل بن سَلْجوق فى سنة آثنتين وثلاثين وأربعمائة، ثم ملك بعده آبن أخيه (ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل، ثم آبنه

(١) فى الأصل "ثم آبنه" وهو خلاف الواقع.

(٢) أجمعت التواريخ على إسقاط هذا من البين، وهو ما تقتضيه عبارة المؤلف.

(ملكشاه) بن ألب أرسلان ؛ ثم آبنه (محمود بن ملكشاه) ؛ ثم أخوه (بَرْكِيَارُق) آبن ملكشاه ، ثم أخوه (محمد بن ملكشاه) ؛ ثم آبنه (محمود بن محمد) ؛ ثم آبنه (داود بن محمود) ؛ ثم عمه (طغرلبك) بن محمد ؛ ثم أخوه (مسعود) بن محمد ؛ ثم آبن أخيه (ملكشاه) بن محمود ؛ ثم أخوه (محمد بن محمود) . ثم قام منهم ثلاثة : وهم (ملكشاه بن محمود) أخو محمد المذكور ؛ و (سليمان شاه) بن محمد بن ملكشاه ، وهو عم محمد المذكور ؛ و (أرسلان شاه) بن طغرلبك بن محمد بن ملكشاه . ثم قبض على سليمان شاه ، ومات ملكشاه ، وآنفرد أرسلان شاه بن طغرلبك بالسلطنة . ثم ملك بعده آبنه (طغرلبك) بن أرسلان شاه وبقي حتى قتله علاء الدين تُكُش صاحب خوارزم وبعض خُرَاسَان والرَّيّ وغيرها ، في خلافة الناصر لدين الله في سنة تسعين وخمسمائة ، واشتغل (خوارزم شاه) عن فصل العراق فبقي بيد الخلفاء من لدن الناصر لدين الله ، ومَنْ بعده إلى أن آنقرضوا بفَعْلة هُولَاكُو ملك التتر الآتي ذكره .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني جنكزخان)

واول من ملكها منهم (هُولَاكُو) بن طولى بن جنكزخان المقدّم ذكره ، قصدها بأمر أخيه منكوقان بن طولى صاحب التخت في سنة خمسين وستمائة ، وقتل المُسْتَعْصِم آخر الخلفاء ببغداد ، وآستولى على جميع المملكة . قال في "مسالك الأبصار" : قال شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهانيّ : إلا أن هُولَاكُو لم يملك ملكا مستقلا بل كان نائبا عن أخيه منكوقان ، ولم يضرب بآسمه سكة درهم ولا دينار ، وإنما كانت تضرب باسم أخيه منكوقان . قال : وكان يكون لصاحب التخت أميرٌ لا يزال مقيما في مملكة إيران مع هُولَاكُو ، ومات في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين

وستمائة، وملك بعــده (ٱبنه أبغا) . قال الشيخ شمس الدين الأصفهانىّ: ولما ملك أضاف ٱسمه فى السكة إلىٰ ٱسم صاحب التَّخت ، وكان قد وجه أخاه منكوتمر إلىٰ الشام وٱلتقىٰ مع الجيوش الإسلامية علىٰ حِمْص، وٱنكسر عليها، وماتَ سنة إحدىٰ وثمــانين وستمائة ، وملك بعده أخوه (بوكدار بن هولا كو) وأسلم وحسن إسلامه وتلقب أحمد سلطان، وحمل العسكرَ علىٰ الإســلام فقتلوه، وملك بعــده ٱبن أخيه (أرغون) بن أبغا بن هُولَاكُو فى جمــادىٰ الأولىٰ ســنة ثلاث وثمــانين وستمائة ، وتوفى فى ربيع الأوّل ســنة تسعين وستمــائة، وملك بعــده أخوه (كيختو) فخرج عن الياســة وأفحش فى الفسق بنساء المغل وأبنــائهم ، فوثب عليــه بنو عمه فقتلوه فى ربيع الآخر ســنة أربع وتسعين وستمــائة، وملك بعده (بيدو بن طرغاى) ٱبن هُولَاكُو ، وبقى حتّى قتــل فى ذى الحجة من الســنة المذكورة ، وملك بعــده (محمود غازان) بن أرغون بن أبغــا بن هولا كو ، ودخل إلىٰ الشــام ، وكان بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون وَقَعات بحِمْص وغيرها آخرها علىٰ شَقْحَب،كُسِر فيها كسرة فاحشة، هلك فيها معظم عسكره فى سنة ٱثنتين وسبعمائة ، وبقى حتّى توفى فى ثالث عشر شوّال ســنة ثلاث وسبعمائة ، وملك بعده أخوه (خدابندا) والعامة تقول خربنــدا بن أرغون بن أبغــا بن هُولَاكُو فى الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعمائة، ثم ملك بعده (أبو سعيد بن خدابندا) وهو آخر من ملك من بنى هُولَاكُو، وكان بينه وبين الناصر محمد بن قلاوون مكاتَبَات ومراسلات وتودّد بعد وَحْشــة ، وبموته تفرّقت المملكة بأيدى أقوام، وصارت شبيهة بملوك الطوائف من الفُرْس .

قال فى "مسالك الأبصار" بعد ذكر أبى سعيد : ثم هُمْ بعده فى دهماءَ مظلمه ، وعمياء مُقْتِمه، لا يُفْضِى ليلهم إلىٰ صَبَاح ، ولا فرقتهم إلىٰ ٱجتماع ، ولا فسادُهم إلىٰ

صَلَاح ؛ فى كل ناحية هاتف ، يدعىٰ بآسمه ، وخائف ، أخذ جانبا إلىٰ قَسْمِه ؛ وكل طائفة تتغلب وتقيم قائمـا تقول هو من أبناء القان ، وتنسبه إلىٰ فلان ؛ ثم يضمحلُّ أمره عن قريب ، ولا تلحق دعوته حتّٰى يدعىٰ فلا يجيب ، وما ذلك من الدهر بعجيب . وذكر نحوه فى "التعريف" وزاد عليه فقال : "وكان العهد بهذه المملكة لرجل واحد وسلطان فرد مطاع ، وعلىٰ هذا مضت الأيام إلىٰ حين وفاة أبى سعيد ، فصاح فى جَنَبَاتِها كلُّ ناعق وقطع رداءها كل جاذب ، وتفرّد كل متغلب منها بجانب ؛ فهى الآن نُهْبَىٰ بأيديهم .

فأما عِرَاق العرب وهو بَغْدَادُ وبلادها وما يليها من ديار بَكْر ، وربيعة ومُضَر ، فبيد الشيخ حسن الكبير ، وهو الحسن بن الحسين بن أقبغا من طائفة النُّورانيين ، كان جدّه نوكرا لهُولَاكُو بن طولى بن جنكزخان ، والنوكر هو الرفيق .

وأما بقيّة ديار بكر ، فبيد إبراهيم شاه بن بارنباى بن سوناى .

وأما مملكة أَذْرَبيجـان وهى قطب مملكة إيران ، ومقرّ كرسىّ ملوكها من بنى جنكزخان ؛ فهى الآن بيد أولاد جوبان ، وبها القان القائم بها (سليمان شاه) . قال : ولا أعرف صحة نسبه ولا سياقته بالدعوىٰ .

وأما خراسان ، فبيد القان طغيتمر يار . وهو صحيح النسب ، غير أنى لم أعرف آسم آبائه .

وأما بلاد الروم ، فقد أضيفت إلىٰ إيران منهـا قطعةٌ صالحة ، وبلاد نازحة ؛ ثم قال : وهى الآن بيد أرتنا ، وقد نبه علىٰ ذلك ليعرف .

قلت : ثم تغيرت الأحوال عن ذلك .

الجمـــــلة الثامنة

(فى معاملاتهـا وأســـعارها)

أما معاملاتها فالمعتبر فيها معاملة ثلاث قواعدَ .

الأولىٰ ـ (بَغْدَاد) . قد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن ببغداد دينارين . أحدهما يسمّى العوال ، عنه آثنـا عشر درهما ، الدرهم بقيراط وحبتين . وذلك أن الدينار عشرون قيراطا ، كل قيراط ثلاث حبات ، كل حبة أربعة فلوس من الدرهم النقرة ، عن كل فَلْسٍ فَلْسان أحمران . والثـانى الدينار المرسل ، عنه عشرة دراهم ، وبه أكثر مبـايعاتهم ومعاملات تُجَّارهم . وقد آختلف أصحابنـا الشافعية فى رِطْل بَغْـدَادَ . فذهب الرافعىُّ إلىٰ أنه مائة وثلاثون درهما وهو الموجود فيها الآن ، وعليه آقتصر فى "مسالك الأبصار". وذهب الشيخ محيى الديـن النووىّ إلىٰ أنه مائة وسبعة وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم ، والمنُّ بها رطلان بالتورانىّ . ومكاييلها أكبرها الكُرُّ، وهو ثلاثون كارة ، كل كارة قفيزان ، فيكون الكُرُّ [ستين] قفيزا ، والقفيز مَكُّوكان كل مَكُّوك خمس عشر اق[1] . وتختلف الكارَةُ فى الغلال ، فالقمح كارته مائتان وأربعون رطلا ، وكارة الأُرُزِّ ثلثمائة رطل ، وكارة كلٍّ من الشـعير والحِمَّص والعَدَس والهُرْطُمَان مائة رطل ، وكارة الحَبَّة السَّوْداء ، وهى الشُّونيز مائة رطل .

الثانية ـ (تَوْرِيز) قاعدة أَذْرَبِيجَان وسائرِ المملكة غير بغداد وخُرَاسان . فمعاملاتها بدينار يسمّى عندهم بالرائج ، عنه ستة دراهم .

الثالثة ـ (نَيْسَابُور) قاعدة خُرَاسَانَ . فدينارها أربعة دراهم ، وفى بعضها الدينار الرائج المقـدّم ذكره . قال فى "مسالك الأبصار" : ولا يبـاع بتَوْرِيزَ وبلادها

---

(١) كذا فى الأصل ، وقد تكلم علىٰ المَكُّوك صاحب القاموس وصاحب اللسان بأوضح ممـا هنا .

فى الغالب قمحٌ ولا شعير ونحوهُما إلا بالميزان ، وليس لهم إلا المَنُّ ، وهو بتَوْريز رِطْلان بالبغدادىّ ، فتكون زنته مائتين وستين درهما ، وبالسلطانية المنُّ ستمائة درهم .

وأما أسعارها فنقل فى "مسالك الأبصار" عن يحيىٰ بن الحكيم الطيارىّ فى السعر ببغـداد : أن كُرَّ القمح بتسعة وثلاثين دينارا ونصف دينار ، والشـعير بخمسة عشر دينارا ، كلاهما من العوال . ثم قال : ولعل هذا هو السعر المتوسط ، لا يكاد يميل فيه القانون عن معدله . وذكر أن الأسعار بتبريز والسلطانية إذا لم ينزل عليها السلطان ، فأسعارها رَخِيَّة لا إلىٰ غاية ، وكل بلد نزل عليه السلطان غلت أسعاره ، ولعل هـذا قد تغير كلها فى زماننا كما تغير غيره من الأحوال .

الجمـــــــلة التاسعة

(فى ترتيب هذه المملكة علىٰ ما كانت عليه فى زمن بَنِى هُولَاكُو ، آخر أيام أبى سعيد : من الأمراء والوزراء وأرباب الوظائف)

أما الأمراء . فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أنهم عندهم علىٰ أربع طبقـات أعلاها النوين ، وهو أمير عشرة آلاف ، ويعبر عنه بأمير تومان ، إذ التُّومان عندهم عبـارة عن عشرة آلاف ، ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة . قال فى "التعريف" : (وحكام دولة هذا السلطان أمراء الألوس ، وهم أربعة ، أكبرهم بكلارى بك : وهو أمير الأمراء ، كما كان قطلوشاه عند غازان ، وجوبان عند خدابندا ، ثم عند أبى سعيد) . قال : وهؤلاء الأمراء الأربعة لا يُفْصَـل جليل أمر إلا بهم ، فمن غابَ منهم كتب فى اليرالغ : وهى المراسيم كما يكتب لو كان حاضرا ، ونائبه يقوم عنـه ، وهم لا يُمْضُون أمرا إلا بالوزير ، والوزير يمضى الأمور دونهم ويأمر نوابهم فتكتب أسمـاءهم ، والوزير هو حقيقة السلطان ، وهو المنفرد بالحديث فى المـال ،

والولاية، والعزل، حتى فى جلائل الأموركما كان بكلارى بك يتحدث فى أمر العسكر بمفرده. فأما الاشتراك فى أمور الناس فبهم أجمعين، وليس للأمراء فى غالب ذلك من العلم إلا ماعلم نوابهم .

قال فى "مسالك الأبصار" نقلا عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى : وأمر الجيوش والعساكر إلى كبير أمراء الألوس المسمى بكلارى بك، كما كان قطلوشاه مع السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابندا، وجوبان مع خدابندا، ثم بعده مع ولده السلطان أبى سعيد بهادرخان، والشيخ حسن بن حسين بن أقبغا مع خانه السلطان محمد بن طشتمر بن اشتمر بن غبرجى، وإليه يقطع أمر كل ذى سيف. قال : وأمر متحصلات البلاد ودخلها وخرجها إلى الوزير، وإليه يرجع أمر كل ذى قلم ومنصب شرعى، وله التصرف المطلق فى الولاية والعزل والعطاء والمنع، لايشاور السلطان إلا فيما جلّ من المهمات وما قلّ من الأمور، وهو السلطان حقيقة وصاحب البلاد معنى، وإليه ترجع الأمور كلها، وإليه عقدها وحلها . أما السلاطين بها فلا التفات لهم لأمر ولا نهى ولا نظر فى متحصل ولا دخل ولا خرج . قال : وعدّة جيشهم المنزّلة فى دواوينهم لا تبلغ عشرين تومانا. أما إذا أرادوا فإنهم يركبون بثلاثين تومانا وما يزيد عليها، وعامة العسكر لا تزال أسماؤهم فى دواوينهم على الإفراد، وكل طائفة منهم عليهم فى الديوان فارس معين، إذا رسم لهم بالركوب ركب العدّة المطلوبة. قال : وقد ذكر أنه كان فى هذه المملكة عدّة ملوك كصاحب هراة، وحلول الجبل هم كالعبيد لقانها الأكبر منقادون إليه وداخلون تحت طاعته .

وأما القضاة فعادة هذه المملكة أن يكون بها فى صحبة السلطان قاضى قضاة الممالك، وهو الذى يولى القضاة فى جميع المملكة على تنائى أقطارها إلا العراق، فإن لبغداد قاضى قضاة مستقل بها يولى فيها وفى بلادها من جميع عراق العرب .

واما الكُتّاب وأصحاب الدواوين : من ديوان الإنشاء ودواوين الأموال ، فعلى أَتَمّ نظام وأعدلِ قاعدة .

الجمـــــلة العـاشرة

(فيما لأرباب المناصب والجُنْد من الرزق على السلطان)

قد نقل فى "مسالك الأبصـار" عن نظام الدين الطيارى : أن المقرّر للأمراء فى القديم من زمن هُولَاكُو لكل نوين (أمير) تومانٌ : وهو عشرة آلاف دينار رابح ، عنها ستون ألف درهم . ثم تزايد الحـال بهم حتى لا يقنع النوين فيهم إلا بخمسين ألف[1] تومان ، وهى خمسمائة ألف دينـار رابح ، عنها ثلاثة آلاف ألف درهم ، ومن خمسين تومانا إلى أربعين تومانا . وكان قد آستقر لجوبان ، وهو يومئذ بكلارى بك ثم لمن بعـده ثلثمائة تومان ، وهى ثلاثة آلاف ألف دينار رابح ، عنها ثمـانية عشر ألف ألف درهم مع ما يحصل لكل من أمراء الألوس الأربعة من الخدم الكثيرة فى البلاد جميعها عند تقريرات الضمان بها على ضُمّـانها . قال : وأما أمير ألف ومَنْ دونه ، فلا يتجاوز أحد منهم تقريره القديم فى الديوان : وهو لأمير الألف ألف دينار رابح ، عنها ستة آلاف درهم . وأما أمير المائة وأمير العشرة وكل واحد من العسكرية إلى الجند فمائة دينار رابح ، عنها ستمائة درهم لاتفاوت بينهم ، وإنمـا تبقى مزية أمير المائة أو العشرة أنه يأخذ لنفسه شيئا مما هو للعسكرية ، ولكل طائفة أرض لنزولهم ، توارثها الخَلَفُ عن السَّلَف منذ ملك هُولَاكُو البلاد ، فيها منازلهم ، ولهم بها مزدرع لأقواتهم ، لكنهم لايعيشون بالحرث والزرع .

وأما الخواتين فإنه يبلغ مالخاتون الواحدة فى السنة مائتى تومان ، وهو ألف[2] ألف

---

(١) لعل لفظ ألف من زيادة الناسخ كما يستفاد من الفذلكة بعد فتأمل .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب ألفا ألف بالتثنية ليستقيم الحساب .

دينـار رايج، عنها آثنا عشر ألف ألف درهم، وما دون ذلك إلىٰ عشرين تومانا ، وهو مائتا ألف دينار. عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم .

وأما الوزير فله مائةوخمسون تومانا، وهو ألف ألف وخمسمائة ألف دينار رايج، عنها تسعة آلاف ألف درهم، ولا يقنع بعشرة أضعاف هذا فى تقادير البلاد .

وأما الخواجكية من أرباب الأقلام، فنهم من يبلغ فى السنة ثلاثين تومانا، وهى ثلثمائة ألف دينار، عنها ألف آلف وثمانمائة ألف درهم . ثم قال : والذى للأمراء والعسكرية لايكتب به مرسوم، لأن كل طائفة وَرِثت مالها من ذلك عن آبائها ، وهم علىٰ الجهات التى قررها لهم هُولاَكُو لم تتغير بزيادة ولا نقص، إلا أكابر الأمراء الذين حصلت لهم الزيادات فإنه فى ذلك الوقت كتب لهم بها بأمر القان أصدرها الوزراء عنه، ومن الخواتين من أخذ بمـاله أو ببعضـه بلادا فهى له . قال : وفى هـذه المملكة ما لا يحصىٰ من الإدرارات والرسومات حتّى إن بعض الرواتب يبلغ ألف دينـار .

وأما الإدرارات من المبلغ أو القرىٰ ، فإنها تبقىٰ لصاحبها كالملك يتصرف فيه كيف شاء من بَيْع وهِبَةٍ ووَقْفٍ لمن أراد .

الجمـــلة الحادية عشرة

(فى ترتيب أمور السلطان بهذه المملكة علىٰ ما كان الأمر عليه)

حكىٰ فى "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن أهل هذه المملكة من التتر كانوا قد داخلوا العجم وزوجوهم وتزوجوا منهم، وخلطوهم بالنفوس فى الأمور، فتفخمت قواعدهم، وجرت علىٰ عوائد الخلفاء والملوك فى غالب الأمور قوانينُهم .

ثم للسلطان بهذه المملكة مَشْتًى ومَصيف :

فأما مَشْتاه فبأوجان بظاهر تبريز، وهو مكان متسع ذو مُرُوج ومياه على ماتقدّم ذكره، وبه قُصُور لأكابر الأمراء والخَوَاتين . أما عامة الأمراء والخواتين، فإنهم يتخذون زُرُوبا من القصب كالحظائر يتزرّبون بها ، ويَنْصبون معها الخركاوات والخيام، فتصير مدينة متسعة الجوانب، فسيحة الأرجاء، حتّى إذا خرجوا لمَصيفهم راحلين عنها، أحرقوا تلك الحظائر لكثرة ما يتولد فيا بقى منها من الأفاعى والحيات، ولا يبالون بمـا يُغْرم عليها من كثير الأموال .

وأما مَصيفه فمكانٌ يعرف بقَرَاباغ ، ومعناه البستان الأسود ، وفيه قُرًى ممتدّة ، وهو صحيح الهواء، طيب المـاء ، كثير المَرْعىٰ . وإذا نزل به الأردوا ، وهو وطاق السلطان وأخذت الأمراء والخواتين منازلهم ، نُصِب هناك مساجدُ جامعة ، وأسواق منوّعة ، يوجد بها من كل ما فى أمهـات المدن الكبار حتّى يكون بها أسواق لاينكر أحد علىٰ أحد، بل كل أحد وما استحسن ، إلا أن الأسعار تغلو حتّى يصير الشيء بقيمة مثليه أوأكثر لكلفة الحمل ومشقّة السفر . وذكر أنه كان من عادة سلطانهم أنه لايعمل موكبا، ولايجلس لخدمة ولا لقراءة قصص حكمية وإبلاغ مظالم إليه، بل له من أبناء الأمراء خاصةٌ له يقال لهم الإينافية، يكونون حوله لايكاد منهم من يفارقه .

وأما الأمراء فإنهم يركبون فى غالب الأيام علىٰ نحو عشرين غَلْوَةَ سهم منهـا إلىٰ باب الكرباس، وتنصب لهم هناك كراسىّ صندلية ،يجلس كل أمير منهم علىٰ كرسىّ منهـا بحسب مراتبهم : الأعلىٰ ثم الأدنىٰ ، ويدخل الوزير فى بكرة كل يوم علىٰ القان، ويبقىٰ الأمراء علىٰ باب الكرباس، فإما أن يخرج لهم القان، وإما أن يأذن لهم فى الدّخول، أو لا هـذا ولا هـذا . فإذا حضر طعام القان بعث إلىٰ كل أمير منهم شيئا للأكل بمفرده يأكله هو ومن انضم معه، فيأكلون ثم يتفرقون ويذهبون إلىٰ حالهم، ومن تأخر منهم عن الحضور لم يطلب بحضور إلا أن تدعوَ الحاجة .

أما الظُّلَامات فإن كانت متعلّقة بالعسكرية، فإلى أمير الألوس . و إن كانت متعلقة بالبلاد والأموال أو الرعايا، فإلى الوزير . بل أكثر الظُّلَامات لا يفصلها إلا الوزير لملازمته باب القان، بخلاف أمير الألوس لقلة ملازمته . ثم قال : وليس في هذه البلاد قاعدة محفوظة ، بل كل مَن انضوى إلى خاتون من الخواتين أو أمير من الأمراء أو كبير من الخواجكية . قام بأمره إما في قضاء حاجة يطلبها ، أو إزالة ظُلَامة يشكوها . حتى إن من الخواتين والأمراء من يقتل و يُوسّط بيده بغير أمر القان ولا أمير الألوس .

الجملة الثانية عشرة

(فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة)

أما البرالغ : وهي المراسيم ، فالمتعلق بالأموال تسمّى الطن طمغا و يكون صدورها عن رأى الوزير، وكذلك المتعلق بالبريد . والمتعلق بالعسكرية صادر عن أمير الألوس ، وليس لأحد على الجميع خَطٌّ إلا الوزير. و إنما العادة أن يأمر الوزير بكتابة ما يرى ، ثم تُؤخذ خطوط المتحدّثين فيما يُكتَب ، ثم تحرّر مسوّدة وتعرض على الوزير فيأمر بتبييضها ، فإذا بُيِّضت كتب عليها اسم السلطان ، ثم تحته اسم الأمراء الأربعة ، ويخلّى تحته مكان لخط الوزير، ثم يكمل البرلغ و يختمه بالتاريخ شخص مُعَدٌّ لذلك غير من يكتب ، ثم يكتُب الوزير في المكان الخالى " فلان سورى " أى هـذا كلام فلان يسمى نفسه .

ثم إن كان متعلقا بالمال أُثبت بالديوان المتعلق به ، و إلا فلا . وأما المتعلق بالعسكر، فمنشأ الأمر فيه عن أمير الألوس يأمرهم على بقية الترتيب ، ولا خَطّ لأمير الألوس بيده . وعادة أصحاب الدواوين عندهم كما هو بمصر والشام لا يعلّم صاحبُ علامة حتى يرى خط نائبه عليه أوّلا ليَعْلَم أنه قد ثبت عنده .

قلت : وقد اختلفت الأحوال بعد ذلك وتغيرت عما كانت عليه في جُل الأمور .

المملكة الثانيـــــــة
(ممـا بيد بَنِى جنكزخان مملكة تُورَانَ)

قال فى " المشــترك " : بضم المثناة من فوق وسكون الواو ثم راء مهملة وألف ونون . قال فى "التعريف" : وهى من نهر بَلْخ إلىٰ مطلع الشمس علىٰ سمت الوسط ، فمـا أخذ عنها جنو با كان بلاد السِّــنْد ثم الهِنْــد ، وما أخذ عنها شَمَــالا كان بلاد الخفجاخ ، وهى طائفة القَبْجَاق ، و بلاد الصقْلَب ، والجَهَاركس ، والروس ، والماجار ، وما جاورهم مِــن طوائف الأمم المختلفة سُكَّان الشَّمال . قال : ويدخل فى تُورَانَ ممــالكُ كثيرة ، و بلاد واسعة ، وأعمال شاسعة ، وأمم مختلفة لاتكاد تحصىٰ ، تشتمل علىٰ بلاد غَزْنَةَ ، والبَامِيَانِ ، والغُورِ ، وماوراء النهر الذى هو نهر جَيْحُونَ ، نحو بُخَارا وسَمَرْقَنْدَ والصُّـغْدِ وخُجَنْد وغير ذلك ، و بلاد تُرْكُسْتَانَ وأُشْرُوسَـنَةَ وفَرْغَانَةَ ، و بلاد سَاغُونَ وأَطْرَار وصريوم ، و بلاد الخِطَّا نحو بشمالق والمـالق إلىٰ قَرَاقُومَ ، وهى قرية جنكزخان التى أخرجتهْ ، وعِرِّيسَتَهُ التى أدرجتهْ . إلىٰ ماوراء ذلك من بلاد الصِّينِ وصِينِ الصِّينِ . ثم قال : وكل هذه ممالك جليله ، وأعمال حفيله . أما فى "المشترك" : فإنه قد جعــل تُورَانَ آسمـا لمجموع ما وراء النهر من مملكة الهَيَاطلة ، وهى جزء ممـا تقدم ذ كره .

وقد قسم فى " التعريف " : مملكة تُورَانَ إلىٰ ثلاثة أقسام .(١)

القسم الأوّل ــ منها غزنة وبُخَارا وسَمَرْقَنْدَ وعامة ما وراء النهر وتُرْكُسْتَانَ .

قال فى "مسالك الأبصار" : وما بعده ومامعه . قال : وهى من أجَلِّ الممـالك وأشهرها . ثم قال : وهى ممــالك طائرة السُّـمْعه ، طائلة البُقْعه ؛ أُسرَّةُ ملوك ، وأُفُق عُلَمَـاء ، ودارة أ كابر ؛ ومَعْـقِد أَلْوِيَةٍ وبُنُود ، ومجرىٰ سوابق وجُنُود ؛ كانت

(١) عبـارة "التعريف" وأما مملكة توران فهى منقسمة ثلاثة أقسام ...... وبهـا سلطانان مسلمان وسلطان كافر . ثم تكلم علىٰ المكاتبة إلىٰ الجميع .

بها سلطنة الخانيــة وآل سامان و بنى سُبُكْتُكين والغُورية؛ ومن أُفُقها بزغت شمسُ آل سَلْجُوق، وآمتدّت فى الإشراق والشُّروق؛ وغير هذه الدول ممــاطمّ سهولَ هذه الممــالك علىٰ قربها . كانت قبل آنتقالها إلىٰ الإسلام ، فى ملوك الترك لا ترامىٰ ولا ترام، ولا يشق لها سهام؛ حتّى [إذا] خيم بها الإسلام وحاز ملكَها هذه الأمة، برقت بالإيمان أَسِرَّتُها، وتطرّزت بالجوامع والمساجد قراها؛ ثم بنيت بها المدارس والخوانق والرُّبط والزوايا، وأجريت الأوقاف عليها، وكثر من العلماء أهلُها، وسارت لها التصانيفُ المشهورة فى الفقه والحـديث والأصول والخلاف ، وكان فيهم الرؤساء والأعلام، والكبراء أهل البحث والنظر . ثم قال : وهى فى أواسط المعمور وأوسع الأرض إذا قيل إنها أخصب بلاد الله تعالىٰ وأكثرها ماء ومرعىٰ ، لم يُغَيِّر القائلُ الحقَّ فى أوصافها؛ ذات الأنهار السارحة، والمروج الممتدّة؛ كأنما نشرت الحُلَلُ علىٰ آفاقها، ونثرت الحلىٰ علىٰ حصبائها .

ويرجع المقصود منها إلىٰ سبع جمل .

الجمـــــلة الأولىٰ

(فى ذكر حدودها، وطُولها وعَرْضها، وموقعها من الأقاليم السبعة)

اما حدودها وطولها وعرضها، فقال فى "مســالك الأبصار" : وهى واقعة بشرق محض آخذة إلىٰ الجنوب؛ يحدّها السِّنْد من جنوبيها، والصِّينُ من شرقيها، وخُوَارَزْمُ وإيران من جنوبيها[1]، وطولها من ماء السـند إلىٰ ماء ايلا المسـمّى قراخوجا، وهى تلى برالخطا، وعرضها من وَبَج وهو منبع نهر جَيْحُونَ إلىٰ حدود كُرْكَانْج قاعدة خُوَارَزْم؛ وحدّها من الجنوب جبال البُتَّم وماء السِّـنْد الفاصل بينها وبين السِّـنْد؛ ومن الشرق أوائل بلاد الخطا؛ ومن الشَّمال مراعى باران وجَنَـد وبعض خراسـان

(١) لعله من غربيها .

إلى بحيرة خُوَارَزْمَ؛ ومن الغرب بعض خُرَاسَانَ إلى خُوَارَزْم إلى مجرى النهر آخذا على الختّل . ثم حكى عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن بلاد هذه المملكة متصلة بخُرَاسَانَ متداخلة بعضها ببعض، لا يفصل بينهما بحر ولا نهر ولا جبل ولا مَفَازة، بل بينها وبين خُرَاسان أنهار جارية ومزارع متصلة .

الجملة الثانية

(فيما يدخل فى هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهى سبعة أقاليم)

الإقليم الأوّل منها

(ما وراء النهر)

قال فى "تقويم البُلْدان" : والذى ظهر لنا فى تحديد ما وراء النهر أنه يحيط به من جهة الغرب حدود خُوَارَزْم، ومن الجنوب نهر جَيْحُونَ من لَدُن بَذَخْشَانَ إلى أن يتصل بحدود خُوَارَزْم، فإن جَيْحُونَ فى الجملة يجرى من الشرق إلى الغرب، وإن كان يعرِض فيه عَطَفات تجرى جنوبا مرة وشمالا أخرى . ثم قال : أما حدوده من الشرق والشمال فلم تتضح لى . قال صاحب "كتاب أشكال الأرض" : وما وراء النهر من أخصب الأقاليم منزلة، وأنزهها وأكثرها خيرا، وأهلها يرجعون إلى رغبة فى الخير، وآستجابة لمن دعاهم، مع قلة غائلة، وسلامة ناحية، وسماحة بما ملكت أيديهم؛ مع شدّة شوكة ومَنَعَةٍ وبأسٍ ونَجْدَةٍ وعِدّة وعُدَّة، وآلة وكُرَاع وبسالة وعلم وصلاح ؛ وليس من إقليم إلا ويُقْحَطُ أهله مرارا قبل أن يُقْحَطَ ما وراء النهر مرّةً واحدة ، ثم إن أحَسّوا[1] ببرد أو بجراد أو بآفة تأتى على زروعهم وغلاتهم ، ففى فضلِ ما يسلم فى عروض بلادهم ما يقوم بأَوَدِهم حتّى يستغنوا به عن شىء ينقل إليهم من غير بلدهم . قال : وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مُدُن

(١) لعله مصحف عن "أصيبوا" .

أو قرًى أو مراعٍ لسوائمهم؛ وليس من شيء لابدّ للناس منه إلا وعندهم منه مايقيم أَوَدَهم ويفضُل عنهم لغيرهم؛ ومياههم أعذب المياه وأبردها وأخفُّها، وقد عمّت جبالَها وضواحيَها ومُدُنَها إلىٰ التمكن[1] من الجدّ فى جميع أقطارها، والثلوج من جميع نواحيها؛ والغالب علىٰ أهل المال والثروة بها صرف المال فى عمل المدارس وبناء الرُّبُط وعمارة الطرق، والأوقاف علىٰ سُبُل الجهاد ووجوه الخير، وعقد القناطر، إلا القليل من ذوى البطالة .

وفيها من الدّواب الخَيْلُ والبِغَالُ والحَمِيرُ والإبِلُ البُخْت والبَقَرُ، والغَنَمُ أكثرهم فإنها كما يقال أعوزها للزرائب، وفيها من المباح مافيه كفايتهم، ولهم من نتاج الغَنَم الكثيرُ والسائمة المفرطة . وذكر أنه يوجد عند آحاد العامة من عشرين دابةً إلىٰ خمسين دابة لاكُلْفة عليه فى اقتنائها لكثرة الماء والمرعىٰ .

وفيها من الحبوب القَمْحُ والشَّعِير والحِمَّص والأَرُزُّ والدُّخْنُ وسائر الحبوب خلا الباقلا؛ وبها من الفواكه المنوّعة الأجناس العِنَبُ، والتِّينُ، والرُّمَّانُ، والتُّفَّاحُ، والكُمَّثْرىٰ، والسَّفَرْجَلُ، والخَوْخُ، والمِشْمِشُ، والتُّوتُ. والبِطِّيخُ الأصْفَر، والبِطِّيخُ الأخضر، والخِيَارُ، والقِثَّاءُ .

وفيها من البقول اللِّفْتُ والجَزَرُ والكُرُنْبُ والبَاذِنْجَانُ والقَرْعُ وسائرأنواع البقول.

وفيها من الرياحين الوَرْدُ والبَنَفْسَجُ والآسُ واللَّيْنُوفَرُ والحَبَقُ؛ ولا يوجد بها الأُتْرُجُّ والنَّارَنْجُ واللَّيْمُونُ والليم، ولا الموز ولا قصب السُّكَّر، ولا القُلْقَاسُ، ولا الملوخيا، فإنها من ذلك عارية الحدائق، خالية المروج، إلا ماأُتِىَ به إليها من المحمضات مجلوبا.

وفيها أصناف الملبوس : من القَزِّ، والصُّوف، وطرائف البَزّ .

وفيها من المعادن معدنُ زئبق لا يعادله معدن فى الغَزَارة .

---

(١) لعله فكان ذلك داعية إلى التمكن الخ .

وقد اشتمل ما وراء النهر على عدّة كور .

(منها) السُّغْد . قال فى "اللُّباب" : بضم السين المهملة وسكون الغين المعجمة ودال مهملة فى الآخر، ويقال الصُّغْدُ بالصاد بدل السين، ويضاف إلى سَمَرْقَنْدَ، فيقال سُغْدُ سَمَرْقَنْدَ، وهو أحد منتزهات الدّنيا الأربعة التى هى غوطة دِمَشْقَ، ونهر الأُبُلَّة، وشِعْب بَوَّانَ، وسُغْدُ سَمَرْقَنْدَ . قال ابن حوقل : وهو أنزه الأربعة لأنه ممتدّ نحو ثمانية أيام، مشتبكُ الخُضْرة والبساتين، لاينقطع ذلك فى موضع منه، وقد حُفَّت تلك البساتين بالأنهار الدائم جَرْيُهَا، ومن وراء الخضرة من الجانبين مزارعُ، ومن وراء المزارع مَرَاعى السوائم . ثم قال : وهى أزكى بلاد الله وأحسنها أشجارا .

ومنها أُسْرُوشَنَةُ . قال فى "اللبــاب" : بضم الألف وسكون السين وضم الراء المهملتين وسكون الواو وفتح الشــين المعجمة ثم نون . قال ابن حوقل : والغالب عليها الجبال، ويحيط بهـا من الشرق بعض فَرْغَانَةَ، ومن الغرب حدود سَمَرْقَنْدَ، ومن الشَّمال بعض فَرْغَانَةَ أيضا، ومن الجنوب بعض حدود كَشَّ والصَّغَانِيَان . قال أحمد الكاتب : ولها عدّة مُدُن، ويقال إن بها أربعمائة حصن .

(ومنها) فَرْغَانَةُ . قال فى "المشــترك" : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ونون . قال ابن حوقل : وفيهـا مُدُن وكُوَر، وإليها ينسب جماعة من العلمــاء، منهم أبو سعيد الفَرْغَانِىّ شارح "تائية ابن الفارض" قال ابن حوقل : وبجبال فَرْغانة معادنُ الذهب والفضة والفَيْرُوزَج والحديد .

وقاعدتها بُخَارَا . قال فى "اللبــاب" : بضم الباء الموحدة وفتح الخــاء المعجمة ثم ألف وراء مهملة مفتوحة ــ وموقعها فى الإقليم الخــامس من الأقاليم الســبعة . قال فى "القــانون" حيث الطول سبع وثمــانون درجة وثلاثون دقيقة، والعَرْض

تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينــة خارجها نَزِهٌ كثير البساتين . قال : وليس بتلك البُلْدان بلد أهلها أحسن قياما على عمارة قُرَاهم منهم . ويحيط بها و بقُرَاها ومزارعها سُورٌ واحد اثنا عشر فرسخا ، ولهـا كورة عظيمة تصاقب جَيْحُونَ على مَعْبَر خُرَاسَانَ ، وبها يتصل سُغْدُ سَمَرْقَنْدَ . قال فى " مسالك الأبصار " : وهى أم الأقاليم ويمّ التقاسيم ، وقد كانت [مستقرًّا] للدولة السامانية ومركز أفلاكهم الدائرة ، وكانت تلك الممالك كلها تبعا لها . قال صاحب " أشكال الأرض " : ثم لم أرَ ولم أسمع بظاهر بلد أحسن من بخـارا ، لأنك إذا عَلَوْتَ لم يقع نظرُك من جميع النواحى إلا على خُضْرة تتصل خضرتهـا بلون السماء ، مكبّة زرقاء على بساط أخضر ، تلوح القصور فيما بين ذلك كالتّراس التبنية ، أو الجَحَف اللَّطِيَّة ، أو الكواكب العلوية ، بين أراض وضياع مقسومة بالاستواء ، ممهدة كوجه المرءاة فى غاية الهندسة ، ولهـا سبعة أبواب حديد : وهى باب المدينة ، وباب يون ، وباب خضرة ، وباب الحديد ، وباب قهندر ، وباب بنى أسـد ، وباب بنى سـعد . وليس فيها ماء جار لارتفاعها ، ومياههم من النهر الأعظم الجارى من سَمَرْقَنْدَ ، وإليها ينسب الإمام الحافظ (أبو عبد الله البخارىّ) صاحب الجامع الصحيح فى الحديث .

ولها عدّة مدن :

(منهـا) الطَّوَاوِيسُ . قال فى " اللبـاب " : بفتح الطاء المهملة والواو وبعد لألف واو ثانية مكسورة ومثناة تحت ساكنة وسين مهـملة فى الآخر ، وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول سبع وثمـانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرضُ سـبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينـة من مضافات بُخَارا داخل الحائط الدائر على أعمـال بُخَارا ، كثيرةُ البساتين والماء الجارى . قال : وقد خَربت الآن . وقال فى " اللباب " :

هى قرية من قرى بخارا نخرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين بخارا سبعة فراسخ . وإليها ينسب الطاووسىّ صاحب "المصباح على الحاوى الصغير" فى فقه الشافعية، ردّا لها فى النسب إلى المفرد وهو الطاوس .

(ومنها) نَخْشَبُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين ثم باء موحدة . قال فى "تقويم البُلْدان": فلما عربت قيل نَسَف — يعنى بفتح النون والسين المهملة وفاء فى الآخر . قال ابن حوقل : وهى فى مستوٍ من الأرض . والجبال منها على نحو مرحلتين مما يلى كَشّ، وبينها وبين جَيْحون مفازة، ولها نهر يجرى فى المدينة وينقطع فى بعض السنة ، والغالب عليها الخِصْبُ . قال المهلبىّ : وهى وَبِيَّة .

(ومنها) كَشُّ . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف ثم شين معجمة مشددة — وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة قدرها ثُلُثُ فرسخ فى مثله ، وهى خِصْبَةٌ وفواكهها تُدْرِك قبل فواكه غيرها من بلاد ما وراء النهر، وطول عملها أربعة أيام فى نحوها . قال المهلّبىّ : ولها رستاق جليل، ولها نهران، وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(ومنها) سَمَرْقَنْدُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح السين المهملة والميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وسكون النون ثم دال مهملة — وموقعها فى الإقليم الخامس . قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وثمانون درجة وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة . قال ابن حوقل : وهى قَصَبَةُ السُّغْد، وهى مبنية على ضَفَّة واديه، وهى مرتفعة عن الوادى، وحول سُورِها رسمُ خندق عظيم، ولها نهر يدخل إليها على حمالات فى الخندق معمول بالرَّصاص، وهو نهر جاهلىّ يَشُقُّ السوق

بموضع يعرف برأس الطاق . قال ابن حوقل : ورأيت على باب من أبوابها يسمى باب كش صفحةً من حديد وعليها كُتَيّبة يزعم أهلها أنها بالحِمْيَرِيّة، وأن الباب من بناء تُبّع ملك اليمن، وأن من صَنْعاء إلى سَمَرْقَنْدَ ألف فرسخ، وأن ذلك مكتوب من أيام تُبّع . قال : ثم وقعتْ فتنة بها فى أيام مُقامى بها وأُحْرِق البابُ وذهبت الكتابة ، ثم أعاد عمارةَ الباب محمدُ بن لُقْمان بن نصر السامانى ولم يُعِد الكتابة . قلت : والمراد تبع المسمّى بأسعد أبا كَرِب ، وقد أشرت إلى قضية تُبّع فى بناء سَمَرْقَنْدَ فى الكتاب الذى أنشأته لأن يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية إلى تمرلنك عند إرساله بالمفاوضة فى الصلح بعد واقعة دِمَشْقَ والقبض على ابن عثمان صاحب برسا من بلاد الروم بقولى بعد الدعاء : " ولا زال بالنصر تَقْضِى قواضبه ، وبالظَّفَرِ وحُسْنِ الأثر تمْضِى مَقَانِبُه وتشاع مناقبه، وبلسان دولته القاهرة يُصاح بتُبّع سَمَرْقَنْدَ أن تبلغ هذه الرتبة حتّى نَظَّم الجزْعَ ثاقِبُهُ" . على ما سيأتى ذكره فى الكلام على مكاتبة القان صاحب ما وراء النهر، فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

قال فى "مسالك الأبصار" : وسَمَرْقَنْدُ مدينة مرتفعة يُشْرِفُ الناظر بها على شجر أخضر، وقُصُور تُزْهِر، وأنهار تَطَّرد، وعمارة تتَّقد، لا يقع الطَّرْف بها على مكان إلا ملأه، ولا بستان إلا استحسنه . قال صاحب " أشكال الأرض " : وقد نصصت[1] أسحار السير، وتشبهت بطوائف الحيوان : من الفِيَلَةِ والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض . قال : وبها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما يلى المَشْرِق يعرف بباب الصِّين، مرتفع عن وجه الأرض ينزل إليه (؟) بدرج كثيرة، مطل على وادى السُّغد ؛ وباب مما يلى المغرب يعرف بباب النُّوبهار على نَشْزٍ من

(١) كذا فى الأصل والمراد وصف المدينة بالتقدّم والارتقاء .

الأرض؛ وباب مما يلي الشمال يعرف بباب بُخَارا؛ وباب مما يلي الجنوب يعرف بباب كَشّ. قال: وفيها مافى المدن العِظَام من الأسواق الحسان والحمامات والخانات والمساكن؛ وبناؤها من طين وخشب؛ والبلد كله: طُرُقُه وسِكَكُه وأسواقه وأَزِقَّته مفروشة بالحجارة .

(ومنها) بِنْكَثُ . قال فى "اللباب" : بكسر الباء الموحدة وسكون النون وفتح الكاف وفى آخرها ثاء مثلثة ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة، والعرض إحدىٰ وأربعون درجة وعشرون دقيقة . ولها سُورٌ ورَبَضٌ وبساتين كثيرة .

(ومنها) نوبكت ـ بنون وواو وباء موحدة ثم كاف ومثناة من فوق . قال ابن حوقل : وهى قصبة ناحية إيلاق[1]، وعليها سُورٌ ولها عدّة أبواب، وفيها مياه وبساتين كثيرة .

(ومنها) خُجَنْدَةُ . قال فى "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون ثم دال مهملة ـ وهى مدينة علىٰ طرف سَيْحُونَ مضمومة إلىٰ فَرْغَانَةَ، واقعة فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول تسعون درجة، والعرض أربعون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى مدينة كبيرة، وهى فى مستوٍ من الأرض، ولها بساتينُ كثيرة . قال أحمد الكاتب : ومنها إلىٰ سَمَرْقَنْدَ سبع مراحل، ومنها إلىٰ الشاش كذلك .

(ومنها) تُنْكَتُ . قال فى "اللباب" : بضم المثناة من فوق وسكون النون وفتح الكاف وفى آخرها تاء ثانية ـ وهى مدينة من مدن الساحل، وقيل هى قصبة إيلاق؛

(١) الذى فى "تقويم البلدان" عن ابن حوقل أن عاصمة إيلاق تسمى تونكت، وكذا فى "معجم البلدان" لياقوت، إلا أنه نص على أن آخرها ثاء مثلثة، وهى تنكت الآتية بعد فليتنبه .

وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول إحدىٰ وتسعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال فى "اللباب" : ولها نهر ودار إمارة ، وخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) أَخْسِيكَثُ . قال فى " اللباب " : بفتح الألف وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهـملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الكاف وفى آخرها ثاء مثلثة . وهى مدينة من بلاد فَرْغَانَةَ ، واقعة فى الإقليم الخـامس من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول إحدىٰ وتسـعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض آثنتـان وأربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى علىٰ شَطِّ نهر الشاش فى أرض مستوية بينها وبين الجبال نحو فرسخ .

(ومنها) تِرْمِذ . قال فى " اللباب " : قيل بفتح التاء ثالثة الحروف وقيل بضمها وقيل بكسرها . قال : والمتـداول علىٰ لسان أهلها فتح التـاء وكسر الميم ، والمشهور فى القديم كسر التاء والميم جميعا ، وقيل بضم التاء والميم وبينهما راء ساكنة وفى آخرها ذال معجمة ــ وهى مدينة علىٰ شَطِّ جَيْحُونَ ، واقعـة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون" حيث الطول إحدىٰ وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال آبن حوقل : ومعظم مساكنها وأسواقها مفروشـة بالآجُرّ ، وهى قَصَـبة تلك النواحى ، وأقرب الجبال إليها علىٰ مرحلة ، وليس لقُراها شُرْب من جَيْحُونَ بل من نهر الصَّغَانِيَان . قال : ولها مُدُن كثيرة وكُوَرٌ مضافة إليها . قال فى "اللباب" : وهى مدينة قديمة .

(ومنها) الصَّغَانِيَانُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح الصاد المهملة والغين المعجمة وألف ونون ومثناة تحتية ونون فى الآخر ، جميع ذلك بالتخفيف . قال : ويقال لها بالعجمية جَغَانِيان ــ وهى مدينة موقعها فى الإقليم الخـامس من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاثَ عشرةَ دقيقة . قال آبن حوقل : وهى أكبر من تِرمذ إلا أن ترمذ أكثر أهلا . ثم قال : وهى كورة كبيرة كثيرة الماء والشجر، والنسبة إليها صَغَانىّ وصَاغَانىّ .

الإقلـــيم الثـانى
(تُرْكُسْتَانُ)

بضم التاء المثناة من فوق وسكون الراء المهملة وضم الكاف وسكون السين المهملة وألف بعدها نون، ومعناه ناحية الترك . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مملكة لو آنفردت لكانت مُلْكا كبيرا وسلطنة جليلة (زهرةُ الدّنيا، وطراز الأرض بلاد التُّرْك) وحقيقةٌ من يَحَاسِنها رتعت غِزْلانُها، ومن غابها أَصْحَرَتْ لُيُوثهم . وهى إقليم فسيح المَدىٰ، قديم الذكر، منشأ حُماه، ومَنْسَبُ كُماه . قال : وهو المراد بقولهم بلاد الأتراك، ولم تزل الملوك تلحَظُها لاتقاء بوادرها، وآلتقاء ذواخرها، فأشدّ ما نكّرت الأيام معالمهـا، وغيرت الغِيَرُ أحوالهـا . قال : ولقد صادفت حدّةَ التتار، فى أول التّيّار، فجاءت قدّامهم فى سَوْرة غضبهم، ونفحة نارهم، فأمالت السـيوفُ حصائدَ أحبـالهم ، ولم يبق إلا من قَلَّ عديده . ثم قال : حكىٰ لى من جال فى رساتيقها ، وجَازَ فى قُرَاها ، أنه لم يبق من معالمها إلا رسومٌ داثرة ، وأطلال ناتئة ، يَرىٰ علىٰ البُعْد القرية مُشَيَّدَةَ البناء، مُخْضَرَّةَ الأكناف، فيأنس لعله يجد بها أنيسا ساكنا، فإذا جاءها وجدها عالية البنيان، خاليةً من الأهل والسُّكّان، إلا أهل العمل وأصحابَ السائمة . ليست بذات حرث ولا زرع، وإنمـا خضرتها مُرُوج أطلعها باريها بها من النباتات البَرّيّة، لا بَذَرها بَاذِرٌ، ولا زرعها زارع . ويوجد بها خَلَف من بقايا العلماء. ويجزئ التيمم فيها بالتراب بعد المـاء .

ومن نواحيها (فَارَابُ) . قال فى "المشترك" : بفتح الفاء والراء المهملة بين ألفين وفى آخرها باء موحدة . وقال فى " مسالك الأبصـار " : الصواب إبدال الفاء باء موحدة لأنه ليس فى اللغة التركية فاء . قال آبن حوقل : وهى ناحية لها غياض، ولهم مزارع، ومقدارها فى الطول والعرض أقلّ من يوم . قال فى "تقويم البـلدان" : وتسمّى أُطْرار .

وقاعدتها (قَاشْغَر) . قال فى "اللباب" : بفتح القاف وسكون الألف ثم سكون الشين المعجمة أيضـا وفتح الغين المعجمة وفى آخرها راء مهملة . قال فى " تقويم البُلْدان" : ويقال لها كَاشْغَر بإبدال القـاف كافا ـ وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وأربعون درجة . قال المهلبىّ : وهى مدينـة عظيمة آهلة عليها سُورٌ وأهلها مسلمون . قال فى "القانون" : وتسمّى أزدوكند .

قال فى "مسالك الأبصار" : أما الآن فقاعدتها (قرشى) بقاف وراء مهملة وشين معجمة ثم ياء مثناة من تحت فى الآخر . قال فى " مسالك الأبصار " : وهى علىٰ نهر قراخوجا فى نهاية الحدّ . قال : وهى وإن لم تكن شيئا مذكورا، ولا لهـا علىٰ آختلاف حالات الزمان شهرة تُذْكَر [1]، لكن قد شملها فى دولة ملوكها الآن من نظر السـعادة لنسبتها إلىٰ أنها سَكَن لهم، وإن كانوا ليسوا بسُكَّانِ جِدَار، ولا متديّرين فى ديار، ولكن لآسم وُسِمَتْ به . وبها عدّة مدن أيضا :

(منهـا) كدر . قال فى " الأطوال " : وهى قَصَبة فَارَابَ . قال فى " مسالك الأبصار " : وإليها ينسب فَيْلَسُوفُ الإسلام أبو نَصْر الفَارَابِىّ .

---

(١) لعله شيء من تحريف .

(ومنها) خُتَن . قال فى "اللباب": بضم الخاء المعجمة وفتح المثناة من فوق ونون فى الآخر ــ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ست وثمانون درجة، والعرض ثنتان وأربعون درجة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى أقصى تُرْكُسْتَانَ . قال فى " العزيزى " : وهى مدينة خِصْبَةٌ آهلة عامرة، بها أنهار كثيرة .

(ومنها) جَنْدٌ . قال فى " اللباب " : بفتح الجيم وسكون النون وفى آخرها دال مهملة ــ وهى بلدة واقعة فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض سبع وأربعون درجة . قال فى "اللباب" : وهى فى حدود التُّرْك على طَرَف سَيْحُونَ، خرج منها جماعة من الفضلاء .

(ومنها) إسْفِيجَابُ . قال فى "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الفاء وسكون المثناة من تحت وفتح الجيم وفى آخرها باء موحدة بعد الألف ــ ووقع فى " مسالك الأبصار " إبدال الفاء باءً موحدة ــ وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال فى " اللباب " : وهى بَلْدة كبيرة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى من ثغور الترك .

(ومنها) طَرَازُ . قال فى " اللباب " : بفتح الطاء والراء المهملتين وألف وزاى معجمة ــ وهى مدينة على حدّ بلاد التُّرْك واقعةٌ فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وحولها حصون منسوبة إليها .

(ومنها) نيلى . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى أربعة مُدُن بين كل مدينة والأخرىٰ فرسخ واحد ، ولكل واحدة منها آسم يخصها : فالأولىٰ نيلى ، والثانية نيلى مالق ، والثالثة بَكك ، والرابعة تلان . قال : و بينها و بين سَمَرْقَنْد عشرون يوما .

(ومنها) أَلْمَـالِق ـ بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الميم وألف بعـدها ثم لام مكسورة وقاف فى الآخر . قال فى "مسالك الأبصار" : و بينها و بين نيلى عشرون يوما . ونقل عن الشيخ محمد الخُجَندىّ الصوفىّ وغيره أن بها من الخيـل والأغنـام مالولاَمُوتانٌ يقع فيها فى بعض السـنوات ، لما بيعت ولا وجد من يشتريها لكثرتها و بركات نتاجها .

الإقلـــيم الثـالث
(طُخَارُسْتَانُ)

قال فى "اللباب" : بضم الطّاء[1] المهـملة وفتح الخـاء المعجمة وألف وضم الراء وسكون السين المهملتين وفتح المثناة من فوق وألف ونون . قال : وهى ناحية مشتملة علىٰ بُلْدان فى أعلىٰ نهر جَيْحُونَ . وقال آبن حوقل : هو إقليم له مُدُن كثيرة من مضافات بَلْخ . وقاعدتها فيما ذكره فى "القانون" ـ وَلْوَاج . قال فى "تقويم البُلْدان" بواوين بينهما لام ساكنة ثم ألف ولام وجيم ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول آثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "القانون" : وهى مقرُّ مملكة الهَيَاطِلَة فى القديم . قال المهلبىّ : وهى فى مستوٍ من الأرض .

ولهـا مُدُن .

---

(١) ضبطها ياقوت بالفتح .

(منها) إِسْكَلْكَنْدُ . قال فى "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الكافين ، بينهما لام ساكنة ثم نون كذلك ودال مهملة فى الآخر . قال : وقد تحذف الألف من أوّلها . وهى مدينة صغيرة موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول آثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى مدينة صغيرة كثيرة الخير .

(ومنها) رَاوَنُ . قال فى "اللباب" : بفتح الراء المهملة والواو ونون فى الآخر — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول آثنتان وتسعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى مدينة من طُخَارُسْتَانَ ولم يزد .

الإقليم الرابع
(بَذَخْشَانُ)

قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة والذال وسكون الخاء وفتح الشين المعجمات ونون فى الآخر . قال آبن حوقل : وهو آسم للمدينة والإقليم معًا . قال فى "اللباب" : وهى فى أعلى طُخَارُسْتَانَ متاخمةٌ لبلاد التُّرْك . وقال فى "مسالك الأبصار" : هى مع مملكة ما وراء النهر وليست حقيقة منها ولا من تُرْكُسْتَانَ ، بل هو إقليم قائم بذاته ، معدود المجاورة مع أخواته ، قد حوى كل بديع من حيوانه ومعدنه ونباته .

ثم حكى عن محمد الخُجَندىّ الصوفىّ وغيره أن بها معدنَ البَلَخْش ، ومعدن اللّازَوَرْد ، وهما فى جبل بها ، يُحْفَر عليهما فى معادنهما ، فيوجد اللّازَوَرْدُ بسهولة ، ولا يوجد البَلَخْش إلا بتعب كثير وإنفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد

والإنفـاق الكثير . ولذلك عَزَّ وجودُه، وعلت قيمته، وكثر طالبـه ، وٱلتفتت الأعنـاق إلىٰ التحلِّي به . وقد تقدّم ذكره فى المقالة الأولىٰ فى الكلام علىٰ ما يحتاج الكاتب إلىٰ معرفته لِيَصِفَهُ عنـد ذكر الأحجار النفيسة . وقد تقدّم هناك أن أنفس قطعة وصلت إلىٰ بلاد الشام منه قطعةٌ زِنَتُها خمسون درهما . وقد ذكر فى "اللباب" أن بها معدنَ البِلَّوْرِ أيضا، وقد تقدّم ذكره هناك فى الكلام علىٰ الأحجار النفيسة .

الجمـــلة الثـالثة

(فى الطرق الموصلة إليها، وبعض المسافات الواقعة بين بلادها)

قد تقـدّم فى الكلام علىٰ مملكة إيران الطريقُ إلىٰ آمُل الشطّ بشط جَيْحُونَ . قال ٱبن خرداذبه: ومن آمُلَ إلىٰ بُخَـارا تسـعة عشر فرسخا، ومن بُخَارا إلىٰ سَمَرْقَنْدَ سبعة وثلاثون فرسخا، ومن سَمَرْقَنْدَ إلىٰ الشَّاش ٱثنـان وأربعون فرسخا، ثم إلىٰ باب الحديد مِيلَان، ثم إلىٰ كار فرسخان، ثم إلىٰ إسْفيجاب عشرة فراسخ، ومن إسْفيجَابَ إلىٰ أُطرَارَ وهى فَارَابُ ستة وعشرون فرسخا . قال فى "تقويم البُلْدان": ومن سَمَرْقَنْدَ إلىٰ خُجَنْدَةَ سبع مراحل، ومن خُجَنْدَةَ إلىٰ الشَّاش أربع مراحل .

الجمـــلة الرابعة

(فى عِظَام الأنهار الواقعة فى هذا القسم من مملكة تُورَانَ، وهى نهران)

الأوّل ــ نهر جَيْحُونَ ــ بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو ثم نون؛ ويسمّى نهرَ بَلْخ أيضا، إضافة إلىٰ مدينة بَلْخ من بلاد فَارِسَ المقدّم ذكرها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وقد ٱختلف النقل فيه، وأقربُه ما نقله ٱبن حَوْقَلَ أن عمود نهر جَيْحُونَ يخرج من حدود بَذَخْشَانَ، ثم تجتمع إليه أنهـار

كثيرة . ويسير غربا وشمالا حتى يصل إلى حدود بَلْخ ، ثم يسير إلى تِرْمِذ ، ثم غربا وجنوبا إلى زَمّ واسمها أَمُّويَه ، ويجرى كذلك غربا وشمالا إلى خُوَارَزْم . قال فى "رسم المعمور" : ويخرج جنوبا ويمرّ قرب خُجَنْدَة ويتجاوزها ويصب فى البحر الأخضر .

الثانى ــ نهر سَيْحُونَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وقد اختلف النقل فيه أيضا . قال : والمختار ماذكره ابن حوقل ، لأنه يحكى ذلك عن مشاهدة . فقال : إن نهر الشاش بقدر الثلثين من نهر جَيْحُونَ . وهو يجرى من حدود بلاد التُّرْك ويمرّ على أَخْسِيكَث . ثم يسير مغربا بميلة إلى الجنوب إلى خُجَندة . ثم يجرى إلى فَارَابَ إلى يَنْغِي كَنْت ثم يقع فى بحيرة خوارزم على مرحلتين من يَنْغِي كَنْتَ .

الجملة الخامسة
(فى معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فبالدينار الرائج ، وهو ستة دراهم كما فى مُعْظَم مملكة إيران . وفى بعضها بالدينار الخُرَاسَانِيّ وهو أربعة دراهم . قال فى "مسالك الأبصار" : ودراهمهم نوعان . درهم بثمانية فلوس ، ودرهم بأربعة فلوس . قال : ودراهمها فِضَّةٌ خالصة غير مغشوشة . وهى وإن قلّ وزنها عن معاملة مصر والشام فإنها تجوز مثل جوازها .

وأما أسعارها فأسعارها جميعها رخيّة حتى إذا غلت الأسعار فيها أعلى الغلو ، كانت مثل أرخص الأسعار بمصر والشام .

الجملة السادسة
(فى مَنْ ملك هذا القسم من مملكة تُورَانَ)

قد تقدّم فى الكلام على أصل مملكة تُورَانَ أنها كانت مملكة التُّرْك فى القديم .

وأنه كان بها افراسياب بن[1] شـبك بن رستم بن ترك بن كوبر بن يافث بن نوح عليه السلام على الخلاف السابق فيه ، وكانت تعرف بمملكة الخانية ،

أما فى الإسلام فملوكها على طبقتين :

الطبقـــة الأولى

(ماهو عقيب الفتح ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ملوك ماوراء النهـــر)

وكانت بيد نواب الخلفاء بُرْهَةً من الزمان فى صدر الإسلام ، ثم تغلب عليها الملوك بعد ذلك وحازوها ، وتوالتْ عليها أيديهم إلى الان . وأول من تغلب عليها من الملوك السامانيةُ ، وهم بنو سامان بن جثمان بن طمغان بن بوشرد بن بهرام چوبين المذكور فى أخبار كسرى أبرويز أحد ملوك الفُرْس .

وأول من ملكها منهم أولاد أســد بن سامان فى خلافة المأمون فى سـنة أربع ومائتين . فتولى (أحمد بن أسد) فَرْغَانَةَ ، و(يحيى بن أسد) الشَّاش وأُسْرُوشَنَةَ و(نوح ابن أسد) سَمَرْقَنْدَ ، ثم مات نوح بن أسد بسَمَرْقَنْدَ ، ثم مات أحمد بفَرْغَانَةَ وآستخلف آبنه نصرا على أعمـاله ، وكان إسماعيل بن أحمد يَخْدُم أخاه نصرا فولاه نصرٌ بُخَـارا فى السنة المذكورة . وكان إسماعيل رجلا خيرا يحب أهل العلم ويكرمهم ، فآستقرت قدمه بِبُخَارا وملك جميع ماوراء النهر . وملك إسماعيـل المذكور خُرَاسَانَ مع ماوراء النهر فى سنة سبع وثمانين ومائتين .

(١) فى "الأخبار الطوال" للدينورى "آبن توذل بن الترك بن يافث" ، وفى أبى الفـداء "آبن طوج" وفى غيرهما غير ذلك . نبهنا على ذلك ليعلم أن بين المؤرخين آختلافا ، ولم يتقدم للؤلف فى توران شىء من هذا النسب ، فتنبه .

ثم ملك بعــده ماوراء النهر وخراسان (آبنه أحمد بن إسماعيل) حتى قتل فى سنة إحدىٰ وثلثمائة؛ وولى بعده ماوراء النهر وخُرَاسَانَ آبنــه (أبو الحسن نصر بن أحمد) وتوفى سنة إحدىٰ وثلاثين وثلثمائة .

وولى بعــده ماوراء النهر وخُرَاسَانَ آبنه (نوح بن نصر) وتوفى فى سنة آثنتين وأربعين وثلثمائة .

وولى بعــده ما وراء النهر وخُرَاسَانَ آبنه (عبد الملك بن نوح) وبقى حتى قبض عليه ايليكخان ملك الترك، وحبس هو وجميع أقاربه، ومات فى الحبس فى سـنة تسع وثمانين وثلثمائة، وآنقرضت بموته دولةُ بنى سامان، وكانت دولتهم من أحسن الدُّوَل وأعدلها، وكانت ولايتهم إمارةً لاملكا .

وملك بعــدهم ماوراء النهر (ايليكخان) المقــدّم ذكره، وتوالت بأيديهم حتى ملكها منهم رجل آسمه (أحمد خان) فبقيت بيده حتى ملكها منــه (ملكشاه السَّلْجُوقىّ) فى سنة آثنتين وثمــانين وأربعمائة، وأطاعه صاحب تُرْكُسْتَانَ فخطب له وضرب السكّة باسمه، ثم خرج عنها وعاد أحمد خان إليهــا، فبقى حتى ثبتت زَنْدَقَتُه وضرب عنقه فى سنة ثمــان وثمــانين وأربعمائة .

وملك بعــده آبن عمه (مسعود)، ثم أقيمت الخطبة بمــا وراء النهر (لبَرْكِيَارُقْ)، ثم خطب بركيارق فيما بيده مما وراء النهر وغيره لأخيه محمد بن ملكشاه. ثم غلب عليها الخِطَا الكُفَّار فى سنة ست وثلاثين وخمسمائة وآنتزعوها من يد سنجر بن ملكشاه. ثم صارت بيد الغُزّ: وهم طائفة من الترك مسلمون .

ثم آستولىٰ عليها بنو أنوشتكين ملوكُ خُوَارَزم الآتى ذكرهم، إلىٰ أن غلب عليها جنكزخان فى سنة ستّ عشرةَ وستمائة .

وأما غَزْنةُ وما معها فكانت بيد بنى سامانَ، ثم غلب عليها سُبُكْتُكين : وهو أحد ممـاليك أبى إسحاق بن ألبتكين صاحب جيش غزنة للسامانيـة المقدّم ذكره فى سنة ست وستين وثلثمائة بعد موت أبى إسحاق المذكور، ثم مات وقام بالأمر بها بعده آبنه إسماعيل، ثم غلبه عليها أخوه محمود بن سُبُكْتكين، وآستضاف إليها بعض خُرَاسَانَ فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة، وقطع الخطبة السامانية، وبقى حتّى توفى سنة إحدىٰ وعشرين وأربعمائة .

وملك بعده آبنه (محمدُ بن محمود) بعهد من أبيه ، ثم قدّم أهلُ المملكة عليه أخاه (مسعود بن محمود) وملّكوه عليهم، وبقى حتّى قتل فى سنة آثنتين وثلاثين وأربعمائة .

ثم ملك بعده أخوه محمد المقـدّم ذكره وقتل من عامه ، وملك بعـده آبن أخيه (مودود بن مسعود) وتوفى سنة إحدىٰ وأربعين وأربعمائة .

وملك بعده عمه (عبد الرشيد بن محمود) وقتل فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

وملك بعده أخوه[1] (فرخزاد بن مسعود بن محمود)، وتوفى سنة إحدىٰ وخمسين وأربعمائة .

وملك بعده أخوه الملك المؤيد (إبراهيم بن مسعود)، وتوفى سنة إحدىٰ وثمانين وأربعمائة .

وملك بعده آبنه (مسعود بن إبراهيم)، وتوفى سنة ثمـان وخمسمائة .

وملك بعده (أرسلان شاه بن مسعود) .

ثم ملك بعده (بهرام شاه بن مسعود) ثم توفى .

وملك بعده آبنه (خسروشاه بن بهرام)، وتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده آبنه (ملكشاه بن خسرو شاه) بن بهرام بن مسعود بن محمد بن سُبُكْتُكين، وهو آخرهم .

ثم آنتقل الملك إلىٰ الغُورية .

---

(١) الضمير راجع إلى مودود والأولى أن يقال " ابن أخيه " ليعود الضمير الى عبد الرشيد .

فأول من ملك منهم علاء الدين (الحسين بن الحسين)، ملك عند آنقراض الدولة السُّبُكْتُكِينِيَّة، وآستضافها إلى الغُور فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتلقَّب بالملك المعظم، وتوفى سنة ست وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده غياث الدين (محمد بن سام بن الحسين) ؛ ثم آستولى عليها الغُزُّ نحو خمس عشرة سنة ؛ ثم ملكها (شهاب الدين) أخو غياث الدين المقدّم ذكره سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقتل سنة آثنتين وستمائة، وفى أيامه كان الإمام فخر الدين الرازى وكان يَغْشاه و يَعظُه .

ثم ملك بعده علاء الدين (محمد بن سام بن محمد بن مسعود بن الحسين)؛ ثم غلبه عليها (يلدز) مملوك غياث الدين أخى شهاب الدين ؛ ثم غلبه عليها علاء الدين المذكور؛ ثم غلب عليها يلدز أيضا؛ ثم غلب عليها علاء الدين (محمد بن تكش) بن خوارزم شاه فى سنة آثنتى عشرة وستمائة، وبقى حتَّى غلبه عليها جنكزخان الآتى ذكره فى سنة سبع عشرة وستمائة .

الطبقــــة الثـانية

(ملوكها من بنى جنكزخان)

قال فى "مسالك الأبصار" : كان جنكزخان قد أوصى بمملكة ماوراء النهر لولده جداى، ويقال له جغطاى فلم يتمكن من ذلك .

ثم ملك بعده آبنه قراهولاوو، ثم ولده مبارك شاه؛ ثم غلب عليه قيدو بن قاشى آبن يكبوك بن أوكداى بن جنكزخان ؛ ثم غلب عليه براق بن بسنطو بن منكوقان ابن جغطاى بن جنكزخان .

ثم ملك بعده آبنه دوا بن براق، ثم أخوه كنجك، ثم أخوه اسبنغا، ثم أخوه كبوك، ثم أخوه الجكداى، ثم أخوه دراتمر، ثم أخوه ترما شيرين .

ثم ملك بعده رجل ليس من أولاد دوا آسمه توزون بن أويا كان . قال : وتخلل فى خلال ذلك مَنْ وثب على الملك ، ولم ينتظم له حال ولا صلت له أعلام دولة ، وبقى الملك بعد ترماشيرين غير منتظم حتّى قام جنفصو بن دراتمر بن حلو بن براق بن بسنطو آبن منكوقان بن جفطاى بن جنكزخان . إلى هنا آنقضى كلامه فى "مسالك الأبصار".

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة "ترماشيرين" المقدّم ذكره سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأسلم وحَسُن إسلامه وأخلص فى إسلامه وأيَّد الإسلام ، وقام به حق القيام ، وأمر به أمراءه وعساكره ، فمنهم من كان سبق إسلامه ومنهم من أجاب دَاعِيَهُ فأسلم ، وفَشَا فيهم الإسلامُ ، وعَلَا لواؤه حتّى لم تمض عشرة أعوام ، حتّى آشتمل فيها بملاءته الخاص والعام ، وأعان على ذلك من فى تلك البلاد من الأئمة العلماء والمشايخ الصلحاء . وصارت التجار من مصر والشام متردّدة إلى تلك الممالك ، وهو يكرمهم أتم الإكرام ، على أن رعايا هذه المملكة من قدماء الإسلام ، السابقين إليه . كانوا مع كفر ملوكهم فى جانب الإعزاز والإكرام ، لا يتطرّق إليهم منهم أذية فى دين ولا حال ولا مآل .

الجمـــلة السابعة

(فى ترتيب هذه المملكة وحال عساكرها)

أما ترتيبها فقد أشار فى "مسالك الأبصار" إلى أنها على نحو ماتقدّم فى مملكة إيران لآتفاق ملوك بنى جنكزخان فى الترتيب على طريقة واحدة .

وأمّا عساكرهم فذكر أن عساكرهم من أهل النَّجْدَةِ والبأس ، لايجحد ذلك من طوائف الترك جاحد ، ولا يُخَالف فيه مخالف ، حتّى حكى فى "مسالك الأبصار" عن مجد الدين إسماعيل السلامىّ أنه كان إذا قيل فى بيت هُولَاكُو : العسا كر ،

تحرّكت من خُوَارَزْمَ والقَبْجَاقِ، لايحمل لذلك أحدٌ منهم هَمًّا . وإذا قيل : إن العساكر تحرّكت مما وراء النهر، تأثروا لذلك غاية التأثر، لأن هؤلاء أقوى ناصرا وإن كان أولئك أكثر عددا ، لأنه يقال : إن واحدا من هؤلاء بمائة من أولئك، ولذلك كانت خُرَاسَانُ عندهم ثَغْرًا لايُهْمَلُ سِدَاده، ولا يزال فيه من يَسْتحق ميراث التخت أو من يقوم مقامه، لما وَقَرَ فى صدورهم لهؤلاء من مهابة لا يُقْلَقل طودُها، لأنهم طالما بَلَوْهم فى الحرب وٱبْتَلوهُم فيها .

القســـم الثـانى

(من مملكة تُوران خُوارَزْمُ والقَبْجَاقُ)

قال فى "مسالك الأبصار" : حدّثنى الشيخ نجم الدين بن الشَّحام الموصلىّ : أن هذه المملكة متسعةُ الجوانب طولا وعرضا، كبيرةُ الصحراء، قليلةُ المُدُن، وبها عَالَم كثيرٌ لايدخل تحت حدّ، إلا أنهم ليس لهم كثير نفع لقلة السلاح ورداءة الخيل، وأرضهم سهلة قليلة الحجر، لا تُطِيق خَيْلٌ رُبِّيت فيها الأوعارَ، فلذلك يقل غَنَاؤها فى الحروب . قال فى "التعريف" : وكانت هذه المملكة فى قديم الزمان زمانِ الخلفاء وما قبله تعرف بصاحب السرير . قال فى "الروض المعطار" : وذلك أنه كان بها سرير من ذهب يجلس عليه ملوكها نقله إليها ملوك الفُرْس . قال فى "التعريف" : وكان صاحبها فى الأيام الناصرية (يعنى ٱبن قلاوون) السلطان أزبك خان . قال : وقد خطب إليه السلطان فزوّجه بنتا تقرب إليه، ثم قال : وما زال بين ملوك هذه المملكة، وبين ملوكنا قديمُ ٱتحاد، وصِدْق وداد، من أوّل الدولة الظاهرية بيبرس وإلى آخر وقت .

ويحصل الغرض من ذلك فى ثمان جُمَل :

الجمـــلة الاولىٰ

(فى ذكر حدود هذه المملكة ومسافتها)

قد ذكر فى "مسالك الأبصــار" نقلا عن الشيخ علاء الدين بن النُّعمان الخُوَارَزْمِىّ أن طول هــذه المملكة من بحر آصطنبول إلىٰ نهر أريس ســتة أشهر، وعرضَها من بُلْغَارَ إلىٰ باب الحديد أربعة أشهر تقريبا . ثم ذكر عنه فى موضع آخر : أن مجموع هــذه المملكة من ورعات(١) خُوَارَزْمَ من الشرق إلىٰ بَاشْقَرْدَ، وعرضا من خُوَارَزْم إلىٰ أقصىٰ بلاد سير، وهى منتهىٰ العمارة فى الشَّمال . وذكر فى موضع آخر عن آبن النعمان أن مبدأ عرض هذه المملكة من ديرمو، وهى مدينة من بناء الإسْكَنْدر، كان عليها باب من حديد قديما، إلىٰ بلاد بوعره (؟)، وطولها من ماء أريس، وهو أعظم من نيل مصر بكثير من ناحية بلاد الخِطَا، إلىٰ آصطنبول يعنى القُسْطَنْطِينِيَّة . قال : و يتجاوز هذا الطول قليلا إلىٰ بلاد تسمّىٰ كَمْخ مشتركة بين الرُّوس والفرنج . وذكر فى موضع آخر أن خُوَارَزْمَ إقليم منقطع عن خُرَاسَانَ وعن ما وراء النهر، والمَفَاوِزُ محيطةٌ به من كل جانب ، وحدّه متصل بغَزْنَةَ مما يلى الشمال والغرب وجنوبيه وشرقيه ، وهو علىٰ جانبى جَيْحُونَ . قال آبن حوقل : و بلاد خوارزم من أبرد البلاد ، ومنهـا يبتدئ الجُمُودُ فى نهر جَيْحُونَ . قال فى "العزيزى" : و بلاد خُوَارَزْمَ فى جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خُوَارَزْمَ، و بينهما نحو ست مراحل . قال فى "مسالك الأبصار" : وأوّل حدّ خُوَارَزْم بلدة تسمّى الظاهرية مما يلى آمُلَ ،وتمتدّ العمارة فى جانبى جَيْحُونَ معا .

وحكى عن حسن الرومىّ التاجر السَّفَّار أن طولها من مدينة باكُو المعروفة بالباب الحديد إلىٰ حدود بلاد الخِطَا ، فيكون بسير القوافل خمسةَ أشهر، وعرضها من نهر

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها درعان الآتية قريبا .

جَيْحُونَ إلىٰ نهر طُونا . وقال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة واقعة فى الشمال آخذة إلىٰ الشرق، تحدها أطراف الصِّين من شرقيها ، وبلاد الصَّقْلب وما يليها من شَمَاليها ، وخُرَاسَانُ وما سامتها من جنوبيِّها ، والخليج القاطع من بحر الروم من غربيِّها .

الجملة الثانية

(فيما آشتملت عليه من الأقاليم العُرْفية)

اعلم أن هذه المملكة قد آشتملت علىٰ عدّة أقاليم :

الإقليم الأوّل

(خُوَارَزْمُ)

بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وألف بعدها راء مهملة ثم زاى معجمة ساكنة وميم فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو إقليم منقطع عن خُرَاسَانَ وعن ماوراء النهر، والمَفَاوِزُ محيطة به من كل جانب . قال : ويحيط به من الغرب بعض بلاد التُّرك، ومن جهة الجنوب خُرَاسَانُ، ومن الشرق بلادُ ماوراء النهر، ومن الشمال بلاد الترك أيضا . قال : وإقليم خُوَارَزْمَ فى آخر جَيْحُونَ، وليس بعده علىٰ النهر عمارة إلىٰ أن يقع جَيْحُونُ فى بحيرة خَوَارَزْمَ، وهو علىٰ جانبى جَيْحُونَ . قال ابن حوقل : (وبلاد خُوَارَزْمَ من أبرد البلاد، ويبتدئ الجمود فى نهر جَيْحُونَ من جهة خُوَارَزْمَ)[1] . وقال المهلبيّ : بلاد خُوَارَزم فى جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خُوَارَزْمَ إلىٰ آمُل نحو آثنتَىْ عشرة مرحلة، ومن خُوَارَزْمَ إلىٰ بحيرة خُوَارَزْمَ نحو ست مراحل . قال فى "مسالك الأبصار" : وبخُوَارَزْمَ جَبَلٌ يقال له جبل الخير به عين تعرف به، يقصدها ذَوُو الأمراض المزمنة، ويقيمون عندها سبعة أيام، فى كل يوم

(١) تقدّمت هذه الجملة بتامها فى الصفحة التى قبل هذه، فإعادتها غير مفيدة .

يغتسلون بها بُكْرة وعشية ، ويشربون منها عقب كل آغتسال حتّى يتضلّعوا ، فيحصل البُرْء . قال : وخُوَارَزْمُ علىٰ جَيْحُونَ بين شُعْبَتَيْنِ منه مثل السراويل . قال : ويلى خُوَارَزْمَ أرض مدوّرة تسمّى قسلاع ، طولها خمسة أشهر ، وعرضها كذلك كلها صحراء ، يسكنها أمم كثيرة من البرجان ، ويفصل بينها وبين نهر جَيْحُونَ جَبَلٌ آسمه أويلغان شمالىّ خُرَاسَانَ . ولها قاعدتان .

القاعدة الأولىٰ

(القـديمة مدينـة كَاث)

بكاف وألف وثاء مثلثة . قال آبن حوقل : وهو آسمها بالخُوَارَزْمِيَّة ؛ وهى مدينة واقعة فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض إحدىٰ وأربعون درجة وست عشرة دقيقة . قال فى "القانون" : وهى فى شرقىّ جَيْحُونَ . قال المهلبىّ : وبينها وبين القرية الحديثة من بلاد الترك خمسون فرسخا . قال : وهى من أجَلّ مُدُن خُوَارَزْمَ . قال آبن حوقل : وقد خربها التّتر وبنىٰ الناس لهم مدينة وراءها . قال : وكانت هذه المدينة فى الجانب الشمالىّ عن جيحون . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها مائة بيت من اليهود ، ومائة بيت من النصارىٰ ، لايسمح لهم بأكثر من ذلك .

القاعدة الثانية

(كُرْكَانج)

قال فى "المشترك" : بضم الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف ثانية وألف ونون ساكنة وفى آخرها جيم . قال : ويلتقى فيها ساكنان (يعنى الألف والنون) ولذلك يكتبونها كُرْكَنج بغير ألف ، وتعرف بكُرْكَنج الكُبْرىٰ ، والعرب تسميها

الجرجانية ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" و"القانون" حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة، والعرض آثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى على ضَفَّةِ جَيْحُونَ . قال فى "القانون" من غربيه . وبها عدّة مدن أيضا :

(منها) كُرْكَنْج الصغرى . وتعرف بالجرجانية أيضا ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة أيضا . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض آثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة قريبة من كُرْكَنْجَ الكبرى، بينهما عشرة أميال، وهى فى غربى جَيْحُونَ .

(ومنها) زَمَخْشَرُ . قال فى "اللباب" : بفتح الزاى المعجمة والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وراء مهملة فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وإليها ينسب الإمام أبو القاسم محمود الزَّمَخْشَرِىّ صاحب "الكشّاف" فى التفسير وغيره من المصنفات الفائقة النافعة .

(ومنها) هَزَارَاسْبُ . قال فى "اللباب" : بفتح الهاء والزاى المعجمة وسكون الألف وفتح الراء وسكون السين المهملتين وباء موحدة فى الآخر ـ وهى قلعة بِخُوَارَزْمَ موقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وعشرون دقيقة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . قال السمعانىّ : ويقال لها بالفارسية هَزَارَسْفُ . قال : وهى قلعة حصينة . قال المهلبىّ غربىّ جَيْحُونَ، وبينها وبين مدينة كَاثَ ستة فراسخ .

(ومنها) دَرْغَان[١] . بدال وراء وعين مهملات وألف ثم نون ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وثمانون درجة وأربع وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى آخر حدود خُوَارَزْمَ إلىٰ جهة مَرْو . قال المهلبىّ : وبينها وبين هَزَارَاسْبَ أربعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) فَرَبْرُ . قال فى "اللباب" : بفتح الفاء والراء المهملة وسكون الباء الموحدة . وقال فى "مزيل الارتياب" : بفتح الفاء وكسرها، كل منهما مسموع ـ وهى مدينة علىٰ طرف جَيْحُونَ مما يلى بُخَارا ـ موقعها فى آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "القانون" : وهى المَعْبَر من بلاد ما وراء النهر إلىٰ خُرَاسَانَ . وجعلها ابن حَوْقَلَ من أعمال بُخَارا . فتكون مما وراء النهر، وهى خِصْبَةٌ ولها قرىً عامرة .

الإقليم الثانى
(الدَّشْتُ)

بفتح الدال المهملة وسكون الشين المعجمة وتاء مثناة فوق فى الآخر ـ وهى صحارىٰ فى جهة الشَّمال ، وتضاف إلىٰ القَبْجَاقِ بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف ـ وهم جنس من التُّرْك يسكنون هذه الصحارىٰ، اهل حَلٍّ وتَرْحَالٍ علىٰ عادة البَدْوِ .

---

(١) ضبطها ياقوت بالغين المعجمة .

وقاعدة المملكة بها (صَرَاى) . قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح الصاد والراء المهملتين وألف وياء مثناة تحتية . ووقع فى "مسالك الأبصار" بالسين المهملة بدل الصاد ـ وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة عظيمة فى مستوٍ من الأرض علىٰ شَطِّ نهر [الأَثِل](١) من الجانب الشمالىّ [الشرقىّ](١) غربىّ بحر الخَزَر وشماليه علىٰ مسيرة نحو يومين، وبحر الخَزَر شرقيها بجنوبيها، ونهر الأَثِل عندها يجرى من الشَّمال والغرب إلىٰ الشرق والجنوب حتّى يصب فى بحر الخَزَر . وهى فُرْضَة عظيمة للتجار ورقيق التُّرْك . وذكر فى "مسالك الأبصار" عن عبد الرحمن الخُوَارَزْمىّ الترجمان : أنها بناء بَرَكَةَ بن طوجى بن جنكزخان، وأنها فى أرض سبخة بغير سُورٍ، ودار المَلِك بها قصرٌ عظيم علىٰ عليائه هِلَالٌ من ذهب زِنَته قنطاران بالمصرىّ، ويحيط بالقصر سُورٌ وأبراج فيها الأمراء، وبهذا القصر يكون مَشْتاهم ؛ والسراى مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات ووجوه بِرٍّ، مقصودة بالإجلاب، وفى وسطها بِرْكَةٌ(٢) ماؤها من نهر الحل ماؤها للاستعمال . أما شربهم فمن النهر يسقىٰ لهم فى جِرَار فَخَّار، وتُصَفُّ علىٰ العَجَلَات وتجرّ إلىٰ المدينة وتباع بها . قال : وبُعْدها عن خُوَارَزْم نحو شهر ونصف . قال فى "تقويم البلدان" : وقد بنىٰ بها السلطان أزبك مدرسةً للعلم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم فى جَهْد من قَشَف العيش لأنهم ليسوا أهل حاضرة، وشدّةُ البرد تُهْلِكُ مواشيَهُم . قال : وهم لشدّة ما بهم من سوء الحال إذا وجد أحدهم لحما صلقه ولم يُنْضِجْه وشرب مَرَقَه، وترك اللحم ليأكله مرة أخرىٰ، ثم يجمع العِظَام ويعاود صَلْقَهَا مرة أخرىٰ ويشرب مرقها، وقِسْ علىٰ هذا بقيةَ عَيْشِهم . ونقل عن جمال الدين عبد الله الحصنى التاجر: أنَّ لبس كثير منهم الجلودُ : مُذَكَّاة كانت أو مَيْتَة، مدبوغة أو غير مدبوغة، من حيوان

(١) الزيادة عن تقويم البلدان . (٢) لعل هذا اللفظ زائد من الناسخ .

طاهر أو غيره؛ ولا يعرفون فى المآكل ما يُعَاف مما لا يُعَـاف، ولا التحريم من التحليل؛ وأنهم يبيعون أولادهم فى بعض السنين لضيق العيش . قال : ومع ذلك فليس لهم تمسُّك بدين ولا رزانة فى عقل؛ ثم عقب ذلك بأن قال : ومع ذلك فهم من خيار التُّرك أجناسا لوفائهم وشجاعتهم وتجنبهم الغَـدْر، مع تمـام قاماتهم وحسن صُوَرِهم وظَرَافة شمـائلهم . ثم قال : ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجُنْدها؛ إذ لما رغب الملك الصالح (نجم الدين أيوب) فى مشترى المماليك منهـم، ثم صار من ممـاليكه من انتهى إلى الملك والسلطنة، فـالت(١) الجنسية إلى الجنسية، ووقعت الرغبة فى الاستكثار منهم حتى أصبحت مصرُبهم آهلةَ المَعَالم، مَحْمِيَّةَ الجوانب؛ منهم أقمـارُ مواكبها، وصدور مجالسها، وزعماء جيوشها، وعظماء أرضها . وحمد الإسلام مواقفَهم فى حماية الدِّين، حتى إنهم جاهدوا فى الله أهليهمْ . قال : وكفى بالنصرة الأولى يوم عَيْنِ جَالُوتَ فى كَسْر الملك المظفر قطز صاحبِ مصرَ إذ ذاك فى سنة ثمـان وخمسين وستمائة عساكرَ هُولَاكُو مَلِك التَّتَر بعد أن عجز عنهم عساكرُ الأقطار، واستأصلوا شأفة السلطان (جلال الدين محمد بن خُوَارَزْم شَاهْ) وقتلوا عساكره؛ مع أن الجيشَ المصرىّ بالنسـبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة من الدائرة، والنُّغْبَة من البحر، والله يؤيد بنصره مَن يشاء .

أمّا فى زماننا هذا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس، رغب فى المـاليك من جنسه وأكثرَ من المـاليك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند، وقلَّت المماليك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم .

---

(١) لعل هذا هو الجواب والفاء زائدة من الناسخ .

الإقلـــيم الثـالث
(بلاد الخَزَر)

بفتح الخاء والزاى المعجمتين وراء مهملة فى الآخر .

وقاعدته مدينة (بَلَنْجَر) . قال فى "اللبـاب" : بفتح الباء الموحدة واللام ونون ساكنة وجيم مفتوحة ثم راء مهملة — وهى مدينةٌ بدَرْبَنْد خزران، واقعة فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "كتاب الأطوال" : وهى إتِل . قال فى "اللباب" : وهى داخل الباب والأبواب، قيل إنها نسبت إلىٰ بَلَنْجَر بن يافث .

الإقلـــيم الرابـــع
(القِـــرِم)

قال فى " تقويم البُلْدان " : بكسر القاف والراء المهـملة وميم فى الآخر . قال وهو آسم لإقليم يشتمل علىٰ نحو أربعين بلدا .

وقاعدتها (صُلْغَاتُ) . قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم الصاد المهملة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف وتاء مثناة فوقية فى الآخر — وقد أطلق الناس آسم القِرِم عليها حتّى إذا قالوا القِرِم لايريدون إلا صُلْغَاتَ — وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق والعرض خمسون درجة . قال : وهى عن البحر علىٰ نصف يوم؛ وهى عن الأزَق فى الغرب والشمال .

وبِصَرَاى بلادٌ مضافة إليها .

(منها) الأَكَكُ . قال فى "تقويم البُـلْدان" : بضم الهمزة وفتح الكاف الأولىٰ ثم كاف ثانية — وهى بليدة من بلاد الصَّرَاى ، موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : القياس حيث الطول ثمـان وسبعون درجة ، والعرض تسع وأربعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وهى علىٰ جانب نهر إتِل من الجانب الغربى بين صَرَاىَ وبُلَار ، علىٰ قرب منتصف الطريق بينهما ؛ وهى عن كل واحدة منهما علىٰ نحو خمسَ عشرةَ مرحلة . وإلىٰ الأَكَكِ هذه ينتهى أردو القان صاحب هذه المملكة ، ولها مُدُن أخركما تقدّم . وهى عن الكَفَا شَمَالٌ بغرب ، وعن صُودَاقَ شَمال بشرق ، وبين كل منهما مسيرة يوم ؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنهـا) صُودَاقُ . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وواو ، وفتح الدال المهملة وألف وقاف فى الآخر ، والعامة يقولون : سُرْداق ، فيبدلون الصادَ سيناً مهملة والواوَ راءً مهملة — وموقعها فى آخر الإقليم السابع من الأقاليم السبعة أو فى الشمال عنه . قال ٱبن سعيد حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرض إحدىٰ وخمسون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى فى ذيل جبل علىٰ شَطّ بحر القِرِم ، وأرضها محجر وهى مسوّرة ، وهى فُرْضة للتجار ؛ ويقابلها من البرِّ الآخر مدينـة سَامسُونَ ، من سواحل بلاد الروم الآتى ذكرها . قال : وأهلها مسلمون . وقال ٱبن سعيد : أهلها أخلاط من الأمم والأديان ، والأمر فيها راجع إلىٰ النصرانية . وإليها يُنسب الجلد السُّرْداقىّ المعروف .

(ومنها) كَفَا . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الكاف والفاء وألف مقصورة ، وهى فُرْضة القِرِم — وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سـبع وخمسون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهى فى وطاة

من الأرض، وهى على ساحل بحر القِرِم، ويقابلها من البر الآخر مدينة طَرَابْزُونَ من سواحل بلاد الروم، وهى شرقىّ صُودَاقَ، وعليها سُورٌ من لَبِنٍ، ومن شمالها وشرقيها صحراء القَبْجَاقِ، وهى عن صُودَاق فى سمت الشرق، والكَفَا وصُودَاقُ وصُلْغَاتُ كالأثافى .

الإقليم الخامس
(بلاد الأَزَق)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة والزاى المعجمة وقاف فى الآخر .

وقاعدته مدينة الأَزَق بالضبط المعروف ـ موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطولُ خمس وستون درجة، والعرض ثمان وأربعون درجة . قال : وإليها ينسب بحر الأَزَق المعروف فى الكتب القديمة ببحر مانيطش، وهى فُرْضة على بحر الأَزَق فى مستوٍ من الأرض عند مَصَبّ نهر " تان " فى بحر الأَزَق، وبناؤها بالخشب، وبينها وبين القِرِم نحو خمسَ عشرةَ مرحلة، وهى فى الشرق والجنوب عن القِرم . ولها مدن أخر .

(منها) الكَرْش . قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح الكاف وسكون الراء المهملة وشين معجمة فى الآخر ـ وهى بلدة صغيرة على ساحل بحر الأَزَق، واقعة فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى " تقويم البُلْدان " : القياس حيث الطول ستون درجة، والعرض سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . وهى بلدة صغيرة بين الكَفَا والأَزَق على فَم بحر الأَزَق، ويقابلها من البر الآخر الطامانُ من سواحل أرمينِيَة وبلاد الروم، وأهلها قَبْجَاقٌ كُفَّار .

الإقلـــيم الســادس
(بلاد الجَرْكَس)

بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الكاف وسين مهملة فى الآخر. قال المؤيد صاحب حماة فى "تاريخه" : وهو على بحر نيطش من شرقيّه، وهم فى شَظَف من العيش . قال : وقد غلب عليهم دينُ النصرانية ، وقد صار فى زماننا منهم أكثرُ عسكر الديار المصرية من لدن مَلَك الظاهر برقوق فإنه أكثر الإجلابَ منهم .

الإقلـــيم الســابع
(بلاد البُلْغَار)

بضم البـاء الموحدة وسكون اللام وفتح الغيــن المعجمة وألف ثم راء مهملة فى الآخر . وهم جنس معروف أيضا . قال صاحب حمـاة فى "تاريخه" : وهم منسوبون إلى بُلْدان يسكنونها .

وقاعدتها مدينة (بُلَار) بضم الباء الموحدة وفتح اللام وألف وراء مهملة فى الآخر. قال فى "تقويم البُلْدان" : ويقال لهـا بالعربىّ بُلْغَار ـ وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم الســبعة ، أو فى الشّمال عنــه . قال فى "الأطوال" وطولها ثمـانون درجة، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة؛ وهى بلدة فى نهـاية العمارة قريبــة من شَطّ نهر إتِل من البر الشمالىّ الشرقىّ، وهى وصَرَاى فى برّ واحد، وبينهما فوق عشرين مرحلة، وهى فى وطاة والجبال عنها أقل من يوم؛ وأهلها مسلمون حَنَفيّة، وليس بهـا شىء مـن الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدّة بردها ، والفُجْلُ الأسود فى غاية الكبر . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد حكى لى بعض أهلها أن فى أوّل الصيف لا يغيب الشّفَق عنهـا ويكون ليلها فى غاية القِصَر . ثم قال .

وهذا الذى حكاه صحيح موافقٌ لما يظهر بالأعمال الفلكية، لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يبتدئ عدم غَيْبُوبة الشَّفَقِ فى أول فصل الصيف، وعرضها أكثر من ذلك، فصح ماتقدّم علىٰ كل تقدير. قال فى "مسالك الأبصار": وحكىٰ لى الحسن الإربلى أن أقصر ليلها أربعُ ساعات ونصف، وهو غاية نقصان الليل. قال حسن الرومىّ: وسألت مسعودا المؤقت بها عن هذا فقال: جربناه بالآلات الرَّصَدية فوجدناه كذلك تحريرا. قال فى "مسالك الأبصار": وقد ذكر المسعودىّ فى "مروج الذهب" أنه كان فى السّرْب والبُلْغَارِ من قديم دارُ إسلام ومستقرّ إيمان. فأمّا الآن فقد تبدّلت بإيمانها كُفراً، وتداولها طائفة من عُبَّاد الصليب، ووصلت منهم رُسُلٌ إلىٰ حضرة مصر سنةَ إحدىٰ وثلاثين وسبعمائة من صاحب السّرْبِ والبُلْغَارِ، يعرض نفسه علىٰ مَوَدَّته، ويسأله سيفا يتقلده وسنجقا يقهر أعداءه به، فأكرم رسُلَه، وأحسن نُزُله، وجهز له معه خِلْعة كاملة: طرد وحش بقصب بسنجاب مقندس علىٰ مقرح سكندرىّ وكلوتة زركش بطرفين، ومنطقة ذهب، وكلاليب ذهب وسيف محلًّى، وسنجق سلطانىّ أصفر مُذْهَب. قال: وهم يدارون سلطان القبجاق لعظيم سلطانه عليهم، وأخذه بخناقهم لقربهم منه. وذكر فى "التعريف" قريبا منه؛ ولصاحب السّرْبِ مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، يأتى ذكرها فى المكاتبات إن شاء الله تعالىٰ.

وبين السّرْبِ والبُلْغَارِ وبلاد الترك بلادٌ:

(منها) أَقْجَا كَرْمَانَ ــ بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الجيم وألف وفتح الكاف والراء المهملة والميم وألف والنون فى الآخر ــ وهى بليدة علىٰ بحر نيطش المعروف ببحر القِرِم، واقعة فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة. قال فى "تقويم البُلْدان": والقياس أنها حيث الطولُ خمس وأربعون درجة، والعرض خمسون درجة، وهى

فى مستوٍ من الأرض، وأهلها أخلاط من مسلمين وكُفَّار، وعلىٰ القرب منها يصب نهر طُرْلُو .

(ومنهـا) صَارِى كَرْمَانَ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وألف وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحتية ـ وكَرْمَانُ علىٰ ما تقدم، منخرطة فى أَقْجَا كَرْمان، وهى بليدة أصغر من أقجا كرمان ـ وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُـلْدان" حيث الطول خمس وخمسون درجة، والعرض خمسون درجة قياسا ، ويقابلها من البر الآخر مدينة سَـنُوبَ من سواحل بلاد الروم، وهى شرقىّ أَقْجا كَرْمَانَ المقدّم ذكرها، وبينهما نحو خمسة عشر يوما ، وبينها وبين صُلْغَاتَ نحو خمسة أيام .

الإقلـــيم الثامن

(بلاد الأُولَاقِ)

بضم الهمزة وسكون الواو ولام ألف بعــدها قاف، ويقال لهم البُرْغَالُ بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ثم لام، وهم جنس معروف .

وقاعدتها مدينة (طِرْنَوْ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والنون المفتوحة وواو فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الســابع من الأقاليم الســبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطولُ سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمسون درجة . قال : وهى غربىّ صَقْجِى علىٰ ثلاثة أيام منها، وأهلها كُفَّارٌ من الجنس المذكور. ولهم بلاد أخرىٰ :

(منها) صَقْجِى . قال فى "تقويم البلدان" : قال بعض الفقهاء[1] : بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وكسر الجيم المشربة بالشين المعجمة وفى الآخر ياء مثناة تحتية ـ

---

(١) الذى فى تقويم البلدان "عن بعض أهلها" .

وهى من أولاق و بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وأربعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة، وهى متوسطة بين الصِّغَرِ والكِبَرِ فى مستوٍ من الأرض، عندمصب نهر طُنَا فى بحر نيطش المعروف ببحر القِرِم فى الجانب الجنوبىّ الغربىّ منه . وهى عن أَقْجَا كَرْمَانَ علىٰ مسيرة خمسة أيام، و بينها و بين القُسْطَنْطِينِيَّة فى البحر عشرون يوما، وغالب أهلها مسلمون .

الإقليم التاسع
(بلاد الآص)

بفتح الهمزة الممدودة وصاد مهملة ـ وهم جنس معروف .

وقاعدته (قِرْقِرْ) . قال فى "تقويم البلدان": بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية (؟) وكسر الراء المهملة فى الآخر. ومعنىٰ اسمها بالتركية أربعون رجلا؛ وموقعها فى آخر الإقليم السابع . قال فى " تقويم البلدان " : القياس أنها حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهى قلعة عاصية علىٰ جبل لايقدر أحد علىٰ الطلوع إليه، ووسط ذلك الجبل وطاة تسع أهل البلاد؛ وهى بعيدة عن البحر فى شمالىّ صَارِى كَرْمَانَ علىٰ نحو يوم، وعندها جَبَل عظيم شاهق فى الهواء يقال له (جَاطِوْطَاغ) بفتح الجيم وألف وطاء مكسورة وواو ساكنة وطاء مهملة وألف وغين معجمة، يظهر للراكب من بحر القِرِم .

الإقليم العاشر
(بلاد الرُّوس)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . وهم جنس معروف . قال فى " تقويم البُلْدان " : فى شمالىّ مدينة بُلَار المذكورة . قال صاحب حماة

فى "تاريخه" : ولهم جزائرُ أيضا فى بحر نيطش وبُلَارُ فى شماليّه . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية . قال فى "مسالك الأبصار" : وإذا سافر المسافر علىٰ غربىّ جولمـان وصـل إلىٰ بلاد الرُّوس، ثم إلىٰ بلاد الفِرِنج وسُكَّان البحر الغربىّ . قال فى "تقويم البلدان" : وفى شمـالىّ الروس الذين يبايعون مغايبة . ونقل عن بعض من سافر إلىٰ تلك البلاد أنهم يتصلون بساحل البحر الشمالىّ، فإذا وصلوا إلىٰ تخومهم، أقاموا حتّى يعلموا بهم، ثم يتقدّمون إلىٰ المكان المعروف بالبيع والشراء، ويَحُطُّ كلُّ تاجر بضاعته مُعَلَّمَةً ويرجعون إلىٰ منازلهم، فيحضُر أولئك القومُ ويضعون قُبالةَ تلك البضاعة السَّمُّورَ والثعلبَ والوُشَّقَ وما شاكل ذلك، ويَدَعُونَه ويَمْضُون، ثم يحضُر التُّجّار فمن أعجبه ذلك أخذه، وإلا تركه حتّى يتفاصلوا علىٰ الرضا .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصـار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان : أن البلاد التى يجلب منهـا السَّـمُّورُ والسِّنْجَابُ هى بُلَارُ المقدّمة الذكر . قال ٱبن النعمان : وتُجّار بلادنا لايتعدّون بلاد البُلْغَار، وتُجّار البُلْغَار يسافرون إلىٰ بلاى جقطاى، وتجار جولمـان يسافرون إلىٰ بلاد بوغزه، وهى فى أقصى الشَّمال ليس بعدها عمارة سوىٰ بُرجٍ عظيم من بنـاء الإسْكَنْدَرِ علىٰ هيئة المنارة العالية، ليس وراءه مذهب لأحد إلا الظلمات، فسـئل عن الظلمات فقال : صَحَارٍ وجبالٌ لايفارقها الثَّلْجُ والبَرَدُ، ولا تطلُع عليها الشمس، ولا ينبت فيها نبات، ولا يعيش فيها حيوان، متصلة ببحر أسود لا يزال يمطُرُ، الغيمُ منعقدٌ عليه .

وٱعلم أن صاحب "تقويم البلدان" : قد ذكر عدّة أماكنَ من هذه المملكة سوىٰ ما تقدّم ولم ينسبها إلىٰ إقليم .

(منها) كُومَّاجر - بضم الكاف وسكون الواو والميم المشـدّدة وألف وجيم وراء مهملة - وهى مدينة قريبة من الوسط ما بين باب الحديد والأَزَقِ، شرقىَّ الأَزَقِ وغربىَّ باب الحديد .

(ومنهـا) مدينة لَكْز ـ بفتح اللام وسكون الكاف وفى آخرها زاى معجمة ـ وهى مدينة يسكنها جنس من الترك يقال لهم اللكزى ، وهم فى الجبل الفاصل بين تتر مملكة بَرَكَةَ ، وتتر مملكة هُولَاكُو .

(ومنها) بلاد القَبْتَق ـ بفتح القاف وسكون المثناة تحت وفتح المثناة من فوق وفى آخرها قاف ثانية ، وهم جنس من الترك يسكُنون الجبل المتصل باللَّكْز من شماليه. قال فى "تقويم البُلْدان" وهم قُطَّاع طريق ، وجبلهم متحكم على باب الحديد .

قلت : وهذه المملكة أوسعُ من أن يحاط ببلادها ، وفيما ذكرناه مَقْنَع لمن تأمله .

الجمــــلة الثــالثة

(فى ذكر الأنهار العِظام والبُحَيرات الواقعة فى هذه المملكة)

أما الأنهار فقد ذكر فى " مسالك الأبصار " أن بهذه المملكة سَيْحُونَ وجَيْحُونَ المقدّم ذكرهما فى مملكة ماوراء النهر ، وذلك أنهما يمتدّان من هذه المملكة إلى تلك ، فيصدُق وجودهما فى المملكتين جميعا . وقد تقدّم ذكرهما هنالك فأغنى عن إعادته هنا .

ثم المشهور مما يختص بهذه المملكة خمسة أنهار .

أحدها ـ نهر أَثِل[1] ـ بفتح الهمزة وكسر المثلثة ولام فى الآخر ـ فعرف بأثل ، وهى مدينة بَلَنْجَر المقدّم ذكرها ، ويقال فيه نهر الأثل بالألف واللام أيضا ، وهو من أعظم الأنهار بتلك البلاد وأشهرها . ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الفاضل شجاع الدين عبد الرحمن الخُوَارَزْمِىّ الترجمان أنه يكون قدر النيل ثلاث مرات أو أكثر . قال : وأصله من بلاد الصَّقْلَب . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو يأتى من أقصى الشَّمال والشرق من حيث لا عمارة ، ويمرّ بالقرب من مدينة بُلَارَ ، وهى

(١) كذا فى "التقويم" ونص ياقوت على أنه بالمثناة الفوقية وأنه بوزن إبل .

بُلْغَارُ، ويســتدير عليها من شماليها وغربيها، ويجرى منهـا إلىٰ بُلَيْدَةٍ علىٰ شَطِّه يقال [لها أوكك ثم يتجاوزها إلىٰ قرية يقال(١)] لهـا بلجمن، ويجرى جنوبا ثم يعطف، ويجرى إلىٰ الشرق والجنوب، ويمرّ علىٰ مدينــة صَرَاى من جنوبيها وغربيها، فإذا تجاوز مدينة صَرَاى ٱفترق، ويصير علىٰ ماقيل ألفَ نهر ونهر، ويصب الجميعُ فى بحر الخَزَر. قال فى "مسالك الأبصار": وتجرى فيه السفن الكبار، ويسافر فيه المسافرون إلىٰ الرُّوسِ والصَّقْلَبِ .

الثـانى ــ نهر طُنَـا . قال فى " تقويم البلدان " : بضم الطاء المهملة وفتح النون وألف . قال فى "تقويم البلدان" : وهو نهر عظيم يكون أكبر من دِجْلَةَ والفُرَاتِ إذا ٱجتمعا بكثير. قال : ويجرى من أقصىٰ الشَّمال إلىٰ جهــة الجنوب، ويمرّ فى شرقىّ جبل يسمّى (قشغا طاغ) . ومعناه الجبل الصَّعْبُ ، وهو جبل فيه أجناس مختلفة من أمم الكُفْر مثل الأولاق والماجار والسّرب وغيرهم، فيمرّ فى شرقيه، وكلما جرىٰ جنوبا قرب من بحر نِيطش المعروف الآن ببحر القِرِم، ولا يزال يتقارب منه ويقرب ما بين الجبل والبحر المذكور حتّى يصبّ فيه فى شَمَـالىّ مدينة صَقْجِى فى شمالىّ القُسْطَنْطِينِيَّة بميلة إلىٰ الغرب .

الثالث ــ نهر أزو . قال فى " تقويم البلدان " : بالزاى المعجمة [المفخمة](٢) بعد الألف وواو فى الآخر . قال : وهو نهر عظيم يأتى من الشمال شرقىّ نهر طُنَا المقدّم ذكره، ويمرّ مغرّبا، ثم يعطف ويمـرّ مشرقا حتّى يصبّ فى خَوْر من بحر القِرِم بين صَارِى كَرْمَانَ وأَقْجَا كَرْمَانَ المقدّم ذكرهما .

الرابع ــ نهر تَان . قال فى " تقويم البلدان " : بتاء مثناة مِن فوق وألف [ممـالة(٢)] ونون فى الآخر . قال : وهو نهر عظيم شرقىّ أزو المقدّم ذكره وغربىّ نهر

(١) الزيادة عن "التقويم" . (٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

الأَثل يجرى من الشَّمال إلىٰ الجنوب، و يصب فى بحيرة ما نيطش المعروفة فى زماننا بحر الأَزَق عند مدينة الأَزَق من غربيها .

الخامس — نهر طُرْلُو . قال فى " تقويم البُلْدان " بضم الطاء وسكون الراء المهملتين ولام وواو . قال : وهو نحو عاصى حَمَاة ، و يصب علىٰ القرب من أَقْجا كَرْمَانَ فى بحر نيطش المعروف بحر القِرم .

* * *

وأما البحيرات فالمشهورة بها بحيرة خُوَارَزْمَ : وهى بحيرة كبيرة ماؤها مِلْح . قال ابن حوقل : دَوْرها مائة فرسخ ، وفيها يصب نهر جَيْحُونَ فى جانبها الجنوبى ، وفيها يصب نهر الشَّاش أيضا ، و بينها و بين البحر عشرون مرحلة ، و بينها و بين خُوَارَزْمَ ستُّ مراحل .

الجملة الرابعة

(فى الطرق الموصلة إلىٰ هذه المملكة)

ولها طريقان : طريق فى البر ، وطريق فى البحر .

فأما طريق البر فقد تقدّم فى الكلام علىٰ مملكة إيران الطريق إلىٰ شَطِّ جَيْحُونَ . وقد ذكر فى " تقويم البُلْدان " أن بين آمُل الشطِّ و بين خُوَارَزْمَ نحو آثنتى عشرة مرحلة . وذكر فى " مسالك الأبصار " أن بين خُوَارَزْمَ ومدينة صَرَاىَ نحوَ شهر ونصف ، وأن بين خُوَارَزْمَ ومدينة صَرَاى مدينة وجق ومدينةَ قطلود .

وأما طريق البحر فهو أن يركب المسافر إليها فى بحر الرُّوم من مدينة الإسْكَنْدَرِيَّة أو مدينة دِمْيَاطَ من شَمالىّ الديار المصرية ، و يسير إلىٰ خَلِيج القُسْطَنْطِينِيَّة المتصل ببحر الرُّوم من جهة الشَّمال ، و يركب فيه و يجاوزه إلىٰ بحر نيطش المعروف ببحر القِرم ، ثم إلىٰ بحر ما نيطش المعروف ببحر الأَزَق و ينتهى إلىٰ آخره .

الجمـــــلة الخامسة

(فى الموجود بها)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن فيها من الحبوب القَمْحَ، والشَّعِيرَ، والدُّخْنَ، ويسمَّى عندهم الأرزن، والمـاش، والجاوَرْس؛ وهو شبيه بحب البرسيم، على قلة فى القمح والشعير. أما الفُولُ فلا يكاد يوجد عندهم، وأكثر حبوبهم الدُّخْنُ ومنه أكلهـم؛ وبهـا من الفواكه جميعُ أنواع الفواكه إلا النَّخْلَ، والزَّيْتُونَ، وقَصَبَ السُّكَّرِ، والمَوْزَ، والأُتْرُجَّ، واللَّيْمُونَ، والنَّارَنْجَ. وذكر عن بلاد القَبْجَاقِ أنها كانت قبل آستيلاء التَّتَارِ عليها معمورة الجوانب، وأنها فى بقايا تلك العمارة والغِرَاس، وأن فيها من الفواكه العِنَبَ، والرُّمَّانَ، والسَّفَرْجَلَ، والتُّفَّاحَ، والكُمَّثْرَى، والمِشْمِشَ، والخَوْخَ، والجَوْزَ، وفاكهة تسمَّى بلغة القَبْجَاقِ بانيك شبيهة بالتِّينِ، وأن الفواكه كثيرة الوجود فى جبالهم مع كثرة مابَادَ منها. قال: وأما البِطِّيخُ فينجب عندهم بجابة خاصة الأصفر، وهو فى غاية صِدْقِ الحَلَاوة يُقَدِّدونه ويُجَفِّفُونَه فيبقى عندهم من السنة إلى السـنة، وربمـا آستخرجوا ماءه وصنعوا منه الحَلْوَى؛ وعندهم من الخضراوات اللِّفْتُ، والجَزَرُ، والكُرُنْبُ، وغير ذلك. ثم قال: وكذلك مدن الجَرْكَسِ والرُّوسِ والآصِ؛ وبها العَسَلُ الكثير الأبْيَضُ اللَّوْنِ اللذيذُ الطَّعْمِ الخالى من الحِدَّةِ.

الجمـــلة السادســـــة

(فى المعاملات والأســعار بها)

أما المعاملات فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن عبدالرحمن الخُوَارَزْمِيِّ التَّرْجُمَانِ أن دينارهم رايج كما فى غالب مملكة إيران، وهوالذى عنه ستة دراهم، وأن الحبوب تباع كلها عندهم بالرِّطْلِ، وذكر أن رِطْلَ خُوَارَزْمَ زِنَتُهُ ثلثمائة وثلاثون درهما.

وأما الأسعار فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر أن الأسعار فى جميع هذه المملكة رَخِيَّة إلى الغاية إلا كُرْكَنْجَ أمّ إقليم خُوَارَزْمَ فإنها متماسكة فى أسعار الغلات قلَّ أن تَرْخُصَ، بل إما أن تكون غليّةً أو متوسطة لا يعرف [بها] الرُّخْصُ أبدا . ثم ذكر عن شجاع الدين عبد الرحمن الخُوَارَزْمىّ التَّرْجُمَان : أن الأسعار فى خُوَارَزْمَ والسَّرَاى لا يكاد يتباين ما بينهما . قال : والسعر المتوسط عندهم القَمْح بدينارين ونصف، وكذلك الماش والشعير بدينارين، وكذلك الدخن والجَاوَرْس، وربما زاد، والغالب أن يكون سعره مماثلَ سعر القمح؛ واللحم الضأن على السعر المتوسط كل ثلاثة أرطال بدرهم. وذكر ابن مسافر أن اللحوم بها رخيصة، وأكثر ما يذبح بها الخيل .

وأما سُكَّان البر فإن اللحم لا يباع لديهم ولا يُشترى لكثرته، وغالب أكلهم لحومُ الطير واللبنُ والسمنُ، وإن تَلِفَ لأحد منهم دابةٌ من فَرَسٍ أو بقرة أو شاة أو غير ذلك، ذبحها وأكل هو وأهلُه منها، وأهدى لجيرانه. فإذا تلف عند مَنْ أهدى إليه شيءٌ من ذلك، ذبحه أيضا وأهدى لجيرانه، فلهذا لا تكاد بيوتهم تخلو من اللحم .

الجملة السابعة

(فى ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدّم أنها قسم من مملكة تُورَانَ، ومملكة تُورانَ كانت فى القديم بيد افراسياب ملك التُّرْك، وتداولها ملوك الترك بعده إلى الفتوح الإسلامية، وأسلم مَنْ أسلم من ملوكهم .

أما خُوَارَزْمُ فتوالت عليها الأيدى حتّى صارت إلى (محمود بن سُبُكْتكين) المقدّم ذكره فى ملوك غَزْنَة من القسم الأوّل من هذه المملكة؛ ثم صارت (لمسعود) ابنه،

واستناب فيهـا خُوَارَزْم شاه هارونَ بن الطّيطاش، ثم قتله غلمانُه عند خروجه إلىٰ الصيد، وآستولىٰ عليها رجل يقال له (عبد الجَبَّار)، ثم وثب غلمانُ هارونَ بعبد الجَبَّار فقتلوه، وولَّوا مكانه (إسماعيل بن الطيطاش) أخا هارون، ثم غلبه عليها (شاه ملك) ابن علي، ثم غلبه عليها (طغرلبك) بن ميكائيل بن سلجوق، وبقيت بيد السلجوقية المقدّم ذكرهم فى مملكة إيران، إلىٰ أن صارت منهم إلىٰ (بَرْكِيَارُق) بن ملكشاه بن أرسلان آبن داود بن ميكائيل بن سلجوق، فآستناب فيها علاء الدين محمد أنوشتكين فى أيام بركيارق بن ملكشاه بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقى، ولُقّب خوارَزْم شاه فى سنة تسعين وأربعمائة .

ثم ولى بعده آبنه (أطسز) بن محمد، ثم غلبه علىٰ ذلك (سنجر) بن ملكشاه أخو علاء الدين محمد، وأقام بها من يحفظها فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، [ثم غلبه عليها أطسز بن محمد المقدّم ذكره](1)، وبقى بها حتّٰى توفى سنة إحدىٰ وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده آبنه (أرسلان بن أطسز) وتوفى سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وملك بعده آبنه (سلطان شاه محمود) صغيرا، وقامت أمه بتدبير دولته، ثم غلب علىٰ المُلْك أخوه (علاء الدين تكش) ثم غلبه أخوه (سلطان شاه) وطرده، ثم مات سلطان شاه وآنفرد (تكش بالملك) ثم مات فى سنة ست وتسعين وخمسمائة .

وولى بعده آبنه (محمد بن تكش) وكان لقبــه قُطْبَ الدين فتلقب علاءَ الدين، وبقى حتّٰى غلبه جنكزخان وهزمه فى سنة تسع عشرة وستمائة، ثم مات بعد ذلك . ولمـا ملك جنكزخان أوصىٰ بَدَشْت القَبْجَاق، وما معــه لآبنه طوجى، ويقال له دوجى أيضا، فمات طوجى فى حياة أبيه جنكزخان . فلما مات جنكزخان آستقرّ فى مملكة ماوراء النهر، وما معه باتو بن طوجى بن جنكزخان، ثم مات باتو .

(1) الزيادة عن تاريخ أبى الفدا ليوافق الواقع .

وملك بعده أخوه (بركة بن طوجى) وهو الذى تنسب هذه المملكة إليه، فيقال فيها بيت بركة، بمعنى هذه مملكة بيت بركة، كما يقال فى مملكة إيران هى مملكة بيت هولاكو . قال صاحب "الذيل على الكامل" وكانت المكاتبة بينه وبين الظاهر بيبرس لاتنقطع، وبقى حتى توفى سنة خمس وستين وستمائة عن غير ولد .

وملك بعده ابن أخيه (منكوتمر بن طغان) بن باطو بن دوجى خان، ابن جنكزخان، وتوفى سنة إحدى وثمانين وستمائة .

وملك بعده أخوه (تدان منكوتمر) بن طغان بن باطو بن دوجى خان، ابن جنكزخان وقيل سنة اثنتين[1] وثمانين وستمائة، وكان صاحب مصر قد جهز إلى منكوتمر هدية فلم تصل إليه حتى مات، واستقر (تدان منكو) فقدمت إليه فابتهج بها، وعادت الرسل بجوابه بذلك، وبقى إلى سنة ست وثمانين وستمائة فأظهر الوله وتخلى عن المملكة وانتمى إلى المشايخ والفقراء .

وملك بعده (تلابغا) باشارته [ابن منكوتمر بن طغان بن باطو[2]] بن دوجى خان ابن جنكزخان، وبقى حتى قتل فى سنة تسعين وستمائة .

وملك بعده (طقطغا) بن منكوتمر بن طغان بن باطوخان ابن جنكزخان .

والذى ذكره قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون فى "تاريخه" أنه ملك بعد باطوخان أخوه طرطو، ثم أخوه بركة، ثم منكوتمر بن طغان خان ابن باطوخان ابن دوشى خان، ثم ابنه تدان منكو، ثم أخوه تلابغا، ثم أخوه جفطاى، ثم ابن أخيه أزبك، وهو الذى كان فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية . قال فى "التعريف" : وخطب إليه السلطان فزوجه بنتا تقرب إليه، ثم ابنه جانى بك، ثم ابنه بردى بك، ثم ابنه طقتمش، ثم نائبه ماماى، ثم عبد الله بن أزبك،

(١) فى تاريخ أبى الفدا "سنة ثمانين" . (٢) الزيادة عن تاريخ أبى الفدا .

ثم قطلقتمر، ثم ماماى ثانيا، ثم حاجى جركس، ثم أيبك خان، ثم آبنه قانى بك خان، ثم أرص خان، ثم طقتمش خان آبن بردى بك خان. قال: ومنه آنتزعها تمرلنك وقتله.

قلت: المعروف أن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أصلا ولا قتل طقتمش، وماذكره وَهِمَ فيه.

وأوّل من أسلم من ملوك هـذه المملكة من بنى جنكزخان بَرَكة بن طوجى آبن جنكزخان، وكان إسلامه قبـل تملّكه حين أرسـله أخوه باطوخان لإجلاس منكوخان على كرسىّ جدّه جنكزخان، فأجلسه، وعاد فمرّ فى طريقه على الباخَرْزىّ شيخ الطريقة، فأسلم على يديه وحَسُنَ إسلامُه، ولم يملك بعـد أخيه باطوخان إلا وهو مسلم، وتلاه من تلاه من ملوكهم بهذه المملكة فى الإسلام حتّى كان أزبك خان منهم، فأخلص فى الإسلام غاية الإخلاص، وتظاهر بالدّيانة والتمسك بالشريعة، وحافظ على الصلاة وداوم على الصيام.

وقد حكى فى "مسالك الأبصار" عن زين الدين عمر بن مسافر أن ملوك هـذه الطائفة مع ظهور الإسـلام فيهم وإقرارهم بالشهادتين مخالفون لأحكامهـا فى كثير من الأمور، واقفون مع ياسة جنكزخان التى قرّرها لهم وقوفَ غيرهم من أتبـاعه، مع مؤاخذة بعضهم بعضًا أشدّ المؤاخذة فى الكَذِبِ والزِّنا ونَبْذِ المواثيق والعهود. وقد جرت عادة ملوكهم أنهم إذا غَضِبوا على أحد من أتباعهم، أخذوا مَالَهُ وباعوا أولاده، وأن فى سلطان هذه المملكة طوائف الجَرَكس والرُّوسِ والآصِ، وهم أهل مُدُن عامرة آهلة، وجبال مشـجرة مثمرة، ينبت عندهم الزرع، ويَدُرُّ لهم الضَّرْع، وتجرى الأنهار، وتُجنى الثمـار، وهم وإن كان لهم ملوك فهـم[1] كالرعايا، فإن داروه بالطاعة والتُّحَف كَفَّ عنهـم، وإلا شنّ عليهم الغارات، وضـايقهم، وحاصرهم،

(١) لعله فهم لملك مصر أو نحو ذلك كالرعايا لينتظم الكلام.

وقتل رجالهم، وسبى نساءهم، وذراريّهم، وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض.
ثم قال: والقسطنطينيّة مجاورة لأطراف مَلك القَبجَاق، وملك الروم معه فى كَلَبٍ دائم، واقتراحات متعدّدة فى كل وقت، وملك الروم على توقد جمرته، وكثرة حُمَاته وأنصاره، يخاف غارته وشرّه، ويتقرّب إليه، ويداريه، ويدافع معه الأيام من وقت إلى وقت منذ تديّر ملوكُ بنى جنكزخان هذه المملكة. وما تخلو بينهم مدّة عن تجديد عهود ومسالمة إلى مدّة تؤجل بينهم، وأشياء تحمل من جهة ملك الروم إلى ملكهم.

الجملة الثامنة

(فى مقدار عسكر هذه المملكة، وترتيبها، ومقادير الأرزاق الجارية عليهم، وزيّهم فى اللبس)

اما مقدار عسكرها، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين ابن النّعمان أن عساكرها كثيرة تفوت الحصر، لا يُعْلم لها مقدار إلا أنه خرج مرة عليه وعلى القان الكبير اسنبغا سلطانِ ما وراء النهر خارجٌ، فجرّد إليه من كل عشرة واحدا فبلغ عدّة المجرّدين مائتين وخمسين ألفا ممن دخل تحت الإحصاء سوى من انضم إليهم، وألزم كلّ فارس منهم بغلامين وثلاثين رأسا من الغنم وخمسة أرؤس من الخيل وقِدْرين نحاس وعجلة.

وأما ترتيب مملكتهم فحكى عن الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصلىّ أن ترتيب هذه المملكة فى أمر جيوشها وسلطانها كما فى ترتيب مملكة العراق والعجم فى عدّة الأمراء والأحكام والخَدَم، ولكن ليس لأمير الألوس والوزير بها تصرفُ أمير الألوس والوزير بتلك المملكة، ولا لسلطان هذه المملكة نظيرُ مالذلك السلطان من الدخل والمجابى وعدد المُدُن والقُرى، ولا مشى أهلُ هذه المملكة على قواعد الخلفاء مثل أولئك، ولخواتين هؤلاء مشاركةٌ فى الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم مثل

أولئك وأكثر ، إلا ما كانت عليه بغداد بنت جوبان آمرأة أبي سـعيد بهادر بن خدابندا ، فإنه لم يُرَ من يحكم حكمها . قال المقرّ الشهابيّ بن فضل الله : وقد وقفتُ علىٰ كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد بَرَكَةَ وما بعده ، وفيها "وآتفقت آراء الخواتين والأمراء علىٰ كذا" أو مايجرى هذا المَجْرىٰ .

وحكى عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر عن أزبك خان سلطان هذه المملكة فى الأيام النـاصرية محمد بن قلاوون أنه لا آلتفات له من أمور مملكته إلا إلىٰ جُمْليّات الأمور دون تفصيل الأحوال ، يَقْنَعُ بمـا جُمِلَ إليه ، ولا يبحث عن وجوه القبض والصرف ، وأن لكل آمرأة من خواتينه جانبا من الحمل ، وأنه يركب كل يوم إلىٰ آمرأة منهنّ ، يقيم ذلك اليوم عنـدها ، يأكل من بيتها ويشرب ، وتلبسه بدلة قماش كاملة ، ويخلع التى كانت عليه من اللبس علىٰ من يتفق ممن حوله . ثم قال : وقماشه ليس بفائق الجنس ولا غالى الثمن ، مع قربه من الرعايا القاصـدين له ، إلا أن يده ليست مبسوطة بالعطاء ، ولو أراد هـذا لمـا وفىٰ به دخلُ بلاده ، فإن غالب رعاياه أصحابُ عَمَلٍ فى الصحراء ، أقواتُهم من مواشيهم . ونقل عن نظام الدين بن الحكيم الطيارىّ أن لسلطان هذه المملكة علىٰ جميعهم خراجًا يستأديه منهم ، وأنهم ربمـا طُولبوا بالخراج فى سنة مُمْحِلة لوقوع المُوتان بدوابهم ، أو سقوط الثلج ونحوه ، فباعوا أولادَهم لأداء ماعليهم من الخراج .

وأما مقادير أرزاق جُنْدهم ، فقد حكى عن شجـاع الدين عبد الرحمن أن كل من كان بيد آبائه شيء من الإقطاع فهو بيد أبنائه . ثم قال : والأمراء لهم بلاد ، منهم من تغِلُّ بلاده فى السنة مائتى ألف دينار رابح وما دون ذلك إلىٰ مائة ألف دينار رابح .

أما الجند فليس لأحد منهم إلا نقود تؤخذ ، كلهم فيها علىٰ السواء ، لكل واحد منهم فى السنة مائتا دينار رابح .

وأما زِيُّهم فى اللبس ، فحكى عن شجاع الدين الترجمان أيضا أنه كان زيهم زِىَّ عسكر مصر والشام فى الدولة الإسلامية وما يناسب ذلك ، ثم غلب على زيهم زِىّ التتر إلا أنهم بعمائم صغار مُدَوَّرة .

القســـم الثـالث

(من مملكة تُورَانَ مملكةُ القان الكبير)

قال فى "التعريف" : وهو أكبر الثلاثة ، (يعنى ملوك الأقسام الثلاثة المتقدمة الذكر) . وهو صاحب الصِّين والخِطَا ووارث تخت جنكزخان . قال : وقد تواترت الأخبار بأنه أسلم ودان بدين الإسلام ، ورَقَم كلمة التوحيد على ذوائب الأعلام . قال : وإن صَحَّ وهو المؤمل ، فقد ملأت الأمةُ المحمديةُ الخافقين ، وعَمَرَتِ المشرقَ والمغربَ ، وآمتدّت بين ضَفَّتَى البحر المحيط . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو القائم مقام جنكزخان والجالسُ على تخته . قال : وهو كالخليفة على بنى عَمِّه من بقية ملوك تُوران : من مملكة إيران ، وصاحب القَبْجَاق ، وصاحب ما وراء النهر . فإذا تجدّد فى مملكة أحد منهم مُهِمٌّ كبير ، مثل لِقَاء عسكر ، أو قتل أمير كبير بذنب ، أو ما يناسب ذلك ، أرسل إليه وأعلمه به ، وإن كان لا آفتقار إلى آستئذانه ، ولكنها عادة مَرْعِيَّةٌ بينهم .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطياري أنه لم يزل يكتبُ إلى كلّ من القانات الثلاثة ، يأمرهم بالاتحاد والألفة ، وإذا كتب إليهم بدأ باسمه قبلهم ، وإذا كتبوا إليه بدؤا بآسمه قبلهم . قال : وكلهم مُذْعنون له بالتقدّم عليهم . قال فى "مسالك الأبصار" : وأهل هذه المملكة هم أهل الأعمال اللطيفة ، والصنائع البديعة ، التى سلمت إليهم فيها الأمم . وقد تكتّب[1] الكتب من أحوالهم بما أغنى عن ذكره . قال : ومن عادة المجيدين فى الصنائع أنهم إذا عملوا عملا

(١) لعله "وقد تكفلت الكتب الخ" .

بديعا، حملوه إلىٰ باب الملك، وعُلّق عليه ليراه الناس، ويبقىٰ سَنَةً، فإن سلم من عائب أسدىٰ إلىٰ صاحبه الإحسانَ، وإن عيبَ عليه وتوجَّه العيبُ، وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب [علىٰ] من عابه .

وقد حكىٰ المسعوديّ فى "مروج الذهب" أن صانعا منهـم صوّر عُصْفورا علىٰ سُنْبُلة فى نقش ثوب كمخا وعلقه، فٱستحسنه كل من رءاه، حتّٰى مرّ به رجل فعابه باستقامة السنبلة، لأن العُصْفُورَ من شأنه أنه إذا وضع(1) علىٰ السنبلة أمالهـا .

وحكىٰ فى "مسالك الأبصـار" عن بدر الدين حسن الإسـعرديّ أن بعض صُنّاعهم عَمِل ثيابا من الوَرَق وباعها علىٰ أنها من الكمخاوات الخطائية، لايشُكُّ فيها شَاكٌّ، ثم أظهرهم علىٰ ذلك فعجبوا منه .

وحكى عن الشريف حسن السَّمَرْقَنْدِيّ أنه كان بهـذه البلاد، فشكا ضِرْسَهُ، فأراه لرجل من الخِطَا، فوضع يده عليه، فأخرج منه قطعة متآكلة، ووضع مكانها قطعة من ضِرْسٍ أجنبيّ، ودهنه بدُهْن وأمره أن لايشرب ماء يومه، فٱلتصق حتّٰى صار كأنه من أصل الخلقة، إلا أن لون الأول يبين من اللون الثانى . وذكر المقرّ الشهابىّ أنه أراه له بحضرة الشيخ شمس الدين الأصفَهَانىّ وجماعة من أهل العلم . قال بدر الدين حسن الإسعرديّ : ولقد رأيت منهم من هذه الأعمال ما يَحَار فيه العقلُ .

ويحصل الغرض منه فى خمس جمل :

الجمـــلة الأولىٰ

(فيما ٱشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وٱعلم أن هذه المملكة هى أوسع ممالك بنى جنكزخان وأفسحها جوانبَ، وأكثرها أقاليم، وأوفرها مُدُنا، غير أنها بعيدة المسافة، منقطعة الأخبار، فَجُهِلَت لذلك أسماءُ

(1) كذا بالأصل، ولعل الصواب "وقع" .

أقاليمها، وتعذرت الإحاطة بأقطارها، ونحن نورد منها ماشاع ذكره فى سائر الآفاق وانتشر، ونَقْنَعُ من التفصيل بالجملة، ونكتفى من البحر بالنُّغبَة .

والقول الجملىُّ فى ذلك أنه يشتمل على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأوّل
(الصِّينُ)

بكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط به من جهة الغرب المَفَاوِزُ التى بينه وبين الهِنْد، ويحيط به من جهة الجنوب البحر (يعنى بحرَ الهِنْد) ، ويحيط به من جهة الشرق البحر المحيط ، ويحيط به من جهة الشَّمَال أرض يَأْجُوج ومَأْجُوج وغيرها من الأراضى المنقطعة الأخبار عنا . ثم قال : وقد ذكر أصحاب المسالك والممالك فى كتبهم بلادا كثيرة، ومواضع وأنهارا وغيرها فى إقليم الصِّينِ؛ ولم يقع لنا ضبط أسمائها، ولا تحقيق أحوالها، فصارت كالمجهولة لنا لعدم مَنْ يَصِل من تلك النواحى من المسافرين إلينا لنستعلم منه أخبارها فأضربنا عن ذكرها .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين حسن بن الحلال السَّمَرْقَنْدِىّ، وهو من السُّفَّار، وممن جال الآفاق، ودخل الصِّينَ وجَالَ بلادَه، وجابَ آفاقه، وجاسَ خِلاَلَه، وجال فى أقطاره : أن بالصِّينِ ألفَ مدينة، وأنه دارَ الكثيرَ منها . قال : وبلاد الصِّينِ كلها عمارة متصلة من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية .

وقاعدة هذه المملكة (خَانْ بَالِق) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الخاء المعجمة ثم ألف ونون ساكنة وباء موحدة مفتوحة ثم ألف ولام مكسورة وقاف فى الآخر . قال : وهى مدينة من أقاصى الشرق عند بلاد الخطا ، واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربعَ عشرةَ درجة، والعرض

خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . وهى قاعدة مشهورة علىٰ ألْسِنَة التُّجَّار وأهلها من جنس الخطا ، وعندهم معادِنُ الفضــة . قال آبن سعيد : ويُذْكر عن عِظَم هذه المدينة مايستبعده العقلُ . قال فى "مسالك الأبصار" نقلا عن الشريف حسن بن الجلال السَّمَرْقَنْدِىّ : إن مدينة خَانْ بَالِق المذكورة مدينتــان ، قديمة وجديدة، والجديدة منهــما آسمها ديدو، بناها (ديدو) آخر ملوكها فسميت بآسمه ، والقان الكبير ينزل بوســطها فى قصر عظيم يســمّى كوك طاق ؛ ومعناه بلغة المغل القصر الأخضر ، لأن طاق معناه عنــدهم القصر ، وكوك معناه الأخضر ؛ ومنازل الأمراء حوله خارجَ القصر ؛ قال : وهى مدينة طَيِّبة ، واســعة الأقوات ، رخيَّةُ الأسعار، ويجمُد بها المــاء فى زمن الشتاء فيصير كالثلج ، فيُرفَعُ إلىٰ أيام الصيف حتّى يُبَرَّد به المــاء كما يُبَرَّد بالثلج . ويشق مدينةَ ديدو المذكورة نهرٌ .

وبها أنواع الفواكه إلا العنَبَ فإنه قليل بها ؛ وليس بها نَارَنْجٌ ولا لَيْمُونٌ ولا زَيْتُونٌ ، ثم يُعمل بها السكر. وبها من الزَّرْع والجِمَال والخَيْل والبَقَر والغَنَم مالا يدخل تحت الإحصاء .

وبالصِّينِ مُدُن مشهورة سواها .

(منهــا) قَرَاقُومُ . قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح القاف والراء المهملة ثم ألف وقاف مضمومة وواو ســاكنة وميم . قال : وهى مدينــة فى أقاصى بلاد التُّرْك الشرقية ، ومعنىٰ قراقوم باللغة التركية الرمل الأسود ، لأن قرا فى لغتهم بمعنىٰ الأسود ، وقم بمعنىٰ الرمل ، ويقع فى كثير منْ الكتب قَرَاقرم بإبدال الواو راء وهو خطأ ، وإنما كتبت الواو بها بعد القاف دليلا علىٰ الضمة علىٰ عادتهم فى ذلك — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم الســبعة . قال آبن ســعيد حيث الطول مائة وست وخمسون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال : وهى كانت قاعدةَ التتر، وفى جهاتها بلاد المغل : وهم خالصة التتر. ومنها خاناتهم . قال الشريف

حسن بن الجلال السَّمَرْقَنْدِىّ : وفيها غالب عساكر القان الكبير. وبها يُعمل القماش الفاخر، والصنائع الفائقة، وغالب مايحتاج إليه القان يُستدعى منها لأنها دار آستعمال، وأهلها أهل صنائعَ فائقة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى قرية جنكزخان التى أخرجته، وعرِّيسته التى أدرجَتْه .

(ومنها) الخَنْساء . قال فى "تقويم البُلْدان" : بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة وألف . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" حيث الطول مائة وخمس وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثمان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وعن بعض المسافرين من بلادنا أن الخنساء فى هذا الزمان أعظم فُرَض الصِّين ، وإليها ينتهى وصول التُّجَّار المسافرين من بلادنا . قال الشريف السَّمَرْقَنْدِىّ : وطول الخنساء يوم كامل، وعرضها نصف يوم، وفى وسطها سوق واحد ممتدٌّ من أوّلها إلى آخرها، وأسواقها مبلَّطة بالبَلَاط، وبناؤها خمس طبقات بعضُها فوق بعض، وكلها مبنية بالأخشاب والمسامير، وشرب أهلها من الآبار، وأهلها فى قَشَف عظيم، وغالب أكلهم لحم الجاموس والإوَزِّ والدّجاج. وفيها الأُرُزُّ، والمَوْزُ، وقصب السُّكَّر، واللَّيْمُونُ، وقليل الرُّمَّان، وأسعارها متوسطة، وتجلب إليها الغنم والقمح على قلة، ولا يوجَدُ فيها من الخيل إلا ماقلَّ عند أعيانها. وأما الجمال فلا توجد فيها البتة، فإن دخلها جَمَلٌ تعجبوا منه. ونقل فى "مسالك الأبصار" أن بينها وبين جالق بالق أربعين يوما. وحكى عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحدّاد البغدادىّ أنه وصل إلى الخنساء ووصف عظمة بنائها ومَنَعَةَ رِفْعَةِ مدينتها مع تَشَحُّط الأقوات بها ووفور المكاسب فيها ورُخْص الدّقيق[1] الجيد فيها وفى جميع تلك البلاد . قال : وأهلها يتفاخرون بكثرة الجوارى السرارى، حتى إنه ليوجد لأحد التجار وآحاد الناس أربعون سرية فما زاد على ذلك .

(١) لعله الرقيق بالراء فتأمل .

(ومنها) الزَّيْتُونُ . قال فى "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين الثقات : هى بلفظ الزيتون الذى يُعْتَصر منه الزيت ، وهى فُرْضَةٌ من فُرَضِ الصِّين ـ موقعها فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربعَ عشرةَ درجة ، والعرض سبعَ عشرةَ درجة . قال : وهى مدينة مشهورة علىٰ ألسنة التجار المسافرين إلىٰ تلك البــلاد ، وهى علىٰ خَوْر من البحر ، والمراكب تدخل إليها من بحر الصِّين فى الخَوْر المذكور ، وقدره نحو خمسة عشر ميلًا ، ولها نهر عند رأس الخور المذكور .

وذكر فى "مسالك الأبصــار" عن الشريف السَّمَرْقَنْدِىّ أن مدينــةَ الزَّيْتُونِ علىٰ البحر المحيط وهى آخر العمارة . قال : وبينها وبين جالق بالق شهر واحد .

(ومنها) السِّيلى . قال فى "تقويم البلدان" : بالسين المهملة والياء المثناة التحتية ولام وياء ثانية . ثم قال : هكذا وجدناه فى الكتب . قال : ويقال لها سِيلَا يعنى باللام ألف ، ورأيت فى بعض الكتب سِيلان بزيادة نون بعد اللام ألف . قال : وهى مدينة فى أقصىٰ الصِّين الشرقىّ ، خارجة عن الإقليم الأوّل إلىٰ الجنوب . قال فى "القانون" حيث الطول مائة وسبعون درجة ، والعرض خمس درج ، وهى فى أعالى الصِّين من الشرق بجزائر الخالدات فى بحر الغرب ، لكن هذه معــمورة فى خِصْبٍ بخلاف تلك .

(ومنها) جمكوت . قال فى " تقويم البلدان " : بالجيم والميم والكاف ثم واو وتاء مثناة فوقية فى الآخر . قال : كذا وجدناها مكتوبة ، واسمها عند الفُرْس جما كرد . قال : وهى مدينــة فى أقصىٰ العمارة الشرقية ، خارجة عن الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة إلىٰ الجنوب . قال فى "الأطوال" : وهى علىٰ خط الاستواء لاعرض لها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى علىٰ النهاية الشرقية مثل مايحكىٰ عن الجزائر الخالدات فى النهاية الغربية . قال : وليس شرقىّ جمكوت عمارة أصلا .

(ومنها) مدن أخرىٰ مذكورة فى الكتب مجهولة الضبط .

إحداها مدينة (ينجو) ـ وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول مائة وخمس وعشرون، والعرض آثنتان وعشرون . وقد ذكر فى "القانون" أنها مستقرّ مَلِكهم الأكبر الملقب بطمغاج .

(ومنها) مدينة خانقو . بخاء معجمة وألف ونون وقاف ثم واو ـ وهى مدينة علىٰ النهر واقعة فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول مائة وستون درجة، والعرض أربعَ عشرةَ درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من أبواب الصِّين . قال آبن سعيد : وموقعها علىٰ شرقىّ نهر خمدان . قال آبن خرداذبه : وهى المرفأ الأكبر، وفيها الفواكه الكثيرة، والبقول، والحنطة، والشعير، والأُرْزّ، والعِنَبُ، والسكّر .

(ومنها) مدينة خانجو ـ بإبدال القاف من المدينة السابقة جيما ـ وهى مدينة علىٰ النهر، واقعة فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول مائة وآثنتان وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال فى "القانون" : وهى من أبواب الصِّين .

(ومنها) مدينة سوسة ـ بسينين مهملتين بينهما واو ساكنة وفى الآخر هاء . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة مشهورة كثيرة التُّجّار متصلة العمارة، و يُصْنع الفَخّار الصِّينىّ الذى لا يفوقه ولا يعدله شىء من أعمال الصِّين . قال : وهى علىٰ شرقىّ نهر خمدان .

الإقليم الثانى

(بلاد الخِطّا)

بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف فى الآخر، وهم جنس من التُّرْك بلادهم فى متاخمة بلاد الصِّين .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" مدينة (قمجوهى) بقاف وميم وجيم وواو ثم هاء وياء آخر الحروف . وقال : إنهـا أول بلاد الخطّا ، وان منها إلىٰ جالق بالق أربعين يوما ، بل ذكر أن مدينة جالق بالق التى هى قاعدة هذه المملكة من بلاد الخطّا .

الجمـــلة الثـانية
(فى معاملة هذه المملكة وأسعارها)

أما معاملتها فقال فى "مسالك الأبصار" : حدّثنى الفاضل نظام الدين آبن الحكيم أن معاملتهم بقشور من لحـاء شجر التُّوت مطبوعةٍ بآسم القان ، فإذا عَتَق ذلك حمله صـاحبه إلىٰ نُوّاب هـذا القان وأخذ عِوَضـه مع خسارة لطيفة ، كما يؤخذ فى دار الضرب مما يُحمل إليها من الذهب والفضة ليُضرب بها . وذكر عن الشريف حسن السَّمَرْقَنْدِىّ أن فيها كبارا وفيها صغارا ، فمنها مايقوم فى المعاملة مقام الدرهم الواحد ، ومنها مايقوم مقام درهمين ، ومنها مايقوم مقام خمسة دراهم وأكثر إلىٰ ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة . وقد تقدّم فى الكلام علىٰ جالق بالق[1] والخَنْسَاءِ ذكرُ مابهما من الحيوان والحبوب والبقول وغير ذلك .

الجمـــلة الثـالثة
(فى الطريق الموصل إلىٰ هذه المملكة)

قد حكىٰ فى "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين السَّمَرْقَنْدِىّ : أن من سَمَرْقَنْدَ من بلاد ما وراء النهر إلىٰ سيلى عشرين يوما ، ومن سيلى المذكورة إلىٰ ألمالق عشرين يوما ، ومن المالق إلىٰ قرا خوجا إلىٰ قمجوهى إلىٰ خان بالق أربعين يوما . ثم قال : ومن خان بالق إلىٰ الخَنْسَاءِ طريقان : طريق فى البر، وطريق فى البحر ،

(١) كذا فى الأصل ، وسبق له مثله مرارا عن "المسالك" ولكن الذى ضبطه فيما تقدّم عن "التقويم" خان بالق بالخاء المعجمة والنون .

وفى كل من الطريقين من خان بالق إلىٰ الخنساء أربعون يوما . وذكر فى الكلام علىٰ مملكة بيت بركة عن حسن الإربلى أن المسافر إذا سافر من جولمان علىٰ شرقيّها وصل إلىٰ مدينة قراقوم .

الجملة الرابعة

(فى ذكر ملوكها)

قد ذكر المسعودىّ فى "مروج الذهب" عدّة ملوك من ملوك الصّين قبل الإسلام وبعده ، أسماؤهم أعجمية لاحاجة بذكرها ، والمقصود معرفة حالها فى أيام بنى جنكزخان القائمين بها إلىٰ الآن .

قد تقدّم فى الفصل الأوّل من هذا الباب الكلام علىٰ مبتدإ أمر جنكزخان وكيفية مصير الملك إليه فأغنىٰ عن إعادته هنا .

ثم لما ملك جنكزخان أوصى بتخته المستولى فيه علىٰ هذا القسم من المملكة اولده الصغير أوكداى ، ومات جنكزخان فآستقرّ ولده أوكداى ، [ثم آستقرّ] فى هذه المملكة مكانه آبنه كيوك ثم مات

فملك بعده (منكوقان) بن طولى بن جنكزخان ، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة .

فملك بعده (أرى[1] بكا) ، ثم قبلى خان ، ثم دمرياق ، ثم قرماى ، ثم ترقاى كيزى ، ثم قيان قان ، ثم سند مرقان[2] بن طولى بن جنكزخان ، وهو الذى كان فى الأيام الناصرية محمد آبن قلاوون صاحب الديار المصرية ، ثم آنقطع خبرهم فلم يُعلَم مَنْ ملك منهم . وملوك هذه المملكة من بنى جنكزخان كُفَّارٌ يدينون بتعظيم الشمس ، واقفون فى الأحكام مع ياسة جدّهم جنكزخان المقدّم ذكرها فى الفصل الأوّل . قال فى "مسالك الأبصار" :

---

(١) وجدنا فى "العبر" ج ٥ ص ٥٣٠ آختلافا فى الأسماء فاتبعنا الأصل وأجملنا فى التنبيه .

(٢) فى العبر "سند مرقان بن طرمالا بن جنكمر بن قبلاى بن طولى" .

ذكر لى الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطيارىّ الكاتب البوسعيدىّ أنهم علىٰ ماهم عليه من الجاهلية علىٰ السيرة الفاضلة الشاملة لأهل مملكتهم ومن يرد إليها . قال الشريف السَّمَرْقَنْدِىّ : ومن عجائب ما رأيتُ فى مملكة هذا القان أنه مع كُفْره فى رعاياه من المسلمين أمَمٌ كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتىٰ قتل أحدٌ من الكفار مسلما ، قُتِلَ القاتلُ الكافر هو وأهلُ بيته ونُهِبتْ أموالُهم ، وإن قَتَل مسلمٌ كافرا لايُقْتل به ، بل يُطْلب بدِيَتِه ، ودِيَةُ الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره .

الجملة الخامسة

(فى عسكره)

قال بدر الدين حسن الإسْعِرْدِىّ التاجر : وهذا القان ذو عسكر مديد . قال : والذى أعلم من حاله أن له آثنى عشر ألف بازدار يركبون الخيل ، وعساكره من المغل عشرون تومانا . وهى مائتا ألف فارس ، أما من الخطا فما لا يحصىٰ .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هذه المملكة)

قال الشريف تاج الدين السَّمَرْقَنْدِىُّ : وترتيب هذه المملكة أن لهذا القان أميرين كبيرين هما الوزراء ، يسمّى كل من يكون فى هذه الرتبة جنكصان ، ودونهما أميران آخَران يسمّى كل منهما بجار ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما زوجين ، ودونهما أميران آخَران يسمّى كل منهما بوجين . قال : وله كاتب هو رأس كُتَّابه يسمّى لنجون ، وهو بمنزلة كاتب السر فى بلادنا ، والقان يجلس فى كل يوم فى صدر دار فسيحة تسمّى شن ، بمثابة دار العدل عندنا ، ويقف الأمراء المذكورون حوله عن اليمين وعن الشمال علىٰ مقادير رُتَبهم ، وراس الكُتَّاب المسمّى لنجون . فإذا

شكا أحدٌ شكوىٰ أو سأل حاجة ، أعطىٰ قصته رأس الكُتَّاب المذكور فيقف عليها ، ثم يوصلها إلىٰ أحد الأميرين اللذين يليانه وهما أصغر الكل فيقف عليها هو ومن معه ، ثم يوصلانها إلىٰ من يليهما فى الرتبة ، وهكذا إلىٰ أن تصير إلىٰ القان ، فيأمر فيها بما يراه . وذكر عن الشريف أبى الحسن الكربلاى وكان ممن آجتمع بالقان فى هذه البلاد أن لهذا القان أربعة وزراء يُصْدرون الأمر فى مملكته كلها ، ولا يُراجَع القان إلا فى القليل النادر . قال : وإذا أراد القانُ أن يركب ركب فى مِحَفَّة ولا يظهر للناس إلا فى يوم واحد ، وهو مثل يوم مولده فى كل سنة ، فإنه يركب فرسا ويخرج إلىٰ الصحراء ويعمل بها من الأطعمة والسِّماطات ما يغمرُ الناس ، ويكون مثل يوم العيد عندهم .

تم الجزء الرابع . يتلوه إن شاء الله تعالىٰ الجزء الخامس .

وأوله المقصد الثانى

فى ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

والحمد لله رب العالمين . وصلاته علىٰ سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وآله وصحبه والتابعين وسلامه .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

